تنویر العینین شرح تفسیر جلالین

شرح موجز على تفسير الجلالين يكشف دقائقه وأسراره

2

تنوير العينين
بشرح تفسير الجلالين

ردمك

تنوير العينين بشرح تفسير الجلالين

«شرح موجز على تفسير الجلالين يكشف دقائقه وأسراره»

تأليف

أبي سهيل أنور عبدالله بن عبدالرحمن الفضفري

المجلد الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

٧- سورة الأعراف

مكية[(١)] إلا ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ...﴾ الثمان أو الخمس آيات.
وهي مائتان وخمس أو مائتان وست آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾﴾ الله أعلم بمراده بذلك[(٢)].

(٢)- هذا[(٣)] ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ ضيق[(٤)] ﴿مِّنْهُ﴾ أن تُبلّغه، مخافة أن تُكذَّب[(٥)]. ﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلق بـ«أُنزِلَ» أي: للإنذار[(٦)] ﴿بِهِۦ وَذِكْرَىٰ﴾ تذكرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ به.

(٣)- قل لهم[(٧)]: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟﴾ تتخذوا ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: الله[(٨)]، أي غيره ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ تطيعونهم في معصيته تعالى

---

(١) قوله: (مكية). ذكر القرطبي: «إلا ثمان آيات»، وجمهور المفسرين أطلقوا أنها مكية.

(٢) قوله: (الله أعلم بمراده بذلك) تقدم مثله في سورة البقرة وآل عمران.

(٣) قوله: (هذا) قدره ليكون مبتدأ، و﴿كِتَٰبٌ﴾ خبرًا له.

(٤) قوله: (ضيق) (أن تبلغه) أي لا تتحرج به في إبلاغه والإنذار به، واصبر كما صبر أولو العزم. أفاده ابن كثير. وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: حرج، شكّ.

(٥) وقوله: (مخافة أن تُكذّبَ): (تكذَّب) بصيغة المضارع المبني للمفعول، أي: يكذبّك المشركون.

(٦) قوله: (للإنذار). صرح بالمصدر ليعطف عليه المصدر الصريح: ﴿وَذِكْرَىٰ﴾.

(٧) قوله: (قل لهم). أفاد به أن هذه الآية مما أمر الله نبيه أن يقولها للمشركين، وكذلك فسر ابن جرير، وقال: «دل على ذلك قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ﴾ فهو أمر بالإنذار، والإنذار يكون بالقول، فكان المعنى: أنذر القوم وقل لهم اتبعوا...»ا.هـ. ملخصًا.

(٨) قوله: (أي: الله). فسّر به الضمير في ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾. وقوله: (أي: غيره) تفسير لـ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾. =

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَّكَّرُونَ ۝٣﴾ بالتاء والياء[١]. تتعظون. وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال، وفي قراءة: بسكونها[٢]، و«مَّا» زائدة لتأكيد القلة.

٤- ﴿وَكَم﴾ خبرية[٣]، مفعول[٤] ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها[٥] ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾

= وقيل: الضمير في ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ راجع إلى ﴿مَآ أُنزِلَ﴾ أي: ولا تتبعوا من دون دين الله دين أولياء... وهو ظاهر ابن كثير.

(١) قوله: (بالتاء والياء). هنا ثلاث قراءات:

١- ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ بالياء: قراءة ابن عامر.

٢- و﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بالتاء وتخفيف الذال: قراءة حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف، ففيه حذف إحدى التائين.

٣- و﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ بالتاء وتشديد الذال: قراءة الباقين. وأصله: «تتذكرون» بتاءين أدغمت التاء في الذال، كما قال المفسر: (وفيه إدغام...).

(٢) قوله: (وفي قراءة بسكونها). لعله سبق قلم. وصوابه: بحذفها، أي: حذف إحدى التائين: «تَذَكّرُونَ» وهي قراءة حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف كما ذكرنا. أما بسكون الذال «تَذْكُرُونَ» فلم تقع به قراءة.

(٣) قوله: (خبرية). أي بمعنى: كثيرًا. وتأتي «كم» خبرية، واستفهامية، ولكل منهما أحكام مفصلة في علم النحو. وقد ذكرنا ذلك في رسالة «العَدَد».

(٤) وقوله: (مفعول). أي: فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أهلكنا، دل عليه قوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾، فيكون الكلام من باب الاشتغال، والأولى إعراب «كم» هنا أنها في محل رفع مبتدأ، وجملة ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ في محل رفع خبر، لأن هذا مما يترجح فيه الرفع للاسم السابق على أنه مبتدأ، على إعرابه أنه مفعول لفعل محذوف، كما هو مفصل في باب الاشتغال.

(٥) قوله: (أريد أهلها). أي فيكون من المجاز المرسل، أطلق المحل وأريد الحال.

أردنا إهلاكها[١] ﴿فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ ليلًا[٢] ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝٤﴾ نائمون بالظهيرة، والقيلولة: استراحة نصف النهار، وإن لم يكن معها نوم. أي مرة جاءها ليلًا ومرة نهارًا[٣].

٥- ﴿فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ قولهم ﴿إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ﴾[٤] ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥﴾.

٦- ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي الأمم عن إجابتهم الرسل[٥] وعملهم فيما بلغهم ﴿وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٦﴾ عن الإبلاغ.

٧- ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖ﴾[٦] لنُخبِرنَّهم عن علم بما فعلوه ﴿وَمَا كُنَّا

---

(١) قوله: (أردنا إهلاكها). فسر بذلك لوجود الفاء العاطفة في قوله تعالى: ﴿فَجَآءَهَا﴾، والفاء تفيد الترتيب والتعقيب، ومجيء البأس ليس عقب الإهلاك، وبذلك التقدير يزول الإشكال، وهناك توجيهات أخرى.

(٢) قوله: (ليلًا). قال القرطبي: «ومنه: البيتُ أي المنزل؛ لأنه يبات فيه».

(٣) وقوله: (أي مرة جاءها). أفاد به أن «أو» هنا للتنويع، والمعنى: بعض القرى أهلكت ليلًا وبعضها أهلكت نهارًا. والظاهر أنه ليس مراد المفسّر أن القرية الواحدة جاءها العذاب مرة في الليل ومرة بالنهار. كما فهمه بعض الشراح.

(٤) قوله تعالى: ﴿إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ﴾. أي: عند معاينة بعض العذاب أو معاينة علاماتها. أفاده ابن جرير.

(٥) قوله: (عن إجابتهم...). روى ابن جرير عن ابن عباس قال: «يسأل الله الناس عما أجابوا المرسلين، ويسأل المرسلين عما بلّغوا».

(٦) قوله تعالى: ﴿بِعِلۡمٖ﴾. قال القرطبي: «دلت الآية على أن الله تعالى عالم بعلمٍ».اهـ، يعني: له صفة العلم، لا كما زعمت المعتزلة أنه عالم بدون صفة العلم.

غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ عن إبلاغ الرسل والأمم الخالية فيما عملوا.

﴿٨﴾- ﴿وَٱلْوَزْنُ﴾ للأعمال، أو لصحائفها[1] بميزان له لسان وكفتان، كما ورد في حديث[2]، كائن[3] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم السؤال المذكور، وهو يوم القيامة

---

(١) قوله: (للأعمال أو لصحائفها). أشار به إلى قولين للعلماء فيما يوزن يوم القيامة، كما فصله ابن كثير وغيره؛ فقيل: الأعمال، وإن كانت أعراضًا إلا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجسامًا. قال البغوي: يروى نحو هذا عن ابن عباس.

وقيل: يوزن كتب الأعمال، كما جاء في حديث البطاقة، في الرجل الذي يؤتى به ويوضع له في كفة تسعة وتسعون سجلًا، كل سجل مد البصر، ثم يؤتى بتلك البطاقة التي فيها «لا إله إلا الله»...، وفي هذا الحديث قال رسول الله ﷺ: «**فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة...**» رواه الترمذي وصححه.

وهناك قول ثالث: أنه يوزن صاحب العمل، كما في «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مرفوعًا: «**يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين، فلا يزن عند الله جناح بعوضة**». قال ابن كثير: يمكن أن يجمع بينها بأنه تارة يوزن العمل وتارة الصحف وتارة الفاعل. اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله: (كما في حديث). ورد في إثبات الميزان الذي يوزن فيه الأعمال أحاديث كثيرة ذكرها العلماء. وكما يدل على ذلك هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وكما في حديث البطاقة. وروى البيهقي عن ابن عباس: «توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان». [شعب الإيمان: (١/ ٢٣٦)]. وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، وأما المعتزلة فهم أنكروا الميزان.

(٣) قوله: (كائن) قدره ليتعلق به الظرف ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ فيكون هذا الظرف خبر المبتدأ: «الوزن». ويكون ﴿ٱلْحَقُّ﴾ نعتًا. كما ذهب إليه المفسر، ويصح كون ﴿ٱلْحَقُّ﴾ هو خبر المبتدأ.

وقوله: (العدل): تفسير الحق. روي ذلك عن مجاهد.

﴿ٱلۡحَقُّۚ﴾ العدل، صفة الوزن، ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالحسنات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨﴾ الفائزون.

٩- ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالسيئات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ بتصييرها إلى النار ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ٩﴾ يجحدون[(١)].

١٠- ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ﴾ يا بني آدم[(٢)] ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ﴾ بالياء[(٣)]: أسبابًا تعيشون بها، جمع معيشة ﴿قَلِيلٗا مَّا﴾ لتأكيد القلة[(٤)] ﴿تَشۡكُرُونَ ١٠﴾ على ذلك.

١١- ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ أي أباكم آدم[(٥)] ﴿ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ﴾ أي: صورناه

---

(١) قوله: (يجحدون) تفسير للمراد بـ﴿يَظۡلِمُونَ ٩﴾، وبه فسر ابن جرير.

(٢) قوله: (يا بني آدم) أفاد أن الخطاب لجميع الناس.

(٣) قوله: (بالياء). أي: اتفق القراء على قراءته بالياء ﴿مَعَٰيِشَۗ﴾، وليس بالهمزة «معائش»؛ لأنّ وزنه «مفاعل»، والياء أصلية؛ لأنها عين الكلمة، من العيش، فلا تقلب همزة، وإنما تقلب الياء أو حرف العلة همزة في وزن «فعائل» إذا كانت زائدة: نحو صحيفة، صحائف، كبيرة كبائر، صغيرة صغائر. وقال ابن جرير: قرأ عبدالرحمن الأعرج بالهمزة «معائش». اهـ. وليس له وجه صرفيّ، إلا أن يقال: لمشابهته نحو صحائف.هـ، والله أعلم.

(٤) قوله تعالى: ﴿قَلِيلٗا مَّا﴾. ﴿مَّا﴾: حرف زيد لتأكيد القلة، و﴿قَلِيلٗا﴾ منصوب على أنه مفعول مطلق. والله أعلم.

(٥) قوله: (أي أباكم آدم)، وقوله: (أي صورناه وأنتم في ظهره) هذا التفسير مروي عن مجاهد، نقله عنه ابن جرير بطرق مختلفة. قال: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ قال: آدم، ﴿ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ﴾ قال: في ظهر آدم.اهـ.

وروى عن ابن عباس وغيره: «﴿خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ أي: آدم ﴿ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ﴾ أي: ذرية آدم من بعده في الأرحام». =

وأنتم في ظهره ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ أبا الجن، كان بين الملائكة ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾.

﴿١٢﴾- ﴿قَالَ﴾ تعالى[1] ﴿مَا مَنَعَكَ أَ﴾ن ﴿لَّا﴾ زائدة[2] ﴿تَسْجُدَ إِذْ﴾ حين ﴿أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ[3] خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾.

= وعن عكرمة: «﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ في أصلاب الرجال، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ في أرحام النساء».

ورجح ابن جرير: الأول؛ لدلالة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ على ذلك؛ لأن الأمر بالسجود كان قبل تصوير الذرية في الأرحام.

وقوله: (سجود تحية...). كما تقدم في سورة البقرة، وكذا قوله: (أبا الجن كان بين الملائكة) تقدم الكلام على ذلك.

(١) قوله تعالى: ﴿قَالَ...﴾. يقول البلاغيون: تركُ العطف في مثل هذا أي حيث لم يقل: «وقال...» هنا وفيما بعده، وفي أمثال ذلك في مواضع من القرآن، وذلك لوجود شبه كمال الاتصال بين الجملتين الذي هو من مواضع الفصل، أي ترك العطف، ومعنى شبه كمال الاتصال: أن تقع الجملة الثانية جوابًا لسؤال ناشئ من الجملة الأولى، كأن سائلًا يسأل: فماذا حصل؟ فأجيب: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ﴾، وقس على ذلك نظائره. والله أعلم.

(٢) (﴿لَّا﴾ زائدة). أي: ليست نافية، وإنما هي زائدة إعرابًا ومؤكدة معنًى.

والمعنى: ما منعك عن السجود. كما ذكره البيضاوي. واختار ابن جرير أنّ «لا» نافية، والمعنى: ما منعك عن السجود فأحوجك ألا تسجد، أي فيكون في الكلام تقدير، وأشار إليه البيضاوي وغيره.

(٣) قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾. قال العلماء ومنهم الأمين الشينقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قول إبليس ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ يتضمن قياسًا ونتيجة، ويمكن تحريره بصورة القياس المنطقي -الذي يسمى قياس الشمول-. وعلى صورة القياس الفقهي الذي يسمى قياس التمثيل، أما تحريره على صورة القياس المنطقي -وحاصلها مقدمتان =

(١٣)- ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾ أي من الجنة[١]، وقيل: من السمٰوات ﴿فَمَا يَكُونُ﴾

= ونتيجة- فهكذا: أنا مخلوق من نار وآدم من طين، والمخلوق من نار خير من المخلوق من طين، فأنا خير من آدم.

والدليل على المقدمة الثانية: النار جوهر مضيء مرتفع إلى العلو بطبيعته، فهو أفضل من الطين الذي هو جوهر كدر مائل إلى السفل بطبيعته.

وأما تحريره على القياس الفقهي: فإنه قاس نفسه على جوهره، معتقدًا أنه أفضل كما قاس آدم على جوهره معتقدًا أنه أدنى.

وعلى كل تقدير قياس إبليس باطل من وجوه شتى:

أولًا: إنه مخالف للنصّ، وكل قياس مخالف للنص باطل، فهذا نوع من النقض في اصطلاح علم المناظرة، ويسمّى «فاسد الاعتبار» عند الأصوليين.

ثانيًا: دعواه أن النار خير من الطين غير مسلّمة، لأن النار جوهر طبيعته الإتلاف والإحراق، والطين جوهر طبيعته السكونة والإنماء والإنبات.

فهذا يسمى منعًا للمقدمة الكبرى في اصطلاح علم المناظرة، ذُكر معه سنده.

ثالثًا: لو سلّم أن النار خير من الطين، فلا يسلّم أن خيرية الأصل تقتضي خيرية الفرع الذي نشأ منه، وكذلك لا تقتضي أدونية الأصل أدونية الفرع الذي نشأ منه، فالله يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، فهذا نوع آخر من المنع.

تنبيه: لفظ «خير» هنا اسم التفضيل وكان أصله «أخير» حذفت الهمزة تخفيفًا لكثرة الاستعمال، وكذلك يستعمل لفظ «شر»، وقد يستعملان بمعنى الحسنة والسيئة، فلا يكونان من اسم التفضيل، نحو قوله تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فإذا كانا من اسم التفضيل يذكر بعدهما المفضل عليه مجرورًا بـ«من» كما هنا ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ أو يقدر، وعلى الاستعمال الثاني لا يذكر، ولا يقدّر. وقد سبق ذكر ذلك في سورة البقرة الآية (١٠٣).

(١) قوله: (من الجنة... وقيل السمٰوات). أي: فالضمير راجع إلى ما علم من السياق، وإن لم يسبق له ذكر في الكلام. وذكر ابن جرير وغيره: «﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾، أي: من الجنة».

ينبغي ﴿لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ﴾ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ الذليلين.

﴿١٤﴾ - ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ﴾ أخرّني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾ أي الناسُ[١].

﴿١٥﴾ - ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ وفي آية أخرى: «إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾» [الحجر: ٣٨، صٓ: ٨١]، أي: وقت النفخة الأولى.

﴿١٦﴾ - ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ أي: بإغوائك لي[٢]، والباء للقسم[٣]، وجوابه ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ أي: لبني آدم ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ أي: على الطريق الموصل إليك.

﴿١٧﴾ - ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ أي من كل جهة[٤] فأمنعه عن سلوكه، قال ابن عباس[٥]: ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم

---

(١) قوله: (أي: الناس). بالرفع تفسير للضمير المرفوع أي الواو في ﴿يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾.

(٢) قوله: (أي: بإغوائك لي). أفاد أن «ما» مصدرية.

(٣) وقوله: (والباء للقسم). وذلك لأن ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾ فعل مضارع مؤكد بالنون، فهو جواب لقسمٍ، فجعل الباء للقسم، وهي متعلقة بفعل القسم المحذوف، وقيل: الباء للسببية. وقيل غير ذلك، كما فصله القرطبي.

قال البيضاوي: «وليست الباء متعلقة بـ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾؛ لوجود اللام فهي تصدّ عنه».

(٤) قوله: (أي: من كل جهة). وفسر ابن جرير قريبًا منه، حيث قال بعدما أورد تفاسير: «وأولى الأقوال عندي... ثم لآتينهم من جميع وجوه الحق والباطل...، وروى عن ابن عباس: ﴿بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ من الدنيا، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من الآخرة، ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ من قبل حسناتهم، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ من قبل سيئاتهم. وفي رواية عنه: ﴿بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أشككهم في آخرتهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أرغّبهم في دنياهم، ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أشبه لهم أمر دينهم، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ أشهّي لهم المعاصي».

(٥) قوله: (قال ابن عباس). هذا الأثر رواه ابن جرير، قال ابن عباس: «ولم يقل: «من فوقهم» لأن الرحمة تنزل من فوقهم».اهـ.

لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى، ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ مؤمنين.

﴿١٨﴾- ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا ﴾ بالهمز[١]: معيبًا أو ممقوتًا ﴿مَّدْحُورًا﴾ مبعدًا عن الرحمة ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾ من الناس، واللام للابتداء[٢]، أو موطئة للقسم[٣] وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ أي: منك بذريتك ومن الناس. وفيه تغليب الحاضر على الغائب[٤]. وفي الجملة[٥] معنى جزاء «مَن» الشرطية، أي: من تبعك أعذبه.

﴿١٩﴾- ﴿وَ﴾ قال ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ﴾ تأكيد[٦] للضمير في «ٱسْكُنْ» ليعطف

---

(١) قوله: (بالهمز). أي: فهو اسم مفعول من: ذَأَمَ يَذْأَمُ ذَأْمًا بمعنى ذَمّ، وقد يقال فيه: ذامَ يذيمُ ذيمًا. كما ذكره البيضاوي.

(٢) قوله: (واللام للابتداء...). وهي تفيد التوكيد ولها الصدارة، وعلى هذا يكون ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ جوابًا لقسم محذوف.

(٣) وقوله: (أو موطئة للقسم). أي: فالتقدير: والله لمن تعبك منهم... وهذا الوجه أولى؛ لأن الجواب ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ للقسم؛ لوجود التأكيد فيه. وهذا يقتضي تقدم القسم على الشرط.

(٤) قوله: (وفيه تغليب الحاضر). أي: في قوله تعالى: ﴿مِنكُمْ﴾؛ فالخطاب لإبليس وذريته وللناس المتبعين له، وليسوا حاضرين، فأدخلوا في لفظ الخطاب تغليبًا.

(٥) قوله: (وفي الجملة...) أي في جملة ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾؛ فهي جواب القسم كما تقدم، ودلت على جواب الشرط، كما قدره المفسر.

(٦) قوله: (تأكيد): أي ﴿أَنتَ﴾ ضمير منفصل في محل رفع تأكيد للضمير المستتر في ﴿ٱسْكُنْ﴾، أكد به ليعطف عليه الاسم الظاهر ﴿زَوْجُكَ﴾، وهذه مسألة نحوية. إذا عُطف الاسم الظاهر على الضمير المتصل المرفوع أو المستتر وجب الفصل بينهما بفاصل، وأكثر ما يكون الفاصل: الضمير المنفصل كما هنا. وقد تقدم ذكر هذه القاعدة، وتقدم تفسير ما في هذه الآية في سورة البقرة.

عليه: ﴿وَزَوۡجُكَ﴾ حواء، بالمدّ. ﴿ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ بالأكل منها، وهي الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾.

(٢٠) - ﴿فَوَسۡوَسَ[١] لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ إبليس ﴿لِيُبۡدِيَ﴾ يظهر ﴿لَهُمَا مَا وُۥرِيَ﴾ فُوعِلَ[٢] من المواراة ﴿عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ﴾ كراهة ﴿أَن[٣] تَكُونَا مَلَكَيۡنِ﴾ وقرئ بكسر اللام[٤]، ﴿أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠﴾ أي وذلك لازم عن الأكل منها، كما في آية أخرى: «هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠» [طه: ١٢٠].

(٢١) - ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ أي أقسم لهما بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١﴾ في ذلك.

(٢٢) - ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ أي حطهما[٥] من منزلهما ﴿بِغُرُورٖ﴾ منه ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾

---

(١) قوله تعالى: ﴿فَوَسۡوَسَ﴾: الوسوسة: الصوت الخفي، أو حديث النفس، ويطلق الوسواس على الشيطان. أفاده القرطبي.

(٢) قوله: (فُوعِلَ) يعني أن ﴿وُۥرِيَ﴾ فعل ماضٍ مبني للمفعول على وزن فُوعِلَ. فالواو الأولى أصلية فاء الكلمة، والواو الثانية زائدة، ومصدره: المواراة، تقول: وارى يواري مُواراةً فهو مُوارٍ، وَوُوريَ يُوارَىٰ مواراة فهوا مُوارًى. الأمر منه: وارِ، والنهي: لا تُوارِ. ومعنى وارىٰ: ستر.

(٣) (﴿إِلَّآ﴾ كراهة ﴿أَن﴾): وعلى هذا يكون هنا مضاف مقدر. قال ابن جرير: «إلا «ألا تكونا».. فعلى هذا يكون «لا» النافية مقدرة، والمآل واحد. ورُجح ما قاله المفسر؛ لأن تقدير الاسم أولى من تقدير الحرف. أفاده الصاوي.

(٤) قوله: (وقرئ بكسر اللام). قراءة شاذة. ولكن يناسبه قوله تعالى: ﴿وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠﴾ [طه: ١٢٠]، فالمِلك وصف مِن المُلْك بضم الميم، كما ذكرنا في تفسير سورة الفاتحة.

(٥) قوله: (حطّهما) أي: «دلّى» فعل ماضٍ من التدلية، تقول: دَلَّى يُدَلِّي تدلية. كا تقول: زكّى =

أي أكلا منها ﴿بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ أي ظهر لكل منهما[١] قُبُله وقُبُل الآخر ودُبره، وسُمِّي كل منهما سوأة؛ لأنَّ انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ﴾ أخذا يلزقان[٢] ﴿عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ[٣]﴾ ليستترا به ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢﴾ بيّن العداوة، والاستفهام للتقرير[٤].

٢٣- ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾ بمعصيتنا ﴿وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾.

٢٤- ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ﴾ أي: آدم وحواء[٥] بما اشتملتما عليه من ذريتكما

= يزكي تزكية، وولّى يولّي تولية. قال البيضاوي: «دلَّى وأَدْلَى بمعنًى: أرسل الشيء من أعلى إلى أسفل».

(١) قوله: (أي ظهر لكل منهما...). فسّر بذلك لأن ﴿سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ جمع لـ«سوأة»؛ فدلت الآية على ظهورهن كلّهن. روى ابن جرير عن وهب بن منبه: «كان لباس آدم وحواء نورًا على سوآتهما يسترها». اهـ. ملخصًا. ونقل القرطبي عن ابن عباس: «تقلص النور الذي كان لباسهما، فصار أظفارًا في الأيدي والأرجل». اهـ.

(٢) قوله: (أخذا يلزقان) تفسير لـ﴿وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ﴾، فـ«أخذ» هنا فعل الشروع ترفع الاسم وتنصب الخبر. والاسم: الألف، وهو ألف المثنى، والخبر: الجملة ﴿يَخۡصِفَانِ﴾. وليس «أخذ» هنا بمعنى قبض. ومعلوم أن خبر أفعال الشروع يكون فعلًا مضارعًا خاليًا عن «أنْ».

(٣) قوله: ﴿وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ روي عن ابن عباس: «أنه ورق التين». نقله ابن جرير وغيره.

(٤) قوله: (والاستفهام للتقرير). أي في قوله: ﴿أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا﴾ وذلك لأن الهمزة للإنكار دخلت على النفي، ونفي النفي إثبات، وصار حاصل المعنى التقرير. كما تقدم نظير ذلك.

(٥) قوله: (أي: آدم وحواء...). وعلى هذا يكون المراد بضمير الجمع في ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾ =

﴿بَعۡضُكُمۡ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾ من ظلم بعضهم بعضًا ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ﴾ مكان استقرار[١] ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ تمتع ﴿إِلَىٰ حِينٖ ٢٤﴾ تنقضي فيه آجالكم.

٢٥- ﴿قَالَ فِيهَا﴾ أي الأرض ﴿تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ٢٥﴾ بالبعث، بالبناء للفاعل والمفعول[٢].

٢٦- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا﴾ أي خلقناه لكم[٣] ﴿يُوَٰرِي﴾ يستر

= الجمعَ حقيقة. وروى ابن جرير عن السدّي: «المراد بالخطاب: آدم وحواء وإبليس والحية». والظاهر أن «أيْ» في كلام المفسر هنا حرف تفسير، أي لتفسير المراد بواو الضمير. ويحتمل كونها حرف نداءٍ، والمعنى: يا آدم وحواءُ بما اشتملتما عليه من الذرية. والله أعلم.

وقال تعالى في طه: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا﴾ [طه: ١٢٣]؛ فالخطاب لآدم وإبليس، وحواء تبع لآدم. وعلى كل حال ليس في هذه الآية ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾ دليل على أن أقل الجمع اثنان، كما استدل القائل بذلك.

(١) قوله: (مكان استقرار). وعلى هذا يكون ﴿مُسۡتَقَرّٞ﴾ ظرف مكان. والظرف من غير الثلاثي يكون على وزن اسم المفعول منه. وفسر ابن كثير: «قرار». وعلى هذا يكون ﴿مُسۡتَقَرّٞ﴾ مصدرًا ميميًّا. والمعنيان متلازمان.

تنبيه: قال ابن كثير: «وقد ذكر المفسرون الأماكن التي هبط فيها كل منهم، ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسرائيليات، والله أعلم بصحتها».اهـ.

(٢) قوله: (بالبناء للفاعل والمفعول). قراءتان، بالبناء للفاعل: ﴿تَخۡرُجُونَ﴾ بفتح التاء: قراءة ابن ذكوان، وحمزة، والكسائي، ويَعقوب، وخلف.

وبالبناء للمفعول بضم التاء وفتح الراء: قراءة الباقين.

(٣) قوله: (خلقناه لكم)، كما قال ابن جرير: «يعني بإنزاله عليهم ذلك: خلقه لهم ورزقه إياهم».اهـ.

﴿سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًاۖ﴾ هو ما يتجمل به من الثياب[١] ﴿وَلِبَاسَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ العمل الصالح والسمت الحسن[٢]، بالنصب[٣] عطفًا على «لِبَاسًا». والرفع: مبتدأ خبره جملة: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ فيؤمنوا. فيه التفات[٤] عن الخطاب إلى الغيبة.

٢٧- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ﴾ يُضلَّنَّكم ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: لا تتبعوه[٥]

---

(١) قوله: (وهو ما يتجمل به...). وبه فسر ابن كثير، وغيره. وروي نحو ذلك عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم قال: «الرياش: الجمال». وروي عن ابن عباس: «الريش: المال». وروى ذلك عن مجاهد، والضحاك، والسدي.

(٢) قوله: (العمل الصالح والسمت الحسن). هذا مروي عن ابن عباس، كما نقله ابن جرير وابن كثير. وعن قتادة والسدي وابن جريج: الإيمان، وعن عروة: خشية الله. وكلها متقاربة أو متلازمة. وعلى هذا يكون «لباس» مجازًا. وقال عكرمة: هو ما يلبسه المتقون يوم القيامة. فعلى هذا يكون حقيقة. والله أعلم.

(٣) قوله: (بالنصب...) قراءتان: بالنصب: ﴿وَلِبَاسَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: قراءة نافع وابن عامر والكسائي وأبي جعفر. وبالرفع: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قراءة الباقين. وتوجيههما كما قال المفسر.

(٤) قوله: (فيه التفات) أي في قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ التفات من الخطاب، وهو: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾.

فائدة: روى ابن جرير عن مجاهد: «أن هذه الآية نزلت في قريش»، وفي رواية: «في ناس من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة». وقال ابن كثير: «كانت قريش يطوفون في ثيابهم، وغيرُهم يطوفون عراة إلا إذا أعطاهم قريش ثوبًا فيطوفون فيه». اهـ. ملخصًا.

(٥) قوله: (أي لا تتبعوه) أفاد به أن هذا النهي وإن كان في الظاهر للشيطان عن فتنته ولكن المراد نهي بني آدم عن اتباعه حتى لا يقعوا في فتنته. كما ذكر ابن كثير: «يحذر الله بني آدم من إبليس وقبيلته...» اهـ.

فتفتتنوا ﴿كَمَآ أَخۡرَجَ[(١)] أَبَوَيۡكُم﴾ بفتنته ﴿مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ﴾ حال[(٢)] ﴿عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ﴾ أي الشيطان ﴿يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ جنوده[(٣)] ﴿مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾ للطافة أجسادهم[(٤)]، أو عدم ألوانهم ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ﴾ أعوانًا وقرناء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾.

٢٨- ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ كالشرك، وطوافهم بالبيت[(٥)] عراة، قائلين: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها، فنهوا عنها[(٦)] ﴿قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا﴾ فاقتدينا

---

(١) قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَ﴾ الكاف بمعنى مثل، و«ما» مصدرية، والمصدر المؤول مضاف إليه لـ«مثل»، و«مثل» مفعول مطلق نعت المصدر: والتقدير والله أعلم: فتنةً مثل فتنة إخراج أبويكم، والله أعلم.

(٢) قوله: (حال) أي جملة ﴿يَنزِعُ﴾ في محل نصب حال من فاعل ﴿أَخۡرَجَ﴾ وهو الضمير المستتر الراجع إلى ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾.

(٣) قوله: (جنوده). قال ابن جرير: «صنفه وجنسه»، والقبيل مفرد، جمعُهُ: قُبُل. وقال ابن زيد: «نسله».اهـ. والمعنى متقارب.

(٤) قوله: (للطافة أجسادهم). لأنهم مخلوقون من نار. وعدم رؤيتهم إذا كانوا بصورتهم الأصلية وأما إذا تشكلوا بشكل إنسان أو حيوان فإنهم يرون؛ كما في قصة أبي هريرة مع أسيره. [البخاري (٢١٨٧)].

(٥) قوله: (كالشرك، وطوافهم بالبيت). روي عن الحسن: «الفاحشة هنا: الشرك والكفر»، وعن ابن عباس، ومجاهد، والسدي، وغيرهم: «أنها الطواف بالبيت عراة»، وفيها نزلت الآية، فالمفسر جمع بين القولين.

(٦) قوله: (فنهوا عنها). معطوف على ﴿فَعَلُواْ﴾. قدره ليناسب ما بعده، أي: ﴿قَالُواْ وَجَدۡنَا...﴾.

بهم ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾ أيضًا، ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أنه قاله، استفهام إنكار[١].

﴿٢٩﴾- ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ العدل[٢] ﴿وَأَقِيمُواْ﴾ معطوف على معنى «بِٱلۡقِسۡطِۖ»[٣]، أي قال: اقسطوا وأقيموا أو قبله[٤] «فاقبلوا» مقدرًا ﴿وُجُوهَكُمۡ﴾ لله ﴿عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ أي أخلصوا له سجودكم ﴿وَٱدۡعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾ من الشرك ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ﴾ خلقكم، ولم تكونوا شيئًا ﴿تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ أي: يعيدكم أحياء يوم القيامة[٥].

---

(١) قوله: (استفهام إنكار). أي: الاستفهام في ﴿أَتَقُولُونَ﴾.

(٢) قوله: (العدل). هكذا فسر به مجاهد، والسدي وغيرهما. وعن ابن عباس: «لا إله إلا الله».

(٣) قوله: (معطوف على معنى ﴿بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾). وذلك لأن ﴿أَقِيمُواْ﴾ جملة إنشائية، و﴿أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ جملة خبرية، ولا يتعاطف بين الخبرية والإنشائية، فوجه العطف هنا أن قوله: ﴿أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ إنشائية معنًى، لأن معناه: أقسطوا. فصار العطف بين جملتين إنشائيتين. وقال بعض البلاغيين: جملة ﴿أَقِيمُواْ﴾ خبرية معنًى، والمعنى: أمر ربي (بالقسط وإقامة وجوهكم) فيكون من عطف الخبر على الخبر.

(٤) وقوله: (أو قبله...). هذا توجيه آخر للعطف، وذلك بأن يقدر فعل أمر: «فاقبلوا» قبل ﴿وَأَقِيمُواْ﴾؛ فيكون من عطف الإنشاء على الإنشاء.

(٥) قوله: (أي: يعيدكم أحياء...). تفسير لقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾. وهكذا فسره مجاهد، وبنحوه فسر الحسن البصري، وقتادة، وعن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: «كما بدأكم أولًا كذلك يعيدكم آخرًا»، واختاره ابن جرير لما في «الصحيحين»: عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قال رسول الله ﷺ: «**إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلًا**» ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

﴿٣٠﴾- ﴿فَرِيقًا﴾[(١)] منكم ﴿هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿٣١﴾- ﴿۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾ ما يسْتر عورَتَكُمْ[(٢)] ﴿عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ عند الصلاة والطواف ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ ما شئتم[(٣)] ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾.

---

(١) قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا﴾: «فريقًا» الأول منصوب بـ﴿هَدَىٰ﴾، والثاني منصوب بفعلٍ مضمر يفسره ﴿حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ أي: أضلّ: فهو من باب الاشتغال المعروف في علم النحو. نقل ابن كثير عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: «إن الله بدأ خلق ابن آدم مؤمنًا وكافرًا»، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ﴾ [التغابن: ٢]. قال ابن كثير: «والجمع بين هذه الآية وبين قوله ﷺ فيما رواه الشيخان عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كل مولود يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه**»: أن الله تعالى خلقهم ليكون منهم مؤمن وكافر في ثاني الحال، وإن كان قد فطر كلهم على معرفة وتوحيد... ولذا علل تعالى بقوله: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ﴾.اهـ. باختصار.

(٢) قوله: (ما يستر عورَتَكُمْ...). كذا فسره ابن عباس وغيره. روى ابن جرير عنه، قال: «كانوا يطوفون بالبيت عراة، الرجال والنساء، الرجال بالنهار، والنساء بالليل، وكانت المرأة تقول: اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحِلُّه؛ فقال الله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾».اهـ.

(٣) قوله: (ما شئتم) أشار به إلى أن حذف المفعول في ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ للتعميم. وكما روى ابن جرير عن ابن عباس قال: «أحل الله الأكل والشرب ما لم يكن سرفًا ومخيلة...»، وعنه: «كُلْ ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان: سرف ومخيلة».
نقل القرطبي عن علي بن الحسين أنه قال لطبيب نصراني: «قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابنا ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾».هـ.

(٣٢)- ﴿قُلْ﴾ إنكارًا عليهم[١] ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ من اللباس ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ المستلذات ﴿مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالاستحقاق[٢] وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿خَالِصَةٌ﴾ خاصة بهم، بالرفع[٣]، والنصب حال ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ نبينها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)﴾ يتدبرون، فإنهم المنتفعون بها.

(٣٣)- ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ الكبائر[٤] كالزنى ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي جهرها وسرّها ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾ المعصية[٥] ﴿وَٱلْبَغْيَ﴾ على الناس ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ هو الظلم ﴿وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾ بإشراكه[٦] ﴿سُلْطَٰنًا﴾ حجة ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)﴾ من تحريم ما لم يُحَرَّم وغيره.

---

(١) قوله: (إنكارًا عليهم) أفاد أن هذه الآية ردّ على المشركين الذين حرّموا بآرائهم، كما ذكره ابن كثير. ومما حرموا: البحيرة والوصيلة والسائبة والحام، وبها فسر ابن عباس الطيبات هنا. نقله القرطبي.

(٢) قوله: (بالاستحقاق) استفيد هذا المعنى من اللام في ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، فهي مخلوقة للمؤمنين في الدنيا، وإن شاركهم الكفار، وخالصة للمؤمنين في الآخرة. كما ذكره ابن كثير وغيره.

(٣) قوله: (بالرفع...) قراءتان، بالرفع ﴿خَالِصَةٌ﴾ قراءة نافع، وبالنصب ﴿خَالِصَةً﴾ قراءة الباقين، والرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف: أي: وهي خالصةٌ، والنصب على أنه حال.

(٤) قوله: (الكبائر) كما تقدم في سورة الأنعام.

(٥) قوله: (المعصية) كذا روى عن السدي وغيره، وذكره ابن جرير. وقال ابن كثير: «وحاصل ما فُسر به الإثم هنا: أنه الخطايا المتعلقة بالفاعل نفسه، والبغي هو المتعدي إلى الناس، فحرم الله هذا وهذا».اهـ.

(٦) قوله: (بإشراكه). أشار به إلى تقدير مضاف.

٣٤- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ[1] ﴿٣٤﴾﴾ عليه.

٣٥- ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا﴾ فيه إدغام[2] نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة[3] ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ[4]﴾ الشرك ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾ في الآخرة.

٣٦- ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ تكبروا[5] ﴿عَنْهَآ﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

٣٧- ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد[6] ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾. معطوفة على جملة الشرط ﴿فَإِذَا جَآءَ...﴾ وليست معطوفة على جواب الشرط ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ ويصح كون ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ مستأنفة.

(٢) قوله: (فيه إدغام...) فأصله: إنْ وما، والفعل المضارع يكثر توكيده بالنون بعد «إما» الشرطية. كما هٰهنا، فهو مبني على الفتح لدخول نون التوكيد المباشر في محل جزم، فعل الشرط.

(٣) وقوله: «ما» المزيدة: أي إعرابًا، ومؤكدة معنًى كسائر الحروف الزائدة.

(٤) وقوله: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾: ﴿مَنِ﴾: شرطية، جوابها: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾، وجملة الشرط جواب الشرط الأول: ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾. قال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾ دليل على أن المؤمنين يوم القيامة لا يخافون ولا يحزنون، ولا يلحقهم رعب ولا فزع. وقيل: قد يلحقهم أهوال يوم القيامة ولكن مآلهم الأمن».اهـ. الخوف: على ما يستقبل. والحزن: على ما مضى.

(٥) قوله: (تكبروا). أشار به إلى أن الاستفعال مجرد عن معنى الطلب، كما تقدم ذلك.

(٦) قوله: (أي: لا أحد). أي: فالاستفهام للإنكار، أي: النفي.

والولد إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ﴾ يصيبهم ﴿نَصِيبُهُم﴾ حظهم ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مما كتب لهم في اللوح المحفوظ من الرزق والأجل وغير ذلك[1] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ الملائكة ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ﴾ لهم تبكيتًا ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلم نرهم ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ عند الموت[2] ﴿أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿٣٨﴾ - ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم يوم القيامة[3] ﴿ٱدْخُلُواْ فِىٓ﴾ جملة[4] ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾ متعلق بـ«ٱدْخُلُواْ»، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ النار ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ التي قبلها لضلالها بها، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ﴾ تلاحقوا[5] ﴿فِيهَا

---

(١) قوله: (من الرزق والأجل وغير ذلك). هذا التفسير هو الذي اختاره ابن جرير، ورواه عن ابن زيد وغيره، وقريب منه ما رواه عن ابن عباس: «من الخير والشر».

(٢) قوله: (عند الموت). أي: فهذا سؤال الملائكة إياهم، وإجابتهم عند الموت، كما دلت عليه الآية الكريمة، وفسّر به ابن جرير وغيره.

(٣) قوله: (يوم القيامة) كما فسر به ابن جرير وغيره.

(٤) قوله: (في جملة) وبهذا التقدير يكون «في» بمعنى «مع». وعلى هذا لا إشكال في تعلق حرفي جرّ بفعلٍ واحد، وهما ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ و﴿فِى ٱلنَّارِ﴾. فكلاهما يتعلق بـ﴿ٱدْخُلُواْ﴾، لكن «في» الأول بمعنى «مع»، والثاني بمعنى الظرفية، ولو كان الحرفان بمعنى واحد لامتنع تعلقهما بشيء واحد، إلا إذا كان الثاني بدلًا من الأول أو معطوفًا، وقد أشرنا إلى تحرير هذه القاعدة فيما سبق.

(٥) قوله: (تلاحقوا) وبمثله فسر ابن جرير، قال: اجتمعت فيها.

فائدة: ادَّارَكَ: أصله تدارك، قلبت التاء دالًا وأدغمت فيها ثم جيء بهمزة الوصل، وهذا الإعلال جائز، وتصريفه: ادّراك يدّارَكُ اِدّارُكًا فهو مدّارِكٌ. الأمر منه: ادّارَكْ، والنهي: لا تدّارَكْ: فالراء مفتوحة في الماضي والمضارع والأمر والنهي.

﴿جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾ وهم الأتباع ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ أي لأجلائهم[١]، وهم المتبوعون، ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مضعفًا ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ﴾ تعالى ﴿لِكُلٍّ﴾ منكم ومنهم ﴿ضِعْفٌ﴾ عذاب مضعف ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ بالتاء والياء[٢]، ما لكل فريق.

﴿٣٩﴾- ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾[٣] لأنكم لم تكفروا بسببنا، فنحن وأنتم سواء، قال تعالى لهم: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿٤٠﴾- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ تكبروا[٤] ﴿عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ إذا عرج بأرواحهم إليها بعد الموت[٥]، فيهبط بها إلى سِجِّين، بخلاف المؤمن فيُفتَّح له، ويصعد بروحه إلى السماء السابعة، كما ورد في حديث[٦]، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ﴾ يدخل ﴿ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ ثقب

---

(١) قوله: (لأجلائهم) أي زعمائهم، جمع «جليل» على وزن «أفعِلاء»، جرى فيه نقل الحركة والإدغام، كما هو واضح. وفي بعض النسخ: «لأجْلِهِمْ».

(٢) قوله: (بالتاء والياء). قراءتان: بالياء: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: قراءة شعبة. وبالتاء: ﴿لَّا تَعْلَمُونَ﴾: قراءة الباقين.

(٣) قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾. أي: ليس لكم علينا من فضل تستحقون به تخفيف العذاب عنكم، بل نحن وأنتم سواء.

(٤) قوله: (تكبروا). أفاد أن الاستفعال خال عن معنى الطلب، كما تقدم.

(٥) قوله: (إذا عرج بأرواحهم...). هذا مرويّ عن ابن عباس، والسدي. وفي رواية عنه: «لا يصعد إلى الله من عملهم شيء». وعن ابن جريج: «لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم ولا لأعمالهم». رواها ابن جرير، واختار الأخير؛ لعموم الآية.

(٦) قوله: (كما ورد في حديث). وهذا حديث طويل رواه ابن ماجه، والنسائي، وأبو داود في =

الإبرة(١)، وهو غير ممكن، فكذا دخولهم ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ بالكفر.

﴿٤١﴾ - ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أغطية من النار، جمع غاشية، وتنوينه عوض(٢) عن الياء المحذوفة ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾.

= كيفية قبض روح المؤمن والكافر. وروى ابن جرير عن البراء طرفًا منه، قال: ذكر رسول الله ﷺ قبض روح الفاجر وأنه يصعد بها إلى السماء، قال: «**فيصعدون بها، فلا يمرون على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث، فيقولون: فلان، بأقبح أسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء، فيستفتحون له، فلا يُفتح له**»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾.

وفيما روى عن أبي هريرة مرفوعًا في قبض روح المؤمن...، وفيه: «**حتى يعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان، فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان...**».اهـ.

(١) قوله: (ثقب الإبرة). وهكذا فسره عامة المفسرين، كما فسروا الجمل بالحيوان المعروف الذي هو ولد الناقة أو زوج الناقة. وروى ابن جرير عن ابن عباس أنه قرأ: ﴿جُمَّلُ﴾ بضم الجيم وتشديد الميم، وهو الحبل الضخم الذي يربط به السفينة. ولم تثبت في القراءات المتواترة.

(٢) قوله: (وتنوينه عوض). أي: تنوين ﴿غَوَاشٍ﴾ تنوين عوض. وتنوين العوض أحد أنواع التنوين الأربعة التي هي من علامات الاسم، وهي: تنوين التمكين، وتنوين التنكير، وتنوين المقابلة وتنوين العوض، وتنوين العوض أي العوض عن محذوف، والمحذوف قد يكون حرفًا كما هنا. وكذلك كل اسم منقوص على وزن «مفاعل»(*).
[(*) والمنقوص: كل اسم معرب آخره ياء لازمة وقبلها كسر، كالقاضي والغازي، كما هو معلوم في النحو].

نحو: ليالٍ، وجوارٍ، ومجارٍ. حذفت الياء وعوض عنها التنوين، بخلاف نحو: قاضٍ =

﴿٤٢﴾- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ﴾ طاقتَها من العمل اعتراض[١] بينه وبين خبره، وهو ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿٤٣﴾- ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾ حقد كان بينهم في الدنيا[٢] ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ﴾ تحت قصورهم[٣] ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ﴾ عند الاستقرار في منازلهم ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ العمل الذي هذا جزاؤه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ حُذِف جواب «لَوۡلَآ»[٤] لدلالة ما قبله عليه ﴿لَقَدۡ

= وغازٍ، فالتنوين فيه تنوين التمكين، لا تنوين العوض، كما وهمه بعض الناس. وقد فصلنا أنواع التنوين مع التمثيل في كتاب «الثلاثيات».

(١) قوله: (اعتراض). أي: جملة معترضة، وهي الجملة التي ليس لها محل من الإعراب يؤتي بها لفائدة بين كلام، أو أكثر من كلام بينها ارتباط، كما فصله البلاغيون.

(٢) قوله: (حقد كان بينهم في الدنيا). وبه فسر ابن جرير وغيره من المفسرين، وفي «صحيح البخاري» عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذّبوا ونُقوا أُذِن لهم في دخول الجنة...**» الحديث. [«فتح الباري» (٥/ ١١٥)].

وروى ابن جرير عن السدي قال: «إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان، فشربوا من إحداهما، فينزع ما في صدروهم من غلّ، فهو الشراب الطهور، واغتسلوا من الأخرى، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلم يشعثوا ولا يتسخوا بعدها أبدًا».اهـ.

(٣) قوله: (تحت قصورهم). أفاد أن هنا تقدير مضاف.

(٤) قوله: (حذف جواب ﴿لَوۡلَآ﴾). ﴿لَوۡلَآ﴾ هنا امتناعية، وهي تدخل على الجملة الاسمية، =

جَآءَتۡ (١) رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن﴾ مخففة أي أنه أو مفسّرة في المواضع الخمسة(٢) ﴿تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (٣) ﴿٤٣﴾﴾.

= وخبرها محذوف، و﴿أَنۡ﴾ مصدرية، والمصدر المؤول هو المبتدأ، والتقدير: لولا هداية الله إيانا موجودة. وجواب ﴿لَوۡلَآ﴾ هنا محذوف لدلالة ما قبلها عليه، وهو ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ﴾؛ فالتقدير: «لولا أن هدانا الله ما كنا لنهتدي»، و«لولا» تأتي تحضيضية، فتدخل على الجملة الفعلية، كما نبهنا على ذلك سابقًا.

(١) قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَتۡ ...﴾ من جملة مقولهم. وجملة ﴿وَنُودُوٓاْ﴾ من كلام الله، وليست محكية عن كلامهم، وذلك واضح.

(٢) قوله: (مخففة... أو مفسرة في المواضع الخمسة). أي هنا، وفي قوله: ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا﴾، و﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ﴾، و﴿أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ﴾، و﴿أَنۡ أَفِيضُواْ﴾، فـ«أن» يحتمل كونها مفسِّرة: وهي المسبوقة بفعل فيها معنى القول دون حروفه. كما في هذه المواضع: ﴿وَنُودُوٓاْ﴾ ﴿وَنَادَىٰٓ﴾ ﴿فَأَذَّنَ﴾ ولا عمل للمفسرة. كما يصح جعلها مخففة من الثقيلة، فتعمل أي تنصب الاسم وترفع الخبر، واسمها ضمير الشأن المحذوف كما أشار المفسر «أنه»، وخبرها الجملة التي بعدها. وتأتي «أن» المخففة بعد ما دل على اليقين، فههنا -نادى- يتضمن معنى اليقين، فجاز كون ﴿أَن﴾ مخففة. وقد تأتي بعد ما دل على الظن، نحو: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونُ فِتۡنَةٌ﴾ [المائدة: ٧١]، على قراءة رفع ﴿تَكُونُ﴾.

وأنواع «أنْ» أربعة: مصدرية، ومخففة، وتفسيرية، وزائدة. فصلناها في كتاب «الثنائيات».

(٣) قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾. الباء سببية، فعملهم سبب لتفضل الله تعالى لهم بدخول الجنة، وأما قوله ﷺ: «**واعلموا أن أحدكم لن يدخله عمله الجنة**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة**» [«فتح الباري» (١١/ ٣٠٠)، ومسلم (٤/ ٢١٧٠)]. اهـ. فمعناه أنه لا يستحق الجنة أحد مقابل عمله، بل الجنة محض فضل من الله، ولكن يكون عمله سببًا لهذا الفضل. كما أفاده ابن كثير وغيره.

(٤٤)- ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ تقريرًا أو تبكيتًا(١) ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب ﴿حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ﴾ كم ﴿رَبُّكُمۡ﴾(٢) من العذاب ﴿حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ﴾ نادى منادٍ(٣) بين الفريقين أسمعهم ﴿بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٤)﴾.

(٤٥)- ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾(٤) الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿وَيَبۡغُونَهَا﴾ أي يطلبون السبيل ﴿عِوَجٗا﴾ معوجة(٥) ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ (٤٥)﴾.

(٤٦)- ﴿وَبَيۡنَهُمَا﴾ أي أصحاب الجنة والنار ﴿حِجَابٞۚ﴾ حاجز(٦)، قيل: هو سور الأعراف(٧) ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ وهو سور الجنة ﴿رِجَالٞ﴾ استوت حسناتهم

---

(١) قوله: (تقريرًا أو تبكيتًا). يعني أن سؤال أهل الجنة لأهل النار ذلك إما سؤال تقرير فيكون المعنى: وجد أهل الجنة ما وُعدوا من ثواب وأهل النار ما وعدوا من عقاب. كما روى هذا عن السدي، وإما سؤال تقريع وتبكيت كما فسر به ابن كثير حيث قال: «وذلك على وجه التقريع والتوبيخ».

(٢) قوله: (﴿مَّا وَعَدَ﴾ كم ﴿رَبُّكُمۡ﴾) قدر الضمير «كم» ليكون مفعولًا أولًا لـ﴿وَعَدَ﴾. والمفعول الثاني محذوف، تقديره: إياه. وأما ﴿حَقّٗا﴾ فهو مفعول ثانٍ لـ﴿وَجَدتُّم﴾.

(٣) قوله: (ناد منادٍ). كما فسر به ابن جرير وغيره.

(٤) قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ نعت لـ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

(٥) قوله: (معوجة) أفاد به إلى أن «عوج» مصدر بمعنى اسم الفاعل.

(٦) قوله: (حاجز) قال ابن كثير: «هو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة». وقال ابن جرير: «هو السور الذي قال الله تعالى فيه: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ (١٣)﴾ [الحديد: ١٣].

(٧) قوله: (قيل هو سور الأعراف).. نقل ذلك ابن جرير عن السدي، وغيره، فالحجاب والأعراف شيء واحد، والأعراف جمعٌ، مفرده: عُرْف، سمي به لارتفاعه، وكل مرتفع =

وسيئاتهم[١] كما في الحديث[٢] ﴿يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيمَىٰهُمۡۚ﴾ بعلامتهم، وهي: بياض الوجوه للمؤمنين[٣] وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم[٤]، إذ موضعهم عالٍ. ﴿وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ قال تعالى: ﴿لَمۡ يَدۡخُلُوهَا﴾ أي أصحاب الأعراف الجنة ﴿وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ٤٦﴾ في دخولها. قال الحسن[٥]:

= يُسمى عُرفًا، ومنه عُرف الديك، أفاده ابن جرير. ونقل أن الأعراف: الموضع المرتفع، عن ابن عباس، ومجاهد، والسدي وغيرهم.

(١) قوله: (استوت حسناتهم وسيئاتهم) هذا تفسير للرجال الذين هم أصحاب الأعراف، أي الذين أُوقفوا على الأعراف ثم يدخلون الجنة، نص على ذلك حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف. وقد اختلف في المراد بهم على أكثر من عشرة أقوال، ذكرها القرطبي، والصحيح الذي عليه جماهير السلف والخلف هو ما ذكر المفسّر.

(٢) وقوله: (كما في الحديث). أشار به إلى ما رواه ابن جرير عن حذيفة وغيره: قال حذيفة: «أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فيقول: «**ادخلوا الجنة بفضلي ومغفرتي**»، ونحوه عن ابن عباس قال: «أصحاب الأعراف: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم تزد حسناتهم على سيئاتهم، ولا سيئاتهم على حسناتهم».اهـ.

(٣) قوله: (وهي بياض الوجوه). أي: العلامة التي يعرفون بها، روى ذلك عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما.

(٤) قوله: (لرؤيتهم لهم). تعليل لمعرفتهم كلا من الفريقين بعلامتهم، أي يعرف أهل الأعراف كلًّا من الفريقين بعلامتهم؛ لأن أهل الأعراف في موضِع مرتفع -وهو الأعراف- فيمكنهم رؤية الفريقين.

(٥) قوله: (قال الحسن). نقل ابن كثير هذا الأثر عنه، قال: وقال معمر عن الحسن أنه تلا هذه الآية: ﴿لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ٤٦﴾ قال: «والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامةٍ يريدها بهم».

«لم يُطمِعهم إلا لكرامة يريدها بهم». وروى الحاكم عن حذيفة قال: «فبينماهم كذلك إذ طلع عليهم ربك، فقال: قوموا، ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم».

(٤٧)- ﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ ﴾ أي أصحاب الأعراف[١] ﴿تِلۡقَآءَ﴾ جهة ﴿أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا﴾ في النار ﴿مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٧)﴾.

(٤٨)- ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا ﴾ من أصحاب النار ﴿يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ﴾ من النار ﴿جَمۡعُكُمۡ﴾ المالَ أو كثرتكم[٢] ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ (٤٨)﴾ أي: واستكباركم[٣] عن الإيمان، ويقولون لهم[٤] مشيرين إلى ضعفاء المسلمين[٥]:

---

(١) قوله: (أي: أصحاب الأعراف). كما روى ابن جرير عن ابن عباس: قال: «إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٧)﴾».

فائدة: المصدر على وزن تِفعال من النوادر، حتى قيل إنه لم يسمع إلا: تبيان، وتلقاء، وتمثال، وقيل: تِشراب، وتِنضال أيضًا، أما بفتح التاء فكثير: نحو: تكرار، تعداد، توكاف... وكلاهما من المصادر السماعيّة.

(٢) قوله: (المالَ، أو كثرتكم) تفسيران لـ﴿جَمۡعُكُمۡ﴾. ذكرهما ابن جرير. قال: «ما كنتم تجمعون من الأموال والعُدَد في الدنيا...». والمالَ: بالنصب مفعول ﴿جَمۡعُكُمۡ﴾.

(٣) قوله: (أي: واستكباركم) أفاد أن «ما» هنا مصدرية.

(٤) قوله: (ويقولون لهم...) أي: يقول أصحاب الأعراف لأهل النار، أفاد به أن ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ من كلام أهل الأعراف.

(٥) وقوله: (مشيرين إلى ضعفاء المسلمين) أفاد به أن «هؤلاء» إشارة إلى أهل الجنة من ضعفاء المسلمين. كما أن الخطاب في ﴿أَقۡسَمۡتُمۡ ﴾ لأهل النار، أي الذين كانوا مستكبرين في الأرض، والخطاب في ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ لضعفاء المسلمين الذين دخلوا الجنة، وهو مقول لقولٍ محذوف: قدره المفسر بقوله: قد قيل لهم، وعلى هذا يكون حاصل المعنى: يقول أهل الأعراف لأهل النار: أهؤلاء المؤمنون الضعفاء هم الذين أقسمتم يا أهل =

﴿٤٩﴾- ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾ قد قيل لهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩﴾، وقرئ: «أُدْخِلُوا» بالبناء للمفعول، و«دَخَلُوا»[1]، فجملة النفي حال[2]، أي: مقولًا لهم ذلك.

= النار في الدنيا لا يرحمهم الله في الآخرة، قد قيل لهم: ادخلوا الجنة، أي: ودخلوها.

فقوله: «هؤلاء» مبتدأ، و«الذين» خبره، فيعلم من كلام المفسر أمور:

١- ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ من مقول أهل الأعراف.

٢- الإشارة في «هؤلاء» إلى المؤمنين الذين دخلوا الجنة.

٣- ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ مقول لقول محذوف. يحكيه أهل الأعراف.

وقريبًا مما قاله المفسر فسر في «المختصر في التفسير» الذي ألفه مجموعة من علماء التفسير.

ونقل ابن كثير عن ابن عباس: «الإشارة في «هؤلاء» لأهل الأعراف، وهو مقول لأهل الأعراف أنفسهم»، وفي رواية عنه: «أن قوله: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ﴾ مما يقول الله لأهل النار»، وليس من مقول أصحاب الأعراف، وينتهي مقولهم بـ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٨﴾. وذكر البيضاوي هذه الأوجه. ورجح ما قاله المفسّر، إلا أن قوله ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ جعله من مقول أصحاب الأعراف لأهل الجنة.

(١) قوله: وقرئ: (﴿أُدۡخِلُوٓاْ﴾... و﴿دَخَلُواْ﴾). أما ﴿أُدۡخِلُوٓاْ﴾ فقرأها طلحة بن مصرّف، و﴿دَخَلُواْ﴾ قرأها عكرمة، كما ذكره القرطبي، وليست من القراءات السبعة، كما أشار المفسر إلى ذلك بقوله: (وقرئ).

(٢) قوله: (فجملة النفي...). وهي: ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ في محل نصب حال من الواو في ﴿أُدۡخِلُوٓاْ﴾ أو ﴿دَخَلُواْ﴾ على هاتين القراءتين بتقدير قول، وتكون الجملة من مقول أهل الأعراف، والمعنى: قال أصحاب الأعراف: أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة قد دخلوا أو أدخلوا الجنة، مقولًا لهم: ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ ...﴾. وعلى القراءة المشهورة تكون الجملة ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ ...﴾ إما حالًا من الواو في ﴿أُدۡخُلُوٓاْ﴾ أو مستأنفة.

٥٠- ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ من الطعام ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ منعهما[١] ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠﴾.

٥١- ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ﴾ نتركهم في النار ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾ بتركهم[٢] العمل له ﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١﴾ أي وكما جحدوا[٣].

٥٢- ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم﴾[٤] أي: أهل مكة ﴿بِكِتَٰبٖ﴾ قرآن ﴿فَصَّلۡنَٰهُ﴾ بيناه بالأخبار والوعد والوعيد ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ حال[٥]، أي: عالمين بما فصل فيه ﴿هُدٗى﴾ حال من الهاء ﴿وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥٢﴾ به.

---

(١) قوله: (منعهما) أفاد أن «حرم» هنا بمعناه اللغوي، وليس بمعناه الفقهي، أي الذي يعاقب فاعله؛ لأن الآخرة ليست دار تكليف.

(٢) قوله: (بتركهم) تأويل لـ﴿نَنسَىٰهُمۡ﴾ وهو تأويل صحيح؛ لأن الله تعالى قد نفى النسيان عن نفسه في قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ٦٤﴾ [مريم: ٦٤]، فوجب تأويل النسيان المنسوب إليه تعالى بما قاله المفسر، ولا إشكال فيه.

وتفسير ﴿نَنسَىٰهُمۡ﴾ بـ(نتركهم) مروي عن ابن عباس، ومجاهد، والسدّي وغيره. ذكره ابن كثير. ويمكن أن يقال: إن الترك من المعاني اللغوية للنسيان.

(٣) قوله: (أي: وكما جحدوا). أفاد به أن ﴿وَمَا كَانُواْ﴾ معطوف على ﴿كَمَا نَسُواْ﴾ والكاف تعليلية، أو تنظيرية. و﴿مَا﴾ مصدرية.

(٤) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم﴾. يخبر الله تعالى في هذه الآية عن إعذاره للمشركين بإرسال الرسل إليهم بالكتاب الذي جاء به الرسول، وأنه كتاب مفصّل.اهـ. ذكره ابن كثير.

(٥) قوله: (حال). أي: الجار والمجرور ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ في محل نصب حال من الضمير المرفوع في «فصلنا».

(٥٣)- ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظرون[١] ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ عاقبة ما فيه[٢] ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾ هو يوم القيامة[٣] ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ تركوا[٤] الإيمان به ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا[٥] لَنَآ أَوْ﴾ هل[٦] ﴿نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نوحد الله ونترك الشرك؛ فيقال لهم: لا، قال تعالى[٧]: ﴿قَدْ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ﴾ إذ صاروا إلى الهلاك ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٥٣)﴾ من دعوى الشريك.

---

(١) قوله: (ما ينتظرون). أفاد به أن الاستفهام بمعنى النفي، و«نظر» بمعنى: انتظر، يتعدّى بنفسه.

(٢) قوله: (عاقبة ما فيه). أي: عاقبة ما وعدوا به في الكتاب من العذاب والجنة والنار، كما يعلم من ابن جرير وابن كثير وغيرهما، مما نقل عن السلف.

(٣) قوله: (هو يوم القيامة). كما رواه ابن جرير عن ابن عباس. فالتأويل هنا بمعنى الحقيقة والمصداق، كما في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وقد ذكرنا في تفسير آل عمران: أن التأويل يطلق على ثلاثة معانٍ:

١- التفسير.

٢- صرف الكلام من المعنى القريب إلى المعنى البعيد.

٣- حقيقة الشيء ومصداقه. وهذا هو المراد هنا.

(٤) قوله: (تركوا). أفاد به أن النسيان هنا بالمعنى المجازي، أي: الترك، كما قال ابن كثير: «أي تركوا العمل به وتناسوه في الدار الدنيا».اهـ.

(٥) قوله تعالى: ﴿فَيَشْفَعُوا﴾ الفاء للسببية، ويشفعوا منصوب بـ«أن» مضمرة وجوبًا، لوقوعه بعد فاء السببية المسبوقة بالتمنّي، فالاستفهام هنا: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ للتمني.

(٦) قوله: (هل) قدره ليفيد أن الجملة ﴿نُرَدُّ﴾ معطوفة على الجملة الاسمية السابقة: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾، ولذا نصب المضارع بعده بـ«أن» مضمرة: ﴿فَنَعْمَلَ﴾.

(٧) قوله: (قال تعالى) قدره ليفيد أن ﴿قَدْ خَسِرُوٓا﴾ من مقول الله تعالى.

﴿٥٤﴾- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا[١] أي: في قدرها[٢]؛ لأنه لم يكن ثَمّ شمس، ولو شاء خلقهن في لمحة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ هو في اللغة: سرير الملك[٣]، استواءً يليق به[٤] ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ مخففًا

---

(١) قوله: (من أيام الدنيا) هذا رأي جماهير العلماء، قال ابن كثير: «هو المتبادر»، وقال مجاهد والإمام أحمد: «كلّ يوم من هذه الأيام الستة كألف سنة، أي: بمقدار أيام الآخرة».اهـ.
وهذه الأيام هي: الأحد والاثنان والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة، وفيه اجتمع الخلق كله، وفيه خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يقع خلق في يوم السبت.اهـ. ملخصًا.
وقال ابن كثير أيضًا: «وأما ما رواه أحمد وغيره عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فقال: «**خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة، آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل**»، فقد رواه مسلم والنسائي، وفي هذا الحديث استيعاب الأيام السبعة بالخلق، والله تعالى قد قال: ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، ولهذا تكلم الحفاظ في هذا الحديث، وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار، وليس مرفوعًا، والله أعلم. اهـ. ملخصًا من ابن كثير.
(٢) قوله: (أي: في قدرها) أي في قدر ستة أيام؛ لأن حقيقة الأيام تتكون من طلوع الشمس وغروبها، ولم تكن الشمس مخلوقة، فالمراد قدر تلك الأيام.
(٣) قوله: (هو في اللغة: سرير الملك). كما ذكره الجوهري، وللعرش معانٍ ذكرها القرطبي منها: سقف البيت، والمُلك، واسم من أسماء مكة، والمراد هنا: الجسم الذي أحاط بسائر الأجسام، كما ورد وصفه في الأحاديث.
(٤) قوله: (استواء يليق به). لقد أجاد المفسّر حيث فسر الاستواء بمعناه الحقيقي، وأثبته لله تعالى كما يليق به، بدون تأويل، ولا تشبيه. =

ومشدّدًا[(١)]، أي: يغطي كلًّا منهما بالآخر ﴿يَطْلُبُهُۥ﴾ يطلب كل منهما الآخر طلبًا[(٢)] ﴿حَثِيثًا﴾ سريعًا ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ بالنصب[(٣)] عطفًا على «ٱلسَّمَٰوَٰتِ»، والرفع مبتدأ، خبره: ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾ مذللات، ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بقدرته ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ جميعًا[(٤)] ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾[(٥)] كله ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم ﴿ٱللَّهُ رَبُّ﴾ مالك ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

= وقد فسر كذلك الجلال المحلي في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، وغيره، وهذا منهج السلف كمالك والأوزاعي والشافعي وأحمد وليث وغيرهم كما ذكره ابن كثير.

(١) قوله: (مخففًا ومشدّدًا). قراءتان: مشدّدًا: ﴿يُغَشِّي﴾ مضارع «غَشَّى»: قراءة حمزة، وشعبة، والكسائي، ويعقوب، وخلف. ومخففًا: ﴿يُغْشِي﴾ مضارع «أَغْشَى»: قراءة الباقين. ولا فرق في المعنى.

(٢) قوله: (طلبًا). قدره ليكون ﴿حَثِيثًا﴾ نعتًا للمصدر المحذوف، وهو منصوب على أنه مفعول مطلق.

(٣) قوله: (بالنصب...). قراءتان: بالرفع: ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ﴾: قراءة ابن عامر. وبالنصب: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾ قراءة الباقين، ووجههما كما ذكره المفسر.

(٤) قوله: (جميعًا)... (كله). أفاد بهما أن «أل» في ﴿ٱلْخَلْقُ﴾ و﴿ٱلْأَمْرُ﴾ استغراقية، ويصح جعلها جنسية؛ لأن إثبات الجنس للشيء يفيد إثبات جميع أفراده، كما ذكرنا ذلك في «الثلاثيات». وفي ذلك تفصيل دقيق.

(٥) قوله: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾: هو هنا بمعنى التصرف والشأن، كما فسر ابن كثير، وفُسِّر أيضًا بالأمر الذي هو الطلب، كما هو ظاهر ابن جرير والقرطبي.

(٥٥) - ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ حال[١]، تذللًا ﴿وَخُفْيَةً﴾ سرًّا ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ (٥٥)﴾ في الدعاء بالتشدق[٢] ورفع الصوت.

(٥٦) - ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالشرك والمعاصي[٣] ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ببعث الرسل ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٥٦)﴾ المطيعين، وتذكير «قَرِيبٌ»[٤] المخبر به عن

---

(١) قوله: (حال): أي: ﴿تَضَرُّعًا﴾ حال منصوب، وهو مصدر بمعنى اسم الفاعل هنا أي: متضرعين، ووقوع المصدر المنكر حالًا كثير، كما قال ابن مالك:

ومصدر منكر حالًا وقع   بكثرة كبغتة زيد طلع

وكذلك قوله: ﴿وَخُفْيَةً﴾، حال، مصدر بمعنى اسم الفاعل: أي: مسرين. وتفسيرها بـ(سرًّا): روي عن ابن عباس.

(٢) قوله: (بالتشدق). أي: التوسع في الكلام من غير مراعاة الأدب، ونقل ابن جرير عن ابن جريج: «إن من الدعاء اعتداءً، يكره رفع الصوت، والنداء والصياح بالدعاء، ويؤمر بالتضرع والاستكانة». وعن ابن عباس: «﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ (٥٥)﴾: في الدعاء ولا في غيره».

(٣) قوله: (بالشرك والمعاصي). هكذا فسر ابن جرير، حيث قال: «لا تشركوا بالله في الأرض ولا تعصوه بعد إصلاح الله إياه لأهل طاعته بابتعاثه فيهم الرسل» اهـ. ملخصًا.

(٤) قوله: (وتذكير ﴿قَرِيبٌ﴾). حل إشكال نحوي، حاصله: إن ﴿رَحْمَتَ﴾ مؤنثة، وهي اسم ﴿إِنَّ﴾، و﴿قَرِيبٌ﴾: خبرها، ويجب موافقة الخبر للاسم في التذكير والتأنيث، فهنا: الاسم مؤنثة والخبر مذكر، فأجاب: بأن ﴿رَحْمَتَ﴾ وإن كانت مؤنثة لكنها اكتسبت التذكير من المضاف إليه وهو اسم الجلالة. والمضاف يكتسب التذكير من المضاف إليه كما ذكره النحاة. =

﴿رَحْمَتَ﴾ لإضافتها إلى الله.

٥٧- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ نُشُرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: متفرقة قدام المطر[١]. وفي قراءة: بسكون الشين[٢] تخفيفًا، وفي أخرى: بسكونها وفتح النون مصدرًا، وفي أخرى: «بُشْرًا»، بسكونها، وضم الموحدة بدل النون أي: مُبشِّرات، ومفرد الأولى: نشور كرسول، والأخيرة: بشير، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾ حملت الرياح ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ بالمطر ﴿سُقْنَٰهُ﴾ أي السحاب، وفيه التفات[٣] عن الغيبة ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لا نبات فيه، أي: لإحيائه ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾ بالبلد[٤] ﴿ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ بالماء

= وقد ذكرنا في «الثلاثيات» ما يكتسب المضاف من المضاف إليه، وهي عشرة أمور، وهناك أجوبة سبعة أخرى أوردها القرطبي.

(١) قوله: (قدام المطر): كما فسّر بذلك ابن جرير وغيره: وأفاد به أن الرحمة هنا بمعنى المطر. وأن ﴿بَيْنَ يَدَىْ﴾ كناية عن الأمام، والقُدّام، وإن لم يكن للمطر يدان، كما قال ابن جرير: «العرب تقول لكل شيء حدث قدام شيء وأمامه: جاء بين يديه».اهـ.

(٢) قوله: (وفي قراءة: بسكون الشين): القراءات هنا أربع كما ذكرها المفسّر:

١- ﴿بُشْرًا﴾: بالباء المضمومة وسكون الشين: جمع بشير: قراءة عاصم.

٢- ﴿نُشْرًا﴾ بالنون المضمومة وسكون الشين تخفيفًا من الضم: جمع نشور: قراءة ابن عامر.

٣- ﴿نَشْرًا﴾: بالنون المفتوحة وسكون الشين: مصدر نَشَر: قراءة حمزة، والكسائي، وخلف.

٤- ﴿نُشُرًا﴾: بالنون المضمومة وضم الشين: جمع نشور: قراءة الباقين.

وسكون الشين تخفيف من ضمها، إلا في المصدر «نَشْر» فسكونها أصلي.

(٣) قوله: (وفيه التفات): أي في قوله: ﴿سُقْنَٰهُ﴾ التفات إلى التكلم من الغيبة في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ...﴾.

(٤) قوله: (بالبلد) أفاد أن الباء بمعنى «في». وبقوله: (بالماء) أن الضمير فيه راجع إلى الماء، وهي للسببية.

﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ﴾ الإخراج ﴿نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ من قبورهم بالإحياء، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧﴾ فتؤمنون.

٥٨- ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ العذب التراب ﴿يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾ حسنًا ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ﴾ هذا مثل للمؤمن[1]، يسمع الموعظة فينتفع بها ﴿وَٱلَّذِي خَبُثَ﴾ ترابه ﴿لَا يَخۡرُجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نَكِدٗاۚ﴾ عسرًا بمشقة، وهذا مثل للكافر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُصَرِّفُ﴾ نبين ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ٥٨﴾ الله فيؤمنون.

٥٩- ﴿لَقَدۡ﴾ جواب قسم محذوف[2] ﴿أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِهِۦٓ﴾ بالجر[3] صفة لـ«إِلَٰهٍ»، وبالرفع: بدل من محله[4] ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩﴾ هو يوم القيامة.

---

(١) قوله: (هذا مثل للمؤمن...) روى ابن جرير هذا عن ابن عباس، قال: «فهذا مثل ضربه الله للمؤمن يقول: هو طيب، وعمله طيب، كما البلد الطيب ثمره طيب. ثم ضرب مثل الكافر: كالبلدة السبخة. المالحة التي لا تخرج منها البركة، فالكافر هو الخبيث وعمله خبيث».اهـ. و«نَكِدًا» بكسر الكاف، وقد تفتح: عَسِر قليل الخير.

(٢) قوله: (جواب قسم محذوف» فاللام موطئة للقسم، أي دالة على القسم، والتقدير: والله لقد.

(٣) قوله: (بالجر...). قراءتان: بالجر: ﴿غَيۡرِهِۦٓ﴾: قراءة الكسائي وأبي جعفر.

وبالرفع: ﴿غَيۡرُهُۥٓ﴾: قراءة الباقين. ووجهها ما ذكره المفسر.

(٤) وقوله: (بدل من محله). أي من محل ﴿إِلَٰهٍ﴾؛ لأن محله الرفع على أنه مبتدأ مؤخر. و(من) حرف جر زيد لتأكيد العموم، و﴿لَكُم﴾ خبر مقدم. والمبتدأ يجرد من العوامل اللفظية، أي: لا يدخل عليه العامل اللفظي كحرف الجر، لكن يجوز دخول الحرف الزائد والشبيه بالزائد على المبتدأ، فهي مسألة استثنائية، ذكرناها في كتاب «الاستثناء».

﴿٦٠﴾ - ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ الأشراف[١] ﴿مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٦٠﴾﴾ بيّن.

﴿٦١﴾ - ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٞ﴾ هي أعمّ من الضلال[٢]، فنفيها أبلغ من نفيه ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾.

﴿٦٢﴾ - ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد[٣] ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ﴾ أريد الخير ﴿لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿٦٣﴾ - ﴿أَ﴾ كذبتم[٤] ﴿وَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٞ﴾ موعظة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ﴾ لسان[٥]

---

(١) قوله: (الأشراف). سموا بالملإ؛ لأنهم يملؤون المجالس بأجسادهم، والقلوب بهيبتهم، والأعين بهيئتهم. أفاده الصاوي.

(٢) قوله: (هي أعم من الضلال). وذلك أن الضلالة واحد الضلال، فنفيه أبلغ من نفي مطلق الضلال الصادق بالواحد والأكثر.

وفي جانب الإثبات: الضلال أبلغ من الضلالة، ولذا لما أثبتوا زعمًا منهم الضلالَ، ردّ عليهم بنفي الضلالة المفيد للمبالغة، وقد أشار إلى ذلك البيضاوي.

(٣) قوله: (بالتخفيف والتشديد). قراءتان: بالتخفيف ﴿أُبْلِغُكُمْ﴾ مضارع: أبلغ: قراءة أبي عمر. وبالتشديد: ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ مضارع بلَّغَ: قراءة الباقين. ومعناهما واحد، نحو أكرَم وكرَّمَ.

(٤) قوله: (كذبتم) قدره ليفيد أن ﴿عَجِبْتُمْ﴾ معطوف على هذا المقدر، والهمزة للاستفهام الإنكاري، وهكذا قدره البيضاوي وغيره، وهذا مذهب الزمخشري في مثل هذا الموضع، أي في مواضع همزة الاستفهام التي تعقبها الواو أو الفاء.

وقوله تعالى: ﴿أَن جَآءَكُمْ﴾ «أن» مصدرية، وحذف حرف الجر «مِن»، وحذف حرف الجر مطرد مع «أنّ» و«أن» كما ذكرنا.

(٥) قوله: (لسان). إشارة إلى تقدير مضاف، فيكون الكلام من باب الإيجاز.

﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿وَلِتَتَّقُواْ﴾ الله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾ بها.

٦٤- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من الغرق[1] ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ في السفينة ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ بالطوفان ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ عن الحق.

٦٥- ﴿۞ وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَى عَادٍ﴾ الأولى[2] ﴿أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ تخافونه فتؤمنون؟

---

(١) قوله: (من الغرق). متعلق بـ«أَنْجَيْنَا»، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي هم الذين آمنوا به وهم ثمانون شخصًا، أربعون رجلًا وأربعون امرأة، ذكره البيضاوي.

ونقل ابن جرير عن ابن إسحٰق: «هم ثلاثة عشر، نوح، وبنوه الثلاثة: سام وحام ويافث، وأزواجهم، وستة من المؤمنين».اهـ. وقيل غير ذلك، وعلى كل حال: قال تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود: ٤٠].

فائدة: قال ابن كثير: «نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوع -وهو إدريس- بن برد بن مهليل بن قنين بن شيث بن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ».

(٢) قوله: (الأولى). قيده به لأن «ثمود» يسمّون عادًا الثانية. قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا فَمَا أَبْقَى ﴿٥١﴾﴾ [النجم: ٥٠-٥١].

قال ابن إسحٰق: «هم ولد عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح»، وكان هود عَلَيْهِ السَّلَامُ منهم، فهو هود بن عبدالله بن رباح بن الجلود بن عاد. هـ ذكره القرطبي. ولذا قال تعالى: ﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾. قال ابن عباس: «أي: ابن أبيهم».اهـ. نقله القرطبي.

فائدة: مساكن عاد: باليمن بالأحقاف، وهي جبال الرمال، ممتدة فيما بين عمان إلى حضرموت. نقله ابن جرير عن ابن إسحٰق، ونقل عنه بإسناده إلى علي بن أبي طالب: «أن قبر هود عَلَيْهِ السَّلَامُ في حضرموت بكثيب أحمر يخالطه مدرة حمراء ذو أراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من حضرموت...».اهـ. ملخصًا.

٦٦- ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ جهالة ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ في رسالتك.

٦٧- ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

٦٨- ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ مأمون على الرسالة[1].

٦٩- ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ﴾[2] في الأرض ﴿مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ قوة وطولًا، وكان طويلهم مائة ذراع وقصيرهم ستين[3] ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ نعمه[4] ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ تفوزون.

٧٠- ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا﴾[5] ﴿لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ﴾ نترك ﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ

---

(١) قوله: (مأمون...). أفاد أن ﴿أَمِينٌ﴾ فعيل، بمعنى مفعول، وقد ذكرنا أشهر معاني وزن «فعيل» في سورة البقرة الآية (٢٦٨).

(٢) قوله تعالى: ﴿خُلَفَآءَ﴾ خلفاء جمع خليفة، على وزن فعلاء، وهو جمع لفعيل، أما الفعيلة فجمعه: فعائل، وقد جمع «خليفة» على الوجهين: خلفاء، وخلائف؛ لأن الخليفة مذكر فهو بمعنى الخليف، فباعتباره جُمِعَ على خُلفاء، وباعتبار تأنيث لفظه جمع على خلائف. وتقدم التنبيه على ذلك. كما أفاده ابن جرير وغيره.

(٣) قوله: (وكان طويلهم مائة ذراع...) ما قاله المفسر أن طويلهم مائة ذراع وقصيرهم ستون ذراعًا. عزاه القرطبي إلى ابن عباس.

(٤) قوله: (نعمه). تفسير ﴿ءَالَآءَ﴾، وهو جمعٌ، واحده: إِلًى، وإِلْيٌ، وإِلْوٌ، وأَلًى. ذكره القرطبي.

(٥) قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا﴾. يفيد أنهم كانوا عبدة أوثان، وقد ذكر محمد بن إسحٰق وغيره: أنهم كانوا يعبدون الأصنام، فصنم يقال له: صُداء، وآخر يقال له: صَمُود، وآخر يقال له: الهباء. نقله ابن جرير وغيره.

ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠﴾ في قولك.

٧١- ﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ﴾ وجب ﴿عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٌ﴾ عذاب[١] ﴿وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾ أي سميتم بها[٢] ﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾ أصنامًا[٣] تعبدونها ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي: بعبادتها ﴿مِن سُلۡطَٰنٖۚ﴾ حجة وبرهان ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٧١﴾ ذلك بتكذيبكم لي، فأُرْسِلَتْ عليهم الريح العقيم[٤].

٧٢- ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾ أي هودًا ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ من المؤمنين ﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ﴾ أي: استأصلناهم[٥] ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٧٢﴾ عطف على «كَذَّبُواْ»[٦].

---

(١) قوله: (عذاب). كذا فسره به ابن جرير. ونقل عن عمرو بن العلاء: «أن الرجس هو الرجز، قلبت السين زايًا». وعن ابن عباس: «سخط».

(٢) قوله: (سميتم بها). أفاد به أن الضمير «ها» في محل نصب على نزع الخافض وهو المفعول الثاني لـ«سميتم».

(٣) وقوله: (أصنامًا). المفعول الأول.

(٤) قوله: (فأُرْسِلَتْ عليهم...). أفاد أن في الكلام إيجاز حذف، فقد حذفت الجملة، وعطف عليها ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾، والريح العقيم: أي التي لا خير فيها، كما قال تعالى: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ٤١﴾ [الذاريات: ٤١]، و﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ٧﴾ [الحاقة: ٧].

(٥) قوله: (أي: استأصلناهم) تفسير للمراد بـ﴿وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ﴾. ودابر بمعنى آخر كما في القرطبي.

(٦) قوله: (عطف على ﴿كَذَّبُواْ﴾). أي: فتكون في حكم صلة الموصول، فليس لها محل من الإعراب.

﴿٧٣﴾- ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ﴾ بترك الصرف[١] مرادًا به القبيلة ﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِّن رَّبِّكُمْۖ﴾ على صدقي ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ﴾ حال[٢]،

---

(١) قوله: (بترك الصرف...) أي: فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث.

قال ابن كثير: «قال علماء التفسير والنسب: ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح، وهو أخو جديس بن عاثر، وكذلك قبلية طسم. كل هؤلاء كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. وكانت ثمود بعد عاد، ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله».اهـ.

قلت: يُعرف ذلك المكان الآن باسم مدائن صالح، تبعد عن المدينة المنورة أربعمائة كيلومتر، بطريق تبوك، وتبعد عنه مدينة العُلا بثلاثين كيلومترًا، جعل من الأماكن التراثية التاريخية، يمكن دخوله ومشاهدة مساكنهم وآثارهم، وقد شاهدتُ ذلك، عام ١٤٣٥ هـ. وبيوتهم التي نحتوها في الجبال موجودة بحالها، وكذلك الصخرة التي خرجت منها الناقة، والبئر التي كانت تشرب منها.

وقال بعض المسؤولين: توجد في تلك المنطقة ستون بئرًا. وينبغي للداخل بها أن يخاف من عذاب الله، ولا ينبغي أن تتخذ تلك الأماكن ونحوها محلّ سياحة وتفرّج، فعن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ وهو بالحجر في سفره لغزوة تبوك، وقد تسارع الناس إلى أهل الحجر: «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم**» [«مسند الإمام أحمد» (٢/ ٧٤)، وأصله في «الصحيحين»: البخاري برقم (٣٣٨١٩، ومسلم برقم (٢٩٨)].

(٢) قوله: (حال). أي: ﴿ءَايَةًۖ﴾ منصوب على أنه حال، من ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾.

والحال تحتاج إلى العامل، وهو هنا ما في معنى الإشارة: ﴿هَٰذِهِۦ﴾ من معنى الفعل، أي: أشيرُ.

عاملها معنى الإشارة، وكانوا سألوه[١] أن يخرجها لهم من صخرة عينوها ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ بعقر أو ضرب ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣﴾.

٧٤- ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ﴾ في الأرض ﴿مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ أسكنكم ﴿فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ تسكنونها في الصيف ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ تسكنونها في الشتاء، ونصبه على الحال[٢] المقدرة ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٧٤﴾.

٧٥- ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾ تكبروا عن الإيمان به ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ أي: من قومه، بدل مما قبله بإعادة الجار[٣] ﴿أَتَعْلَمُونَ

---

(١) قوله: (وكانوا سألوه...). كما قاله أئمة التفسير، نقل ابن جرير وغيره: «فلما طلبوا خروج الناقة من تلك الصخرة أخذ صالح عليهم المواثيق بالإيمان بالله واتباع نبيه صالح، فلما وافقوا دعا الله، فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة حامل وَبْرَاءَ، كما اقترحوا، فآمن رئيس القوم وهو: جندع بن عمرو، ومن كان معه، وأراد بقيتهم أن يؤمنوا، فصدهم ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صعمر».اهـ. ملخصًا.

الخلاصة: لم يؤمن مع هذه الآية الواضحة إلا عدد يسير، وأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعته فيهم مدة، تشرب ماء بئرها يومًا وتدعه لهم يومًا، وكانوا يشربون لبنها يوم شربها، يحلبونها فيملؤون ما شاؤوا بأوانيهم.

(٢) قوله: (ونصبه على الحال). يعني أن ﴿بُيُوتًا﴾ حال منصوب، وهي حال مقدرة، والحال المقدرة ما كان وقوعه بعد وقوع عامله؛ لأن كونها بيوتًا متأخر عن اتخاذها.

(٣) قوله: (بدل مما قبله). أي قوله: ﴿لِمَنْ ءَامَنَ﴾ بدل من ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾ بدل كلّ.

وقوله: (بإعادة الجار). أي اللام، ويجوز الإبدال بدون حرف الجرّ؛ فيكون بدلًا من المجرور نحو: سلمت على أبيك زيدٍ.

أَنَّ صَٰلِحًا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ إليكم ﴿قَالُوٓاْ﴾ نعم ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٧٥﴾.

٧٦- ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٧٦﴾.

٧٧- وكانت الناقة(١) لها يوم في الماء ولهم يوم، فملّوا ذلك ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾ عقرها قُدَارُ بأمرهم بأن قتلها بالسيف ﴿وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ

(١) قوله: (وكانت الناقة...). بيان لسبب عقرهم الناقة، وإشارة إلى أن في الآية إيجاز حذف، قال ابن جرير وغيره من علماء التفسير: «إن امرأتين اسم إحداهما: عنيزة بنت غنم، والأخرى صُداف بنت المحيا كانتا من أشد الناس عداوة لصالح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وكان لهما ثروة، فوعدتا مواعيد لمن يقتل الناقة، فدعت صداف ابن عمها وهو مصدع بن مهرج، ودعت عنيزة قُدار بن سالف بن جندع، فأجابا فانطلقا فاستفزا غواةً من ثمود، فاتبعهما سبعة منهم، فصاروا تسعة رهط، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ٤٨﴾ [النحل: ٤٨]، فاستمالوا القبيلة الكافرة فطاوعتهم، فانطلقوا ورصدوا الناقة حين صدرت عن الماء، فرماها مصدع بسهم، وضربها قدار بسيفه، فخرّت ساقطة إلى الأرض ورغت رغاء واحدة تحذّر ولدها، فقيل: إنهم قتلوا ولدها أيضًا، وقيل: إنه دخل في صخرة فغاب فيها. ولما رأى صالح الناقة بكى، وقال: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ٦٥﴾ [هود: ٦٥]، وكان قتلهم يوم الأربعاء، فلما أمسى عزم أولئك الرهط على قتل صالح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ولكن الله أرسل عليهم حجارة رضختهم قبل هلاك قومهم، وأصبحت ثمود يوم الخميس ووجوهم مصفرة، ويوم الجمعة ووجوهم محمرة، ويوم السبت ووجوههم مسودة، فلما أصبحوا يوم الأحد، وقد أصبحوا منتظرين عذاب الله، إذ جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفلهم فهلكوا جميعًا، وقال علماء التفسير: لم يبق من ذرية ثمود أحد سوى صالح ومن اتبعه، إلا أن رجلًا يقال له «أبو رغال» كان في الحرم لما نزل العذاب بهم، فلم يصبه شيء، فلما خرج من الحرم جاءه حجر من السماء فقتله، ودفن هناك، وأبو رغال هذا هو والد ثقيف الذين يسكنون الطائف». [ملخصًا من ابن جرير وابن كثير].

ﭐئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به من العذاب على قتلها ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧٧﴾.

٧٨- ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة من الأرض والصَّيْحة من السماء ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٧٨﴾ باركين على الركب[1] ميتين.

٧٩- ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض صالح ﴿عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٧٩﴾.

٨٠- ﴿وَ﴾ اذكر[2] ﴿لُوطًا﴾ ويبدل منه ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ أي: أدبار الرجال[3] ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠﴾ الإنس والجن.

٨١- ﴿أَئِنَّكُمۡ﴾[4] بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على

---

(١) قوله: (باركين على الركب). قال القرطبي: «أي لاصقين بالأرض على ركبهم ووجوههم كما يجثم الطائر».اهـ.

(٢) قوله: (اذكر). قدره ليكون ﴿لُوطًا﴾ مفعولًا به للفعل المقدر. قال ابن كثير: «النبي لوط هو: لوط بن هاران بن آزر، فهو ابن أخي إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كان آمن به، وهاجر معه من العراق إلى الشام، فبعثه الله تعالى إلى أهل «سدوم» و ما حولها من القرى، وهي في ساحل البحر الميت». اهـ. ملخصًا. فلوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليس من تلك القبيلة، ولذا لم يقل الله: «أخاهم لوطًا»، كما قال في هود وصالح وغيرهما.

تنبيه: «لوط» اسم أعجمي صرف؛ لأن الاسم الأعجمي الثلاثي ينصرف نحو: نوح، ولوط.

(٣) قوله: (أدبار الرجال). وهذه الفاحشة لم يكن بنو آدم يعرفونها، حتى فعل ذلك أهل سدوم، وحدُّ هذا الفعل في شرعنا: حد الزنى، عند الشافعية والحنابلة، والرجم عند المالكية، ولا حد بل يعزر عند الحنفية.

(٤) قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمۡ﴾. بهمزة واحدة ﴿إِنَّكُمۡ﴾: قراءة ورش، وأبي جعفر، وحفص، وقالون. وبهمزتين: قراءة الباقين.
=

الوجهين، ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام.

﴿٨٢﴾- ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم﴾ أي: لوطًا وأتباعه ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ عن أدبار الرجال(١).

﴿٨٣﴾- ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ الباقين في العذاب(٢).

﴿٨٤﴾- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ﴾ هو حجارة السّجيل، فأهلكتهم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

﴿٨٥﴾- ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ﴾(٣) ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا

= وفي إثبات الهمزتين أربعة أوجه:

١- تحقيق الهمزتين بدون ألف بينهما: ﴿أَئِنَّكُمْ﴾: الجمهور.

٢- تحقيقهما مع زيادة ألف بينهما: ﴿آئِنَّكُمْ﴾: هشام.

٣- تسهيل الثانية بدون ألف: ﴿أَئِنَّكُمْ﴾: ابن كثير.

٤- تسهيل الثانية بزيادة ألف بينهما: ﴿آئِنَّكُمْ﴾: أبو عمرو.

(١) قوله: (عن أدبار الرجال). وعن ابن عباس، ومجاهد: «عن أدبار الرجال وأدبار النساء».

(٢) قوله: (الباقين في العذاب). وذلك لأنها لم تؤمن بلوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بل كانت على دين قومها، وكانت تعلمهم بمن يقدم من الضيوف ليقعوا في الفاحشة بهم، وجاءت الملائكة بصور البشر ودخلوا على لوط وأمروه أن يسري ليلًا مع أهله المؤمنين، وفي الصباح جاءهم العذاب، أُرسِلَت عليهم حجارة من سجيل منضود، ثم قلبت أرضهم كما قال تعالى: ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾ [هود: ٨٢]، وقصة لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقومه مفصلة في سورة هود، والحجر وغيرهما.

(٣) قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ مدين اسم قبيلة سميت باسم أبيهم، وكذلك اسم =

﴿لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ على صدقي ﴿فَأَوْفُواْ﴾ أتموا ﴿ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ﴾ تنقصوا ﴿ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ببعث الرسل ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ مريدي الإيمان؛ فبادروا إليه[(١)].

﴿٨٦﴾- ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ تخوفون الناس[(٢)] بأخذ ثيابهم أو المكس منهم ﴿وَتَصُدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿مَنْ

= للمدينة التي نزل بها، وهي بين الحجاز والشام، قريبًا من حدود الأردن حاليًّا، وتبْعد عن تبوك (١٨٠) كيلو متر تقريبًا، وشعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ منهم، ولذا ذكر الله: أخاهم شعيبًا، وكان من أشرفهم نسبًا. نقل ابن جرير عن ابن إسحٰق: «أنهم أولاد مدين بن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ». وشعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ من سلالته، وهو شعيب بن ميكيل بن يشجر. اهـ.

ويلقب شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ بـ«خطيب الأنبياء» لفصاحة عبارته وجزالة موعظته. قاله ابن كثير.

(١) قوله: (فبادروا إليه) قدره ليكون جوابًا للشرط: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

(٢) قوله: (تخوفون الناس...) وعن السدي: «كانوا عشارين أي يأخذون من أموال الناس عُشرها... مكسًا».

وعن ابن عباس ومجاهد وغيرهما: ﴿تُوعِدُونَ﴾: تخوفون الناس أن يأتوا شعيبًا، كانوا يجلسون في الطريق فيخبِرون من مر بهم أن شعيبًا كذاب». اهـ.

واستظهر ابن كثير المعنى الأول، أي: أنهم كانوا قطاع الطريق؛ لأن الصد عن دين الله مذكور بعده: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

الخلاصة: أنهم جمعوا بين الشرين، أخذ أموال الناس، وصدهم عن الدين الحق.

ءَامَنَ بِهِۦ﴾ بتوعدكم إياه بالقتل، ﴿وَتَبۡغُونَهَا﴾ تطلبون الطريق ﴿عِوَجًاۚ﴾ معوجة ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ قبلكم بتكذيبهم رسلهم، أي: آخر أمرهم من الهلاك[1].

﴿٨٧﴾- ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ[2] مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ﴾ به ﴿فَٱصۡبِرُواْ﴾ انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ﴾ وبينكم بإنجاء المحق وإهلاك المبطل ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ أعدلهم.

❁❁❁

---

(١) قوله: (أي: آخر أمرهم). تفسير للمراد بالـ﴿عَٰقِبَةُ﴾، وفيه إشارة إلى أن لفظ «العاقبة» مذكر باعتبار المعنى.

وقوله: (من الهلاك) بيان لـ(آخر أمرهم).

(٢) قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ﴾ أي: قد اختلفتم عليّ، فآمن بعضكم ولم يؤمن بعضكم، فاصبروا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا، فإنه سيجعل العاقبة للمتقين، والدمار على الكافرين، كما قال المفسر: (بإنجاء المحق) أي: المؤمن، (وإهلاك المبطل) أي: الكافر. والله أعلم.

الجزء (٩)

﴿٨٨﴾- ﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾ عن الإيمان ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ ترجعُنّ ﴿فِي مِلَّتِنَاۚ﴾ ديننا، وغلَّبوا في الخطاب[(١)] الجمعَ على الواحد؛ لأن شعيبًا لم يكن في ملتهم قط، وعلى نحوه أجاب[(٢)]: ﴿قَالَ أَ﴾ نعود فيها[(٣)] ﴿وَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ لها؟ استفهام إنكار[(٤)].

﴿٨٩﴾- ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَاۚ وَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ﴾ ذلك فيخذلنا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ﴾ أي: وسع علمه[(٥)] كل شيء، ومنه حالي وحالكم ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ﴾ احكم[(٦)] ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ الحاكمين.

﴿٩٠﴾- ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾ أي: قال بعضهم لبعض ﴿لَئِنِ﴾ لام

---

(١) قوله: (وغلَّبوا في الخطاب) يعني: خاطب الكفار من قوم شعيب له وللمؤمنين بقولهم: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾، والعود في ملتهم إنما يصدق على غير شعيب؛ لأنه لم يكن قط في ملتهم، ولكن خاطبوه به لتغليب من كان في ملتهم -وهم المؤمنون- عليه وإدخاله معهم، والتغليب من الأساليب الأدبية.

(٢) قوله: (وعلى نحوه أجاب) أي: أجابهم شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على نحو ذلك التغليب، حيث قال: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا﴾ أي: قال لهم: ﴿إِنْ عُدْنَا﴾ موافقة لقولهم: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾.

(٣) قوله: (أنعود...) قدر الفعل ليعطف عليه قوله: ﴿وَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

(٤) قوله: (استفهام إنكار)، أي: فالمعنى: لا نعود فيها.

(٥) قوله: (أي: وسع علمه...) أفاد به أن ﴿عِلْمًاۚ﴾ تمييز محول عن الفاعل، فهو الفاعل في المعنى.

(٦) قوله: (احكم) هكذا فسره ابن عباس، وقتادة، والسدي، وغيرهم.

قسم[(١)] ﴿ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٩٠﴾.

٩١- ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة[(٢)] ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩١﴾ باركين على الركب ميتين.

٩٢- ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا﴾ مبتدأ، خبره: ﴿كَأَن﴾ مخففة[(٣)]، واسمها محذوف، أي كأنهم ﴿لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ﴾ يقيموا ﴿فِيهَاۚ﴾ في ديارهم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٩٢﴾ التأكيد[(٤)] بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق.

---

(١) قوله: (لام قسم). فههنا اجتمع القسم والشرط، والمتقدم هو القسم فيكون الجواب له، وهو ﴿إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ دل على جواب الشرط، وقد تقدم نظير ذلك كثيرًا.

(٢) قوله: (الزلزلة الشديدة). قال ابن كثير: «أخذتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة، مع ما أصابهم عذاب الظلة، وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب» كما نقل ابن جرير عن السدي: «...فلما عتوا وكذبوا شعيبًا وسألوه العذاب -استهزاءً- فتح الله عليهم بابًا من أبواب جهنم، فأهلكهم الحرّ منه فلم ينفعهم ظل ولا ماء، ثم إنه بعث سحابة فيها ريح طيبة، فوجدوا برد الريح وطيبها، فلما اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم انطبقت عليهم فأهلكتهم، فهو قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾ [الشعراء: ١٨٩]».اهـ. ملخصًا.

الخلاصة: أخذهم ثلاثة أنواع من العذاب، الصيحة والرجفة وعذاب الظلة، أعاذنا الله من عذابه.

(٣) قوله: (مخففة). أي: من «كأنَّ»، التي من أخوات «إنَّ»، و«كأَنْ» المخففة تعمل كالمشددة، فلها اسم منصوب وخبر مرفوع، واسمها هنا الضمير المحذوف، قدره المفسر، ويجوز ذكر اسمها، بخلاف «أن» المخففة فتعمل، وَيكون اسمها ضمير الشأن محذوفًا وجوبًا. وخبر ﴿كَأَن﴾ الجملة ﴿لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ﴾ فهي في محل رفع.

(٤) قوله: (التأكيد) مبتدأ، خبره: قوله: (للرد عليهم)، يعني أن تأكيد هذه الجملة بأنواع من =

﴿٩٣﴾- ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فلم تؤمنوا ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ أحزن[(١)] ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ استفهام بمعنى النفي.

﴿٩٤﴾- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ فكذبوه ﴿إِلَّآ أَخَذْنَآ﴾ عاقبنا ﴿أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ شدة الفقر[(٢)] ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾ يتذللون، فيؤمنوا.

﴿٩٥﴾- ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾ أعطيناهم ﴿مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ﴾ العذاب ﴿ٱلْحَسَنَةَ﴾ الغنى والصحة ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ كثروا[(٣)] ﴿وَّقَالُوا﴾ كفرًا للنعمة ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ كما مسّنا، وهذه عادة الدهر[(٤)]، وليست بعقوبة من الله، فكونوا على ما

= المؤكدات للرد على قولهم السابق: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾؛ فالكلام الموجّه إلى المنكر وجب تأكيده حسب قوة الإنكار، وهي مسألة بلاغية، والمؤكدات هٰهنا تكرار الاسم الموصول «الذين»، وكون الجملة اسمية، وضمير الفصل ﴿هُمُ﴾، وتعريف الخبر ﴿ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، ثم في ذكر الاسم الموصول إشارة إلى تعظيم شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، من حيث إن من كذّبه كان خاسرًا، كما نبه على ذلك البلاغيون.

(١) قوله: (أحزن). تفسير ﴿ءَاسَىٰ﴾ كما فسر به ابن عباس وغيره، فهو فعل مضارع بصيغة المتكلم، من أسِيَ يأسَى، وأصله أأسَى، بهمزتين، قلبت الثانية ألفًا؛ لأنها ساكنة بعد همزة مفتوحة في أول الكلمة، فوجب قلبها ألفًا، كما ذكر في علم الصرف.

(٢) قوله: (شدة الفقر...). تقدم تفسير «البأساء» و«الضراء» في سورة البقرة الآية (١٧٧).

(٣) قوله: (كثروا) كذا ورد تفسيره ﴿عَفَوا﴾ عن ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم.

(٤) قوله: (وهذه عادة الدهر) من جملة كلامهم.

الخلاصة: إن الله ابتلاهم بالشدة والرخاء، فلم يعتبروا بشيء منهما. وهذا بخلاف المؤمن يشكر على السراء ويصبر على الضراء، فيكون كل منهما خيرًا له.اهـ. ملخصًا من ابن كثير.

أنتم عليه، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩٥﴾ بوقت مجيئه قبله.

۝٩٦- ﴿وَلَوْ أَنَّ[1] أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المكذبين ﴿ءَامَنُوا۟﴾ بالله ورسلهم ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ الكفر والمعاصي ﴿لَفَتَحْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد[2] ﴿عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟﴾ الرسل ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ عاقبناهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٩٦﴾.

۝٩٧- ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المكذبون ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ ليلًا[3] ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝٩٧﴾ غافلون عنه.

۝٩٨- ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾ نهارًا[4] ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٩٨﴾.

۝٩٩- ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ استدراجه إياهم بالنعمة وأخذهم بغتة ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩٩﴾.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ...﴾: «لو» شرطية، وفعل الشرط محذوف، تقديره: ولو ثبت أن... كما تقدم نظيره.

(٢) قوله: (بالتخفيف والتشديد) قراءتان: بالتشديد: ﴿فَتَّحْنَا﴾: قراءة ابن عامر، وأبي جعفر، ورويس. وبالتخفيف: ﴿فَتَحْنَا﴾: قراءة الباقين، والتشديد للمبالغة.

قال القرطبي: «وهذا على أقوام، إذ قد يمتحن الله المؤمنين بضيق العيش، فيكون تكفيرًا لذنوبهم، وهو بالنسبة للكافر يكون عقوبة ومؤاخذة، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم﴾ والمؤمنون صدّقوا ولم يكذبوا».اهـ. ملخصًا.

(٣) قوله: (ليلًا) وبه فسر ابن كثير والقرطبي وغيرهما.

(٤) قوله: (نهارًا)، قال البيضاوي: «ضحوة النهار، وهو في الأصل ضوء الشمس إذا ارتفعت».اهـ.

(١٠٠)- ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ﴾ يتبين[١] ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ﴾ بالسكنى ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾ هلاك[٢] ﴿أَهۡلِهَآ أَن﴾ فاعل[٣]، مخففة[٤]، واسمها محذوف أي: أنه ﴿لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم﴾ بالعذاب ﴿بِذُنُوبِهِمۡۚ﴾ كما أصبنا مَنْ قبلهم. والهمزة في المواضع الأربعة[٥] للتوبيخ، والفاء والواو[٦] الداخلة عليهما للعطف، وفي قراءة: بسكون الواو[٧] في الموضع الأول عطفًا بـ«أو»، ﴿وَ﴾ نحن ﴿نَطۡبَعُ﴾[٨] نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ

---

(١) قوله: (يتبيّن). كذا فسر السدي، وبنحوه عن ابن عباس ومجاهد: «أو لم يبيَّنْ».

(٢) قوله: (هلاك). أفاد به تقدير مضاف.

(٣) قوله: (فاعل). يعني: المصدر المؤول من ﴿أَن﴾، ومعموليها فاعل: ﴿يَهۡدِ﴾.

(٤) قوله: (مخففة). أي: «أنْ» هذه مخففة من «أنّ» المثقلة، فيجب إعمالها ويكون اسمها ضمير الشأن محذوفًا وجوبًا، والجملة التي بعدها في محل رفع خبرها، كما فصلها النحاة. وأشار المفسر إليه بقوله: (واسمها محذوف...).

(٥) قوله: (والهمزة في المواضع الأربعة...). وهن: ﴿أَفَأَمِنَ﴾، ﴿أَوَأَمِنَ﴾، ﴿أَفَأَمِنُواْ﴾، ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ﴾.

(٦) قوله: (الفاء، والواو...). أي: الفاء والواو اللتان دخلت عليهما الهمزة للعطف. أي: للعطف على محذوف، كما هو مذهب الزمخشري. وعند الجمهور: للاستئناف أو العطف على ما قبلها، وقد تقدم نظير ذلك.

(٧) قوله: (وفي قراءة بسكون الواو). يعني: «أوْ» في الموضع الأول، وهو: ﴿أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ فتكون «أو» هي العاطفة، بخلاف القراءة بفتح الواو، فالواو عاطفة، والهمزة للتوبيخ كما ذكرنا. وسكون الواو «أوْ»: قراءة نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبي جعفر. والفتح: «أوَ»: قراءة الباقين.

(٨) قوله: (﴿وَ﴾ نحن ﴿نَطۡبَعُ﴾). قدر «نحن» ليفيد أن هذه جملة مستأنفة وليست معطوفة على جواب الشرط، أي على ﴿أَصَبۡنَٰهُم﴾؛ لعدم صحة المعنى؛ لأن المعنى يكون: لو =

﴿فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠﴾ الموعظة سماع تدبر.

١٠١- ﴿تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ التي مر ذكرها[(١)] ﴿نَقُصُّ عَلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ﴾ أخبار أهلها ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ﴾ عند مجيئهم[(٢)]، ﴿بِمَا كَذَّبُواْ﴾ كفروا به ﴿مِن قَبۡلُۚ﴾ قبلِ مجيئهم، بل استمروا على الكفر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الطبع ﴿يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠١﴾.

١٠٢- ﴿وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم﴾ أي: الناس[(٣)] ﴿مِّنۡ عَهۡدٖۖ﴾ أي: وفاء بعهدهم

= نشاء أصبناهم ونطبع على قلوبهم، بمعنى طبعنا، فيفيد أن الطبع لم يقع مع أنه قد وقع؛ لأن لو تفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط، وأشار إلى ذلك البيضاوي.

(١) قوله: (التي مر ذكرها). وهي قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وشعيب.

(٢) قوله: (عند مجيئهم). وقوله: (قبلِ مجيئهم): فمعنى الآية: ما كان أولئك الكفار ليؤمنوا عند مجيء الرسل إليهم بما كانوا كافرين به قبل مجيئهم، بل استمروا على الكفر. وهكذا فسر البيضاوي. وهذا المعنى ظاهر.

وروى ابن جرير عن أبي بن كعب: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾ قال: «كان في علم الله يوم أقروا له بالميثاق»، أي: فما كانوا ليؤمنوا لعلم الله منهم بذلك. واختاره ابن جرير.

وقال مجاهد: «فما كانوا ليؤمنوا إذا أعيدوا بعد موتهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]».

وعلى هذه الأقوال: الباء في ﴿بِمَا كَذَّبُواْ﴾ للتعدية، متعلقة بـ﴿لِيُؤۡمِنُواْ﴾. ونقل ابن كثير عن حكاية ابن عطية: «أن الباء للسببية». والمعنى: فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم. واستحسنه ابن كثير.

(٣) قوله: (أي: الناس). بيان لمرجع الضمير: «هِمْ» فهو عائد إلى الناس المعلوم من السياق لا إلى الكافرين المذكورين في الآية السابقة، كما هو واضح.

يوم أخذ الميثاق[١] ﴿وَإِن﴾ مخففة[٢] ﴿وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

﴿١٠٣﴾- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ أي: الرسل المذكورين ﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التسع[٣] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾ قومه ﴿فَظَلَمُوا۟﴾ كفروا ﴿بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ بالكفر، من إهلاكهم[٤].

﴿١٠٤﴾- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ إليك.

﴿١٠٥﴾- فكذبه فقال: أنا ﴿حَقِيقٌ﴾ جدير ﴿عَلَىٰٓ أَن﴾ أي بأن ﴿لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ﴾ وفي قراءة: بتشديد الياء[٥]، فـ«حَقِيقٌ» مبتدأ، وخبرهُ: «أَن» وما

---

(١) قوله: (يوم أخذ الميثاق). أي: العهد المأخوذ عليهم وقت إخراجهم مثل الذر. ونسب القرطبي هذا القول إلى ابن عباس. وذهب ابن كثير: «هو الفطرة التي جبلوا عليها».

(٢) قوله: (مخففة). أي: من «إنّ». ويدل على ذلك وجود اللام في ﴿لَفَٰسِقِينَ﴾. وهذه اللام تسمى بـ«اللام الفارقة». أي: الفارقة بين «إن» المخففة و«إن» النافية، وهي واجبة إذا أهملت «إنْ» عن العمل ولم تكن قرينة تبين المعنى، والإهمال أكثر، كما سبق أن ذكرنا.

(٣) قوله: (التسع). كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١]، وهي: اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنون ونقص الثمرات. وهي التي وجدت في عهد فرعون قبل هلاكه، وأما المن والسلوى وانفجار العين ونحو ذلك فكانت مع بني إسرائيل في التيه بعد هلاك فرعون، وهٰهنا المراد هي التسع لقوله: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾.

(٤) قوله: (من إهلاكهم) بيان للعاقبة.

(٥) قوله: (وفي قراءة بتشديد الياء): أي: ﴿عَلَيَّ﴾ بياء المتكلم المجرور بـ«على»، وهي قراءة نافع، وقرأ الباقون: ﴿عَلَىٰٓ﴾ حرف جر. ووجههما كما قال المفسر. فعلى قراءة الجمهور: ﴿حَقِيقٌ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: أنا، و﴿عَلَىٰٓ﴾ بمعنى الباء: والمعنى: أنا حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق. =

بعده. ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ﴾ إلى الشام ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ وكان استعبدهم[(١)].

﴿١٠٦﴾- ﴿قَالَ﴾ فرعون له ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ على دعواك ﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ فيها.

﴿١٠٧﴾- ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ حية عظيمة[(٢)].

﴿١٠٨﴾- ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ أخرجها من جيبه[(٣)] ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ ذات شعاع[(٤)]

= وعلى قراءة نافع: ﴿عَلَيَّ﴾: الجار والمجرور متعلق بـ﴿حَقِيقٌ﴾ وهو خبر مقدم. والمبتدأ المؤخر: المصدر المؤول من ﴿أَن﴾ وما دخلت عليه. والتقدير: عدم قولي على الله غير الحق حقيق عليّ.

أو ﴿حَقِيقٌ﴾ مبتدأ و ﴿أَن﴾ وما بعدها خبر، كما ذكر المفسر، فالمعنى: الأمر الحقيق عليّ عدم القول على الله غير الحق.اهـ. والله أعلم.

(١) قوله: (وكان استعبدهم). أي: كان فرعون استعبد بني إسرائيل، أي: اتخذهم عبيدًا مقهورين.

(٢) قوله: (حية عظيمة). روى ابن جرير عن ابن عباس: «الثعبان: الحية الذَكَر»، وروى عنه أيضًا: قال: «ألقى عصاه، فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها، مسرعة إلى فرعون، فلما رأى فرعون أنها قاصدة إليه، اقتحم عن سريره، فاستغاث بموسى أن يكفها عنه، ففعل».اهـ.

فائدة: وصفت الحية هنا بأنها ثعبان مبين، وفي آية أخرى: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ١٠]، والجان: الحية الصغيرة. ووجه الجمع: أنها كانت في العظم كالثعبان وفي السرعة كالحية الصغيرة. أفاده الصاوي وغيره.

(٣) قوله: (أخرجها من جيبه)، الجيب: طوق القميص الذي يدخل فيه الرأس عند اللبس.

(٤) قوله: (ذات شعاع): أفاد أن المراد بالبيضاء: بياض الشعاع، وليس البرص. كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [طه: ٢٢]. وقد فسر ابن عباس هنا: «من غير برص».

﴿لِلنَّٰظِرِينَ ١٠٨﴾ خلاف ما كانت عليه من الأُدمة[١].

١٠٩- ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ١٠٩﴾ فائق في علم السحر. وفي «الشعراء»[٢]: أنه من قول فرعون نفسه، فكأنهم[٣] قالوه معه على سبيل التشاور.

١١٠- ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ١١٠﴾.

١١١- ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أخّر[٤] أمرهما ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١﴾ جامعين.

---

(١) قوله: (الأدمة): وهي لون السمرة: كلون التراب.

(٢) قوله: (وفي «الشعراء»): أي سورة الشعراء، حيث قال: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾ [٣٤].

(٣) قوله: (فكأنهم...) أي هذا الجمع بين ما هنا وبين ما في آية «الشعراء». وأشار إلى هذا الجمع ابن كثير وغيره.

(٤) قوله: (أخّر» تفسير ﴿أَرْجِهْ﴾. والهاء: الضمير الراجع إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. و﴿أَخَاهُ﴾ معطوف على هذا الضمير. وفي ﴿أَرْجِهْ﴾ ست قراءات:

١- ﴿أرْجِهِ﴾: بالاختلاس: قالون.

٢- ﴿أرْجِهِ﴾: بكسر الهاء مع الإشباع: ورش والكسائي.

٣- ﴿أرْجِئْهُ﴾: بالهمزة وإشباع ضم الهاء: ابن كثير.

٤- ﴿أرْجِئْهُ﴾: بالهمزة والاختلاس: أبو عمرو ويعقوب.

٥- ﴿أرْجِئهِ﴾ بالهمزة واختلاس الكسرة: ابن ذكوان.

٦- ﴿أَرْجِهْ﴾: بدون الهمزة وإسكان الهاء: الباقون.

وحذف الهمزة هنا للتخفيف، لأن الفعل مهموز أصله: أرجأ، فقلبت الهمزة ألفًا: فصار أرْجَى يُرجِي، كالفعل المعتل الآخر، وهو جائز، فبني الأمر على حذف الياء؛ لأن الأمر يُبني كما يجزم مضارعه.

﴿١١٢﴾- ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾ وفي قراءة: «سَحَّارٍ»[1]، ﴿عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ يفضل موسى في علم السحر. فجُمِعوا.

﴿١١٣﴾- ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ أَإِن﴾[2] بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين. ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾﴾.

﴿١١٤﴾- ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

﴿١١٥﴾- ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ﴾ عصاك ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ ما معنا.

﴿١١٦﴾- ﴿قَالَ أَلْقُواْ﴾ أمر للإذن[3] بتقديم إلقائهم توسلًا به إلى إظهار الحق

---

(١) قوله: (وفي قراءة: ﴿سَحَّارٍ﴾) أي بصيغة المبالغة: وهي قراءة حمزة، والكسائي، وخلف. و﴿سَٰحِرٍ﴾: بصيغة اسم الفاعل: قراءة الباقين.

(٢) قوله: (بتحقيق...) مجموع القراءات خمس: «إنّ» بحذف همزة الاستفهام: قراءة نافع، وابن كثير، وحفص، وأبي جعفر. و﴿أَإِنَّ﴾: بإثباتها: قراءة الباقين.

ثم في ذلك أربع قراءات:

١- ﴿أَإِنَّ﴾: بتحقيق الهمزتين، بدون ألف بينهما.

٢- ﴿آإِنَّ﴾: بتحقيقهما مع الألف بينهما.

٣- ﴿اإِن﴾: بتسهيل الثانية بدون ألف بينهما.

٤- ﴿أَإِنْ﴾: بتسهيلها مع ألف بينهما. كما تقدم في الآية (٨١).

(٣) قوله: (أمر للإذن). أي: ألقوا أمر من موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للإذن بإلقائهم، حتى يرى الناس صنيعهم، فإذا فرغوا جاء الحق وظهر على ما فعلوا. وهذه حكمة الإذن ببدئهم. كما قال المفسر، وأشار إليه ابن كثير وغيره.

﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ﴾ حبالهم وعصيهم(١) ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ صرفوها عن حقيقة إدراكها(٢) ﴿وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ﴾ خوفوهم حيث خيلوها حيات تسعى ﴿وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ ١١٦﴾.

١١٧- ﴿۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين(٣) في الأصل: تبتلع(٤) ﴿مَا يَأۡفِكُونَ ١١٧﴾ يقلبون بتمويههم.

---

(١) قوله: (وعصيهم). عصي: جمع عصًا، وكان أصله: عصُوو على وزن فُعُول، قلبت الواو لتطرفها ياءً، فصار عصُوي، فلما اجتمعت الواو والياء وأولاهما ساكنة قلبت الواو ياءً، وأدغمت فيها ثم كسرت فاء الكلمة «العين» فصار: عِصِيّ.

(٢) قوله: (صرفوها عن حقيقة إدراكها). كما قال ابن كثير: «أي: خيلوا إلى الأبصار أن ما فعلوه له حقيقة في الخارج، ولم يكنْ إلا مجرد صنعة وخيال».اهـ. أي: فكان سحرهم من باب التخييل، لا حقيقة لها. ويسمى: خطف العين، وكما قال محمد بن إسحٰق: «...فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون، ثم أبصار الناس بعد، ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من الحبال والعصي، فإذا حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضه بعضًا».اهـ.
قال السدي: «كانوا بضعة وثلاثين ألف رجل، ليس رجل منهم إلا ومعه حبل وعصا».
ونقل ابن جرير: «أنهم كانوا سبعين ألف رجل».

(٣) قوله: (بحذف إحدى التاءين). هذا على قراءة ﴿تَلَقَّفُ﴾: بتشديد القاف: وهي قراءة الجمهور وأصله: تتلقّفُ، حذفت إحدى التاءين، وقرأ حفص: ﴿تَلۡقَفُ﴾: بسكون اللام وتخفيف القاف، من الثلاثي.

(٤) قوله: (تبتلع). تفسير لـ﴿تَلۡقَفُ﴾. وقال ابن كثير: «تأكل». وهما متقاربان. قال ابن عباس: «فجعلت لا تمر بشيء من حبالهم ولا من خشبهم إلا التقمه، فعرفت السحرة أن هذا أمر من السماء، وليس هذا بسحر، فخرّوا سجدًا، وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢﴾ [الأعراف: ١٢١-١٢٢]».اهـ.

﴿١١٨﴾ - ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ ﴾ ثبت وظهر ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ من السحر.

﴿١١٩﴾ - ﴿ فَغُلِبُوا۟ ﴾ أي: فرعون وقومه ﴿هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ ذليلين.

﴿١٢٠﴾ - ﴿ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

﴿١٢١﴾ - ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾﴾.

﴿١٢٢﴾ - ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ لعلمهم أن ما[١] شاهدوْا من العصا لا يأتي بالسحر.

﴿١٢٣﴾ - ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم ﴾ بتحقيق الهمزتين[٢] وإبدال الثانية ألفًا[٣] ﴿بِهِۦ﴾ بموسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أنا[٤] ﴿لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي صنعتموه ﴿لَمَكْرٌ

---

(١) قوله: (لعلمهم أن ما...). كما تقدم عن ابن عباس.

(٢) قوله: (بتحقيق الهمزتين). وهما همزة الاستفهام وهمزة «آمنتم» وهي الهمزة الزائدة.

(٣) وقوله: (وإبدال الثانية ألفًا). المراد بالثانية: الهمزة الثانية في الفعل وهي فاء الكلمة؛ لأن أصل آمن: أأْمنَ، فقلبت الثانية ألفًا وجوبًا، وعلى هذا يكون ما قال المفسر قراءةً واحدةً كما نبه عليه الصاوي وغيره. وهي قراءة شعبة، وروح، وحمزة، والكسائي، وخلف. وقرأ حفص، ورويس: بحذف همزة الاستفهام: ﴿ءَامَنتُم﴾.

ونقل د. فخرالدين قباوة: أن المراد بالثانية في قول المفسر هي همزة ﴿ءَامَنتُم﴾، أي: الهمزة الزائدة في الفعل. فتكون القراءة بهمزة الاستفهام ومدة طويلة بقدر ألفين؛ لأن المدة مبدلة من همزتين. وقال: «هذه قراءة نافع، وأبي عمرو، وابن عامر، والبزي». فعلى هذا يكون قول المفسر: (وإبدال الثانية ألفًا) بيان قراءة أخرى، والمذكور في كتب القراءات: أنها بتسهيل الثانية مع تحقيق الأولى عند الجمهور منهم: ابن عامر، ونافع، وأبو عمرو. والله أعلم.

(٤) قوله: (أنا). قدره ليفيد أن ﴿ءَاذَنَ﴾ فعل مضارع بصيغة المتكلم من الإذن، وأصله: أأْذَن، قلبت الثانية ألفًا، وليس فعلًا ماضيًا من الإيذان.

مَّكَرْتُمُوهُ(١) فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ ما ينالكم مني.

﴿١٢٤﴾- ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾ أي يد كل واحد اليمنى(٢) ورجله اليسرى ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾.

﴿١٢٥﴾- ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ راجعون في الآخرة.

﴿١٢٦﴾- ﴿ وَمَا تَنقِمُ ﴾ تنكر ﴿مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ عند فعل ما توعدنا به(٣) بنا لئلا نرجع كفارًا ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾.

---

(١) قوله: ﴿لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ...﴾. قال ابن كثير: «كان هذا تدليسًا وتسترًا على رعية دولته وجهلتهم؛ لأن فرعون نفسه يعلم ويعلم كل واحد أن موسى لا يعرف أحدًا من السحرة ولا يعرفونه، وقد أظهر هذه المعجزة عند أول لقائه بفرعون».اهـ. ملخصًا.

وروى ابن جرير عن ابن عباس، وابن مسعود، وعدة من الصحابة: «التقى موسى وأمير السحرة فقال له موسى: أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بي وتشهد أن ما جئت به حق؟ قال الساحر: لآتين غدًا بسحر لا يغلبه سحر، فوالله لئن غلبتني لأومنن بك، ولأشهدن أنك حق... وفرعون ينظر إليهما. قالوا: فلهذه قال ما قال».اهـ.

(٢) قوله: (أي: يد كل واحد اليمنى...). كذا قاله ابن كثير وغيره. وروى عن ابن عباس: «وكان أول من صلب وأول من قطع الأيدي والأرجل: فرعون».اهـ.

(٣) قوله: (عند فعل ما توعدنا به). فيه إشارة إلى أن فرعون فعل بهم ما توعدهم به، كما روى عن ابن عباس، وقتادة، وابن جريج وغيرهم: «كانوا في أول النهار سحرة، وفي آخره شهداء» كما في ابن كثير. وحكى البيضاوي -من غير عزوٍ- أن فرعون لَمْ يقدر على ذلك، لقوله تعالى: ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [القصص: ٣٥]. وحكى القرطبي كذلك: «أنه آمن بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عند إيمان السحرة: ستمائة ألف. والله أعلم». وروى ذلك ابن جرير عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «ستمائة ألف من بني إسرائيل».اهـ.

﴿١٢٧﴾ - ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ له[١] ﴿أَتَذَرُ﴾ تترك ﴿مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالدعاء إلى مخالفتك ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ وكان صنع لهم[٢] أصنامًا صغارًا يعبدونها وقال: أنا ربكم وربها، ولذا قال: «أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾» [النازعات: ٢٤]، ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ﴾ بالتشديد والتخفيف[٣] ﴿أَبْنَآءَهُمْ﴾ المولودين ﴿وَنَسْتَحْىِۦ﴾ نستبقي ﴿نِسَآءَهُمْ﴾ كفعلنا بهم من قبل[٤] ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ قادرون، ففعلوا بهم ذلك[٥]، فشكا بنو إسرائيل[٦].

---

(١) قوله: (له). أي: لفرعون.

(٢) قوله: (وكان صنع لهم...). كذا نقله القرطبي عن الزجاج، قال: كان لهم أصنام صغار يعبدها قومه تقربًا إليه، فنسبت إليه؛ ولهذا قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾.اهـ.
ونقل عن الحسن: «أن فرعون كان يعبد الأصنام، فكان يَعبد ويُعبد».
وعن ابن عباس: «أن فرعون كان يُعبد ولا يعبد»، وعلى هذا كان ابن عباس يقرأ: ﴿وإِلَٰهَتِكَ﴾ أي: عبادتك، أي: عبادة الناس لك. كما ذكره ابن جرير.

(٣) قوله: (بالتشديد والتخفيف). قراءتان: ﴿سَنَقْتُلُ﴾: بتخفيف التاء، من الثلاثي المجرد: قراءة نافع، وابن كثير، وأبي جعفر. و﴿سَنُقَتِّلُ﴾: بتشديد التاء، مضارع قتَّل الثلاثي المزيد: قراءة الباقين. والتشديد يفيد المبالغة.

(٤) قوله: (كفعلنا بهم من قبل). أي: قبل ولادة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٥) قوله: (ففعلوا بهم ذلك). كذا ذكره ابن كثير، حيث قال: وهذا أمر ثانٍ بهذا الصنيع، وقد كان نكل بهم قبل ولادة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ».اهـ.
وقال أيضًا: «فكان خلاف ما رامه وضد ما قصده فرعون، إنما أراد قهر بني إسرائيل وإذلالهم فجاء الأمر على خلاف ما أراد: نصرهم الله عليه، وأذلّه، وأرغم أنفه، وأغرقه وجنوده».اهـ.

(٦) قوله: (فشكا بنو إسرائيل). مرتبط بما بعده، وتعليل لذلك.

(١٢٧) - ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ على أذاهم ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا﴾ يعطيها[١] ﴿مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨)﴾ الله.

(١٢٩) - ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩)﴾ فيها.

(١٣٠) - ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ بالقحط[٢] ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ[٣] لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠)﴾ يتعظون فيؤمنوا.

(١٣١) - ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ الخصب والغنى ﴿قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ﴾ أي: نستحقها، ولم يشكروا عليها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جدب وبلاء ﴿يَطَّيَّرُوا﴾ يتشاءموا[٤]

---

(١) قوله: (يعطيها). تفسير لـ﴿يُورِثُهَا﴾. أفاد به أن الإرث هنا بالمعنى اللغوي، وليس بمعنى انتقال المال إلى أقارب الميت الذي هو المعنى الفقهي. وذلك واضح.

(٢) قوله: (بالقحط). قال ابن كثير: «أي: سني الجوع بسبب قلة الزروع». وبنحوه روى ابن جرير عن ابن مسعود قال: «سني الجوع».

(٣) قوله تعالى: ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾. روى ابن جرير عن رجاء بن حيوة: «حيث لا تحمل النخلة إلا تمرة واحدة».اهـ.

(٤) قوله: (يتشاءموا...). كذا روي عن مجاهد، وابن زيد، أي يقولون: ما أصابنا هذا إلا بشؤم هؤلاء. وأصل التطير من زجر الطير، وكانت العرب تتيمن وتتشاءم به، كما في القرطبي، قال: «كانت العرب تتيمن بالسانح: وهو الذي يأتي من ناحية اليمين، وتتشاءم بالبارح، وهو الذي يأتي من ناحية الشمال».اهـ. وفي «الصحيحين» عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل**»، قالوا: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الطيبة**». [البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤)].

﴿بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ﴾ شؤمهم[(١)] ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ يأتيهم به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ أنّ ما يصيبهم من عنده.

﴿١٣٢﴾- ﴿وَقَالُواْ﴾ لموسى ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا[(٢)] بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ فدعا عليهم[(٣)].

﴿١٣٣﴾- ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ وهو ماء[(٤)] دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق

---

(١) قوله: (شؤمهم). وبنحوه فسر ابن عباس قال: «مصائبهم عند الله». وفي رواية عنه: قال: «الأمر من قِبَل الله».اهـ. فيشمل الخير والشر.

(٢) قوله تعالى: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا﴾. أي: أيّ آية جئتنا بها لتسحرنا أي: لتلفتنا بها عما نحن عليه؛ فما نحن لك بمؤمنين. كما في ابن جرير.

و﴿مَهْمَا﴾ اسم شرط جازم مبتدأ، ويدل على أنه اسم: عود الضمير إليه في ﴿بِهِۦ﴾.

و«تأت» فعل الشرط مجزوم، وفاعله ضمير مستتر، والجملة في محل رفع خبر.

و﴿مِنْ ءَايَةٍ﴾ الجار والمجرور بيان لـ﴿مَهْمَا﴾. وجواب الشرط: جملة ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ فهي في محل جزم.

(٣) وقوله: (فدعا عليهم). دخول إلى الآية التالية، وأفاد أن الفاء في ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾ عاطفة على محذوف قدره المفسر.

(٤) قوله: (وهو ماء...) وبنحو ما قاله المفسر قال السدي فيما عزاه إليه القرطبي، قال: «ولم يصب بني إسرائيل قطرة ماء، بل دخل بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم ودام عليهم سبعة أيام».

وتفسير ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾ بالماء والغرق: ورد عن ابن عباس وغيره.

وقال مجاهد: «الطوفان: الماء، والطاعون على كل حال». وعنه: «الموت»، وقال النحاس: «الطوفان في اللغة: ما كان مهلكًا من موت أو سبيل».اهـ. نقله القرطبي. =

الجالسين سبعة أيام ﴿وَٱلْجَرَادَ﴾[١] فأكل زرعهم وثمارهم كذلك ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ السوسُ[٢] أو نوع من القراد، فتتبع ما تركه الجراد ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ فملأت بيوتهم

= وعن ابن عباس: «كان أول الآيات: الطوفان».اهـ. أي بعد واقعة السحرة. فإن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين عامًا، وقيل: أربعين عامًا. ووقعت هذه الآيات المذكورة في تلك المدة. نقله القرطبي.

(١) قوله: ﴿وَٱلْجَرَادَ﴾، وهو معروف مشهور يحلّ أكله، لما في «الصحيحين»: عن عبدالله بن أوفى: «غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد»، وكان رسول الله ﷺ يعافه، فلا يأكله. روى أبو داود عن سلمان قال: سئل رسول الله ﷺ عن الجراد فقال: «**أكثر جنود الله لا آكله ولا أحرّمه**» [٣٨١٣].اهـ.

(٢) قوله: (السوس): ذكر المفسر تفسيرين للقمل: الأول: أنه السوس، روي ذلك عن ابن عباس، قال: «هو السوس الذي يخرج من الحنطة». الثاني: أنه من نوع من القراد كما قاله أبو عبيدة فيما نقله القرطبي. روي مثله عن ابن عباس أيضًا وعن قتادة والسدي وغيرهم: «القُمل: الدُبى، وهو صغار الجراد الذي لا أجنحة له». وعن الحسن وابن جبير: «القمل: دواب صغار سود».اهـ. وأما الضفادع فجمع ضفدع على وزن دِرْهم وزِبْرِج، وهو الحيوان المعروف، لا يحل أكله ولا قتله لصحة النهي عن قتله.

وقد روى ابن جرير عن أئمة التفسير تفاصيل ما ذكر الله في هذه الآية من الآيات التي ابتلي بها قوم فرعون، ومما روى عن قتادة، قال: «أرسل الله عليهم الماء حتى قاموا فيه قيامًا، ثم كشف عنهم -أي بدعاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ- فلم يؤمنوا، وأخصبت بلادهم خصبًا لم تخصب مثله، فأرسل الله عليه الجراد فأكله إلا قليلًا، فلم يؤمنوا أيضًا، فأرسل الله القمّل وهي الدُبَى، وهو أولاد الجراد، فأكلت ما بقي من زروعهم، فلم يؤمنوا». وفيما روي عن السدي: «وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه، وكان يمتلئ طعامهم...»، فأرسل الله عليهم الضفادع، فدخلت عليهم بيوتهم، ووقعت في آنيتهم وفرشهم، فلم يؤمنوا، ثم أرسل الله عليهم الدم، فكان أحدهم إذا أراد أن يشرب تحول ذلك الماء دمًا، قال تعالى: ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾».اهـ.

وطعامهم ﴿وَٱلدَّمَ﴾ في مياههم ﴿ءَايَٰتٍ[١] مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ مبينات ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُواْ قَوۡمًا مُّجۡرِمِينَ ١٣٣﴾.

١٣٤- ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ﴾ العذاب[٢] ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿لَئِن﴾ لام قسم ﴿كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٣٤﴾.

١٣٥- ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ١٣٥﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم.

١٣٦- ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ البحر المِلْح ﴿بِأَنَّهُمۡ﴾ بسبب أنهم ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٣٦﴾ لا يتدبرونها.

١٣٧- ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ﴾ بالاستعباد[٣]، وهم بنو

(١) قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتٍ﴾ حال من الأمور الخمسة المذكورة. و﴿مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ نعت.

(٢) قوله: (العذاب) أي: من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، فكانوا كلما يأتيهم العذاب التجأوا إلى موسى وطلبوه الدعاء لهم لكشف ما هم فيه، فيدعو موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فيكشف عنهم، ثم مع هذه النعمة العظيمة يصرون على كفرهم وعداوتهم لموسى والمؤمنين، كما يعلم ذلك مما رواه ابن جرير عن السدي، وسعيد بن جبير وقتادة، وابن عباس وغيرهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وكما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ﴾ الآية».

روى ابن جرير عن ابن زيد: «الرجز: العذاب الذي سلطه الله عليهم من الجراد والقمل وغير ذلك، وكل ذلك يعاهدونه ثم ينكثون».اهـ. وروى عن السدي وغيره: «أن الرجز هنا: طاعون أصابهم بعد تلك الآيات الخمس»؛ فهذا قول آخر.

(٣) قوله: (بالاستعباد). أي: اتخاذهم عبيدًا مقهورين.

إسرائيل ﴿مَشَـٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ[(١)] وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَـٰرَكۡنَا فِيهَاۖ﴾ بالماء والشجر[(٢)]، صفة للأرض، وهي الشام[(٣)] ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ وهي قوله: « وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ...»[(٤)] إلى آخره [القصص: ٥]، ﴿عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ﴾ على أذى عدوهم ﴿وَدَمَّرۡنَا﴾ أهلكنا ﴿مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ﴾ من العمارة[(٥)] ﴿وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧﴾ بكسر الراء وضمها[(٦)]: يرفعون من البنيان[(٧)].

١٣٨- ﴿وَجَٰوَزۡنَا﴾ عبرنا ﴿بِبَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ﴾ مرّوا[(٨)] ﴿عَلَىٰ قَوۡمٖ

---

(١) وقوله تعالى: ﴿مَشَـٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ﴾. مفعول ثانٍ لـ﴿أَوۡرَثۡنَا﴾ وليس ظرفًا لـ﴿يُسۡتَضۡعَفُونَ﴾؛ لأنهم كانوا يستضعفون في مصر فقط حيث كان مقرهم.

(٢) قوله: (بالماء والشجر). متعلق بـ﴿بَـٰرَكۡنَا﴾.

(٣) قوله: (وهي الشام). أي: الأرض التي باركنا فيها بالماء والشجر المراد بها: الشام، كما قال ابن كثير وغيره؛ لأنه تعالى أورثهم الشام، وكان ذلك بعد فترة مكثهم في التيه بعد هلاك فرعون، وبعد وفاة موسى وهارون، دخلها بهم النبي يوشع عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، كما تقدم في سورة البقرة.

(٤) قوله: (وهي قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ ...﴾). هكذا قال مجاهد، وابن جرير، ونقله ابن كثير.

(٥) قوله: (من العمارة). قال ابن كثير: «من العمارات والمزارع».اهـ.

(٦) قوله: (بكسر الراء وضمها). قراءتان: بضم الراء: ﴿يَعۡرُشُونَ﴾: قراءة ابن عامر، وشعبة. وبكسرها: ﴿يَعۡرِشُونَ﴾: قراءة الباقين.

(٧) قوله: (يرفعون من البنيان) كذا فسره ابن عباس.

(٨) قوله: (مرّوا). هكذا فسر ابن كثير وغيره، أفاد به أن بني إسرائيل مرّوا بأولئك القوم في مسيرهم مع موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وليس المراد أنهم أتوا إليهم عن قصد.

﴿يَعۡكُفُونَ﴾ بضم الكاف وكسرها(١) ﴿عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾ يقيمون على عبادتها ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ صنمًا نعبده ﴿كَمَا لَهُمۡ(٢) ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾ حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه.

١٣٩- ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ﴾ هالك(٣) ﴿مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩﴾.

١٤٠- ﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا﴾ معبودًا، وأصله: أبغي لكم(٤) ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠﴾ في زمانكم(٥) بما ذكره في قوله:

١٤١- ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم﴾، وفي قراءة: «أَنجَىٰكُم»(٦)، ﴿مِّنۡ ءَالِ

---

(١) قوله: (بضم الكاف وكسرها). قراءتان: بكسر الكاف: ﴿يَعۡكِفُونَ﴾: قراءة حمزة والكسائي وخلف. وبضمها: ﴿يَعۡكُفُونَ﴾: قراءة الباقين. وهما لغتان، بمعنًى واحد. نقل ابن جرير عن قتادة: «هؤلاء القوم كانوا من لخم، وقيل: من الكنعانيين، أي الذين أمر بنو إسرائيل بقتالهم». ونقل عن ابن جريج: «أن أصنامهم كانت تماثيل بقر، فلما كان عجل السامري شبه لهم أنه من تلك البقر، فذلك كان أول شأن العجل».اهـ.

(٢) قوله تعالى: ﴿كَمَا لَهُمۡ﴾. «مَا» هنا كافة للكاف عن عمل الجرّ، أفاده البيضاوي. والكاف للتنظير.

(٣) قوله: (هالك). تفسير للمراد بـ﴿مُتَبَّرٞ﴾. وهو بتشديد الباء، اسم مفعول من تَبَّرَ: بمعنى أهلك، فمعناه: مُهْلَك، كما قاله السدي. ويكون قوله: ﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩﴾ توكيدًا لما قبله، كما ذكره ابن جرير عن ابن زيد.

(٤) قوله: (وأصله: أبغي لكم). أي: فالضمير المتصل منصوب أي في محل نصب على نزع الخافض.

(٥) قوله: (في زمانكم). أفاد أن «أل» في ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ عهدية؛ لأنهم مفضلون على عالمي زمانهم فقط لا مطلقًا، كما هو معلوم.

(٦) قوله: (وفي قراءة: ﴿أَنجَىٰكُم﴾). أي: بصيغة الغائب، وهي قراءة ابن عامر. وقرأ الباقون: ﴿أَنجَيۡنَٰكُم﴾ بصيغة التكلم.

تنبيه: يفيد كلام المفسر أن هذا خطاب من الله ليهود المدينة، فيكون كلامًا مستقلًا. =

فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ﴾ يكلفونكم ويذيقونكم ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ أشده، وهو[١]: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم﴾ الإنجاء أو العذاب ﴿بَلَآءٞ﴾ إنعام أو ابتلاء ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ١٤١﴾ أفلا تتعظون، فتنتهون عما قلتم.

١٤٢- ﴿۞ وَوَٰعَدۡنَا﴾ بألف ودونها[٢] ﴿مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ﴾ نكلمه عند انتهائها، بأن يصومها وهي ذو القعدة[٣]، فصامها، فلما تمت أنكر خلوف[٤] فمه، فاستاك، فأمره الله بعشرة أخرى ليكلمه بخلوف فمه، قال تعالى: ﴿وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾ من ذي الحجة ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ وقت وعده بكلامه إياه ﴿أَرۡبَعِينَ﴾

= والله أعلم. وعليه فسر ابن جرير، ونقله القرطبي وجهًا، وفسر على أنه من تذكير موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إياهم بتلك النعم، فيكون من مقول موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

(١) قوله: (وهو). أشار به إلى أن الجملة التالية ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ بيان لـ﴿يَسُومُونَكُمۡ﴾، ولذا ترك العطف بينهما.

(٢) قوله: (بألف ودونها). قراءتان: بدون ألف: ﴿وَوَعَدۡنَا﴾: قراءة أبي عمرو، وأبي جعفر، ويعقوب. وبالألف: ﴿وَوَٰعَدۡنَا﴾ من المواعدة: قراءة الباقين. ومعناهما متقارب.

(٣) قوله: (وهي ذو القعدة). رواه ابن جرير عن مجاهد بطرق متعددة: قال: «هو ذو القعدة وعشر من ذي الحجة فذلك قوله: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾».اهـ. وعزاه القرطبي إلى ابن عباس، ومجاهد، ومسروق: «هي ذو القعدة وعشر من ذي الحجة، أمره أن يصوم الشهر وينفرد فيه بالعبادة، فلما صامه أنكر خلوف فمه، فاستاك، قيل: بعود خرنوب، فقالت الملائكة: إنا كنا نستنشق من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك، فزيد عليه عشر ليالٍ من ذي الحجة».اهـ.

(٤) قوله: (خلوف) بضم الخاء: رائحة الفم عند خلو المعدة من الطعام. وهذا يكون بعد نصف النهار عادة، وهي أطيب عند الله من ريح المسك، كما ورد في «الصحيح». ولذا كره الفقهاء -الشافعية والحنابلة- السواك للصائم بعد الزوال.

حال[١] ﴿لَيۡلَةٗۚ﴾ تمييز ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾ عند ذهابه إلى الجبل للمناجاة ﴿ٱخۡلُفۡنِي﴾ كن خليفتي ﴿فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ﴾ أمرهم ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾ بموافقتهم على المعاصي.

١٤٣- ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ أي للوقت الذي وعدناه بالكلام فيه ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ بلا واسطة[٢] كلامًا سمعه من كل جهة[٣] ﴿قَالَ رَبِّ

---

(١) قوله: (حال). أي: اسم العدد ﴿أَرۡبَعِينَ﴾ هنا منصوب على أنه حال من الميقات. و﴿لَيۡلَةٗ﴾ تمييز منصوب؛ لأن اسم العدد من أحد عشر إلى تسع وتسعين، يذكر المعدود بعده تمييزًا منصوبًا. واسم العدد مطلقًا يختلف إعرابه حسب موقعه، فيقع مبتدأ وخبرًا ومفعولًا به ومفعولًا مطلقًا وظرفًا وحالًا... ومجرورًا بحرف أو إضافة وغير ذلك، وقد بينا ذلك في رسالة «إحكام العدد».

فائدة: قال القرطبي: «﴿ٱخۡلُفۡنِي﴾ أي: كن خليفتي، وفي «صحيح مسلم» عن سعد بن أبي وقاص قال: سمعت رسول الله ﷺ لعلٍّ حين خلفه في بعض مغازيه: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**».اهـ. فتمسك بهذا الرافضة والشيعة على استخلاف علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، ولم يعلموا أن هذا استخلاف في الحياة، كالوكالة التي تنقضي بعزل الموكل أو موته، وقد استخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم وغيره أيضًا، ثم إن هارون كان شُرِّك مع موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في أصل الرسالة، بخلاف علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وعلى كل حال لا حجة لهم في ذلك الحديث».اهـ. ملخصًا. وقد تقدم ذكر شيء من التفصيل في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾ [٥١].

(٢) قوله: (بلا واسطة). أي بين موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وبين ربه، من ملك أو غيره، بل سمع كلامه تعالى مباشرة، وفيه إثبات صفة الكلام لله تعالى وأنه مسموع. خلافًا للجهمية النافين صفاته تعالى.

(٣) وقوله: (من كل جهة). لعل المراد به تنزيه كلامه تعالى عن مشابهة كلام الخلق الذي يسمع من جهة معينة. كما أشار إليه البيضاوي وغيره، والله أعلم.

﴿أَرِنِيٓ﴾[١] نفسك[٢] ﴿أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ أي: لا تقدر على رؤيتي[٣]، والتعبير به[٤] دون «لن أُرى» يفيد إمكان رؤيته تعالى[٥]، ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ الذي هو أقوى منك ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ﴾ ثبت ﴿مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ أي: تثبت لرؤيتي، وإلا فلا طاقة لك ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾ أي: ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر، كما في حديث[٦] صححه الحاكم ﴿لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾

---

(١) قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ ...﴾. روى ابن جرير عن السدي وغيره: «لما كلمه ربه أحب أن ينظر إليه».اهـ. أي: اشتاق لرؤيته، فهذا سبب سؤاله الرؤية.

(٢) قوله: (نفسك). قدره ليكون مفعولًا ثانيًا لـ﴿أَرِنِيٓ﴾ البصرية، والمفعول الأول: ياء المتكلم. وفي حذفه وذكر ﴿أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ بعده إجمال ثم تفصيل، وهو من أساليب البلاغة.

(٣) قوله: (أي: لا تقدر على رؤيتي). يعني في الدنيا، لتواتر الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة، كما أفاده ابن كثير.

(٤) قوله: (والتعبير به). أي: بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾.

(٥) قوله: (يفيد إمكان رؤيته تعالى). وكذلك يفيده سؤال موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الرؤية؛ لأنه يستحيل على الأنبياء سؤال المستحيل، وبالخصوص فيما يتعلق بالله تعالى، أفاده البيضاوي. وكذا في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ دليل على جواز الرؤية؛ لأن المعلق على أمرٍ ممكنٍ يكون ممكنًا. أفاده البيضاوي أيضًا. ومعلوم أن المعتزلة ينكرون رؤيته تعالى في الآخرة.

(٦) قوله: (كما في حديث...). وهذا الحديث رواه أحمد، والترمذي أيضًا عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ قال: «**قال هكذا، يعني أنه أخرج طرف الخنصر**».اهـ. وقال السدي عن عكرمة عن ابن عباس، قال: «ما تجلى منه إلا قدر الخنصر».اهـ.

بالقصر والمدّ[(١)]، أي: مدكوكًا مستويًا بالأرض ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ مغشيًا عليه[(٢)] لهول ما رأى ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ﴾ تنزيهًا لك ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ بسؤال ما لم أومر به ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ في زماني[(٣)].

١٤٤- ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أهل زمانك[(٤)] ﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾ بالجمع والإفراد[(٥)] ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ أي: تكليمي[(٦)] إياك ﴿فَخُذۡ

---

(١) قوله: (بالقصر والمدّ). قراءتان: بالمد ﴿دَكَّآءَ﴾ قراءة حمزة، والكسائي، وخلف، وهو وصف منع من الصرف لوجود ألف التأنيث والمعنى: أرضًا دكاءَ، أي: مستوية. وبالقصر: ﴿دَكّٗا﴾: قراءة الباقين. وهو مصدر بمعنى اسم المفعول كما قدره المفسر.

(٢) قوله: (مغشيًا عليه). هكذا فسره ابن عباس، ويدل عليه: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾. والإفاقة تكون بعد الغشي، وروى ابن جرير عن قتادة، وابن جريج: «﴿صَعِقًا﴾: ميّتًا».

(٣) قوله: (في زماني). أي: من بني إسرائيل، وهكذا روي عن ابن عباس، ومجاهد، واختاره ابن جرير، وفي رواية عن ابن عباس: «أنا أول المؤمنين بأنه لا يراك شيء من خلقك أي في الدنيا».

(٤) قوله: (أهل زمانك). وهكذا قدره ابن كثير وغيره، فيكون «أل» في ﴿ٱلنَّاسِ﴾ عهدية. وذلك لأن نبينا محمدًا ﷺ أفضل الخلق وسيد ولد آدم من الأولين والآخرين، ثم إبراهيم الخليل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ثم موسى الكليم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. ذكره ابن كثير. وأيضًا قد كلم الله الملائكة، وأرسل غير موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. كما قاله القرطبي.

(٥) قوله: (بالجمع والإفراد). قراءتان: بالإفراد: ﴿بِرِسَٰلَتِي﴾: قراءة نافع وابن كثير وأبي جعفر وروح، وبالجمع: ﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾: قراءة الباقين.

(٦) قوله: (تكليمي). أفاد به أن الكلام هنا اسم مصدر لـ«كلَّم». واسم المصدر ما دل على حدث مع نقصان حروفه عن حروف الفعل، نحو: توضأ وضوءً، كلَّم كلامًا. وقد فصلنا الفرق بينه وبين المصدر في كتاب «الثلاثيات» و«الثنائيات».

مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ من الفضل ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ لأنعمي.

﴿١٤٥﴾- ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ﴾ أي ألواح التوراة[1]، وكانت من سدر الجنة[2] أو زَبَرْجد أو زُمرُّد، سبعة أو عشرة[3] ﴿مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يحتاج إليه في الدين[4] ﴿مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا﴾ تبيينًا ﴿لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ بدل من الجار والمجرور[5]

---

(١) قوله: (أي: ألواح التوراة). كذا قاله القرطبي وغيره، وقال ابن كثير: «وكانت هذه الألواح مشتملة على التوراة».

وقيل: الألواح أعطيها موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قبل التوراة. اهـ.

(٢) قوله: (وكانت من سدر الجنة). السدر نوع من الشجر، وهذا الرأي رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ، وابن مردويه عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده مرفوعًا. نقله الشوكاني في «فتح القدير».

(٣) قوله: (أو زبرجد أو زمرد). هما حجران كريمان. عزا القرطبي القول بأنه كان زبرجد إلى أبي العالية، والقول بأنه كان من زمرد إلى مجاهد.

والظاهر أنه لم يثبت في ذلك نقل صحيح يعتمد عليه، كما أشار إليه في «فتح القدير»، وكذلك الاختلاف في عدد الألواح. وما قاله المفسر من أنها سبعة أو عشرة، ذكره البيضاوي، ولم أجد فيه نقلًا صحيحًا.

(٤) قوله: (يحتاج إليه في الدين). هكذا قيده القرطبي وغيره، فيكون ﴿كُلِّ شَيۡءٖ﴾ من العام المراد به الخصوص أو العام المخصوص.

(٥) قوله: (بدل من الجار والمجرور). أي قوله: ﴿مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا﴾ بدل من قوله: ﴿مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ أي من محله كذا ذكره البيضاوي. والمعنى: كتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام.

قال القرطبي: «لأنه لم يكن الاجتهاد مشروعًا لهم». واللام في ﴿لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ لام التقوية متعلقة بـ﴿وَتَفۡصِيلٗا﴾.

قبله ﴿فَخُذۡهَا﴾ قبله: «قلنا» مقدرًا[١] ﴿بِقُوَّةٖ﴾ بجد واجتهاد[٢] ﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ[٣] سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٤٥﴾ فرعون وأتباعه[٤]، وهي: مصر، لتعتبروا بهم.

١٤٦- ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ﴾ دلائل قدرتي من المصنوعات[٥] وغيرها ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ بأن أخذلهم[٦]، فلا يتفكرون فيها[٧] ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ﴾ طريق ﴿ٱلرُّشۡدِ﴾ الهدى الذي جاء من

---

(١) قوله: (قبله: «قلنا» مقدرًا) يعني: يقدر: «قلنا» قبل ﴿فَخُذۡهَا﴾، مراعاةً لمعنى الآية، فيكون ﴿فَخُذۡهَا﴾ مقولًا لقول محذوف، والفاء فيه للتوكيد.

وقيل: ﴿فَخُذۡهَا﴾ بدل من ﴿فَخُذۡ﴾ المتقدم. فلا يحتاج إلى تقدير القول. وذكر التقدير البيضاوي.

(٢) قوله: (بجد واجتهاد). كذا قاله السدي، وعن ابن عباس نحوه.

(٣) قوله تعالى: ﴿بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾. قال البيضاوي: «أي: بأحسن ما فيها كالصبر والعفو بالنسبة إلى الانتصار والقصاص، فيكون الأمر للندب، أو المراد: الواجبات فإنها أحسن من غيرها. أو المراد البالغ في الحسن، أي: لا يراد به التفضيل بل المبالغة».اهـ. ملخصًا

(٤) قوله: (فرعون وأتباعه). ذكره البيضاوي. وعزا القرطبي هذا القول إلى ابن جبير. وعن قتادة: «مساكن العمالقة وهي الشام». وقيل: غير ذلك.

(٥) قوله: (من المصنوعات...). بيان للآيات، والمصنوعاتُ: كالآيات الكونية مثل السمٰوات والأرض وما فيها، وغيرُها: كالآيات المنزلة والمعجزات.

(٦) قوله: (بأن أخذلهم). تصوير للصرف عن آياته.

(٧) وقوله: (فلا يتفكرون...). الفاء استئنافية تتضمن معنى السببية، وليست عاطفة على (أخذل) كما وهمه بعض المعاصرين. نقل ابن جرير عن ابن جريج: «سأصرف عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا».

عند الله ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يسلكوه[١] ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ﴾ الضلالِ ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ ذَٰلِكَ﴾ الصرف ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ تقدم مثله.

﴿١٤٧﴾- ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَٰلُهُمْۚ﴾ ما عملوه في الدنيا من خير كصلة رحم وصدقة، فلا ثواب لهم لعدم شرطه[٢] ﴿هَلْ﴾ ما[٣] ﴿يُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ من التكذيب والمعاصي.

﴿١٤٨﴾- ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بعد ذهابه إلى المناجاة ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعلة عِرسٍ، فبقي عندهم[٤] ﴿عِجْلًا﴾ صاغه لهم منه السامري[٥] ﴿جَسَدًا﴾ بدل، لحمًا

(١) قوله: (يسلكوه). بدل أو عطف بيان من ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ﴾ أي: لا يسلكوه. كما قال ابن كثير: «وإن ظهر لهم سبيل الرشد أي: طريق النجاة لا يسلكوها».اهـ.

(٢) قوله: (لعدم شرطه). وهو: الإيمان.

(٣) قوله: (ما). أفاد أن الاستفهام بمعنى: النفي. وأشار بقوله: (جزاء) إلى تقدير مضاف.

(٤) قوله: (فبقي عندهم). أي: الحلي الذي استعاروه، كان بأيديهم. لأنه مال كافرٍ حربيّ.

(٥) قوله: (صاغه لهم السامري). أي: فنسبة الفعل إليهم في ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾ لرضاهم بفعله. والسامري منسوب إلى قرية اسمها سامرة، واسمه موسى بن ظفر، من بني إسرائيل، ولد عام قتل فرعون الأولاد، فأخفته أمه في كهف، فغذّاه جبريل، فعرفه لذلك، وأخذ –حين عبر جبريل البحر على فرسٍ وديقٍ ليتقدم فرعون في البحر– قبضةً من أثر حافر الفرس... ذكره القرطبي. الفرس الوديق أي: تريد الفحل. وكان السامري منافقًا وكان صائغًا. وقصة حافر الفرس مروي عن الحسن، وفسر كذلك ابن كثير، وابن جرير وغيرهما من عامة =

ودمًا[١] ﴿لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾ أي: صوت يسمع، انقلب كذلك بوضع التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل في فمه، فإن أثره الحياة فيما يوضع فيه، ومفعول «ٱتَّخَذَ» الثاني محذوف، أي: إلهًا، ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ﴾ فكيف يتخذ إلهًا؟ ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ إلهًا، ﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ١٤٨﴾ باتخاذه.

١٤٩- ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي: ندموا[٢] على عبادته ﴿وَرَأَوۡاْ﴾ أي: علموا[٣] ﴿أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ﴾ بها، وذلك بعد رجوع موسى ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا

= المفسرين، ولا غرابة في مجيء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الأرض على فرس، كما نزلت الملائكة في غزوة بدر على خيول، فما ذهب إليه بعض المعاصرين من تكذيب القصة غير سديد، كأنه ناشئ من استنكار كل أمر عجيب، وقد قال تعالى: ﴿فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةً مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا ...﴾ [طه: ٩٦].

(١) قوله: (لحمًا ودمًا). ذكر المفسرون قولين في ذلك، أحدهما: أنه صار دمًا ولحمًا، كما مشى عليه المفسر وهو قول الحسن وقتادة والسدي. قاله القرطبي.

والثاني: بل كان كتمثال بقر من الذهب مجوفًا له مخارج فيدخل فيه الهواء ويخرج فيكون صوت مثل الخوار. كما قاله مجاهد وروي عن ابن عباس.

قال الصاوي: «انظر إلى من رباه جبريل كان منافقًا وإلى من رباه فرعون كان نبيًا مرسلًا، فإن هذا دليل على أن السعادة وضدها بيد الله، ولذا قال بعضهم:

إذ المرء لم يخلق سعيدًا من الأزلْ   فقد خابَ من رُبِّي وخابَ المؤمَّلُ
فموسى الذي رباه جبريلُ: كافِرُ   وموسى الذي رباه فرعَونُ: مرسَلُ

(٢) قوله: (أي: ندموا) (سقط في يديه). كناية شائعة يراد بها: ندم. وقد يقال: أُسقِط. وقال ابن جرير: «أصله من الاستئسار، وهو أن يضرب الرجل الرجلَ أو يصرعه فيرمي به من يديه إلى الأرض ليأسره، فالمرميّ مسقوط به في يدي المسقط».اهـ.

(٣) قوله: (أي: علموا). أفاد به أن الرؤية هنا قلبية، لها مفعولان سدّ مسدّهما: أن وما بعدها.

رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ بالياء والتاء فيهما(١) ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾.

﴿١٥٠﴾- ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾ من جهتهم(٢) ﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿بِئْسَمَا﴾ أي: بئس خلافة(٣) ﴿خَلَفْتُمُونِى﴾ ها ﴿مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ خلافتكم هذه(٤)، حيث أشركتم ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ أي: ألواح التوراة، غضبًا لربه(٥)، فتكسرت(٦) ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي: بشعره بيمينه

---

(١) قوله: (بالياء والتاء فيهما). أي: في ﴿يَرْحَمْنَا﴾ و﴿وَيَغْفِرْ لَنَا﴾: هما قراءتان: بالتاء، ونصب «ربَّنا»: ﴿تَرْحَمْنَا رَبَّنَا وَتَغْفِرْ لَنَا﴾ قراءة حمزة، والكسائي، وخلف، فالتاء للخطاب، و«ربنا» منصوب على أنه منادًى بحذف حرف النداء، وقرأ الباقون: بالياء، ورفع ﴿رَبُّنَا﴾. وتوجيهه واضح.

(٢) قوله: (من جهتهم) أي: بسببهم. وكان الله أخبره أن السامري أضلهم: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾ [طه: ٨٥].

(٣) قوله: (أي: بئس خلافة) ...خلافةً تفسير لـ«ما»، فهو تمييز لفاعل «بئس»، وهو الضمير المبهم المستتر.

(٤) وقوله: (خلافتكم هذه). مخصوص بالذم. ويصح أن يعرف «ما» فاعلًا لـ«بئس» على أنه اسم موصول.

(٥) قوله: (غضبًا لربه). أي: كان هذا سبب إلقاء الألواح، كما رواه ابن جرير عن ابن عباس. وفيه إشارة إلى تضعيف ما روي عن قتادة من أن سبب إلقائه أنه رأى في الألواح فضل أمة محمد ﷺ بأمورٍ، فكأنه أسفًا على ذلك ألقى الألواح. وهذه الرواية بسياق طويل أوردها ابن جرير.

وقال ابن كثير: «لا يصح إسناده، وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء».اهـ. ورد عليه القرطبي وغيره من المفسرين.

(٦) قوله: (فتكسرت). أي: الألواح، ورد ذلك عن ابن عباس.

ولحيته بشماله ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ﴾ غضبًا[١] ﴿قَالَ﴾ يا ﴿ٱبۡنَ أُمِّ﴾ بكسر الميم وفتحها[٢] أراد أمي، وذِكْرُها أعطف[٣] لقلبه ﴿إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ﴾ قاربوا ﴿يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ﴾ تُفْرِح ﴿بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ﴾ بإهانتك إياي ﴿وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠﴾ بعبادة العجل[٤]، بالمؤاخذة.

١٥١- ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾ ما صنعت بأخي ﴿وَلِأَخِي﴾ أشركه في الدعاء إرضاءً له، ودفعًا للشماتة به ﴿وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١﴾.

١٥٢- قال تعالى[٥]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ﴾ إلهًا[٦] ﴿سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ﴾ عذاب[٧]

---

(١) قوله: (غضبًا). قال ابن كثير: «خوفًا أن يكون قد قصّر في نهيهم».اهـ. وبنحوه فسر ابن جرير.

(٢) قوله: (بكسر الميم وفتحها). قراءتان بالكسر ﴿ٱبۡنَ أُمِّ﴾: قراءة ابن عامر، وشعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف. وبالفتح: ﴿ٱبۡنَ أُمَّ﴾: قراءة الباقين. وهما وجهان صحيحان في نداء «ابن أمّ» و«ابن عمّ». والأصل: ابن أمي، ابن عمي، كما قال المفسر.

(٣) قوله: (وذكرها أعطف). أي: ذكر الأم أعطف وألطف، وهارون كان شقيقًا لموسى عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ وأكبر من موسى بسنتين أو ثلاث.

قال القرطبي: «كان أحب إلى بني إسرائيل من موسى؛ لأنه كان لين الغضب».اهـ.

(٤) قوله: (بعبادة العجل). متعلق بـ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وبالمؤاخذة متعلق بـ﴿لَا تَجۡعَلۡنِي﴾. والباء فيهما للسببية. وفي بعض النسخ: «في المؤاخذة».

(٥) قوله: (قال تعالى). أفاد به أن هذه الآية ليست مما قاله موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لقومه. وإنما هي إخبار من الله لهم. وعليه جرى ابن جرير، وقيل: من تمام كلام موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إلى قوله: ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾. وهو ظاهر ابن كثير.

(٦) قوله: (إلهًا). قدره ليكون مفعولًا ثانيًا لـ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾.

(٧) قوله: (عذاب). فسّر الغضب بلازمه كما هو مذهب التأويل.

﴿مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ فعذبوا بالأمر[(١)] بقتل أنفسهم، وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: كما جزيناهم ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ١٥٢﴾ على الله بالإشراك وغيره.

١٥٣- ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ﴾ رجعوا عنها ﴿مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ﴾ بالله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ أي: التوبة ﴿لَغَفُورٞ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٞ ١٥٣﴾ بهم.

١٥٤- ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن[(٢)] ﴿عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ﴾ التي ألقاها[(٣)] ﴿وَفِي نُسۡخَتِهَا﴾ أي: ما نسخ فيها، أي: كتب[(٤)] ﴿هُدٗى﴾ من الضلالة

---

(١) قوله: (فعذبوا بالأمر...). كما تقدم في سورة البقرة.

(٢) قوله: (سكن). تفسير بالمراد بـ﴿سَكَتَ﴾؛ لأن السكوت: الإمساك عن الكلام. وقال البلاغيون: هذا من الاستعارة المكنية والتخييلية: وحاصل ذلك: تشبيه شيء بشيء ثم يذكر لفظ المشبه، ويثبت له شيء من لوازم المشبه به، ولا يذكر لفظ المشبه به. فهٰهنا شبه الغضب بإنسان يتكلم، ولم يذكر المشبه به، وذكر أحد لوازمه وهو السكوت فأثبت للمشبه. فلفظ المشبه به الذي لم يذكر الاستعارة المكنية، وإثبات اللازم «السكوت» للمشبه: التخييلية. والله أعلم.

(٣) قوله: (التي ألقاها). وهي ألواح التوراة أو الألواح التي فيها التوراة، أو ألواح غير التوراة، كما تقدم الخلاف في ذلك.

(٤) قوله: (ما نسخ فيها أي: كتب). كذا فسر به البيضاوي. وقال: «نُسخة»: فُعْلَة بمعنى مفعول؛ كالخطبة.

قال ابن كثير: «يقول كثير من المفسرين: لما ألقاها تكسرت، ثم جمعها بعد ذلك، ولهذا قال بعض السلف: فوجد فيها هدى ورحمة، وأما التفصيل فذهب».اهـ. وعزا القرطبي هذا القول إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ يخافون، وأدخل اللام على المفعول لتقدمه[١].

﴿١٥٥﴾ - ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ أي: من قومه[٢] ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ ممن لم يعبدوا العجل[٣]، بأمره تعالى ﴿لِّمِيقَـٰتِنَا﴾ أي: للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه؛ ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل، فخرج بهم ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة، قال ابن عباس: «لأنهم لم يزايلوا قومهم[٤] حين عبدوا

---

(١) قوله: (وأدخل اللام على المفعول). أي على قوله: ﴿لِرَبِّهِمْ﴾ فهو مفعول به لـ﴿يَرْهَبُونَ﴾.
وتسمى هذه اللام: لام التقوية، وهي اللام الداخلة على المفعول به لضعف العامل، إما لكونه غير فعلٍ كاسم الفاعل نحو: الحافظ للقرآن، أو لتأخره عن المفعول كما هنا.
فائدة: اللام الداخلة على المفعول ثلاثة أقسام:
١- لام التعدية: إذا كان العامل لازمًا وتعدى باللام، نحو: نصحت لزيدٍ.
٢- اللام الزائدة: إذا كان العامل فعلًا متعديًا متقدمًا على المفعول، نحو: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦].
٣- لام التقوية: إذا كان العامل متعديًا ولكن ضعف عمله لكونه فرعًا عن الفعل في العمل، أو لتأخره، كما تقدم. فلام التقوية منزلة بين المنزلتين، لا زائدة محضة، ولا للتعدية المحضة. وقد أشرنا إلى هذه الأقسام في تفسير الآية (٢٦) من سورة النساء.

(٢) قوله: (أي: من قومه). أشار به إلى أن ﴿قَوْمَهُۥ﴾ منصوب بنزع الخافض، و﴿سَبْعِينَ﴾ مفعول به لـ﴿ٱخْتَارَ﴾، ويحتمل كون ﴿سَبْعِينَ﴾ بدل بعض من ﴿قَوْمَهُۥ﴾ وعلى هذا لا يقدر حرف الجر: من.

(٣) قوله: (ممن لم يعبدوا العجل). لم أجده معزوًّا، أي: أنهم كانوا ممن لم يعبدوا العجل، إلا أنه يعلم من الروايات عن أئمة التفسير أنهم كانوا خيار بني إسرائيل، وأشار ابن جرير إلى أنهم لم يعبدوا العجل، والله أعلم.

(٤) قوله: (لأنهم لم يزايلوا قومهم). أي: لم يفارقوهم ولم يهاجروهم. =

العجل». قال(١): «وهم غير الذين سألوا الرؤية وأخذتهم الصاعقة». ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾ أي: قبل خروجي بهم، ليعاين بنو إسرائيل ذلك، ولا يتهموني ﴿وَإِيَّٰيَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ استفهام استعطاف(٢)، أي: لا تعذبنا بذنب غيرنا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِيَ﴾ أي: الفتنة التي(٣) وقع فيها السفهاء ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ابتلاؤك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ إضلاله(٤) ﴿وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ﴾ هدايته ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ متولي أمورنا ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾.

﴿١٥٦﴾- ﴿۞ وَٱكْتُبْ﴾ أوجب ﴿لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾

= وهذا سبب أخذ الرجفة بهم، وفي رواية ابن عباس: «أنهم دعوا: اللهم أعطنا ما لم تعطه أحدًا قبلنا ولا تعطه أحدًا بعدنا، فكره الله ذلك؛ فأخذتهم الرجفة». روى ذلك عنه ابن جرير.

(١) قوله: (قال). أي: ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. وهم: أي السبعون المذكورون هٰهنا غير الذين سألوا الرؤية، أي: رؤية الله تعالى المذكورين في قوله تعالى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥].اهـ. لأنه أخذتهم الصاعقة، وهؤلاء أخذتهم الرجفة. وهذا هو الظاهر من الأثر المذكور عن ابن عباس السابق، أي: في سبب أخذ الرجفة، ولكن الذي يعلم من قول السدي وابن إسحٰق فيما روى عنهما ابن جرير وغيرهما أنهم هم الذين قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة. والله أعلم.

(٢) قوله: (استفهام استعطاف). أي: دعاء مع طلب العطف والرحمة. والمراد بـ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾: عبدة العجل، على ما اختاره ابن جرير. وقيل: هم السبعون.

(٣) قوله: (أي: الفتنة التي...). أشار به إلى أن الضمير ﴿هِيَ﴾ عائد إلى ما علم من السياق.

(٤) قوله: (إضلاله) قدره ليكون مفعولًا به لـ﴿تَشَآءُ﴾، وكذا (هدايته).

حسنة ﴿إِنَّا هُدْنَآ﴾ تبنا ﴿إِلَيْكَۚ﴾[١] قَالَ﴾ تعالى ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُۖ﴾ تعذيبه ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ﴾ عَمَّتْ ﴿كُلَّ شَىْءٍۚ﴾ في الدنيا[٢] ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾.

﴿١٥٧﴾- ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾[٣] محمدًا ﷺ ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ

---

(١) قوله: (تبنا ﴿إِلَيْكَۚ﴾). هكذا فسر به ابن عباس، أورده ابن جرير عنه بطرق مختلفة، وفسر كذلك سعيد بن جبير وغيره.

«هاد، يهود، هودًا، فهو هائد»، وهم: هود، بمعنى: تاب، ويقال أيضًا: «هاد» بمعنى: تهوّد، أي صار يهوديًّا، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١٣٥]، والمراد هنا المعنى الأول، كما هو واضح.

(٢) قوله: (في الدنيا). أي: رحمته وسعت البر والفاجر في الدنيا، وهي خاصة للمتقين في الآخرة. هذا القول رواه ابن جرير عن الحسن وقتادة. وروي عن قتادة في رواية، وعن ابن جريج: «لما نزلت ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍۚ﴾ قال إبليس: أنا من كل شيء، قال الله ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ...﴾ الآية، فقالت اليهود: ونحن نتقي ونؤتي الزكاة؛ فأنزل الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾، قال: نزعها الله عن إبليس وعن اليهود، وجعلها لأمة محمد ﷺ».اهـ.

وعلى هذا يكون المراد بالرحمة رحمة الآخرة، والظاهر أن هاتين الآيتين مما خاطب بهما الله تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ففيهما ذكر صفات هذه الأمة، وإخبار بما سيكون؛ لأن الإنجيل نزل بعد ذلك. قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ...﴾: «وهذه صفة محمد ﷺ في كتب الأنبياء، بشروا أممهم ببعثته وأمروهم بمتابعته...» إلى آخر ما قال.

(٣) قوله تعالى: ﴿ٱلْأُمِّىَّ﴾. قيل: منسوب إلى الأمّ، وقيل: إلى الأمة الأمّية، وقيل: إلى أم القرى، وهي مكة.

﴿مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ باسمه وصفته ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ مما حرم في شرعهم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ من الميتة ونحوها ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ﴾ ثقلهم(١) ﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ﴾ الشدائد(٢) ﴿ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ كقتل النفس في التوبة، وقطع أثر النجاسة ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾ منهم ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ وقرّوه ﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ أي: القرآن(٣) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾.

١٥٨ - ﴿قُلۡ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ القرآن(٤) ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ ترشدون.

١٥٩ - ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ﴾(٥) جماعة ﴿يَهۡدُونَ﴾ الناس ﴿بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ

---

(١) قوله: (ثقلهم). كما تقدم في آخر سورة البقرة. وروى ابن جرير عن ابن عباس، والحسن، والسدي وغيرهم: «الإصر هنا العهد الذي كان أخذه على بني إسرائيل». وما قال المفسر مرويّ عن قتادة ومجاهد وسعيد بن جبير.

(٢) قوله: (الشدائد). تفسير بالمراد من ﴿ٱلۡأَغۡلَٰلَ﴾، فهذه الكلمة استعارة، كما قال القرطبي، والأغلال في اللغة: جمع الغُلّ، وهو حديد تربط به اليد أو العُنق، وقد تربط به اليد إلى العنق، وقول المفسر: (كقتل النفس...). من أمثلة تلك الأغلال، ذكرها المفسرون.

(٣) قوله: (أي: القرآن). قال ابن جرير: «القرآن والإسلام».

(٤) قوله: (القرآن). روي ذلك عن قتادة، وقال السدي: ﴿وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾: «أي عيسى بن مريم».

(٥) قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ ...﴾. لما قصّ علينا ما وقع فيه بنو إسرائيل من عبادة العجل والتزلزل في الدين، قص علينا أن منهم جماعة عدولًا، كما قال تعالى: ﴿۞ لَيۡسُواْ

﴿يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ في الحكم.

﴿١٦٠﴾- ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ﴾ فرقنا بني إسرائيل ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ حال[1] ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدل منه، أي: قبائل ﴿أُمَمًا﴾ بدل مما قبله ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ في التيه ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ فضربه[2] ﴿فَانبَجَسَتْ﴾ انفجرت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبط منهم ﴿مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ في التيه من حرّ الشمس ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ هما الترنجبين والطير السماني -بتخفيف الميم والقصر-، وقلنا لهم ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾.

﴿١٦١﴾- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس[3]

﴿سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ...﴾ [آل عمران: ١١٣] الآية. وقيل: هم الذين آمنوا بمحمد ﷺ. ذكره القرطبي بقيل.

(١) قوله: (حال). أي: حال من الضمير المنصوب: «هم». وأسباطًا بدل من اثنتي عشرة، وليس تمييزًا له، لأنه لو كان تمييزًا لأفرد. «اثنتي عشرة سبطًا»، أو «اثني عشر سبطًا» بتذكير اسم العدد. وتمييزه محذوف: تقدير: فرقةً أو جماعةً، أو أمّةً، ويجوز إعراب ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ مفعولًا ثانيًا لـ«قطّعنا» إذ ضمّن معنى «صيرنا». ذكره البيضاوي.

تنبيه: ما ذكر في هذه الآية من النعم الظاهرة والآيات الباهرة سبق ذكرها في سورة البقرة، كما سبق تفسيرها.

(٢) قوله: (فضربه). أفاد أن قوله ﴿فَانبَجَسَتْ﴾ معطوفٌ على هذا المقدر، ويكون الكلام من باب الإيجاز.

(٣) قوله: (بيت المقدس). قال المفسر في سورة البقرة: بيت المقدس أو أريحا.

﴿وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟﴾ أمرنا[١] ﴿حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾ أي: باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجود انحناء ﴿نَّغْفِرْ﴾ بالنون والتاء[٢] مبنيًّا للمفعول ﴿لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾ بالطاعة[٣] ثوابًا.

﴿١٦٢﴾- ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا: حَبَّة في شَعْرة، ودخلوا يزحفون على أستاههم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ عذابًا[٤] ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾.

﴿١٦٣﴾- ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ يا محمد، توبيخًا[٥] ﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ

---

(١) قوله: (أمرنا). قال المفسر في سورة البقرة: (مسألتنا). وهو قريب مما ذكر هنا. وفسر ﴿حِطَّةٌ﴾ أي: أن تحط عنا خطايانا.

(٢) قوله: (بالنون والتاء...). هنا أربع قراءات:

١- ﴿تُغْفَرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔتُكُمْ﴾: بجمع ﴿خَطِيٓـَٔتُكُمْ﴾، وبالتاء: ﴿تُغْفَرْ﴾: قراءة نافع، وأبي جعفر، ويعقوب.

٢- ﴿تُغْفَرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔتُكُمْ﴾: بإفراد ﴿خَطِيٓـَٔتُكُمْ﴾: قراءة ابن عامر.

٣- ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾: بالنون، و﴿خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾: قراءة أبي عمرو.

٤- ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ﴾: بالنون، و﴿خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ﴾ بالجمع: قراءة الباقين.

وفي سورة البقرة كانت القراءات ثلاثًا كما تقدم.

(٣) قوله: (بالطاعة). متعلق بـ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، والباء للسببية، و(ثوابًا): مفعول به لـ﴿نَزِيدُ﴾.

(٤) قوله: (عذابا). فسر العذاب في سورة البقرة بالطاعون. [الآية: ٥٩].

(٥) قوله: (توبيخًا). أفاد أن هذا ليس سؤال معرفة، قال القرطبي: «وهذا سؤال تقرير وتوبيخ، وكان ذلك علامة لصدق النبي ﷺ».اهـ.

﴿ٱلۡبَحۡرِ﴾ مجاورة بحر القلزم، وهي: أيلة[١]، ما وقع بأهلها[٢] ﴿إِذۡ يَعۡدُونَ﴾ يعتدون ﴿فِي ٱلسَّبۡتِ﴾ بصيد السمك، المأمورين بتركه فيه[٣] ﴿إِذۡ﴾ ظرف لـ«يَعۡدُونَ»، ﴿تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا﴾ ظاهرة على الماء[٤] ﴿وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ﴾ لا يعظمون السبت[٥]، أي: سائر الأيام ﴿لَا تَأۡتِيهِمۡۚ﴾ ابتلاءً من الله ﴿كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٣﴾ ولما صادوا السمك[٦] افترقت القرية أثلاثًا[٧]، ثلث صادوا معهم وثلث نهوهم وثلث أمسكوا عن الصيد والنهي.

١٦٤- ﴿وَإِذۡ﴾ عطف على «إِذۡ» قبله ﴿قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ﴾ لم تصِدْ ولَم تنه[٨]، لمن

---

(١) قوله: (وهي أيلة). كما تقدم في سورة البقرة. وقد ذكرنا هناك ملخص هذه القصة. قال ابن كثير: «وفي تذكير هذه القصة لليهود تحذير لهم من كتمانهم صفة النبي ﷺ لئلا يحل بهم ما حل بأسلافهم».اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله: (ما وقع بأهلها). بدل اشتمال من ﴿ٱلۡقَرۡيَةِ﴾، والظرف ﴿إِذۡ﴾ متعلق بهذا الفعل المقدر، أي: (وقع).

(٣) قوله: (المأمورين بتركه فيه). أي: كانت اليهود أمروا بترك الصيد في يوم السبت؛ لأنه يوم عيدهم.

(٤) قوله: (ظاهرة على الماء). وبه فسر ابن عباس. وفي رواية عنه: «من كل مكان». و﴿شُرَّعٗا﴾ حال من الحيتان، جمع شارع، من شرع علينا إذا أشرف ودنا، كما في البيضاوي.

(٥) قوله: (يعظمون السبت). بيان لمعنى ﴿يَسۡبِتُونَ﴾ يقال: سبتَ، يَسْبِتُ: عظَّم السبتَ.

(٦) قوله: (ولما صادوا السمك). قد تقدم في تفسير سورة البقرة: أنهم اتخذوا البرك والحياض ونصبوا الحبائل يوم السبت، ثم اصطادوا يوم الأحد؛ احتيالًا منهم.

(٧) قوله: (افترقت القرية أثلاثًا). قال القرطبي: «وعلى هذا جمهور المفسرين».

(٨) قوله: (لم تصد ولم تنه). نعت لـ﴿أُمَّةٞ﴾، أي: فقائل هذه المقالة هم الفرقة الثالثة التي أمسكت عن الصيد والنهي. قالوها للفرقة الناهين.

نهى ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟﴾ موعظتنا[١] ﴿مَعْذِرَةٌ﴾ نعتذر بها ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ لئلا نُنْسبَ إلى تقصير في ترك النهي ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ الصيد.

﴿١٦٥﴾- ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟﴾ تركوا[٢] ﴿مَا ذُكِّرُوا۟﴾ وعظوا ﴿بِهِۦٓ﴾ فلم يرجعوا ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بالاعتداء ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ شديد ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾.

﴿١٦٦﴾- ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟﴾ تكبروا ﴿عَن﴾ ترك ﴿مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ صاغرين، فكانوها[٣]. وهذا تفصيل لما قبله، قال ابن عباس[٤]: «ما أدري ما

---

(١) قوله: (موعظتنا). أفاد به أن ﴿مَعْذِرَةٌ﴾ -بالرفع- خبر لمبتدأ محذوف، وبالرفع: قرأ الجمهور. وقرأ حفص: بالنصب: ﴿مَعْذِرَةً﴾، فيكون مفعولًا لأجله، ويمكن كونه حالًا بمعنى: اسم الفاعل، والله أعلم.

(٢) قوله: (تركوا). تفسير النسيان بالترك. أفاد أنه مجاز مرسل من إطلاق السبب وإرادة المسبب.

(٣) قوله: (فكانوها). أي: فصاروا قردة.

(٤) قوله: (قال ابن عباس). هذا الأثر رواه ابن جرير عنه، وكذا أثر عكرمة، وأن ابن عباس رجع إليه، رواهما ابن جرير بسياق مفصل، وذكر ذلك ابن كثير وغيره. وفي أثر عكرمة: أنه لما قال: «إن الطائفة الساكتين نجوا ولم يعذبوا كساه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حُلَّة». أي: مكافأة على حسن تفسيره وفهمه. قال ابن كثير: «نص على نجاة الناهين وهلاك الظالمين، وسكت عن الساكتين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فهم لا يستحقون مدحًا فيمدحوا، ولا ارتكبوا عظيمًا فيذمّوا».اهـ.

فائدة: استأنس بعض الأصوليين بهذه الآيات على أن التقسيم مما يفيد مفهوم المخالفة حيث قسموا إلى ثلاثة، ومُدِحت فرقة، وعُذبت فرقة، وسكت عن الفرقة الثالثة، فيفيد أن هذه الفرقة بخلاف الفرقتين الأوليين، ليسوا ممدوحين ولا معذبين، والله أعلم.

فعل بالفرقة الساكتة». وقال عكرمة: «لم تُهلك؛ لأنها كرهت ما فعلوه، وقالت: لم تعظون...إلخ»، وروى الحاكم عن ابن عباس أنه رجع إليه وأعجبه.

(١٦٧)- ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أعلم[١] ﴿رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ بالذل وأخذ الجزية، فبعث عليهم سليمان[٢] وبعده بختنصر[٣] فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية، فكانوا يؤدونها إلى المجوس إلى أن بعث نبينا ﷺ، فضربها عليهم. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَّحِيمٌ (١٦٧)﴾ بهم.

(١٦٨)- ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ﴾ فرقناهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرقًا ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ

---

(١) وقوله: (أعلم). أي: أعلم ربك أسلافهم، فحذف المفعول به، كما في القرطبي والصاوي، وفي هذا الفعل ﴿تَأَذَّنَ﴾ معنى القسم، ولذا أجيب بالفعل المؤكد كجواب القسم ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾ كما في البيضاوي وغيره.

(٢) قوله: (سليمان). أي: ابن داود عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ.

(٣) قوله: (بختنصر). عَلَم مركب مزجي، بخت بمعنى ابن، نصر: اسم صنم. سمي بذلك؛ لأنه وجد عند ذلك الصنم مطروحًا وهو صغير. قاله الصاوي. وهو الملك الذي غلب الشام وقتل اليهود وخرب بيت المقدس.

قال ابن كثير: «ويقال: إن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ضرب عليهم الخراج سبع سنين، وقيل: ثلاث عشرة سنة، وكان أول من ضرب الخراج، ثم كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والكشدانيين والكلدانيين، ثم صاروا في قهر النصارى وإذلالهم، ثم جاء الإسلام ومحمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فكانوا تحت صغاره وذمته يؤدون الخراج والجزية. قال: «وآخر أمرهم أنهم يخرجون أنصار الدجال، فيقتلهم المسلمون مع عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وذلك آخر الزمان».اهـ.

﴿وَمِنۡهُمۡ﴾ ناس(١) ﴿دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ الكفار والفاسقون(٢) ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ﴾ بالنعم ﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ النقم ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٦٨﴾ عن فسقهم.

١٦٩- ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ(٣) خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة عن آبائهم ﴿يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ أي: حُطام هذا الشيء الدنيء، أي: الدنيا، من حلال وحرام ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا﴾ ما فعلناه ﴿وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ﴾ الجملة حال(٤)، أي: يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مصرون عليه، وليس في التوراة وعد المغفرة مع الإصرار ﴿أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ﴾ استفهام تقرير(٥) ﴿عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الإضافة بمعنى: في ﴿أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ﴾ عطف على «يُؤۡخَذۡ»، قرأوا ﴿مَا فِيهِۗ﴾ فلِمَ كذبوا(٦) عليه بنسبة المغفرة إليه مع الإصرار ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ

---

(١) قوله: (ناس). قدره ليفيد أن ﴿دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ نعت لمحذوف.

(٢) قوله: (الكفار والفاسقون). بالرفع تفسير للناس الذين هم دون ذلك.

(٣) قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾. أي: بعد الجيل الذين فيهم الصالح والطالح خلفٌ آخر لا خير فيهم. قاله ابن كثير. و«خلْف» بسكون اللام للشر، وبفتح اللام «خلَف» للخير، قاله الصاوي.

(٤) قوله: (الجملة حال). أي: جملة ﴿وَإِن يَأۡتِهِمۡ..﴾ في محل نصب حال من فاعل ﴿يَقُولُونَ﴾، وهو الواو. وأشار بقوله (وليس في التوراة) إلى أنهم مخالفون للتوراة.

(٥) قوله: (استفهام تقرير). أي: وتقريع عليهم كما أفاده ابن كثير.

(٦) قوله: (فلم كذبوا). بتخفيف الذال أي: قالوا الكذب على الله بنسبة المغفرة إليه، أي: كذبوا في قولهم: سيغفر لنا مع إصرارهم على الذنب. وبنحوه فسر ابن عباس. قال: «فيما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها، ولا يتوبون منها».اهـ.

﴿خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ﴾ الحرام ﴿أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ١٦٩﴾ بالياء والتاء[١]، أنها خير، فيؤثرونها على الدنيا.

١٧٠- ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف[٢] ﴿بِٱلۡكِتَٰبِ﴾ منهم ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كعبدالله بن سلام وأصحابه[٣] ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠﴾ الجملة خبر[٤] «ٱلَّذِينَ». وفيه وضع الظاهر موضع المضمر[٥]، أي: أجرهم.

١٧١- ﴿۞ وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ﴾ رفعناه من أصله[٦] ﴿فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ

---

(١) قوله: (بالياء، والتاء). قراءتان: بالتاء: ﴿تَعۡقِلُونَ﴾: قراءة نافع، وابن عامر، وحفص، وأبي جعفر، ويعقوب. وبالياء: ﴿يَعۡقِلُونَ﴾: قراءة الباقين.

(٢) قوله: (بالتشديد والتخفيف): قراءتان: بالتخفيف ﴿يُمۡسِكُونَ﴾: قراءة شعبة. وبالتشديد: ﴿يُمَسِّكُونَ﴾: قراءة الباقين.

(٣) قوله: (كعبدالله بن سلام وأصحابه). أي: ممن أسلم من اليهود.

(٤) قوله: (الجملة خبر). أي: جملة ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ...﴾ في محل رفعٍ، خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وهو مبتدأ. والرابط: العموم في ﴿ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾؛ لأنه دخل فيهم المذكورون. ومعلوم أن الجملة إذا وقعت خبر المبتدأ تحتاج إلى رابط، والرابط أحد أربعة أشياء: الضمير، الإشارة، ذكر المبتدأ في الجملة، والعموم. والتفصيل في علم النحو.

(٥) قوله: (وفيه وضع الظاهر...). وضع الظاهر موضع الضمير يعده البلاغيون من إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وهو من الأساليب البلاغية، وذلك لفائدة خاصة. وهي هنا: التنصيص على أنهم مصلحون، وأن صلاحهم علة لعدم إضاعة أجرهم. والله أعلم.

(٦) قوله: (رفعناه من أصله). أي: قلعناه، كما فسر به ابن جرير. وقد تقدم في سورة البقرة هذه الواقعة الآية (٦٣)، وتقدم الخلاف في أن هذا الجبل هل هو الجبل الذي كلم الله موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فيه، أو أحد الجبال.

﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ أيقنوا ﴿أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ﴾ ساقط عليهم، بوعد الله إياهم[١] بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة، وكانوا أبوها لثقلها، فقبلوا، وقلنا لهم: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧١﴾.

١٧٢- ﴿۞ وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ﴾ حين ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ﴾ بدل اشتمال مما قبله بإعادة الجار ﴿ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ بأن أخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم، نسلًا بعد نسل، كنحو ما يتوالدون، كالذر، بنعمان[٢]، يوم عرفة،

---

(١) قوله: (بوعد الله إياهم). وذلك أن موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قال لهم: خذوا ما آتيناكم بقوة وإلا خر عليكم الجبل فأهلككم. كما روي عن ابن عباس.

وروى ابن جرير عنه وعن الحسن ما ملخصه: «أن سجود بني إسرائيل على حرف وجوههم أي: يسجدون على الطرف الأيسر من وجوههم؛ لأنهم سجدوا على طرف وجوههم وينظرون بالعين اليمنى إلى الجبل مخافة السقوط عليهم. فكانت سجدة رضيها الله ورفع بها عنهم العقوبة، يقولون: هذه السجدة التي رفعت بها عنهم العقوبة، فاتخذوها سنة».اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله: (بنَعمان). بفتح النون أي: بعرفة، نعمان: اسم من أسمائها أو واد بجانبها. وما ذكره المفسر من إخراج ذرية آدم بعضهم من بعض، وإشهادهم على أنفسهم بعرفة، مروي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا بطرق متعددة. أوردها ابن جرير، وفي رواية: عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان -يعني عرفة- فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم فتلا، فقال:** ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ﴾ **الآية.... إلى** ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ١٧٣﴾»، وفي إسناد الحديث المرفوع: كلثوم بن جبير، وهو مختلف فيه.

وقد ثبت إخراج الذرية من صلب آدم في أحاديث كثيرة، عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وأبي هريرة وعلي بن أبي طالب...وغيرهم. =

ونَصبَ لهم دلائل على ربوبيته وركّب فيهم عقلًا ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾ أنت ربنا ﴿شَهِدْنَآۛ﴾ بذلك، والإشهادُ: لـ﴿أَن﴾ لا ﴿يَقُولُواْ﴾ بالياء والتاء[1] في الموضعين، أي: الكفار ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾ التوحيد ﴿غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾ لا نعرفه.

١٧٣- ﴿أَوْ يَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: قبلنا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ﴾ فاقتدينا بهم ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾ تعذبنا ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ١٧٣﴾ من آبائنا بتأسيس الشرك. المعنى: لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إشهادهم على أنفسهم

= وظاهرها: أن الإشهاد هو سؤال الله إياهم: ألست بربكم، وإجابتهم. كما ذكره المفسر. ولكن ذهب طائفة من السلف والخلف -كما قال ابن كثير- إلى أن معنى الإشهاد على أنفسهم: خلقهم على الفطرة. فيكون معنى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾: أوجدهم شاهدين على ذلك بحالهم، وقالوا بلسان حالهم: بلى، لا بقولهم. ومال إلى ذلك ابن كثير؛ معلِّلًا بأن هذا الإشهاد جُعل حجة على الناس وهم لا يذكرونه، فكيف يكون حجة؟ وقال: فإن قيل: إخبار الرسل به كافٍ في وجوده؛ فالجواب: إن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسل...».اهـ. ملخصًا من ابن كثير.

وما ذهب إليه ابن كثير: وإن كان متجهًا لكن ظاهر سياق الآية لا يوافقه، وقول المفسر: (ونصب لهم دلائل...) ظاهره: أن ذلك عندما أخرج الذرية... وعلى هذا ليس هذا الكلام تلفيقًا بين القولين، كما ظنه بعض الشراح.

(١) قوله: (بالياء والتاء) قراءتان: بالياء: ﴿أَن يَقُولُواْ﴾، ﴿أَوْ يَقُولُوٓاْ﴾: قراءة أبي عمرو. وبالتاء: ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ﴾: قراءة الباقين. وهما المراد بالموضعين. وأشار المفسر إلى حذف حرف الجر، أي: لام التعليل، وحرف النفي.

بالتوحيد. والتذكيرُ[١] به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس.

(١٧٤)- ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ نبينها مثل ما بيّنا الميثاق ليتدبروها ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤)﴾ عن كفرهم.

(١٧٥)- ﴿وَٱتْلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: اليهود ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ خرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها[٢]، وهو بلعم بن باعوراء[٣] من علماء بني إسرائيل، سئل أن يدعو على

---

(١) قوله: (والتذكير...) جواب عن سؤال حاصله: كيف يكون هذا الإشهاد حجة عليهم، وهم لم يذكروها في الدنيا؛ فأجاب: بأن إخبار الرسل الذين ثبتت رسالتهم بالمعجزة قائم مقام ذكرهم؛ لأن صاحب المعجزة ثبت صدقه عند كل ذي عقل، فتكذيب المكذبين ليس له مبرّر، لأنه تكذيب بالعناد، وفي ذلك إجابة عما أورد القائلون بأن معنى الإشهاد الخلق على الفطرة، كما رجحه ابن كثير. والله أعلم.

وقال بعض المعاصرين: هذه الآية مجرد تمثيل، ولا إخراج ولا شهادة ولا قول بالفعل، وإنما ذلك كله تمثيل لخلق الله ونصب دلائل التوحيد لهم. فهذا قول ثالث، وأبعد مما ذهب إليه ابن كثير، لأن ابن كثير قرر استخراج الذرية على حقيقته، وإنما أوّل معنى الإشهاد، وأورد الصاوي هنا نقلًا عن الشعراني: اثني عشر سؤالًا والإجابة عنها، وهي مفيدة.

(٢) قوله: (كما تخرج الحية...). فيه إشارة إلى أن في «انسلخ» استعارة، شبه تركه لآيات الله وانحلاله عنها بخروج الحية من جلدها واستعير لفظ المشبه به وهو الانسلاخ للمشبه، ثم اشتق منه الفعل: انسلخ، فيكون استعارة تصريحية تبعية.

(٣) قوله: (وهو بلعم بن باعوراء...). ما ذكره المفسر من أنه بلعم بن باعوراء، من علماء بني إسرائيل عليه جمهور المفسرين، وهو مروي عن ابن مسعود، وابن عباس، في رواية عنه، ومجاهد وغيرهم، مع اختلاف في اسمه، فقيل: بلعم، وقيل: بلعام، وكذا اسم أبيه، قيل: باعوراء، وقيل: باعرا، وقيل: أبر. =

موسى[(١)] وأهدي إليه شيء، فدعا، فانقلب عليه، واندلع لسانه على صدره ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فأدركه فصار قرينه ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾.

﴿١٧٦﴾- ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ﴾ إلى منازل العلماء ﴿بِهَا﴾[(٢)] بأن نوفقه للعمل ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ﴾ سكن ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الدنيا ومال إليها ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في دعائه إليها؛ فوضعناه[(٣)] ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ صفته ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ بالطرد والزجر ﴿يَلْهَثْ﴾ يدلع لسانه[(٤)] ﴿أَوْ﴾ إن ﴿تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ وليس

= وروى ابن جرير عن مالك بن دينار: «أنه من علماء بني إسرائيل، أرسله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ملك مدين يدعوه إلى الإسلام، فأعطاه الملك أرضًا وأموالًا فافتتن به، وتبع دينه، وترك دين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ».

وقيل: إنه رجل كنعاني من مدينة الجبارين، روي عن ابن عباس.

وقيل: كان رجلًا من أهل اليمن. رواية ثالثة عن ابن عباس.

وقيل: أريد به أمية بن أبي الصلت، كان من المشركين في عهد الرسول ﷺ وكان عنده علم من الأديان والكتب وكان فصيحًا. روي ذلك عن عبدالله بن عمرو.

(١) قوله: (سئل أن يدعو على موسى). روي ذلك عن ابن عباس وغيره.

وقوله: (فاندلع لسانه على صدره). ورد هذا في رواية ابن إسحٰق وغيره، أوردها ابن جرير وابن كثير وغيرهما بسياق مفصل.

الخلاصة: ما ذكره المفسر مستخلص من مجموع الروايات، والله أعلم، وعلى كل حال: هذه القصة فيها عبرة عظيمة لأهل العلم، لا ينبغي لأحد أن يشتري الدنيا بدينه. والله الموفق.

(٢) قوله: (بها). أي: بسبب الآيات.

(٣) قوله: (فوضعناه). أي: نزلناه وحقرناه.

(٤) قوله: (يدلع لسانه). أي: ينزله من فمه.

غيره من الحيوان كذلك. وجملتا الشرط(١) حال، أي: لاهثًا ذليلًا بكل حال. والقصد التشبيه(٢) بالوضع والخسة، بقرينة الفاء(٣) المشعرة بترتيب ما بعدها على ما قبلها من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى، وبقرينة قوله ﴿ذَّٰلِكَ﴾ المثل ﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾ على اليهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ يتدبرون فيها فيؤمنوا.

﴿١٧٧﴾- ﴿سَآءَ﴾ بئس ﴿مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾ أي: مثلُ القوم(٤) ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ بالتكذيب.

﴿١٧٨﴾- ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾.

﴿١٧٩﴾- ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ خلقنا(٥) ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الحق ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ دلائل قدرة الله تعالى بصرَ اعتبار

---

(١) قوله: (وجملتا الشرط). وهما: ﴿إِن تَحْمِلْ﴾ و﴿أَوْ تَتْرُكْهُ﴾؛ فهما في محل نصب.

(٢) قوله: والقصد التشبيه). يعني: أن المراد بتشبيهه بالكلب بيان خسته وضلاله، وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان، فهو ذليل في كل حال كالكلب لاهث في كل حال، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج وغيرهم، واختاره ابن جرير.

وقيل: معنى التشبيه: أنه اندلع لسانه كما يندلع لسان الكلب. وهذا مروي عن السدي. وموافق لما روى ابن إسحٰق من قصة بلعام أنه اندلع لسانه على صدره، كما أشار إليه المفسّر.

(٣) قوله: (بقرينة الفاء...). أي: في قوله: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾، فهذا يدل على أنه مثل لمن انسلخ عن العلم.

(٤) قوله: (أي: مثل القوم). أشار به إلى تقدير مضاف. وهو المخصوص بالذم.

(٥) قوله: (خلقنا). وبه فسر ابن عباس، والحسن، والسدي وغيرهم.

﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ الآيات والمواعظ[(١)] سماعَ تدبر واتعاظ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ في عدم الفقه والبصر والاستماع[(٢)] ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من الأنعام؛ لأنها تطلب منافعها وتهرب عن مضارها[(٣)]، وهؤلاء يُقْدِمون على النار معاندة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾.

﴿١٨٠﴾- ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث[(٤)]، والحسنى

---

(١) قوله: (الحق) (دلائل قدرة الله) (الآيات والمواعظ). أفاد بهذه التقديرات أن المراد بنفي الفقه والبصر والسمع عنهم نفي منفعتها الأخروية؛ ففي ذلك تنزيل الشيء العديم النفع منزلة عدمه، وهو من أساليب البلاغة.

(٢) قوله: (في عدم الفقه...). بيان لوجه الشبه.

(٣) قوله: (لأنها تطلب...). بيان لكونهم أضل من الأنعام، وبمثله فسّر ابن جرير. وقال ابن كثير: «لأنها أي الأنعام قد تستجيب لراعيها، وإن لم تفقه كلامه، ولأنها تفعل ما خلقت له.. بخلاف الكافر».اهـ. ملخصًا.

وأفاد أيضًا ما حاصله: «أن هذه الآية دليل على أن الهداية والضلالة وكل شيء مقدر مكتوب -أي خلافًا للقدرية- كما ورد في «صحيح مسلم» عن عبدالله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**».اهـ.

(٤) قوله: (الوارد بها الحديث). أشار به إلى ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدة، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر**». رواه الترمذي مفصلًا.

قال ابن كثير: «إن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعٍ وتسعين، بدليل ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» عن عبدالله بن مسعود عن رسول الله ﷺ: «**ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته** =

مؤنث الأحسن ﴿فَٱدۡعُوهُ﴾ سموه[(١)] ﴿بِهَاۖ وَذَرُواْ﴾ اتركوا ﴿ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ﴾ من ألحد ولحد[(٢)]: يميلون عن الحق ﴿فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ حيث اشتقوا منها أسماء لآلهتهم[(٣)]، كاللات من «الله»، والعزى من «العزيز»، ومناة من «المنان». ﴿سَيُجۡزَوۡنَ﴾ في الآخرة جزاء ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾، وهذا قبل الأمر بالقتال[(٤)].

١٨١- ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٨١﴾ هم أمة محمد ﷺ كما في حديث[(٥)].

= **أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه، وأبدل مكانه فرجًا**» فقيل: يا رسول الله، أفلا نتعلمها؟ فقال: «**بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها**» [١/ ٣٩١].اهـ.

وعلى هذا قال بعض العلماء: إن قوله: «**من أحصاها دخل الجنة**» الجملة نعت لتسعة وتسعين، وليست مستأنفة، أي: إن لله تسعة وتسعين اسمًا شأنها ذلك.

(١) قوله: (سموه). به فسر البيضاوي. وقال القرطبي: «فاطلبوه بها أي: بالتوسل بها».

(٢) قوله: (من ألحد ولحد). هما قراءتان: ﴿يَلۡحَدُونَ﴾ بفتح الياء مضارع «لَحَد»: قراءة حمزة. و﴿يُلۡحِدُونَ﴾ بضم الياء، مضارع «ألحد»: قراءة الباقين. ومعناهما واحد.

(٣) قوله: (حيث اشتقوا). تفسير الإلحاد بذلك، ورد عن مجاهد، قال: «اشتقوا العزى من «العزيز»، واشتقوا اللات من «الله». وعن ابن عباس وقتادة: «اشتقوا اللات من «الله»، والعزى من «العزيز»، ومناة من «المنان».اهـ. قاله القرطبي.

(٤) وقوله: (وهذا قبل الأمر...). أي: ترك الملحدين، والقول بالنسخ رواه ابن جرير عن ابن زيد، واختار أنه ليس بمنسوخ؛ لأن الأمر هنا للتهديد.

(٥) قوله: (كما في حديث). أشار به إلى ما روى عن ابن جريج، وقتادة مرسلًا: قال ابن جريج: «روي لنا أن نبي الله ﷺ قال: «**هذه أمتي**»، قال: «**بالحق يأخذون، ويعطون، ويقضون**». =

(١٨٢)- ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن من أهل مكة ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾ نأخذهم قليلًا قليلًا[(١)] ﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ (١٨٢)﴾.

(١٨٣)- ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ﴾ أمهلهم ﴿إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ (١٨٣)﴾ شديد لا يطاق.

(١٨٤)- ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُوا۟ۗ﴾ فيعلموا[(٢)] ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾ محمد ﷺ ﴿مِّن جِنَّةٍۚ﴾[(٣)]

= وعن قتادة قال: «بلغنا أن نبي الله ﷺ يقول إذا قرأها: «**هذه لكم، وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلَها:** ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ (١٥٩)﴾ [الأعراف: ١٥٩]».اهـ، روى الأثرين ابن جرير.

وفي «الصحيحين»: عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة**» [«فتح الباري» (١٣/ ٤٥١)، مسلم (٣/ ١٥٢٤)].

(١) قوله: (نأخذهم قليلًا قليلًا). يعني: نقربهم إلى الهلاك قليلًا قليلًا، وذلك بأن يفتح لهم أبواب الرزق ووجوه المعاش في الدنيا حتى يغتروا بما هم فيه، ثم يأخذهم، ولذا قال تعالى: ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ (١٨٣)﴾. كما أفاده ابن كثير وغيره.

(٢) قوله: (فيعلموا). معطوف على ﴿يَتَفَكَّرُوا۟ۗ﴾، وأشار بذلك إلى أن هذه الجملة ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ في محل نصب مفعول للعلم المحذوف؛ لأنها نتيجة للعلم الحاصل بالفكر، وليست هي نفسُها محل الفكر، والله أعلم.

(٣) قوله تعالى: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ﴾. ردّ لقولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ (٦)﴾ [الحجر: ٦]. قاله القرطبي.

فائدة: وهذه الآية من المواضع التي تولى الله بنفسه الدفاع عن رسوله، وهذا من خصائص الرسول ﷺ؛ لأن سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا أنفسهم يتولون الدفاع عن أنفسهم، كما قال هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١].

وقد ذكرنا ذلك في قصيدة خصائص الرسول:

«وقد حُرِست كل السماء ببعثه   تولَّى الإلــه دافعًا قول مُبْطِلِ»

جنون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾﴾ بيّن الإنذار.

﴿١٨٥﴾- ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ﴾ مُلْكِ[(١)] ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَ﴾ في ﴿مَا[(٢)] خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ بيان لـ«مَا»، فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته ﴿وَ﴾ في ﴿أَنْ﴾ أي: أنه[(٣)] ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ﴾ قرب ﴿أَجَلُهُمْ﴾ فيموتوا[(٤)] كفارًا، فيصيروا إلى النار، فيبادروا إلى الإيمان[(٥)] ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾.

﴿١٨٦﴾- ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ﴾ بالياء والنون[(٦)] مع الرفع استئنافًا،

---

(١) قوله: (ملك). تفسير الـ﴿مَلَكُوتِ﴾، زيدت الواو والتاء للمبالغة.

(٢) قوله: (﴿وَ﴾ في ﴿مَا﴾). أفاد بتقدير حرف الجر أن ﴿مَا﴾ معطوف على ﴿مَلَكُوتِ﴾.

(٣) قوله: (﴿أَنْ﴾ أي: أنه). ﴿أَنْ﴾ هنا مخففة من الثقيلة. واسمها ضمير الشأن المحذوف، كما قدر المفسر. وجملة ﴿عَسَىٰٓ...﴾ في محل رفع خبرها. و﴿عَسَىٰٓ﴾ هنا تامة، والمصدر المؤول من ﴿أَن يَكُونَ﴾ فاعلها. واسم ﴿يَكُونَ﴾: ضمير الشأن. وحاصل المعنى: أولم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا إلى طلب الحق والتوجه إلى ما ينجيهم قبل نزول العذاب، أو الموت. أفاده البيضاوي.

(٤) قوله: (فيموتوا). معطوف على ﴿يَكُونَ﴾، وكذا قوله (فيصيروا) معطوف على (فيموتوا).

(٥) قوله: (فيبادروا). معطوف على قوله: (فيستدلوا) فيكون الفعل مجزومًا، ويحتمل كون قوله (فيبادروا) جوابًا للاستفهام، والفاء جوابية، فيكون منصوبًا بـ«أن» مضمرة.

(٦) قوله: (بالياء والنون). القراءات هنا ثلاث:

١- ﴿وَنَذَرُهُمْ﴾: بالنون مع رفع الفعل: قراءة نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبي جعفر.

٢- ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾: بالياء والرفع: قراءة أبي عمرو، وعاصم، ويعقوب.

٣- ﴿وَيَذَرْهُمْ﴾: بالياء والجزم: قراءة الباقين. وتوجيه الرفع والجزم كما قال المفسر.

والجزم عطفًا على محل ما بعد الفاء ﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ يترددون تحيّرًا.

﴿١٨٧﴾- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي: أهل مكة[(١)] ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ القيامة[(٢)] ﴿أَيَّانَ﴾ متى ﴿مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ متى[(٣)] تكون ﴿عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا﴾ يظهرها ﴿لِوَقْتِهَآ﴾ اللام بمعنى في ﴿إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ﴾ عظمت[(٤)] ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ على أهلهما لهولها ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ﴾ فجأة[(٥)] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ مبالغ في

---

(١) قوله: (أي: أهل مكة). هذا القول عزاه ابن جرير إلى قتادة: قال: قالت قريش لمحمد ﷺ. وروى عن ابن عباس أن السائل نفر من اليهود.

ورجح ابن كثير الأول لأن الآية مكية، وكانوا يسألون عن وقت الساعة استبعادًا لوقوعها وتكذيبًا بوجودها. كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [يونس: ٤٨].اهـ.

(٢) قوله: (القيامة). فالساعة من أسماء القيامة، وقد ورد في القرآن الكريم أسماء كثيرة لها، منها: الطامة الكبرى، الواقعة، يوم التغابن، القارعة، الغاشية....، وتعدد الأسماء للشيء يدل على عظمته. وقد جمعناها في أبيات مع أبيات أخرى من المجموعات القرآنية.

(٣) قوله: (متى).... و(أيان). مبني على الفتح في محل نصب على الظرفية. وتأتي استفهامية، كما هنا، وشرطية مثل «متى»، ولكن لا تستعمل إلا فيما له شأن.

و«مُرسَى» إما ظرف من «أرسى، يُرسي» بمعنى: أثبت، ومنه: أرسى السفينة، ويحتمل كونه مصدرًا ميميًّا كما يعلم من البيضاوي.

(٤) قوله: (عظمت). وبذلك فسر الحسن، وابن جريج، وعن السدي: «خفيت في السمٰوات والأرض، فلم يعلم بذلك من فيهما».

(٥) قوله: (فجأة). كما في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «**ولتقومن الساعة، وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومنّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لِقْحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة والرجل قد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها...**».اهـ. [«فتح الباري» (١١/ ٣٦٠)].

السؤال[١] ﴿عَنۡهَاۖ﴾ حتى علمتها ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ تأكيد[٢] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ أن علمها عند الله.

﴿١٨٨﴾- ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا﴾ أجلبه ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ أدفعه ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ ما غاب عني ﴿لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ من فقر وغيره[٣] لاحترازي باجتناب المضار ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ﴾ بالنار للكافرين ﴿وَبَشِيرٞ﴾ بالجنة ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾.

﴿١٨٩﴾- ﴿۞ هُوَ﴾ أي: الله ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ أي: آدم ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق[٤] ﴿مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ حواء ﴿لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾ ويألفها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا﴾ هو النطفة ﴿فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ﴾ ذهبت وجاءت لخفته ﴿فَلَمَّآ

---

(١) قوله: (مبالغ في السؤال). وبمثله فسّر مجاهد والضحاك: قال مجاهد: «استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقتها». وقال الضحاك: «كأنك تعلمها». وقال ابن عباس: «كأنك صديق لهم وحفيّ بهم».

(٢) قوله: (تأكيد). أي هذه الجملة توكيد لقوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ﴾، أكّد بها الأمر بردّ العلم عن الساعة إلى الله تعالى؛ لأنه من مفاتح الغيب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ...﴾».اهـ.

(٣) قوله: (من فقر وغيره). وبمثله فسر ابن جرير وغيره، فعن ابن عباس: «لعلمت إذا اشتريت شيئًا ما أربح فيه ولا يصيبني الفقر».

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: «لاجتنبت ما يكون من الشر قبل أن يكون، واتقيته...».

(٤) قوله: (خلق). أفاد أن ﴿جَعَلَ﴾ هنا بمعنى: أوجد وخلق، فله مفعول واحد. وقد تقدم ذكر استعمالاتها الأربعة في تفسير سورة البقرة، الآية (٢٢).

﴿أَثْقَلَت﴾ كبر الولد[١] في بطنها وأشفقا أن يكون الولد بهيمة[٢] ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا﴾ ولدًا ﴿صَٰلِحًا﴾ سويًّا[٣] ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩﴾ لك عليه.

١٩٠- ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ ولدًا ﴿صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ وفي قراءة[٤]: بكسر الشين والتنوين: أي شريكًا ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ بتسميته عبدالحارث[٥]، ولا ينبغي أن يكون

---

(١) قوله: (كبر الولد). أفاد أن أثقل بمعنى: صار ثقيلًا. فـ«أفعل» هنا للصيرورة، كما يقال: أورق الشجر أي: صار ذا ورق. وأشار إلى ذلك ابن جرير.

(٢) قوله: (وأشفقا أن يكون الولد بهيمة...). أي: خافا أن يكون الولد بهيمة... روي هذا عن ابن عباس وغيره. وفيما روي عن ابن عباس وغيره أن هذا الخوف كان بسبب وسوسة إبليس. والله أعلم.

(٣) قوله: (سويًّا). أي: إنسانًا سويًّا، ولا يكون بهيمة.

(٤) قوله: (وفي قراءة....). وهي قراءة نافع، وشعبة، وأبي جعفر: ﴿شِرْكًا﴾: مصدر بمعنى اسم الفاعل. وقرأ الباقون: ﴿شُرَكَآءَ﴾ جمع شريك.

(٥) قوله: (بتسميته عبدالحارث). هذا الذي ذكره المفسر ذهب إليه جمهور المفسرين كما يفهم من القرطبي وغيره، والحديث المذكور عن سمرة، قد رواه ابن جرير وأحمد والحاكم والترمذي، ورواه ابن جرير عن سعيد بن جبير بسياق أطول، وعن ابن عباس: «أن الحارث كان اسم الشيطان في السماء». وروى ابن جرير كذلك، عن قتادة وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير، بطرق مختلفة وسياق متقارب.

الخلاصة: هذا القول قوي من حيث النقل، ولا محذور فيه من حيث العقل. وذهب ابن كثير أن المراد بقوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ ذرية آدم ومن أشرك منهم، وليس المراد آدم وحواء، فهذا من إطلاق الشخص وإرادة الجنس. وقال: «قد صح هذا التفسير عن الحسن بأسانيد، وهو من أحسن التفاسير، وأولى ما حملت عليه الآية».اهـ.

وإلى هذا ذهب البيضاوي وطائفة من المفسرين، وأيد هذا القول أيضًا بقوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾ بصيغة الجمع، كما أشار له القرطبي.

عبدًا إلا لله، وليس بإشراك في العبودية لعصمة آدم، وروى سمرة عن النبي ﷺ قال: «**لما ولدت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه عبدالحارث، فإنه يعيش، فسمته فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره**» رواه الحاكم، وقال: «صحيح»، والترمذي، وقال: «حسن غريب»، ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ أي: أهل مكة به من الأصنام، والجملة مسببة(١) عطف على «خَلَقَكُم» وما بينهما اعتراض.

﴿١٩١﴾ - ﴿ أَيُشْرِكُونَ ﴾ به في العبادة ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾(٢).

﴿١٩٢﴾ - ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ ﴾ أي: لعابديهم ﴿نَصْرًا(٣) وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ بمنعها ممن أراد بهم سوءًا من كسر أو غيره، والاستفهام للتوبيخ.

﴿١٩٣﴾ - ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ ﴾ أي: الأصنام ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بالتشديد والتخفيف(٤)

---

(١) قوله: (والجملة مسببة). أي: جملة ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ مسببة عن ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ وهي معطوفة عليها، وعطف الجملة بالفاء تفيد أن الجملة الأولى سبب والثانية مسببة، كما يقال: رأوا الهلال فصاموا. فالمعنى: هو الذي خلقكم... فهو متعالٍ عن شرك المشركين، ويريد المفسر: أن هذه الجملة ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ...﴾ لا علاقة لها بقصة آدم وحواء، وإنما هي معطوفة على ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ وقصة آدم وحواء معترضة بينهما. والله أعلم.

(٢) الآيات إلى آية (١٩٨): مضمونها: إنكار من الله تعالى على المشركين الذين عبدوا غيره من الأصنام والأوثان، وهي مخلوقة لا تملك شيئًا، بل جماد لا تتحرك ولا تسمع، ولا تبصر، وعابدوها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم.اهـ. كما أفاد المفسر، وكما ذكره ابن كثير وغيره من المفسرين.

(٣) قوله تعالى: ﴿لَهُمْ نَصْرًا ﴾. اللام للتقوية داخلة على المفعول به المقدم للمصدر ﴿نَصْرًا ﴾، والمصدر لا يعمل في المتقدم، ولكن يجوز إذا كان المعمول جارًا ومجرورًا، أو ظرفًا.

(٤) قوله: (بالتشديد والتخفيف). قراءتان: بالتخفيف: ﴿لَا يَتْبَعُوكُمْ﴾ مضارع: «تَبِع» =

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ﴾ إليه ﴿أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ١٩٣﴾[١] من دعائهم، لا يتبعوه لعدم سماعهم.

١٩٤- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ﴾ تعبدون[٢] ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ﴾ مملوكة ﴿أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ﴾ دعاءكم ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤﴾ في أنها آلهة. ثم بيّن[٣] غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم، فقال:

١٩٥- ﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ﴾ بل أ﴿لَهُمۡ أَيۡدٖ﴾ جمع يد ﴿يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ﴾ بل أ﴿لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ﴾ بل أ ﴿لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ﴾ استفهام إنكارٍ، أي: ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم، فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالًا منهم، ﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد ﴿ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾ إلى هلاكي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥﴾ تمهلون، فإني لا أبالي بكم.

١٩٦- ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ متولي أموري ﴿ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ﴾ القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾ بحفظه.

= الثلاثي المجرد: قراءة نافع، وبالتشديد: ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ﴾ مضارع «اتّبع» الثلاثي المزيد: قراءة الباقين، ومعناهما واحد.

(١) قوله تعالى: ﴿أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾ «أم» هنا متصلة عاطفة؛ لأنها مسبوقة بهمزة التسوية، سواء: خبر مقدم، وجملة ﴿أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ﴾ في تأويل مصدر مبتدأ، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾.

(٢) قوله: (تعبدون) كذا فسره القرطبي وغيره.

(٣) قوله: (ثم بين) أي: بين الله تعالى غاية عجز تلك المعبودات وأن عابديها أتم منها بقوله تعالى: ﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ﴾ الآية. كما قال المفسر: أي: ليس لهم شيء مما هو لكم. فالمراد بالآية الاستنكار على المشركين حيث عبدوا ما هو أضعف وأنقص منهم، وليس المراد بالآية الإشارة إلى وجوب اتصاف المعبود بهذه الأمور. كما أشار إليه القرطبي.

(١٩٧)- ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧﴾ فكيف أبالي بهم[١].

(١٩٨)- ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ﴾ أي: الأصنام ﴿إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ﴾ يا محمدُ، أي: الأصنامَ ﴿يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾ أي: يقابلونك كالناظر[٢] ﴿وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ١٩٨﴾.

(١٩٩)- ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ اليُسر من أخلاق الناس[٣] ولا تبحث عنها ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ المعروف[٤] ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ فلا تقابلهم بسفههم.

---

(١) قوله: (فكيف أبالي بهم). أشار به إلى فائدة ذكر هذه الآية مع سبق مثلها، فهنا ذكرت لتأكيد ﴿ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ﴾، وهناك ذكرت لبيان عجزها وجهالة عابديها، والله أعلم. وقد أفاد ذلك البيضاوي.

(٢) قوله: (أي: يقابلونك كالناظر). أفاد به أن ﴿يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾ من باب التشبيه؛ لأنهم كانوا صوَّرُوا الأصنام بشكل الناظر. كما قال ابن كثير: «يقابلونك بعيون مصورة كأنها ناظرة، وهي جماد».اهـ.

(٣) قوله: (اليُسر من أخلاق الناس...). وبمثله روى عن مجاهد: «قال: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تجسس».اهـ. وروى البخاري عن عبدالله بن الزبير قال: «إنما أنزل ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ من أخلاق الناس».اهـ. وروى ابن جرير عن ابن زيد: «﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ أمره بالإعراض عن المشركين عشر سنين بمكة، ثم أمره بالغلظة عليهم».اهـ. واختار ابن جرير المعنى الأول، حيث قال: «معناه: خذ العفو من أخلاق الناس واترك الغلظة عليهم...».اهـ.

(٤) قوله: (المعروف): كذا فسره قتادة والسدي وعروة بن الزبير.

قال ابن كثير: «هن ثلاث آيات: هذه الآية ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾، وفي المؤمنون: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾، وفي «حم، السجدة: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤﴾، فهذه الآيات الثلاث لا رابع لها يرشد تعالى فيهن إلى معاملة العاصي من الإنس بالمعروف بالتي هي أحسن فإن ذلك يكفّه عما هو فيه، من التمرد بإذن الله،=

٢٠٠- ﴿وَإِمَّا﴾ فيه إدغام[١] نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ إن يصرفك[٢] عما أمرت به صارف ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ جواب الشرط[٣]، وجواب الأمر محذوف، أي: يدفعه عنك. ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ للقول ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ بالفعل.

= بل استجِرْ بالله عنه، كما قال تعالى هنا: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾، وفي المؤمنون: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾، وفي «حم السجدة»: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾». اهـ. باختصار وتصرف.

(١) قوله: (فيه إدغام). أي: «إما» هنا مركبة من «إن» الشرطية و«ما» المزيدة للتوكيد. وفعل الشرط: ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾، ويكثر توكيد المضارع بعد «إما». وتأتي «إما»: حرف تفصيل فتكون لفظة واحدة غير مركبة نحو: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤]، وكثير من النحاة يقولون: إما الثانية حرف عطف. وهو رأي أكثر النحويين.

(٢) قوله: (إن يصرفك...). ظاهر كلامه يفيد أن المعنى: إن شغلك عن القيام بالمأمورات شاغل، فاستعذ بالله، ويحتمل كون المراد بما أمرت به: الأخذ بالعفو، فالمعنى: إن صرفك عن الأخذ بالعفو نزغة الشيطان أي: الغضب فاستعذ بالله، وهذا المعنى يوافق ما فسر به ابن جرير وغيره: حيث قال: «إما يغضبك من الشيطان غضب يصدك عن الإعراض عن الجاهلين ويحملك على مجازاتهم». وروى في سبب نزول هذه الآية، قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾، قال رسول الله ﷺ: «**فكيف بالغضب يا رب؟**»، قال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾». اهـ. وأضف ما نقلنا عن ابن كثير في تفسير الآية السابقة.

(٣) قوله: (جواب الشرط): أي: قوله: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾، جواب الشرط: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾، و﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ أمر، وجواب هذا الأمر محذوف تقديره: يدفعه عنك...، أي فالتقدير: إن استعذت بالله يدفعه عنك.

والنزغ في اللغة: النخس، وهو في الأصل حث السائق للدابة على السير، واستعير لوسوسة الشيطان. كما أفاده الصاوي.

(٢٠١) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ﴾ أصابهم ﴿طَيْفٌ﴾ أي: شيء ألمّ بهم[١]، وفي قراءة: «طَآئِفٌ»[٢]، ﴿مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ عقاب الله وثوابه ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١)﴾ الحق من غيره فيرجعون.

(٢٠٢) - ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾ أي: إخوان الشياطين من الكفار ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ أي: الشياطينُ[٣] ﴿فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ﴾ هم ﴿لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢)﴾ يكفون عنه[٤] بالتبصّر كما تبصر المتقون.

(٢٠٣) - ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم﴾ أي: أهل مكة ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ مما اقترحوا ﴿قَالُواْ لَوْلَا﴾ هلّا[٥] ﴿ٱجْتَبَيْتَهَا﴾ أنشأتها من قبل نفسك[٦] ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ

---

(١) قوله: (أي: شيء ألمّ بهم). أي: نزل بهم، هذا تفسير للمراد بالطائف: ومعناه في اللغة: ما يتخيل في القلب أو يُرى في المنام. نقله القرطبي عن النحاس. وكذلك: الطيف: وقيل: الطيف: التخيل، وهو مصدر، والطائف: الشيطان نفسه؛ لأنه اسم فاعل من طاف.

(٢) قوله: (وفي قراءة...).﴿طَيْفٌ﴾: قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، والكسائي، ويعقوب، وقرأ الباقون: ﴿طَآئِفٌ﴾.

(٣) قوله: (﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾، أي: الشياطين). الشياطين بالرفع تفسير للضمير في ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾، وبه فسر ابن كثير، وابن جرير وغيرهما، وعزاه القرطبي إلى قتادة، والحسن، والضحاك. والمعنى: وإخوان الشياطين، وهم الفجار من الإنس تمدهم الشياطين في الغي.

(٤) قوله: (يكفون عنه...). وبمثله فسر ابن جرير وغيره، ففي الآية بيان لحال المؤمنين والكفار، فالمؤمن يرتدع عما أصابه من النزغات، والكافر يستمر. وقال ابن عباس في تفسير: ﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾: «والإنس يقصرون عما يعملون، والشياطين تمسك عنهم».اهـ. ففيه تعميم الضمير في ﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾ على الإنس والشياطين.

(٥) قوله: (هلا) أفاد أن لولا تحضيضية، وليست الامتناعية الشرطية.

(٦) قوله: (أنشأتها من قبل نفسك). هكذا فسر به مجاهد، والسدي، وقتادة في رواية، وابن عباس في رواية وغيرهم، وفي رواية عنهما: لولا تقبلتها من ربك. واجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه، أي: جمعهُ.اهـ.

﴿مِن رَّبِّيۚ﴾ وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَصَآئِرُ﴾ حجج[١] ﴿مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٠٣﴾.

٢٠٤- ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ عن الكلام ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤﴾ نزلت في ترك الكلام في الخطبة[٢]، وعبر عنها بالقرآن[٣] لاشتمالها عليه، وقيل: في قراءة القرآن مطلقًا.

٢٠٥- ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ﴾ أي: سرًّا ﴿تَضَرُّعٗا﴾ تذللًا ﴿وَخِيفَةٗ﴾[٤]

---

(١) قوله: (حجج). وبه فسر ابن جرير، وهي جمع بصيرة.

(٢) قوله: (نزلت في ترك الكلام في الخطبة). روى ابن جرير هذا القول عن مجاهد، قال: «الإنصات للإمام يوم الجمعة». وروي عن أبي هريرة قال: «كانوا يتكلمون في الصلاة فلما نزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ والآية الأخرى أمروا بالإنصات»، وروى نحوه عن مجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهما. قول ثالث: رواه عن مجاهد أيضًا، يقول: في هذه الآية: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾: «في الصلاة والخطبة يوم الجمعة». واختار هذا القول. والقول الأول أي: أنها في الخطبة. عزاه القرطبي إلى سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، وعمرو بن دينار، وزيد بن أسلم وغيرهم، ولكن ضعفه، ورجح أنها في الإنصات يوم الأضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة وفيما يجهر فيه الإمام، فهي عامة.

(٣) قوله: (وعبر عنها بالقرآن). يعني: عبر عن الخطبة بالقرآن؛ لاشتمال الخطبة على قراءة القرآن، وهي ركن في الخطبة عند الشافعية وغيرهم، فيكون من المجاز المرسل، أطلق الجزء وأريد الكُل. والعلاقة: الجزئية.

وفي هذا القول إجابة عن تضعيف القول بأن الآية في الخطبة بحجة أن قراءة القرآن في الخطبة قليلة، واستماع جميع الخطبة واجب، وحاصل الجواب: أن المراد بالقرآن هٰهنا الخطبة بكمالها، من إطلاق الجزء على الكل، فتكون الآية آمرة باستماع الخطبة كلها.

(٤) قوله تعالى: ﴿تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ﴾. حالان بمعنى: متضرعًا وخائفًا.

خوفًا منه ﴿وَ﴾ فوق السر ﴿دُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: قصدًا بينهما[١] ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ﴾ أوائل النهار وأواخره[٢] ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ عن ذكر الله.

﴿٢٠٦﴾ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكة[٣] ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون[٤] ﴿عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ ينزهونه عما لا يليق به ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ أي: يخصونه[٥] بالخضوع والعبادة، فكونوا مثلهم[٦].

❁❁❁

(١) قوله: (أي: قصدًا بينهما). يعني: متوسطًا بين السر والجهر.

(٢) قوله: (أوائل النهار وأواخره). الغدو: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، والآصال: جمع أصيل، أو جمع أُصُل وهو جمع أصيل، وهو من العصر إلى الغروب.
قال ابن كثير: «يأمر تعالى بذكره أول النهار وآخره كثيرًا، وقد كان هذا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء وهذه الآية مكية».اهـ.

(٣) قوله: (أي: الملائكة). هذا بالإجماع. قاله القرطبي.

(٤) قوله: (يتكبرون). أفاد أن استفعل مجرد عن معنى الطلب، كما تقدم نظيره.

(٥) قوله: (يخصونه). أخذ معنى التخصيص بتقديم الجار والمجرور: ﴿وَلَهُۥ﴾.

(٦) قوله: (فكونوا مثلهم). فهذه الآية تأمرنا بالاقتداء بهم، أفاده ابن جرير وابن كثير وغيرهما. ولذا شرع هٰهنا سجود التلاوة. وهذا أول مواضع السجدات، وهي أربعة عشر موضعًا عند الشافعية، على اختلاف بين العلماء في عددها.
والسجود سنة ليس واجبًا عند الجمهور، ويشترط له ما يشترط للصلاة من طهارة وستر واستقبال وغيرها، ويكبر في أوله ويسلم بعده، وفي كل ذلك خلاف فقهي، وهو سجود واحد اتفاقًا.
ويصدق على هذه السجدة حد الصلاة، أي: أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم. والله أعلم.

٨- سورة الأنفال[١]

مدنيّة إلا ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ﴾[٢] الآيات السبع فمكية

آياتها خمس أو ست أو سبع وسبعون آية

لما اختلف المسلمون[٣] في غنائم بدر، فقال الشبان: هي لنا؛ لأنا باشرنا القتال، وقال الشيوخ: كنا ردءًا لكم تحت الرايات، ولو انكشفتم لفئتم إلينا فلا تستأثروا بها» نزل:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ﴾ الغنائم[٤]، لمن هي؟ ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱلۡأَنفَالُ

---

(١) قوله: (سورة الأنفال): وجه تسمية السورة بالأنفال واضح؛ لذكره في بدء السورة.

(٢) قوله: (إلا ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ﴾) عزا القرطبي هذا القول إلى ابن عباس.

(٣) قوله: (لما اختلف المسلمون...) بيان لسبب نزول هذه الآية وما بعدها. وما ذكره من الاختلاف رواه ابن جرير عن ابن عباس من عدة طرق قال: «لما كان يوم بدر، قال رسول الله ﷺ: «**من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا**»، قال: فتسارع في ذلك شبان الرجال، وبقيت الشيوخ تحت الرايات، فلما كانت الغنائم جاؤوا يطلبون الذي جعل لهم، فقالت الشيوخ: لا تستأثروا علينا، فإنا كنا ردءًا لكم، وكنا تحت الرايات، ولو انكشفتم لفئتم إلينا.اهـ. -يعنون: لو انهزمتم لرجعتم إلينا- فأنزل الله ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ ...﴾».اهـ.

(٤) قوله: (الغنائم). فالمراد بـ﴿ٱلۡأَنفَالِۖ﴾ هنا: الغنائم، روي ذلك عن ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة وغيرهم. وسميت الغنيمة نفلًا؛ لأنها عطية من الله وفضل. أفاده البيضاوي.

وقيل: هي ما يجعل الإمام لمن يعمل شيئًا كبيرًا في القتال من الزيادة على ما يستحقه من الغنائم، كما هو المتعارف عند الفقهاء، واختاره ابن جرير. وقد يؤيده ما في الرواية المذكورة عن ابن عباس من قول النبي ﷺ: «**من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا**».

﴿لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ يجعلانها حيث شاءا[(١)]، فقسمها النبي ﷺ بينهم على السواء[(٢)]، رواه الحاكم في «المستدرك». ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ أي: حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١﴾ حقًّا[(٣)].

---

(١) قوله: (يجعلانها حيث شاءا). أي: يجعلها الله ورسوله حيث شاء الله ورسوله. وفي عبارة المفسر الجمع بين الخالق والخلق في الضمير (يجعلانها...شاءا) وقد ورد النهي عن ذلك. وذلك فيما رواه مسلم عن عدي بن حاتم أن رجلًا خطب عند النبي ﷺ فقال: ومن يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله ﷺ: «**بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله**» [(٦/ ١٥٩)].

وقد ثبت الجمع في كلام الرسول ﷺ؛ وذلك كما في «صحيح البخاري»: عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان؛ من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...**» [الحديث رقم (٢١)].

فقيل: الجمع خاص بالنبي ﷺ ولا يجوز لغيره، وقيل: النهي محمول على ما إذا أوهم التسوية.

(٢) قوله: (فقسمها النبي ﷺ بينهم على السواء). روى ابن جرير ذلك عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذا رواه عنه الإمام أحمد. وروى ابن جرير عن سعد بن أبي وقاص، ومجاهد وعكرمة: هذه الآية نسختها قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾، وعن ابن زيد: «بل هي محكمة، وقوله تعالى: ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾ بيان وتوضيح للمصارف، التي أجملت في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾». واختاره ابن جرير. هذا إذا أريد بالأنفال هنا الغنائم، وأما لو أريد بها ما يزيده الإمام لبعض المقاتلين كما رجحه ابن جرير فلا تعارض بين الآيتين؛ لأن ما ذكر هنا ما هو زيد على الغنيمة، وما ذكر في قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾: الغنيمة. والله أعلم.

(٣) قوله: (حقًّا). لعله أشار إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ الآتي.

وقول المفسّر: (أي حقيقة ما بينكم) تفسير لـ﴿ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾، فالذات بمعنى: الحقيقة، أي: الحالة الكائنة بينكم. وإضافتها إلى «بين» من إضافة الشيء إلى الظرف. وتقدم استعمالات «ذات» في آل عمران الآية (١١٩).

(٢)- ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملو الإيمان[١] ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ أي: وعيده ﴿وَجِلَتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ تصديقًا[٢] ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢)﴾ به يثقون لا بغيره[٣].

---

(١) قوله: (الكاملو الإيمان). قيّد به؛ لأن الأوصاف المذكورة من كمال الإيمان، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ قال القرطبي: «سأل رجل الحسن: يا أبا سعيد! أمؤمن أنت؟ فقال له: الإيمان إيمانان، فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والبعث والحساب؛ فأنا مؤمنٌ، وإن كنت تسألني عن قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ...﴾ الآية، فوالله ما أدري أنا منهم، أم لا».اهـ. فهذا التفصيل من الحسن البصري يدل على ما فسر به المفسّر.

(٢) قوله: (تصديقًا). هكذا فسر الإيمان ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، روى ابن جرير عنه أنه قال: «المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله، ولا يتوكلون على الله، ولا يصلون إذا غابوا، ولا يؤدون زكاة أموالهم؛ فأخبر الله سبحانه أنهم ليسوا بمؤمنين ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، فأدوا فرائضه ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ يقول: تصديقًا ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢)﴾ يقول: لا يرجون غيره».اهـ.

فهذا إطلاق الإيمان على مجرد التصديق، وقد ذكرنا في تفسير سورة البقرة [الآية رقم: ٣]، أن الإيمان يطلق في كلام الشارع على ثلاثة معان: التصديق فقط، والتصديق مع القول والعمل، والعمل فقط. وفي الآية دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة خلافًا للمرجئة، فهو عندهم متواطِ كما تقدم ذلك. وفي إسناد الزيادة إلى الإيمان في قوله تعالى: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ مجاز عقلي، حيث أسند الفعل إلى سببه.

(٣) قوله: (به يثقون لا بغيره). معنى الحصر مستفاد من تقديم الجار والمجرور ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، وكما في الحديث المروي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا السابق.

(٣)- ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ ٣﴾ في طاعة الله.

(٤)- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر[١] ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ صدقًا بلا شك ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ منازل في الجنة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٤﴾ في الجنة.

(٥)- ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ«أَخْرَجَ»[٢] ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥﴾ الخروجَ[٣]، والجملة حال[٤] من كاف «أَخْرَجَكَ»، و«كَمَآ» خبر لمبتدأ محذوف[٥]، أي: هذه الحال[٦] في كراهتهم لها مثل إخراجك في حال كراهتهم، وقد كان خيرًا لهم[٧]، فكذلك هذه أيضًا، وذلك أن أبا

---

(١) قوله: (الموصوفون بما ذكر). فيه إشارة إلى أن ذكر اسم الإشارة يقوم مقام ذكر المشار إليه، وهو الموصوفون بما ذكر، فترتيب الحكم بأنهم المؤمنون حقًا يدل على أن تلك الأوصاف هي علة ذلك الحكم، كما تقدم نظيره في سورة البقرة الآية رقم (٥).

(٢) قوله: (متعلق بـ﴿أَخْرَجَ﴾). أي: والباء فيه للإلصاق.

(٣) قوله: (الخروجَ). مفعول به لـ﴿كَٰرِهُونَ﴾.

(٤) قوله: (والجملة حال). أي: جملة ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا﴾ فهي في محل نصب.

(٥) قوله: (خبر لمبتدأ محذوف...). وهذا الإعراب الذي ذكره قاله البيضاوي.

(٦) قوله: (هذه الحال) أي: حالهم وهي الكراهة الناشئة من تنفيل الغزاة.

(٧) قوله: وقد كان خيرًا لهم) أي: كان تنفيل الرسول ﷺ لهم كما أمر الله به خيرًا لهم، مع كراهة بعضهم أولًا ذلك، وتشاجرهم في شأنها، كما أن إخراجهم إلى مقابلة المشركين إلى بدر خير لهم، وإن كره بعضهم ذلك أولًا، واختلفوا فيه. هذا ملخص ما ذكر المفسر هٰهنا، وقد ذكره المفسرون كالبيضاوي والقرطبي، وأوضحه ابن كثير، وعلى هذا تكون الكاف في ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ﴾ تنظيرية. والله أعلم. هذا، وقد أعربت الآية بغير ما ذكره كما فسرت بغير هذا التفسير أيضًا.

سفيان[١] قدم بِعيرٍ[٢] من الشام، فخرج النبي ﷺ[٣] وأصحابه ليغنموها فعلمت قريش[٤]، فخرج أبو جهل[٥] ومقاتلو مكة ليذبوا عنها، وهم النفير[٦]، وأخذ أبو سفيان[٧] بالعير طريق الساحل فنجَت، فقيل لأبي جهل[٨]: اِرْجعْ، فأبى، وسار إلى بدر، فشاور النبي ﷺ أصحابه، وقال: إن الله وعدني إحدى الطائفتين[٩]، فوافقوه على قتال النفير، وكره بعضهم ذلك[١٠]، وقالوا: لم نستعد له، كما قال تعالى:

---

(١) قوله: (وذلك أن أبا سفيان). ما ذكره المفسر ملخص الأمور التي أدت إلى غزوة بدر الكبرى، وقد فصّلها أهل السير والمفسرون.

(٢) قوله: (قدم بعير). العير: هي القافلة، وكان فيها تجارة عظيمة، فيها ألف بعير موقورة، وكان معها أربعون راكبًا فقط.

(٣) قوله: (فخرج النبي ﷺ). أي: بإخبار جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بذلك، وكان معه ﷺ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا (٣١٣، ٣١٤، أو ٣١٧ رجلًا)، ومعهم فرس أو فرسان، وسبعون بعيرًا.

(٤) قوله: (فعلمت قريش). أي: بخروج النبي ﷺ.

(٥) قوله: (فخرج أبو جهل). أي: من مكة ومعه ألف مقاتل من كفار مكة، مع عدتهم وأهبتهم الكاملة.

(٦) قوله: (وهم النفير). أي: جماعة قريش الذين خرجوا من مكة: تسمى «النفير».

(٧) قوله: (وأخذ أبو سفيان). أي: أوصل العير إلى مكة بطريق غير معتاد، وكان على حذر شديد؛ لكثرة الأموال وقلة الرجال.

(٨) قوله: (فقيل لأبي جهل). كان القائل أبا سفيان، أرسل إلى أبي جهل وجيشه: إنكم إنما خرجتم لتحرزوا عيركم ورجالكم وأموالكم، وقد نجاها الله فارجعوا.

(٩) قوله: (إحدى الطائفتين). وهما: العير أو نفير قريش، كما سيأتي.

(١٠) قوله: (وكره بعضهم ذلك). أي: لأنهم ما كانوا على استعداد للحرب، ولم تكن عندهم عدة وأهبة، فلما شاورهم رسول الله ﷺ وافقوا كلهم، المهاجرون ثم الأنصار.

(٦)- ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ﴾ القتال[١] ﴿بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ ظهر لهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ (٦)﴾ إليه عيانًا، في كراهتهم له.

(٧)- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ﴾ العير أو النفير[٢] ﴿أَنَّهَا لَكُمۡ﴾[٣] ﴿وَتَوَدُّونَ﴾ تريدون ﴿أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ﴾ أي: البأس والسلاح، وهي العير[٤] ﴿تَكُونُ لَكُمۡ﴾ لقلة عددها وعُددها[٥]؛ بخلاف النفير ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ﴾ يظهره ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ السابقة بظهور الإسلام[٦] ﴿وَيَقۡطَعَ دَابِرَ

---

(١) قوله: (القتال). هكذا فسره مجاهد، وابن جرير وغيرهما من المفسرين.

وعن ابن زيد: «هذه الآية في المشركين»، والمعنى: هؤلاء المشركون يجادلونك في الحق كأنما يساقون إلى الموت حين دعوتهم إلى الإسلام، وجمهور المفسرين على الأول، كما يدل عليه سياق الآية.

(٢) قوله: (العير أو النفير). العير: قافلة أبي سفيان، والنفير جيش أبي جهل كما تقدم.

(٣) قوله تعالى: ﴿أَنَّهَا لَكُمۡ﴾. بدل اشتمال من ﴿إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ﴾.

(٤) قوله: (وهي العير). أي غير: ذات الشوكة: العيرُ.

(٥) قوله: (لقلة عددها وعددها). الأول بفتح العين: العَدَد، والثاني بضمها جمع عُدَّة، وهي الأُهبة. أي: ما يُحتاج إليه من الأسلحة وغيرها، وذكرنا أن العير كان عليها أربعون رجلًا فقط، وهم قافلة التجارة، وليس معهم عُدَّة القتال؛ بخلاف النفير أي: جيش قريش فهم ألف، ومعهم كلّ عدّة.

(٦) قوله: (السابقة بظهور الإسلام). فالمراد بالكلمات -على ما فسر به- وعده تعالى السابق بظهور الإسلام، وبنحو ذلك فسر القرطبي حيث قال: بوعده، فإنه وعد نبيه ذلك في سورة الدخان فقال: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ (١٦)﴾، وقال في «فتح القدير»: المراد بالكلمات: «الآيات التي أنزلها في محاربة ذات الشوكة».اهـ. وذكره القرطبي وجهًا.

﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧﴾ آخرهم بالاستئصال، فأمركم بقتال النفير(١).

٨- ﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ﴾ يمحق ﴿ٱلۡبَٰطِلَ﴾ الكفر ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٨﴾ المشركون ذلك.

٩- اذكرُ ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ﴾ تطلبون منه الغوث(٢) بالنصر عليهم ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي﴾ أي: بأني(٣) ﴿مُمِدُّكُم﴾ معينكم ﴿بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۝٩﴾ متتابعين(٤)، يردف بعضهم بعضًا وعدهم بها أولًا(٥)، ثم صارت ثلاثة آلاف، ثم خمسةً كما في آل عمران. وقرئ(٦): «بِآلُفٍ» كأفلس، جمعٌ.

١٠- ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: الإمداد، ﴿إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ(٧) إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾.

---

(١) قوله: (فأمركم بقتال النفير). قدره ليتعلق به الجار والمجرور في الآية التالية: ﴿لِيُحِقَّ﴾؛ فيكون تعليلًا لهذا المقدر.

(٢) قوله: (تطلبون منه الغوث). أفاد أن «استفعل» هنا للطلب كما هو الغالب فيه.

(٣) قوله: (بأني). أشار به إلى حذف حرف الجر، وهو جائز مع «أن» و«أنّ» مطردًا، كما تقدم مرارًا.

(٤) وقوله: (متتابعين). كذا ورد تفسيره عن ابن عباس.

(٥) قوله: (وعدهم بها أولًا...). أراد المفسر بهذا الكلام الجمع بين ما ورد من عدد الملائكة أنهم ألف وثلاثة آلاف، وخمسة آلاف... كما تقدم في آل عمران.

(٦) قوله: (قرئ:...). هذه قراءة جعفر بن محمد، وعاصم الجحدريّ: شاذة. وهو جمع القلة لألْفٍ، على وزن «أفعُل»، وأصله: أألُف بهمزتين، قلبت الثانية ألفًا، لسكونها بعد همزة مفتوحة، كما في علم الصرف.

(٧) قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾. نبه به على أن النصر من عنده عَزَّوَجَلَّ، لا من الملائكة. أفاده القرطبي.

﴿١١﴾- اذكر ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً﴾ أمنًا مما حصل لكم من الخوف[١] ﴿مِّنْهُ﴾ تعالى ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم[٢] مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ من الأحداث والجنابات ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ وسوسته إليكم بأنكم لو كنتم على الحق ما كنتم ظمآى[٣] محدثين، والمشركون على الماء ﴿وَلِيَرْبِطَ﴾ يحبس ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ باليقين والصبر ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ أن تسوخ في الرمْل.

﴿١٢﴾- ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الذين أمدّ بهم المسلمين ﴿أَنِّى﴾ أي: بأني

---

(١) قوله: (أمنًا مما حصل لكم من الخوف). وكذلك فعل الله تعالى يوم أحد، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً﴾ [آل عمران: ١٥٤]، روى الحافظ أبو يعلى عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قال: «ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ، يصلّي تحت شجرة ويبكي، حتى أصبح».اهـ.

وكان هذا ليلة وقعة البدر، أي: الليلة التي يليها يوم القتال كما قال أهل السيرة وقالوا: كانت ليلة الجمعة السابعة عشرة من رمضان في السنة الثانية، كما في «الرحيق المختوم».

وروى ابن جرير عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «النعاس في القتال أمنة من الله، وفي الصلاة من الشيطان».اهـ. ملخصًا من ابن كثير.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم﴾. ما ذكره المفسر في تفسير هذه الآية مروي عن ابن عباس بسياق مفصّل بطرق متعددة، أوردها ابن جرير. ومن ذلك: قال ابن عباس: «غلب المشركون المسلمين في أول أمرهم على الماء، فظمئ المسلمون، وصلّوا مجنبين محدثين، وكانت بينهم رمال، فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن، فقال: تزعمون أن فيكم نبيًّا وأنّكم أولياء الله، وقد غُلبتم على الماء وتصلون مجنبين محدثين. قال: فأنزل الله ماء من السماء، فسال كل وادٍ، فشرب المسلمون وتطهروا، وثبتت أقدامهم، وذهبت وسوسة الشيطان».اهـ.

(٣) وقول المفسر: (ظمآى). على وزن «فَعْلَى» جمع: ظمآن. وفي بعض النسخ: «ظِمَاءً».

﴿مَعَكُمۡ﴾ بالعون والنصر[(١)] ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ بالإعانة والتبشير[(٢)] ﴿سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ الخوف ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ أي: الرؤوس[(٣)] ﴿وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢﴾ أي: أطراف اليدين والرجلين، فكان الرجل[(٤)] يقصد ضرب رقبة الكافر، فتسقط قبل أن يصل إليه سيفه، ورماهم ﷺ[(٥)] بقبضة من الحصى، فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه منها شيء، فهزموا.

(١٣)- ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ﴾ خالفوا[(٦)] ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٣﴾ له[(٧)].

---

(١) قوله: (بالعون والنصر). أي: فهذه معية خاصة.

(٢) قوله: (بالإعانة والتبشير). هما قولان في معنى التثبيت الذي أمر به الملائكة، قال ابن جرير: قيل: إن تثبيت الملائكة المؤمنين كان حضورهم حربهم معهم، وقيل: كان ذلك معونتهم إياهم بقتال أعدائهم، وقيل: كان ذلك بأن الملك يأتي الرجل من أصحاب النبي ﷺ يقول: «سمعت هؤلاء القوم، يعني المشركين يقولون: والله لئن حملوا علينا لننكشفن، فيحدث المسلمون بعضهم بعضًا بذلك».اهـ.

(٣) قوله: (أي: الرؤوس). قاله عكرمة، وعن الضحاك وعطية العوفي: إن المعنى: اضربوا على الأعناق. قال ابن كثير: «يؤيده قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤].

(٤) قوله: (فكان الرجل...). ذكره علماء السيرة مفصلًا.

(٥) وقوله: (ورماهم ﷺ...). وفي ذلك نزلت الآية: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ﴾ الآتية.

(٦) قوله: (خالفوا). كذا فسر به ابن كثير. وقال ابن جرير: «فارقوا أمر الله ورسوله وعصوهما»، وهو قريب مما قاله المفسر.

(٧) قوله: (له). الضمير عائد إلى ﴿مَن﴾ الشرطية، وقدَّره ليفيد ارتباط جواب الشرط باسم الشرط من حيث المعنى.

(١٤)- ﴿ذَٰلِكُمْ[(١)]﴾ العذاب الواقع بهم ﴿فَذُوقُوهُ﴾ أيها الكفار في الدنيا ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابَ النَّارِ (١٤)﴾.

(١٥)- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾ أي: مجتمعين، كأنهم لكثرتهم[(٢)] يزحفون ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥)﴾ منهزمين.

(١٦)- ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم لقائهم ﴿دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾ منعطفًا ﴿لِّقِتَالٍ﴾ بأن يريهم[(٣)] الفَرَّة مكيدة وهو يريد الكَرَّة ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾ منضمًا ﴿إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ جماعة من المسلمين يستنجد بها[(٤)] ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾ رجع ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦)﴾ المرجع، هي. وهذا مخصوص[(٥)] بما

---

(١) قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾. اسم الإشارة في محل رفع مبتدأ أو خبر: والتقدير: ذلكم الأمر أو العذاب، أو الأمر ذلكم، أو في محل نصب بتقدير فعل دل عليه ﴿فَذُوقُوهُ﴾ على باب الاشتغال، و﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ الجملة في تأويل مصدر معطوف على ﴿ذَٰلِكُمْ﴾، أو الواو بمعنى: مع، و﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ في محل نصب مفعول معه. أفاده البيضاوي.

(٢) قوله: (كأنهم لكثرتهم...). قال نحوه البيضاوي. وقال: «وهو مصدر زحف الصبي إذا دب على مقعده قليلًا قليلًا».اهـ. وهو هنا منصوب على الحال، فيكون بمعنى اسم الفاعل، أي: حال كونهم زاحفين أو حال كونكم زاحفين. كما يعلم من البيضاوي.

(٣) قوله: (بأن يريهم...). وبمثله فسر ابن جرير وغيره، وعزاه ابن جرير إلى الضحاك والسدي. قال السدي: «إلا مستطردًا يريد العودة، والمتحيز إلى الإمام وجنده...».اهـ.

(٤) قوله: (يستنجد بها). أي: يطلب منها العون.

(٥) قوله: (وهذا مخصوص...). يعني: أن تحريم التولي بدون التحرف والتحيز ليس على الإطلاق، بل مخصوص بما إذا كان الكفار ضِعْف المسلمين أو أقل منه، وأما إذا كانوا أكثر من ضعف المسلمين فلا يحرم التولي... لقوله تعالى: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ...﴾ [الأنفال: ٦٦]، الآية. وهكذا ذكره البيضاوي أيضًا. =

إذا لم يزد الكفار على الضعف.

(١٧)- ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾(١) ببدر بقوتكم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بنصره إياكم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا محمد أعين القوم ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بالحصباء؛ لأن كفًّا من الحصباء

= وروى ابن جرير عن عطاء بمثله، قال: هذه الآية ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ﴾ منسوخة بالآية التي في الأنفال ﴿ ٱلْـَٔانَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ الآية. قال: وليس للقوم أن يفروا من مثليهم. فقول عطاء: «منسوخة»، المراد به مقيدة، أي: تحريم الفرار لغير التحيز والتحرف مقيد بما إذا كان الكفار ضعف المسلمين أو أقل من الضعف، وأما إذا كانوا أكثر من الضعف فلا يحرم. وعليه جمهور العلماء.

وروى ابن جرير عن أبي سعيد الخدري وغيره: «أن هذه الآية أي تحريم التولي خاص بأهل بدر؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم بدر». وقال ابن جرير: «إن حكم الآية محكم باق إلى يوم القيامة».اهـ. كما عليه جمهور العلماء. ومعنى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم الزحف. ولما روى الشيخان عن أبي هريرة رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُ: قال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**...-وعد منها-: **التولي يوم الزحف**»، فيكون معنى الآية كما ذكره المفسر هنا. والله أعلم.

(١) قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾. في هذه الآية نفي القتل عنهم وإسناده إليه تعالى، ومعلوم أنهم قاتلوا فالقتال ثابت لهم. وكذلك أثبت للنبي ﷺ الرمي، ونفاه عنه، وأسنده إليه تعالى: فالإثبات لهم من حيث الصورة فقد وجد منهم صورة القتل، ووجد من النبي ﷺ صورة الرمي، والنفي باعتبار الأثر؛ لأن كفًّا من الحصى لا يملأ عيون الجيش العظيم، وكذلك العدد اليسير لا يقتلون عادةً العدد الكبير، وإلى هذا أشار المفسر، وهذا نقله في «فتح القدير» عن الزمخشري. فالرمي المذكور في هذه الآية هو رمي النبي ﷺ الكفار بالحصى يوم بدر، وهذا الذي صححه جمهور المفسرين، وروي عن ابن عباس، لأن هذه الآية نزلت عقب وقعة بدر، وقيل: رميه ﷺ بالحصباء يوم حنين، وقيل: رميه لأبي بن خلف بالحربة يوم أحد. وقيل: في رميه ﷺ سهمًا إلى حصن خيبر في غزوة خيبر. وقدر المفسر (ليقهر الكافرين) ليعطف عليه ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ بإيصال ذلك إليهم، فعل ذلك ليقهر الكافرين ﴿وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً﴾ عطاء ﴿حَسَنًاۚ﴾ هو الغنيمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٞ ١٧﴾ بأحوالهم.

١٨- ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ الإبلاء حق[١] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ﴾ مضعف ﴿كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٨﴾.

١٩- ﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ﴾ أيها الكفار[٢]، أي: تطلبوا الفتح أي: القضاء، حيث قال أبو جهل[٣] منكم: اللهم أينا كان أقطع للرحم وأتانا بما لا نعرف فأَحِنْه[٤]

---

(١) قوله: (حق). قدَّره ليكون خبرًا عن ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾.

(٢) قوله: (أيها الكفار). أفاد به أن هذا الخطاب للكفار. وهو الذي ذكر ابن جرير وابن كثير وغيرهما. ونقل القرطبي قولًا بأنه خطاب للمؤمنين، والمعنى: إن تطلبوا الفتح فقد جاءكم الفتح، وإن تنتهوا عما وقع منكم من النزاع في الغنيمة فهو خير لكم، وإن تعودوا لمثله نعد إلى توبيخكم.اهـ. وهذا تفسير مرجوح مخالف لما عليه جمهور السلف كما يعلم من ابن كثير وغيره.

(٣) قوله: (حيث قال أبو جهل). روى ذلك أحمد، والنسائي، والحاكم، ورواه أيضًا ابن جرير عن الزهري، وقاله أبو جهل حين التقى القوم، كما رواه ابن جرير عن عبدالله بن ثعلبة العدوي، وروى عن الضحاك: «أن أبا جهل قال: أينا كان خيرًا عندك فانصره، قاله حين خروجهم من مكة لنصرة العير. ونقل القرطبي عن القشيري: «أنهم لما نفروا لنصرة العير تعلقوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللهم انصر أهدى الطائفتين، وأفضل الدينين».اهـ.
الخلاصة: يعلم مما قال العلماء: «أن استفتاح الكفار وقع مرتين: مرة عند خروجهم من مكة، ومرة عند التقائهم ببدر.

(٤) وقوله: (فأحنه). أمر -دعاء- من: أحان يحين، بوزن: أفعل، يقال: تحوّن بمعنى: ذل وهلك. كما في «المنجد».

الغداة، أي: أهلكه ﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ القضاء بهلاك من كان كذلك، وهو أبو جهل، ومن قتل معه، دون النبي ﷺ والمؤمنين ﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ عن الكفر والحرب ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ﴾ لقتال النبي ﷺ ﴿نَعُدْ﴾ لنصره عليكم ﴿وَلَن تُغْنِيَ﴾ تدفع ﴿عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ جماعتكم ﴿شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَإِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ بكسر «إِنَّ»[1] استئنافًا، وفتحها على تقدير اللام.

٢٠- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ﴾ تعرضوا ﴿عَنْهُ﴾ بمخالفة أمره ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ القرآن والمواعِظ.

٢١- ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ[2] سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ سماع تدبر واتعاظ، وهم المنافقون، أو المشركون.

٢٢- ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ[3] عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ﴾ عن سماع الحق ﴿ٱلْبُكْمُ﴾ عن النطق به[4] ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ ـهُ.

---

(١) قوله: (بكسر «إِنَّ»...). قراءتان. بفتح الهمزة: ﴿وَأَنَّ﴾: قراءة نافع، وابن عامر، وحفص، وأبي جعفر. وبكسرها: ﴿وَإِنَّ﴾: قراءة الباقين. ووجهها كما ذكر المفسر.

(٢) قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ قَالُواْ...﴾ قال ابن إسحٰق: هم المنافقون، فإنهم يظهرون أنهم سمعوا واستجابوا وليسوا كذلك.

ورجح ابن جرير كون المراد بهم المشركين؛ لأن سياق الآية يدل على ذلك.

(٣) قوله تعالى: ﴿ٱلدَّوَآبِّ﴾ جمع دابة، وهي في اللغة كل ما دبّ على الأرض. وهو المراد هنا. وكذا فسر به ابن جرير. وروى عن ابن زيد: الخلق.

(٤) قوله: (عن سماع الحق)، (عن النطق به) أشار به إلى أن في إطلاق الصم والبكم تنزيل الموجود العديم النفع منزلة عدمه، لمّا كان سمعهم ونطقهم عديمي المنفعة نُزِّلا منزلة عدمهما، ويمكن أن يقال: الصم والبكم هنا من باب الاستعارة. =

(٢٣)- ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا[(١)]﴾ صلاحًا بسماع الحق ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهمٍ ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ فرضًا، وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّواْ﴾ عنه ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣)﴾ عن قبوله عنادًا وجحودًا.

(٢٤)- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة[(٢)] ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من أمر الدين[(٣)]؛ لأنه سبب الحياة[(٤)] الأبدية ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ

= والمراد بهؤلاء: نفر من المشركين من بني عبدالدار، قاله ابن عباس واختاره ابن جرير، وقال محمد بن إسحٰق: «المنافقون»، قال ابن كثير: «يمكن أن يراد بهم الفريقان جميعًا».

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ...﴾. هذه الآية قد يسبق إلى الفهم أنها قياس منطقي اقتراني مؤلف من الشرطيتين، كما تقول: لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجودًا، وكلما كان النهار موجودًا لأضاء العالم، يُنتج: لو كانت الشمس طالعة لأضاء العالم، ولكن هذه الآية ليست كذلك، لأن من شرط القياس بالشكل الأول كلية الكبرى، وهي هنا ليست كلية، بل الآية جملتان مستقلتان، الأولى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ هذه جملة شرطية، و﴿لَوْ﴾ هنا امتناعية تفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط، فيكون المعنى: امتنع علم الله فيهم خيرًا، أي: علم الله أن لا خير فيهم، فامتنع إسماعهم، والجملة الثانية: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ﴾، و﴿لَوْ﴾ هنا للتعليق في المستقبل، وليست للتعليق في الماضي التي تسمى بالامتناعية، والمعنى: وإن يسمعهم -فرضًا- لما قبلوا بل أعرضوا عنادًا.. والله أعلم. ويشير إلى ما ذكرنا قول المفسر، وكلام ابن كثير، والله أعلم. وجملة ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣)﴾ في محل نصب حال.

(٢) قوله: (بالطاعة) متعلق بـ﴿ٱسْتَجِيبُواْ﴾، ومعنى: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ﴾: أجيبوا.

(٣) قوله: (من أمر الدين) وبنحوه فسر مجاهد: قال: الحق، فيشمل الجهاد وغيره كما قال ابن جرير.

(٤) قوله: (لأنه سبب الحياة...). تعليل للتسمية بالإحياء.

﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ فلا يستطيع أن يؤمن(١) أو يكفر إلا بإرادته ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

﴿٢٥﴾- ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً﴾(٢) إن أصابتكم(٣) ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ بل تعمهم وغيرهم. واتقاؤها بإنكار موجبها من المنكر ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ لمن خالفه.

﴿٢٦﴾- ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مكة(٤) ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ يأخذكم الكفار بسرعة ﴿فَـَٔاوَىٰكُمْ﴾ إلى

---

(١) قوله: (فلا يستطيع أن يؤمن). روى ابن جرير قريبًا من هذا اللفظ عن السدي، قال: «يحول بين الإنسان وقلبه، فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه».اهـ. وبنحوه فسر ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة وغيرهم.

(٢) قوله تعالى: ﴿فِتْنَةً﴾ قال ابن كثير: «اختبارًا من الله يختبركم، وبلاء يبتليكم». وروى عن ابن عباس في تفسير هذه الآية، قال: «أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب».اهـ. وكلام المفسر يفيد هذا المعنى، فقوله: (واتقاؤها) مبتدأ، وخبره: الجار والمجرور: (بإنكار). أي: اتقاء تلك الفتنة حاصل بإنكار موجبها، أي: سبَبِها. و(من المنكر) بيان للموجب. والموجب بكسر الجيم: بمعنى السبب.

(٣) قوله: (إن أصابتكم). قدّره لتكون الجملة ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ جواب الأمر، أي: المتضمن معنى الشرط، وتكون ﴿لَّا﴾ ناهية. وأشار إلى ذلك البيضاوي، وعزاه القرطبي إلى الفراء. ويصح جعل الجملة ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ نعتًا لـ﴿فِتْنَةً﴾، فتكون ﴿لَّا﴾ نافية. وتأكيد الفعل المضارع المنفيّ جائز، ولو كان ذلك قليلًا، وعلى هذا لا يحتاج إلى تقدير فعل الشرط، أي: إن أصابتكم، والله أعلم.

(٤) قوله: (أرض مكة). كما يفيده كلام المفسرين مثل ابن جرير وابن كثير وغيرهما. وعلى هذا يكون «أل» في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ عهدية.

المدينة[١] ﴿وَأَيَّدَكُم﴾ قوّاكم ﴿بِنَصْرِهِۦ﴾ يوم بدر بالملائكة[٢] ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الغنائم[٣] ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ نعمه.

﴿٢٧﴾- ونزل في أبي لُبابة[٤] مروان بن عبدالمنذر، وقد بعثه النبي ﷺ إلى بني قريظة لينزلوا على حكمه، فاستشاروه، فأشار إليهم أنه الذبح؛ لأن عياله وماله فيهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَ﴾ لا ﴿تَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾[٥] ما

---

(١) قوله: (إلى المدينة). قاله السدي، وابن جرير وغيرهما.

(٢) قوله: (يوم بدر بالملائكة). وبنحوه فسر ابن جرير.

(٣) قوله: (الغنائم). كما قال ابن جرير: «وأطعمكم غنيمتهم حلالًا طيبًا»، وفسر ابن كثير نحو ما قاله المفسر بسياقٍ مفصل.

(٤) قوله: (ونزل في أبي لبابة) ما ذكره من سبب النزول رواه ابن جرير عن الزهري، وعن عبدالله بن أبي قتادة، وقصته كما أشار إليها المفسر أنه أرسله ﷺ إلى بني قريظة عند محاصرتهم، فأشار إليهم أنه سيكون ذبحكم، أي قتلكم، فحزن، وقال: «والله لا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى أموت، أو يتوب الله عليّ»، وربط نفسه على سارية من سواري المسجد النبوي، ومكث سبعة أيام لا يأكل ولا يشرب شيئًا حتى خرّ مغشيًّا عليه، ثم تاب الله عليه. وحل رسول الله ﷺ وثاقه، وتصدق بثلث ماله».اهـ. ملخصًا من ابن كثير.

وفي «الصحيحين»: قصة حاطب بن أبي بلتعة أنه كتب إلى قريش يعلمهم بقصد رسول الله ﷺ عام الفتح، فاطلع الله رسوله عليه، فبعث في إثره فاسترجع الكتاب، واستحضر حاطبًا، فأقر بما صنع، فقام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واستأذن لضرب عنقه، فقال ﷺ: «**دعه، فإنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**».اهـ. قال ابن كثير بعد إيراد هذه القصة في سبب النزول: «والصحيح أن الآية عامة، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».اهـ. ملخصًا.

(٥) قوله: (﴿وَ﴾ لا ﴿تَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾). الواو عاطفة، وتخونوا مجزوم بالعطف، ولذا قدر «لا». ويحتمل كون الواو للمعية، فيكون الفعل منصوبًا بـ«أن» مضمرة، كما أفاده البيضاوي.

ائتمنتم عليه من الدين وغيره ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿٢٨﴾- ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ[(١)]﴾ لكم، صادَّة عن أمور الآخرة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ فلا تفوّتوه بمراعاة الأموال والأولاد، والخيانة لأجلهم[(٢)].

﴿٢٩﴾- ونزل في توبته[(٣)]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بالإنابة[(٤)] وغيرها ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا[(٥)]﴾ بينكم وبين ما تخافون، فتنجون ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿٣٠﴾- ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك بدار الندوة[(٦)] ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ يوثقوك

---

(١) قوله تعالى: ﴿فِتْنَةٌ﴾ روى ابن جرير عن ابن زيد: «فتنة الاختبار».

(٢) قوله: (والخيانة) بالجر، عطف على (مراعاة).

(٣) قوله: (ونزل في توبته): أي: توبة أبي لبابة. وما ذكره من سبب النزول يعلم من مضمون هذه الآية، ولكني لم أجد من عزاه إلى أئمة التفسير.

(٤) قوله: (بالإنابة) أي: الرجوع إلى الله تعالى. وفي بعض النسخ: «بالأمانة».

(٥) قوله تعالى: ﴿فُرْقَانًا﴾ أي: مخرجًا. روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك. وعن السدي: «نجاة». وعن ابن إسحٰق: «فصلًا». قال ابن جرير: «كل ذلك متقارب المعنى، والفرقان في الأصل مصدر».اهـ.

(٦) قوله: (وقد اجتمعوا للمشاورة) هذه قصة هجرة النبي ﷺ، وهي مشهورة في كتب الأحاديث والسير، وملخصها: أن المشركين اجتمعوا في دار الندوة، فاجتمع رأيهم على قتله ﷺ قتلةَ رجلٍ واحد، ورصدوه على بابه طول الليل، فأمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب أن ينام على فراشه، فطمس الله على أبصار المشركين، فغشيهم النوم، ورمى =

ويحبسوك(١) ﴿أَوۡ يَقۡتُلُوكَ﴾ كلهم قِتْلَةَ رجل واحد(٢) ﴿أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ﴾ من مكة ﴿وَيَمۡكُرُونَ﴾ بك ﴿وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ﴾ بهم، بتدبير أمرك بأن أوحى إليك ما دبروه وأمرك بالخروج ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾(٣) أعلمهم به.

٣١- ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ قاله النضر بن الحارث(٤)؛ لأنه كان يأتي الحيرة يتجر، فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿هَٰذَآ﴾ القرآن ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ(٥)﴾

= رسول الله ﷺ على رؤوسهم ترابًا، وخرج، فلما أصبحوا خرج عليهم علي، فأخبرهم أن ليس في الدار أحد.

(١) قوله: (يوثقوك ويحبسوك). قاله ابن عباس وغيره.

(٢) قوله: (كلهم قتلة رجل). أي: يقدم من كل قبيلة رجلٌ فيقتلونه مرة واحدة، وهذه الفكرة كان إبليس هو الذي أدلى بها، حيث حضر دار الندوة على صورة شيخ نجدي، لعنه الله.اهـ. نقله ابن كثير وغيره.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾. قد تقدم في أول سورة البقرة ما يتعلق بنسبة المكر والخديعة إلى الله تعالى.

(٤) قوله: (قاله النضر بن الحارث). رواه ابن جرير عن ابن جريج، والسدي، وسعيد بن جبير، وهو النضر بن حارث بن علقمة أخو بني عبدالدار من كبار المشركين، أسره المقداد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يوم بدر، فقُتِل أسيرًا لعظم فساده وشره؛ لأنه كان يأتي الحيرة وهي من بلاد فرس، وتعلم من أخبار ملوكهم، ولما قدم مكة وجد رسول الله ﷺ يتلو على الناس القرآن، فكان إذا قام رسول الله ﷺ من مجلسه جلس فيه، فحدثهم من أخبار أولئك، وقال: أينا أحسن قصصًا؟ أنا أو محمد؟ وكما قص الله تعالى هنا».اهـ. ملخصًا من ابن كثير.

(٥) و﴿أَسَٰطِيرُ﴾ جمع أسطُر، وهو جمع سطر، فهو جمع الجمع، كما ذكره ابن جرير. وقيل: أساطير: جمع أسطورة، وإسطار، وإسطارة، وأسطير، وإسطيرة، ومعناه: أحاديث لا نظام لها. كما في «اللسان».

أكاذيب ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ ٣١﴾.

٣٢- ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾ الذي يقرأه محمد ﴿هُوَ ٱلۡحَقَّ﴾ المنزل ﴿مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٢﴾ مؤلم على إنكاره، قاله النضر بن الحارث أو غيره(١)، استهزاءً وإيهامًا أنه على بصيرة وجزم ببطلانه.

٣٣- قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ﴾ بما سألوه ﴿وَأَنتَ فِيهِمۡۚ﴾ لأن العذاب إذا نزل عمَّ، ولم تعذب أمة(٢) إلا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣﴾ حيث يقولون في طوافهم(٣): غفرانك

---

(١) قوله: (قاله النضر بن الحارث أو غيره). أشار به إلى الاختلاف في قائل هذه المقالة. فقال ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبير، والسدي: «إنه النضر بن الحارث». قال عطاء: «ولقد أنزل فيه بضع عشرة آية من كتاب الله»، وروى البخاري عن أنس بن مالك أن القائل: «أبو جهل بن هشام». وروى ابن جرير عن يزيد بن رومان، ومحمد بن قيس، قال: «قالتها قريش بعضها لبعض».

قال ابن كثير: «وكان الأولى لهم أن يقولوا: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له، ووفقنا لاتباعه»، ولكن استعجلوا العذاب، كما قال الجهلة من الأمم السالفة، كما قال قوم شعيب: ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٨٧﴾ [الشعراء: ١٨٧]».اهـ، باختصار.

(٢) قوله: (ولم تعذب أمة...). قال ابن عباس: «وما كان الله ليعذب قومًا وأنبياؤهم بين أظهرهم حتى يخرجهم».اهـ.

(٣) وقوله: (حيث يقولون في طوافهم) وهذا أيضًا مروي عن ابن عباس -في رواية-. وقال فيما رواه عنه ابن جرير: «كان فيهم أمانان، النبي ﷺ، والاستغفار؛ فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار».

غفرانك، وقيل: هم المؤمنون المستضعفون فيهم[١]، كما قال تعالى: «لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾» [الفتح: ٢٥].

﴿٣٤﴾- ﴿وَمَا لَهُمۡ﴾[٢] أَ﴿ن﴾ ﴿لَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بالسيف بعد خروجك والمستضعفين[٣]، وعلى القول الأول[٤]: هي ناسخة لما قبلها، وقد عذبهم الله ببدر وغيره. ﴿وَهُمۡ يَصُدُّونَ﴾ يمنعون النبي ﷺ والمسلمين ﴿عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ أن يطوفوا به ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓ﴾[٥] كما زعموا ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ أن لا ولاية لهم عليه.

---

(١) قوله: (وقيل: هم المؤمنون...). هذا تفسير آخر لقوله تعالى: ﴿وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾، وهو قول الضحاك، وأبي مالك، كما قاله ابن كثير.

(٢) قوله: ﴿وَمَا لَهُمۡ﴾. «ما» استفهامية واقعة على المانع، فالمعنى: أي مانع لهم عن عدم تعذيبهم.

(٣) قوله: (بالسيف بعد خروجك والمستضعفين). هذا إذا أريد بقوله تعالى: ﴿وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾: المؤمنون المستضعفون، فيكون المعنى: لا مانع من تعذيبهم بعد زوال الأمان، وهو النبي ﷺ والمؤمنون. روى ابن جرير هذا المعنى عن ابن أبزى، قال. «فلما خرجوا أذن الله في فتح مكة وهو العذاب».

(٤) قوله: (وعلى القول الأول). أي: القول بأن الاستغفار هو قولهم في طوافهم: «غفرانك». هذه الآية ناسخة للأولى حيث نزل بهم العذاب يوم بدر مع وجود استغفارهم في طوافهم، وذهب إلى كونها ناسخة: عكرمة، والحسن البصري، فيما رواه ابن جرير.
وربما يشكل على هذا القول: أن الآية السابقة خبر والنسخ لا يدخل الأخبار اللهم إلا أن يراد بالنسخ بيان أن فيهم موجب العذاب أقوى من مانعه، وذلك صدّهم عن المسجد الحرام، وليس المراد النسخ المعروف عند الأصوليين، والله أعلم.

(٥) قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓ﴾) أي: أولياء المسجد الحرام. وهذا ردّ لقولهم: نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء. قاله البيضاوي.

(٣٥)- ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً﴾ صفيرًا ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ تصفيقًا[١]، أي: جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أمروا بها ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ ببدر[٢] ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ٣٥﴾.

(٣٦)- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ في حرب النبي ﷺ[٣] ﴿لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾ في عاقبة الأمر ﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ ندامة لفواتها وفوات ما قصدوه ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ منهم[٤] ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿يُحْشَرُونَ ٣٦﴾ يساقون.

---

(١) قوله: (صفيرًا)، (تصفيقًا): المكاء مصدرُ مكا يمكو مكوًا ومُكَاءً، وهو الصفير، بأن يجمع الرجل يديه ثم يدخلهما في فيه ثم يصيح. نقله ابن جرير.
والتصدية: مصدر صدّى يُصدّي تصدية، بمعنى: التصفيق، وهو ضرب إحدى اليدين على الأخرى، للتصويت بهما. وما ذكره المفسر من معنى المكاء والتصدية: منقول عن ابن عباس، وابن عمر وغيرهما.
وكانت الكفار يفعلون ذلك ليخلطوا بذلك على النبي ﷺ صلاته، قاله مجاهد. وعن ابن عباس: «كانوا يفعلون ذلك يعتقدون ذلك عبادة».اهـ. قاله القرطبي.

(٢) قوله: (ببدر). هكذا رواه ابن جرير، عن ابن إسحٰق، وابن جريج، والضحاك.

(٣) قوله: (في حرب النبي ﷺ). روى ابن جرير، عن ابن إسحٰق، وعطاء، وابن جبير، وابن أبزى، وغيرهم بسياق متقارب: أن هذه الآية نزلت في أبي سفيان ونفقته الأموال في أُحُد لقتال رسول الله ﷺ. قال ابن جرير وابن كثير ما حاصله: أن الآية عامة، وإن كان سبب النزول خاصًا. ويشير إلى ذلك كلام المفسر، حيث لم يحملها على طائفة معينة.

(٤) قوله: (منهم). قيد به؛ لأن كثيرًا من أولئك المشركين أسلموا؛ كأبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فليسوا من أهل جهنم، أعاذنا الله منها.

(٣٧)- ﴿لِيَمِيزَ﴾ متعلق بـ«تَكُونُ»[١]، بالتخفيف والتشديد[٢]، أي: يفصل ﴿ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ﴾ الكافر ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ المؤمن ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾ يجمعه متراكمًا بعضه على بعض[٣] ﴿فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٣٧)﴾.

(٣٨)- ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ كأبي سفيان وأصحابه ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ عن

---

(١) قوله: (متعلق بـ﴿تَكُونُ﴾). على هذا يكون معنى الآية: تكون الأموال التي أنفقها المشركون حسرة عليهم يوم القيامة، ليميز الله الكفار عن المؤمنين الذين صدقوا في إيمانهم وإنفاقهم.اهـ. وهذا المعنى واضح لا غبار فيه؛ خلافًا لما ذكره بعض المعاصرين، لكن فيه تعلق الجار والمجرور بالفعل الناقص ﴿تَكُونُ﴾ وهو خلاف المعروف عند المعربين، والأولى تعليقه بخبرها، أي بـ﴿حَسْرَةً﴾.

وظاهر كلام ابن جرير، والبيضاوي أنه متعلق بـ﴿يُحْشَرُونَ﴾، والمعنى على ذلك واضح. وتفسير الطيب بالمؤمن والخبيث بالكافر مرويّ عن ابن عباس، والسدي وغيرهما. وذكر البيضاوي احتمالًا آخر وهو كون المراد بالطيب ما أنفقه المسلمون في نصرة رسول الله ﷺ، والخبيث ما أنفقه المشركون في عداوته ﷺ. والجار والمجرور ﴿لِيَمِيزَ﴾ متعلق بـ﴿تَكُونُ﴾. والمعنى: تكون أموالهم حسرة عليهم ليميز الله الخبيث الذي أنفقوه من الطيب الذي أنفقه المؤمنون، وظاهره أن هذا الميز في الدنيا، والله أعلم.

(٢) قوله: (بالتخفيف والتشديد). قراءتان: بالتشديد: ﴿لِيُمَيِّزَ﴾ مضارع «ميّز»: قراءة حمزة والكسائي ويعقوب وخلف.

وبالتخفيف: ﴿لِيَمِيزَ﴾: مضارع «ماز»: قراءة الباقين؛ ومعناهما واحد.

(٣) قوله: (يجعله متراكمًا). كما قال ابن جرير: «فنجعلهم ركامًا وهو أن يجمع بعضهم إلى بعض حتى يكثروا، كما قال جل ثناؤه في صفة السحاب: ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾، أي: مجتمعًا كثيفًا». ونقله عن ابن زيد.

الكفر وقتال النبي ﷺ ﴿يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾[(١)] من أعمالهم ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ إلى قتاله ﴿فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾ أي: سنتنا فيهم[(٢)]، بالإهلاك، فكذا نفعل بهم.

٣٩- ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ﴾ توجد[(٣)] ﴿فِتۡنَةٞ﴾ شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ وحْده ولا يعبد غيره[(٤)] ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ عن الكفر ﴿فَإِنَّ

---

(١) قوله تعالى: ﴿يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾. أي: من كفرهم وذنوبهم وخطاياهم، كما في «الصحيح» من حديث أبي وائل عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر**» [«فتح الباري» (١٢/ ٢٧٧)]. وفي «الصحيح» -فيما رواه مسلم (١٢١)- أن رسول الله ﷺ قال: «**الإسلام يجبّ ما قبله، والتوبة تجب ما كان قبلها**».اهـ.

(٢) قوله: (أي: سنتنا فيهم). أفاد به أن ﴿سُنَّتُ﴾ مضاف إلى المفعول.

(٣) قوله: (توجد). أفاد أن ﴿تَكُونَ﴾ هنا تامة، وفاعلها ﴿فِتۡنَةٞ﴾. وتفسيرها بالشرك ثابت عن ابن عباس، وأبي العالية، ومجاهد، والحسن، وقتادة وغيرهم، فالآية تأمر بالقتال حتى لا يكون الشرك، وتكون كلمة الله هي العليا، كما في «الصحيحين» قال رسول الله ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عَزَّ وَجَلَّ**».

ولذلك لما قال لابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قوم: ما يمنعك أن تخرج في فتنة ابن الزبير؟ فقال: يمنعني أن الله حرم عليّ دم أخي المسلم، فقالوا: أولم يقل الله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾، قال: قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة، وكان الدين كله لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة، ويكون الدين لغير الله».اهـ. ملخصًا مما أورده ابن كثير.

الخلاصة: «الفتنة» هٰهنا بمعنى الشرك، وليس المراد النزاع بين المسلمين.

(٤) قوله: (ولا يعبد غيره). كما قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: «لا يكون مع دينكم كفر». نقله الطبري.

﴿ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩﴾ فيجازيهم به[(١)].

٤٠ - ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن الإيمان ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ هو[(٢)] ﴿وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠﴾ أي: الناصر لكم[(٣)].

❁❁❁

(١) قوله: (فيجازيهم به). قدره لأنه هو الجواب في المعنى، حُذِف، وأقيمت علته مقامه، وهو أسلوب بلاغي، قد مرّ مثله.

(٢) قوله: (هو). قدره ليكون مخصوصًا بالمدح.

(٣) قوله: (أي: الناصر لكم). أفاد به أن ﴿ٱلنَّصِيرُ﴾ فعيل بمعنى: اسم الفاعل، وهو من صيغة المبالغة، لأن «فعيلًا» إذا كان محولًا عن «فاعل» يكون للمبالغة كالعليم والسميع، وإن كان غير محول بل كان هو الوصف من الفعل كان صفة مشبهة. نحو: «الكريم» و«العظيم». والله أعلم.

وتقدم ذكر المعاني التي يفيدها وزن «فعيل» في تفسير الآية (٢٦٧) من سورة البقرة.

(٤١)- ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾[1] أخذتم من الكفار قهرًا[2] ﴿مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ يأمر فيه بما يشاء[3] ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب[4] ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم

---

(١) قوله تعالى: ﴿أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾: «ما» اسم موصول في محل نصب اسم «أنَّ». ورسمت موصولة بـ«أنَّ» على الرسم العثماني، وأما في الرسم العادي فترسم مفصولة «أن ما». وإن كانت «ما» كافة رسمت موصولة «أنما».

(٢) قوله: (أخذتم من الكفار قهرًا). هذا تفسير لمعنى الغنيمة. فهي ما أخذ من الكفار في القتال قهرًا، وأما ما وصل منهم بدون قهر سمي فيئًا. وذلك كالجزية وما تركوه خوفًا من المسلمين، ويختلف مصرف الغنيمة عن مصرف الفيء، كما فصله الفقهاء. والمذكور في هذه الآية: مصرف الغنيمة. والغنيمة مما أحلت لهذه الأمة، كانت محرمة على الأمم السابقة، كما ثبت في «الصحيح». [البخاري (٣٢٨)].

(٣) قوله: (يأمر فيه بما يشاء). فيه إشارة إلى أن سهم الله وسهم الرسول واحد، كما ذكره الحسن، وعطاء، وقتادة وغيرهم. وملخص القسمة كما ذكره الفقهاء: أن الغنيمة يخرج منها مصارفها العامة كأجرة النقل والحفظ وما يرضخ به لنحو العبد والمرأة، ويعطي السلب للقاتل، والباقي يقسم خمسة أقسام، فكل خمس يعادل ٢٠ في المائة، والخُمس منها يقسم خمسة على المذكورين في الآية، وهم خمسة، فيحصل لكل صنف منهم ٤ في المائة من الغنيمة. والأخماس الأربعة: وهي تعادل ٨٠ في المائة يعطي لمن شهد الوقعة.

(٤) قوله: (من بني هاشم وبني المطلب). هاشم ومطلب ابنان لعبد مناف، جد النبي ﷺ فهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، وكان لعبد مناف ابنان آخران وهما: عبد شمس ونوفل، وأولادهما لا يدخلون في ذوي القربي هنا، بل هم أولاد هاشم والمطلب، أي: المؤمنون منهم فقط، وتحرم صرف الزكاة إليهم دون أولاد نوفل وعبد شمس.

الخلاصة: سهم ذوي القربى: للمؤمنين من بني هاشم وبني المطلب، كما بينه الفقهاء.

فقراء[١] ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره من المسلمين، أي: يستحقه[٢] النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكلٍّ خمسَ الخمس[٣]، والأخماس الأربعة الباقية للغانمين[٤] ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ فاعلموا ذلك[٥] ﴿وَمَآ﴾ عطف على «بِٱللَّهِ»[٦]، ﴿أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ محمد ﷺ من الملائكة والآيات ﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾ أي: يوم بدر الفارق بين الحق والباطل[٧] ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾ المسلمون والكفار ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١﴾ ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم.

---

(١) قوله: (أطفال المسلمين) تفسير لليتامى، فاليتيم في عرف الشرع: صبي هلك أبوه، سواء كانت أمه موجودة أم لا، وسواء كان فقيرًا أم لا، ولكن لا يصرف له الغنيمة إذا كان غنيًّا، وإذا بلغ زال عنه وصف اليتم. فقول المفسر: (وهم فقراء) شرط لصرف الغنيمة لهم، وليس شرطًا لإطلاق اسم اليتيم عليهم.

(٢) وقوله: (أي: يستحقه...). توضيح لكيفية صرف الغنيمة إليهم. باختصار.

(٣) قوله: (من أن لكلٍّ). أي: لكل صنفٍ من الأصناف الخمسة المذكورة، فالتنوين في «كل» تنوين عوض عن المضاف إليه. فلكلّ صنفٍ خُمس الخمس، وخمسُ الخمس يعادل ٤ في المائة كما ذكرنا.

(٤) قوله: (والأخماس الأربعة...) ومجموع هذه الأخماس الأربعة تعادل ٨٠ في المائة كما بينا. وقوله: (للغانمين). والمراد بهم: من شهد الواقعة. سواء قاتل أو لم يقاتل.

(٥) قوله: (فاعلموا ذلك). قدره ليكون جوابًا للشرط ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾. لعله قدره هنا لطول المعطوف.

(٦) قوله: (عطف على ﴿بِٱللَّهِ﴾). لعل المراد عطف على اسم الجلالة «الله» أي: على الاسم المجرور لا على مجموع الجار والمجرور.

(٧) قوله: (يوم بدر). كذا فسره ابن عباس وغيره. والفرقان: مصدر بمعنى اسم الفاعل كما أشار إليه المفسر.

﴿٤٢﴾ - ﴿إِذْ﴾ بدل من «يَوْمَ»[١] ﴿أَنتُم﴾ كائنون[٢] ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ القربى[٣] من المدينة، وهي بضم العين وكسرها[٤]: جانب الوادي ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ البعدى منها[٥] ﴿وَٱلرَّكْبُ﴾ العير[٦] كائنون بمكان[٧] ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ مما يلي البحر ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ أنتم والنفير للقتال ﴿لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَـٰدِ﴾[٨]

---

(١) قوله: (بدل من يوم). أي: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾، أو ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾، وهو يوم بدر.

(٢) قوله: (كائنون). أفاد بهذا التقدير أن الجار والمجرور ﴿بِٱلْعُدْوَةِ﴾ خبر المبتدأ ﴿أَنتُم﴾. متعلق بهذا المقدر.

(٣) قوله: (القربى). تفسير لـ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ فهي مؤنثة اسم التفضيل من: «دنا، يدنو»، على وزن «الفُعْلى»، وأصله: الدُنْوَى بالواو؛ لأنه واويّ، ولكن يجب قلب الواو هنا ياءً كما ذكر في علم الصرف: من أن واو فُعلى الذي هو وصف يقلب ياء نحو: العُلْيَا والدنيا.

وأما ﴿ٱلْقُصْوَىٰ﴾ بالواو فهو سماعي، وهي لغة أهل الحجاز، وكان قياسه: «القصيا» بالياء، كما في «الدنيا»، لأنه مؤنث «الأقصى» الذي هو اسم التفضيل من «قصا».

(٤) وقوله: (وهي بضم العين...). وهما قراءتان: ﴿بِٱلْعِدْوَةِ﴾ بالكسر: قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، ويعقوب. وجمعه «عِدًى»، نحو: «لِحية، ولِحًى». وبالضم: ﴿بِٱلْعُدْوَةِ﴾: قراءة الباقين، وجمعه: عُدًى، نحو: «قُربة، وقُرب». وهما لغتان، والمعنى: جانب الوادي، كما بينه المفسر، وذكره القرطبي وغيره.

(٥) قوله: (البعدى منها). أي: من المدينة.

(٦) قوله: (العير). أي: قافلة أبي سفيان التجارية.

(٧) قوله: (كائنون بمكان). أفاد به أن ﴿أَسْفَلَ﴾ ظرفٌ نعتٌ لمحذوف وهو «مكان». وأنه خبر متعلق بمحذوف، أي: كائنون.

(٨) قوله تعالى: ﴿لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَـٰدِ﴾. أي: لكثرتهم وقلتكم، كما ذكره القرطبي.

وَلَٰكِن ﴾ جَمَعَكُم[١] بغير ميعاد ﴿لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ في علمه[٢]، وهو نصر الإسلام ومحق الكفر[٣]، فعل ذلك ﴿لِّيَهْلِكَ ﴾ يكفر[٤] ﴿مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ أي: بعد حجة ظاهرة قامت عليه، وهي نصر المؤمنين مع قلتهم، على الجيش الكثير ﴿وَيَحْيَىٰ﴾ يؤمن ﴿مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿٤٣﴾- اذكر ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ[٥] فِي مَنَامِكَ﴾ أي: نومك[٦] ﴿قَلِيلًا﴾

---

(١) قوله: (جمعكم). قدره ليعلق به الجار والمجرور ﴿لِّيَقْضِيَ﴾ وكذا تقديره: «فعل ذلك» يتعلق به ﴿لِّيَهْلِكَ ﴾.

(٢) قوله: (في علمه). أفاد به أن سبق ذلك كان في علمه تعالى، وأما وقوعه فهو متأخر عن جمع الفريقين، كما يدل عليه صيغة المضارع: ﴿لِّيَقْضِيَ﴾، وكل ذلك واضح.

(٣) وقوله: (وهو نصر الإسلام...). كذا قاله ابن إسحٰق، ونقله ابن جرير.

(٤) قوله: (﴿لِّيَهْلِكَ ﴾: يكفر) و(﴿وَيَحْيَىٰ﴾: يؤمن). تفسير الهلاك هنا بالكفر والحياة بالإيمان مروي عن محمد بن إسحٰق، حيث قال: «أي: ليكفر من كفر بعد الحجة لما رأى من الآية والعبرة، ويؤمن من آمن على مثل ذلك».اهـ. واستحسنه ابن كثير، أما ابن جرير، والقرطبي وغيرهما ففسروا الهلاك والحياة بمعناهما المشهور.

(٥) قوله: ﴿يُرِيكَهُمُ﴾. يُرِي: مضارع «أرى» المنامية، تتعدّى إلى ثلاثة مفاعيل، فالمفعول الأول والثاني: الكاف، و«هم»، والمفعول الثالث: ﴿قَلِيلًا﴾.

(٦) قوله: (أي: نومك). أفاد به أن «منام» هنا مصدر ميميّ، وليس ظرفًا، والمعنى: أنه ﷺ رأى المشركين في المنام قليلًا، فأخبر به الأصحاب فسرّوا وثبتوا. وقال الحسن: «المنام هنا ظرف، والمعنى: موضع النوم، وهو العين»، فتكون الرؤية رؤية عين، ويكون ﴿قَلِيلًا﴾ حالًا منصوبًا. والجمهور على أن الرؤية هنا منامية. ومع ذلك إن المؤمنين رأوا الكفار قليلًا، والكفار رأوا المؤمنين أيضًا قليلًا رؤية العين، في بداية القتال، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ﴾ فهذه رؤية العين، والأول رؤية المنام، وعليه الأكثر.

فأخبرت به أصحابك فسرّوا ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ جبنتم ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أمر القتال[١] ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ كُم من الفشل والتنازع ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ بما في القلوب.

﴿٤٤﴾ - ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ نحو سبعين أو مائة[٢]، وهم ألف، لتُقدِموا عليهم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ ليقدِموا، ولا يرجعوا عن قتالكم، وهذا قبل التحام الحرب[٣]، فلما التحم أراهم إياهم مثليهم كما في آل عمران ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ﴾ تصير ﴿ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿٤٥﴾ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ جماعة كافرة ﴿فَٱثْبُتُوا۟﴾ لقتالهم،

---

(١) قوله: (أمر القتال). أفاد به أن «أل» في ﴿ٱلْأَمْرِ﴾ عهدية ذهنية.

(٢) قوله: (نحو سبعين أو مائة...). روى ابن جرير ذلك عن ابن مسعود، قال: «لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة. قال: فأسرنا رجلًا منهم، فقلنا: كم هم؟ قال: كنا ألفًا».اهـ.

(٣) قوله: (وهذا قبل التحام الحرب...). جمع المفسر بين هذه الآية وآية آل عمران، وقد تقدم تفصيل ذلك هناك.

وخلاصة ما يعلم من الآيات وكلام المفسرين: أن الرؤية في ثلاث مراحل:

الأولى: رؤية النبي ﷺ في المنام أن الكفار قليل.

الثانية: رؤية المؤمنين بأبصارهم عند اللقاء أنهم قليل، وكذلك رأى الكفار أن المؤمنين قليل.

الثالثة: رؤية كل من الفريقين الآخرين كثيرًا، وذلك عند التحام القتال؛ ليجبن المشركون، ويتوكل المؤمنون على ربهم. اهـ. والله أعلم.

ولا تنهزموا ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ ادعوه بالنصر(١) ﴿لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾ تفوزون.

٤٦- ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾ تختلفوا فيما بينكم ﴿فَتَفۡشَلُواْ﴾ تجنبوا ﴿وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ قوتكم(٢) ودولتكم ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ بالنصر والعون(٣).

٤٧- ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ ليمنعوا عيرهم، ولم يرجعوا

---

(١) قوله: (ادعوه بالنصر). وقريبًا من هذا فسره ابن جرير، حيث قال: «وادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم، وأشعروا قلوبكم وألسنتكم ذكره».

وفي «الصحيحين»: عن عبدالله بن أبي أوفى، عن رسول الله ﷺ أنه انتظر في بعض أيامه التي لقي فيها العدو حتى إذا مالت الشمس قام فيهم، وقال: «**يا أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية؛ فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**»، ثم قام النبي ﷺ وقال: «**اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم**» [«فتح الباري» (٦/ ١٤٠)، مسلم (٣/ ١٣٦٢)]. نقله ابن كثير.

(٢) قوله: (قوتكم) أفاد به أن ذهاب الريح كناية عن الضعف والجبن. وكما يعلم من كلام ابن جرير وغيره. وقد يرى استعمال هذه الكناية في لغاتٍ أخرى.

قال ابن جرير: «هذا مثل يقال للرجل إذا كان مقبلًا عليه ما يحبه ويسرّ به: الريح مقبلة عليه».اهـ. وقال: «وإنما يراد به في هذا الموضع: وتذهب قوتكم وبأسكم».اهـ.

وروى عن ابن زيد: «الريح: النصر، لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله تضر وجوه العدو، فإذا كان ذلك لم يكن لهم قوام».اهـ. وعلى هذا فالظاهر أن الريح بمعناها الحقيقيّ.

(٣) قوله: (بالنصر والعون). أفاد أن المراد المعية الخاصة.

بعد نجاتها[(١)] ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ[(٢)] ٱلنَّاسِ﴾ حيث قالوا[(٣)] لا نرجع حتى نشرب الخمور وننحر الجزور ونضرب علينا القيان[(٤)] ببدر، فيتسامع بذلك الناس ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء[(٥)] ﴿مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ علمًا[(٦)]، فجازيهم به.

﴿٤٨﴾- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إبليس[(٧)] ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ بأن شجعهم على لقاء المسلمين[(٨)] لما خافوا حين الخروج من أعدائهم بني

---

(١) قوله: (ولم يرجعوا بعد نجاتها). أي: لم يرجع المشركون عن توجههم إلى بدر بعد نجاة العير.

(٢) قوله تعالى: ﴿بَطَرًا﴾. قال القرطبي: «وهو في اللغة: التقوية بنعم الله على المعاصي».

وهو هنا حال بمعنى: بطرين، وكذا لفظ ﴿وَرِئَآءَ﴾ مصدر «رَاآى، يرائي» على وزن «فاعَلَ، يفاعِلُ»، وهو بمعنى: اسم الفاعل، أي: مرائين، حال معطوف على ما قبله.

والمراد بـ﴿كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ﴾: أبو جهل وأصحابه الذين خرجوا إلى بدر. قاله قتاده، والسدي، وغير واحد من أهل التفسير.

(٣) قوله: (حيث قالوا...). ذكر ذلك المفسرون، بسياق متقارب، قال ابن كثير: «لما قيل لأبي جهل: إن العير قد نجا فارجعوا، قال: لا والله، لا نرجع حتى نرد ماء بدر، وننحر الجزر، ونشرب الخمر، وتعزف علينا القيان، وتتحدث العرب بمكاننا فيها يومنا أبدًا».اهـ.

(٤) قوله: (القيان). بكسر القاف، جمع «قَيْنَة» بفتحها: المغنية. وتطلق على الأمة.

(٥) قوله: (بالياء والتاء). لم تثبت القراءة هنا بالتاء، فلعله سبق قلم.

(٦) قوله: (علمًا). تمييز محوّل عن الفاعل، أي: أحاط علمه بما يعملون.

(٧) قوله: (إبليس). أفاد أن المراد بـ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ هو إبليس؛ لأن «الشيطان» قد يطلق على كل متمرد من الإنس والجن والبهائم، فـ«أل» فيه عهدية ذهنية.

(٨) قوله: (بأن شجعهم...) خلاصة ما ذكره المفسر كما يعلم مما رواه أئمة التفسير: أن قريشًا =

بكر[١] ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ من كنانة، وكان أتاهم[٢] في صورة سراقة بن مالك سيِّد تلك الناحية ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ﴾ التقت ﴿ٱلْفِئَتَانِ﴾ المسلمة والكافرة، ورأى الملائكة، وكان يده في يد الحارث بن هشام ﴿نَكَصَ﴾ رجع ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ هاربًا ﴿وَقَالَ﴾ لما قالوا له[٣]: أتخذُلُنا على هذا الحال ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ﴾ من جواركم ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ من الملائكة ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ أن يهلكني ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿٤٩﴾ - ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد[٤]

= لما أجمعت على المسير إلى بدر خافت من بني بكر بن كنانة؛ لأن قريشًا كانوا قتلوا منهم رجلًا، فجاء إبليس على صورة سراقة بن مالك بن جعشم، وهو من أشراف بني كنانة، وقال: أنا جار لكم أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه، فخرجت قريش، وقال لهم: لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني جار، وكان يد إبليس في يد رجل من المشركين وهو الحارث بن هشام أخو أبي جهل، فلما التقت الفئتان، ورأى إبليس الملائكة في صف المؤمنين، انتزع يده وولى مدبرًا، هو وشيعته. فقال الرجل -الحارث بن هشام-: يا سراقة! أتزعم أنك جار لنا؟ على هذه الحال تخذلنا وتبرأ منا؟ فقال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾.

فقول المفسر: (بأن شجعهم)، أي: شجع إبليس المشركين.

(١) وقوله: (لما خافوا). أي: المشركون خافوا عند الخروج من أعدائهم بني بكر بن كنانة. و(من أعدائهم) متعلق بـ(خافوا).

(٢) (وكان أتاهم). أي: وكان إبليس أتى المشركين في صورة سراقة من سادات بني كنانة.

(٣) قوله: (لما قالوا له). أي: لما قال المشركون لإبليس: «أتخذلنا على هذا الحال».

(٤) قوله: (ضعف اعتقاد). هؤلاء قوم غير المنافقين الذين بالمدينة، وإلى ذلك ذهب ابن جرير: فقال: «وذكر أن الذين قالوا هذا القول كانوا نفرًا ممن كان قد تكلم بالإسلام من =

﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المسلمين ﴿دِينُهُمۡۗ﴾[(١)] إذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون الجمع الكثير، توهمًا أنهم ينصرون بسببه[(٢)]، قال تعالى في جوابهم: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يثق به، يَغلبْ[(٣)] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٞ ۝٤٩﴾ في صنعه.

۝٥٠- ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذۡ يَتَوَفَّى﴾ بالياء والتاء[(٤)] ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ﴾[(٥)] حال ﴿وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ بمقامع من حديد[(٦)] ﴿وَ﴾

= مشركي قريش، ولم يستحكم الإسلام في قلوبهم».اهـ. ونقل هذا المعنى عن عامر الشعبي، ومجاهد، ونقل ابن كثير عن ابن عباس أن الذين قالوا ذلك هم المشركون، لما قلل الله المسلمين في أعين المشركين. وكذا رواه ابن جرير عن ابن جريج أيضًا.

(١) قوله تعالى: ﴿دِينُهُمۡۗ﴾. فاعل ﴿غَرَّ﴾. واسم الإشارة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ في محل نصب مفعول به.

(٢) قوله: (توهمًا أنهم ينصرون بسببه). من بقية مقولتهم، أي قالوا: إن المسلمين وَهِمُوا أنهم ينصرون بسبب دينهم.

(٣) قوله: (يغلب). قدره ليكون جواب الشرط: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ...﴾. حذف ودل عليه جملة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ...﴾ فهي تعليل للجواب المحذوف، أقيمت مقامه.

(٤) قوله: (بالياء والتاء...). قراءتان: بالتاء: ﴿تَتَوَفَّى﴾: قراءة ابن عامر، وبالياء: ﴿يَتَوَفَّى﴾: قراءة الباقين. ووجههما واضح.

(٥) وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾. مفعول به، و﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: فاعل، كما هو واضح.

(٦) قوله: (بمقامع من حديد). ونقله البيضاوي بـ«قيل».

روى ابن جرير، عن ابن عباس: «كان هذا الضرب يوم بدر»، قال ابن عباس: «إذا أقبل المشركون بوجوههم إلى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيوف، وإذا ولوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم».اهـ. قال ابن كثير بعد نقله ذلك: «وهذا السياق وإن كان سببه وقعة بدر ولكنه عام في حق كل كافر، كما هو ظاهر الآية، وكما في سورة الأنعام: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ ...﴾ [٩٣]».اهـ. ملخصًا.

يقولون لهم: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ أي: النار، وجواب «لَوۡ»[1]: لرأيت أمرًا عظيمًا.

﴿٥١﴾- ﴿ذَٰلِكَ﴾ التعذيب ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ عبر بها دون غيرها[2]؛ لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٍ﴾ أي: بذي ظلم[3] ﴿لِّلۡعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

﴿٥٢﴾- دأب هؤلاء[4] ﴿كَدَأۡبِ﴾ عادة ﴿ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بالعقاب ﴿بِذُنُوبِهِمۡۗ﴾ جملة «كَفَرُواْ» وما بعدها مفسرة لما قبلها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ﴾ على ما يريده ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾.

---

(١) قوله: (وجواب ﴿لَوۡ﴾:...). أي: حذف الجواب للإشارة إلى هوله، كأنه خارج عن حد التعبير.

(٢) قوله: (عبر بها). أي: بالأيدي، والمراد: هم أنفسهم، فيكون من المجاز المرسل، أطلق الجزء وأريد الكل. ويكون لهذا الخبر مزية أشار إليها المفسر بقوله: (لأن أكثر الأفعال...).

(٣) قوله: (بذي ظلم). أشار به إلى أن ﴿ظَلَّٰمٍ﴾ هنا ليس للمبالغة، حتى لا يوهم نفي المبالغة وجود أصل الظلم، بل هنا للنسبة، لأن «فعّالًا» يستعمل للنسبة كما يقال: تمّار، عطّار، كما تقدم في سورة آل عمران الآية (١٨٢)، و﴿أَنَّ﴾ مع اسمها وخبرها في تأويل مصدر معطوف على ﴿مَا﴾.

(٤) قوله: (دأب هؤلاء). قدره ليفيد أن الجار والمجرور ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، والدأب: مصدر «دأَب، يدأب: دام». كما بينه البيضاوي. والمعنى: فِعْلُ هؤلاء المشركين كفعل آل فرعون ومن قبلهم من التكذيب والكفر، ففعلنا بهم ما هو عادتنا فيمن قبلهم. كما ذكره ابن كثير.

(٥٣) - ﴿ذَٰلِكَ﴾[(١)] أي: تعذيب الكفرة ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ﴾ مُبدِّلًا لها بالنقمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ يبدلوا نعمتهم كفرًا، كتبديل كفار مكة إطعامَهم من جوع وأمنهم من خوف وبعث النبي ﷺ إليهم، بالكفر والصدِّ عن سبيل الله وقتال المؤمنين ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣﴾.

(٥٤) - ﴿كَدَأۡبِ[(٢)] ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ﴾ قومه معه ﴿وَكُلّٞ﴾ من الأمم المكذبة[(٣)] ﴿كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ٥٤﴾.

(٥٥) - ونزل في قريظة[(٤)]: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٥٥﴾.

---

(١) قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾. يخبر تعالى عن تمام عدله في حكمه؛ لأنه لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١]. أفاده ابن كثير.

تنبيه: ذكر في آية (٥١) و(٥٣) علتين للتعذيب: ما قدمت أيديهم، وأنهم غيَّروا نعمة ربهم بالكفران، وهما متلازمان؛ لأن من عصى الله فقد قابل نعمته بالكفر، وغيَّرها إليه، فلا يكون هنا التعليل للفعل الواحد بعلتين دون عطف أو بدلية، لأن العلتين هنا بمعنى واحد في الجملة، فكأن العلة الثانية بدلٌ من الأولى. والله أعلم.

(٢) قوله تعالى: ﴿كَدَأۡبِ﴾. قال القرطبي: «ليس تكرارًا، فالأول للعادة في التكذيب، والثاني للعادة في التغيير». وذكره البيضاوي وجهًا.

(٣) قوله: (من الأمم المكذبة). فيه إشارة إلى أن التنوين في ﴿كُلّٞ﴾ تنوين عوض، وبذلك يكون لفظ ﴿كُلّٞ﴾ نكرة مخصصة صالحًا لوقوعه مبتدأ.

(٤) قوله: (ونزل في قريظة:...). ما ذكره من سبب النزول رواه ابن جرير عن مجاهد، وذكره القرطبي وغيره. =

﴿٥٦﴾- ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ﴾ أن لا يعينوا المشركين ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ﴾ عاهدوا فيها ﴿وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ الله في غدرهم.

﴿٥٧﴾- ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إنْ» الشرطية[١] في «ما» المزيدة ﴿تَثۡقَفَنَّهُمۡ﴾ تجدنَّهم[٢] ﴿فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ﴾ فرّق[٣] ﴿بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ﴾ من المحاربين بالتنكيل بهم والعقوبة[٤] ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾ أي: الذين خلفهم ﴿يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ يتعظون بهم.

= وقريظة: قبيلة من قبائل اليهود المستوطنين بالمدينة، وكان النبي ﷺ عاقدهم بأن لا يناصروا الكفار، وقد نقضوا العهد وغدروا مرارًا، وآخر الغدر كان في غزوة الخندق التي كانت من أشد الغزوات على المؤمنين، وبذلك حكم فيهم بالقتل والسبي بعد غزوة الخندق، كما بينه أهل السير. وقد ذكرنا -سابقًا- عنهم وعن القبيلتين الأخريين بالمدينة -بني قينقاع وبني النضير-.

(١) قوله: (فيه إدغام نون «إن» الشرطية). قد تقدم نظيره. فأصله: «إنْ ما». ويؤكد المضارع كثيرًا بعد «إمّا» هذه. كما في قوله: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ [مريم: ٢٦]، و﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾ [الأنفال: ٥٨].

(٢) قوله: (تجدنهم). وبمثله فسر ابن جرير وغيره. يقال: ثقفته وأثقفته ثقْفًا أي: وجدته. ذكره القرطبي.

(٣) قوله: (فرّق). تفسير لغوي لـ﴿شَرِّدۡ﴾. قال القرطبي: «التشريد في اللغة: التبديد والتفريق».اهـ.

(٤) قوله: (بالتنكيل بهم والعقوبة). الباء للتصوير، أي: تصوير التشريد بهم، فهو المراد بالتشريد، ولذلك قال ابن عباس: «يعني: نَكِّلْ بهم من بعدهم». وقال قتادة: «عظ بهم من سواهم». وقال سعيد بن جبير: «أنذر بهم من خلفهم». اهـ. نقله كله ابن جرير. **وخلاصة المعنى:** افعل بهم فعلًا يكون مشرّدًا من خلفهم من نظائرهم ممن بينك وبينه عهد وعقد، كما قاله ابن جرير.

(٥٨)- ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ﴾ عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾ في عهد بأمارة تلوح لك[١] ﴿فَٱنۢبِذۡ﴾ اطرح عهدهم ﴿إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾ حال[٢]، أي: مستويًا أنت وهم في العلم بنقض العهد، بأن تُعلمهم به لئلا يتهموك بالغذر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ (٥٨)﴾.

(٥٩)- ونزل فيمن أفلت[٣] يوم بدر ﴿وَلَا تَحۡسِبَنَّ﴾ يا محمد[٤] ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

---

(١) قوله: (بأمارة تلوح لك). أفاد به أن المراد بخوف الخيانة التحقق بأمارات تدل على وقوع الخيانة، لا مجرّد احتمال الوقوع، وذلك كما وقع من قريظة حيث أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين لمحاربة المسلمين، فهذا نقض صريح منهم للعهد. نبه على ذلك كله ابن جرير.

(٢) قوله: (حال). أي: ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾ في محل نصب حال من الضمير المستتر في ﴿فَٱنۢبِذۡ﴾. والمعنى كما قال المفسر، وكما قال ابن جرير: «أعلمهم قبل حربك إياهم أنك فسخت العهد بينك وبينهم بسبب ظهور الخيانة منهم حتى تصير أنت وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب».اهـ. باختصار.

(٣) قوله: (أفلت). أي: تخلص من القتل وبقي حيًّا. وما ذكره من سبب النزول ذكره القرطبي، بلا عزوٍ.

(٤) قوله: (يا محمد). أفاد أن الخطاب في ﴿وَلَا تَحۡسِبَنَّ﴾ للنبي ﷺ. وهذا على قراءة ﴿وَلَا تَحۡسِبَنَّ﴾ بالتاء وكسر السين، وهي قراءة الجمهور، وبالياء: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ﴾: قراءة ابن عامر، وحفص، وحمزة، وأبي جعفر. ثم قرأ شعبة ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ﴾ بالتاء مع فتح السين، وهما لغتان في مضارع «حَسِب». تقول: حسِبَ، يحسِبُ، ويَحسَبُ. وفتح السين في المضارع هو القياس؛ لأن «فعِلَ» مضارعه: «يفعَلُ» قياسًا. وأما بكسر السين «يحسِبُ» فسماعي، وذكر المفسر الإعراب على كل من القراءتين: فعلى القراءة بالتاء: فاعل: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ﴾: الضمير المستتر، و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في محل نصب المفعول الأول، وجملة ﴿سَبَقُوٓاْۚ﴾ في محل نصب المفعول الثاني. =

سَبَقُوٓاْۚ﴾ الله، أي: فاتوه ﴿إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ٥٩﴾ لا يفوتونه، وفي قراءة: بالتحتانية، فالمفعول الأول محذوف، أي: أنفسهم، وفي أخرى: بفتح «أن» على تقدير اللام.

٦٠ -[1] ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾ لقتالهم ﴿مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ قال ﷺ: «**هي الرمي**» رواه مسلم[2]. ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ مصدر بمعنى حبسها في سبيل الله ﴿تُرۡهِبُونَ﴾ تخوفون ﴿بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ أي: كفار مكة ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ﴾ أي: غيرهم، وهم المنافقون أو اليهود[3] ﴿لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا

= وعلى القراءة بالياء: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في محل رفع فاعل، والمفعول الأول محذوف تقديره: أنفسهم. والمفعول الثاني: جملة ﴿سَبَقُوٓاْۚ ...﴾، وجملة ﴿إِنَّهُمۡ ...﴾ بكسر الهمزة استئنافية. وهي قراءة الجمهور، وقرأ ابن عامر بفتح الهمزة: ﴿أَنَّهُمۡ﴾ بتقدير اللام. أي: «لأنهم». كما قال المفسر. وهناك أوجه أخرى في الأعراب.

(١) قال القرطبي: «أمر الله سبحانه المؤمنين بإعداد القوة للأعداء بعد أن أكّد تقدمة التقوى».اهـ. وكذا قال ابن كثير: «ثم أمرهم بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة».اهـ. وأشار المفسر بقوله: (لقتالهم) إلى تقدير مضاف، فالمراد الإعداد لقتالهم، لا لأجل منفعتهم، كما هو واضح.

(٢) قوله: (رواه مسلم). أي: عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾: «**ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**» [(٣/ ١٥٢٢)].اهـ.

(٣) قوله: (وهم المنافقون أو اليهود). هما قولان في المراد بـ(آخرين من دونهم)، روى ابن جرير عن ابن زيد: «أنهم المنافقون»، وعن مجاهد: «أنهم بنو قريظة»، وعن السدي: «أهل فرس». واختار أن المراد به: «الجن»؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾؛ لأنه يقتضي كونهم جنسًا آخر غير بني آدم؛ لأن بني آدم يعلمهم المؤمنون.

﴿تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠﴾ تنقصون منه شيئًا.

٦١- ﴿۞ وَإِن جَنَحُواْ﴾ مالوا ﴿لِلسِّلۡمِ﴾ بسكر السين وفتحها[1]: الصلح ﴿فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ وعاهدهم. قال ابن عباس: «هذا منسوخ بآية السيف»[2]. وقال مجاهد: «مخصوص بأهل الكتاب»، إذ نزلت في بني قريظة ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ ثق به ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٦١﴾ بالفعل.

٦٢- ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ﴾ بالصلح ليستعدوا لك ﴿فَإِنَّ حَسۡبَكَ﴾[3] كافيكَ ﴿ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾.

---

(١) قوله: (بكسر السين وفتحها). قراءتان: بالكسر قراءة شعبة. وبالفتح: قراءة الباقين. و(الصلح) تفسير ﴿لِلسَّلۡمِ﴾. قاله قتادة، وابن زيد.

(٢) قوله: (قال ابن عباس: «هذا منسوخ»). وكذا قاله قتادة، وآية السيف هي: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥]، و﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ﴾ [التوبة: ٣٦]. ومال القرطبي إلى عدم النسخ؛ لوجود الصلح من النبي ﷺ مع أهل خيبر، ومن الخلفاء الراشدين من بعده.

(٣) قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾: حسب: بمعنى كافٍ، فإضافته لفظية، وهو اسم ﴿إِنَّ﴾، والاسم الكريم ﴿ٱللَّهُۚ﴾ خبرها. وهذه لطيفة نحوية، لأن الأصل كون المبتدأ معرفة والخبر نكرة، وهٰهنا صار الخبر معرفة واسم «إن» نكرة، أي: أخبر عن النكرة بالمعرفة. ومسوِّغ ذلك دخول الناسخ «إن» على المبتدأ، وهذه مسألة استثنائية، ذكرناها في رسالة الاستثناء.

وأما قوله تعالى: ﴿حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ في الآية الآتية فالاسم الكريم مبتدأ، و﴿حَسۡبُكَ﴾: خبر مقدم.

(٦٣)- ﴿وَأَلَّفَ﴾ جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ بعد الإحن[١] ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ (٦٣)﴾ لا يخرج شيء عن حكمته[٢].

(٦٤)- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَ﴾ حسبك[٣] ﴿مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤)﴾.

---

(١) قوله: (بعد الإحن). جمع: «إِحْنَة»، أي: الحقد. قال ابن جرير، وروى عن السدي وابن إسحٰق وغيرهما: «المراد بالذين ألف الله بين قلوبهم: الأوس والخزرج من الأنصار؛ لأنه كان بين الأوس والخزرج حروب متتابعة، فما ألف بينهم إلا الإسلام».
قال القرطبي: «أي: جمع بين قلوب الأوس والخزرج، وكان تألّف القلوب مع العصبية الشديدة في العرب من آيات النبي ﷺ ومعجزاته؛ لأن أحدهم كان يلطم اللطمة، فيقاتل عنها حتى يستقيدها، وكانوا أشد خلق الله حمية، فألّف الله بالإيمان بينهم، حتى قاتل الرجل أباه وأخاه بسبب الدين».اهـ.

(٢) قوله: (لا يخرج شيء عن حكمته): صريح في إثبات صفة الحكمة لله تعالى. وقد أشرنا إلى ذلك والفرق بينها وبين الغرض في تفسير سورة البقرة الآية (٣٢).

(٣) قوله: (﴿وَ﴾ حسبك). أفاد بهذا التقدير أن الاسم الموصول ﴿مَنِ﴾ في محل رفع معطوف على الاسم الكريم، والمعنى: حسبك الله والمؤمنون الذين معك، وذكر هذا المعنى القرطبي وغيره، وعزاه القرطبي إلى الحسن. وقد يؤيده ما نقله عن ابن عباس أن الآية نزلت في إسلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان مع النبي ﷺ حينئذ ثلاث وثلاثون رجلًا وست نسوة، فإسلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كمَّل أربعين.
والذي ذكره ابن جرير، وابن كثير، ونقله ابن جرير عن الشعبي وابن زيد: أن المعنى حسبك الله وحسب من اتبعك، أي: الله كافيك وكافي من اتبعك من المؤمنين، وعلى هذا يكون ﴿مَنِ﴾ معطوفًا على الكافِ في ﴿حَسْبُكَ﴾. وعطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور بدون إعادة الجار جائز عند طائفة من النحاة؛ كابن مالك.

﴿٦٥﴾- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ﴾ حُثَّ[(١)] ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ﴾ للكفار ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ﴾ منهم ﴿وَإِن يَكُن﴾ بالياء والتاء[(٢)] ﴿مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾. وهذا خبر بمعنى الأمر[(٣)]، أي: ليقاتل عشرون منكم المائتين،

---

(١) قوله: (حُث). بضم الحاء وتشديد الثاء، أمر من «حثَّ، يحثُّ»، تفسير لـ﴿حَرِّضِ﴾. وأصل الحرض: الإشراف على الهلاك والقرب منه، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ [يوسف: ٨٥]، كما يعلم من القرطبي، والبيضاوي.

(٢) قوله: (بالياء والتاء). قراءتان: بالتاء: ﴿تَكُن﴾: قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبي جعفر. وبالياء: ﴿يَكُن﴾: قراءة الباقين. و﴿تَكُن﴾ هنا تامة. والجار والمجرور: ﴿مِّنكُم﴾ متعلق بها. و﴿مِّا۟ئَةٌ﴾ فاعل، وكذلك ﴿عِشْرُونَ﴾ في الآية السابقة، و﴿مِّا۟ئَةٌ﴾ في الآية التالية. والله أعلم.

(٣) قوله: (وهذا خبر بمعنى الأمر). يعني قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُم﴾ جملة شرطية خبرية، والمراد بها الأمر. ومع ذلك فيها وعد من الله تعالى بالنصر وإن قلّ عدد المسلمين؛ كما أفاده ابن كثير والقرطبي وغيرهما.

قال ابن كثير: «يحرض الله تعالى نبيه والمؤمنين على القتال ويخبرهم أنه حسبهم وكافيهم وناصرهم على عدوهم، وإن كثروا وقلَّ عدد المؤمنين، ولهذا قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ ...﴾ الآية».اهـ. باختصار.

وما ذكره المفسر من أن هذه الآية بمعنى الأمر، وأنها منسوخة بالآية التالية ذهب إليه المفسرون، كابن جرير، وابن كثير وغيرهما، وروى ذلك ابن جرير عن ابن عباس بطرق متعددة بألفاظٍ متقاربة، ففي رواية عنه: قال: «كان لكل رجل من المسلمين عشرة لا ينبغي له أن يفر منهم، فكانوا كذلك حتى أنزل الله: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ ...﴾ الآية، فعبأ لكل رجل من المسلمين رجلين من المشركين، فنسخ الأمر الأول».اهـ. =

والمائةُ الألفَ، ويثبتوا لهم، ثم نسخ لما كثروا بقوله:

(٦٦)- ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضُعْفًا﴾ بضم الضاد وفتحها[(١)]، عن قتال عشرة أمثالكم ﴿فَإِن يَكُن﴾ بالياء والتاء ﴿مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾ منهم ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته، وهو بمعنى الأمر، أي: لتقاتلوا مثليكم وتثبتوا لهم[(٢)] ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ (٦٦)﴾ بعونه[(٣)].

(٦٧)- ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر[(٤)] ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن تَكُونَ ﴾ بالتاء

= وقوله: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (٦٥)﴾ أي: يقاتل المشركون على غير رجاء ثواب؛ فهم لم يفقهوا الأجر العظيم لمن يقاتل في سبيله. اهـ أفاده ابن جرير.

(١) قوله: (بضم الضاد وفتحها) قراءتان: بالفتح: ﴿ضَعْفًا﴾: قراءة عاصم وحمزة وخلف. وبالضم: ﴿ضُعْفًا﴾: قراءة الباقين. ما عدا أبا جعفر فقرأ: ﴿ضُعَفَاء﴾ جمع «ضعيف». والضعف بالضم والفتح لغتان، قاله البيضاوي. وقد اشتهر استعمال الضَعف بالفتح في ضعف البدن، أي الضعف المحسوس، وبالضم في الضعف المعنوي: كالرأي والعقل.

(٢) قوله: (لتقاتلوا...). اللام هنا لام أمر، ودخول لام الأمر في المضارع المخاطب قليل، والأكثر أن يؤتى بصيغة الأمر.. «قاتلوا»، وأما أمر الغائب فهو بدخول اللام على المضارع حسب، كقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ﴾ [الطلاق: ٧]، وذلك واضح.

(٣) قوله: (بعونه). أفاد أن المعية هنا خاصة.

(٤) قوله: (ونزل لما أخذوا...). ما ذكره من سبب النزول ذكره المفسرون مفصلًا، وقد روي ذلك عن ابن عباس وأنس وغيرهما من طرق مختلفة، وخلاصة ذلك كما يعلم من رواية ابن عباس: «استشار النبي ﷺ الصحابة في شأن أسرى بدر وهم سبعون: فأشار أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بأخذ الفداء منهم وفكهم، وأشار عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بقتلهم، فوافق النبي ﷺ رأي أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، رجاء أن يسلم بعضهم، أو بعض أولادهم، ولحاجة المسلمين إلى التقوية المالية والاستحكام الاقتصادية؛ فأنزل الله هذه الآية عتابًا على من أشار بالإبقاء وأخذ الفداء». =

والياء[١] ﴿لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يبالغ في قتل الكفار ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون[٢] ﴿عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾ حُطامها بأخذ الفداء ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾ لكم[٣] ﴿ٱلۡأٓخِرَةَۗ﴾ أي: ثوابها، بقتلهم ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧﴾ وهذا منسوخ[٤] بقوله: ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤].

٦٨- ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ بإحلال الغنائم والأسرى لكم[٥] ﴿لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨﴾.

= قال القرطبي: «فالعتاب متوجه بسبب من أشار على النبي ﷺ بأخذ الفدية؛ لأن النبي ﷺ ما أراد قط عرض الدنيا».اهـ. وقال ابن جرير قريبًا من ذلك.

(١) قوله: (بالتاء والياء). قراءتان. بالتاء: ﴿تَكُونَ﴾: قراءة أبي عمرو وأبي جعفر ويعقوب. وبالياء: ﴿يَكُونَ﴾: قراءة الباقين.

(٢) قوله: (أيها المؤمنون). أشار به إلى أن هذا الخطاب إلى المؤمنين الذين أشاروا لأخذ الفداء لا إلى النبي ﷺ، كما أفاده ابن جرير والقرطبي وغيرهما.

(٣) قوله: (لكم). كذا فسر ابن جرير. فالمعنى: الله يريد لكم ثواب الآخرة. وأشار المفسر بقوله: (أي: ثوابها). إلى تقدير مضاف.

(٤) قوله: (وهذا منسوخ...) قاله ابن عباس؛ لأن هذه الآية في شأن أسارى بدر، والمؤمنون يومئذ قليلون، فكانت الحاجة ماسة إلى تقليل عدد الكفار. قال ابن عباس: «...فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بعد هذا في الأسارى ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾».اهـ. رواه ابن جرير مفصلًا. قال الفقهاء: جاز للإمام قتلهم وفكهم بفداء أو مجانًا أو مقابل فك أسارى المسلمين بأيديهم. حسب ما يراه المصلحة.

(٥) قوله: (بإحلال الغنائم) قال ابن عباس: «يعني في أم الكتاب الأول أن المغانم والأسارى حلال لكم».اهـ. لأن الغنائم كانت محرمة على الأمم السابقة، وتحليلها من خصائص هذه الأمة. كما في رواية البخاري: «...**وأحِلّت لي الغنائم**...». [(٣٢٨)].

(٦٩) - ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾[١].

(٧٠) -[٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ وفي قراءة: «ٱلْأَسَارَىٰ»[٣] ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إيمانًا وإخلاصًا ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من الفداء بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ﴾ ذنوبكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾.

(٧١) - ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ﴾ أي: الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ بما أظهروا من القول[٤] ﴿فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ قبل بدر، بالكفر ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْۗ﴾ ببدر، قتلًا وأسرًا، فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا[٥] ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ في صنعه.

(٧٢) - ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾

---

(١) هذه الآية ظاهرها كون الغنيمة كلها للغانمين، ولكن فصل المستحقين في قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم...﴾ [الأنفال: ٤١].

(٢) روى ابن جرير عن العباس بن عبدالمطلب: «أن هذه الآية نزلت فيه، وكان أُسِر يوم بدر وكان أسلم قبلُ، وخرج مع المشركين كرهًا، وفدى عن نفسه وعن عقيل ونوفل، وكان أخذ منه عشرون أوقية غنيمة، قال العباس: «فأعطاني الله مكان العشرين الأوقية في الإسلام عشرين عبدًا كلهم تاجر بمالي مع ما أرجو من مغفرة الله عَزَّوَجَلَّ».اهـ. ملخصًا من القرطبي.

(٣) قوله: (وفي قراءة: ﴿ٱلْأَسَارَىٰ﴾). وهي قراءة أبي جعفر. والباقون قرؤوا: ﴿ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾.

(٤) قوله: (بما أظهروا من القول). أي: من الإسلام.

(٥) قوله: (فليتوقعوا...). فيه إشارة إلى جواب الشرط، حذف وأقيم ما يدل عليه مقامه، وهو علته، فيكون المعنى: وإن يريدوا خيانتك فليتوقعوا مؤاخذتهم؛ لأنهم لما خانوا من قبل أمكن منهم وأخذهم بالعذاب، والله أعلم.

وهم المهاجرون(١) ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ﴾ النبي ﷺ ﴿وَّنَصَرُوٓاْ﴾ وهم الأنصار ﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ في النصرة والإرث ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وِلَٰيَتِهِم﴾ بكسر الواو وفتحها(٢) ﴿مِّن شَيۡءٍ﴾ فلا إرث بينكم وبينهم، ولا نصيب لهم في الغنيمة(٣) ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ﴾ وهذا منسوخ بآخر السورة ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ﴾(٤)

---

(١) قوله: (وهم المهاجرون). قال ابن كثير: «ذكر الله في هذه الآية ثلاثة أصناف من المؤمنين: الأول: المهاجرون، والثاني: الأنصار، والثالث: المؤمنون الذين لم يهاجروا. وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾: أي: كلٌّ منهم أحق بالآخر من كلِّ أحد، ولذا آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فكانوا يتوارثون بذلك إرثًا مقدّمًا على القرابة، حتى نسخ الله ذلك بالمواريث، وثبت ذلك في «صحيح البخاري».اهـ ملخصًا. وكذا رواه ابن جرير عن ابن عباس وغيره. والمفسر أشار إلى ذلك هنا بقوله: (بالنصرة والإرث). وأشار إلى نسخ التوارث بقوله: (وهذا منسوخ بآخر السورة). يعني: قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾.

وفصل تعالى حكم الصنف الثالث بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ﴾.

(٢) قوله: (بكسر الواو وفتحها). قراءتان: بكسر الواو: ﴿وِلَٰيَتِهِم﴾: قراءة حمزة. وبفتحها: ﴿وَلَٰيَتِهِم﴾: قراءة الباقين. وهما لغتان، ومعناهما واحد؛ كالدَّلالة والدِّلالة. أفاده ابن كثير.

(٣) قوله: (فلا إرث بينكم وبينهم، ولا نصيب لهم في الغنيمة). كما قال ابن كثير: «هؤلاء الصنف الثالث من المؤمنين، وهم الذين آمنوا ولم يهاجروا، بل أقاموا في بواديهم، فهؤلاء ليس لهم في المغانم نصيب، ولا خمسها إلا ما حضروا فيه القتال». وقد ورد هذا المعنى في رواية مسلم وأحمد في بيان وصايا النبي ﷺ إذا بعث سرية. [أحمد (٥/ ٣٥٢)، مسلم (٣/ ١٣٥٧)].

(٤) قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ﴾. أي: هؤلاء الصنف الثالث إذا طلبوا منكم أيها المهاجرون والأنصار العون على الكفار وجب عونهم، إلا إذا كان على قوم بينهم وبين=

فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ لهم على الكفار ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌۗ﴾
عهد؛ فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢﴾.

٧٣- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ﴾ في النصرة والإرث، فلا إرث بينكم وبينهم[1] ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ﴾ أي: تولي المسلمين وقمع الكفار[2] ﴿تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣﴾ بقوة الكفر وضعف الإسلام.

٧٤-[3] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤﴾ في الجنة.

٧٥- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ﴾ أي: بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة[4]

= المؤمنين عهد بترك القتال، وهي المهادنة، فالواجب حفظ هذا العهد، كما قال المفسر: (فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم).

(١) قوله: (فلا إرث بينكم وبينهم) فالآية أفادت قطع الموالاة والتوارث بين المؤمن والكافر، فلا توارث بينهما البتة، كما روى البخاري عن أسامة بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم**». كما عليه الشافعية، وجمهور الفقهاء.

وعند الحنابلة يوجد التوارث في صورتين:

١- إذا أسلم الكافر قبل تقسيم التركة.

٢- المعتق المسلم يرث عتيقه الكافر، وبالعكس.

(٢) قوله: (أي: تولّي المسلمين وقمع الكفار). أي: فالضمير -الهاء- يرجع إلى التولّي المعلوم من ﴿أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ﴾. وهكذا فسر ابن كثير، حيث قال: (إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين، وإلا وقعت الفتنة في الناس». اهـ. وقال نحوه ابن جرير وروى ذلك عن ابن جريج.

(٣) قال ابن كثير: «لما ذكر الله تعالى حكم المؤمنين في الدنيا عطف بذكر ما لهم في الآخرة».

(٤) قوله: (بعد السابقين إلى الإيمان...). قال القرطبي: «يريد من بعد الحديبية وبيعة الرضوان، =

﴿وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ﴾ أيها المهاجرون والأنصار[1] ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ ذوو القرابات[2] ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ في الإرث من التوارث بالإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ﴾ اللوح المحفوظ[3] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾ ومنه حكمة الميراث.

❁❁❁

= وذلك أن الهجرة من بعد ذلك كانت أقل رتبة من الهجرة الأولى، فبين أن من آمن وهاجر من بعدُ يلتحق بهم، ومعنى ﴿مِنكُمۡۚ﴾ أي: مثلكم في النصرة والموالاة». اهـ ملخصًا.

وأفاد المفسر بقوله: (أي: بعد السابقين...): المضاف إليه المحذوف، ولذا بنى ﴿بَعۡدُ﴾ على الضم، أي: لحذف المضاف إليه ونية معناه، كما هو مفصل في علم النحو، كما أفاد أن المراد بهم من آمن بعد الحديبية في عهد النبي ﷺ، وليس المراد من آمن إلى يوم القيامة، والله أعلم.

(١) قوله: (أيها المهاجرون والأنصار). أشار به إلى أن هذا الخطاب متوجه إليهم.

(٢) قوله: (ذوو القرابات). أفاد أن المراد بـ﴿ أُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ هنا القرابات، وهو المعنى اللغوي، لأن الأرحام جمع «رَحِمَ»، فذو الأرحام من له تعلق بالرحم، وليس المراد به ما اصطلح عليه علماء الفرائض، وهو كل قريب ليس عصبة ولا ذا فرض، كالخال والعمة وأولاد البنات، وفي توريثهم عند عدم العصبة وأهل الفرض خلاف فقهي.

والاستدلال بهذه الآية على توريثهم ليس قويًّا؛ لأن المراد به هنا القريب مطلقًا، كما بينه المفسرون، وقد نبه ابن كثير على ضعف الاستدلال بهذه الآية على توريث ذوي الأرحام بالمعنى الاصطلاحي.

(٣) قوله: (اللوح المحفوظ). قال ابن كثير: «في حكم الله». وقال ابن جرير: «في حكم الله الذي كتبه في اللوح المحفوظ». اهـ. وكل ذلك متقارب، كما هو واضح.

٩- سورة التوبة

مدنيّة أو إلا آيتين آخرها، وهي مائة وثلاثون أو إلا آية

ولم تكتب فيها البسملة؛ لأنه ﷺ لم يؤمر بذلك[١]، كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم، وأخرج في معناه عن علي: «أن البسملة أمان، وهي نزلت لرفع الأمن بالسيف»، وعن حذيفة: «أنكم تسمونها سورة التوبة، وهي سورة العذاب»، وروى البخاري[٢] عن البراء: «أنها آخر سورة نزلت».

(١)- هذه[٣] ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ واصلة[٤] ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم[٥] مِّنَ

---

(١) قوله: (لأنه ﷺ لم يؤمر بذلك). نقل القرطبي خمسة أقوال في سبب ترك التسمية أول هذه السورة، ثم قال: والصحيح أن التسمية لم تكتب؛ لأن جبريل عَلَيهِ السَّلَامُ ما نزل بها في هذه السورة.اهـ. وعزاه إلى القشيري، وما قاله المفسر هنا قريب ممّا صححه القرطبي.

ومن تلك الأقوال: أن سورة براءة نقض العهد، وكانت عادة العرب ترك التسمية في صحيفة نقض العهد، وكتابة التسمية في صحيفة إبرام العقد.

ومنها: أن الصحابة اختلفوا في كون سورة التوبة والأنفال سورة واحدة، فتركوا فراغًا بينهما بدون التسمية مراعاة للرأيين.

ومنها: ما قاله المفسر عن علي من أن التسمية أمان، وعزاه القرطبي إلى ابن عباس. اهـ. والله أعلم.

(٢) قوله: (وروى البخاري...). قال ابن كثير: «وأول هذه السورة الكريمة نزلت على رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك، وهمّ بالحج».

(٣) قوله: (هذه). قدره ليفيد أن ﴿بَرَآءَةٌ﴾ خبر لمبتدأ محذوف.

(٤) وقوله: (واصلة). قدره ليتعلق به الجار والمجرور ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم﴾.

(٥) قوله تعالى: ﴿عَـٰهَدتُّم﴾ الخطاب للمؤمنين وإن كان متولي العهد هو رسول الله ﷺ؛ لأن عهده ﷺ هو عهد من جميع المؤمنين، أفاده القرطبي.

﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١﴾ عهدًا مطلقًا[١] أو دون أربعة أشهر أو فوقها، ونقضوا[٢] العهد بما يذكر[٣] في قوله:

٢- ﴿فَسِيحُواْ﴾[٤] سيروا آمنين أيها المشركون ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ﴾

---

(١) قوله: (عهدًا مطلقًا). ذكر المفسر هنا ثلاثة أنواع من العهد:

١- عهد مطلق، أي: بدون تحديد مدة.

٢- عهد محدد بدون أربعة أشهر.

٣- عهد محدد بأكثر من أربعة أشهر ولكن نقضوا العهد.

وأما من عهده محدد ولم ينقضوا العهد؛ كخزاعة، فإنه سيتم له تلك المدة لقوله تعالى: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ﴾.

(٢) قوله: (ونقضوا...). مرتبط بمن كان عهدهم أكثر من أربعة أشهر.

وكان بداية نقض العهد: أن رسول الله ﷺ صالح قريشًا يوم الحديبية بالهدنة بينهم عشر سنوات، وكان بنو بكر حلفاء قريش، وخزاعة حلفاء رسول الله ﷺ، فأغار بنو بكر على خزاعة في مدة العهد، وأعانت قريش حلفاءهم، فكان هذا غدرًا من قريش وحلفائهم، فاستغاثت خزاعة برسول الله ﷺ، فتجهز رسول الله ﷺ إلى مكة حتى فتحها الله تعالى، وذلك في السنة الثامنة ثم وقعت غزوة حنين، ورجع رسول الله ﷺ، وأقام الحج للناس عتاب بن أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تلك السنة. ثم في السنة التاسعة وقعت غزوة تبوك وبعدها همّ رسول الله بالحج، ولكنه كره أن يحضر البيت عراة مشركون يطوفون بالبيت، فلم يحبّ أن يخالطهم، فأمّر رسول الله ﷺ أبا بكر للحج في السنة التاسعة، ليقيم لهم الحج ويعلم المشركين ألا يحجوا بعد هذا العام، وأتبعه عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليكون مبلغًا عن رسول الله ﷺ بذلك. وذلك لأن عادة العرب أن الذي أبرم العقد يكون هو الذي يعلم بنقضه، أو أحد من أهل بيته، فأراد النبي ﷺ أن يرسل ابن عمه بذلك ليقطع كلام المشركين. اهـ ملخصًا من القرطبي.

(٣) وقوله: (بما يذكر) متعلق بـ﴿بَرَآءَةٞ﴾ أي: براءة منهم مع ما يمهل لهم من أربعة أشهر.

(٤) وقوله تعالى: ﴿فَسِيحُواْ﴾ خطاب للكفار بتقدير قول: أي فقل لهم سيحوا.

أولها شوال[١] بدليل ما سيأتي[٢]، ولا أمان لكم بعدها ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ﴾ أي: فائتي عذابه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٢﴾ مذلهم في الدنيا بالقتل والأخرى بالنار.

۝٣- ﴿وَأَذَٰنٞ﴾ إعلام ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾[٣] يوم النحر[٤] ﴿أَنَّ﴾ أي: بأن[٥] ﴿ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ وعهودهم ﴿وَرَسُولُهُۥۚ﴾

---

(١) قوله: (أولها شوال) أي: إلى نهاية محرم، قاله البيضاوي، قال: لأن الآية نزلت في شوال.
وروى ابن كثير عن محمد بن كعب القرظي: قرأها عليهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم عرفة، وأجل لهم عشرين من ذي الحجة، وشهر محرم، وصفر، وربيع الأول، وعشرًا من ربيع الثاني. وأعلن أيضًا أنه لا يحجن بعد عامنا هذا مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.اهـ. مختصرًا.

(٢) قوله: (بدليل ما سيأتي) وهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ...﴾ أي: يكون ذلك بانقضاء محرم، فيكون بداية الأشهر الأربعة شوال على ما قاله المفسر. وهذا بناءً على أن المراد بالأشهر الحرم هناك: هي الأشهر الأربعة المعروفة: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، وهو أحد القولين، والقول الثاني المراد بالأشهر الحرم هنا: الأشهر الأربعة التي ضربت لهم، من عشر ذي الحجة إلى عشر ربيع الثاني، ومشى على ذلك ابن كثير، وهو قول مجاهد وابن زيد وابن إسحٰق وغيرهم، كما ذكره القرطبي. وسميت بالحرم لتحريم القتال في هذه الفترة المضروبة.

(٣) قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ ظرف لـ«أذان».

(٤) قوله: (يوم النحر) تفسير ليوم الحج الأكبر، وهو أحد القولين فيه، ورجحه ابن كثير. وروى ابن جرير ذلك عن علي وابن أبي أوفى. والقول الثاني: أنه يوم عرفة، روى ذلك عن علي أيضًا، وابن الزبير وعمر وابن عباس وغيرهم، وفيما روى عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنه أعلن بالبراءة يوم عرفة، ثم يوم النحر».

(٥) قوله: (أي: بأن) أي: فحذف حرف الجر، وهو جائز، مع «أن، وأنَّ».

بريء أيضًا، وقد بعث النبي ﷺ عليًّا من السنة وهي سنة تسع، فأذن يوم النحر بمنى بهذه الآيات، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، رواه البخاري[١]. ﴿فَإِن تُبۡتُمۡ﴾ من الكفر ﴿فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ عن الإيمان ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ﴾ أخبر ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾ مؤلم، وهو القتل والأسر في الدنيا والنار في الآخرة.

٤- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم[٢] مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا[٣]﴾ من شروط العهد ﴿وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ﴾ يعاونوا ﴿عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا﴾ من الكفار ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ﴾ انقضاء ﴿مُدَّتِهِمۡۚ﴾ التي عاهدتموهم عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٤﴾ بإتمام العهود.

---

(١) قوله: (رواه البخاري). [«فتح الباري» (٨/ ١٦٨)].

(٢) قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾ استثناء من المشركين فهو استثناء متصل كما ذكره القرطبي. وقيل: استثناء منقطع، والمعنى: أن الله بريء منهم، لكن الذين عاهدتهم منهم فأتموا إليهم عهدهم. ورجحه الصاوي.

والآية تفيد أن من له عهد محدد بالمدة ولم ينقضوا العهد فإنه يتم له تلك المدة ولو زادت على أربعة أشهر، كما ذكره ابن كثير وغيره. والمراد بهؤلاء الذين استثنوا قبائل من العرب ثبتت على عهودهم ولم ينقضوا العهد؛ كبني خزيمة، وضمرة، ومدلج من بني بكر، ثبتوا على عهودهم.

(٣) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ «نقص» هنا استعمل متعديًا إلى مفعولين، أولهما الضمير المخاطب، والثاني: ﴿شَيۡـٔٗا﴾.

وقد تستعمل متعديًا لمفعول واحد، نحو: نقصتُ العَمل، ولازمًا: نحو: نقص الماءُ، أي: قلَّ، وكذلك «زاد» يستعمل لازمًا ومتعديًا بالواحد والاثنين، تقول: زاد الماء، زدت العمل، زدتك الخير.

(٥) - ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾ خرج ﴿ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾ وهي آخر مدة التأجيل[١] ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾[٢] في حل أو حرم[٣] ﴿وَخُذُوهُمۡ﴾ بالأسر ﴿وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾ في القلاع والحصون حتى يضطروا[٤] إلى القتل أو الإسلام ﴿وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ﴾ طريق يسلكونه، ونصب «كُلَّ»[٥] على نزع الخافض ﴿فَإِن تَابُواْ﴾[٦] من الكفر ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ

---

(١) قوله: (وهي آخر مدة التأجيل) أي: أربعة الأشهر المذكورة قبل هذه الآية، وقد ذكرنا أن المفسِّر يرى أنها شوال إلى نهاية محرم. وهذا أحد القولين، والقول الثاني أنها من عشر ذي الحجة إلى عشر ربيع الثاني، واختاره ابن كثير وغيره.

(٢) قوله تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ عامٌّ في كل مشرك، وخُصَّ منه بالسنة المرأة والصبي والراهب وغيرهم.

(٣) قوله: (في حل وحرم) أخذ هذا التعميم من قوله تعالى: ﴿حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ فهو عام يشمل الحل والحرم. لكن قال ابن كثير: «والمشهور تخصيصه بتحريم القتال في الحرم».اهـ.

(٤) قوله: (حتى يضطروا...) هذا في حق المشركين، أما في حق أهل الكتاب فالإسلام أو القتل أو الجزية.

(٥) قوله: (ونصب كل) بنزع الخافض: أي حَذْف حرف الجر، وهو «في» هنا، فإذا حذف حرف الجر يصبح المجرور منصوبًا يسمى النصب على نزع الخافض، وحذف حرف الجر سماعي إلا مع «أنّ» و«أن»، فيجوز حذف حرف الجر معهما مطردًا، وقد ذكرناها سابقًا، وفصلناها في رسالة الاستثناءات.

تنبيهان: هذه الآية هي التي تسمى بآية السيف. قال الضحاك: «هي ناسخة لكل عهد بين النبي ﷺ وبين أحد من المشركين». وبمثله روي عن ابن عباس. كما ذكره ابن كثير. والمفسر كثيرًا ما يشير إليها حيث يقول: (وهذا منسوخ بآية السيف...).

(٦) قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ﴾. استدل بهذه الآية على أن تارك الصلاة يستحق القتل، كما هو=

سَبِيلَهُمْۚ﴾ ولا تتعرضوا لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾ لمن تاب.

٦- ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ مرفوع بفعل يفسره[1] ﴿ٱسۡتَجَارَكَ﴾ استأمنك من القتل ﴿فَأَجِرۡهُ﴾ آمنه ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ﴾ أي: موضع أمنه وهو دار قومه إن لم يُؤْمن، لينظر في أمره ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ٦﴾ دين الله، فلابد لهم من سماع القرآن ليعلموا.

٧- ﴿كَيۡفَ﴾ أي: لا[2] ﴿يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ الناقضين للعهد ﴿عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾ وهم كافرون[3] بهما غادرون ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ يوم الحديبية[4]، وهم قريش المستثنَوْن من قَبلُ

= مذهب الشافعية والحنابلة، كما استدل بها وبالأحاديث التي في معناها الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أعلن القتال لمانعي الزكاة.

(١) قوله: (مرفوع بفعل...). أي: فقوله: ﴿أَحَدٞ﴾ فاعل لفعل محذوف تقدير: استجار، يفسره الفعل المذكور، وذلك لأن ﴿إِنۡ﴾ أداة شرط، لا تدخل على الاسم عند البصريين، فإذا دخلت على الاسم قُدِّر فعل بعدها. كما هو مفصل في النحو.

وهذه الآية مما خص به عموم المشركين في الآية السابقة، أي: من جاء من المشركين المأمور بقتلهم مسترشدًا أو حامل رسالة -مثلًا- يؤمّن، فلا يقتل. أفاده ابن كثير وغيره.

قال ابن كثير: «الغرض: أن من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في أداء رسالة أو تجارة أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب وطلب من الإمام أو نائبه أمانًا أعطي أمانًا ما دام مترددًا في دار الإسلام وحتى يرجع إلى مأمنه ووطنه».اهـ.

(٢) قوله: (أي: لا). أفاد به أن الاستفهام هنا للإنكار.

(٣) قوله: (وهم كافرون بهما...). جملة حالية.

(٤) قوله: (يوم الحديبية). مشى المفسر على ما روي عن ابن عباس، واختاره ابن كثير من أن =

﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ﴾ أي: أقاموا على العهد ولم ينقضوه ﴿فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ﴾ على الوفاء به، و«مَا» شرطية[1]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٧﴾ وقد استقام النبي ﷺ على عهدهم حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة.

﴿٨﴾- ﴿كَيۡفَ﴾ يكون لهم عهد[2] ﴿وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ﴾ يظفروا بكم ﴿لَا يَرۡقُبُواْ﴾ يراعوا ﴿فِيكُمۡ إِلّٗا﴾ قرابة[3] ﴿وَلَا ذِمَّةٗۚ﴾ عهدًا، بل يؤذونكم ما

= المراد بالمستثنين هنا هم: قريش، فالمعنى: لا يكون للمشركين عهد إلا لقريش الذين عاهدتموهم بهم يوم الحديبية، فما داموا في عهدهم أوفوا لهم عهدهم، ولو نقضوا عهدهم فانبذوا إليهم عهدهم، وقد نقضت قريش عهدهم في السنة السابعة، وذلك بإعانة بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله، حتى حاربهم المسلمون في السنة الثامنة وفتحت مكة. وهذا ملخص ما ذكره المفسّر. ولكن يشكل على هذا أن هذه الآية نزلت في السنة التاسعة -كما علم من كلام المفسّر- بعد فتح مكة وإسلام قريش، ولذا اختار ابن جرير وطائفة من المفسرين أن المراد بالمستثنين هنا ليسوا بقريش بل قبائل من العرب قاموا على عهدهم ولم ينقضوها، فوفاهم رسول الله ﷺ عهدهم، ولم يتعرض لهم، كبني ضمرة وخزيمة ومدلج. اهـ. وقد رجح هذا الصاوي نقلًا عن خازن.

(١) قوله: (و﴿مَا﴾ شرطية). أي: شرطية ظرفية، والمعنى: أيّ مدةٍ استقاموا فيها لكم، فهي في محل نصب، وجواب الشرط: ﴿فَٱسۡتَقِيمُواْ﴾.

(٢) قوله: (يكون لهم عهد). قدره نظرًا للمعنى، وأفاد به أن ﴿كَيۡفَ﴾ اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال من (عهد). والواو في ﴿وَإِن يَظۡهَرُواْ﴾ حالية أيضًا، فجملة الشرط حال ثانية.

(٣) قوله: (قرابة). فسر بها «الإلّ» وهو مرويّ عن ابن عباس، والضحاك، وهو منصوب مفعول به. وجمع «إلّ»: «إلال». وقال مجاهد: «الإل: الله تعالى». وعن قتادة: «الحلف».

استطاعوا، وجملة الشرط حال ﴿يُرۡضُونَكُم [١] بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ بكلامهم الحسن ﴿وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ﴾ [٢] الوفاء به ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨﴾ ناقضون للعهد [٣].

٩- ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ من الدنيا أي: تركوا اتباعها [٤] للشهوات والهوى ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ﴾ دينه ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩﴾ ـه، عملهم هذا [٥].

١٠- ﴿لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ١٠﴾ [٦].

---

(١) قوله تعالى: ﴿يُرۡضُونَكُم﴾. جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ﴾. جملة معطوفة على ﴿يُرۡضُونَكُم﴾.

(٣) قوله: (ناقضون للعهد). هكذا فسر القرطبي، وبنحوه ابن جرير. وهو تفسير الفسق بنوع منه باعتبار موضوع الآية؛ لأن الفسق أعم منه.

(٤) قوله: (تركوا اتباعها). تفسير لـ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ﴾ وهذا المعنى الثاني المجازي للاشتراء كما تقدم في أول سورة البقرة، فالاشتراء في الحقيقة بذل المال مقابل تملك السلعة، والمعنى المجازي الأول ترك ما عنده وأخذ شيء بدله، والمعنى الثاني المجازي: أخذ شيء مكان شيء آخر، أي: بدون ترك ما عنده. وهذا المعنى الأخير هو الذي فسر به المفسر: أي: تركوا اتباع القرآن وأخذوا بدله اتباع الهوى، وبمثله فسر ابن كثير، حيث قال: «إنهم اعتاضوا عن اتباع آيات الله بما التهوا به من أمور الدنيا الخسيسة».اهـ.

(٥) قوله: (عملهم هذا). مخصوص بالذم، حذف للعلم به، و«ما» في قوله تعالى: ﴿سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩﴾ يصح إعرابه فاعلًا لـ﴿سَآءَ﴾ فهو في محل رفع، أو تمييزًا فهو في محل نصب.

(٦) قوله تعالى: ﴿لَا يَرۡقُبُونَ...﴾ الآية. لم يفسرها المفسر؛ لأنه سبق مثلها. وليس هذا تكرارًا؛ لأنها تفيد أنهم لا يرقبون في أي مؤمن إلًّا ولا ذمة. والسابقة تفيد أنهم لا يرقبون في المخاطبين إلًّا ولا ذمة. والله أعلم.

﴿١١﴾- ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم[١] ﴿فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ﴾ نبين ﴿ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ يتدبرون.

﴿١٢﴾- ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ﴾ نقضوا ﴿أَيْمَٰنَهُم﴾ مواثيقهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ عابوه ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ رؤساءه، فيه وضع الظاهر موضع المضمر[٢] ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ﴾ عهود ﴿لَهُمْ﴾ وفي قراءة: بالكسر[٣] ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾ عن الكفر.

﴿١٣﴾- ﴿أَلَا﴾ للتحضيض[٤] ﴿تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ﴾ نقضوا ﴿أَيْمَٰنَهُمْ﴾ عهودهم ﴿وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ من مكة، لما تشاوروا[٥] فيه بدار الندوة

---

(١) قوله: (أي: فهم إخوانكم) الفاء: جوابية، و«إخوان» خبر لمبتدأ محذوف قدره المفسر، لتكون الجملة في محل جزم جواب الشرط.

(٢) قوله: (فيه وضع الظاهر...). أي: في قوله تعالى: ﴿أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ مكان «قاتلوهم» للدلالة على أنهم صاروا بذلك رؤساء الكفر والضلالة. ذكره البيضاوي.

(٣) قوله: (وفي قراءة: بالكسر). أي: كسر الهمزة ﴿لا إيمان لهم﴾، مصدر «آمن»: وهي قراءة ابن عامر. والجمهور قرأوا بالفتح ﴿لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾ جمع «يمين» أي: العهد.

(٤) قوله: (للتحضيض). وهو الحث على الشيء بعنف وشدة، وهو من الإنشاء ويستعمل فيه: «هلّا»، و«لولا»، و«ألا». وتستعمل «ألا» للعرض، وهو الحث بلطف نحو قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ﴾ [النور: ٢٢]، كما تستعمل حرف تنبيه كقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [يونس: ٦٢]، وهي حرف غير عاملة في جميع الاستعمالات. والآية تحضيض المؤمنين على قتال المشركين كما قاله ابن كثير وغيره.

(٥) قوله: (لما تشاوروا فيه). أي: في الإخراج، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ودار الندوة: مجلس المشركين بمكة، كانوا يجتمعون فيها ويتشاورون في مهامهم.

﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ﴾ بالقتال ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حيث قاتلوا[١] خزاعة حلفاءكم مع بني بكر، فما يمنعكم أن تقاتلوهم ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ أتخافونهم ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ في ترك قتالهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿١٤﴾- ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ﴾ يقتلهم ﴿بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ﴾ ويذلهم بالأسر والقهر ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ بما فعل بهم، هم بنو خزاعة[٢].

﴿١٥﴾- ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾[٣] كربها ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ بالرجوع إلى الإسلام كأبي سفيان ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

﴿١٦﴾- ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار[٤] ﴿حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا﴾ لم

---

(١) قوله: (حيث قاتلوا...). تفسير للمراد ببدئهم أول مرة، أي: بدأت قريش بنقض العهد والقتال، حيث قاتلوا خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ مع بني بكر، كما تقدم.

وهذا التفسير مروي عن مجاهد والسدي. وقال ابن جرير: «﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بالقتال يعني: فعلهم ذلك يوم بدر».

(٢) قوله: (هم بنو خزاعة). أي: المراد بـ﴿قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ هنا بنو خزاعة، وهذا مروي عن مجاهد، والسدي. بناءً على التفسير السابق من أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ﴾ قتال قريش مع حلفائهم لخزاعة. وقال ابن كثير: «هذا عام في المؤمنين كلهم».

(٣) قوله تعالى: ﴿وَيُذْهِبْ...﴾. معطوف على جواب الشرط مجزوم، وأما قوله: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ ...﴾ فهو مستأنف، والواو للاستئناف، وليس معطوفًا على جواب الشرط؛ لأن توبة الله ليست مترتبة على قتالهم، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾، فقوله: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ مستأنف. والله أعلم. أفاد ذلك القرطبي.

(٤) قوله: (بمعنى همزة الإنكار). يعني أن ﴿أَمْ﴾ هنا منقطعة؛ لأنه لم تسبقها همزة التسوية =

﴿يَعۡلَمِ ٱللَّهُ﴾ عِلْمَ ظهور[1] ﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ﴾ بإخلاص ﴿وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ[2] مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ﴾ بطانة[3] وأولياء، المعنى: ولم يظهر المخلصون، وهم الموصوفون بما ذكر[4] من غيرهم[5]. ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٦﴾.

١٧- ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ[6] مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ بالإفراد والجمع[7]،

= ولا همزة التعيين. و«أم» المنقطعة كثيرًا ما تتضمن معنى الاستفهام. وهٰهنا تضمنت معنى الاستفهام الإنكاريّ. أي: لا تحسبوا. ويحتمل كون مراد المفسر أن الهمزة للاستفهام الإنكاري، والميم مزيدة.

(١) قوله: (علم ظهور). قدَّره؛ لأن الله تعالى يعلم كل شيء قبل وقوعه، فالمراد بالعلم هنا علم ظهور. أي: تحقق ووجود في الواقع.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ﴾. الجملة معطوفة على صلة الموصول أي: ﴿جَٰهَدُواْ﴾.

(٣) قوله: (بطانة). وهي: من يفشي إليه السر ويعلمه الأخبار. والوليجة: من الولوج وهو الدخول.

(٤) قوله: (الموصوفون بما ذكر). أي: الجهاد بإخلاص وعدم اتخاذ بطانة من الكفار.

(٥) قوله: (من غيرهم). متعلق بقوله: (ولم يظهر)، أي: ولم يظهر المخلصون من غيرهم.

(٦) قوله تعالى: ﴿أَن يَعۡمُرُواْ﴾. المصدر المؤول بـ﴿أَن﴾ والفعل، اسم ﴿كَانَ﴾، و﴿لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ خبرها.

(٧) قوله: (بالإفراد والجمع). قراءتان: بالإفراد: ﴿مَسۡجِدَ ٱللَّهِ﴾: قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، ويعقوب. وبالجمع: قراءة الباقين.

حكى القرطبي: «قيل: المراد المسجد الحرام: وذلك لأن قريشًا كانت تفتخر بكونهم سدنة، فبين الله تعالى أن المشركين ليسوا أهلًا لذلك، وإنما أهله المؤمنون». وفسر ابن جرير وابن كثير وغيرهما بعموم المساجد؛ لأن العبرة بعموم اللفظ.

بدخوله والقعود فيه ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم (١) بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ﴾ بطلت ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ لعدم شرطها(٢) ﴿وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧﴾.

١٨- ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ﴾ أحدًا ﴿إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ (٣) أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨﴾.

١٩- ﴿۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ أي: أهل ذلك(٤) ﴿كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾ في الفضل ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾ الكافرين، نزلت ردًّا على من قال ذلك، وهو العباس أو غيره(٥).

---

(١) قوله تعالى: ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم﴾ قال السدي: «معناه: لو سألت النصراني ما دينك؟ قال: نصراني، وكذلك اليهودي والمشركون...».

(٢) قوله: (لعدم شرطها). أي: وشرطها الإيمان.

(٣) قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ ...﴾. روى ابن جرير وغيره، عن ابن عباس... ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ ...﴾ يقول: إن أولئك هم المفلحون، كقوله لنبيه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]، يقول: إن ربك سيبعثك مقامًا محمودًا، وهي الشفاعة، وكل «عسى» في القرآن فهي واجبة.اهـ.

(٤) قوله: (أي: أهل ذلك...). أشار إلى تقدير مضاف، وذلك ليتناسب المشبه مع المشبه به أي مع ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾، وذلك واضح.

(٥) قوله: (نزلت ردًّا على من قال ذلك وهو العباس أو غيره). أشار به إلى سبب نزول هذه الآية، كما أشار إلى الروايات المختلفة في ذلك، أولاها: أن قائل ذلك هو العباس بن عبدالمطلب. روى ذلك الطبري عن ابن عباس، قال: «نزلت في العباس بن عبدالمطلب=

(٢٠)- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً﴾ رتبة ﴿عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ من غيرهم[١] ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾ الظافرون بالخير.

(٢١)- ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ٢١﴾ دائم.

(٢٢)- ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال مقدرة[٢] ﴿فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٢﴾.

= حين أسر يوم بدر، قال: لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج ونفك العاني، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾ يعني: أن ذلك كله كان في الشرك، ولا أقبل ما كان في الشرك». اهـ.

والرواية الثانية: عن ابن عباس أيضًا، قال: «إن المشركين قالوا: عمارة بيت الله وقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد، وكانوا يفتخرون بالحرم، ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعمّاره... إلى آخره. رواه ابن جرير.

وروى مسلم عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر النبي ﷺ في نفر من أصحابه فقال رجل منهم: ما أبالي ألّا أعمل عملًا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام، وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم. فزجرهم عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ -وكان يوم الجمعة- ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ فأستفتيته فيما اختلفتم فيه، قال: ففعل، فأنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾». اهـ. [(١٨٧٩) بسياق متقارب].

(١) قوله: (من غيرهم). قدره لأن اسم التفضيل إذا كان مجردًا عن «أل» والإضافة يذكر بعده المفضل عليه مجرورًا بـ«من»، وإذا لم يذكر قدّر.

(٢) قوله: (حال مقدرة). قد ذكرنا سابقًا أن الحال المقدرة هي ما يكون وقوعها متأخرًا عن=

(٢٣)- ونزل فيمن ترك الهجرة[1] لأجل أهله وتجارته ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ﴾ اختاروا ﴿ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٢٣)﴾.

(٢٤)- ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ﴾ أقرباؤكم، وفي قراءة: «وَعَشِيرَاتُكُمْ»[2]، ﴿وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا ﴾ اكتسبتموها ﴿وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا ﴾ عدم نفاقها ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم[3] مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ ﴾ فقعدتم لأجله عن الهجرة والجهاد ﴿فَتَرَبَّصُواْ ﴾ انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾ تهديد لهم[4] ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ (٢٤)﴾.

= وقوع عاملها، والعامل هنا: «كائن»، الذي تعلق به الجار والمجرور: ﴿لَهُمۡ فِيهَا﴾. فالمعنى: كائن لهم فيها نعيم مقيم حال كونهم خالدين فيها، وعلى هذا، الظاهر أن الحال غير مقدرة.

(١) قوله: (ونزل فيمن ترك الهجرة). روى ابن جرير نحوًا مما ذكره المفسر عن مجاهد في قوله: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ ...﴾. قال: «أمروا بالهجرة، فقال العباس بن عبدالمطلب: أنا أسقي الحاج. وقال طلحة أخو بني عبدالدار: أنا صاحب الكعبة، فلا نهاجر؛ فأنزلت ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾ بالفتح».اهـ. قال ابن جرير: «هذا كله قبل فتح مكة». وروى عن مجاهد: «﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾: فتح مكة».

(٢) قوله: (وفي قراءة: ﴿عَشِيرَاتُكُمْ﴾): أي: بالجمع، وهي قراءة شبعة. وقرأ الباقون: ﴿وَعَشِيرَتُكُمۡ﴾: بالإفراد. ومعناها: قرابتكم، كما ذكر المفسر.

(٣) قوله تعالى: ﴿أَحَبَّ إِلَيۡكُم ﴾: خبر «كان». ومعلوم أن اسم التفضيل إذا كان مجردًا من «أل» والإضافة أو مضافًا للنكرة يكون على صيغة الإفراد والتذكير.

(٤) وقوله: (تهديد لهم) أي: قوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾: فيه تهديد لمن ترك الهجرة. =

﴿٢٥﴾- ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ﴾(١) للحرب ﴿كَثِيرَةٍ﴾ كبدر وقريظة

= قال ابن كثير: «ثم أمر الله تعالى رسوله أن يتوعد من آثر أهله وقرابته وعشيرته على الله ورسوله وجهاد في سبيله، فقال: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ ...﴾ الآية». ونقل رواية أبي داود وأحمد عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**» [أحمد (٢/ ٤٢)، أبو داود (٣٤٦٢)].

(١) قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ ...﴾ ذكر تعالى في هذه الآيات ملخص ما وقع في غزوة حنين، والعبرة العظيمة منها، من أن النصر كله بيد الله. قال مجاهد: «هذه أول آية نزلت من براءة يذكر الله تعالى للمؤمنين فضله عليهم...».

واللام في ﴿لَقَدْ﴾ موطئة لقسم. وملخص غزوة حنين كما ذكره ابن كثير وغيره: «لما فرغ رسول الله ﷺ من فتح مكة، وذلك في رمضان سنة ثمان، بلغه أن هوازن جمعوا له ليقاتلوه وكان أميرهم: مالك بن عوف النصري، ومعه ثقيف، وكان أميرهم عبد ياليل بن عمرو الثقفي، ومعهم قبائل أخرى، وهم أربعة آلاف، فخرج رسول الله ﷺ في جيشه وهم اثنا عشر ألفًا، عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار، وألفان ممن أسلموا يوم فتح مكة، فالتقوا بحنين، وهو وادٍ بين مكة والطائف، وأعجب المسلمون عددهم حتى قال بعضهم: لن نُغْلَبَ اليوم عن قلة، وكانت العدو كمنت في الوادي فرموا المسلمين بنبالهم وحملوا حملة رجلٍ واحدٍ، فعند ذلك ولى المسلمون، وثبت رسول الله على بغلته والعباس آخذ بركابها الأيمن، وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب آخذ بركابها الأيسر، ولم يثبت معه إلا نحو من مائة رجل من أصحابه ﷺ، فجعل يقول: **إليّ يا عباد الله**، وقال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب

وأمر ﷺ العباس أن ينادي المسلمين، فناداهم بأعلى صوته، وأنزل الله عليهم الطمأنينة، فجعلوا يرجعون إلى رسول الله ﷺ، فلما اجتمع جمع من المسلمين لحقوا العدوّ وأخذ =

والنضير ﴿وَ﴾ اذكر[(١)] ﴿يَوۡمَ حُنَيۡنٍ﴾ واد بين مكة والطائف، أي: يوم قتالكم فيه هوازن، وذلك في شوال سنة ثمان ﴿إِذۡ﴾ بدل من «يَوۡمَ»، ﴿أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ﴾ فقلتم: لن نُغلَبَ اليوم من قلة، وكانوا اثني عشر ألفًا، والكفار أربعة آلاف ﴿فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ «مَا» مصدرية أي: مع رحبها، أي: اتساعها، فلم تجدوا مكانًا تطمئنون إليه لشدة ما لحقكم من الخوف ﴿ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥﴾ منهزمين، وثبت النبي ﷺ على بغلته البيضاء، وليس معه[(٢)] غير العباس وأبو سفيان[(٣)] آخذ بركابه.

٢٦- ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ طمأنينته ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فردوا

= رسول الله قبضة من تراب ورمى بها القوم، فما بقي أحد من العدو إلا أصابه منها، فانهزموا ولحقهم المسلمون، وقتلوا منهم وأسروا، وأسلم بقية هوازن، وقدموا إلى رسول الله ﷺ مسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أنت خير الناس، وقد أخذت أبناءنا ونساءنا وأموالنا، فخيرهم رسول الله ﷺ بين السبي وبين الأموال، فاختاروا السبي، وتركوا الأموال، وقسم الأموال، ونفل منها الطلقاء -وهم الذين أسلموا يوم فتح مكة من قريش وغيرهم-، وأعطى لمالك بن عوف رئيس هوازن مائة من الإبل، وأمّره على قومه كما كان...».اهـ. ملخصًا من ابن كثير وابن جرير.

(١) قوله: (﴿وَ﴾ اذكر) على هذا التقدير يكون ﴿يَوۡمَ﴾ مفعولًا به، والواو للاستئناف. ويحتمل كون الواو عاطفة على محل ﴿فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ﴾ من عطف الخاص على العام، كما يفيده كلام ابن جرير.

(٢) وقوله: (وليس معه...). أي: قريبًا منه، وإلا فقد ثبت معه نحو من مائة صحابي، كما تقدم.

(٣) قوله: (وأبو سفيان). مبتدأ، خبره: آخذ.

إلى النبي ﷺ لما ناداهم العباس بإذنه وقاتلوا ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ ملائكةً ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ﴾ بالقتل والأسر ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿٢٧﴾ - ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾ منهم بالإسلام[(١)] ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿٢٨﴾ - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ قذر، لخبث باطنهم[(٢)] ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ أي: لا يدخلوا الحرم[(٣)] ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ﴾ عام تسع من الهجرة[(٤)] ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ فقرًا[(٥)] بانقطاع تجارتهم عنكم

---

(١) قوله: (منهم بالإسلام) بالإسلام متعلق بـ﴿يَتُوبُ﴾. فقد تاب الله على بقية هوازن فأسلموا، كما قاله ابن كثير.

(٢) قوله: (قذر لخبث باطنهم) أفاد به أن المراد بالنجس هنا قذارة الباطن، لا النجاسة الحسية، فإن بني آدم طاهرة حيًّا وميتًا. وبنحوه فسّر ابن كثير، وعن قتادة: «الرجس هنا: الجنابة، فإنهم لا يغتسلون من الجنابة».

(٣) قوله: أي: (لا يدخلوا الحرم) فالمراد بالمسجد الحرام: الحرم كلّه. ذكره ابن جرير ونقله عن عطاء: قال: «الحرم كله قبلة ومسجد، لم يعن المسجد وحده، وإنما عنى مكة والحرم».اهـ.

(٤) قوله: (عام تسع من الهجرة) كما قال ابن كثير: «كان نزولها سنة تسع، ولهذا بعث رسول الله ﷺ عليًّا صحبة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عامئذ وأمره أن ينادي في المشركين: «ألا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان...»».اهـ.

(٥) قوله: (فقرًا) وذلك أن الناس قالوا: لتقطعن عنا الأسواق، ولتهلكن التجارة، وليذهبن عنا ما كنا نصيب فيها من المرافق، فنزلت: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾، فعوضهم الله بالجزية من أهل الكتاب.

﴿فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ﴾ وقد أغناهم الله بالفتوح والجزية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٢٨﴾.

٢٩- ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ﴾[١] ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ وإلا لآمنوا[٢] بالنبي ﷺ ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ كالخمر ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ﴾ الثابت الناسخ لغيره من الأديان وهو دين الإسلام[٣] ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ بيان للذين ﴿أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: اليهود والنصارى[٤] ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾ الخراج[٥] المضروب عليهم كل عام ﴿عَن يَدٖ﴾ حال: أي: منقادين، أو بأيديهم

(١) قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ...﴾. هذه الآية نزلت أول الأمر بقتال أهل الكتاب بعد ما تمهد أمر المشركين، وكان ذلك سنة تسع، فتجهز رسول الله ﷺ لقتال الروم وتوجه إلى تبوك فنزل بها، وأقام على مائها قريبًا من عشرين يومًا ثم رجع.اهـ. ملخصًا من ابن كثير.

(٢) قوله: (وإلا لآمنوا...). قدر المفسر ذلك؛ لأن الآية في قتال أهل الكتاب، ولهم إيمان في الجملة بالله واليوم الآخر، ولكن إيمانهم كلَا إيمانٍ، ولو كانوا مؤمنين بالله واليوم الآخر حقيقة الإيمان لقادهم ذلك إلى الإيمان بالنبي ﷺ، فلما لم يكن ذلك دلّ على أنه لا إيمان لهم بالله واليوم الآخر... وبنحو ذلك فسر ابن كثير.

(٣) قوله: (وهو دين الإسلام). أي: فالمعنى: لا يعملون بعمل أهل الإسلام، وبنحوه فسر ابن جرير. وقال القرطبي: «هذه الجملة إشارة إلى تأكيد المعصية».اهـ. ملخصًا.

(٤) قوله: (أي: اليهود والنصارى). أشار به إلى أن الجزية إنما تؤخذ من أهل الكتاب دون المشركين، وهو مذهب الشافعي، وفي حكم أهل الكتاب: المجوس، لقوله ﷺ: «**سنوا بهم سنة أهل الكتاب**» [«الموطأ»].

(٥) قوله: (الخراج). وهو مقدر بدينار على كل حر بالغ، عند الشافعي، وفي تحديده اختلاف بين الفقهاء، مفصل في كتب الفقه.

لا يوكلون بها[١] ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ أذلاء منقادون لحكم الإسلام.

٣٠- ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ[٢] عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ﴾ عيسى ﴿ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ﴾ لا مستند لهم عليه بل ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ يشابهون به ﴿قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾ من آبائهم[٣] تقليدًا لهم ﴿قَٰتَلَهُمُ﴾ لعنهم[٤] ﴿ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُؤۡفَكُونَ ٣٠﴾ يصرفون عن الحق بعد قيام الدليل.

٣١- ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ﴾ علماء اليهود[٥] ﴿وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾ عباد النصارى

---

(١) قوله: (أي: منقادين، أو بأيديهم). تفسيران لمعنى ﴿عَن يَدٖ﴾، والأول مرويّ عن قتادة. والثاني: (أي: بدون توكيلهم...) مروي عن ابن عباس. ذكرهما القرطبي.

وقد ذكر الفقهاء شروط عقد الذمة مع أهل الكتاب، وما يترتب على إخلالهم بالشروط. مفصّلة.

(٢) قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ...﴾. في هذه الآية تحرير لما ذكر في الآية السابقة من كفر اليهود والنصارى، وعزير: حبر من أحبار اليهود، كان يعلم التوراة ويحفظها بعد ما اندرست وقُتل علماؤهم بظلم العمالقة عليهم، على ما روي عن السدي وغيره. وقال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ...﴾ من العام المراد به الخصوص؛ لأن القائل بذلك طائفة من اليهود، لا كلهم. والله أعلم».

(٣) قوله: (من آبائهم). بيان لـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾. وهذا أحد الأقوال الثلاثة في معناه. والقول الثاني: أنهم عبدة الأوثان: اللات والعزى ومناة. والثالث: أنهم الكفرة القائلون إن الملائكة بنات الله. ذكر ذلك القرطبي من غير عزو.

(٤) قوله: (لعنهم). تفسير ﴿قَٰتَلَهُمُ﴾. قاله ابن عباس. وقال: «كل شيء في القرآن قتل، فهو لعن».اهـ.

ونقل عن ابن العربي: «في الآية دليل على أن حكاية الكفر ليس بكفر».اهـ. ملخصًا.

(٥) قوله: (علماء اليهود). تفسير للمراد بالأحبار، والأحبار جمع حِبر، وهو الذي يحسن القول وينظمه بحسن البيان. والرهبان: جمع راهب. مأخوذ من الرهبة.اهـ. ملخصًا من القرطبي.

﴿أَرْبَابًا﴾[1] ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حيث اتبعوهم[2] في تحليل ما حرّم وتحريم ما أحلّ ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ﴾ أي: بأن يعبدوا[3] ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهًا له ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾.

---

(١) قوله تعالى: ﴿أَرْبَابًا﴾. حكى القرطبي عن أهل البلاغة معناه: كالأرباب، أي: فهو من التشبيه البليغ.

(٢) قوله: (حيث اتبعوهم...). بيان لمعنى اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابًا، فليس المراد أنهم عبدوهم، بل أطاعوهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، كما فصل ذلك في الحديث الذي رواه الترمذي، وأحمد، وابن جرير من طرق عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تنبيهان:

١- في هذه الآية إطلاق الربّ على غير الخالق، بل بمعنى الإله، أي: المعبود. خلافًا لمن ظن أن الرب لا يطلق إلا على الخالق. كما أن الإله قد يطلق على الخالق كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، على ما ذهب إليه الجمهور؛ فالرب والإله: مصداقهما واحد، وإن كان مفهومهما مختلفًا، فهما متساويان، لا مترادفان.

٢- أفادت الآية أن اتباع من حرّم ما أحلّ الله أو أحل ما حرم الله بهواه كأنه عبادة له، واتخاذه إلهًا، وواضح أن المراد بذلك تحليل ما ثبت تحريمه، وتحريم ما ثبت حلّه بمجرد هواه، فلا يدخل في ذلك تقليد الأئمة المجتهدين؛ لأن المجتهد لم يحرم ما ثبت حله ولم يحرم ما ثبت حرمته بهواه أبدًا، وإنما يجتهد في تحصيل حكم الله تعالى على ضوء الأدلة الشرعية، فهو مأجور، وتقليد العاميّ له واجب عليه. ومِن جَهْلِ بعض الناس تطبيق هذه الآية على مقلّدي المذاهب الفقهية.

(٣) قوله: (أي: بأن يعبدوا). أفاد أن اللام بمعنى الباء، والفعل المضارع منصوب بـ«أن» مضمرة، ويحتمل كون اللام زائدة للتأكيد. وتقدم الكلام عن أنواع اللام في سورة النساء الآية (٢٦).

(٣٢)- ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾[١] شرعه وبراهينه ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بأقوالهم فيه ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ﴾[٢] يظهر ﴿نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ (٣٢)﴾ ذلك.

(٣٣)- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ محمدًا ﷺ ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾ يعليه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ جميع الأديان المخالفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ (٣٣)﴾ ذلك.

(٣٤)- ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ﴾ يأخذون[٣] ﴿أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ كالرشا[٤] في الحكم ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ أي: الكنوز[٥] ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يؤدون منها حقه من

---

(١) قوله تعالى: ﴿أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾. ﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾: استعارة، والمراد الشرع أو البراهين. ذكرهما القرطبي. وإطفاء نور الله بالأفواه استعارة تمثيلية؛ كما أشار إلى ذلك ابن كثير حيث قال: «فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس أو نور القمر بنفخه».اهـ.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾. من الاستثناء المفرغ، وهو خاص بالنفي كما تقول: ما قام إلا زيد. ولكن «أبى، يأبى» لما كان بمعنى: امتنع يمتنع، أشبه النفي. نقله القرطبي، وغيره. وقد فسر البيضاوي قوله: ﴿وَيَأْبَى﴾: أي: لا يرضى.

(٣) قوله: (يأخذون). أفاد به أن إطلاق «الأكل» من باب إطلاق الخاص وإرادة العام، فهو من باب المجاز المرسل.

(٤) قوله: (كالرشا). جمع رشوة، ما يؤخذ مقابل الحكم بالباطل.

(٥) قوله: (أي: الكنوز). أفاد أن الضمير «ها» راجع إلى الكنوز المعلوم من السياق. وهذا أحد التوجيهات في إفراد الضمير، ولم يذكر ضمير المثنى «هما» ليرجع إلى الذهب والفضة المذكورين.

الزكاة[١]، والخبر[٢] ﴿فَبَشِّرۡهُم﴾ أخبرهم[٣] ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤﴾ مؤلم.

٣٥- ﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ﴾ تحرق ﴿بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ﴾ وتوسع جلودهم[٤] حتى توضع عليها كلها، ويقال لهم:

---

(١) قوله: (أي: لا يؤدون منها حقه...) أفاد به أن الكنز المذموم هو المال الذي لم تخرج منه الزكاة، والحقوق الواجبة، كما اختاره ابن جرير. ورواه عن ابن عمر وغيره. قال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «كل مال أديت منه الزكاة فليس بكنز، وإن كان مدفونًا، وكل مال لم تؤد منه الزكاة وإن لم يكن مدفونًا فهو كنز».اهـ. وروى البخاري عنه: قال: «هذا قبل أن تنزل الزكاة؛ فلما نزلت جعلها الله طهرة للأموال».اهـ.

فائدة: قال القرطبي: «الكنز في الأصل: الضم والجمع، ولا يختص ذلك بالذهب والفضة». وكذا قاله الطبري. وسمي الذهب ذهبًا؛ لأنه يذهب، والفضة؛ لأنها تنفض أي: تتفرق.اهـ.

(٢) قوله: (والخبر). أي: خبر المبتدأ ﴿ٱلَّذِينَ﴾، ودخلت الفاء في الخبر، لشبه المبتدأ بالشرط في العموم، فأشبه الخبر جواب الشرط، ففي مثل هذا الموضع جاز دخول الفاء على الخبر، والخبر هنا جملة إنشائية، ولا مانع من ذلك، وإنما الممنوع وقوع الجملة الإنشائية نعتًا أوحالًا أو صلة الموصول، كما يعلم من كتب النحو.

(٣) قوله: (أخبرهم). تفسير بالمراد، ويكون إطلاق التبشير لأجل التهكم كما بينه البلاغيون، وتقدم في سورة آل عمران الآية (٢١).

(٤) قوله: (وتوسع جلودهم...). روى ابن جرير ذلك عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: «والذي لا إله غيره لا يُكْوَى عبد بكنز فيمس دينار دينارًا ولا درهم درهمًا، ولكن يوسّع جلده؛ فيوضع كل دينار ودرهم على حدته».اهـ. أعاذنا الله من ذلك.

تنبيه: قال القرطبي: «ظاهر الآية تعليق الوعيد على من كنز، ولكن الذي لم يكنز ولم ينفق في سبيل فلابد أن يكون كذلك، أي: داخلًا في الوعيد، ويكون ذكر الكنز باعتبار العرف، فإن الذي لا ينفق يجعل ماله كنزًا عرفًا».اهـ. ملخصًا.

﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: جزاءه.

﴿٣٦﴾ - ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾[(١)] المعتد بها للسنة[(٢)] ﴿عِندَ ٱللَّهِ[(٣)] ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ اللوح المحفوظ[(٤)] ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ[(٥)] وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ﴾ أي: الشهور ﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ محرّمة: ذو القعدة[(٦)] وذو الحجة ومحرم ورجب ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: تحريمها ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ[(٧)]﴾ المستقيم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ﴾ أي:

---

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ...﴾. قال القرطبي: «المقصود من ذلك اتباع أمر الله في ذلك ورفض ما كان عليه أهل الجاهلية من تأخير أسماء الشهور وتقديمها، وتعليق الأحكام على الأسماء التي رتبوها عليه...».اهـ.

(٢) قوله: (المعتد بها...). أشار به إلى أن «أل» في ﴿ٱلشُّهُورِ﴾ عهدية ذهنية، والله أعلم.

(٣) وقوله تعالى: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ الظرف متعلق بـ﴿عِدَّةَ﴾ أو بحال محذوف، أي: كائنة عند الله.

(٤) قوله: (اللوح المحفوظ). تفسير لـ﴿كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ كما فسر به البيضاوي، والقرطبي وغيرهما. والجار والمجرور ﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ متعلق بمحذوف نعت لـ﴿ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾. والتقدير: اثنا عشر شهرًا معدودة أو كائنة في كتاب الله، كما أفاده القرطبي.

(٥) وقوله: ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الظرف متعلق بـ﴿كِتَٰبِ﴾ أو بما تعلق به ﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾. كما يعلم من البيضاوي وغيره.

(٦) قوله: (ذو القعدة...). كما ثبت في خطبة حجة الوداع، وفيها: «...**ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان**...».

ونسب رجب إلى مضر؛ لأن ربيعة بن نزار كانوا يحرمون شهر رمضان ويسمونه رجبًا، وكان مضر تحرم رجب نفسه، فبين بإضافته إليهم أنه رجب الذي بين جمادى وشعبان.

(٧) قوله تعالى: ﴿ٱلْقَيِّمُ﴾. على وزن «فيعل»، وأصله «قَيْوِم»، من: «قام، يقوم»، قلبت الواو ياءً وأدغمت فيها. مثل: «سيد» من: «ساد، يسود». أفاده القرطبي.

الأشهر الحرم(١) ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بالمعاصي(٢)، فإنها فيها أعظم وزرًا، وقيل: في الأشهر كلها(٣) ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾(٤) أي: جميعًا في كل الشهور(٥) ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ٣٦﴾ بالعون والنصر.

٣٧- ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾ أي: التأخير لحرمة شهر إلى آخر(٦)، كما كانت الجاهلية

---

(١) قوله: (أي: الأشهر الحرم). على هذا يرجع الضمير في ﴿فِيهِنَّ﴾ إلى الأربعة الأشهر، ونسب إلى قتادة، كما في ابن كثير.

(٢) قوله: (بالمعاصي). تفسير للمراد بظلم النفس، فالمعنى: النهي عن المعاصي في تلك الأشهر؛ لما لها من الحرمة، فتكون أعظم خطورة، وإن كانت المعاصي محرمة مطلقًا. كما يعلم من كلام قتادة.

وقيل: معنى الظلم: انتهاك حرمة الأشهر بالقتال، فتكون الآية نهيًا عن القتال فيها، ثم نسخت بإباحة القتال جميع الشهور، قاله قتادة. وعليه الجمهور كما في البيضاوي. وقال عطاء بن أبي رباح: «لم تنسخ؛ فلا يجوز القتال فيهن إلا إذا ابتدأ المشركون القتال فيها»، ومال إلى ذلك ابن كثير. وقال: «أما حصار رسول الله ﷺ أهل الطائف واستصحابه الحصار إلى أن دخل الشهر الحرام؛ فإنه من تتمة قتال هوازن، فإنهم هم الذين بدؤوا القتال...».اهـ.

(٣) وقوله: (وقيل: في الأشهر كلها) هذا القول منسوب إلى ابن عباس. كما في ابن جرير.

(٤) قوله: ﴿كَآفَّةً﴾ مصدر «كفَّ» بمعنى: جميعًا، حال من الواو في ﴿قَٰتِلُواْ﴾، أو من ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، ولا يستعمل ﴿كَآفَّةً﴾ إلا حالًا.

(٥) قوله: (في كل الشهور) ذهب المفسر إلى قول الجمهور من أن هذه ناسخة لحرمة القتال في الأشهر الحرم. ومن يرى عدم النسخ قال: إنها أفادت الإذن في قتالهم إذا ابتدؤوا القتال فيها. كما ذهب إليه ابن كثير.

(٦) قوله: (التأخير لحرمة شهر...). النسيء بمعنى: التأخير، كما قاله المفسّر، وعامة المفسرين، فهو إما مصدر لـ«نسأ»، أو اسم مصدر لـ«أنسأ» بمعنى: أخّر. =

تفعله من تأخير حرمة مُحَرَّم إذا هلَّ وهم في قتال إلى صفر ﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ لكفرهم بحكم الله فيه ﴿يُضَلُّ﴾ بضم الياء[1] وفتحها ﴿بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ﴾ أي: النسيء ﴿عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟﴾ يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله ﴿عِدَّةَ﴾ عدد ﴿مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ من الأشهر، فلا يزيدون[2] على تحريم أربعة ولا ينقصون، ولا ينظرون إلى أعيانها[3] ﴿فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ

= وقال الجوهري: «النسيء فعيل بمعنى مفعول، ومعنى الآية: ذم المشركين الذين تصرفوا في حكم الله بآرائهم الفاسدة، فقد كانوا إذا أرادوا القتال في الشهر الحرام يؤخرون حرمته إلى شهر آخر، فيحرمون الشهر الحلال، كما أشار إليه المفسّر، ويعلنون ذلك في حجهم، نقل القرطبي عن ابن عباس وقتادة والضحاك: «أول من فعل ذلك بنو كنانة، يقال له: نعيم بن ثعلبة ثم كان بعده رجل يقال له: جنادة بن عوف، وهو الذي أدركه رسول الله ﷺ».اهـ.

ونقل عن الزهري: «حيّ من بني كنانة ثم من بني فقيم، رجل يقال له: القَلَمَّس اسمه حذيفة بن عبيد، وكان الذي يلي النسيء يظفر بالرياسة».اهـ. وقد نقل ابن كثير عن ابن إسحٰق تفصيلًا في ذلك.

(١) قوله: (بضم الياء...). هنا ثلاث قراءات: ﴿يُضَلُّ﴾: ببناء الفعل لما لم يسم فاعله: قراءة حفص وحمزة والكسائي وخلف. و﴿يُضِلُّ﴾: بضم الياء وكسر الضاء: قراءة يعقوب. و﴿يَضِلُّ﴾: بفتح الياء وكسر الضاد من «ضلَّ» الثلاثي: قراءة الباقين. ومعانيها متلازمة.

(٢) قوله: (فلا يزيدون...). أي: لا يزيدون في عدد الشهور، وإنما يغيرون حرمة شهر إلى آخر، لتكون عدة الشهور اثني عشر شهرًا، وتكون الأشهر الحرم أربعة أشهر فقط.

(٣) قوله: (ولا ينظرون إلى أعيانها) أي: أعيان الشهور من محرم وصفر... فيجعلون حرمة محرم لصفر مثلًا.

لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْۗ﴾ فظنوه حسنًا ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿٣٨﴾- ونزل[١] لما دعا النبي ﷺ الناس إلى غزوة تبوك، وكانوا في عسرة وشدة[٢] حرّ، فشق عليهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ[٣] إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ بإدغام التاء[٤] في الأصل في المثلثة، واجتلاب همزة الوصل أي: تباطأتم وملتم[٥] عن الجهاد ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِۚ﴾ والقعود فيها، والاستفهام للتوبيخ ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ولذاتها ﴿مِنَ ٱلْءَاخِرَةِۚ﴾ أي: بدل نعيمها[٦] ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى﴾ جَنْبِ متاعِ ﴿ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ حقير.

---

(١) قوله: (ونزل...). ما ذكره من سبب النزول ذكره عامة المفسرين.

(٢) قوله: (وكانوا في عسرة وشدة...). لأن غزوة تبوك كانت في السنة التاسعة، عقب غزوة فتح مكة والطائف وحنين. نقل ابن جرير عن مجاهد: «أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح والطائف وبعد حنين، أمروا بالنفير في الصيف، خُرِفت النخل وطابت الثمار، واشتهَوا الظلال، وشق عليهم المخرج».اهـ.

(٣) قوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾. ﴿مَا﴾: اسم استفهام مبتدأ، و﴿لَكُمْ﴾: الجار والمجرور خبره. وجملة ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ في محل نصب حال. و ﴿إِذَا﴾ متعلق بما تعلق به ﴿لَكُمْ﴾.

(٤) قوله: (بإدغام التاء...). يعني أنّ «اثَّاقل» أصله «تثاقل» على وزن «تفاعل»، أدغمت التاء في الثاء بعد قلبها ثاءً، ثم اجتلبت الهمزة فصار: «اثَّاقل» على وزن «افّاعل». فهو متفرع من «تفاعل»، وتصريفه: «اثَّاقل، يثَّاقَلُ، اثَّاقُلًا»، فهو «مثّاقِل».

(٥) قوله: (وملتم). قدره ليفيد أن «اثاقل» تضمن معنى: مال، ولذلك عدّي بـ«إلى».

(٦) قوله: (أي: بدل نعيمها). أفاد المفسر أن ﴿مِنَ﴾ للبدل، وتقديرَ مضاف، كما أفاد تقدير مضافين بقوله: (جنب متاع). فيكون من باب الإيجاز.

(٣٩)- ﴿إِلَّا﴾ بإدغام «لا»[١] في نون «إن» الشرطية في الموضعين[٢] ﴿تَنفِرُواْ﴾ تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٣] مؤلمًا ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يأت بهم بدلكم ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾[٤] أي: الله أو النبي ﷺ[٥] ﴿شَيْئًا﴾ بترك نصره، فإن الله ناصر دينه ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)﴾ ومنه نصر دينه ونبيه.

(٤٠)- ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾[٦] ﴿إِذْ﴾ حين[٧]

---

(١) قوله: (بإدغام «لا»). يفيد أن ﴿إِلَّا﴾ هنا مركب من «إن» الشرطية و«لا» النافية، وليست حرف استثناء. وقوله (بإدغام لا) الكلام مقلوب، والأصل: بإدغام نون «إن» الشرطية في «لا» النافية.

(٢) وقوله: (في الموضعين). أي: هنا وفي الآية التالية.

(٣) قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. روى أبو داود والطبري عن ابن عباس في تأويل هذه الآية: استنفر رسول الله ﷺ قبيلة من القبائل فقعدت، فأمسك الله عنهم المطر وعذبها به».اهـ.

(٤) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾. ﴿لَا﴾ نافية، والواو للعطف، والفعل مجزوم لعطفه على جواب الشرط ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾.

(٥) قوله: (أي: الله أو النبي ﷺ). احتمالان لمرجع الضمير المنصوب في ﴿تَضُرُّوهُ﴾. ذكرهما القرطبي والبيضاوي وغيرهما.

(٦) قوله تعالى: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾. دال على جواب الشرط المحذوف، تقديره: فإن الله ناصره ومؤيده وكافيه، كما تولى نصره إذ أخرجه الذين... كما يعلم من ابن كثير.

(٧) قوله: (﴿إِذْ﴾ حين). أفاد به أن ﴿إِذْ﴾ هنا ظرفية، وقد تأتي تعليلية فتكون حرفًا على المشهور. والفرق بين «إذ» و«حين» أن «إذْ» مبني واجب الإضافة إلى الجملة، ويكون =

﴿أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من مكة أي: ألجؤه إلى الخروج لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾ حال، أي: أحد اثنين[١]، والآخر: أبو بكر، المعنى: نصره الله في مثل تلك الحالة، فلا يخذله في غيرها ﴿إِذْ﴾ بدل من «إذ» قبله ﴿هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾[٢] نقب في جبل ثور ﴿إِذْ﴾ بدل ثان ﴿يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ أبي بكر، وقد قال له[٣] لما رأى أقدام المشركين: لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ بنصره[٤] ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ طمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾ قيل: على النبي ﷺ[٥]، وقيل: على أبي بكر

= للماضي، ولا تستعمل إلا ظرفًا غالبًا. وأما «حين» فهو معرب، وجائز الإضافة إلى المفرد، ويأتي للماضي والمضارع، وتستعمل ظرفًا وغير ظرف.

(١) قوله: (أحد اثنين). فسر به؛ لأن الوصف من أسماء العدد إذا أضيف إلى العدد الذي أخذ منه أفاد أنه واحد من ذلك العدد، ولا يفيد الترتيب، نحو: ثاني اثنين، ثالث ثلاثة. وقد تقدم في تفسير سورة المائدة، وقد فصلنا ذلك في رسالتنا: «إحكام العُدد في أحكام العَدد».

(٢) قوله تعالى: ﴿ٱلْغَارِ﴾. «أل» فيه للعهد الذهني أي: الإشارة إلى المعهود في الذهن، ومكث رسول الله ﷺ وأبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الغار ثلاثة أيام. نقله ابن كثير.

(٣) قوله: (وقد قال له...). كما في الحديث المتفق عليه. وفيه فقال: أي رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين اللهُ ثالثهما**».اهـ.

(٤) قوله: (بنصره). أي: فالمعية هنا خاصة.

(٥) قوله: (قيل: على النبي ﷺ...). هما احتمالان في عود الضمير المجرور ﴿عَلَيْهِ﴾. ذكرهما ابن كثير. ويعلم من تقديم ذكر النبي ﷺ رجحان هذا القول، وكما يفيده عود الضمير في «أيده» إلى النبي ﷺ.

﴿وَأَيَّدَهُۥ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ ملائكة في الغار ومواطن قتاله ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: دعوة الشرك[١] ﴿ٱلسُّفْلَىٰ﴾ المغلوبة ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ أي: كلمة الشهادة ﴿هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ الظاهرة الغالبة ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ في صنعه.

﴿٤١﴾ - ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ نِشاطًا[٢] وغير نشاط، وقيل: أقوياء وضعفاء[٣] أو أغنياء وفقراء[٤]، وهي منسوخة بآية[٥]: « لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ ...» [التوبة: ٩١]، ﴿وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ أنه خير لكم، فلا تثاقلوا[٦].

---

(١) قوله: (أي: دعوة الشرك...). وبمعناه ورد التفسير عن ابن عباس، قال: «يعني بـ﴿كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: الشرك، ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ هي: لا إله إلا الله. نقله ابن جرير وابن كثير.

(٢) قوله: (نشاطًا). جمع «نشيط». وهذا التفسير -للخفاف والثقال- مروي عن ابن عباس، وقتادة.

(٣) وقوله: (أقوياء وضعفاء). تفسير آخر روي مثله عن الحسن، وعكرمة، وأبي صالح وغيرهم، قالوا: «شيبًا وشبانًا».

(٤) قوله: (أو أغنياء وفقراء). تفسير ثالث روي عن مجاهد، قال: «شبابًا وشيوخًا وأغنياء ومساكين».اهـ. نقل كل ذلك ابن جرير، ورجح كون المعنى أعم.

(٥) قوله: (وهي منسوخة...). يعني أن الأمر بالنفير العام مع رسول الله ﷺ على كل حال في المنشط والمكره والعسر واليسر كان ذلك في غزوة تبوك، ثم نسخ ذلك بالعذر عن الضعفاء والمرضى والفقراء بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ ...﴾ الآية. والقول بالنسخ نقله ابن كثير عن السدي.

(٦) قوله: (فلا تثاقلوا). قدره ليكون جواب الشرط ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

﴿٤٢﴾- ونزل[١] في المنافقين الذين تخلفوا: ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما دعوتهم إليه ﴿عَرَضًا﴾ متاعًا من الدنيا[٢] ﴿قَرِيبًا﴾ سهل المأخذ ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ وسطًا ﴿لَّاتَّبَعُوكَ﴾ طلبًا للغنيمة ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾ المسافة[٣]، فتخلفوا ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ إذا رجعتم إليهم ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾ الخروج ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالحلف الكاذب[٤] ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ في قولهم ذلك.

وكان ﷺ[٥] أذن لجماعة في التخلف باجتهاد منه، فنزل عتابًا له وقدم العفو؛ تطمينًا لقلبه:

﴿٤٣﴾- ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ في التخلف، وهلا تركتهم[٦] ﴿حَتَّىٰ

---

(١) قوله: (ونزل...). أي: الآية التالية، في المتخلفين عن غزوة تبوك مع رسول الله ﷺ، فهذه الآية توبيخ لهم وذمّ، كما ذكره ابن جرير وابن كثير وغيرهما.

(٢) قوله: (متاعًا من الدنيا.) قال ابن عباس: «غنيمة قريبة». وفسر بذلك ابن جرير.

(٣) قوله: (المسافة). أي: إلى الشام، كما في ابن كثير.

(٤) قوله: (بالحلف الكاذب). تعليل لإهلاكهم أنفسهم. وكذا فسره ابن جرير.

(٥) قوله: (وكان ﷺ...). شروع في الآية التالية، وبيان لسبب نزولها. وبنحو ما ذكره المفسر قال المفسرون، نحو ابن جرير وابن كثير وغيرهما.

روى ابن أبي حاتم عن عون، قال: «هل سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا؟ نداء بالعفو قبل المعاتبة، فقال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾».اهـ. نقله ابن كثير.

(٦) قوله: (وهلا تركتهم). قدره ليكون ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾ غاية لذلك المقدر.

روى ابن جرير عن قتادة، قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ ...﴾ الآية، عاتبه كما تسمعون، ثم أنزل التي في سورة النور، فرخص له في أن يأذن لهم إن شاء، فقال: ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ [النور: ٦٢].

﴿يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في العذر ﴿وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٤٣﴾ فيه.

٤٤- ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ[1] ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ في التخلف عن ﴿أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ٤٤﴾.

٤٥- ﴿إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ﴾ في التخلف ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ﴾ شكّت ﴿قُلُوبُهُمۡ﴾ في الدين ﴿فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ٤٥﴾ يتحيّرون.

٤٦- ﴿۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ﴾[2] معك ﴿لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ﴾ أهبة من الآلة والزاد ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ أي: لم يرد الله خروجهم[3] ﴿فَثَبَّطَهُمۡ﴾ كسلهم ﴿وَقِيلَ﴾ لهم ﴿ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٤٦﴾ المرضى والنساء والصبيان. أي: قدر الله ذلك[4].

---

(١) قوله تعالى: ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ...﴾. قال ابن جرير: «هذا إعلام من الله نبيه ﷺ سيما المنافقين: أن من علاماتهم التي يعرفون بها تخلفهم عن الجهاد، بالمعاذير الكاذبة».اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله تعالى: ﴿۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ...﴾. يدل على أن هؤلاء المنافقين ما كانوا أرادوا الخروج، كما روى عن مجاهد، قال: «ناس قالوا: استأذنوا رسول الله ﷺ؛ فإن أذن لكم فاقعدوا، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا».اهـ.

(٣) قوله: (أي: لم يرد الله خروجهم). تفسير لقوله تعالى: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ ...﴾، وفيه تفسير الكراهة بعدم الإرادة، الظاهر أنه لا يريد به التأويل؛ فلعل المراد بيان أن الكراهة هنا كراهة كونية، كما قال ابن كثير: «أي: أبغض الله أن يخرجوا معك قدرًا».اهـ.

(٤) قوله: (أي: قدر الله ذلك). تفسير لـ﴿وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ﴾. وعلى هذا يكون: ﴿وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ﴾ عبارة عن الخذلان، أي: أوقع الله في قلوبهم الخذلان، وقيل: هو من قول =

﴿٤٧﴾- ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ فسادًا[١] بتخذيل المؤمنين ﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ﴾ أي: أسرعوا[٢] بينكم بالمشي بالنميمة ﴿يَبْغُونَكُمُ﴾ يطلبون لكم[٣] ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾ بإلقاء العداوة ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ ما يقولون سماع قبول[٤] ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿٤٨﴾- ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟﴾ لك ﴿ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أول ما قدمت المدينة[٥]

= بعضهم لبعض، وقيل: هو من قول النبي ﷺ الذي هو الإذن... وعلى هذا يكون القول على الحقيقة. ونقل هذه الأقوال القرطبي.

(١) قوله: (فسادًا). الخبال: الفساد والنميمة وإيقاع الخلاف، أفاده القرطبي، وجعل هذا الاستثناء من المنقطع، والمعنى: ما زادوكم قوة ولكن زادوكم فسادًا، ورجح البيضاوي كون الاستثناء متصلًا؛ لأنه استثناء مفرغ، ولا يكون المفرغ منقطعًا. والمعنى: لا يزيدونكم شيئًا إلا خبالًا. وعلى هذا لا يقتضي الكلام وجود فسادٍ عند المؤمنين ثم يزيده المنافقون. بل المعنى: لا يزيدوكم شيئًا إلا فسادًا.

(٢) قوله: (أسرعوا). تفسير ﴿أَوْضَعُوا۟﴾. أوضع بمعنى: أسرع السير، والإيضاع: سرعة السير. والخلال: جمع «خَلَل»، الفرجة بين الشيئين.

(٣) قوله: (يطلبون لكم). أشار إلى أن ضمير المخاطب في ﴿يَبْغُونَكُمُ﴾ في محل نصب بنزع الخافض.

(٤) قوله: (ما يقولون سماع قبول). على هذا يكون المعنى: ومنكم من يسمع كلامهم ويطيع لهم، روي هذا عن قتادة، وقال مجاهد: «ومنكم عيون للمنافقين يسمعون حديثكم لهم». واختاره ابن جرير.

(٥) قوله: (أول ما قدمت المدينة). تفسير لقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبلِ هذا. وبمثل هذا فسر ابن كثير، قال: «وذلك أول مقدم رسول الله ﷺ المدينة، رمته العرب بقوسٍ واحدة، وحاربته يهود المدينة ومنافقوها...».اهـ.

﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ﴾ أي: أجالوا الفكر[١] في كيدك وإبطال دينك ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ النصر ﴿وَظَهَرَ﴾ عز ﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ له، فدخلوا فيه ظاهرًا.

﴿٤٩﴾- ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي﴾ في التخلف ﴿وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ﴾ وهو الجدّ بن قيس[٢]، قال له النبي ﷺ: «**هل لك في جلاد بني الأصفر؟**»، فقال: إني مغرم بالنساء، وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن، فأفتتن، قال

---

(١) قوله: (أي: أجالوا الفكر...). وبنحوه فسر ابن جرير، وابن كثير وغيرهما.

ونقل ابن جرير عن الحسن قوله: ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ﴾ منهم عبدالله بن أبي وعبدالله بن نبتل ورفاعة بن رافع وزيد بن التابوت... ومن تخذيل ابن أبيّ: أنه تخلف مع المنافقين بعد ما خرج مع عسكره إلى غزوة تبوك، وكان النبي ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع، وابن أبيّ مع جماعته عسكر على ذي حدة أسفل من معسكر رسول الله ﷺ، ثم انصرفوا».اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله: (وهو الجد بن قيس). أي: القائل تلك المقولة: جد بن قيس، وهو رجل من المنافقين من بني سلمة، ذكره ابن زيد. وما ذكره المفسّر من أن هذه الآية نزلت في جد بن قيس مرويّ عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما بسياق متقارب، نقله ابن جرير.

وفيما رواه عن ابن زيد: في قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ...﴾ قال: «هو رجل من المنافقين يقال له: جد بن قيس، فقال له رسول الله ﷺ: «**العام نغزو بني الأصفر ونتخذ منهم سراري ووصفانًا**»، فقال: أي رسول الله! ائذن لي ولا تفتني، إن لم تأذن لي افتتنت ووقعت، فغضب، فقال الله: ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ﴾، وكان من بني سلمة، فقال لهم النبي ﷺ: «**من سيدكم يا بني سلمة؟**»، فقالوا: جد بن قيس، غير أنه بخيل جبان، فقال النبي ﷺ: «**وأيّ داء أدوى من البخل، ولكن سيدكم الفتى الأبيض الجعد الشعر: البراء بن معرور**».اهـ.

تعالى: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْۗ﴾ بالتخلف[١]، وقرئ[٢]: سقط ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ٤٩﴾، لا محيص لهم عنها.

٥٠- ﴿إِن تُصِبْكَ[٣] حَسَنَةٞ﴾ كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٞ﴾ شدة ﴿يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا﴾ بالحزم حين تخلفنا ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل هذه المصيبة[٤] ﴿وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ٥٠﴾ بما أصابك.

٥١- ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ إصابته[٥] ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ﴾ ناصرنا ومتولي أمورنا ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٥١﴾.

٥٢- ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ فيه حذف[٦] إحدى التاءين من الأصل، أي:

---

(١) قوله: (بالتخلف). الباء للسببية، أي: بسبب التخلف عن الجهاد سقطوا في الفتنة.

(٢) وقوله: (وقرئ:...). قراءة شاذة، كما أشار إلى ذلك بقوله: (قرئ).

(٣) قوله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ﴾. في هذه الآية بيان عداوة المنافقين وموقفهم مع المؤمنين؛ فأرشد الله رسوله والمؤمنين إلى جوابهم في عداوتهم، وذلك في الآية التالية. ذكره ابن كثير.

(٤) قوله: (قبل هذه المصيبة). أفاد به المضاف إليه المحذوف لـ﴿قَبْلُ﴾، ولذا بنيَ ﴿قَبْلُ﴾ على الضم.

(٥) قوله: (إصابته). مفعول به لـ﴿كَتَبَ﴾، قدره ليُفيد تقدير العائد إلى الاسم الموصول، والأولى تقدير العائد ضميرًا منصوبًا متصلًا بـ﴿كَتَبَ﴾ أي: كتبه الله؛ لأن حذف الضمير المنصوب المتصل مطرد في مثل هذا.

(٦) قوله: (فيه حذف...). فأصله: «تتربصون» مضارع «تربص»، حذفت تخفيفًا. وهذا الحذف جائز، كما ذكر في علم الصرف: إذا اجتمعت تاءان في أول مضارع «تفعَّل» و«تفاعلَ» و«تفَعْلل» جاز حذف إحداهما.

تنتظرون أن يقع[١] ﴿بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى﴾ العاقبتين[٢] ﴿ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ﴾ تثنية «حسنى» تأنيث «أحسن»: النصر أو الشهادة[٣] ﴿وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ﴾ ننتظر ﴿بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ﴾ بقارعة من السماء[٤] ﴿أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ﴾ بأن يؤذن لنا في قتالكم ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾ بنا ذلك ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ٥٢﴾ عاقبتكم.

٥٣- ﴿قُلۡ أَنفِقُواْ﴾ في طاعة الله ﴿طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡۖ﴾ ما أنفقتموه ﴿إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٥٣﴾ والأمر هنا بمعنى الخبر[٥].

٥٤- ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ﴾ بالتاء والياء[٦] ﴿مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ﴾

---

(١) قوله: (أنْ يقع). قدره لتوضيح المعنى، وبهذا التقدير يكون ﴿إِحۡدَى﴾ فاعلًا لهذا الفعل المقدر، وبدون التقدير هو مفعول به لـ﴿تَرَبَّصُونَ﴾.

(٢) قوله: (العاقبتين). قدره ليكون موصوفًا لـ﴿ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ﴾.

(٣) قوله: (النصر أو الشهادة). تفسير لـ﴿ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ﴾، وبه فسر البيضاوي، ومثله روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم، قالوا: «الشهادة أو الظفر بكم».

(٤) قوله: (بقارعة من السماء). لعله مثال، فقد روي عن ابن عباس: ﴿بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ﴾: بالموت، ﴿أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ﴾: القتل».

(٥) قوله: (والأمر هنا بمعنى الخبر). أي: قوله تعالى: ﴿أَنفِقُواْ﴾ صيغة أمر أريد بها الخبر. والمعنى: إن تنفقوا طوعًا أو كرهًا... قاله ابن جرير. وروى عن ابن عباس: «قال الجد بن قيس: إني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن، ولكن أعينك بمالي...، قال: ففيه نزلت ﴿أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا ...﴾ الآية».اهـ.

(٦) قوله: (بالتاء والياء). قراءتان: بالياء: ﴿يُقۡبَلَ﴾: قراءة حمزة، والكسائي، وخلف. وبالتاء: ﴿تُقۡبَلَ﴾: قراءة الباقين.

فاعل[١]، و«أَن تُقْبَلَ» مفعول، ﴿كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلون ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ النفقة؛ لأنهم يعدونها مغرمًا[٢].

﴿٥٥﴾ - ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ﴾ أي: لا تستحسن نعمنا عليهم[٣]، فهي استدراج ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾ أي: أن يعذبهم[٤] ﴿بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بما يلقون[٥] في جمعها من المشقة وفيها من المصائب ﴿وَتَزْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب.

---

(١) قوله: (فاعل). أي: المصدر المؤول من «أن» ومعموليها في محل رفع فاعل «منع»، والمصدر المؤول من ﴿أَن تُقْبَلَ﴾ في محل نصب مفعول ثان لـ«منع»، والمعنى: ما منعَ قبولَ صدقاتهم إلا كفرهم بالله. كما ذكره ابن جرير.

وإسناد الفعل «منع» إلى الكفر يكون مجازًا؛ لأن الكفر سبب، والله أعلم.

(٢) قوله: (لأنهم يعدونها). كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾ [التوبة: ٩٨].اهـ. أي: بخلاف المؤمنين، فإنهم ينفقون لوجه الله تعالى.

(٣) قوله: (أي: لا تستحسن...). تفسير المراد بـ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ ...﴾، وبمثله فسره القرطبي وغيره.

(٤) قوله: (أي: أن يعذبهم). أفاد به أن اللام في ﴿لِيُعَذِّبَهُم﴾ مؤكدة زائدة، لأن «أراد» يتعدى بنفسه.

(٥) قوله: (بما يلقون...). تصوير لعذابهم بأموالهم في الدنيا، وتكون المصائب للكفار عذابًا، وللمؤمنين أجرًا وثوابًا. وعن الحسن: «عذابهم بالأموال في الدنيا: أخذ الزكوات والنفقات منهم». وعلى كل حال قوله تعالى: ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ متعلق بـ﴿يُعَذِّبَهُم﴾. وعن ابن عباس وقتادة أن المعنى: «لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الدنيا، إنما يعذبهم بها في الآخرة». فيكون في الكلام تقديم وتأخير، ويكون الجار والمجرور ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ نعتًا لـ﴿أَمْوَٰلُهُمْ﴾ و﴿أَوْلَـٰدُهُمْ﴾. وضعفه ابن جرير؛ لأنه خلاف ظاهر السياق.

﴿٥٦﴾- ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ أي: مؤمنون ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ يخافون[1] أن تفعلوا بهم كالمشركين، فيحلفون تقية.

﴿٥٧﴾- ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾ يلجئون إليه ﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾ سراديب[2] ﴿أَوْ مُدَّخَلًا[3]﴾ أي: موضعًا[4] يدخلونه ﴿لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ يسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسراعًا لا يرده شيء كالفرس الجموح[5].

﴿٥٨﴾- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾ يعيبك[6] ﴿فِى﴾ قسم[7] ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا

---

(١) قوله: (يخافون). تفسير لـ﴿يَفْرَقُونَ﴾. فهو مضارع: «فَرِقَ، يفرَقُ، فَرَقًا»: خاف.

(٢) قوله: (سراديب). جمع سِرداب: الموضع الذي يستتر فيه. والمغارات: جمع مغارة، «مفعلة» من «غار، يغور»: أو «غار، يغير»: دخل. وتفسيرها بالسراديب مروي عن ابن عباس، نقله القرطبي.

(٣) قوله: ﴿مُدَّخَلًا﴾. ظرف من «ادَّخل»، أصله: ادْتَخَل من باب «افتعل» من الدخول، أدغمت الدال في التاء بعد قلبها دالًا.

(٤) وقوله: (أي: موضعًا...). كذا فسره القرطبي. قال: «أي: مسلكًا نختفي بالدخول فيه». وقال ابن جرير: «أي: سرَبًا».اهـ، وهو قريب مما ذكره المفسر.

(٥) قوله: (كالفرس الجموح). وهو الذي يغلب على الراكب ولا يُقاد ويذهب به ولا ينثني. وفي هذا اللفظ ﴿يَجْمَحُونَ﴾ استعارة تبعية. شبه إسراعهم وانصرافهم عن المسلمين بجموح الفرس، بجامع النفور والسرعة، واستعير لفظ «الجموح» ثم اشتق منه ﴿يَجْمَحُونَ﴾. والله أعلم.

(٦) قوله: (يعيبك). قاله الحسن، وعن قتادة: «يطعن عليك». واللمز في اللغة: العيب في السر. وأصله: الإشارة بالعين ونحوها. أفاده القرطبي.

(٧) قوله: (﴿فِى﴾ قسم). أفاد به تقدير مضاف؛ لأن طعنهم كان في تفريق الصدقات. روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري قصة ذي الخويصرة التميمي، واسمه: حُرقوص بن =

رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

﴿٥٩﴾- ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ من الغنائم ونحوها ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا﴾ كافينا ﴿ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ من غنيمةٍ أخرى، ما يكفينا[1] ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ أنْ يُغنينا، وجواب «لَوْ»: لكان خيرًا لهم.

﴿٦٠﴾- ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾ الزكوات[2] مصروفة ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ الذين لا يجدون[3] ما يقع موقعًا من كفاياتهم ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم[4] ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ أي: الصدقات من جابٍ[5] وقاسم وكاتب وحاشر ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ

= زهير، أصل الخوارج: اعترض على النبي ﷺ حين قسم غنائم حنين، قائلًا: اعدل؛ فإنك لم تعدل... إلى آخره. قال البيضاوي: «كان لمزهم في قسم الزكوات، بدليل الآية التالية».

(١) قوله: (ما يكفينا). مفعول به ثان لـ﴿سَيُؤْتِينَا﴾. وذلك إذا كانوا ذوي حاجة. قال ابن كثير ما حاصله: «تضمنت هذه الآية أدبًا عظيمًا، حيث جعل الخير هو الرضا بما آتاه الله ورسوله، والتوكل عليه».اهـ.

(٢) قوله: (الزكوات). فالمراد بـ﴿ٱلصَّدَقَٰتُ﴾ هنا: الزكوات، كما بينه العلماء. وذكر في الآية مصارفها الثمانية.

(٣) قوله: (الذين لا يجدون...). فالفقير من لا شيء عنده أو عنده ما لا يقع موقعًا من الكفاية. وقدر فقهاء الحنابلة بمن عنده أقل من نصف الحاجة.

(٤) قوله: (الذين لا يجدون ما يكفيهم). أي: فالمسكين أحسن حالًا من الفقير، وعلى ما ذكره بعض الفقهاء هو من عنده النصف وما فوقه. قال العلماء: الفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، أي: إذا ذكر الفقير والمسكين معًا فلكلّ منهما معنًى مستقل، وإذا ذكر أحدهما فقط دخل فيه الآخر.

(٥) قوله: (جاب). اسم فاعل: من «جبا، يجبو وجبى يجبي»: جَمع، أفاد المفسر أن المراد =

﴿قُلُوبُهُمۡ﴾ ليسلموا[١]، أو يثبت إسلامهم، أو يسلم نظراؤهم، أو يذبوا عن المسلمين، أقسام. والأول والأخير لا يعطيان اليوم عند الشافعي رضي الله تعالى عنه؛ لعز الإسلام، بخلاف الأخيرين فيعطيان على الأصح. ﴿وَفِي﴾ فك ﴿ٱلرِّقَابِ﴾ أي: المكاتبين[٢] ﴿وَٱلۡغَٰرِمِينَ﴾ أهل الدَّين[٣] إذا استدانوا لغير معصية، أو تابوا وليس لهم وفاء، أو لإصلاح ذات البين ولو أغنياء ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ القائمين بالجهاد[٤] ممن لا فيء لهم، ولو أغنياء ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ﴾

= بالعاملين: من عينهم الحاكم في شؤون الزكاة، فلا يدخل فيه موظفو الجمعيات الخيرية أو نحو ذلك، ما لم يؤذنوا ويوكلوا من ولي الأمر.

(١) قوله: (ليسلموا...). ذكر هنا أربعة أنواع من المؤلفة:

١- الكافر إذا رغب في إسلامه.

٢- جديد الإسلام يعطى من الزكاة ليثبت إسلامه.

٣- جديد الإسلام يعطى الزكاة ليرى ذلك نظراؤه فيسلموا.

٤- الكافر المطاع في قومه؛ ليذب عن المسلمين، ويدافع عنهم.

فالقسم الأول والرابع لا يعطون عند الشافعية؛ لأنهم كفار. ولا يعطى من الزكاة إلا المسلم.

(٢) قوله: (أي: المكاتبين). جمع «مكاتب»، وهو الرقيق الذي تعاهد مع سيده أن يعتقه مقابل مالٍ يدفعه إلى السيد. فهذا الصنف يصرف للمكاتبين فقط دون غيرهم عند الشافعية. وأشار المفسر بقوله: (فك) إلى تقدير مضاف، وذلك واضح.

(٣) قوله: (أهل الدَّين). بفتح الدال، ذكر المفسّر قسمين منهم:

الأول: من استقرض لأمر مباحٍ وليس عنده سداد.

الثاني: من استقرض لإصلاح ذات البين، فيعطى هو من الزكاة ما تحمّله، ولو كان غنيًّا.

(٤) قوله: (القائمين بالجهاد). تفسير لـ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فهم الغزاة الذين ليس لهم رواتب من الفيء، فيعطون من الزكاة ولو أغنياء. ولا يدخل في هذا طلبة العلم ونحوهم ولو صح إطلاق أنهم في سبيل الله لغةً.

المنقطع في سفره[١] ﴿فَرِيضَةً﴾ نصب بفعله[٢] المقدر ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ في صنعه. فلا يجوز صرفها[٣] لغير هؤلاء، ولا منع

---

(١) قوله: (المنقطع في سفره). أي: الذي ليس له نفقة يصل بها إلى مقصوده، فيعطى من الزكاة ما يكفيه.

(٢) قوله: (نصب بفعله). أي: فهو مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: فرض الله ذلك فريضة. وعلى هذا يكون ﴿فَرِيضَةً﴾ مصدرًا كـ«النصيحة». ويحتمل كونه حالًا من الضمير المستتر في الخبر، أي: إنما الصدقات ثابتة هي للفقراء... حال كونها فريضة أي: مفروضة. ذكره البيضاوي. فعلى هذا ﴿فَرِيضَةً﴾ وصف بمعنى اسم المفعول.

(٣) قوله: (فلا يجوز صرفها...). ذكر المفسر من هنا بعض أحكام الزكاة المأخوذة من الآية، على مذهب الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١- لا يجوز صرفها لغير الأصناف المذكورة، هذا إجماعًا، وذلك لوجود الحصر في الآية بـ﴿إِنَّمَا﴾.

٢- لا يجوز منع صنف منهم إذا وجد، أي: فيجب تعميم الأصناف هذا عند الشافعية. ووجه ذلك: أن مقابلة الجمع بالأصناف تفيد التعميم كما إذا قال قائل: اعط هذه الدراهم للطلاب والمدرسين والموظفين -مثلًا- يقتضي ذلك تعميم هذه الأصناف.

٣- الإمام يقسم الزكاة بين الأصناف بالسوية، أي: يجعل لكل صنف مثل ما يجعل للآخر.

٤- يجوز للإمام تفضيل بعض الآحاد على بعض.

٥- ظاهر الآية وجوب تعميم الأفراد كلهم؛ لأن مقابلة الجمع بالجمع يُفيد ذلك، كما إذا قلت: أعط هذه الدراهم لطلاب الفصل، يفيد تعميم الإعطاء لكل طالب. وإليه أشار بقوله: (وأفادت اللام)، ثم استثنى منه أن المزكي لو كان صاحب المال -ليس الإمام- يكفيه إعطاء ثلاثة أفراد من كل صنف؛ لأن التعميم متعذر عليه. وأما الثلاثة فلأن أقل الجمع ثلاثة. كما قال المفسر. وقد ذكرت الأصناف بصيغة الجمع. =

صنف منهم إذا وجد، فيقسمها الإمام عليهم على السواء، وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض، وأفادت اللام وجوب استغراق أفراده، لكن لا يجب على صاحب المال إذا قسم، لعسره، بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف، ولا يكفي دونها، كما أفادته صيغة الجمع، وبينت السنة أن شرط المعطَى منها الإسلام، وألّا يكون هاشميًا ولا مطلبيًا.

(٦١)- ﴿وَمِنْهُمُ﴾ أي: المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ بعيبه وبنقل حديثه ﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا نهوا عن ذلك[١] لئلا يبلغه ﴿هُوَ أُذُنٌۚ﴾ أي: يسمع كلَّ قيلٍ ويقبله فإذا حلفنا له أنَّا لم نقله صدَّقَنا ﴿قُلْ﴾ هو ﴿أُذُنُ﴾ مستمع ﴿خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ لا مستمع شر ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ﴾ يصدق ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما أخبروه به، لا لغيرهم[٢]، واللام زائدة[٣] للفرق بين إيمان التسليم وغيره

= ٦- لا يجوز إعطاء الزكاة للكافر، لقوله ﷺ: «**تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم**».

٧- لا تعطى لأهل البيت وهم عند الشافعية: المؤمنون من بني هاشم وبني المطلب. وهاشم والمطلب هما ابنا عبد مناف، وله ابنان آخران، هما: عبد شمس، ونوفل، وبنوهما ليسوا من أهل البيت، يجوز صرف الزكاة إليهم. وتقدم ذكرهم في سورة الأنفال الآية (٤١).

(١) قوله: (إذا نهوا عن ذلك...). أي: إذا نهي أولئك المنافقون عن مقالتهم حتى لا تبلغ تلك المقالة إلى النبي ﷺ، قالوا: «إن عاتبنا النبي ﷺ في ذلك حلفنا له أنا لم نقله؛ لأنه أذن سامعة!». قال الجوهري: «يقال: رجل أذن إذا كان يسمع مقال كل أحد، يستوي فيه الواحد والجمع». حكى القرطبي: «أن هذه الآية نزلت في عتاب بن قشير، وقيل: هو نبتل بن الحارث أخو بني عمرو بن عوف». نقله ابن جرير عن ابن إسحٰق.

(٢) قوله: (لا لغيرهم). أي: لا يصدق الكافرين والمنافقين. وهذا تكذيب من الله للمنافقين الذين قالوا: محمد أذن. أفاده ابن جرير.

(٣) قوله: (واللام زائدة). أي: في قوله: ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، يعني: أن الإيمان يأتي بمعنيين: =

﴿وَرَحۡمَةٞ﴾ بالرفع[(١)] عطفًا على «أُذُنٌ» والجر عطفًا على «خَيۡرٍ»، ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦١﴾﴾.

﴿٦٢﴾- ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ﴾ أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول: إنهم ما أتوه[(٢)] ﴿لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ بالطاعة ﴿إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ حقًّا. وتوحيد الضمير[(٣)] لتلازم الرضاءين، أو خبر «ٱللَّهُ» أو «رَسُولُهُ» محذوف.

= ١- الإيمان مقابل الكفر؛ فيتعدى بالباء، نحو: يؤمن بالله.

٢- والإيمان بمعنى التسليم وقبول القول، فيتعدى بنفسه، أو باللام، نحو: يؤمن للمؤمنين.

وعلى هذا فيكون ﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ بالمعنى الأول، و﴿وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بالمعنى الثاني. فقوله: (اللام زائدة) لعله باعتبار أن الفعل يتعدى بنفسه إذا كان معناه صدَّق، وقَبل القول. وعزا القرطبي القول بزيادة اللام إلى الكوفيين.

(١) قوله: (بالرفع...). قراءتان: بالجر: ﴿وَرَحۡمَةٍ﴾: قراءة حمزة. وبالرفع: ﴿وَرَحۡمَةٞ﴾: قراءة الباقين. ووجههما كما ذكر المفسر.

(٢) قوله: (إنهم ما أتوه). هذا المحلوف عليه. أي: يحلف هؤلاء المنافقون أنهم لم يقولوا شرًّا. نقل ابن جرير عن قتادة: «إن بعض المنافقين قال: إن هؤلاء لخيارنا، وإن كان ما يقوله محمد حقّا لهم شرّ من الحمير! فبلغه بعض الأنصار إلى رسول الله ﷺ، فحلف إنه ما قاله، فأنزل الله هذه الآية في تكذيبه وتصديق المؤمن...».اهـ ملخصًا.

(٣) قوله: (وتوحيد الضمير). أي: في قوله: ﴿أَن يُرۡضُوهُ﴾ ولم يذكر «يرضوهما» ذكر المفسر وجهين:

الأول: لأن رضا الله هو رضا الرسول.

والثاني: ﴿أَن يُرۡضُوهُ﴾ خبر ﴿ٱللَّهُ﴾، وخبر رسوله محذوف. والتقدير: والله أحق أن يرضوه، ورسوله أحق أن يرضوه. أو بالعكس أي: ﴿أَن يُرۡضُوهُ﴾ خبر لـ﴿رَسُولُهُ﴾، وخبر ﴿ٱللَّهُ﴾ محذوف.

(٦٣)- ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ﴾ أي: الشأن ﴿مَن يُحَادِدِ﴾ يشاقّ ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ جزاءً ﴿خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ (٦٣)﴾.

(٦٤)- ﴿ يَحْذَرُ﴾ يخاف[١] ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْۚ﴾ من النفاق[٢]، وهم مع ذلك يستهزئون[٣] ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَّا تَحْذَرُونَ (٦٤)﴾ إخراجه من نفاقكم.

(٦٥)- ﴿ وَلَئِن﴾ لام قسم[٤] ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ عن استهزائهم بك والقرآن[٥] وهم سائرون معك إلى تبوك[٦] ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ معتذرين ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ

---

(١) قوله (يخاف). أفاد أن هذه جملة خبرية، وليست بأمر. وقال الزجاج: «هذا أمر والمعنى: ليحذر المنافقون...» نقله القرطبي.

(٢) قوله: (من النفاق). بيان لـ﴿بِمَا فِى قُلُوبِهِمْۚ﴾.

(٣) قوله: (وهم مع ذلك يستهزؤون). قدره ليناسب ما بعده، وهو قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ﴾ فدل ذلك أنهم لم يزالوا في استهزائهم. روى ابن جرير عن مجاهد، قال: «يقولون القول بينهم ثم يقولون: عسى الله ألا يفشي علينا سرّنا هذا».اهـ. وقال السدي: «قال بعض المنافقين: والله وددت لو أني قدّمت فجلدت مائة، ولا ينزل فينا شيء يفضحنا؛ فنزلت الآية».اهـ. نقله القرطبي.

(٤) قوله: (لام قسم). فهنا اجتمع القسم والشرط. والمتقدم هو: القسم؛ فالجواب له، وحذف جواب الشرط، فقوله: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ جواب القسم، ولذا أكّد بالنون.

(٥) قوله: (بك والقرآن). القرآنِ بالجر معطوف على الكاف من (بك) بدون إعادة حرف الجر. وهو جائز، والأكثر إعادة حرف الجر: (وبالقرآن).

(٦) قوله: (وهم سائرون معك...). أشار به إلى سبب نزول الآية، روى ابن جرير القصة =

﴿وَنَلۡعَبُۚ﴾ في الحديث: «لنقطع به الطريق، ولم نقصد ذلك»، ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥﴾.

٦٦- ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ﴾ عنه ﴿قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ أي: ظهر كفركم بعد إظهار الإيمان[1] ﴿إِن يُعۡفَ﴾ بالياء[2] مبنيًا للمفعول، والنون مبنيًا للفاعل ﴿عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ﴾ بإخلاصها[3] وتوبتها كمخشي بن حمير[4] ﴿تُعَذَّب﴾ بالتاء

= بسياق مختلف، فروى عن ابن عمر، «قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنةً، ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق؛ لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك النبي ﷺ، ونزل القرآن...». وعن قتادة، قال: «بينما النبي ﷺ في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه، فقالوا: يظن هذا أن يفتح قصور الروم، وحصونها، فأطلع الله نبيه على ما قالوا، فقال: علي بهؤلاء النفر، فدعاهم، فقال: قلتم كذا وكذا، فحلفوا ما كنا إلا نخوض ونلعب».اهـ. نقل القرطبي عن ابن العربي: «لا يخلو أن يكون ما قالوه جدًّا أو هزلًا، وكيفما كان كفر، فإن الهزل بالكفر كفر لا خلاف فيه بين الأمة».اهـ.

(١) قوله: (أي: ظهر كفركم...). أفاد المفسر به أنه ليس المراد بالآية أنهم ارتدوا بعد إيمانهم، بل ظهر منهم ما أخفوه من الكفر بعد إظهار إيمانهم باللسان؛ لأن الآية في شأن المنافقين، كما يعلم من أسباب نزولها.

(٢) قوله: (بالياء...). قراءتان: بالنون: ﴿إِن نَّعۡفُ﴾: قراءة عاصم. وبالياء مع البناء للمفعول: ﴿إِن يُّعۡفَ﴾: قراءة الباقين. ووجههما واضح.

(٣) قوله: (بإخلاصها). أي: إخلاص تلك الطائفة وتوبتها، والطائفة: الجماعة، وتطلق على الواحد، كما ذكره القرطبي.

(٤) قوله: (كمخشي بن حمير). قال القرطبي: «اختلف في اسم هذا الرجل الذي عفي عنه، فقيل: مخشيّ بن حميّر، وقيل: مخاشن، وقيل: مخشّن، وقيل غير ذلك». قال القرطبي: =

والنون(١) ﴿طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦﴾ مصرين على النفاق والاستهزاء.

٦٧- ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ(٢) وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾ أي: متشابهون في الدين(٣)، كأبعاض الشيء الواحد ﴿يَأۡمُرُونَ(٤) بِٱلۡمُنكَرِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ الإيمان والطاعة ﴿وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ﴾ عن الإنفاق(٥) في الطاعة ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ تركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ تركهم من لطفه(٦)

= «وكان تاب وسُمِّي عبدالرحمن، فدعا الله أن يقتل شهيدًا ولا يعلم بقبره، فاستشهد في معركة اليمامة، وقيل: كانوا ثلاثة هزئ اثنان وضحك واحد، فالمعفو عنه هو الذي ضحك، قيل: كان منافقًا وأسلم، وقيل: كان مسلمًا لكنه لم ينكر على المنافقين، والله أعلم».

(١) قوله: (بالتاء والنون). النون: ﴿نُعَذِّبۡ﴾ بالبناء للفاعل: قراءة عاصم. وبالتاء: بالبناء للمفعول: ﴿تُعَذَّبْ﴾: قراءة الباقين.

(٢) قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ...﴾. مبتدأ أول، وجملة ﴿بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾ خبره، أو ﴿بَعۡضُهُم﴾ بدل بعض، و﴿مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾: خبر. أفاده القرطبي.

(٣) قوله: (أي: متشابهون في الدين) وبنحوه فسر علماء التفسير. قال القرطبي: «أي هم كالشيء الواحد في الخروج عن الدين».

(٤) وقوله تعالى: ﴿يَأۡمُرُونَ﴾ إنكار عليهم بأنهم على خلاف صفات المؤمنين الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، كما أفاده ابن كثير. وهذه الجملة في محل رفع خبر ثان.

(٥) قوله: (عن الإنفاق...) هكذا روي عن مجاهد، وقال قتادة: «لا يبسطونها بخير». وعلى كل حال: قبض الأيدي كناية عن إمساكها عن الإنفاق والخير.

(٦) قوله: (تركهم عن لطفه). وهكذا فسره ابن جرير وغيره، قال ابن جرير: «وأما قوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ فمعناه: تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمره فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته».اهـ. فما قاله المفسر تأويل صحيح. والسلف لا ينكرون التأويل على =

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿٦٨﴾ - ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ[1] ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ﴾ جزاءً وعقابًا ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ دائم.

﴿٦٩﴾ - أنتم أيها المنافقون[2] ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟﴾ تمتعوا[3] ﴿بِخَلَٰقِهِمْ﴾ نصيبهم من الدنيا[4] ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم﴾ أيها المنافقون ﴿بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ[5] مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾ في الباطل والطعن في النبي ﷺ ﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ﴾ أي: كخوضهم[6]

= الإطلاق بل يؤوِّلون إذا كان هناك قرينة، فهٰهنا قرينة؛ لأن النسيان قد نفى الله عن نفسه، كما قال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤].

(١) قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾. «وعد» يطلق في الخير والشر، ولكن يختلف المصدر، يقال: وعد في الخير وعدًا، ووعد بالشر وعيدًا.اهـ. أفاده القرطبي.

(٢) قوله: (أنتم أيها المنافقون). أفاد به أن الجار والمجرور ﴿كَٱلَّذِينَ ...﴾ في محل رفع خبر مبتدأ محذوف. وهذا أحد الأوجه الإعرابية في الآية. وفي هذه الآية تحذير شديد للمنافقين كما يعلم من كلام ابن جرير وغيره.

(٣) قوله: (تمتعوا). أفاد به أن «استمتع» مجرّد عن معنى الطلب. وهو فعل ماضٍ.

(٤) قوله: (نصيبهم من الدنيا). كذا فسره ابن جرير، والقرطبي وغيرهما. ونقل عن الحسن ﴿بِخَلَٰقِهِمْ﴾: «أي: بدينهم».

(٥) قوله تعالى: ﴿كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ ...﴾. الجار والمجرور في محل نصب مفعول مطلق، نعت للمصدر المحذوف، أي: استمتاعًا كاستمتاع الذين...

(٦) قوله: (أي: كخوضهم). على هذا يكون ﴿ٱلَّذِى﴾ هنا حرفًا مصدريًّا. وهذا أحد =

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٩﴾.

٧٠- ﴿أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ[(١)] نَبَأُ﴾ خبر ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ[(٢)] وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ﴾ قرى قوم لوط، أي: أهلها[(٣)] ﴿أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ المعجزات، فكذبوهم، فأهلكوا ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ بأن يعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٧٠﴾ بارتكاب الذنب.

٧١- ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ[(٤)] يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء عن إنجاز وعده ووعيده

= الوجوه. وقيل: المعنى: كالخوض الذي خاضوا، أو الفوج الذي خاضوا، فيكون ﴿ٱلَّذِي﴾ اسمًا موصولًا. والجار والمجرور ﴿كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ﴾ يعرب كما في ﴿كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ...﴾.

(١) قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ...﴾ الهمزة الاستفهامية الداخلة على النفي تفيد التقرير، كما سبق نظير ذلك. والآية تحذير ووعظ للمنافقين المذكورين. كما أفاده ابن كثير.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾. وهم: نمرود بن كنعان وقومه. قاله القرطبي.

(٣) قوله: (أي: أهلها) أي: إما بتقدير مضاف، أو يقال: أطلق المحل وأريد الحال، فيكون مجازًا مرسلًا. هذه النظرة البلاغية. والأُولى: النظرة النحوية. وسميت مؤتفكة؛ لأن أرضهم ائتفكت، أي: انقلبت.اهـ. نقله القرطبي عن قتادة.

(٤) قوله تعالى: ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ قال القرطبي: «أي: قلوبهم متحدة في التواد والتحابّ والتعاطف، وقال في المنافقين: ﴿بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾ [التوبة: ٦٧]، لأن قلوبهم مختلفة ولكن يضم بعضهم إلى بعض في الحكم».اهـ.

﴿حَكِيمٌ ۝٧١﴾ لا يضع شيئًا إلا في محلّه[(١)].

٧٢- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ إقامة[(٢)] ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أعظم من ذلك كله[(٣)] ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٧٢﴾.

٧٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ باللسان[(٤)] والحجة ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهار والمقت[(٥)] ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٧٣﴾ المرجع، هي[(٦)].

---

(١) قوله: (لا يضع شيئًا إلا في محله). فيه إثبات صفة الحكمة لله تعالى، وقد سبق الكلام في ذلك في تفسير سورة البقرة الآية رقم (٣٢).

(٢) قوله: (إقامة). كذا فسره القرطبي وغيره. يقال: عدَن بالمكان إذا أقام به، ومنه: المعدِن.

(٣) قوله: (أعظم من ذلك كله). كما في الحديث المتفق عليه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**» [«فتح الباري» (١١/ ٤٢٣)، ومسلم (٤/ ٢١٧٦)]. جعلنا الله من أهل رضوانه.

(٤) قوله: (بالسيف ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ باللسان). وبنحوه روى ابن جرير عن ابن عباس والضحاك. وروى عن الحسن وقتادة: «جاهد الكفار بالسيف، والمنافقين بإقامة الحدود».اهـ. ملخصًا.

(٥) قوله: (بالانتهار والمقت) أي: بالزجر وترك الرفق. كما قال ابن عباس: «أذهب الرفق عنهم».

(٦) قوله: (المرجع، هي): «المرجع» تفسير: ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾، و«هي» مخصوص بالذم.

﴿٧٤﴾- ﴿يَحۡلِفُونَ﴾ أي: المنافقون ﴿بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ[١]﴾ ما بلغك عنهم من السب ﴿وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ﴾ أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ﴾ من الفتك بالنبي[٢] ليلة العقبة عند عوده من تبوك، وهم بضعة عشر رجلًا، فضرب عمار بن ياسر وجوه الرواحل لما غشوه،

---

(١) قوله تعالى: ﴿مَا قَالُواْ﴾ «ما» نافية»، وقول المفسر: (ما بلغك عنهم): «ما» هنا اسم موصول مفعول القول، أي: يحلفون بالله أنهم لم يقولوا القول الذي بلغك عنهم من السبّ.

واختلف في من نزلت هذه الآية: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾؛ فعن عروة: «أنه منافق اسمه الجُلاس بن سويد، قال: إن كان ما جاء به محمد حقًّا لنحن أشر من الحمير، وبلغ الخبر إلى النبي ﷺ، فدعاه، فحلف أنه ما قاله؛ فنزلت الآية في تكذيبه». وكذا روي عن ابن إسحٰق.

وعن ابن عباس: «كان رسول الله ﷺ جالسًا في ظل شجرة فقال: إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعَيْنَيْ شيطان، فإذا جاء فلا تكلموه، فلم يلبث أن طلع رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: علام تشتمني أنت وأصحابك، فانطلق الرجل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم، فأنزل الله: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾».اهـ.

وعن قتادة: «نزلت في ابن أبي...»، ورجح ابن جرير بعد نقل تلك الروايات احتمال كل من ذلك.

(٢) قوله: (من الفتك بالنبي). بيان لما همَّ المنافقون، ولم ينالوه... وهذه القصة رواها البيهقي في «دلائل النبوة»، أوردها ابن كثير بطول. وما ذكره المفسر ملخصها.

وحاصلها: «لما كان النبي ﷺ في غزوة تبوك في حال السير وصل في عقبة وهي: الطريق الضيق بين جبلين، في ليلة، فاعترضه بضعة عشر منافقًا قد اعترضوا بها يريدون سوءً بالنبي ﷺ؛ فانتهرهم، فولّوا مدبرين، وكان معه ﷺ حذيفة وعمار، فأخبرهما رسول الله أنهم رهط من المنافقين...».

فردوا ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ﴾ أنكروا ﴿إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ﴾ بالغنائم بعد شدة حاجتهم. المعنى[١]: لم ينلهم منه إلا هذا وليس مما ينقم ﴿فَإِن يَتُوبُواْ﴾ عن النفاق ويُؤمنوا ﴿يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ﴾ عن الإيمان ﴿يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ بالقتل ﴿وَٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ﴾ يحفظهم منه ﴿وَلَا نَصِيرٖ ٧٤﴾ يمنعهم.

٧٥- ﴿ ۞ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥﴾ وهو ثعلبة بن حاطب[٢]: سأل النبي ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالًا ويؤدي منه إلى كل ذي حق حقه، فدعا له، فوسع عليه، فانقطع عن الجمعة والجماعة[٣] ومنع الزكاة[٤]، كما قال تعالى:

٧٦- ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ﴾ عن طاعة الله ﴿وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٧٦﴾.

---

(١) قوله: (المعنى...). أي: ليس للرسول عندهم ذنب إلا أن الله أغناهم ببركته. وهذه الصيغة تقال حيث لا ذنب. اهـ. ابن كثير. وهذا الأسلوب يشبه بما يقال تأكيد المدح بما يشبه الذم، وهو أسلوب بلاغي صورته استثناء صفة مدح من صفة ذم منفية، كقول الشاعر: «ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب».

(٢) قوله: (وهو ثعلبة بن حاطب). وهو رجل من الأنصار. وما ذكره المفسر من سبب النزول وتفسير الآية رواه ابن جرير مفصلًا عن أبي أمامة الباهلي، ورواه موجزًا عن ابن عباس. وما ذكره المفسر هو ملخص تلك الرواية.

(٣) قوله: (فانقطع عن الجمعة والجماعة). أي: لانشغاله بأمواله.

(٤) قوله: (ومنع الزكاة). وفي تلك الرواية أنه لما رأى كتاب رسول الله ﷺ بفرض الزكاة قال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، ما أدري ما هذا!!

(٧٧)- ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ ﴾ أي: صيّر عاقبتهم ﴿نِفَاقًا﴾ ثابتًا[١] ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ أي: الله وهو يوم القيامة ﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ (٧٧)﴾ فيه. فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ بزكاته، فقال: إن الله منعني أن أقبل منك، فجعل يحثو التراب على رأسه، ثم جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها، ثم إلى عمر فلم يقبلها، ثم إلى عثمان فلم يقبلها، ومات في زمانه.

(٧٨)- ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ أي: المنافقون ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ ﴾ ما أسروه في أنفسهم ﴿وَنَجْوَىٰهُمْ ﴾ أي: ما تناجوا به بينهم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ (٧٨)﴾ ما غاب عن العيان.

(٧٩)- ولما نزلت[٢] آية الصدقة جاء رجل فتصدّق بشيء كثير، فقال المنافقون:

---

(١) قوله: (ثابتًا). أفاد به أن الجار والمجرور ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ متعلق بمحذوف نعت لـ﴿نِفَاقًا﴾.

تنبيه: قال القرطبي: «وذكر عن ابن عباس في سبب نزول هذه الآية أن حاطب بن أبي بلتعة أبطأ عنه ماله بالشام، فحلف في مجلس من مجالس الأنصار إن سلم ذلك لأتصدقن منه ولأصلن منه، فلما سلم بخل بذلك؛ فنزلت».

قال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾ يدل على أن من نزلت فيه الآية مات منافقًا، وهو يبعد أن يكون المنزل فيه: ثعلبة أو حاطب؛ لأنهما بدريّان». ونقل عن ابن عبدالبر قال: «لعل القول بأن الآية نزلت في ثعلبة وأنه الذي منع الزكاة غير صحيح».

ونقل عن الضحاك: «إن الآية نزلت في رجال من المنافقين، نبتل بن الحارث، وجدّ بن قيس، ومعتّب بن قشير».اهـ.

وعلى هذا يكون ما ذهب إليه المفسر من أن سبب النزول في ثعلبة يكون مرجوحًا. والله أعلم.

(٢) قوله: (ولما نزلت...). ما ذكره من سبب النزول حديث متفق عليه. [«فتح الباري» (٣/ ٣٣٢)، مسلم (٢/ ٧٠٦)].

مُراءٍ[(١)]، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله غنيّ عن صدقة هذا؛ فنزل: ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾[(٢)] مبتدأ ﴿يَلۡمِزُونَ ﴾ يعيبون ﴿ٱلۡمُطَّوِّعِينَ ﴾ المتنفلين ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ طاقتهم، فيأتون به ﴿فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ﴾ والخبر: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾ جازاهم على سخريتهم[(٣)] ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٩﴾.

۝٨٠- ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ﴾ يا محمد ﴿لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾ تخيير له في الاستغفار وتركه. قال ﷺ: «**إني خُيّرت، فاخترت**»، يعني الاستغفار. رواه البخاري. ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ﴾ قيل: المراد بالسبعين[(٤)]: المبالغة في كثرة

---

(١) قوله: (مُراءٍ). اسم فاعل من «راءى، يرائي» على وزن «فاعَل، يفاعل» من الرياء. يعني: أنه يتصدق لأجل الرياء والسمعة. وفيما رواه ابن كثير عن ابن إسحٰق: «كان من المطوّعين من المؤمنين في الصدقات: عبدالرحمن بن عوف، تصدق بأربعة آلاف درهم، وعاصم بن عدي أخو بني العجلان تصدق بمائة وسق، وكان الذي تصدق بجهده: أبو عقيل أخو بني أنيف الأراشي، وفيما رواه العوفي عن ابن عباس أن الذي أتى بصاعٍ كان بات يؤجر نفسه وحصل له صاعان من التمر أجرة عمله، فأتى بأحدهما».اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله: (مبتدأ). أي: الاسم الموصول في محل رفع مبتدأ، وخبره جملة ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾ كما سيذكره المفسر. وهذا أحد الأوجه في إعراب الآية.

(٣) قوله: (جازاهم على سخريتهم) وبمثله فسر ابن كثير، قال: «هذا من باب المقابلة على سوء صنيعهم، واستهزائهم بالمؤمنين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فعاملهم معاملة من سخر منهم...الخ». اهـ. وحاصله: أنه من باب المشاكلة، كما تقدم الكلام في ذلك أول السورة وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ [البقرة: ١٥].

(٤) قوله: (قيل: المراد بالسبعين) يعني أن المراد به الكثرة وليس العدد المعين. قال البيضاوي: «وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير...».اهـ.

الاستغفار. وفي البخاري حديث: «**لو أعلم**(١) **أني لو زدت على السبعين غفر لزدت عليها**». وقيل: المراد العدد المخصوص، لحديثه أيضًا: «**وسأزيد على السبعين**». فبيّن له حسم المغفرة(٢) بآية: «**سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ**» [المنافقون: ٦]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٨٠﴾.

٨١- ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ﴾ عن تبوك ﴿بِمَقۡعَدِهِمۡ﴾ أي: بقعودهم(٣)

---

(١) قوله: (وفي البخاري حديث: «**لو أعلم**...). جواب «لو أعلم»: لزدت، وجواب: لو زدت: غفر. وهذا القول ذكره ابن كثير من دون عزو. كما ذكر القول الآخر، أي: أن المراد العدد المعين، مستشهدًا بما روى عن ابن عباس، وفيه قال النبي ﷺ: «**فوالله لأستغفرن أكثر من سبعين مرة**».اهـ. وحديث «**إني خيّرت... لو أعلم أني لو زدت...**» رواه البخاري [(١٣٠٠)، (٤٣٩٤)].

(٢) قوله: (فبين لهم حسم المغفرة). أي: قطع المغفرة. وما ذكره المفسِّر من أن الآية ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ...﴾ نزلت لقطع المغفرة عنهم. رُوِي معناه عن ابن عباس ومجاهد. نقله ابن جرير.

(٣) قوله: (أي: بقعودهم). أفاد به أن «مقعد» مصدر ميميّ. والمصدر الميميّ ما دلّ على حدث، وفي أوله ميم مزيدة لغير المفاعلة. نحو: مرحمة، مغفرة، مقعد. وأما المفاعلة فهي مصدر أصليّ لـ«فاعل، يفاعل»، وإن وجدت في أولها ميم مزيدة، نحو: قاتل، مقاتلة، وعامل، معاملة.

وقول المفسر في تفسير ﴿خِلَٰفَ﴾ (أي: بعده). توضيح للمراد بالخلاف، فيكون منصوبًا على الظرفية، يقال: أقام فلان خلاف الحي، أي: بعدهم، كما أفاده البيضاوي، ويجوز أن يراد به هنا: المخالفة، فيكون نصبه على أنه مفعول له، كما ذكره القرطبي، وكذا البيضاوي وجهًا.

﴿خِلَٰفَ﴾ أي: بعد ﴿رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ﴾ أي: قال بعضهم لبعض ﴿لَا تَنفِرُواْ﴾ تخرجوا إلى الجهاد ﴿فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ﴾ من تبوك، فالأَوْلى[1] أن يتقوها بترك التخلف ﴿لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١﴾ يعلمون ذلك ما تخلفوا[2].

٨٢- ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا﴾ في الدنيا ﴿وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا﴾ في الآخرة ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢﴾ خبر عن حالهم بصيغة الأمر[3].

٨٣- ﴿فَإِن رَّجَعَكَ﴾ ردك ﴿ٱللَّهُ﴾ من تبوك ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾ ممن تخلف بالمدينة من المنافقين[4] ﴿فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ﴾ معك إلى غزوة أخرى ﴿فَقُل﴾

---

(١) قوله: (فالأولى). بيان لما دل عليه قوله تعالى: ﴿قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ﴾. وقد صح في الحديث المتفق عليه من رواية أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**نار بني آدم التي توقدونها جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم...**». الحديث. [«فتح الباري» (٦/ ٣٨٠)، مسلم (٤/ ٢١٨٤)]. أعاذنا الله منها.

(٢) قوله: (ما تخلفوا). قدره ليكون جوابًا لـ﴿لَّوۡ﴾.

(٣) قوله: (خبر بصيغة الأمر). أي: قوله تعالى: ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ...﴾ بصيغة الأمر، ولكن المراد به الخبر، وليس الأمر. فالمعنى: يضحكون قليلًا في الدنيا وسيبكون كثيرًا في الآخرة. روى ابن جرير نحوًا من هذا المعنى عن ابن عباس وأبي رزين والحسن وغيرهم، قال أبو رزين: «يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: الدنيا قليل، فليضحكوا فيها ما شاؤوا، فإذا صاروا إلى الآخرة بكوا بكاءً لا ينقطع» فذلك الكثير.

تنبيه: في هذه الآية ما يسمى بالمقابلة في علم البديع، وهي ذكر لفظين فأكثر ثم ذكر ما يقابلهما على الترتيب، فههنا ذكر الضحك والقليل ثم البكاء والكثير. والله أعلم.

(٤) قوله: (ممن تخلف بالمدينة). قال قتادة: «ذُكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلًا من المنافقين».

هم ﴿لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ[١] فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ٨٣﴾ المتخلفين[٢] عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم.

٨٤- ولما صلّى النبي ﷺ[٣] على ابن أُبيّ نزل: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا

---

(١) قوله تعالى: ﴿أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾. أي: عند خروج النبي ﷺ إلى تبوك. أفاده ابن جرير. وهذا أي: منعهم عن الخروج مع النبي ﷺ في غزوة أخرى كان تعزيرًا لهم على تخلفهم عن غزوة تبوك. ذكره ابن كثير.

(٢) قوله: (المتخلفين...). وفيه تغليب الرجال حيث جمع بالياء والنون، وقال ابن عباس: «أي: الرجال الذين تخلفوا عن الغزوة...». اختاره ابن جرير؛ لأن صيغة الجمع بالواو والنون، أو الياء والنون للذكور.

(٣) قوله: (ولما صلّى النبي ﷺ...). ما رواه من سبب النزول رواه البخاري في «صحيحه» عن ابن عمر، ونقله المفسرون. قال ابن عمر: «لما توفي عبدالله بن أُبي جاء ابنه عبدالله بن عبدالله إلى رسول الله ﷺ، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر، فأخذ بثوب رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، تصلي وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إنما خيرني الله فقال:** ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٨٠]، **وسأزيد على السبعين**». قال: إنه منافق، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ آية: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ﴾».اهـ. [(١٣٠٠)].
وفي هذا الحديث فوائد منها: شدة رحمته ﷺ وحرصه على نجاة أمته، وسعيه لذلك، حيث زاد الاستغفار على العدد المذكور.
ومنها: حرصه ﷺ على مكافأة من أحسن إليه؛ لأن ابن أبي كان ألبس قميصًا للعباس بن عبدالمطلب لما أسر يوم بدر.
ومنها: حرص أمير المؤمنين عمر في تحصيل العلم واستفسار ما أشكل.
ومنها: فضل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حيث نزل القرآن موافقًا لما كان يراه. =

﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ لدفن أو زيارة ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ كافرون.

﴿٨٥﴾- ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ[1] أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

﴿٨٦﴾- ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ أي: طائفة من القرآن[2] ﴿أَنْ﴾ أي: بأن[3] ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ﴾ ذوو الغنى[4] ﴿مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

﴿٨٧﴾- ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ جمع خالفة، أي: النساء[5] اللاتي تخلفن في البيوت ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ الخير.

= ومنها: أن هذه الآية مثال لنسخ القرآن بالقرآن؛ لأن التخيير نسخ بهذه الآية.
ومنها: العمل بالنصوص ما لم يثبت له ناسخ، وغير ذلك من الفوائد.

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ...﴾ الآية. قد تقدم نظير هذه الآية الرقم (٥٥). ولكن كان هناك ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ﴾ بالفاء و﴿لَآ﴾ مع المعطوف، وهٰهنا بالواو بدون لا؛ لأن ما تقدم كان لها ارتباط بما قبلها فناسب الفاء، و﴿لَآ﴾ هناك مؤكدة للنفي، فيكون ذلك آكد مما هنا. وكل ذلك رعاية المقام المناسب. والله أعلم.

(٢) قوله: (طائفة من القرآن). أي: سواء كانت سورة كاملة أو بعضها، وهذا أحد الوجهين ذكرهما البيضاوي. والوجه الثاني: السورة الكاملة.

(٣) قوله: (بأن). على هذا تكون ﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة، ويحتمل كونها تفسيرية. كما ذكر الوجهين البيضاوي.

(٤) وقوله: (ذوو الغنى). كذا فسره ابن عباس.

(٥) قوله: (أي: النساء). كذا ورد التفسير عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك، وغيرهم.

﴿٨٨﴾- ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾[1] في الدنيا والآخرة[2] ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾ أي: الفائزون.

﴿٨٩﴾- ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾.

﴿٩٠﴾- ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ بإدغام[3] التاء في الأصل في الذال، أي: المعتذرون بمعنى المعذورين[4]، وقرئ به[5] ﴿مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ إلى النبي ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في القعود لعذرهم فأذن لهم[6]، ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ[7] كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ﴾ في ادعاء

---

(١) قوله تعالى: ﴿ٱلْخَيْرَٰتُ﴾. جمع خيْرة، تخفيف خيّرة، كما في البيضاوي.

(٢) وقوله: (في الدنيا والآخرة). كذا فسره البيضاوي، قال: «منافع الدارين، النصر والغنيمة في الدنيا، والجنة والكرامة في الآخرة». ونقل القرطبي عن الحسن: «النساء الحسان، كما قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الرحمن: ٧٠]». وقال ابن كثير: «أي في الدار الآخرة في جنات الفردوس والدرجات العلا».

(٣) قوله: (بإدغام...). فأصله: المعتذرون، أدغمت التاء في الذال.

(٤) قوله: (بمعنى: المعذورين). أي: هم أصحاب عذرٍ.

(٥) قوله: (وقرئ به). أي: بـ﴿مُعْتَذِرُونَ﴾ وهي شاذة.

فائدة: يقال: اعتذر: أي: طلب قبول العذر. وعذَر: أي: قبل العذر. وأعذر أي: أزال العذر وجعل بحيث لا عذر، وعذّر: قدّم عذرًا كاذبًا. أي: اعتذر ولا عذر له.

(٦) قوله: (فأذن لهم). ظاهر كلام المفسر أن هؤلاء كانوا أصحاب عذرٍ حقيقة، وهم من أحياء العرب حول المدينة، كما ذكره ابن كثير.

(٧) وأما قوله تعالى: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ ...﴾. فهؤلاء فرقة أخرى منهم لم يأتوا معتذرين، بل قعدوا، فهم مذمومون، فتكون الآية بينت طائفتين من الأعراب، الأولى معذورة، =

الإيمان من منافقي الأعراب، عن المجيء[١] للاعتذار ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾.

﴿٩١﴾- ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾[٢] كالشيوخ ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ كالعُمْي والزَّمْني ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ أي: في الجهاد ﴿حَرَجٌ﴾ إثم في التخلف عنه ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في حال قعودهم بعدم الإرجاف[٣] والتثبيط والطاعة[٤] ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٥] بذلك ﴿مِن سَبِيلٍ﴾ طريق بالمؤاخذة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ بهم في التوسعة على ذلك.

= والأخرى مذمومة. ورجح ذلك ابن كثير، ونقل عن ابن عباس: «﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ وهم أهل العذر». ونقل القرطبي أنهم رهط عامر بن الطفيل.

ولكن نقل ابن كثير عن مجاهد والحسن وقتادة وغيرهم: «أن ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ هم قوم اعتذروا فلم يعذرهم الله». وعن مجاهد: «إنهم قوم من بني غفار»، وعلى هذا فكلتا الطائفتين مذمومة، من جاء واعتذر، ومن قعد ولم يحضر. ومشى على هذا الصاوي. والله أعلم.

(١) قوله: (عن المجيء). متعلق بـ﴿قَعَدَ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾. بين الله تعالى الأعذار التي جاز معها القعود عن الجهاد، فمنها ما هو لازم للشخص كالضعف بالكبر أو غيره، ومنها ما هو عارض بسبب المرض أو الفقر.

(٣) قوله: (بعدم الإرجاف). تصوير للنصح. وذلك بأن لا يرجف ولا يثبط الناس عن الجهاد.

(٤) قوله: (والطاعة). معطوف على (عدم الإرجاف). أي: وبالطاعة لله وللرسول.

(٥) وقوله تعالى: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾. جعل قاعدة فقهية تتفرع عنها مسائل فقهية. كقولهم: المودَعُ يقبل قوله في تلف الوديعة وردّها؛ لأنه محسن وما على المحسنين من سبيل. وغير ذلك.

﴿٩٢﴾- ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ﴾[١] إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ معك إلى الغزو، وهم سبعة من الأنصار[٢]، وقيل: بنو مقرن[٣] ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ حال[٤] ﴿تَوَلَّوا۟﴾ جواب «إذا»، أي: انصرفوا ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾ تسيل ﴿مِنَ﴾ للبيان[٥] ﴿ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾ لأجل ﴿أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ في الجهاد.

❁❁❁

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ﴾ معطوف على ﴿ٱلضُّعَفَآءِ﴾ أو على ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. قاله البيضاوي.

(٢) قوله: (وهم سبعة من الأنصار). سماهم البيضاوي: وهم معقل بن يسار، وصخر بن خنساء، وعبدالله بن كعب، وسالم بن عمير، وثعلبة بن غنمة، وعبدالله بن مغفل، وعلية بن زيد. وذكرهم القرطبي أيضًا مع اختلاف في بعض الأسماء.
روى ابن جرير عن ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه فجاءته عصابة من أصحابه فيهم عبدالله بن مغفل المزني...».

(٣) قوله: (وقيل: بنو مقرن). روى عن مجاهد قال: «هم بنو مقرن من مزينة».

(٤) قوله: (حال). يعني: أن جملة ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ﴾ في محل نصب حال من الكاف في ﴿أَتَوْكَ﴾. وعلى هذا يقدّر قبلها «قد». كما قال البيضاوي؛ لأن الجملة المبدوءة بالماضي إذا وقت حالًا وجب فيها «قد» لفظًا أو تقديرًا.
فائدة: «ما» بعد «إذا» تكون زائدة مؤكدة، لأن «إذا» تجب إضافتها إلى الجملة فلا يمكن جعل «ما» موصولة أو مصدرية -مثلًا- لئلا يصير المضاف إليه مفردًا. قد نبهنا على ذلك في تفسير آية الدين من آخر سورة البقرة.

(٥) قوله: (للبيان). أي: ﴿مِنَ﴾ هنا بيانية، وهي مع المجرور في محل نصب تمييز، أي: تسيل دمعًا. كما أفاده البيضاوي.
و﴿حَزَنًا﴾: مفعول لأجله لـ﴿تَفِيضُ﴾ أو حال، و﴿أَلَّا يَجِدُوا۟﴾ المصدر المؤول مفعول لأجله لـ﴿حَزَنًا﴾. وتحتمل الآية غير ذلك من الإعراب.

الجزء (١١)

(٩٣)- ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ ﴾ في التخلف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٩٣﴾ تقدم مثله[1].

(٩٤)- ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التخلف[2] ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْۚ﴾ من الغزو ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ نصدقكم[3] ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْۚ﴾ أي: أخبرنا بأحوالكم ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: الله ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٩٤﴾ فيجازيكم عليه.

---

(١) قوله: (تقدم مثله). أي: ففي ذكره توكيد. وهنا صرح بفاعل ﴿طَبَعَ﴾، وأيضًا ذكر هنا ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٩٣﴾ وهناك ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ٨٧﴾. ومعناهما واحد. كما ذكره الصاوي.

فائدة: أفادت الآية السابقة نفي الإثم عن المعذورين، ثم أفادت السنة أن أصحاب الأعذار مأجورون، إذا كان العذر حبسهم، وهم مع المجاهدين بقلوبهم، وذلك كما في «الصحيحين» من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن بالمدينة أقوامًا ما قطعتم واديًا، ولا سرتم سيرًا إلا وهم معكم**»، قالوا: وهم بالمدينة؟ قال: «**نعم حبسهم العذر**».

وروى ابن أبي حاتم عن الحسن قال: قال رسول الله: «**لقد خلفتم بالمدينة أقوامًا ما أنفقتم من نفقة ولا قطعتم واديًا ولا نلتم من عدو نيلًا إلا وقد شركوكم في الأجر**»، ثم قرأ: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ الآية». اهـ. نقله ابن كثير. فيكون ذلك من باب تقييد القرآن بالسنة، والله أعلم.

(٢) قوله: (في التخلف). أي: عن الغزوة، غزوة تبوك.

(٣) قوله: (نصدقكم). أي: لا نقبل قولكم، وقد ذكرنا في تفسير آية (٦١) من هذه السورة أن ﴿ءَامَنَ﴾ إذا تعدى باللام يكون معناه: قبل القول.

(٩٥) - ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ﴾ رجعتم ﴿إِلَيْهِمْ﴾ من تبوك أنهم معذورون[١] في التخلف ﴿لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾ بترك المعاتبة[٢] ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ قذر لخبث باطنهم ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ[٣] جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ (٩٥)﴾.

(٩٦) - ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ (٩٦)﴾ أي: عنهم[٤]، ولا ينفع رضاكم مع سخط الله.

(٩٧) - ﴿ٱلْأَعْرَابُ﴾ أهل البدو[٥] ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهل المدن؛ لجفائهم وغلظ طباعهم وبُعْدهم عن سماع القرآن ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أولى ﴿أَ﴾نْ أي: بأن[٦] ﴿لَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ من الأحكام والشرائع ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾

---

(١) قوله: (أنهم معذورون). قدره ليفيد أنه المحلوف عليه. فهو محذوف إيجازًا.

(٢) قوله: (بترك المعاقبة). تصوير للإعراض.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ﴾. قال الجوهري: «المأوى كل مكان يأوي إليه الشيء ليلًا أو نهارًا».اهـ. وفعله: «أوى، يأوي».

(٤) قوله: (أي: عنهم). أشار به إلى أن هنا وضع الاسم الظاهر مكان الضمير، وذلك للتنصيص على فسقهم وللإشارة إلى أن ذلك سبب لسخط الله تعالى. والله أعلم.
ومعنى الفسق في اللغة: الخروج. وسُموا فسقة لخروجهم من الإيمان والطاعة. كما أشار له ابن جرير، وابن كثير.

(٥) قوله: (أهل البدو). تفسير لـ﴿ٱلْأَعْرَابُ﴾، وهو اسم جمع؛ لا جمعُ عَرَب. كما ذكره الصاوي. ويقال في مفرده: أعرابيٌّ.
أخبر الله تعالى في هذه الآيات الثلاث: أن في الأعراب كفارًا ومنافقين ومؤمنين، وأن كفرهم ونفاقهم أغلظ وأشد من غيره. ذكره ابن كثير.

(٦) قوله: (﴿أَ﴾نْ أي: بأن). قدره لأن «جَدَرَ» يتعدى بالباء. يقال: جدَر فلانٌ بكذا، يجدرُ فهو جدير. وحذف حرف الجر مع «أنْ» و«أنّ» مطرد.

بخلقه ﴿حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ في صنعه بهم.

﴿٩٨﴾- ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿مَغْرَمًا﴾ غرامة وخسرانًا؛ لأنه لا يرجو ثوابه بل ينفقه خوفًا، وهم بنو أسد وغطفان[1] ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾ ينتظر ﴿بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ دوائر الزمان أن تنقلب عليكم فيتخلص ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسُّوْءِ﴾ بالضم والفتح[2]، أي: يدور العذاب والهلاك عليهم لا عليكم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوال عباده ﴿عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ بأفعالهم.

﴿٩٩﴾- ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ كجهينة ومزينة[3] ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿قُرُبَٰتٍ﴾[4] تقربه ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَ﴾

---

(١) قوله: (وهم بنو أسد وغطفان). لعل مراد المفسر التمثيل. نقل المفسر في أسباب النزول عن الواحدي: «نزلت الآية (٩٧) في أعاريب من أسد وغطفان وأعاريب من أعراب حاضري المدينة».اهـ.

(٢) قوله: (بالضم والفتح). قراءتان: بالضم: ﴿ٱلسُّوْءِ﴾: قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، هنا وفي سورة الفتح. وبالفتح: ﴿ٱلسَّوْءِ﴾: قراءة الباقين. والفرق بينهما: أن ﴿ٱلسَّوْءِ﴾ بالفتح مصدر «ساء، يسوءُ»، فيكون معناه: الرداءة. وإضافة الدائرة إليه للمبالغة كما يقال: رجلُ صِدْقٍ. و«السُوء» بالضم: هو المكروه والبلاء، فمعنى: دائرة السوء: دائرة المكروه والبلاء. كما يعلم من البيضاوي والقرطبي وغيرهما.

(٣) قوله: (كجهينة ومزينة) روى ابن جرير عن عبدالله بن مغفل، قال: «كنا عشرة من وُلد مُقرِّن، فنزلت فينا: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ ...﴾... الآية». وبنحو ذلك روي عن مجاهد... ومقرِّن بطن من مزينة. كما في أثر مجاهد.

(٤) وقوله تعالى: ﴿قُرُبَٰتٍ﴾ بضم الراء، جمع: «قُرُبة» بضم الراء أو سكونها تخفيفًا: ما يتقرب به إلى الله. كما ذكره القرطبي وغيره.

وسيلة[١] إلى ﴿صَلَوَٰتِ﴾ دعوات[٢] ﴿ٱلرَّسُولِۚ﴾ له ﴿أَلَآ إِنَّهَا﴾ أي: نفقتهم ﴿قُرُبَةٌ﴾ بضم الراء وسكونها[٣] ﴿لَّهُمۡۚ﴾ عنده ﴿سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ﴾ جنته[٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَّحِيمٌ ٩٩﴾ بهم.

١٠٠- ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ وهم من شهد بدرًا[٥] أو جميع الصحابة[٦] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ إلى يوم القيامة[٧] ﴿بِإِحۡسَٰنٍ﴾[٨] في

---

(١) قوله: (﴿وَ﴾ وسيلة إلى) توضيح للمعنى. وهو في الظاهر معطوف على ﴿قُرُبَٰتٍ﴾ منصوب؛ لأن ﴿قُرُبَٰتٍ﴾ مفعول ثان لـ﴿يَتَّخِذُ﴾.

(٢) قوله: (دعوات) أشار به إلى أن الصلوات هنا بالمعنى اللغوي.

(٣) قوله: (بضم الراء وسكونها). الضم: قراءة ورش. والسكون: قراءة الباقين.

(٤) قوله: (جنته) على هذا يكون إطلاق «الرحمة» من المجاز المرسل، أطلق الحالّ وأريد المحلّ؛ لأن الجنة محل نزول الرحمة. مع أن الرحمة صفة من صفات الله تعالى. قال ابن جرير: «سيدخلهم الله فيمن رحمه فأدخله برحمته الجنة».اهـ.

(٥) قوله: (وهم من شهد بدرًا) هذا القول نسبه القرطبي إلى محمد بن كعب وعطاء بن يسار.

(٦) وقوله: (أو جميع الصحابة) قول ثانٍ في المراد بالسابقين الأولين، ولم أره معزوًّا. وعلى هذا يكون ﴿مِنَ﴾ بيانية. وعلى الأقوال الأخرى تكون تبعيضية.
وقال الشعبي: «هم من أدرك بيعة الرضوان، أي: بيعة الحديبية. وقال أبو موسى الأشعري وقتادة وسعيد بن المسيب: «هم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ».
ونقل ذلك كله ابن جرير.

(٧) قوله: (إلى يوم القيامة) على هذا يدخل في المدح كل مؤمن صالح إلى يوم القيامة. وظاهر كلام القرطبي أن المراد التابعيون.

(٨) وقوله تعالى: ﴿بِإِحۡسَٰنٍ﴾ أفاد أن الاتباع فيما صدر منهم من أفعالهم وأقوالهم، لا ما صدر عنهم من هفوات أو زلات، إذ لم يكونوا معصومين. ذكره القرطبي.

العمل ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ بثوابه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ وفي قراءة: بزيادة «مِن»[(١)]. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾.

١٠١- ﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم﴾ يا أهل المدينة[(٢)] ﴿مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ﴾ كأسلم[(٣)] وأشجع وغفار ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۖ﴾ منافقون أيضًا[(٤)] ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ لجّوا فيه واستمروا ﴿لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ[(٥)]﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ

---

(١) قوله: (وفي قراءة: بزيادة ﴿مِن﴾): أي: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا﴾ وهي قراءة ابن كثير. وقرأ الباقون: بدون «من» ﴿تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾. وهذا هو الموضع الوحيد الذي جاء فيه بدون «من». وأفاد المفسر بقوله: (بزيادة ﴿مِن﴾): أن «من» هنا وفي نظائرها زائدة، أي: زائدة إعرابًا ومؤكدة معنًى.

تنبيه: أفادت الآية فضل السابقين الأولين من الصحابة، وأن الله رضي عنهم، مما يدل على شناعة قول الرافضة من سب الصحابة ومعاداتهم. عياذًا بالله من ذلك.

(٢) قوله: (يا أهل المدينة) أفاد أن الخطاب معهم.

(٣) قوله: (كأسلم...) ذكرهم القرطبي وغيره، وزاد: مزينة وجهينة، أي: بعضهم؛ لأنه تقدم التمثيل بمزينة وجهينة لمؤمني الأعراب.

(٤) قوله: (منافقون أيضًا) أشار به إلى أن قوله: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۖ﴾ معطوف على ﴿مِّمَّنۡ حَوۡلَكُم﴾، ويمكن إعرابه خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره: منافقون. والجملة معطوفة على الجملة السابقة.

(٥) قوله تعالى: ﴿لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ﴾. قال ابن كثير: «هذا لا ينافي قوله تعالى: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ [محمد: ٣٠]؛ لأن ذلك من باب التوسم فيهم بصفات يعرفون بها، وهنا أنه لا يعلم جميع من عنده نفاق بالتعيين».اهـ. ملخصًا.

﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بالفضيحة[١] أو القتل في الدنيا وعذاب القبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ﴾ في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ۝١٠١﴾ هو النار.

١٠٢- ﴿وَ﴾ قوم[٢] ﴿ءَاخَرُونَ﴾ مبتدأ ﴿ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾ من التخلف[٣]، نعته[٤]، والخبر: ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ وهو جهادهم[٥] قبل ذلك أو اعترافهم بذنوبهم أو غير ذلك ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾[٦] وهو تخلفهم ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٠٢﴾. نزلت في أبي لبابة[٧]، وجماعة، أوثقوا أنفسهم في سواري المسجد لما

---

(١) قوله: (بالفضيحة...) أشار به إلى الاختلاف في المراد بالمرتين. روى ابن جرير عن أبي مالك: «فضيحتهم وعذاب القبر». وعن مجاهد: «الجوع والقتل، أو الجوع وعذاب القبر». وعن قتادة والحسن: «عذاب في الدنيا وعذاب في الآخرة».

(٢) قوله: (قوم) قدره ليفيد أن ﴿ءَاخَرُونَ﴾ نعت لمحذوف.

(٣) قوله: (من التخلف) بيان لذنوبهم.

(٤) وقوله: (نعته) أي: جملة ﴿ٱعْتَرَفُوا۟﴾ في محل رفع نعت لـ﴿ءَاخَرُونَ﴾ المبتدأ.

(٥) قوله: (وهو جهادهم...) تفسير لعملهم الصالح. وما ذكره المفسر من المراد به ذكره القرطبي وغيره. وأما المراد بقوله: ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ فهو تخلفهم. قال القرطبي: «باتفاقٍ».

(٦) قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾. قيل: الواو للمعية، وما بعده مفعول معه، وقيل: الواو بمعنى الباء.

(٧) قوله: (نزلت في أبي لبابة...) ما ذكره من سبب النزول رواه ابن جرير عن ابن عباس بسياق مفصل. ونقله ابن كثير: «قال ابن عباس: نزلت في أبي لبابة وجماعة من أصحابه تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فقال بعضهم: أبو لبابة وخمسة معه، وقيل: وسبعة معه، وقيل: وتسعة معه، فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوته ربطوا أنفسهم بسواري المسجد وحلفوا لا يحلهم إلا رسول الله ﷺ، فلما أنزل الله هذه الآية أطلقهم رسول الله وعفا عنهم».اهـ.

بلغهم ما نزل في المتخلفين، وحلفوا لا يحلُّهم إلا النبي ﷺ، فحلَّهم لما نزلت.

(١٠٣)- ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ من ذنوبهم، فأخذ ثلث أموالهم[(١)] وتصدق بها ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ادع لهم[(٢)] ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ﴾ رحمة[(٣)] ﴿لَّهُمْ﴾ وقيل: طمأنينة[(٤)] بقبول توبتهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣)﴾.

(١٠٤)- ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ﴾ يقبل ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ على عباده بقبول توبتهم ﴿ٱلرَّحِيمُ (١٠٤)﴾ بهم، والاستفهام للتقرير[(٥)]، والقصد به[(٦)] تهييجهم إلى التوبة والصدقة.

---

(١) قوله: (فأخذ ثلث أموالهم) نقل ذلك ابن جرير عن الزهري قال: «ثم قال أبو لبابة: يا رسول الله، إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن انخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال: «**يجزيك يا أبا لبابة الثلث**».اهـ. وفي رواية عن ابن عباس: «قال: جاؤوا بأموالهم -يعني أبا لبابة وأصحابه حين أطلقوا- فقالوا: يا رسول الله! هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا، فقال: «**ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئًا**»، فأنزل الله ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ...﴾».

(٢) قوله: (أي: ادع لهم) أفاد به أن الصلاة هنا بالمعنى اللغوي.

(٣) قوله: (ورحمة) تفسير لـ﴿سَكَنٌ﴾ روى ابن جرير ذلك عن ابن عباس.

(٤) وقوله: (طمأنينة) وروى نحوه عن قتادة: قال: وقار لهم.

تنبيه: جمهور المفسرين أن هذه الآية في الأخذ من أموال أبي لبابة وجماعته، وليست في الزكاة المفروضة. وقيل: بل في الزكاة المفروضة، وتمسك بهذه الآية مانعو الزكاة بشُبهة أن هذا الخطاب خاصّ بالنبي ﷺ، حتى أعلن الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الحرب عليهم. التفصيل في القرطبي.

(٥) قوله: (والاستفهام للتقرير) وذلك أن الهمزة للإنكار، و«لم» للنفي، ونفي النفي إثبات، فيكون المآل: التقرير. كما تقدم نظير ذلك.

(٦) قوله: (والقصد به...). وهكذا قال ابن كثير، قال: «وهذا تهييج إلى التوبة والصدقة اللتين كل منهما يحط الذنوب ويمحصها ويمحقها...».اهـ.

﴿١٠٥﴾- ﴿وَقُلِ﴾ لهم[1] أو للناس[2] ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾ ما شئتم ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: الله ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ فيجازيكم به.

﴿١٠٦﴾- ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ من المتخلفين ﴿مُرۡجَؤُونَ﴾ بالهمز وتركه[3]: مؤخرون عن التوبة ﴿لِأَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ فيهم بما يشاء ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ﴾ بأن يميتهم بلا توبة ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٞ ١٠٦﴾ في صنعه بهم. وهم الثلاثة[4] الآتون بعدُ[5]. مرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية، تخلفوا كسلًا

---

(١) قوله: (لهم) أي: للمتخلفين.

(٢) وقوله: (أو للناس) أي: المتخلفين وغيرهم. كما أشار إلى ذلك ما قاله مجاهد: «هذا وعيده».اهـ. يعني من الله تعالى للمخالفين أوامره... ذكره ابن كثير.

(٣) قوله: (بالهمز وتركه): قراءتان: بالهمزة: ﴿مُرۡجَؤُونَ﴾: اسم مفعول من «أرجأ»: قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة ويعقوب ومشى عليه المفسر. وبتركها: ﴿مُرۡجَوۡنَ﴾: اسم مفعول من «أرجَى»: قراءة الباقين، وهما لغتان، ومعناهما: «مؤخرون». كما قال المفسر.

(٤) قوله: (وهم الثلاثة...) قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، وغيرهم.

(٥) وقوله: (الآتون بعدُ) أي: في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ...﴾. وهم: مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية. ويرمز إلى أسمائهم بـ«مَكّه». فهؤلاء الثلاثة لم يربطوا أنفسهم على السواري كما فعل أبو لبابة وأصحابه، فأخّر توبتهم إلى خمسين ليلة حتى أنزل الله تعالى قوله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ...﴾ الآية. أما أبو لبابة وأصحابه الذين ربطوا أنفسهم على السواري فأنزلت توبتهم قبل توبة هؤلاء الثلاثة، كما ذكره ابن كثير. وفي رواية ابن جرير عن الزهري: «أن قبول توبة أبي لبابة وأصحابه كانت بعد سبعة أيام من ربطهم أنفسهم». وقصة توبة الثلاثة وردت مفصلة من رواية كعب في «الصحيح».

وميلًا إلى الدَّعة لا نفاقًا، ولم يعتذروا إلى النبي ﷺ كغيرهم، فوقف أمرهم خمسين ليلة، وهجرهم الناس، حتى نزلت توبتهم بعد.

(١٠٧)- ﴿وَ﴾ منهم[(١)] ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدًا﴾ وهم اثنا عشر من المنافقين[(٢)] ﴿ضِرَارًا﴾ مضارة لأهل مسجد قباء ﴿وَكُفۡرًا﴾ لأنهم بنوه بأمر أبي عامر

---

(١) قوله: (﴿وَ﴾ منهم). قدم الجار والمجرور ليفيد ان الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ خبره (منهم) المقدر. وهو أحد وجهين في الإعراب، والثاني: أنه معطوف على ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ﴾. ذكرهما البيضاوي.

وموضوع هذه الآية الكريمة أورده ابن كثير وغيره مفصلًا، وملخصه كما ذكره المفسّر: كان في المدينة رجل من الخزرج اسمه أبو عامر الراهب، كان تنصّر، وكان له مكانة في الخزرج، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وقوي المسلمون أظهر الحسد والعداوة، وكان جمع الكافرين ضد المسلمين يوم أحد، وكان رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام فأبى وتمرّد، فلما رأى قوة المسلمين وارتفاعهم ذهب إلى هرقل يستنصره على النبي ﷺ، وكتب إلى جماعة من حزبه المنافقين أنه سيأتي بجيش إلى المدينة يقاتل به رسول الله ﷺ، وأمرهم أن يتخذوا له معقلًا ومرصدًا بالمدينة، فشرع المنافقون ببناء مسجدٍ مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه، ليكون ذلك مقرًا لذلك اللعين، وسألوا رسول الله ﷺ أن يصلي لهم فيه، وقالوا: إنما اتخذوه لضعفاء المسلمين وأهل الأعذار، وكان ذلك قبل خروجه إلى تبوك، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إنا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله**»، فلما رجع من تبوك ولم يبق إلى المدينة يوم أو أقل نزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بخبر ذلك المسجد؛ فأرسل رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم ومعن بن عدي أو أخاه عاصم بن عدي وقال: «**انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرّقاه**»، ففعلا، ونهى الله تعالى أن يقوم رسول الله ﷺ فيه، وحثه على الصلاة في مسجد قباء الذي أسس من أول يوم على التقوى. اهـ ملخصًا من ابن كثير وابن جرير.

(٢) قوله: (وهم اثنا عشر من المنافقين) ذكره ابن جرير عن بعض السلف.

الراهب ليكون معقلًا له، يقدم فيه من يأتي من عنده(١)، وكان ذهب ليأتي بجنود من قيصر لقتال النبي ﷺ. ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين يُصَلّون بقباء، بصلاة بعضهم في مسجدهم(٢) ﴿وَإِرْصَادًا﴾ ترقبًا ﴿لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل بنائه، وهو أبو عامر المذكور(٣) ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَآ﴾ ببنائه ﴿إِلَّا﴾ الفعلة(٤) ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ من الرفق بالمسكين(٥) في المطر والحر والتوسعة على المسلمين ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ في ذلك.

﴿١٠٨﴾- وكانوا(٦) سألوا النبي ﷺ أن يصلي فيه، فنزل: ﴿لَا تَقُمْ﴾ تصل ﴿فِيهِ أَبَدًا﴾ فأرسل جماعة هدموه وحرّقوه، وجعلوا مكانه كناسة تلقى فيها الجيف(٧) ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾ بنيت قواعده ﴿عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وضع يوم حلَلْتَ بدار الهجرة، وهو مسجد قباء كما في البخاري(٨) ﴿أَحَقُّ﴾ منه ﴿أَن﴾ أي: بأن

---

(١) قوله: (يقدم فيه من يأتي من عنده)، أي: من قومه الآتين من الشام معه على ما كان متمناه.

(٢) قوله: (بصلاة بعضهم) تصوير للتفريق بين المؤمنين.

(٣) قوله: (وهو أبو عامر) أي: المراد بـ﴿لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ...﴾ أبو عامر الراهب.

(٤) قوله: (الفعلة)، قدره ليكون ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ نعتًا له.

(٥) قوله: (من الرفق) بيان للحسنى في زعمهم الفاسد.

(٦) قوله: (وكانوا...) تقدم ما ذكره من سبب النزول.

(٧) قوله: (وجعلوا مكانه كناسة...) ذكر نحوه ابن جرير في روايته عن ابن زيد.

(٨) قوله: (وهو مسجد قباء) أي: فالمراد بالمسجد الذي أسس على التقوى المذكور هنا هو مسجد قباء، هذا أحد القولين، وهو مروي عن ابن عباس وابن زيد وعروة وعطية وغيرهم، ومال إليه ابن كثير. لأن سياق الآية تقتضيه، وجاء في الحديث الصحيح: «**صلاة في مسجد قباء كعمرة**» [ابن ماجه (١/ ٤٥٢)، الترمذي (٣٢٤)]. وفي الحديث: =

﴿تَقُومَ﴾ تصلي ﴿فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ﴾[(١)] هم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾ أي: يثيبهم[(٢)]. وفيه إدغام التاء[(٣)] في الأصل في الطاء. روى ابن خزيمة في «صحيحه»[(٤)] عن عويمر بن ساعدة أنه ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال: «**إن الله تعلى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم، فما هذا الطهور الذي تطهرون به؟**»، قالوا: والله يا رسول الله ما نعلم شيئًا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود، وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط، فغسلنا كما

= أن رسول الله ﷺ لما بناه وأسسه أول قدومه ونزوله على بني عمرو بن عوف كان جبريل هو الذي عيّن له جهة القبلة. رواه أبو داود (٤٤)، والترمذي (٣١٠٠).

والقول الثاني: أن المراد به المسجد النبوي. روي عن ابن عمر وزيد بن ثابت وأبي سعيد، ورجحه ابن جرير. وقال ابن كثير: «لا منافاة بين القولين، فكلاهما أسس على التقوى».

وقوله: (كما في البخاري)، أشار به إلى ما رواه البخاري في «صحيحه» [٣٦٩٤]، في الحديث الطويل عن الهجرة، وفيه: «فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى...». وأي: وهو مسجد قباء. ففي الحديث وصف مسجد قباء بأنه الذي أسس على التقوى.

(١) قوله تعالى: ﴿فِيهِ فِيهِ﴾. ﴿فِيهِ﴾ الأول متعلق بـ﴿تَقُومَ﴾، والثاني خبر مقدم مبتدؤه: ﴿رِجَالٌ﴾، كما هو واضح.

(٢) قوله: (أي: يثيبهم) فيه تأويل صفة المحبة، كما تقدم مرارًا.

(٣) وقوله: (وفيه إدغام...) أي: في قوله: ﴿ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾. أصله: «المتطهّرين»، اسم فاعل «تطهّر».

(٤) قوله: (روى ابن خزيمة...)، وفي إسناده: شرحبيل بن سعد، وثقه ابن حبان، وضعفه ابن معين [(١/ ٤٥)].

غسلوا. وفي حديث رواه البزار: فقالوا: نتبع الحجارة بالماء[١]، فقال: «**هو ذاك فعليكموه**»[٢].

(١٠٩)- ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ﴾[٣] مخافة ﴿مِنَ ٱللَّهِ وَ﴾ رجاء ﴿رِضْوَٰنٍ﴾ منه ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا﴾ طرف ﴿جُرُفٍ﴾ بضم الراء وسكونها[٤] جانب ﴿هَارٍ﴾[٥] مشرف على السقوط ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾ سقط مع بانيه ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ خير[٦]، تمثيل[٧] للبناء على ضد التقوى بما يؤول إليه، والاستفهام

---

(١) قوله: (نتبع الحجارة بالماء) أي: يستنجون بالماء بعد المسح بالحجر.

(٢) وقوله ﷺ: «**فعليكموه**» أي: الزموه.

(٣) قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ﴾. الهمزة للاستفهام التقريري، كما ذكره المفسر. والفاء: استئنافية، و«من» اسم موصول مبتدأ، وخبره: ﴿خَيْرٌ﴾. و﴿أَم﴾ متصلة عاطفة، و﴿مَّنْ﴾ معطوفة على «من» الأولى.

(٤) قوله: (﴿جُرُفٍ﴾ بضم الراء وسكونها): قراءتان: بالسكون: ﴿جُرْفٍ﴾: قراءة ابن عامر وشعبة وحمزة وخلف. وبالضم: ﴿جُرُفٍ﴾: قراءة الباقين. وهما لغتان كالشُغُلِ والشُغْلِ. كما في القرطبي. وهو جانب الوادي الذي يحفره الماء.

(٥) قوله تعالى: ﴿هَارٍ﴾، اسم فاعل «هار، يهور» وأصله: هائر. فنقلت اللام مكان العين، فصار وزنه: «فالِع». كما يعلم من القرطبي.

(٦) قوله: (خَير) قدره ليكون خبرًا عن ﴿مَّنْ أَسَّسَ﴾ الثاني.

(٧) وقوله: (تمثيل...) ظاهر كلامه: أن قوله تعالى: ﴿مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ...﴾ على الاستعارة التمثيلية، وليس على الحقيقة. كما يعلم من البيضاوي. ولكن نقل ابن جرير، والقرطبي. عن جابر، وسعيد بن جبير وغيرهما: أنه على الحقيقة، قال أهل التفسير أنه كان يحفر ذلك الموضع الذي انهار فيخرج منه دخان، وعن جابر قال: «أنا رأيت الدخان يخرج منه على عهد رسول الله ﷺ». واستظهر هذا القول القرطبي.

للتقرير، أي: الأول خير، وهو مثال مسجد قباء، والثاني: مثال مسجد الضرار ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩﴾.

١١٠- ﴿لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ﴾ شكًّا[١] ﴿فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ﴾ تنفصل ﴿قُلُوبُهُمۡۗ﴾ بأن يموتوا[٢] ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ ١١٠﴾ في صنعه بهم.

١١١- ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم﴾ بأن يبذلوها في طاعته[٣] كالجهاد ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ﴾ جملة استئناف[٤] بيان للشراء، وفي قراءة[٥]: بتقديم المبني للمفعول، أي: فيقتل

---

(١) قوله: «شكًّا» روى كذلك عن ابن عباس وقتادة والضحاك.

(٢) قوله: (بأن يموتوا) روي كذلك عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم. والاستثناء (إلا أن تقطع) من محذوف، تقديره: لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم في كل وقتٍ أو كل حال إلا وقت أو حال تقطع قلوبهم. أفاده الصاوي. والله أعلم.

(٣) قوله: (بأن يبذلوها...) فيه إشارة إلى أن إطلاق البيع على ذلك نوع من الأسلوب المجازي. من باب الاستعارة، وأشار إليه البيضاوي. وكذا ابن كثير، حيث قال: يخبر تعالى أنه عاوض من عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم -إذا بذلوها في سبيله- بالجنة. اهـ.

(٤) قوله: (جملة استئناف) أي قوله تعالى: ﴿يُقَٰتِلُونَ ...﴾ جملة مستأنفة. والجملة المستأنفة عند النحاة: جملة ليس لها ارتباط إعرابي بما قبلها. وعند البلاغيين: جملة واقعة في جواب سؤال مقدر. وهنا تحتملها. قال البيضاوي: «استئناف ببيان ما لأجله الشراء»، أي: فيها بيان سبب الشراء، فتكون مستأنفة عند البلاغيين. وعلى كلا التقديرين لا تعطف على ما قبلها.

(٥) قوله: (وفي قراءة...) هذه قراءة حمزة، والكسائي، وخلف، والأخرى: ﴿فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ﴾ قراءة الباقين. وقول المفسر: (أي فيقتل بعضهم...) بيان للمراد على قراءة تقديم المبني للمفعول.

بعضهم ويقاتل الباقي ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف[١] ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ﴾ أي: لا أحد أوفى منه[٢] ﴿فَاسْتَبْشِرُوا﴾ فيه التفات عن الغيبة[٣] ﴿بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ﴾ البيع ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)﴾ المنيل غاية المطلوب.

(١١٢)- ﴿التَّائِبُونَ﴾ رفع على المدح، بتقدير مبتدأ[٤]، من الشرك[٥] والنفاق ﴿الْعَابِدُونَ﴾ المخلصون العبادة لله ﴿الْحَامِدُونَ﴾ له على كل حال[٦] ﴿السَّائِحُونَ﴾ الصائمون[٧] ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ أي: المصلون ﴿الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ[٨] وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ﴾

---

(١) قوله: (مصدران منصوبان...) أي فكل منهما مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: حق ذلك حقًا. وعد الله به وعدًا.

(٢) قوله: (أي: لا أحد...) أفاد به أن الاستفهام للإنكار.

(٣) قوله: (فيه التفات) أي: في قوله: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا﴾ التفات من الغيبة في قوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى الخطاب. وذلك واضح.

(٤) قوله: (رفع على المدح) هكذا قاله البيضاوي. فهو خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم التائبون، أو الممدوحون بما ذكر في الآية السابقة: ﴿التَّائِبُونَ﴾، ويحتمل غير ما ذكر من الإعراب.

(٥) وقوله: (من الشرك...) متعلق بـ﴿التَّائِبُونَ﴾.

(٦) وقوله: (﴿الْحَامِدُونَ﴾ له على كل حال) كذا قاله قتادة.

(٧) قوله: (الصائمون) روى هذا المعنى عن عائشة وعطاء وقتادة وغيرهم، وفسر به ابن كثير وغيره.

(٨) قوله تعالى: ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ عطف بالواو لإفادة أن المعطوف والمعطوف عليه -أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- كالصفة الواحدة. أفاده البيضاوي. ومن =

لأحكامه بالعمل بها ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ بالجنة.

﴿١١٣﴾- ونزل في استغفاره ﷺ[(١)] لعمه أبي طالب واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ﴾ ذوي قرابة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ النار، بأن ماتوا على الكفر.

﴿١١٤﴾- ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ بقوله: «سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ» [مريم: ٤٧]، رجاء أن يسلم. ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ بموته على الكفر[(٢)] ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ وترك الاستغفار له ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾

= النحاة من أثبت واو الثمانية، وجعل هذه الواو منها. وهي الواو التي تذكر في الكلمة الثامنة دون ما قبلها. كما هنا، وكما في قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾ [التحريم: ٥]. ذكر الواو في الكلمة الثامنة. والجمهور لم يثبتوها.

(١) قوله: (ونزل...) ما ذكره من سبب نزول هذه الآية من أنه في شأن استغفاره ﷺ لعمه أبي طالب رواه البخاري، ومسلم، ورواه ابن جرير وغيره، وملخصه: أنه لما حضر أبا طالب الوفاة أتاه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عمّ، قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله**»، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبدالمطلب.. حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم أنه على ملة عبدالمطلب، فقال رسول الله ﷺ: «**أما والله لأستغفر لك ما لم أنه عنك**»، فأنزل الله هذه الآية. [البخاري: «فتح الباري» (٨/ ١٩٨)، مسلم (١/ ٥٤)].

وأما استغفار بعض المؤمنين لأبويهم، فهذا رواه ابن جرير عن ابن عباس: أنهم كانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية، وبنحو من ذلك روى عن قتادة. وفي رواية عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت لما أراد رسول الله ﷺ أن يستغفر لأمه.

(٢) قوله: (بموته على الكفر) كذا قال ابن عباس: «ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات، =

كثير التضرع والدعاء[١] ﴿حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ صبور على الأذى.

﴿١١٥﴾[٢]- ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾ للإسلام ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ من العمل، فلا يتقوه فيستحقوا الإضلال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ ومنه مستحق الإضلال والهداية.

﴿١١٦﴾[٣]- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم﴾ أيها الناس ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ يحفظكم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾ يمنعكم من ضرره.

﴿١١٧﴾- ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ﴾ أي: أدام توبته[٤] ﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ

= فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه»، وفي رواية: «لما مات تبين له أنه عدو لله...»، وكذا قاله مجاهد والضحاك وقتادة وغيرهم. نقله ابن كثير.

(١) قوله: (كثير التضرع والدعاء): روى ابن جرير عن ابن مسعود: «الأواه: الدعَّاءُ»، أي: كثير الدعاء، وعنه أيضًا: «الرحيم»، وعن ابن عباس: «الموقن»، وعنه أيضًا: «المؤمن، بالحبشية». وروي مرفوعًا عن شداد بن أوس: قال رسول الله ﷺ: «**الأواه: الخاشع المتضرّع**».

(٢) قال ابن جرير في معنى الآية ما حاصله: لا يقضي الله تعالى في استغفاركم للمشركين بأنه ضلال قبل النهي عن ذلك؛ لأن الطاعة والمعصية تكونان بعد ورود الأمر والنهي. وقال ابن كثير: «إنه لا يضل قومًا إلا بعد إبلاغ الرسالة إليهم حتى يكونوا قد قامت عليهم الحجة».اهـ. وكلام المفسر يوافق ما ذكره ابن كثير.

(٣) قال ابن جرير في معنى الآية: «هذا حض من الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين على قتال كل من كفر به من المماليك وإغراء منه لهم بحربهم».اهـ.

(٤) قوله: (أدام توبته) فسر به؛ لأن النبي ﷺ معصوم لا يصدر منه ذنب، والمهاجرون والأنصار لم يذنبوا، فمعنى هذه التوبة إدامة حالهم على النقاء من الذنب. وعن ابن عباس: «كانت توبته على النبي في إذنه في تخلف المتخلفين، وعلى المؤمنين: من ميل قلوب بعضهم إلى =

﴿وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ﴾ أي: وقتها[١]، وهي حالهم في غزوة تبوك[٢]، كان الرجلان[٣] يقتسمان تمرة، والعشرة يعتقبون البعير الواحد، واشتد الحر حتى شربوا الفرث ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ تَزِيغُ﴾ بالتاء والياء[٤]: تميل ﴿قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾ من اتباعه إلى التخلف لما هم فيه من الشدة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ بالثبات ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧﴾.

= التخلف لشدة الحر والعسرة»، وقيل: ذكر النبي ﷺ تشريفًا لهم، ولأنه سبب قبول توبتهم. أشار إلى هذه التأويلات المفسرون، كالقرطبي والبيضاوي والصاوي.

(١) قوله: (أي: وقتها) أفاد به أن المراد بالساعة الوقت والزمن، لا الساعة التي هي مقدار محدد من الوقت.

(٢) وقوله: (وهي حالهم في غزوة تبوك...) كما ذكره مجاهد وغير واحد من السلف: أن هذه الآية نزلت في شأن غزوة تبوك.

(٣) وقوله: (كان الرجلان...) بيان لبعض ما أصابهم من العسرة، وما ذكره من الأمور مروي عن قتادة وابن عباس وغيرهم. رواه ابن جرير. وفي روايته عن مجاهد: «أن الرجلين كان يشقان التمرة الواحدة بينهما، وأنهم ليمصون التمرة الواحدة ويشربون عليها الماء». وفي روايته عن ابن عباس، قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك مع قيظ شديد.... وفيه: حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه.اهـ. والفرث: السرجين، أي: الروث ما دام في الكرش. وفيه: قال أبو بكر: يا رسول الله، إن الله قد عوّدك في الدعاء خيرًا فادع لنا، قال: «**تحب ذلك**»، قال: نعم، فرفع يديه، فلم يرجعهما حتى مالت السماء، فأظلت ثم سكبت فملئوا ما معهم، ثم رجعنا ننظر فلم نجدها، جاوزت العسكر».اهـ. وفي روايته عن عبدالله بن محمد بن عقيل: «خرجوا في غزوة تبوك الرجلان والثلاثة على بعير...».

(٤) قوله: (بالتاء والياء) قراءتان: بالياء: قراءة حفص وحمزة. وبالتاء: قراءة الباقين.

﴿١١٨﴾- ﴿وَ﴾ تاب ﴿عَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ عن التوبة عليهم(١) بقرينة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ(٢)﴾ أي: مع رحبها، أي: سعتها، فلا يجدون مكانًا يطمئنون إليه ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ قلوبهم للغم والوحشة بتأخير توبتهم، فلا يسعها سرور ولا أنس ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ أيقنوا ﴿أَن﴾ مخففة(٣) ﴿لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ وفقهم للتوبة(٤) ﴿لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾.

﴿١١٩﴾- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بترك معاصيه ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ في الإيمان والعهود(٥) بأن تلزموا الصدق(٦).

---

(١) قوله: (عن التوبة عليهم) كذا قاله قتادة وعكرمة. والثلاثة هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة. كما تقدم، وكما سبق أن ذكرنا أنه يرمز إلى أسمائهم بـ«مكه». وقصة تخلفهم والتوبة عليهم مروية في «الصحيحين» مفصلة نقلها ابن كثير وغيره، وهي مشهورة.

(٢) قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ ...﴾، ﴿حَتَّىٰٓ﴾: ابتدائية، و﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية، وجوابها محذوف، تقديره: تاب عليهم. دل على ذلك قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾. وقيل: ﴿إِذَا﴾: زائدة مؤكدة، أو هي شرطية، و﴿ثُمَّ﴾: زائدة. والله أعلم.

(٣) قوله: (﴿أَن﴾ مخففة). أي: واسمها ضمير الشأن محذوف، وجملة ﴿لَّا مَلۡجَأَ...﴾ في محل رفع خبر. وتكون «أنْ» مخففة إذا سبقت بما دل على يقين كثيرًا، أو ظن قليلًا. كما فصله النحاة. ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ هنا بمعنى: أيقنوا. كما فسره البيضاوي: «علموا».

(٤) قوله: (وفقهم للتوبة). قدره ليناسب ما بعده، أي: ليتوبوا. وهذا أحد الأوجه في معنى الآية ذكرها البيضاوي.

(٥) قوله: (في الإيمان). بكسر الهمزة. قال القرطبي: «هذا الأمر بالكون مع أهل الصدق حَسُنَ بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق».اهـ.

(٦) وقوله: (بأن تلزموا الصدق). كما في «الصحيحين» من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى** =

١٢٠- ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ﴾[(١)] ﴿أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ إذا غزا ﴿وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ بأن يصونوها[(٢)] عما رضيه لنفسه من الشدائد، وهو نهي بلفظ الخبر[(٣)] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: النهي عن التخلف ﴿بِأَنَّهُمۡ﴾ بسبب أنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ﴾ عطش ﴿وَلَا نَصَبٞ﴾ تعب ﴿وَلَا مَخۡمَصَةٞ﴾ جوع ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا﴾ مصدر بمعنى: وطءًا[(٤)] ﴿يَغِيظُ﴾ يغضب ﴿ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ﴾ لله ﴿نَّيۡلًا﴾ قتلًا أو أسرًا أو نهبًا ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ﴾ ليجازوا عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠﴾ أي: أجرهم[(٥)]، بل يثيبهم[(٦)].

= الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يذكب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا».اهـ. [«فتح الباري» (١٠/ ٥٢٣)، ومسلم (٤/ ٢٠١٢)].

(١) قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ﴾. كمزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم، كما في القرطبي. قال ابن كثير وغيره: «هذه معاتبة من الله على المتخلفين عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك».اهـ.

(٢) قوله: (بأن يصونوها). أي: يصونوا ويحفظوا أنفسهم عما رضي رسول الله ﷺ لنفسه من الشدائد والعسر. كما وقعت لهم في غزوة تبوك.

(٣) قوله: (وهو نهي...). أي: قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ...﴾ هذه جملة خبرية، والمراد بها النهي. ذكره القرطبي وغيره.

(٤) قوله: (مصدر بمعنى: وطءًا). أي: الموطئ: مصدر ميميّ. وهو مفعول مطلق.

(٥) قوله: (أي: أجرهم). أشار به إلى أن ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠﴾ من وضع الظاهر موضع الضمير.

(٦) وقوله: (بل يثيبهم). أي: فهؤلاء المتخلفون نقصوا أنفسهم من الأجر العظيم. كما أشار له ابن كثير.

(١٢١)- ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾ فيه(١) ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ ولو تمرة ﴿وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ بالسير ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ ذلك ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ أي: جزاءه.

(١٢٢)- ولما وبِّخوا(٢) على التخلف وأرسل النبي ﷺ سريّة نفروا جميعًا، فنزل ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟﴾ إلى الغزو ﴿كَآفَّةً فَلَوْلَا﴾ فهلا(٣) ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ قبيلة(٤) ﴿مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ جماعة(٥) ومكث الباقون(٦) ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟﴾

---

(١) قوله: (فيه). أي: في سبيل الله.

(٢) قوله: (ولما وبخوا...). ما ذكره من سبب النزول نقل قريبًا منه في أسباب النزول من رواية ابن أبي حاتم عن عبدالله بن عبيد بن عمير قال: «كان المؤمنون لحرصهم على الجهاد إذا بعث رسول الله ﷺ سرية خرجوا فيها، وتركوا النبي ﷺ بالمدينة في رقة من الناس؛ فنزلت».

(٣) قوله: (فهلا). أفاد أن ﴿لَوْلَا﴾ هنا تحضيضية، وليست امتناعية؛ لأن الامتناعية تختص بالجملة الاسمية، كما أن التحضيضية تختص بالجملة الفعلية.

(٤) قوله: (قبيلة). وبنحوه فسره ابن زيد فيما رواه عنه ابن جرير، قال: «فلولا نفر من كل حي وقبيلة طائفة».

(٥) قوله: (جماعة). تفسير للمراد بالـ﴿طَآئِفَةٌ﴾، كما فسرها ابن عباس، بقوله: «عصبة»، قال القرطبي: «والطائفة في اللغة: الجماعة، وتقع على أقل حتى للرجلين وللواحد».اهـ.

(٦) وقوله: (ومكث الباقون). قدره ليرجع إليه الضمير في ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟﴾. وحاصل ما ذكره المفسر من تفسير الآية: ما ينبغي خروج جميع المؤمنين للغزو؛ بل ينبغي أن يمكث طائفة مع رسول الله، حتى يتعلموا ما ينزل من الوحي والأحكام فيعلمونها للطائفة النافرة إذا رجعت. فيكون الضمير في ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟﴾ و﴿وَلِيُنذِرُوا۟﴾ إلى الطائفة الماكثة، والضمير في ﴿رَجَعُوٓا۟﴾ إلى النافرة. وهذا المعنى مروي عن ابن عباس وابن زيد وغيرهما. وعن =

أي: الماكثون ﴿فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾ من الغزو بتعليمهم ما تعلموه من الأحكام ﴿لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢﴾ عقاب الله بامتثال أمره ونهيه، قال ابن عباس: «فهذه مخصوصة بالسرايا»[١]، والتي قبلها بالنهي عن تخلف واحد فيما إذا خرج النبي ﷺ.

١٢٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ أي: الأقرب فالأقرب منهم[٢]، ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ﴾ شدة، أي: اغلظوا عليهم[٣] ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣﴾ بالعون والنصر.

١٢٤- ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ﴾[٤] من القرآن ﴿فَمِنۡهُم﴾ أي: المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾

= الحسن: «﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ﴾ أي: الطائفة النافرة، يعلموا ما يشاهدون من نصر الله لهم على عدوهم، فيخبروا بذلك قومهم ويحذروهم إذا رجعوا إليهم». واختاره ابن جرير.

(١) قوله: (فهذه مخصوصة...). يعني: الآية السابقة، ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ...﴾ دلت على وجوب الخروج مع الرسول ﷺ على كل مؤمن غير ذي عذر. وهذه الآية دلت على وجوب مكث طائفة معه ﷺ إذا لم يخرج للجهاد. قال ابن جرير: «وجوب الخروج مع الرسول ﷺ مخصوص أيضًا إذا كان النفير عامًا كما في غزوة تبوك، وأما التخلف عنه في حال استغنائه فلم يكن محظورًا...».اهـ.

(٢) قوله: (الأقرب فالأقرب...). هكذا فسره عامة المفسرين. قال ابن كثير: «ولذا بدأ رسول الله ﷺ بقتال المشركين ففتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمن واليمامة وخيبر وغير ذلك، فشرع في قتال أهل الكتاب فتجهز لقتال الروم. ثم أكمل بعده ﷺ خلفاؤه الراشدون، ففتح الله على أيديهم البلاد، ودخل الناس في دين الله أفواجًا.اهـ. ملخصًا.

(٣) قوله: (أي: اغلظوا). أفاد أن هذا الأمر متوجه إلى المؤمنين باعتبار المعنى وإن كان اللفظ أمرًا للكفار.

(٤) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ﴾. ﴿مَآ﴾ مؤكدة، ويقال فيها: زائدة للتوكيد، وكذلك كل «ما» بعد «إذا» تكون زائدة للتوكيد . كما تقدم.

لأصحابه استهزاءً[١] ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ تصديقًا[٢]، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ لتصديقهم بها ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ١٢٤﴾ يفرحون بها.

١٢٥- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد[٣] ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ كفرًا إلى كفرهم[٤]، لكفرهم بها ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ١٢٥﴾.

١٢٦- ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ بالياء[٥]: أي: المنافقون، وبالتاء: أيها المؤمنون ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يبتلون ﴿فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بالقحط والأمراض[٦]

---

(١) قوله: (استهزاء). كذا فسره البيضاوي. أي: سؤالهم ذلك كان على سبيل الاستهزاء والسخرية.

(٢) قوله: (تصديقًا) كذا فسره ابن عباس، ورواه ابن جرير، قال: «فزادهم الله إيمانًا وتصديقًا، وكانوا يستبشرون».اهـ.

قال ابن جرير ما حاصله: «أن زيادة التصديق تحصل باعتبار أنه قبل نزول الآيات كان إيمانهم بها إجمالًا، أي: أن كل ما أنزل على الرسول حق، فكلما نزلت آية صدقوا بها بعينها، فزاد بذلك إيمانهم». وهذه الآية مما استدل بها أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، خلافًا للمرجئة. ذكر ذلك ابن كثير وغيره.

(٣) قوله: (ضعف اعتقاد). على هذا يكون إطلاق المرض من باب الاستعارة، كما تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾.

(٤) قوله: (كفرًا إلى كفرهم). بنحوه فسره القرطبي. قال: «شكًّا إلى شكهم، وكفرًا إلى كفرهم».

(٥) قوله: (بالياء...). قراءتان: بالتاء: ﴿تَرَوْنَ﴾: قراءة حمزة ويعقوب: خطابًا للمؤمنين. وبالياء: ﴿يَرَوْنَ﴾: قراءة الباقين. والضمير للمنافقين.

(٦) قوله: (بالقحط والأمراض). روي عن مجاهد: «بالقحط والشدة، وبالسنة والجوع»، وعن عطية: «بالأمراض والأوجاع»، وعن قتادة: «بالغزو والجهاد». وقيل غير ذلك. ويرى ابن جرير كون المعنى أعم من ذلك، أي: بما يكون زاجرًا لهم ثم لا ينزجرون، ولا يتعظون.اهـ.

﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ من نفاقهم ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦﴾ يتعظون.

١٢٧- ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكرهم[1] وقرأها النبي ﷺ ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يريدون الهرب يقولون ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ إذا قمتم، فإن لم يرهم أحد قاموا، وإلا ثبتوا ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ۚ﴾ على كفرهم ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾[2] عن الهدى ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ١٢٧﴾ الحق لعدم تدبرهم.

١٢٨- ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: منكم محمد ﷺ[3] ﴿عَزِيزٌ﴾ شديد ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: عنتكم[4]، أي: مشقتكم ولقاؤكم المكروه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أن تهتدوا ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾ شديد

---

(١) قوله: (فيها ذكرهم). أي: في تلك السورة ذكر المنافقين بالذم، كما قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: وإذا ما أنزلت سورة من القرآن فيها عيب هؤلاء المنافقين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هذه السورة نظر بعضهم إلى بعض...، فانصرفوا من عند رسول الله ﷺ، ولم يستمعوا قراءة السورة التي فيها معايبهم».

(٢) قوله تعالى: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾. ظاهر كلام المفسر أنها جملة خبرية، أي: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صرف قلوبهم عن الهدى. كما هو ظاهر ابن جرير وابن كثير وغيرهما. ويحتمل كونها جملة دعائية، كقوله تعالى: ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [التوبة: ٣٠]. أفاده القرطبي.

(٣) قوله: (منكم). أي: من جنسهم وعلى لغتهم. قاله ابن كثير.

(٤) قوله: (أي: عنتكم). أفاد به أن ﴿مَا﴾ في ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ مصدرية، والمصدر المؤول مبتدأ مرفوع، وخبره: ﴿عَزِيزٌ﴾. ويحتمل كون المصدر فاعلًا لـ﴿عَزِيزٌ﴾ وهو نعت لـ﴿رَسُولٌ﴾.

والخطاب في هذه الآية للعرب عند الجمهور، كما يدل على ذلك تفسير ابن كثير: أي من جنسهم وعلى لغتهم.

وقال الزجاج: «الخطاب لجميع العالم». نقله القرطبي.

الرحمة[١] ﴿رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ يريد لهم الخير[٢].

١٢٩- ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن الإيمان بك ﴿فَقُلۡ حَسۡبِيَ﴾ كافيّ[٣] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ﴾ به وثقت لا بغيره[٤] ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ﴾ الكرسي[٥] ﴿ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩﴾ خصه بالذكر[٦]؛ لأنه أعظم المخلوقات. وروى الحاكم[٧] في

---

(١) قوله: (شديد الرحمة). لأن الرؤوف: المبالغ في الرأفة والشفقة.

قال الحسين بن فضيل: «لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي محمد ﷺ؛ فإنه قال تعالى: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣]». نقله القرطبي.

(٢) قوله: (يريد لهم الخير). فيه تأويل صفة الرحمة.

(٣) قوله: (كافيّ). بتشديد الياء، الأولى لام الكلمة، مدغمة في الياء الثانية، وهي ياء المتكلم.

(٤) قوله: (به وثقت لا بغيره). معنى الحصر مستفاد من تقديم الجار والمجرور: ﴿عَلَيۡهِ﴾. لأن تقديم المعمول مما يفيد التخصيص، كما بين في علم البلاغة.

(٥) قوله: (الكرسي). تفسير ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾ بالكرسي جرى على القول باتحادهما، وهو قول مرجوح، والذي عليه الجمهور أن العرش أعظم من الكرسي. والعرش جسم عظيم سقف المخلوقات، وجميع الخلائق تحت العرش، كما ذكره ابن كثير وغيره.

(٦) قوله: (خصه بالذكر). أي: خص العرش بالذكر في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩﴾ مع أنه رب كل شيء؛ لأن العرش أعظم المخلوقات.

(٧) قوله: (وروى الحاكم...). وروى كذلك ابن جرير عن أبيّ من عدة طرق، أن آخر آية نزلت ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ ...﴾.

وعن سعيد بن جبير: «أن آخر آية نزلت قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ...﴾ [البقرة: ٢٨١]». قال القرطبي: «فيحتمل أن يكون قول أبيّ: أقرب القرآن بالسماء عهدًا بعد قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ...﴾، والله أعلم».اهـ. =

«المستدرك» عن أبي بن كعب: قال: «آخر آية نزلت ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ..﴾ إلى آخر السورة».

❁❁❁

= روى ابن جرير عن عبيد بن عمير، قال: «كان عمر رحمة الله عليه لا يثبت آية في المصحف حتى يشهد رجلان، فجاء رجل من الأنصار بهاتين الآيتين ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ ...﴾، فقال عمر: لا أسألك عليهما بينة أبدًا، كذا كان رسول الله ﷺ». وقال القرطبي: «وهذا الأنصاري هو خزيمة بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».اهـ.

١٠- سورة يونس

مكية[(١)] إلا ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ...﴾[(٢)] الآيتين أو الثلاث، أو ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ ...﴾ الآية، وآياتها مائة وتسع أو عشر آيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات[(٣)] ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى «من»[(٤)] ﴿ٱلْحَكِيمِ (١)﴾ المحكم[(٥)].

(٢)- ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة، استفهام إنكار، والجار والمجرور حال من قوله[(٦)]: ﴿عَجَبًا﴾ بالنصب: خبر «كَانَ»[(٧)]، وبالرفع: اسمها، والخبر -وهو اسمها على

---

(١) قوله: (مكية). كلها مكية في قول الحسن، وعكرمة، وعطاء، وجابر. وذكر في آخرها يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

(٢) قوله: (إلا ﴿فَإِن كُنتَ ...﴾. أي: كلها مكية إلا الآيتين، قول مقاتل. أو إلا ثلاث آيات، قول ابن عباس. أو إلا ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ ...﴾، قول الكلبي.
وقيل: نزل من أولها نحوٌ من أربعين آية بمكة، والباقي بالمدينة. نقل ذلك كله القرطبي.

(٣) قوله: (أي: هذه...). أي: فالإشارة بـ﴿تِلْكَ﴾ إلى القريب، وأتى بـ﴿تِلْكَ﴾ الموضوع للإشارة إلى البعيد؛ ليفيد التعظيم.

(٤) قوله: (والإضافة). أي: إضافة ﴿ءَايَٰتُ﴾ إلى ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾، بمعنى «من».
وتكون الإضافة بمعنى «من» إذا كان المضاف إليه جنسًا للمضاف؛ نحو: خاتم فضة.

(٥) قوله: (المحكم). أشار به إلى أن ﴿حَكِيمٌ﴾ فعيل، بمعنى: اسم المفعول، وتقدم معاني وزن «فعيل» في سورة البقرة الآية (٢٦٧).

(٦) قوله: (والجار والمجرور). يعني: ﴿لِلنَّاسِ﴾، حال من ﴿عَجَبًا﴾؛ لأن الجار والمجرور نعت لـ﴿عَجَبًا﴾ في المعنى، ونعت النكرة إذا قُدم أعرب حالًا.

(٧) قوله: (بالنصب). يشير إلى قراءتين: الأولى: بنصب ﴿عَجَبًا﴾ على أنه خبر ﴿كَانَ﴾. =

الأولى- ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾ أي: إيحاؤنا ﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿أَنْ﴾ مفسرة[(١)] ﴿أَنذِرِ﴾ خوف ﴿ٱلنَّاسَ﴾ الكافرين بالعذاب ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ﴾ بأن ﴿لَهُمْ قَدَمَ﴾ سلف ﴿صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْۗ﴾ أي: أجرًا حسنًا بما قدموه من الأعمال[(٢)] ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا﴾ القرآن المشتمل على ذلك ﴿لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾ بيّن، وفي قراءة: «لَسَٰحِرٌ»[(٣)]، والمشار إليه: النبي ﷺ.

۝٣- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا[(٤)]، أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثَمَّ شمس ولا قمر، ولو شاء لخلقهن في لَمْحَة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ﴾ استواء يليق به ﴿يُدَبِّرُ

= والثاني: بعكس ذلك، أي: برفع «عجب» اسم «كان»، والمصدر المؤول خبرها. لكن هذه قراءة شاذة، والأولى هي المتواترة. وكانت عادة المفسر الإشارة إلى الشذوذ بقوله: (قرئ)، وهنا خالف هذه العادة. وأشار البيضاوي إلى شذوذ هذه القراءة بقوله: (وقرئ).

(١) قوله: (مفسّرة). وهي المسبوقة بفعل فيها معنى القول دون حروفه: وهو هنا: ﴿أَوْحَيْنَآ﴾.

(٢) قوله: (أي: أجرًا حسنًا). هكذا ورد تفسير ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾، عن ابن عباس وغيره. قال البيضاوي: «سابقة ومنزلة رفيعة: سميت قدمًا؛ لأن السبق بها كما سميت النعمة يدًا».اهـ. أي: فهو نوع من المجاز المرسل من إطلاق الآلة وإرادة ذي الآلة، وإضافة ﴿قَدَمَ﴾ إلى ﴿صِدْقٍ﴾ إما من إضافة الموصوف إلى الصفة، أو إضافة الشيء إلى سببه، أي: ثواب من أجل الصدق في القول والنية، كما يعلم من البيضاوي، والله أعلم.

(٣) قوله: (وفي قراءة...). قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب: ﴿لَسِحْرٌ﴾. وقرأ الباقون: ﴿لَسَٰحِرٌ﴾: بصيغة اسم الفاعل، فالمشار إليه بـ﴿هَٰذَا﴾ النبي ﷺ.

(٤) قوله: (من أيام الدنيا). إلى آخره. قد تقدم تفسير مثل هذه الآية بشيء من التفصيل في الآية رقم (٥٤) من سورة الأعراف، فلا نعيد ذلك هنا. وفيها إثبات صفة الاستواء لله تعالى كما يليق به.

﴿ٱلۡأَمۡرَۖ﴾ بين الخلائق ﴿مَا مِن﴾ زائدة[١] ﴿شَفِيعٍ﴾ يشفع لأحد ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ﴾ ردًّا لقولهم إن الأصنام تشفع لهم ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الخالق المدبر ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ وحّدوه ﴿أَفَلَا تَذَّكَّرُونَ ٣﴾ بإدغام التاء في الأصل[٢] في الذال.

٤- ﴿إِلَيۡهِ﴾ تعالى ﴿مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ﴾[٣] ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ﴾ مصدران[٤] بفعلهما المقدر ﴿إِنَّهُۥ﴾ بالكسر استئنافًا[٥]، والفتح على تقدير اللام ﴿يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ أي: بدأه بالإنشاء[٦] ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بالبعث ﴿لِيَجۡزِيَ﴾ ليثيب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

---

(١) قوله: (زائدة). أي: إعرابًا ومؤكدة معنى، تؤكد عموم النفي.

(٢) قوله: (بإدغام التاء في الأصل). أي: فأصله: تتذكرون، وهذه قراءة الجمهور.

وقرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: بتخفيف الذال: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: بحذف إحدى التاءين.

(٣) قوله تعالى: ﴿جَمِيعٗاۖ﴾. حال من ضمير المخاطبين، وهذا الضمير مضاف إليه، والمضاف إليه لا يكون صاحب حال إلا في ثلاثة مواضع؛ وهذا الموضع أحدها. وهو كون المضاف عاملًا في الحال. وهو هنا «مرجع»، والموضعان الآخران كون المضاف جزءًا للمضاف إليه نحو: ﴿لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا﴾ [الحجرات: ١٢]، وكونه مثل الجزء، نحو: ﴿مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ﴾ [البقرة: ١٣٥]، كما فصله النحاة، وقد ذكرناها في رسالة «الاستثناء». وتقدم ذكرها في تفسير سورة البقرة الآية (١٣٥).

(٤) قوله: (مصدران...). أي: ﴿وَعۡدَ﴾ و﴿حَقًّاۚ﴾ منصوبان على أنهما مفعول مطلق للفعل المحذوف.

(٥) قوله: (بالكسر...). قرأ أبو جعفر: بفتح الهمزة: ﴿أَنَّهُۥ﴾. والباقون: بكسرها: ﴿إِنَّهُۥ﴾. ووجهها كما قال المفسر.

(٦) وقوله: (أي: بدأه...). أشار به إلى أن المضارع ﴿يَبۡدَؤُاْ﴾ بمعنى: الماضي. ويكون الإتيان بالمضارعة لنكتة بلاغية، والله أعلم.

ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة[١] ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٤﴾ أي: بسبب كفرهم[٢].

٥- ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ﴾ ذات ضياء أي: نورٍ[٣] ﴿وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ﴾ من حيث سَيْرُه ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين منزلًا[٤] في ثمانٍ وعشرين

---

(١) قوله: (ماء بالغ نهاية الحرارة). قال ابن جرير: «وذلك شراب قد أغلي واشتد حرّه حتى إنه فيما ذكر عن النبي ﷺ: «**ليتساقط من أحدهم حين يدنيه منه فروة رأسه**»، وكما وصفه عَزَّوَجَلَّ ثناؤه: ﴿كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ﴾ [الكهف: ٢٩]». أعاذنا الله من العذاب.

(٢) قوله: (أي: سبب كفرهم). أفاد أن الباء للسببية و﴿مَا﴾ مصدرية.

(٣) قوله: (ذات ضياء...). أفاد أن ﴿ضِيَآءٗ﴾ مصدر، ويقدر قبله مضاف. ويحتمل كونه جمع ضوء، كحوض وحياض، كما في البيضاوي. والضياء أخص من النور، فالضياء: النور القوي العظيم. كما ذكره الصاوي. وقيل: الضياء ما يقوم في ذات الشيء، والنور ما يستفاد من غيره. وعلى كل حال في الآية إشارة أنه تعالى خلق الشمس نيّرة في ذاتها والقمر نيّرًا بعرض مقابلته للشمس. أفاده البيضاوي.

(٤) قوله: (ثمانية وعشرين منزلًا). على هذا يكون الضمير -الهاء- في ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾ عائدًا إلى القمر. وخص القمر مع أن كلًّا من الشمس والقمر ذو منازل؛ لأن منازل القمر مشاهدة، وبها أنيطت الأحكام الشرعية. ويحتمل رجوع الضمير لكل منهما. كما في البيضاوي.

وهذه المنازل: مواقع القمر في كل ليلة من الشهر؛ فالقمر يتأخر عن الشمس -في نظرنا- دقيقتين في كل ساعة. ويكمل دورًا كاملًا في كل شهر، وإذا استتر القمر تحت الشمس في نهاية الشهر سمّى محاقًا، ثم إذا ارتفع عن الشمس قليلًا نرى من وجهه المضيء شيئًا يسيرًا وهو الهلال. وإذا استتر القمر في آخر الشهر تحت الشمس بحيث تكون الشمس والقمر والأرض على خط واحد حصل كسوف الشمس، وإذا تقابل القمر والشمس بحيث تكون الأرض بينهما على خط واحدٍ حصل خسوف القمر، وذلك في أواسط الشهر القمري، كما بين ذلك في علم الأفلاك.

ليلة من كل شهر، ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يومًا، وليلًة إن كان تسعة وعشرين يومًا ﴿لِتَعۡلَمُواْ﴾ بذلك ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾ لا عبثًا، تعالى عن ذلك ﴿يُفَصِّلُ﴾ بالياء والنون[1]: يبين ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٥﴾ يتدبرون.

۝٦- ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان[2] ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك ﴿وَ﴾ في ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ من حيوان وجبال وبحار وأنهار وأشجار وغيرها ﴿لَأٓيَٰتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ۝٦﴾ـه، فيؤمنون، خصهم بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بها.

۝٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ بالبعث ﴿وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بدل الآخرة بإنكارهم لها[3] ﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾ سكنوا إليها ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا﴾ دلائل وحدانيتنا[4] ﴿غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ تاركون للنظر فيها.

۝٨- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨﴾ من الشرك والمعاصي.

---

(١) قوله: (بالياء والنون). بالياء: ﴿يُفَصِّلُ﴾: قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وحفص، ويعقوب. وبالنون: ﴿نُفَصِّلُ﴾: قراءة الباقين.

(٢) قوله: (بالذهاب والمجيء...). كما تقدم في سورة البقرة الآية رقم (١٦٤) وفي آل عمران الآية رقم (١٩٠).

(٣) قوله: (بإنكارهم لها). أي: بسبب إنكارهم للآخرة.

(٤) قوله: (دلائل وحدانيتنا). كذا قاله ابن جرير وغيره. قال ابن جرير: «وهي أدلته على وحدانيته وحججه على عباده في إخلاص العبادة له».اهـ.

(٩)- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ﴾ يرشدهم ﴿رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ به(١) بأن يجعل لهم نورًا(٢) يهتدون به يوم القيامة ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٩)﴾.

(١٠)- ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا﴾ طلبهم(٣) لما يشتهونه في الجنة أن يقولوا: ﴿سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ أي: يا الله(٤)، فإذا ما طلبوه وجدوه بين أيديهم ﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ﴾ فيما

---

(١) قوله: (به). أي: بربهم، متعلق بـ﴿إِيمَٰنِهِمۡ﴾.

(٢) قوله: (بأن يجعل لهم نورًا...). كذا رواه ابن جرير عن مجاهد. قال: «يكون لهم نورًا يمشون به». وروى عن قتادة في تفسير هذه الآية... قال: «بلغنا أن نبي الله ﷺ قال: «**إن المؤمن إذا خرج من قبره صوّر له عمله في صورة حسنة، فيقول له: ما أنت؟ فوالله إني لأراك امرأ صدق، فيقول: أنا عملك، فيكون له نورًا وقائدًا إلى الجنة، وأما الكافر إذا خرج من قبره صوّر له عمله في صورة سيئة وبشارة سيئة** -وفي رواية: **وريح منتنة**- **فيقول: ما أنت؟ فوالله إني لأراك امرأ سوءٍ، فيقول: أنا عملك، فينطلق به حتى يدخله النار**».

(٣) قوله: (طلبهم...). روى ابن جرير مثله بسياقٍ أطول عن ابن جريج، قال: «أخبرت أن قوله: ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ قال: إذا مرّ بهم الطير فيشتهون قالوا: سبحانك اللهم، وذلك دعواهم، فيأتيهم الملك بما اشتهوا فيسلم عليهم، فيردون عليه، فذلك قوله: ﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ﴾ قال: فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم وذلك قوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٠)﴾. والدعوى مصدر دعا يدعو، كالشكوى مصدر شكا يشكو. أفاده القرطبي.

(٤) وقوله: (يا الله). أفاد به أن الميم في ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ عوض عن حرف النداء. ولذا لا يجمع بينهما، فلا يقال: يا اللهم. إلا ما جاء في ضرورة الشعر.

و«سبحان» اسم مصدر فعله: «سبّح» بتشديد الباء. وقيل: مصدر «سَبَحَ» الثلاثي، وقيل: عَلَم المصدر، وعلى كل حال: هو منصوب على أنه مفعول مطلق، للفعل المحذوف=

بينهم[(١)] ﴿فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ﴾ مفسّرة[(٢)] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٠﴾.

١١ - ونزل لما استعجل المشركون العذاب[(٣)]: ﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم﴾ أي: كاستعجالهم ﴿بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل[(٤)]

= ولا يستعمل إلا مفعولًا مطلقًا، كما لا يستعمل إلا مضافًا. وتقدم في تفسير سورة البقرة الآية (٣٢).

(١) وقوله: (فيما بينهم). كذا فسر ابن جرير. وقال القرطبي: «أي: تحية الله لهم أو تحية الملَك أو تحية بعضهم لبعض».اهـ.

(٢) قوله: (مفسّرة). الظاهر أنها مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف، وجملة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٠﴾ في محل رفع خبرها؛ لأن المخففة تسبقها جملة فيها معنى القول دون حروفه، وهنا لم تسبق بالجملة إلا إذا أوّل ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ بالفعل، أي: بأنهم يدعون، والله أعلم.

(٣) قوله: (ونزل لما استعجل...). ما ذكره من سبب النزول عزاه القرطبي إلى مقاتل. قال: «هو قول النضر بن الحارث: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء...».اهـ. وروى ابن جرير عن مجاهد: «إن هذه الآية في قول الإنسان لولده أو ماله إذا غضب عليه: اللهم لا تبارك فيه والعنه...».هـ. وجرى على هذا المعنى ابن كثير وغيره، قال ابن كثير: «يخبر الله تعالى عن حلمه ولطفه بعباده، أنه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم وأموالهم أو أولادهم بالشر حال ضجرهم وغضبهم؛ لأنه يعلم منهم عدم القصد...».اهـ.

(٤) قوله: (بالبناء للمفعول...). قرأ ابن عامر: بالبناء للفاعل ونصب ﴿أَجَلُهُمْ﴾: ﴿لَقَضَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ﴾. وكذلك يعقوب، لكنه ضمّ الهاء من ﴿إليهُمْ﴾. والباقون: بالبناء للمفعول، ورفع أجلهم: ﴿لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾. ولكن حمزة ضم الهاء. فالمجموع: أربع قراءات.

﴿إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ بالرفع والنصب، بأن يهلكهم، ولكن يمهلهم[١] ﴿فَنَذَرُ﴾ نترك ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ يترددون متحيرين.

﴿١٢﴾- ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الكافر[٢] ﴿ٱلضُّرُّ﴾ المرض والفقر ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ أي: مضطجعًا ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ أي: في كل حال[٣] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾ على كفره ﴿كَأَن﴾ مخففة[٤]، واسمها محذوف، أي: كأنه ﴿لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ كما زين له الدعاء عند الضرر والإعراض عند الرخاء ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين[٥] ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

﴿١٣﴾- ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ﴾ الأمم ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ بالشرك ﴿وَ﴾ قد[٦] ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الدلالات على صدقهم

---

(١) قوله: (ولكن يمهلهم). قدره ليعطف عليه: ﴿فَنَذَرُ﴾. و«نذر»: مضارع، وماضيه: وَذَرَ، مثل: وَعَدَ، ولكن الماضي مهجور الاستعمال.

(٢) قوله: (الكافر). تفسير لـ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾، نقله القرطبي بدون عزو، ومعنى الآية يناسب ذلك؛ لأن ما ذكر حال الكافر، وأما المؤمن فحاله كما قال ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرًا له، إن أصابته ضراء فصبر كان خيرًا له، وإن أصابته سراء فشكر كان خيرًا له، وليس ذلك لأحد إلا لمؤمن**». [مسلم (٤/ ٢٢٩٥)].

(٣) قوله: (أي: في كل حال). لأن الإنسان لا يخلو عن الحالات الثلاث، وإنما قدم الاضطجاع ثم القعود ثم القيام؛ لأن حال الاضطجاع أشد في الضر ثم القعود ثم القيام غالبًا. أفاده القرطبي.

(٤) قوله: (مخففة). إذا خففت ﴿كَأَن﴾ تعمل، ويكون اسمها ضمير الشأن محذوفًا، ويفصل بينها وبين الجملة الواقعة خبرًا بـ«لم» أو «قد».

(٥) قوله: (المشركين). كذا فسره القرطبي وغيره.

(٦) قوله: (﴿وَ﴾ قد). قدر (قد) ليفيد أن الجملة في محل نصب حال، والجملة المبدوءة بالماضي إذا وقعت حالًا وجب فيها «قد» لفظًا أو تقديرًا، كما تقدم أكثر من مرة.

﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْۚ﴾ عطف على «ظَلَمُواْ»[١]، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أهلكنا أولئك ﴿نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ الكافرين.

﴿١٤﴾- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ﴾ يا أهل مكة[٢] ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ جمع خليفة[٣] ﴿فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ فيها، وهل تعتبرون بهم فتصدقوا رسلنا.

﴿١٥﴾- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ ظاهرات، حال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ لا يخافون البعث[٤] ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ ليس فيه عيب آلهتنا[٥]

---

(١) قوله: (عطف على ﴿ظَلَمُواْ﴾). أي فالمعنى: أهلكناهم لما ظلموا ولم يؤمنوا... فأهلكوا بسبب ظلمهم وعدم إيمانهم.

(٢) قوله: (يا أهل امكة). أفاد أن الخطاب معهم. وقال ابن جرير: «أيها الناس»، فالخطاب عام.

(٣) قوله: (جمع خليفة). أي: باعتبار تأنيث لفظه، لأن «فعيلة» تجمع على «فعائل»، ويجمع «خليفة» على «خلفاء» أيضًا، وذلك باعتبار معناه؛ لأنه مذكر معنًى والتاء فيه للمبالغة، ومعلوم أن «فعيل» يجمع على «فعلاء»، وقد تقدم التنبيه على ذلك في سورة الأعراف الآية (٦٩).

(٤) قوله: (لا يخافون البعث). بنحو هذا فسره ابن جرير، والقرطبي وغيرهما. قال القرطبي: «يعني: لا يخافون يوم البعث، ولا يرجون الثواب».اهـ.

(٥) قوله: (ليس فيه عيب آلهتنا). هذا أحد الأوجه الثلاثة في تفسير المراد بالإتيان بغير هذا القرآن، أي: ائت بقرآن ليس فيه عيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم، أو بدّل ذلك من القرآن، ونسب القرطبي هذا المعنى إلى ابن عيسى.

والوجه الثاني: أنهم سألوه أن يحول الوعْد وعيدًا والوعيد وعدًا، والحلال حرامًا والحرام حلالًا. ذكره ابن جرير.

والوجه الثالث: أنهم سألوه إسقاط ما في القرآن من ذكر البعث والنشور. عزاه القرطبي إلى الزجاج.

﴿أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾ من تلقاء نفسك[١] ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿مَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ﴾ قِبَل ﴿نَفۡسِيٓۖ إِنۡ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي﴾ بتبديله ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾ هو يوم القيامة.

١٦- ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم﴾ أعلمكم[٢] ﴿بِهِۦۖ﴾ و«لَا» نافية عطف على ما قبله. وفي قراءة[٣]: بلام، جواب «لَوۡ»، أي: لأعلمكم به على لسان غيري ﴿فَقَدۡ لَبِثۡتُ﴾ مكثت ﴿فِيكُمۡ عُمُرٗا﴾ سنين أربعين[٤] ﴿مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ﴾ لا أحدثكم بشيء ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦﴾ أنه ليس من قبلي.

١٧- ﴿فَمَنۡ﴾ أي: لا أحد[٥] ﴿أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾ القرآن ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الشأن[٦] ﴿لَا يُفۡلِحُ﴾

---

(١) قوله: (تلقاء). هو في الأصل مصدر، والتاء زائدة على وزن «تِفعَال»، استعمل ظرفًا، كما أفاده البيضاوي. وهو من المصادر النادرة؛ لأنه يندر وزن «تِفعال» بكسر التاء، حتى قيل: لم يسمع إلا مصدران: تِلقاء وتِبيان. أما بفتح التاء فكثير، نحو: تكرار، تعداد، تذكار. وتقدم في سورة الأعراف الآية (٤٧).

(٢) قوله: (أعلمكم). أي: الله سبحانه، ففاعل «أدرى» ضمير مستتر راجع إلى الله سبحانه. و«أدرى» هنا على وزن «أفعَل» من «دَرَى» الذي يتعدى لمفعول واحد، فإذا جعل «أدرى» بزيادة الهمزة تعدى لمفعولين ليسا مبتدأ وخبرًا، وتدخل الباء في المفعول الثاني كما هنا ﴿بِهِۦۖ﴾. كما ذكره ابن هشام في «أوضح المسالك».

(٣) قوله: (وفي قراءة:...). أي: ﴿وَلَأَدۡرَاكُمۡ بِهِۦۖ﴾: قراءة ابن كثير. و﴿وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ﴾: قراءة الباقين.

(٤) قوله: (سنين أربعين). كما ذكره ابن جرير، ونقله عن قتادة، يعني إلى زمن النبوة.

(٥) قوله: (أي: لا أحد). أفاد أن الاستفهام للإنكار.

(٦) قوله: (الشأن). فالضمير هنا ضمير الشأن، اسم «إن». ويتعين ذلك إذا كانت الجملة الواقعة =

يسعد ﴿ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٧﴾ المشركون.

١٨- ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمۡ﴾ إن لم يعبدوه ﴿وَلَا يَنفَعُهُمۡ﴾ إن عبدوه، وهو الأصنام ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عنها ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ﴾ لهم ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ﴾ تخبرونه ﴿بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ استفهام إنكار[١]، أي: لو كان له شريك لعَلِمَهُ، إذ لا يخفى عليه شيء ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهًا له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ـه معه[٢].

١٩- ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على دين واحد، وهو الإسلام[٣]، من لدن آدم إلى نوح، وقيل[٤]: من عهد إبراهيم إلى عمرو بن لحيّ.

= خبرًا خالية عن الضمير العائد إلى الاسم، كما هنا، جملة: ﴿لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٧﴾ ليس فيها ضمير عائدة إلى الاسم. وهي في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾.

(١) قوله: (استفهام إنكار). فالمعنى: أتخبرون الله أن آلهتكم تنفع وتشفع، وذلك باطل لا تعلم حقيقته وصحته، بل يعلم الله أن ذلك خلاف ما تقولون. اهـ. ملخصًا من ابن جرير.

(٢) قوله: (ـه معه). الضمير الأول قدره ليكون عائدًا إلى الاسم الموصول ﴿مَّا﴾، وقدّر (معه) لأن الشركة تكون مع اثنين فأكثر.

(٣) قوله: (على دين واحد). كما تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣].

(٤) وقوله: (وقيل:...). فالمعنى: استمر التوحيد من لدن إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إلى أن ظهر عمرو بن لحيّ أحد رؤساء خزاعة الذين ولُّوا البيت -الكعبة- بعد جُرهم. كما ذكره ابن كثير في تفسير سورة المائدة، وتقدم ذكر الأحاديث الواردة فيه في سورة المائدة الآية (١٠٣). وهو أول من بحّر البحائر وسيب السوائب في الجاهلية. ولم أر هذا القول معزوًّا.

﴿فَٱخۡتَلَفُواْۚ﴾ بأن ثبت بعض وكفر بعض ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة(١) ﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: الناس في الدنيا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٩﴾ من الدين، بتعذيب الكافرين(٢).

٢٠- ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَوۡلَآ﴾ هلا(٣) ﴿أُنزِلَ عَلَيۡهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ﴾ كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد(٤) ﴿فَقُلۡ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ﴾ ما غاب عن العباد(٥)، أي: أمره ﴿لِلَّهِ﴾، ومنه الآيات، فلا يأتي بها إلا هو، وإنما عليّ التبليغ ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ العذاب(٦) إن لم تؤمنوا ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٢٠﴾.

---

(١) قوله: (بتأخير الجزاء...). فسر القرطبي بنحو مما قاله المفسّر، وعزاه إلى الحسن. وقال ابن كثير: «ولولا ما تقدم من الله تعالى أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه وأنه قد أجل الخلق إلى أجل معدود لقضي بينهم...» وبنحو ذلك فسر ابن جرير.

(٢) قوله: (بتعذيب الكافرين). متعلق بـ﴿قُضِيَ﴾.

(٣) قوله: (هلّا). أشار به إلى أن ﴿لَوۡلَآ﴾ هنا تحضيضية، ولسيت امتناعية.

(٤) قوله: (من الناقة...). وكذا ما اقترحوه من أن يحول لهم الصفا ذهبًا أو يزيح عنهم جبال مكة ونحو ذلك. وكان هذه الأسئلة تعنتًا، لا استرشادًا، فقد رأوا فلق القمر وآيات، فلم يؤمنوا. وخير رسول الله ﷺ بين إعطائهم ما سألوا فإن آمنوا وإلا عذبوا، وبين إنظارهم، فاختار إنظارهم. ملخصًا من ابن كثير.

(٥) قوله: (ما غاب عن العباد). أشار به أن ﴿ٱلۡغَيۡبُ﴾ مصدر بمعنى اسم الفاعل كما تقدم في سورة البقرة رقم الآية (٣).

(٦) قوله: (العذاب). قال ابن كثير: «أي: إن كنتم لا تؤمنون حتى تشاهدوا ما سألتم فانتظروا حكم الله فيّ وفيكم».اهـ. هذا قريب مما قاله المفسّر.

﴿٢١﴾- ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ﴾ أي: كفار مكة[(١)] ﴿رَحۡمَةٗ﴾ مطرًا وخصبًا[(٢)] ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ﴾ بؤس وجدب ﴿مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم[(٣)] مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ﴾ بالاستهزاء والتكذيب[(٤)] ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ﴾ مجازاة[(٥)] ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ الحفظة ﴿يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ بالتاء والياء[(٦)].

﴿٢٢﴾- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ﴾، وفي قراءة: «يَنْشُرُكُمْ»[(٧)] ﴿فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ السفن ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ فيه التفات عن الخطاب[(٨)] ﴿بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾

---

(١) قوله: (كفار مكة). تفسير لـ﴿ٱلنَّاسَ﴾ فيكون «أل» في ﴿ٱلنَّاسَ﴾ عهدية. وفسره ابن جرير: بالمشركين.

(٢) قوله: (مطرًا وخصبًا). فسر ابن جرير وابن كثير قريبًا منه، قال ابن جرير: «فرجًا بعد كرب، ورخاءً بعد شدة». وقال ابن كثير: «كالرخاء بعد شدة، والخصب بعد الجدب». وعلى كل حال الرحمة هنا بمعنى الإنعام، وهو أثر الرحمة التي هي صفة من صفاته تعالى.

(٣) وقوله تعالى: ﴿إِذَا لَهُم...﴾. ﴿إِذَا﴾ هنا فجائية، وهي حرف لا محل لها من الإعراب على المشهور. تدخل على الجملة الاسمية فقط، وهي هنا كالفاء الداخلة على جواب الشرط.

(٤) قوله: (بالاستهزاء والتكذيب). نقله ابن جرير عن مجاهد، وفسر به.

(٥) قوله: (مجازاة). وبمثله فسر ابن كثير، قال: «أشد استدراجًا وإمهالًا ثم يؤخذ على غرة منه».اهـ. وقد تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ...﴾ من سورة البقرة (٩) تحقيق معنى نحو المكر والخديعة إذا نسبت إلى الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

(٦) قوله: (بالتاء والياء). بالتاء: قراءة الجمهور. وأما بالياء: فهي قراءة روح الراوي عن يعقوب.

(٧) قوله: (وفي قراءة: ﴿يَنْشُرُكُمْ﴾). قراءتان: ﴿يَنْشُرُكُمْ﴾: مضارع «نشر»: قراءة ابن عامر، وأبي جعفر. و﴿يُسَيِّرُكُمۡ﴾: مضارع «سيّر»: قراءة الباقين. ومعناهما واضح.

(٨) قوله: (فيه التفات). أي: في ﴿بِهِم﴾ التفات إلى الغيبة من الخطاب في ﴿كُنتُمۡ﴾. والالتفات=

لينة ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ شديدة الهبوب تكسر كل شيء[١] ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ أي: أهلكوا ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الدعاء[٢] ﴿لَئِنۡ﴾ لام قسم ﴿أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ الأهوال ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢﴾ الموحدين.

٢٣- ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾ بالشرك[٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ﴾ ظلمكم ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ لأن إثمه عليها، هو[٤] ﴿مَّتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ تمتعون فيها قليلًا ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ﴾ بعد الموت ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣﴾ فنجازيكم عليه، وفي قراءة: بنصب «مَّتَٰعَ»، أي: تتمتعون.

= من الأساليب الأدبية. ويقال: إن في هذا الالتفات إشارة إلى شدة سرعة الفلك حيث كانوا مخاطبين، فأصبحوا غائبين بلحظات.

(١) قوله: (شديدة الهبوب). يقال: ريح عاصف أو عاصفة: و«عاصف» يوصف به المؤنث، بتاء وبدونها.

وقوله: (تكسر كل شيء). إشارة إلى أحد المعاني اللغوية لـ«عصف»، يقال: عصفت الحرب بهم، أي: أبادتهم، ويقال: عصفت الريح: اشتدّت، وعصف الرجل: أسرع، كما يعلم من كتب اللغة.

(٢) قوله: (الدعاء). تفسير لـ﴿ٱلدِّينَ﴾. كما فسر بن ابن جرير وابن كثير وغيرهما.

(٣) قوله: (بالشرك). متعلق بـ﴿يَبۡغُونَ﴾، والباء للسببية، أو تفسير لـ﴿غَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾، فالباء للتلبس والإلصاق.

(٤) قوله: (هو). قدّره ليفيد أن ﴿مَّتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، على قراءة الرفع ﴿مَّتَٰعُ﴾، وأما على قراءة النصب ﴿مَّتَٰعَ﴾ فهو مفعول مطلق لفعل محذوف كما أشار المفسر، والرفع: قراءة الجمهور، والنصب: قراءة حفص.

﴿٢٤﴾(١)- ﴿إِنَّمَا مَثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ﴾ مطر ﴿أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ﴾ بسببه ﴿نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ واشتبك بعضه ببعض ﴿مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ من البُرِّ والشعير وغيرهما ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ من الكلأ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا﴾ بهجتها من النبات ﴿وَٱزَّيَّنَتۡ﴾ بالزهر(٢)، وأصله: تزينت(٣)، أبدلت التاء زايًا، وأدغمت في الزاي، ﴿وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ﴾ متمكنون من تحصيل ثمارها(٤) ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا﴾ قضاؤنا، أي: عذابنا ﴿لَيۡلًا أَوۡ نَهَارًا فَجَعَلۡنَٰهَا﴾ أي: زرعها ﴿حَصِيدًا﴾ كالمحصود بالمناجل(٥) ﴿كَأَن﴾ مخففة، أي: كأنها ﴿لَّمۡ

---

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾. هذا من التمثيل أي: التشبيه المركب، أي: تشبيه صفة الحياة الدنيا في فنائها وقلة خطرها والملاذ بها كماء... كما أشار إليه القرطبي.

(٢) قوله: (بالزهر). أي: مثلًا، قال البيضاوي: «تزينت بأصناف النبات وأشكالها وألوانها المختفة كعروس أخذت من ألوان الثياب والزين فتزينت بها».اهـ. ففي كلامه إشارة إلى أن «تزينت» من باب الاستعارة.

(٣) قوله: (وأصله: تزينت). أي: فـ«ازّيّن» متفرع من «تزيّن»، بإدغام التاء في فاء الكلمة واجتلاب همزة الوصل، كما فصل في علم الصرف.

(٤) قوله: (من تحصيل ثمارها). أفاد به أن ﴿عَلَيۡهَآ﴾ بتقدير مضافين، والضمير راجع إلى الأرض والمعنى: على تحصيل ثمارها. كما قال ابن كثير: «جذاذها وحصادها».

(٥) قوله: (كالمحصود). أفاد أن ﴿حَصِيدًا﴾ فعيل بمعنى المفعول، ولذا تركت التاء مع تأنيث موصوفها، كما يقال: رجل قتيل وامرأة قتيل. بدون التاء. كما أفاد أن في الكلام تشبيهًا، والمعنى: جعلناها كالحصيد. نقل القرطبي عن أبي عبيد: «الحصيد: المستأصل»، وعلى هذا لا يكون فيه تشبيه.

وقوله: (بالمناجل). جمع مِنجل، بكسر الميم، آلة الحصاد، وهي معروفة.

تَغۡنَ﴾ تكن[(١)] ﴿بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ﴾ نبين ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤﴾.

٢٥- ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي: السلامة[(٢)]، وهي الجنة، بالدعاء إلى الإيمان ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ هدايته[(٣)] ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾ دين الإسلام.

٢٦- ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ بالإيمان[(٤)] ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ الجنة[(٥)] ﴿وَزِيَادَةٞۖ﴾ هي

---

(١) قوله: (تكن). أي: توجد. يقال: غِنيَ فلان بمكان كذا يغنى به: إذا أقام. قاله ابن جرير والقرطبي.

(٢) قوله: (أي: السلامة). أي: السلام بمعنى السلامة، كما يقال: الرضاع والرضاعة، وبمثله فسر ابن كثير. ونقله القرطبي عن بعضهم.

وقال قتادة والحسن: «السلام هو الله، وداره: الجنة».اهـ. وعلى كلا التقديرين المراد بدار السلام: الجنة. كما قال المفسر: (وهي الجنة)، أي: دار السلام هي الجنة.

(٣) قوله: (هدايته). مفعول به لـ﴿يَشَآءُ﴾. ومعنى هذه الآية: أيها الناس لا تطلبوا زينة الدنيا فإنها للفناء ولكن اطلبوا الآخرة الباقية. أفاده ابن جرير وغيره.

(٤) قوله: (بالإيمان) أي: والعمل الصالح، كما قال ابن كثير: «بالإيمان والعمل الصالح». اهـ. فالمراد بالإيمان هنا المعنى الشامل للأعمال. ولعل المفسر اكتفى بذكر الإيمان؛ لأن العصاة من المؤمنين يدخلون الجنة إما بعفو الله أو بعد عذابهم، فهم لا يخلّدون في النار.

(٥) قوله: (الجنة، ﴿وَزِيَادَةٞۖ﴾ هي النظر إليه تعالى). روي هذا المعنى عن عدد من الصحابة والسلف الصالحين، وكما يدل على ذلك حديث مسلم الذي أشار إليه المفسر.

والحديث رواه مسلم وغيره عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنةَ، يقول الله تعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيضّ وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم**».اهـ [(١/ ١٦٣)]. وقد روى الحديث أحمد وغيره بسياق أكثر تفصيلًا عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

=

النظر إليه تعالى، كما في حديث مسلم. ﴿وَلَا يَرۡهَقُ﴾ يغشى ﴿وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ﴾ سواد[١] ﴿وَلَا ذِلَّةٌۚ﴾ كآبة[٢] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾.

٢٧- ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ عطف على «﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾»، أي: وللذين[٣] ﴿كَسَبُواْ

= وروى ابن جرير هذا المعنى عن عدة من الصحابة والسلف، وروى أيضًا عن علي في معنى «الزيادة»: «هي غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب». وعن ابن عباس: «الزيادة: المضاعفة إلى عشر حسنات فأكثر»، ويرى ابن جرير وابن كثير: «كون المراد أعمّ، فيشمل كل ما فسر في معناها».

(١) قوله: (سواد). تفسير للمراد بالـ﴿قَتَرٞ﴾، كما فسر به ابن كثير وغيره، والقتر في الأصل: الغبار. ذكره ابن جرير.

(٢) وقوله: (كآبة). بمد الهمزة: الغم وسوء الحال. ولعل هذا تفسير بالمراد أو باللازم، وإلا فالذلة: هي الهوان، كما فسر به ابن جرير وابن كثير والبيضاوي.

(٣) قوله: (عطف على ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾...). على هذا يكون قوله: ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ﴾ مبتدأ مؤخرًا و﴿بِمِثۡلِهَا﴾ يكون حالًا من ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ﴾، أو من الضمير المستتر في الخبر، والتقدير: جزاء سيئة كائنٌ للذين كفروا، حال كونه بمثلها. وهذا الإعراب ذكره البيضاوي احتمالًا، ويلزم على هذا العطف على معمولي عاملين:

١- ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ فهو معمول لحرف الجر: اللام.

٢- و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ فهو مبتدأ معمول للابتداء.

وقد عطف عليهما: ١- ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ﴾، ٢- و﴿جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ﴾. ونظيره أن تقول: إن في الدار زيدًا والمسجد عمرًا. وهذا العطف محل خلافٍ.

ويحتمل كون ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ...﴾ مبتدأ، و﴿جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا﴾ مبتدأ وخبر، والجملة خبر المبتدأ الأول: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ﴾. كما ذكره البيضاوي والقرطبي وغيرهما. والرابط: ذكر لفظ السيئة في الخبر، وهذا الإعراب أوضح من الأول، وتحتمل الآية أعاريب أخرى.

﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ عملوا الشرك ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ﴾ زائدة ﴿عَاصِمٖۖ﴾ مانع ﴿كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ﴾ ألبست ﴿وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا﴾ بفتح الطاء، جمع: قِطعة[(١)] وإسكانها، أي: جزءًا ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾.

٢٨- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ﴾ أي: الخلق ﴿جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ﴾ نصب بـ«اِلزموا» مقدرًا[(٢)] ﴿أَنتُمۡ﴾ تأكيد للضمير المستتر في الفعل المقدر[(٣)]، ليعطف عليه ﴿وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ﴾ أي: الأصنام ﴿فَزَيَّلۡنَا﴾ ميزنا ﴿بَيۡنَهُمۡۖ﴾ وبين المؤمنين كما في آية: «وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٩» [يسٓ: ٥٩]، ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ ٢٨﴾، «مَّا» نافية، وقدم المفعول للفاصلة[(٤)].

---

(١) قوله: (بفتح الطاء، جمع قِطعة). قراءة الجمهور فيكون ﴿مُظۡلِمًاۚ﴾ حالًا من ﴿ٱلَّيۡلِ﴾. وقرأ ابن كثير، والكسائي، ويعقوب: ﴿قِطۡعًا﴾ بسكون الطاء. وهو اسم لما قُطِعَ وسقط من الشيء. فيكون ﴿مُظۡلِمًاۚ﴾ نعتًا لـ﴿قِطَعًا﴾ أو حالًا من ﴿ٱلَّيۡلِ﴾. كما أفاده القرطبي.

(٢) قوله: (نصب بـ«الزموا»)، أي: ﴿مَكَانَكُمۡ﴾، مفعول به منصوب لفعل محذوف.

تقديره: الزموا. وهكذا أعربه البيضاوي والقرطبي وغيرهما. ويصح كون ﴿مَكَانَكُمۡ﴾ اسم فعل أمر، أي: الزموا مكانكم كما في قول الشاعر: «مكانك تحمدي أو تستريحي». فليس له محل إعراب، وفاعله ضمير مستتر. و﴿أَنتُمۡ﴾ توكيد لذلك الفاعل، و﴿وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ﴾ معطوف.

(٣) قوله: (توكيد للضمير المستتر في الفعل المقدر). يعني أنه توكيد للواو في «الزموا»؛ لأنها الفاعل، ولا يسمى مستترًا في اصطلاح النحاة، بل هو ضمير متصل بارز، فلعل المراد بالمستتر: المحذوف مع فعله.

وحاصل معنى الآية: الزموا أنتم وشركاؤكم مكانًا معينًا، امتازوا فيه عن مقام المؤمنين. ذكره ابن كثير.

(٤) قوله: (وقدم المفعول...). وهو ﴿إِيَّانَا﴾ فهو مفعول ﴿تَعۡبُدُونَ ٢٨﴾. كما هو واضح.

وقوله: (للفاصلة): أي لرعاية أواخر الآيات.

(٢٩)- ﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾[١] ﴿ إِن ﴾ مخففة، أي: إنا[٢] ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ (٢٩) ﴾.

(٣٠)- ﴿هُنَالِكَ ﴾ أي: ذلك اليوم[٣] ﴿تَبْلُواْ ﴾ من البلوى، وفي قراءة: «تَتْلُواْ» بتاءين من التلاوة[٤] ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ﴾ قدمت من العمل ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ الثابت الدائم ﴿وَضَلَّ ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ (٣٠) ﴾ عليه من الشركاء.

(٣١)- ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ ﴾ بالنبات ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ ﴾[٥] بمعنى الأسماع، أي: خلقها[٦] ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ بين الخلائق ﴿فَسَيَقُولُونَ ﴾

---

(١) ﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ... ﴾. من تتمة مقولهم.

(٢) وقوله: (أي: إنا). يريد أن ﴿إِن ﴾ هنا مخففة من الثقيلة، فهي حرف توكيد، واسمها محذوف، تقديره: نا المتكلمين. وهذ التقدير إنما يكون إذا كان ﴿إِن ﴾ المخففة عاملة. والأكثر فيها الإهمال، فلا يحتاج إلى تقدير الاسم. ويدل على أنها مخففة اللام في ﴿لَغَٰفِلِينَ (٢٩) ﴾. واللام لازمة عند إهمالها. وهي لام ابتداء، أو اللام الفارقة بين المؤكدة والنافية. كما ذكره النحاة.

(٣) قوله: (أي: ذلك اليوم). لعله لزيادة التوضيح، وإلا فـ﴿هُنَالِكَ ﴾ للإشارة إلى المكان لا إلى الزمان، وقد فسر البيضاوي: «أي: في ذلك المقام»، وقال ابن كثير: «أي: في موقف الحساب». وقال القرطبي: «أي: في ذلك الوقت»، وهو قريب مما قاله المفسر.

(٤) قوله: (وفي قراءة:...). هما قراءتان: ﴿تَتْلُواْ ﴾: بتاءين من التلاوة: قراءة حمزة والكسائي وخلف. و﴿تَبْلُواْ ﴾: بالباء من البلوى: قراءة الجمهور.

(٥) قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ...﴾. «أم» هنا منقطعة، والميم مدغمة في ميم «من» الاستفهامية.

(٦) قوله: (أي: خلقها). تفسير لـ﴿يَمْلِكُ ﴾، وبنحوه فسر القرطبي، والبيضاوي، وغيرهما. وذكر البيضاوي وجهًا آخر، أي: يحفظهما من الآفات.اهـ.

هو[١] ﴿ٱللَّهُۚ فَقُلۡ﴾ لهم ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١﴾ ـه؛ فتؤمنون.

٣٢- ﴿فَذَٰلِكُمُ﴾ الفاعل لهذه الأشياء ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ الثابت[٢] ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ﴾ استفهام تقرير، أي: ليس بعده غيره[٣]، فمن أخطأ الحق -وهو عبادة الله- وقع في الضلال. ﴿فَأَنَّىٰ﴾ كيف ﴿تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾ عن الإيمان مع قيام البرهان.

٣٣- ﴿كَذَٰلِكَ﴾[٤] كما صرف هؤلاء عن الإيمان ﴿حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾ كفروا، وهي[٥]: «لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ ...» [الأعراف: ١٨] الآية، أو

---

(١) قوله: (هو). قدره ليكون الاسم الكريم ﴿ٱللَّهُۚ﴾ خبرًا عن هذا المقدر.

و﴿ٱلۡمَيۡتِ﴾ بسكون الياء في الموضعين على قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وشعبة. وبتشديدها: ﴿ٱلۡمَيِّتِ﴾ على قراءة الباقين.

(٢) قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ أي: وإلهكم ومستحق عبادتكم، كما فسر ابن كثير، فعلى هذا يكون فيه إطلاق الرب بمعنى الإله؛ لأن مصداقهما واحد، وإن كان مفهومهما مختلفين، والمخاطبون معترفون أنه الرب أي: الخالق، فليعترفوا أنه هو الإله، أي: المستحق للعبادة.

(٣) قوله: (أي: ليس بعده غيره). أي: ليس بعد الحق غير الضلال، ولا واسطة بينهما.

قال القرطبي: «هذا في الإيمان وفي أصول الدين، أما الفروع فقد توجد، كما قال تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: ٤٨]، وكما في الحديث: «**الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما مشتبهات**» رواه الشيخان، وقال أيضًا: «الضلال: الذهاب عن الحق، أخذ من ضلال الطريق، ويطلق الضلال على عدم المعرفة بالحق تعالى بسبب غفلة، كما في: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧﴾ [الضحى: ٧]، أي: غافلًا -على أحد التأويلات-».اهـ. ملخصًا.

(٤) قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾. الجار والمجرور نعت لمصدر محذوف، أي: حقت كلمة ربك حقًّا مثل صرف هؤلاء. كما أفاده الصاوي، ويحتمل كون الجار والمجرور حالًا.

(٥) قوله: (وهي:...). أي: كلمة ربك: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ﴾. وقال ابن جرير: «وجب عليهم قضاؤه وحكمه في السابق من علمه...». فسر الكلمة بالقضاء.

هي[١]: ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿٣٤﴾- ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل.

﴿٣٥﴾- ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ﴾ بنصب الحجج وخلق الاهتداء ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾[٢] يهتدي[٣] ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ﴾ أحق أن يتبع. استفهام تقرير وتوبيخ، أي الأول أحق، ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لا يحق اتباعه.

﴿٣٦﴾- ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ في عبادة الأصنام ﴿إِلَّا ظَنًّا ۚ﴾ حيث قلّدوا فيه آباءهم ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ﴾ فيما المطلوب منه العلم[٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ

---

(١) قوله: (أو هي...). يعني هذا احتمال آخر في المراد بالكلمة، وهو قوله هنا: ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾، وعلى هذا تكون جملة ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ بدلًا من الكلمة. كما ذكره البيضاوي.

(٢) قوله تعالى: ﴿أَمَّن﴾. أصله: «أم» المنفصلة أدغمت ميمها في ميم «من» الموصولة.

(٣) قوله: (يهتدي). فأصل «يهِدّي»: يهتدي. أدغمت التاء في الدال، وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين: وهي قراءة حفص، ويعقوب. وقرأ ابن عامر، وابن كثير: ﴿يَهَدّىٓ﴾ بفتح الهاء بنقل حركة التاء، وكذلك أبو عمرو لكن باختلاس حركة الهاء، وقرأ أبو جعفر: ﴿يَهْدّىٓ﴾: بسكون الهاء وتشديد الدال. وقرأ شعبة: ﴿يِهِدّىٓ﴾: بكسر الياء والهاء. والجمهور: ﴿يَهْدِىٓ﴾ بتخفيف الدال مع سكون الهاء.

(٤) قوله: (فيما المطلوب منه العلم). أشار به إلى أن التعنيف هنا على اتباع الظن في عقائدهم وإشراكهم، والظن هنا: فسره ابن كثير بالتوهم والتخيل، وعلى كل حال لا يدخل في الآية اتباع المجتهد ظنه في فروع المسائل الاجتهادية، ولا اتباع المقلدبن في الفقه إمامهم. أولًا: الظن هناك: الاعتقاد الراجح، عن دليل شرعي، وثانيًا: ذلك في المسائل الفرعية. =

بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ فيجازيهم عليه.

﴿٣٧﴾[(١)] - ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ﴾ أي: افتراءً[(٢)] ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلَٰكِن﴾ أنزل[(٣)] ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ تبيين ما كتبه الله من الأحكام وغيرها[(٤)] ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ متعلق بـ«تَصْدِيقَ»[(٥)] أو بـ«أنزل» المحذوف. وقرئ[(٦)] برفع «تَصْدِيقُ» و«تَفْصِيلُ»، بتقدير: هو.

﴿٣٨﴾ - ﴿أَمْ﴾ بل[(٧)] أ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ اختلقه محمد ﷺ ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ في الفصاحة والبلاغة[(٨)] على وجه الافتراء، فإنكم عربيون فصحاء مثلي

= وهٰهنا بمعنى: التخيل وفي الأمور العقدية، وثالثًا: التعنيف على من اتبع أهل الشرك، أي: رؤساء المشركين، وأما المقلدون فهم يتبعون الأئمة الذين هم رؤساء الهداية والدين، فليس في الآية حجة لمنكري القياس، وتقليد العوام، كما بينه الأصوليون. وقد غلط كثير من منكري تقليد الأئمة في فهم معنى هذه الآية، فتمسكوا بها على رأيهم الفاسد.

(١) هذه الآيات بيان لإعجاز القرآن. أفاده ابن كثير.

(٢) وقوله: (أي: افتراء). أفاد أن ﴿أَن﴾ مصدرية. والمصدر بمعنى اسم المفعول، أي: مفترًى.

(٣) قوله: (أنزل). يفيد أن ﴿تَصْدِيقَ﴾ مفعول لأجله للفعل المحذوف، أو حال من فاعله. والمعنى: مصدِّقًا. ﴿لَٰكِن﴾ هنا حرف استدراك، وليست عاطفة لوجود الواو، ﴿وَلَٰكِن﴾ ومن شرط كونها عاطفة: تجردها عن الواو. ﴿وَتَفْصِيلَ﴾ عطف على ﴿تَصْدِيقَ﴾ وكلاهما بمعنى اسم الفاعل.

(٤) قوله: (ما كتبه الله من الأحكام...). بمثله فسر ابن كثير.

(٥) قوله: (متعلق بـ﴿تَصْدِيقَ﴾). أي: أو تفصيل كما ذكره البيضاوي، وذكر أوجهًا أخرى إعرابية.

(٦) قوله: (وقرئ). هذه قراءة شاذة، كما أشار إلى ذلك بقوله: (قرئ).

(٧) قوله: (بل...). أفاد أن ﴿أَمْ﴾ هنا منقطعة، كما تقدم نظير ذلك.

(٨) قوله: (في الفصاحة والبلاغة). بل القرآن معجز من جميع الوجوه، في الفصاحة والبلاغة =

﴿وَٱدۡعُواْ﴾ للإعانة عليه ﴿مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨﴾ في أنه افتراء، فلم يقدروا على ذلك.

٣٩- قال تعالى: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ﴾ أي: القرآن ولم يتدبروه[١] ﴿وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ﴾ عاقبة ما فيه من الوعيد[٢] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ التكذيب ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾ رسلهم ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩﴾ بتكذيب الرسل[٣]، أي: آخر أمرهم من الهلاك[٤]، فكذلك نهلك هؤلاء.

= ووفور المعنى، والتأثير في القلوب، والإخبار بالغيب، وغير ذلك. كما أشار المفسر إليه في تفسير سورة البقرة: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا﴾ [٢٣].

فائدة: وقع التحدي بالقرآن على أربع مراتب:

الأول: التحدي بجميع القرآن كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ...﴾ [الإسراء: ٨٨].

الثانية: بعشر سور كما في قوله تعالى: ﴿فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ﴾ [هود: ١٣].

الثالثة: بسورة واحدة، كما هنا وفي سورة البقرة.

الرابعة: بحديث مثله. أفاده الصاوي.

(١) قوله: (ولم يتدبروه). أي: لم يفهموا القرآن ولا عرفوه، قاله ابن كثير. و﴿بَلۡ﴾ هنا للإضراب الانتقالي، وذلك واضح.

(٢) قوله: (عاقبة ما فيه...). وبمثله فسر ابن جرير، والقرطبي. فالتأويل هنا بمعنى مصداق الشيء وحقيقته. وقد ذكرنا معاني التأويل في أول سورة آل عمران.

و﴿لَمَّا﴾ هنا حرف نفي كما أشار إليه المفسر بقوله: (لَم)، وبينهما اتفاق في أربعة أمور واختلاف في أربعة أمور، فصلنا ذلك في «الثلاثيات».

(٣) قوله: (بتكذيب الرسل). متعلق بـ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩﴾.

(٤) وقوله: (أي: آخر أمرهم). تفسير للـ﴿عَٰقِبَةُ﴾.

(٤٠)- ﴿وَمِنْهُم﴾ أي: أهل مكة[١] ﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ لعلم الله ذلك منهم ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ﴾ أبدًا[٢] ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ (٤٠)﴾ تهديد لهم.

(٤١)- ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل﴾ لهم ﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْۖ﴾ أي: لكلٍّ جزاءُ عمله ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٤١)﴾، وهذا منسوخ بآية السيف[٣].

(٤٢)- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَۚ﴾ إذا قرأت القرآن ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ شبههم بهم في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم[٤] ﴿وَلَوْ كَانُواْ﴾ مع الصمم ﴿لَا يَعْقِلُونَ (٤٢)﴾ يتدبرون.

(٤٣)- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لَا يُبْصِرُونَ (٤٣)﴾ شبههم بهم[٥] في عدم الاهتداء بل أعظم[٦]، «فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن

---

(١) قوله: (أي: أهل مكة). وبنحوه فسر ابن جرير. ويناسبه أن السورة مكية، واختار القرطبي: أن المراد عموم الكفار المشركون وغيرهم من أهل الكتاب.

(٢) قوله: (أبدًا). أي: فيصرّ على كفره حتى يموت. قاله القرطبي.

(٣) قوله: (وهذا منسوخ بآية السيف). أي: آية القتال المتقدمة في سورة التوبة. قاله مقاتل، ومجاهد وابن زيد.

(٤) قوله: (شبههم بهم في عدم الانتفاع...). أي: شبه الكفار بالصمّ، وإن كان لهم سمع في الظاهر. وإطلاق الصم هنا يكون من باب الاستعارة، والاستعارة مبنية على التشبيه كما هو معروف.

(٥) قوله: (شبههم بهم). أي: شبه الكفار بالعُمْي، كما في «الصم». الصُّم: جمع أَصَمّ، والعُمْي: جمع أعمى.

(٦) وقوله: (بل أعظم). أي: عماهم بعدم البصيرة أعظم من عَمَى البصر، واستدل المفسر على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ...﴾. قال ابن جرير: «وهذا من الله تعالى=

﴿تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦].

﴿٤٤﴾- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1].

﴿٤٥﴾- ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن﴾ أي: كأنهم[2] ﴿لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ في الدنيا أو القبور ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ لهول ما رأوا[3]، وجملة التشبيه[4] حال من الضمير ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضًا إذا بعثوا ثم ينقطع التعارف لشدة الأهوال[5]،

= تسلية لنبيه ﷺ عن جماعة ممن كفر به من قومه، وأدبر عنه، فكذب، وتعزية له عنهم، وأمر برفع طمعه من إنابتهم إلى الإيمان بالله».اهـ.

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ﴾. قال ابن جرير ما حاصله: «إن تقدير الشقاء عليهم وسلب سمع القلب وبصره عنهم ليس ظلمًا منه، بل هم استحقوها بسبب ذنوب اكتسبوها».اهـ.

(٢) قوله: (أي: كأنهم). أشار به إلى اسم ﴿كَأَن﴾ المخففة. فهو الضمير المحذوف، وجملة ﴿لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ في محل رفع خبرها، ولكن الأولى تقدير الاسم ضمير الشأن، كما هو المعروف. ولعل ما قال المفسر تفسيرٌ للمراد.

(٣) قوله: (لهول ما رأوا...). كما قال ابن عباس: «رأوا أن طول أعمارهم في مقابلة الخلود كساعة».اهـ. نقله القرطبي.

(٤) وقوله: (وجملة التشبيه). وهي قوله ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟...﴾ فهي محل نصب، حال من «هم» في ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾.

(٥) قوله: (ثم ينقطع التعارف) أشار به إلى دفع ما يتوهم من التعارض بين ما هنا وبين قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [المعارج: ١٠]. فهم يتعارفون فيما بينهم، ثم تنقطع المعرفة بينهم، وقاله ابن جرير أيضًا.

والجملة حال مقدرة، أو متعلق الظرف[(١)] ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ بالبعث ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿٤٦﴾- ﴿وَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة[(٢)] ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ به[(٣)] من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف، أي: فذاك[(٤)] ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾ مطلع ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ من تكذيبهم وكفرهم، فيعذبهم أشد العذاب[(٥)].

= ونقل القرطبي عن الكلبي: «هذا التعارف تعارف توبيخ وافتضاح لا تعارف شفقة». اهـ. فهذا توجيه آخر.

(١) قوله: (والجملة...) يعني أن جملة ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾ يحتمل إعرابين: الأول: أنها في محل نصب حال من «هم»، لكنها حال مقدرة، وهي ما يقع معناها بعد وقوع العامل، والمعنى: يحشرهم مقدرًا تعارفهم بعد حشرهم. وعلى هذا يكون ﴿يَوْمَ﴾ منصوبًا بفعل محذوف، نحو: اذكر. الثاني: أنها مستأنفة، يتعلق بها الظرف ﴿يَوْمَ﴾، والمعنى: يتعارفون فيما بينهم يوم يحشرهم. وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ﴾ جملة مستأنفة على كلا التقديرين.

(٢) قوله: (فيه إدغام...). أي: فأصل ﴿إِمَّا﴾ هنا: «إن»، و«ما». ويكثر تأكيد المضارع الواقع شرطًا لـ«إن» المدغمة في «ما»، كما هنا. وكما في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ [مريم: ٢٦]، وغيره.

(٣) قوله: (به). قدره ليكون الضمير عائدًا على الموصول. والأقرب تقديره ضميرًا منصوبًا؛ لأن حذف العائد المجرور مشروط -في الغالب- بدخول حرف الجر نفسه على الموصول. كما ذكره النحاة.

(٤) وقوله: (فذاك)، أي: فذاك واقع. وقدر هكذا البيضاوي. أي: فذاك واقع.

(٥) قوله: (فيعذبهم...). تفسير للازم قوله: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ...﴾ الواقع جوابًا للشرط. =

(٤٧) - ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم ﴿رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ إليهم فكذبوه[(١)] ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل، فيعذبون وينجى الرسول ومن صَدَّقَه ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٤٧)﴾ بتعذيبهم بغير جرم، فكذلك نفعل بهؤلاء.

(٤٨) - ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤٨)﴾ فيه.

(٤٩) - ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا﴾ أدفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أجلبه ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن يقدرني عليه[(٢)]، فكيف أملك لكم حلول العذاب ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة معلومة لهلاكهم ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ يتأخرون عنه[(٣)] ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٤٩)﴾ يتقدمون عليه.

= والمعنى: إن لم ننتقم منهم عاجلًا ننتقم منهم آجلًا. أفاده القرطبي. ونقل عن المفسرين: كان البعض الذي وعدهم قتل من قتل وأسر من أسر ببدر.اهـ.

(١) قوله: (إليهم فكذبوه). فالمعنى: إذا جاء الرسول إلى أمة فلم يؤمنوا به وكذبوه عذبت الأمة في الدنيا. ونجي الرسول والمؤمنون به. فالمراد بالقضاء هنا: القضاء بينهم في الدنيا؛ بإهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين. وبنحو ما قال المفسر فسر البيضاوي. فيكون هنا حذف جملة إيجازًا، أي: (فكذبوه) كما قدر المفسر. وفسر ابن جرير، وابن كثير، ونقلًا عن مجاهد، أن المراد القضاء في الآخرة، والمعنى: فإذا جاء رسولهم ليشهد عليهم يوم القيامة قضي بالقسط، بإدخال المؤمنين الجنة، والكافرين النار.

(٢) قوله: (أن يقدرني...). بمثله فسر البيضاوي، والقرطبي وغيرهما، وعلى هذا يكون الاستثناء متصلًا، ويحتمل كونه منقطعًا، والمعنى: لكن ما شاء الله يقع، وذكره البيضاوي وجهًا.

(٣) قوله: (يتأخرون عنه). أفاد أن الاستفعال ﴿يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ هنا مجرد عن معنى الطلب. وكذا: ﴿يَسْتَقْدِمُونَ (٤٩)﴾ كما أشار له المفسر. وجملة ﴿يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ معطوفة على جملة الشرط السابقة، أي: على ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ لا على ﴿يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾، والله أعلم.

(٥٠)- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني[(١)] ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ﴾ أي: الله ﴿بَيَٰتًا﴾ ليلًا ﴿أَوْ نَهَارًا مَّاذَا﴾ أيّ شيء ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾ أي: العذاب ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ المشركون. فيه وضع الظاهر موضع المضمر[(٢)]. وجملة الاستفهام جواب الشرط[(٣)]، كقولك: إنْ أتيتك ماذا تعطيني؟ والمراد به التهويل[(٤)]، أي: ما أعظم ما استعجلوه.

(٥١)- ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ حلّ بكم ﴿ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ أي: الله أو العذاب عند نزوله، والهمزة لإنكار التأخير[(٥)]، فلا يقبل منكم، ويقال لكم: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾

---

(١) قوله: (أخبروني). تفسير للمراد بـ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾. وهو في الأصل همزة استفهام بمعنى الأمر و«رأيتم» فعل ماض وفاعله، وضمن «أرأيتم» معنى أخبروني: كأن المعنى: انظروا فأخبروني... ولما ضمّن معنى أخبروني تعدّى إلى ثلاثة مفاعيل، والمفعول الثالث غالبًا يكون جملة استفهامية، فهٰهنا: المفعول الأول ياء المتكلم، والثاني محذوف، تقديره: عذاب الله، وجملة ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ﴾ المفعول الثالث. وجواب الشرط: ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ﴾ محذوف، تقديره: تندموا، مثلًا. أو جملة ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ﴾ الجملة الاستفهامية جواب الشرط، وهو الذي مشى عليه المفسر، وكما في البيضاوي. وعلى هذا يكون التقدير: (فماذا يستعجل)، أي: بتقدير الفاء في أول الجملة؛ لأن الجملة اسمية وهي من مواضع وجوب الفاء، وتكون الجملة الشرطية في محل نصب المفعول الثالث لأخبروني على ما ذهب إليه المفسر. وتقدم إعراب ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ في سورة الأنعام الآية (٤٠).

(٢) قوله: (فيه وضع الظاهر...). أي: فأصله: ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾ فوضع الظاهر ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ موضع الضمير: الواو؛ تنبيهًا على كونهم مجرمين. وفيه أيضًا التفات من الخطاب إلى الغيبة.

(٣) قوله: (وجملة الاستفهام...). هذا -كما ذكرنا- أحد الوجهين، ويحتاج إلى تقدير الفاء في الجواب.

(٤) وقوله: (والمراد به). أي: بالاستفهام.

(٥) قوله: (والهمزة لإنكار التأخير). يعني الهمزة في ﴿أَثُمَّ﴾ للاستفهام الإنكاري أي: الاستنكار عليهم في تأخير إيمانهم إلى وقت نزول العذاب بهم. و«ثم» حرف عطف على =

تؤمنون[١] ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾[٢] استهزاءً.

﴿٥٢﴾- ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ [٣] ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ أي: الذي تخلدون فيه ﴿هَلْ ﴾ ما ﴿تُجْزَوْنَ إِلَّا ﴾ جزاء ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿٥٣﴾- ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾ يستخبرونك ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي: ما وعدتنا به من العذاب والبعث ﴿قُلْ إِى ﴾ نعم[٤] ﴿وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ بفائتين العذاب.

= مقدر، نحو: أأخرتم الإيمان ثم إذا وقع آمنتم. كما يعلم من الصاوي. وقال ابن جرير: «﴿ أَثُمَّ ﴾ هنا بمعنى: «هنالك».

(١) قوله: (تؤمنون). قدره ليكون عاملًا في الظرف ﴿ءَآلْـَٔنَ﴾ فهو ظرف مبني على الفتح في محل نصب، والهمزة الداخلة عليه للاستفهام الإنكاري، وهمزة أل قلبت ألفًا، فأصبح فيه مدّ، يسمى بالمد اللازم في علم التجويد. وهذا من مواضع جواز التقاء الساكنين، أي: إذا دخلت همزة الاستفهام على اسم فيه «أل» قلبت همزة «أل» ألفًا، والتقى الساكنان، والتقاء الساكنين محذور، وقد أجيز في ثلاث مسائل، هذه إحداها، وقد ذكرناها مفصلة في رسالة «الاستثناء».

(٢) قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كُنتُم ...﴾. الجملة في محل نصبٍ حالٌ، وجملة ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ كُنتُم ...﴾ في محل نصب مقول لقول محذوف، كما قدره المفسر.

(٣) قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ...﴾. قال القرطبي: «أي: يقول لهم ذلك خزنة جهنم».اهـ. أعاذنا الله منها.

(٤) قوله: (نعم). تفسير ﴿إِى﴾، فهو حرف جواب، لكنه مختص بالقسم، قال الصاوي: «ومنه قولهم: «إيوه» أصله: إي والله. حذف المقسم به وألحق بحرف القسم هاء السكتة. ويحتمل كون الهاء فيه اسم الجلالة».اهـ. قال ابن كثير: «لم يأت أمر الله لرسوله أن يحلف به على من أنكر المعاد إلا في ثلاثة آيات: هنا، وفي سبأ: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى ﴾ [٣]، وفي التغابن: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى﴾ [٧]...».اهـ. ملخصًا.

٥٤- ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾[١] كفرت[٢] ﴿مَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ جميعًا من الأموال[٣] ﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ من العذاب يوم القيامة ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ أي: أخفاها رؤساؤهم[٤] عن الضعفاء الذين أضلوهم مخافة التعيير ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ بين الخلائق ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٥٤﴾ شيئًا.

٥٥- ﴿أَلَآ[٥] إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿حَقٌّ﴾ ثابت ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٥٥﴾ ذلك.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ﴾. ﴿لَوْ﴾ هنا شرطية، وفعل الشرط محذوف، و﴿أَنَّ﴾ وما بعدها في تأويل مصدر فاعل، والتقدير -والله أعلم-: ولو ثبت كون ما في الأرض لكل نفس...

(٢) وقول المفسر: (كفرت). أفاد أن المراد بالظلم هنا: الكفر، وبه فسر ابن جرير وغيره.

(٣) قوله: (من الأموال) بيان لـ﴿مَا﴾.

(٤) قوله: (أي: أخفاها رؤساؤهم). وهكذا فسر ابن جرير، والقرطبي.

(٥) قول تعالى: ﴿أَلَآ...﴾. ﴿أَلَآ﴾: حرف تنبيه، يفيد التوكيد، فذكره مرتين يفيد مزيد توكيد، كما أن الاستدراك بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ...﴾ مما يفيد التوكيد أيضًا. وذلك ردًّا على المنكرين.

فائدة: «ألا» تأتي للتحضيض والعرض أيضًا، الأول: نحو قوله تعالى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ﴾ [التوبة: ١٣]. والثاني: كقوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].

وقد تكون «ألا» همزة الاستفهام الداخلة على «لا» النافية للجنس، كقول الشاعر: «ألا أرْعواءَ لمن ولّت شبيبته...».

الخلاصة: «ألا» تأتي على أربعة أوجه.

﴿٥٦﴾ - ﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ[١] وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم.

﴿٥٧﴾ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهل مكة[٢] ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ كتاب فيه مالكم وما عليكم وهو القرآن[٣] ﴿وَشِفَآءٌ﴾ دواء[٤] ﴿لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ من العقائد الفاسدة والشكوك ﴿وَهُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ به.

﴿٥٨﴾ - ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ الإسلام[٥] ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ القرآن ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾ الفضل

---

(١) قوله تعالى: ﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾. إذا كان خبر المبتدأ فعلًا -جملة فعلية- ولم يدخل النفي على المبتدأ كما هنا، وكما في قولك: أنا فعلت كذ؛ احتمل التخصيص والتوكيد -كما هنا-، فالإحياء والإماتة لله تعالى وحده، وقد يفيد التوكيد دون التخصيص، كما إذا قلتَ: أنا حفظت الدرس. وأما إذا كان المبتدأ منفيًّا فإنه يفيد التخصيص وهذه المسألة ذكرها البلاغيون، مع تفصيل في ذلك. وربما يعنِونون هذه المسألة بـ«ما أنا قلت».

الخلاصة: ﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ يفيد تخصيصًا وتوكيدًا. والله أعلم.

(٢) قوله: (أهل مكة). كما تقدم في تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢١).

(٣) قوله: (وهو القرآن). كما فسر بذلك ابن جرير.

(٤) قوله: (دواء). كذا فسر ابن جرير، ولعله تفسير تقريبي؛ لأن الشفاء أدل وأدقّ من الدواء، لأن معناه: الإبراء، وأما الدواء فقد لا يبرئ. والقرآن كما أنه شفاء لما في الصدور والأمراض المعنوية كذلك هو شفاء للأمراض الحسية. كما في الآيات الأخرى والأحاديث الصحيحة.

(٥) قوله: (الإسلام). تفسير لـ﴿فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ والقرآن تفسير لـ﴿رَحْمَتِهِۦ﴾. وكذا فسرهما ابن جرير ورواه عن ابن عباس، وعن قتادة، والحسن، وهلال بن يساف. وروى عن زيد بن أسلم، والضحاك: «فضل الله: القرآن، ورحمته: الإسلام». وكل ذلك متقارب ومتلازم.

والرحمة(١) ﴿فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ من الدنيا(٢)، بالياء والتاء(٣).

٥٩- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾ أخبروني(٤) ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ خلق(٥) ﴿لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ كالبحيرة والسائبة والميتة ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ(٦)﴾ في

---

(١) أفاد أن اسم الإشارة ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى المذكور من الفضل والرحمة.

قال المفسرون في إعراب هذه الآية: الباء في المواضع الثلاثة: ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ﴾ للسببية. و﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ متعلق بمحذوف دل عليه ما بعده، والتقدير: بفضل الله وبرحمته فليفرحوا... والفاء في ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾ الفاء الفصيحة، فكأنه قيل: إن فرحوا بشيء فبذلك فليفرحوا. وجملة ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ مؤكدة لما قبلها. والفاء في ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ زائدة لتوكيد تعلق الفعل بسببه. فيكون حاصل المعنى: بفضل الله ورحمته فليفرحوا. إن فرحوا بشيء فبذلك فليفرحوا. وهذا حاصل ما يعلم من كلام المعربين. والله أعلم.

(٢) قوله: (من الدنيا). بيان لـ«ما» في ﴿مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾. ونحوه نقله ابن جرير عن ابن عباس، قال: «الأموال وغيرها».

(٣) وقوله: (بالياء والتاء). قراءتان: بالتاء: ﴿تَجْمَعُونَ﴾: بصيغة الخطاب: قراءة ابن عامر وأبي جعفر. وبالياء: ﴿يَجْمَعُونَ﴾: قراءة الباقين.

(٤) وقوله: (أخبروني). تقدم أن ﴿أَرَءَيْتُم﴾ مضمن معنى أخبروني، فله ثلاثة مفاعيل: الأول: ياء المتكلم. والثاني: ﴿مَّآ أَنزَلَ﴾ «ما» الموصولة. والثالثة: جملة ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾، و﴿قُلْ﴾ الثاني تأكيد لفظي لـ﴿قُلْ﴾ الأول.

(٥) قوله: (خلق). تفسير للمراد بـ﴿أَنزَلَ﴾. وبه فسر ابن جرير. نقل ابن كثير عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة وغيرهم: «أن هذه الآية نزلت إنكارًا على المشركين فيما كانوا يحلون ويحرمون من البحائر والسوائب والوصائل».اهـ. ونقل ابن جرير عن ابن عباس: «الحرث والأنعام».

(٦) قوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ﴾. فيه التقاء الساكنين، الألف واللام الأولى، وهذا من مواضع الجواز من وجهين: =

ذلك التحليل والتحريم؟ لا ﴿أَمۡ﴾ بل[(١)] ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ۝٥٩﴾ تكذبون بنسبة ذلك إليه.

٦٠- ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ أي: أيّ شيء[(٢)] ظنهم به ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ أيحسبون[(٣)] أنه لا يعاقبهم، لا[(٤)] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بإمهالهم والإنعام عليهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ۝٦٠﴾.

٦١- ﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يا محمد[(٥)] ﴿فِي شَأۡنٖ﴾ أمر ﴿وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ﴾ أي: من الشأن[(٦)]

= الأول: إذا كان الساكن الأول حرف مد، والثاني مدغمًا فيما بعده، جاز التقاء الساكنين، وهٰهنا كذلك.

والثاني: إذا دخلت همزة الاستفهام على اسم فيه «أل» قلبت همزة «أل» ألفًا، فيكون ساكنًا مع سكون لام «الْ» كما في ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ﴾ وذلك جائز، وهو موجود في ﴿ءَآللَّهُ﴾. كما هو واضح.

(١) قوله: (بل). أفاد أن ﴿أَمۡ﴾ هنا منقطعة؛ لأن الهمزة المتقدمة ﴿ءَآللَّهُ﴾ ليست للتعيين ولا للتسوية. بل لطلب الحكم، وتقديم اسم الجلالة لإفادة التأكيد.

فائدة: استدل أهل السنة بهذه الآية على أن المحرّم يسمى رزقًا؛ لأن الله تعالى سمى ما حرموا رزقًا. والمخالف فيه المعتزلة.

(٢) قوله: (أي: أيّ شيء). «أي» الأولى حرف تفسير، والثانية «أيّ» بتشدي الياء اسم استفهام. أفاد به أن «ما» استفهامية.

(٣) قوله: (أيحسبون...) تفسير للمراد بالاستفهام؛ فهو استفهام إنكاري، وبنحو ما قاله المفسر فسر ابن جرير.

(٤) قوله: (لا). جواب لهذا الاستفهام، أي: ليس الأمر كذلك، بل يعاقبهم.

(٥) قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ﴾. ﴿مَا﴾ نافية، وكذا ما بعدها.

(٦) وقوله: (من الشأن). فالضمير في ﴿مِنۡهُ﴾ عائد إلى الشأن، و«من» سببية، أي: ما تتلو قرآنًا بسبب شأنٍ من الشؤون الذي نزل فيه القرآن.

أو من الله[١] ﴿مِن قُرۡءَانٍ﴾ أنزله عليك ﴿وَلَا تَعۡمَلُونَ﴾ خاطبه وأمته ﴿مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا﴾ رقباء ﴿إِذۡ تُفِيضُونَ﴾ تأخذون[٢] ﴿فِيهِۚ﴾ أي: العمل ﴿وَمَا يَعۡزُبُ﴾ يغيب ﴿عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٖ﴾ أصغر نملة ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٦١﴾ بين، هو اللوح المحفوظ[٣].

٦٢- ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ في الآخرة[٤].

= وقال ابن جرير: «منه، أي: من قرآن، فالضمير في ﴿مِنۡهُ﴾ عائد على القرآن المعلوم من السياق، و«من» على هذا تبعيضية. وجاز تعلق حرفي جرّ واحدٍ بشيءٍ واحدٍ إذا اختلف معناهما. فههنا «من» في الموضعين متعلق بالفعل ﴿تَتۡلُواْ﴾؛ لكونهما بمعنيين.

(١) وقوله: (أو من الله). احتمال آخر لرجوع الضمير، وعلى هذا تكون «من» ابتدائية. و«من» في (من قرآن) مزيدة للتوكيد. وكذا في ﴿مِنۡ عَمَلٍ﴾، و﴿مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ﴾.

(٢) قوله: (تأخذون). أي: تشرعون.

و﴿لَآ أَصۡغَرَ﴾ معطوف على ﴿مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ﴾ مجرور وعلامة جره الفتحة؛ لأنه ممنوع من الصرف، و﴿لَآ﴾ مزيدة لتوكيد النفي، وكذلك ﴿وَلَآ أَكۡبَرَ﴾.

(٣) قوله: (هو اللوح المحفوظ). كما قاله القرطبي.

(٤) قوله: (في الآخرة). الظاهر أنه متعلق بـ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ و﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ ... لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ...﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٣]، فالأولياء ينتفي عنهم الحزن والخوف في الآخرة، ذكر نحو هذا القرطبي وجهًا، والذي فسر به ابن جرير وابن كثير: «لا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أهوال الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا».اهـ. ملخصًا. وذكره القرطبي وغيره.

(٦٣)- هم[١] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ (٦٣)﴾ الله بامتثال أمره ونهيه[٢].

(٦٤)- ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ فسرت في حديث صححه الحاكم[٣]، بالرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرى له ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ بالجنة والثواب ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ لا خلف لمواعيده[٤] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ (٦٤)﴾.

(٦٥)- ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ﴾ لك: لست مرسلًا وغيره ﴿إِنَّ﴾ استئناف[٥]

(١) قوله: (هم). على هذا يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ خبرًا للمبتدأ المحذوف، ويحتمل كونه نعتًا. رجحه ابن جرير.

(٢) قوله: (ونهيه). أي: واجتناب ما نهى عنه. وروى ابن جرير عن ابن عباس وغيره في علامة الأولياء: «الذين يُذكر الله لرؤيتهم».

(٣) قوله: (فسرت...). هذا الحديث رواه ابن جرير عن عبادة بن الصامت، قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ...﴾، قال: «**هي الرؤيا الصالحة يراها العبد أو تُرى له**». وروى كذلك عن ابن عباس وغيره. وروى عن قتادة والزهري: «البشرى: هي البشارة عند الموت، أي: بشرى الملائكة للمؤمن عند الاحتضار»، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الآية [فصلت: ٣٠]. واختار ابن جرير: أن الآية تشملها.

(٤) قوله: (لا خلف لمواعيده). وبنحو ذلك فسر ابن كثير وابن جرير.

(٥) قوله: (استئناف). أي: جملة ﴿إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ﴾ جملة مستأنفة، وليست مقول قولهم، كما هو واضح، فيكون الوقف على ﴿قَوۡلُهُمۡۘ﴾ وقفًا لازمًا كما يرمز له بحرف (ۘ) في المصاحف. ومقول قولهم قدره المفسر.

﴿ٱلْعِزَّةَ﴾ القوة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ ٦٥﴾ بالفعل فيجازيهم وينصرك.

٦٦- ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ عبيدًا وملكًا وخلقًا[(١)] ﴿وَمَا يَتَّبِعُ[(٢)] ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره أصنامًا[(٣)] ﴿شُرَكَآءَۚ﴾ له على الحقيقة تعالى عن ذلك ﴿إِن﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي: ظنهم أنها آلهة تشفع لهم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ٦٦﴾ يكذبون في ذلك.

٦٧- ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ﴾ إسناد الإبصار إليه مجاز؛ لأنه يبصر فيه[(٤)] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ﴾ دلالات على

---

(١) قوله: (عبيدًا...). تمييزات للنسبة، أي: النسبة في جملة ﴿لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ﴾. ﴿مَا﴾ نافية، والمعنى: لا يتبعون شركاء حقيقة، وإنما ذلك ظنهم الباطل، كما مشى عليه المفسر، وهو الذي قدمه القرطبي وغيره ممن أعرب القرآن. ويحتمل كون «ما» استفهامية، فهي في محل نصب مفعول مقدم لـ﴿يَتَّبِعُ﴾، والمعنى: أي شيء يتبعون، و﴿شُرَكَآءَۚ﴾ حال. واختاره الطبري. ويجوز كون «ما» اسمًا موصولًا معطوفًا على ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، والمعنى: إن لله من في السموات ومن في الأرض، وما يتبعون شركاء فكل ذلك ملك لله تعالى، وعلى هذا تكون «ما» في محل رفع.

(٣) قوله: (أصنامًا). قدره ليفيد أن ﴿شُرَكَآءَۚ﴾ نعت لهذا المقدر.

(٤) قوله: (إسناد الإبصار...). أي: في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ﴾، «مبصر»: اسم فاعل أسند إلى فاعله، وهو الضمير المستتر الراجع إلى النهار. فهو إسناده إلى الزمان، فيكون من المجاز العقلي. وبنحوه قال الإمام المحلي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ﴾ في سورة غافر الآية (٦١).

وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٧﴾ سماع تدبر واتعاظ.

٦٨- ﴿قَالُواْ﴾ أي: اليهود والنصارى[١]، ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾ قال تعالى لهم[٢]: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ تنزيهًا له عن الولد ﴿هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ﴾ عن كل أحد، وإنما يطلبُ الولدَ من يحتاج إليه[٣] ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ﴾ حجة ﴿بِهَٰذَآۚ﴾ الذي تقولونه ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٨﴾ استفهام توبيخ.

٦٩- ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ بنسبة الولد إليه ﴿لَا يُفۡلِحُونَ ٦٩﴾ لا يسعدون.

٧٠- لهم[٤] ﴿مَتَٰعٞ﴾ قليل[٥] ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ يتمتعون به مدة حياتهم ﴿ثُمَّ

---

(١) قوله: (اليهود والنصارى). لعل المراد أن هذه الآية حجة على هؤلاء كلهم، وإلا فالآية مكية، والخطاب مع المشركين، أي في قوله: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٨﴾.

(٢) قوله: (قال تعالى...). أي: إن ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ كلام من الله مستأنف رد لقولهم... وقد ذكرنا إعراب ﴿سُبۡحَٰنَ﴾ في أول سورة البقرة.

(٣) قوله: (وإنما يطلب الولد...). أفاد ان قوله: ﴿هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ﴾ فيه رد آخر عليهم، وكذلك في قوله: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ...﴾؛ لأنه لا تجتمع الملكية والولدية.

و﴿إِنۡ﴾ نافية، كما قدره المفسر، و﴿سُلۡطَٰنِۭ﴾ بمعنى: الحجة هنا، وتقدم معناه في سورة آل عمران الآية (١٥١).

(٤) قوله: (لهم). أفاد أن ﴿مَتَٰعٞ﴾ مبتدأ حذف خبره ويحتمل كونه خبرًا لمبتدأ محذوف أي: هذا، أو ذلك. ذكره ابن جرير.

(٥) وقوله: (قليل). أخذه من التنوين في ﴿مَتَٰعٞ﴾. وكما قال تعالى: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ﴾ [النساء: ٧٧]، وغير ذلك من الآيات.

إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ[(١)]﴾ بالموت ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾ بعد الموت ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾.

٧١- ﴿۞ وَٱتۡلُ﴾ يا محمد[(٢)] ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: كفار مكة ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿نُوحٍ﴾ ويبدل منه[(٣)] ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ﴾ شقَّ[(٤)] ﴿عَلَيۡكُم مَّقَامِي﴾ لبثي فيكم[(٥)] ﴿وَتَذۡكِيرِي﴾ وعظي إياكم ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾ اعزموا على أمر تفعلونه بي[(٦)] ﴿وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾ الواو بمعنى مع[(٧)] ﴿ثُمَّ لَا

---

(١) وقوله تعالى: ﴿مَرۡجِعُهُمۡ﴾. أي: رجوعهم، كما قاله القرطبي. فيكون «المرجع» مصدرًا ميميًا.

(٢) قوله تعالى: ﴿۞ وَٱتۡلُ﴾. أمر من التلاوة، مبني على حذف الآخر أي: الواو.

(٣) قوله: (ويبدل منه). أي: من ﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾ بدل اشتمال، ويصح كون ﴿إِذۡ﴾ ظرفًا لـ﴿نَبَأَ﴾.

(٤) قوله: (شق). وبمثله فسر المفسرون، قال ابن كثير: «عظم عليكم»، وقال القرطبي: «عظم وثقل عليكم». ومؤدى الجميع واحد.

(٥) وقوله: (لبثي...). أفاد أن «مقام» مصدر ميمي، وهو أيضًا ظرف لـ«قام». وقوله تعالى: ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ جواب الشرط، وهو في المعنى دال على جواب الشرط، أي: فلا أبالي لأني توكلت على الله، كما أشار إليه ابن كثير.

(٦) قوله: (اعزموا على أمر...). يقال: أجمع على الأمر أو أجمعه بمعنى: عزم عليه. فـ«أجمع» يتعدى بنفسه وبحرف الجر.

(٧) قوله: (الواو بمعنى: مع). أي: الواو في ﴿وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾ واو المعية، و«شركاء» منصوب على أنه مفعول معه، وليس بالعطف على ﴿أَمۡرَكُمۡ﴾؛ لأن «أجمع» لا يتعدى إلى الذوات بل يقال مثلًا: «جَمَعْتُ أصحابي» بدون همزة. ويمكن نصب «شركاءكم» بفعل مضمر تقديره: واجمعوا شركاءكم. كما قاله الصاوي وغيره.

يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ مستورًا[(١)] بل أظهروه وجاهروني به ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ﴾ امضوا فيما أردتموه[(٢)] ﴿وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ تمهلون فإني لست مُباليًا بكم.

﴿٧٢﴾- ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾[(٣)] ثواب عليه فتتولوا[(٤)] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾[(٥)].

﴿٧٣﴾- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ﴾ السفينة ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ أي: من معه ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ في الأرض ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بالطوفان ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ من إهلاكهم، فكذلك نفعل بمن كذَّبك[(٦)].

---

(١) قوله: (مستورًا). أي: مبهمًا كما ذكره ابن جرير. قال: «من قولهم: غُمَّ على الناس الهلال إذا أشكل عليهم فلم يتبينوه». اهـ.

(٢) قوله: (امضوا فيما أردتموه). بنحوه فسر ابن جرير قال: «امضوا إليّ ما في أنفسكم وافرغوا منه». وذكر نحوه عن قتادة، ومجاهد.

(٣) قوله تعالى: ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم...﴾. جواب الشرط، وهو في الأصل دال وعلة للجواب المحذوف، والتقدير: فلا أبالي، أو فلا ضرر علي. كما ذكره الصاوي.

(٤) قوله: (فتولوا). منصوب بـ«أن» مضمرة في جواب النفي، كأنه قيل: ما سألتكم من أجر، وإن سألتكم أجرًا، وأصل «تتولوا» بتاءين حذفت إحداهما جوازًا.

(٥) قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾. دل على أن الإسلام دين الأنبياء جميعًا وإن اختلفت الشرائع، كما في آيات أخرى وكما قال ﷺ: «**نحن معاشر الأنبياء أولاد علات**» [«فتح الباري» (٦/ ٥٥٠)]، أولاد العلات: إخوة من أمهات والأب واحد. اهـ. من ابن كثير ملخصًا.

(٦) قوله: (فكذلك نفعل بمن كذب). أي: ففي الآية تحذير للمكذبين، وتسلية للنبي ﷺ. كما أشار إليه البيضاوي.

(٧٤)- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: نوح ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ كإبراهيم وهود وصالح[(١)] ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾[(٢)] أي: قبل بعث الرسل إليهم[(٣)] ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ (٧٤)﴾؛ فلا تقبل الإيمان[(٤)]، كما طبعنا على قلوب أولئك.

(٧٥)- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ قومه[(٥)] ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التسع[(٦)] ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٧٥)﴾.

---

(١) قوله: (كإبراهيم...). العطف في كلام المفسر بالواو فليس للترتيب؛ لأن هودًا قبل صالح، وهو قبل إبراهيم.

(٢) قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ...﴾. اللام لام الجحود والفعل منصوب بـ﴿أَنْ﴾ مضمرة وجوبًا ولام الجحود متعلقة بمحذوف تقديره: فما كانوا مريدين ليؤمنوا وَعلى هذا تكون لام الجحود لام التقوية باعتبار المعنى. والله أعلم. وتقدم الكلام عن لام التقوية في سورة النساء الآية (٢٦).

(٣) وقوله: (أي: قبل بعث الرسل). أفاد أن ﴿قَبْلُ﴾ مبني على الضم في محل جر، لحذف المضاف إليه ونية معناه. والمضاف إليه المحذوف قدره المفسر بقوله: (أي: قبل بعث...).

(٤) قوله: (فلا تقبل...). أي: لا تقبل تلك القلوب الإيمان، لوجود الطبع عليها.

(٥) قوله: (قومه). فسر الملأ بالقوم اعتبارًا بالمراد، والملأ في الأصل الأشراف، سموا بذلك لامتلاء العيون بمهابتهم والمجالس بأجسامهم والقلوب بجلالهم. أفاده الصاوي. ولعل تفسيره بالقوم؛ لأن غير الأشراف تبع لهم.

(٦) قوله: (التسع). كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١]، وقد سبق ذكرها في سورة الأعراف، وهن: اليد والعصا والسنون والطوفان والدم والجراد والقمل والضفادع ونقص الثمرات، وهي التي ذكرها المفسر في قوله تعالى: ﴿تِسْعَ ءَايَٰتٍ﴾، وفي عد بعضها اختلاف، وهذ الآيات التسع كانت إلى فرعون =

(٧٦)- ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ (٧٦)﴾ بيّنٌ ظاهر.

(٧٧)- ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ﴾ إنه لسحر[1] ﴿أَسِحۡرٌ هَٰذَا﴾، وقد أفلح من أتى به، وأبطل سحر السحرة ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ (٧٧)﴾، والاستفهام في الموضعين للإنكار.

(٧٨)- ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا﴾ لتردنا[2] ﴿عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾ الملك[3] ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض مصر[4] ﴿وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ (٧٨)﴾ مصدقين.

(٧٩)- ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ (٧٩)﴾ فائق في علم السحر[5].

= وملئه أيضًا، بخلاف المن والسلوى وانفجار الماء وتظليل السحاب وغيرها، فكانت بعد هلاك فرعون، لبني إسرائيل ومن آمن.

(١) قوله: (إنه لسحر). قدره ليكون مقولًا لـ﴿أَتَقُولُونَ﴾ فهو مقدر. ويكون ﴿أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ (٧٧)﴾ من كلام موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ردًّا عليهم، والاستفهام في كل منهما ﴿أَتَقُولُونَ﴾ و﴿أَسِحۡرٌ هَٰذَا﴾؛ للإنكار. كما أفاده المفسر. فموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ رد عليهم بثلاثة جمل: الأولى: أتقولون للحق إنه سحر، والثاني: أسحر هذا؟ والثالثة: ولا يفلح الساحرون. وقد أشار إلى ذلك الصاوي. وهذا ملخص ما ذكره المفسرون كابن جرير وغيره.

(٢) قوله: (لتردنا). أي: تصرفنا: يقال: لفَتَ فلانٌ عنق فلان. إذا لوها. قاله ابن جرير. ومنه الالتفات على وزن الافتعال.

(٣) قوله: (الملك). فسر به مجاهد، وبنحوه القرطبي وغيره.

(٤) وقوله: (أرض مصر). فتكون «أل» في ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ عهدية.

(٥) قوله: (فائق في علم السحر). أخذ هذا المعنى من ﴿عَلِيمٖ (٧٩)﴾، فهو من صيغة المبالغة محوّل من «عالم» الذي هو اسم الفاعل. وقد تقدم بيان معاني «فعيل» في سورة البقرة الآية (٢٦٧).

(٨٠)- ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ﴾ بعد ما قالوا له[١] «إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ (١١٥)» [الأعراف: ١١٥]: ﴿أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ (٨٠)﴾.

(٨١)- ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ﴾ حبالهم وعصيهم ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا﴾ استفهامية مبتدأ[٢]، خبره: ﴿جِئۡتُم بِهِ آلسِّحۡرُ﴾ بدل. وفي قراءة: «ٱلسِّحۡرُ»، بهمزة واحدة، إخبار[٣] فـ«مَا» اسم موصول مبتدأ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ﴾ أي: سيمحقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ (٨١)﴾.

(٨٢)- ﴿وَيُحِقُّ﴾ يثبت ويظهر ﴿ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بمواعيده[٤] ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ (٨٢)﴾.

---

(١) قوله: (بعد ما قالوا له: ﴿إِمَّآ ...﴾). جملة ﴿إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ ...﴾ مقول قولهم. وهي من الآية (١١٥) من سورة الأعراف: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ ...﴾.

(٢) قوله: (استفهامية...). أشار المفسر إلى القراءتين وإعراب الآية على كل منهما: الأولى: ﴿آلسِّحۡرُ﴾: بهمزة الاستفهام، فتحصلُ بعدها مدة بقلب همزة «أل» ألفًا، وتشبع الهاء في ﴿بِهِ﴾، وعلى هذا تكون ﴿مَا﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، و ﴿آلسِّحۡرُ﴾ بدل مرفوع. وخبر المبتدأ: جملة ﴿جِئۡتُم بِهِ﴾. والمعنى: أي شيء جئتم به؟ آلسحر؟ وهذه قراءة أبي عمرو، وأبي جعفر. وعلى ذلك مشى المفسر أولًا. والثانية: قراءة الجمهور: ﴿ٱلسِّحۡرُ﴾ بدون همزة الاستفهام، وعلى ذلك تكون ﴿مَا﴾ اسمًا موصولًا في محل رفع مبتدأ، و﴿ٱلسِّحۡرُ﴾ خبره. والمعنى: الذي جئتم به هو السحر. فالجملة خبرية. قوله: (فما اسم موصول مبتدأ) أي: وخبره: ﴿ٱلسِّحۡرُ﴾.

(٣) قوله: (إخبار). أي: هذه جملة خبرية على هذا الوجه لا استفهامية.

(٤) قوله: (بمواعيده). قال ابن جرير: «بأمره». وقال القرطبي: «أي: بكلامه وحججه وبرهانه». وقيل: بعِداته بالنصر. اهـ.

٨٣- ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ﴾ طائفة[١] ﴿مِّن﴾ أولاد ﴿قَوۡمِهِۦ﴾ أي: فرعون ﴿عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ﴾[٢] يصرفهم عن دينه ﴿وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ﴾ متكبر[٣] ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض مصر ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٨٣﴾ المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية.

٨٤- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤﴾[٤].

٨٥- ﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٥﴾ أي: لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا بنا[٥].

---

(١) قوله: (طائفة). ما ذكر المفسر من أن الذرية بمعنى الطائفة، وأن الضمير من ﴿مِّن قَوۡمِهِۦ﴾ عائد إلى فرعون مروي عن ابن عباس نقله ابن جرير. روى عن قتادة: «كان ابن عباس يقول: الذرية: القليل». روى عنه: «منهم، أي: الذرية: امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامرأة خازنه». وروى عنه أيضًا وعن مجاهد: «﴿مِّن قَوۡمِهِۦ﴾ أي: قوم موسى، وهم بنو إسرائيل». فالمعنى: لم يؤمن من بني إسرائيل إلا أولاد من أرسل إليهم موسى؛ لطول الزمان، هلك الآباء وبقي الأبناء؛ فآمنوا. وهذا اختيار ابن جرير. ونقل القرطبي عن ابن عباس: «أنهم كانوا ستمائة ألف».اهـ. وذلك أن يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ دخل مصر في اثنين وسبعين شخصًا، فاستقروا بمصر وتوالدوا حتى بلغ عددهم ستمائة ألف. اهـ من القرطبي.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَمَلَإِيْهِمۡ﴾ ضمير الجمع راجع إلى ﴿فِرۡعَوۡنَ﴾؛ لأنه لما كان جبارًا أخبر عنه بفعل الجميع، أو على أن المراد بفرعون: آله. أو غير ذلك من الوجوه التي ذكرها المفسرون. و﴿أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ﴾ بدل اشتمال من ﴿فِرۡعَوۡنَ﴾ وما عطف عليه.

(٣) قوله: (متكبر). أفاد أن العلو هنا معنويّ، وذلك واضح.

(٤) قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤﴾. جوابه محذوف دل عليه ﴿تَوَكَّلُوٓاْ﴾. وكرر الشرط للتوكيد. أفاده القرطبي.

(٥) قوله: (أي: لا تظهرهم علينا...). ما ذكره المفسر من المعنى رواه ابن جرير عن أبي =

٨٦ - ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

﴿٨٧﴾ - ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾ اتخذا ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ مصلًّى تصلون فيه[١] لتأمنوا من الخوف، وكان فرعون منعهم من الصلاة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أتموها ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ بالنصر والجنة.

﴿٨٨﴾ - ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا﴾ آتيتهم ذلك[٢] ﴿لِيُضِلُّوا﴾ في عاقبته[٣] ﴿عَن سَبِيلِكَ﴾ دينك ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ

= الضحى، وأبي مجلز. قال أبو مجلز: «قالوا: لا تظهرهم علينا فيروا أنهم خير منا». وروى عن مجاهد: «معنى ذلك: لا تسلطهم علينا فيضلونا»، وفي رواية: «فيفتنونا». وفي رواية عنه: «لا تعذبنا بأيدي قوم فرعون ولا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون: لو كانوا على الحق ما سلطنا عليهم، ولا عذبهم فيفتنوا بنا».ا.هـ، ويرى ابن جرير حمل الآية على المعنيين.

(١) قوله: (مصلى تصلون فيه). رَوى ابن جرير نحو هذا المعنى عن ابن عاس وغيره. قال ابن عباس: «كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا في بيوتهم». وفي رواية: «قالت بنو إسرائيل لموسى: لا نستطيع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنة؛ فأذن الله أن يصلوا في بيوتهم، وأمروا أن يجعلوا بيوتهم قِبَل القبلة»، وعلى هذه الرواية يكون في الآية تقدير مضاف: واجعلوا بيوتكم قبلة، أي: قِبَلَ القبلة. وقد صرح بذلك مجاهد في رواية عنه. وعن سعيد بن جبير: «معناه: واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضًا».اهـ. كأنهم أمروا أن يسكنوا مجتمعين، لا متفرقين مخافة العدو. والجمهور على المعنى الأول.

(٢) قوله: (آتيتهم ذلك). قدره ليتعلق به ﴿لِيُضِلُّوا﴾.

(٣) وقوله: (في عاقبته). أفاد أن اللام في ﴿لِيُضِلُّوا﴾ لام الصيرورة التي تسمى لام العاقبة. أي: صارت عاقبة ذلك أنهم ضلوا. وكما في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]. =

عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ امسخها[(١)] ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ اطبع عليها واستوثق ﴿فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ المؤلم، دعا عليهم وأمّن هارون على دعائه[(٢)].

﴿٨٩﴾- ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ فمسخت أمواهم حجارة[(٣)]، ولم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق، ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ على الرسالة والدعوة إلى أن

= قال القرطبي: «وأصح ما قيل في هذه اللام أنها لام العاقبة والصيرورة، وهو قول الخليل، وسيبويه».اهـ.

(١) قوله: (امسخها). أي: غيرها عن هيئتها، وبدلها إلى غير الحال التي هي عليها. كما قاله ابن جير. ورُوي عن ابن عباس: «أهلكها ودمرها».

(٢) قوله: (دعا عليهم، وأمن هارون). نقله ابن جرير عن عكرمة، وأبي صالح، وأبي العالية، وجمع من العلماء الأئمة.

فائدة: قال القرطبي ما حاصله: «فإن قيل: كيف يدعو النبي على قومه بالهلاك والطبع على القلوب؟

فالجواب: لا يفعله نبي إلا بعد إذن الله له بذلك وإعلامه أنه لن يؤمن أحد منهم ولا من يخرج من أصلابهم كما أوحي إلى نوح: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، فدعا: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: ٢٦]».

(٣) قوله: (فمسخت أمواهم حجارة). روى ابن جرير ذلك عن الربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك وغيرهم. قال قتادة: «بلغنا أن زروعهم تحولت إلى حجارة»، وقال ابن زيد: «قد فعل ذلك وقد أصابهم ذلك، طمس على أمواهم، فصارت حجارةً ذهبُهم ودراهمهم وعدسهم وكل شيء».اهـ. وكما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾، وبعض المعاصرين لم يرض بهذا المعنى كأنه يستنكر ما خالف العادة!

فائدة: قال ابن جرير: «نسبت الإجابة إليهما وإن كان الداعي هو موسى، وكان هارون مؤمِّنًا؛ لأن المؤمّن داعٍ».اهـ. ملخصًا.

يأتيهم العذاب ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ[١] سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ في استعجال قضائي[٢]. روي أنه مكث بعدها أربعين سنة[٣].

﴿٩٠﴾- ﴿۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ﴾ لحقهم[٤] ﴿فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ﴾ مفعول له[٥] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ[٦] أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ﴾ أي: بأنه[٧]، وفي قراءة: بالكسر استئنافًا[٨] ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة، والفعل مجزوم وعلامة جزمه حذف النون، لكونه من الأمثلة الخمسة. فالفعل هنا معرب مع التأكيد بالنون؛ لأن النون مفصولة عن الفعل بألف الاثنين. فإذا فصلت النون بالألف أو واو الجماعة أو ياء المخاطبة يكون الفعل معربًا، وإذا باشرت النون -بلا فصل- كان الفعل مبنيًا على الفتح، نحو: «لأكيدَنَّ»، و«لينبذنَّ» كما فصله النحاة.

(٢) قوله: (في استعجال قضائي). بمثله فسر ابن جرير.

(٣) وقوله: (روي أنه مكث). عزا القرطبي هذا القول إلى ابن جريج، ومحمد بن علي قال: «مكث فرعون وقومه بعد هذه الإجابة أربعين سنة ثم أهلكوا».اهـ.

(٤) قوله: (لحقهم). يقال: تبعَ وأتْبَعَ، وأَتبَع: بمعنى واحدٍ، أي: لحق وأدرك. كما أفاده القرطبي وغيره.

(٥) قوله: (مفعول له). أي: ﴿بَغۡيٗا﴾ مفعول له، و﴿وَعَدۡوًاۖ﴾ معطوف على ﴿بَغۡيٗا﴾. وهما مصدرا: «بغى» و«عَدا»، يقال: عدا عدوًا وعُدُوًّا وعَداءً وعُدْوانًا وعُدْوَى. ويحتمل كونهما حالين على معنى اسم الفاعل، أي: باغيًا وعاديًا.

(٦) و﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية، ﴿إِذَآ﴾ ظرفية مضافة إلى الجملة التي بعدها.

(٧) قوله: (بأنه). أي: فحذف حرف الجر، وهو مطرد مع «أن» و«أنّ».

(٨) قوله: (وفي قراءة: بالكسر). أي: بكسر الهمزة ﴿إِنَّهُۥ﴾، وهي قراءة حمزة، والكسائي، وخلف.

﴿ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩٠﴾ كرره ليقبل منه، فلم يقبل[١]، ودس جبريل[٢] في فيه من حمأة البحر مخافة أن تناله الرحمة وقال له[٣]:

٩١- ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ﴾ تؤمن[٤] ﴿وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٩١﴾ بضلالك وإضلالك عن الإيمان.

٩٢- ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ﴾ نخرجك من البحر[٥] ﴿بِبَدَنِكَ﴾ جسدك الذي لا روح فيه ﴿لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ﴾ بعدك ﴿ءَايَةٗ﴾ عبرة، فيعرفوا عبوديتك، ولا يقدموا على مثل فعلك[٦]، وعن ابن عباس[٧]: «أن بعض بني إسرائيل شَكُّوا في

---

(١) قوله: (فلم يقبل). لأنه آمن حيث لم ينفعه الإيمان. قاله ابن كثير.

(٢) وقوله: (دسّ جبريل). كذا رواه ابن جرير عن ابن عباس، ورواه الترمذي أيضًا، وقال: «حسن غريب صحيح» [«تحفة الأحوذي» (٨/ ٥٢٦)]، قال ابن عباس عن النبي ﷺ: «**جعل جبرائيل** عَلَيْهِ السَّلَامُ **يدس أو يحشو في فم فرعون الطين مخافة أن تدركه الرحمة**».اهـ. الحَمْأَةُ: الطين الأسود.

(٣) قوله: (وقال له). أي: قال جبريل لفرعون: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ﴾، ،على هذا يكون قول جبريل. وهذا وجه، وقيل: من قول الله تعالى كما ذكره ابن كثير، وقيل غير ذلك. نقل الأقوال القرطبي.

(٤) قوله: (تؤمن). قدره ليكون عاملًا في ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ﴾، وهو ظرف في محل نصب، واجتمع فيه الساكنان وهذا من مواضع جواز التقاء الساكنين، كما أشرنا إليه سابقًا في سورة يونس الآية (٥١).

(٥) قوله: (نخرجك من البحر). قال ابن جرير وغيره: «نجعلك على نجوة من الأرض»، وابن كثير: «نرفعك على نشز من الأرض». وكل ذلك قريب مما ذكر المفسر.

(٦) قوله: (ولا يقدموا). من الإقدام، أي: لا يعملوا مثل فعلك.

(٧) وقوله: (وعن ابن عباس...). روى ابن جرير عنه قال: «لما جاوز موسى البحر بجميع=

موته؛ فأخرج لهم ليروه»، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ لا يعتبرون بها.

﴿٩٣﴾- ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ منزل كرامة[١]، وهو الشام[٢] ومصر ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾ بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ[٣] إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾ من أمر الدين، بإنجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين.

﴿٩٤﴾- ﴿فَإِن كُنتَ﴾ يا محمد[٤] ﴿فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القصص فرضًا

= من معه التقى البحر عليهم -يعني على فرعون وقومه- فأغرقهم، فقال أصحاب موسى: إنا نخاف ألا يكون فرعون غرق، ولا نؤمن بهلاكه، فدعا ربه فأخرجه، فنبذه البحر حتى استيقنوا بهلاكه».اهـ. وروى نحو ذلك عن قتادة وابن جريج.

(١) قوله: (منزل كرامة). بنحوه فسر المفسرون. قال ابن جرير: «منازل صدق»، وقال البيضاوي: «منزلًا صالحًا مرضيًا».

(٢) وقوله: (وهو الشام ومصر). هذا قول الضحاك، وبه فسر البيضاوي. قال الضحاك: «منازل صدق: مصر والشام»، وعن قتادة: «الشام وبيت المقدس».ا.هـ.

(٣) قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾. فسر القرطبي ﴿ٱلْعِلْمُ﴾: «أي: القرآن ومحمد ﷺ». فالعلم بمعنى المعلوم، وبنحوه فسر ابن جرير، قال: «كانوا مجمعين على نبوة محمد ﷺ قبل مجيئه، فلما جاءهم ما عرفوا كفر بعض وآمن بعض».اهـ. ملخصًا.

(٤) قوله: (يا محمد). أفاد أن الخطاب للنبي ﷺ وهو المراد بالخطاب، ولذا قدره «فرضًا»، أي: وجود الشك على سبيل الافتراض لا على سبيل الاحتمال، وكذا قدره البيضاوي؛ لأنه لا يشترط في الجملة الشرطية تحقق الشرط، كما في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، والمراد بالذين يقرؤون الكتاب أهل الكتاب الذين أدركوا =

﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿مِن قَبْلِكَ﴾ فإنه ثابت عندهم، يخبروك بصدقه، قال ﷺ[1]: «**لا أشك ولا أسأل**»، ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ الشاكين فيه.

﴿٩٥﴾- ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾[2].

﴿٩٦﴾- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ﴾ وجبت ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

﴿٩٧﴾- ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ فلا ينفعهم حينئذ.

﴿٩٨﴾- ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا[3] ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ أريد أهلها[4] ﴿ءَامَنَتْ﴾ قبل نزول

= النبي ﷺ وآمنوا به. نقله ابن جرير عن ابن عباس وابن زيد والضحاك وغيرهم، ويكون المراد بالآية: تحقيق ثبوت ما أنزل في القرآن، وأنه مصدق لما ثبت في الكتب السابقة. كما أفاده البيضاوي.

وقال القرطبي: «هذا الخطاب للنبي ﷺ والمراد بعض أمته، أي: أمة الدعوة»، والمعنى: إن كان الكافر في شك مما نزل في القرآن فليسأل أهل الكتاب المؤمنين؛ لأن الكافر كان يقر أن لأهل الكتاب علمًا.

(١) قوله: (قال ﷺ...). رواه ابن جرير عن قتادة -مرسلًا- قال: «بلغنا أن رسول الله قال: «**لا أشك ولا أسأل**»، وعن الحسن وابن جبير: «لم يشك ﷺ ولم يسأل».

(٢) قال القرطبي: «والخطاب في هذه الآية وما قبلها للنبي ﷺ والمراد غيره».اهـ ملخصًا.

(٣) قوله: (فهلّا). أشار به أن «هلّا» تحضيضية، وهي تتضمن نفيًا وتوبيخًا.

(٤) قوله: (أريد أهلها). أي: فيكون من المجاز المرسل، أطلق المحل وأريد الحال، وفي ﴿ءَامَنَتْ﴾ مجاز عقليّ، حيث أسند الفعل ﴿ءَامَنَتْ﴾ إلى ضمير القرية.

العذاب بها[١] ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا﴾ لكن[٢] ﴿قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ﴾ عند رؤية أمارة العذاب، ولم يؤخِّروا إلى حلوله ﴿كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ٩٨﴾ انقضاء آجالهم.

٩٩- ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ بما لم

---

(١) قوله: (قبل نزول العذاب بها). كذا فسر البيضاوي. والمعنى: فهلا كانت قرية من القرى التي أهلكناها، نحو قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، آمنت قبل معاينة العذاب، فنفعها الإيمان، فلم يقع ذلك، إلا قوم يونس، فإنهم آمنوا قبل نزول العذاب بهم، ولم يؤخروا الإيمان إلى حلول العذاب؛ فنفعهم إيمانهم، وعلى هذا يكون الاستثناء في ﴿إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ﴾ متصلًا؛ لأنهم من جنس أهل القرى. ونصب المستثنى بعد الكلام المنفي التام جائز.

(٢) وقوله: (لكن). دل على أن الاستثناء منقطع، ولعل وجه ذلك اعتبار الظاهر؛ لأن المستثنى منه «القرية». والقوم ليسوا قرية، بل أهلها، ولذلك قال القرطبي: «هذا بحسب اللفظ استثناء منقطع، وهو بحسب المعنى متصل؛ لأن تقديره: ما آمن أهل قرية إلا قوم يونس».اهـ.

ونقل القرطبي قصة قوم يونس عن جماعة من المفسرين: أنهم كانوا بنينوى من الموصل، يعبدون الأصنام، فأرسل إليهم يونس، فلم يؤمنوا، فوعدهم بالعذاب، ثم خرج عنهم يونس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؛ فعلموا أن العذاب سينزل بهم، ورأوا علامته، وعن ابن عباس: «أنهم غشيتهم ظلة وفيها حمرة حتى وجدوا حرها بين أكتافهم، فتابوا ودعوا الله، فلما صدقت توبتهم كشف الله عنهم العذاب».اهـ. وروى ابن جرير عن قتادة: «نزلوا على تل، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها يدعون الله أربعين ليلة، حتى تاب عليهم».اهـ. ملخصًا. وقصة يونس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لما ذهب وركب البحر فالتقمه الحوت... ستأتي في سورة الأنبياء والصافات إن شاء الله.

يشأه الله منهم ﴿حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ٩٩﴾ لا[١].

١٠٠- ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾ العذاب ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ١٠٠﴾ يتدبرون آيات الله[٢].

١٠١- ﴿قُلِ﴾ لكفار مكة ﴿ٱنظُرُواْ مَاذَا﴾ أي: الذي[٣] ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الآيات على وحدانية الله تعالى ﴿وَمَا تُغْنِي[٤] ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾ جمع نذير، أي: الرسل ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ١٠١﴾ في علم الله، أي: ما تنفعهم.

١٠٢- ﴿فَهَلْ﴾ فما[٥] ﴿يَنتَظِرُونَ﴾ بتكذيبك ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم، أي: مثل وقائعهم من العذاب[٦] ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ ذلك ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ١٠٢﴾.

---

(١) قوله: (لا). قدره جوابًا للاستفهام. وأفاد أن الاستفهام للإنكار.

(٢) هذه الآية وما قبلها من الأدلة الصريحة على أن الإيمان والكفر مقدّران وتحت الإرادة كغيرهما من الأمور، لا كما تقول القدرية.

(٣) قوله: (أي: الذي). تفسير لـ«ذَا». فهو اسم موصول في محل رفع خبر. و«مَا» اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، ويجوز كون ﴿مَاذَا﴾ كلمة واحدة في محل رفع مبتدأ، فيكون الجار والمجرور ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾ خبرًا.

(٤) وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي﴾. ﴿مَا﴾ نافية، كما يعلم من كلام المفسر أو استفهامية. ذكرهما القرطبي.

(٥) قوله: (فما). أفاد أن الاستفهام بمعنى النفي.

(٦) قوله: (أي: مثل وقائعهم). كذا فسره قتادة. فالمراد بالأيام: الوقائع، فهو من المجاز المرسل، من إطلاق الزمان وإرادة الواقع فيه. وإطلاق الأيام على الوقائع شائع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]. قاله القرطبي.

(١٠٣)- ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية[(١)] ﴿رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ من العذاب ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الإنجاء ﴿حَقًّا[(٢)] عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١٠٣)﴾ النبي ﷺ وأصحابه حين تعذيب المشركين.

(١٠٤)- ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي﴾ أنه حق ﴿فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[(٣)] أي: غيره، وهو الأصنام، لشككم فيه ﴿وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ﴾ يقبض أرواحكم ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ﴾ أي: بأن[(٤)] ﴿أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١٠٤)﴾.

(١٠٥)- ﴿وَ﴾ قيل لي[(٥)] ﴿أَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا﴾ مائلًا إليه ﴿وَلَا

---

(١) قوله: (المضارع). أي: ننجي، بمعنى: نجّينا.

(٢) قوله تعالى: ﴿حَقًّا﴾. إما حال من الإنجاء، أو مفعول مطلق لفعل محذوف، و﴿كَذَٰلِكَ﴾ الجار والمجرور نعت لمصدر محذوف في محل نصب مفعول مطلق لـ﴿نُنجِ﴾. المعنى: ننجي المؤمنين إنجاءً مثل إنجائهم حال كونه حقًّا، أو حق ذلك حقًّا. والله أعلم.

(٣) قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ...﴾. جواب الشرط، ومن حيث المعنى دال على الجواب المحذوف، كأن المعنى: إن كنتم في شك من ديني فلا أبالي، فإني أعبد الله الذي يتوفاكم والذي بيده النفع والضر، كما يعلم من كلام ابن كثير. وفيه تعريض بهم من حيث إن عبادة من بيده النفع والضر لا تنكرها الفطرة السليمة، وأما عبادة الأوثان فينكرها كل ذي عقل سليم. أفاده ابن جرير، وأشار له البيضاوي.

(٤) قوله: (أي: بأن). أشار إلى حذف حرف الجر.

(٥) قوله: (وقيل لي:...). بهذا التقدير تكون الجملة معطوفًا على ﴿وَأُمِرۡتُ﴾، و﴿أَنۡ﴾ مصدرية أو تفسيرية. وفي كل إشكال، أما المصدرية؛ فلا تناسب بعد القول؛ لأن مقول القول يكون جملة، وأما التفسيرية: فلا يسبقها لفظ القول، وإنما تسبقها جملة فيها معنى القول، نحو: «أوحي»، ثم لا تحذف الجملة السابقة، وههنا حذفت. =

﴿تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾.

﴿١٠٦﴾- ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تعبد[(١)] ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ إن عبدته ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إن لم تعبده ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ ذلك فرضًا[(٢)] ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

﴿١٠٧﴾- ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ﴾ يصبك[(٣)] ﴿ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ كفقر ومرض ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ رافع ﴿لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ﴾ دافع ﴿لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾ الذي أرادك به ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ أي: بالخير[(٤)] ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

= ولذا يكون الأولى أحد الإعرابيين:

١- «أن» مصدرية والمصدر المؤول معطوف على «أن أكون» بدون تقدير (قيل لي). وأجاز سيبويه دخول «أن» المصدرية على الأمر. كما ذكره الدرويش في إعراب القرآن، وأشار إليه البيضاوي.

٢- «أن» مصدرية، والمصدر نائب فاعل لفعل محذوف تقديره: «أوحي إلي»، وهذا الفعل معطوف على ﴿أُمِرْتُ﴾، أي جملة «أوحي إليّ» معطوفة على ﴿أُمِرْتُ ...﴾. والله أعلم.اهـ.

(١) قوله: (تعبد). هكذا فسره به القرطبي.

(٢) قوله: (فرضًا). كما تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ ...﴾.

(٣) قوله: (يصبك...). وبه فسر عامة المفسرين. قال البيضاوي ما حاصله: «لعله ذكر في جانب الخير الإرادة، وفي جانب الضر: المسّ، وإن كان كل منهما بإرادته، لأن الخير مجرد فضلٍ، وأما الشر فبسبب ما يكسبه العبد، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]». وذكره الصاوي وغيره، والله أعلم.

(٤) قوله: (بالخير). كذا فسره البيضاوي. ويؤيده أن الخير هو أقرب مذكور. وقالت طائفة من المفسرين كالطبري والقرطبي: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾: أي بكل ما أراد من خير وشر، أي: لأن كليهما بمشيئته تعالى.

(١٠٨)- ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ﴾ لأن وبال ضلاله عليها ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨)﴾[1] فأجبركم على الهدى.

(١٠٩)- ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ من ربك ﴿وَٱصْبِرْ﴾ على الدعوة وأذاهم ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ﴾ فيهم بأمره ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ (١٠٩)﴾ أعْدَلهم، وقد صبر[2] حتى حكم على المشركين بالقتال وأهل الكتاب بالجزية.

❁❁❁

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨)﴾. أي: بحفيظ أحفظ أعمالكم... قاله القرطبي. أو ما أنا عليكم بمسلّط على تقويمكم. قاله ابن جرير. ونقل القرطبي عن ابن عباس: «نسخته آية السيف». والله أعلم.

(٢) قوله: (وقد صبر...). فيه إشارة إلى أن الأمر بالصبر على أذاهم دون مقاومة يكون إلى الإذن بالقتال. ولذا قال ابن زيد فيما نقله ابن جرير: «هذا منسوخ حتى يحكم الله، حكم الله بجهادكم وأمره بالغلظة عليهم».اهـ.

١١- سورة هود

مكية[١] إلا ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ...﴾ الآية، وإلا ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ...﴾ الآية و﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ ...﴾ الآية. مائة وثنتان أو ثلاث وعشرون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك، هذا[٢] ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بعجيب النظم[٣] وبديع المعاني ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ بينت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿مِن

---

(١) قوله: (مكية). كلها مكية في قول عطاء وعكرمة والحسن وجابر. نقله القرطبي.

وقوله: (إلا ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ...﴾)، أي: فهذه الآية مدنية، وهو قول ابن عباس وقتادة. كما نقله القرطبي.

وقوله: (وإلا ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ...﴾ و﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ ...﴾). عزاه الصاوي إلى مقاتل، فعنده هاتان الآيتان مدنيتان. وعند ابن عباس الآية ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فقط مدنية. وعلى قول عطاء، وعكرمة، وجابر، والحسن السورة كلها مكية.

فائدة: روى الترمذي عن ابن عباس، قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت، قال: «**شيبتني هود، والواقعات، والمرسلات، وعم يستاءلون، وإذا الشمس كورت**»، وفي رواية: «**هود وأخواتها**» [«تحفة الأحوذي» (٩/ ١٨٤)].

قال القرطبي: «قيل إن الذي شيبت من هود: قوله: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾». وقال: «الفزع يورث الشيب؛ لأن الفزع ينشف رطوبة الجسد؛ ففي تلاوة هذه السور ما يكشف لقلوب العارفين سلطانه وبطشه فتذهل منه النفوس وتشيب منه الرؤوس». اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله: (هذا). قدره ليكون مبتدأ، و﴿كِتَٰبٌ﴾ خبره. وجملة ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ في محل رفع نعت لـ﴿كِتَٰبٌ﴾.

(٣) قوله: (بعجيب النظم...). فبهذا الاعتبار القرآن كله محكم، وكذا باعتبار أن بعضه يشبه =

﴿لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ أي: الله.

۝٢- ﴿أَ﴾ن، أي: بأن[1] ﴿لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾ بالعذاب إن كفرتم ﴿وَبَشِيرٌ ۝٢﴾ بالثواب إن آمنتم.

۝٣- ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ من الشرك[2] ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُمَتِّعْكُم﴾ في الدنيا ﴿مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ بطيب عيش وسعة رزق[3] ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو الموت ﴿وَيُؤْتِ﴾ في الآخرة[4] ﴿كُلَّ ذِى فَضْلٍ﴾ في العمل ﴿فَضْلَهُۥ﴾

= بعضًا في الحسن والكمال كله متشابه، وأما بعضه محكم وبعضه متشابه كما في أول سورة آل عمران؛ فباعتبار آخر، ذكرناها هناك.

وما ذكره من تفسير ﴿أُحْكِمَتْ﴾ و﴿فُصِّلَتْ﴾ موافق لما روي عن قتادة: «أحكمها الله من الباطل، ثم فصلها بعلمه، فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته».اهـ. واستحسنه القرطبي، وكما قال ابن كثير: «هي محكمة في لفظها، مفصلة في معناها».اهـ.

(١) قوله: (أي: بأن). متعلق بـ﴿فُصِّلَتْ﴾. كما فسره ابن جرير. و«أن» هذه إما تفسيرية؛ لتقدم الجملة التي فيها معنى القول، وهي: فصلت، كأنه قيل: وأمركم أن لا...، أو مصدرية، أو مخففة من الثقيلة، وإذا كانت مصدرية فـ﴿لَّا﴾ نافية، والفعل ﴿تَعْبُدُوٓاْ﴾ منصوب بـ«أن». وإذا كانت تفسيرية أو مخففة فـ﴿لَّا﴾ ناهية جازمة للفعل. ويحتمل تقدير اللام: «لئلا تعبدوا إلا الله» المتعلقة بـ﴿فُصِّلَتْ﴾. كما أشار إليه البيضاوي.

(٢) قوله: (من الشرك). كذا فسره ابن جرير. قال: «ولذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ﴾، ولم يقل: «وتوبوا»؛ لأن التوبة الرجوع إلى الله بالطاعة، ولابد أن يسبقها الاستغفار من الشرك. اهـ. ملخصًا.

(٣) قوله: (بطيب عيش...). وقوله: (هو الموت). كذا فسره ابن جرير وعزاه إلى قتادة وغيره. قال ابن جرير: «استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، فإذا فعلتم ذلك بسط عليكم من الدنيا ورزقكم من زينتها وأنسأ لكم الآجال إلى وقت الموت».اهـ. ملخصًا.

(٤) قوله: (في الآخرة). كما قاله ابن جرير وغيره عن قتادة.

جزاءه ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ فيه حذف إحدى التاءين[(١)]، أي: تعرضوا ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣﴾ هو يوم القيامة.

٤- ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤﴾، ومنه الثواب والعذاب، ونزل[(٢)] كما رواه البخاري عن ابن عباس فيمن كان يستحي أن يتخلى أو يجامع فيفضي إلى السماء، وقيل في المنافقين[(٣)]:

٥- ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾ أي: الله ﴿أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾ يتغطون بها ﴿يَعۡلَمُ﴾ تعالى ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ﴾ فلا يغني استخفاؤهم ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥﴾ أي: بما في القلوب.

❁❁❁

---

(١) قوله: (فيه حذف إحدى التاءين). أي: فأصله: «تتولّوا»، مضارع «تولّى»، مجزوم بأداة الشرط، وعلامة الجزم حذف النون، وحذف التاء هنا جائز، كما ذكره النحاة والصرفيون.

(٢) قوله: (ونزل). أي: الآية التالية. ذكر المفسر هنا قولين في سبب النزول، ورجح القول الأول؛ لذكر الحديث فيه، وهو ما في البخاري عن ابن عباس قال: «أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء؛ فنزل ذلك فيهم».اهـ. [«فتح الباري» (٨/ ٢٠٠)]، أي فيكون المعنى: لا تظنوا أن التغطية تحجبكم عن الله، بل الله مطلع عليكم في كل أحوالكم، فينبغي مراقبته. فليس هذا نهيًا ولا ذمًّا للتستر، فهو مندوب. كما أفاده الصاوي. وعلى هذا فالآية في شأن بعض المسلمين.

(٣) وقوله: (وقيل في المنافقين). نقل ابن جرير هذا القول عن عبدالله بن شداد، قال: «كان أحدهم إذا مرّ بالنبي ﷺ ثنى صدره وتغشى بثوبه كي لا يراه النبي ﷺ».اهـ. وضعف البيضاوي هذا القول؛ لأن الآية مكية، والمنافقون كانوا في المدينة.

وقيل: الآية في شأن الكفار كانوا يحنون صدورهم لئلا يسمعوا كلام الله. كما اختاره البيضاوي.

الجزء (١٢)

(٦)- ﴿۞ وَمَا مِن﴾ زائدة[١] ﴿دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هي ما دبّ عليها[٢] ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ تكفل به فضلًا منه تعالى[٣] ﴿وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا﴾ مسكنها في الدنيا أو الصلب[٤] ﴿وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ﴾ بعد الموت أو في الرحم[٥] ﴿كُلّٞ﴾ مما ذكر ﴿فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ (٦)﴾ بيّن[٦]، هو اللوح المحفوظ.

(٧)- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة[٧] ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ﴾ قبل خلقهما ﴿عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ وهو على متن

---

(١) قوله: (زائدة). أي: إعرابًا، ومفيدة لتوكيد العموم.

(٢) قوله: (هي ما دبّ عليها). أي: مشى على الأرض، فدخل فيها الإنسان، كما قال الضحاك: «كل دابة، والناس منهم»، وأما إطلاق الدابة على ذوات الأربع فهو عرف طارئ.

(٣) قوله: (تكفل به). أفاد أن ﴿عَلَى﴾ هنا ليس للإيجاب؛ لأنه لا يجب على الله تعالى شيء، وإنما تكفّل الرزق فضلًا منه، وقيل معنى ﴿عَلَى﴾ هنا: من الابتدائية، والمعنى: إلا من الله رزقها. نقله القرطبي. قال: «ويوافقه ما قاله مجاهد: ما جاءها من رزق فمن الله».اهـ.

(٤) قوله: (مسكنها في الدنيا...). ذكر المفسر معنيين للمستقر: الأول: مسكنها في الدنيا. روي عن ابن عباس، قال: «حيث تأوي»، والثاني: الصلب. ولم أره معزوًّا، ولكن روى ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد والضحاك: «المستقر: أي في الرحم، والمستودع: في الصلب». عكس ما قاله المفسر، والله أعلم.

(٥) قوله: (بعد الموت). تفسير المستودع، بما ذكره ثبت عن ابن عباس وغيره.

(٦) قوله: (بيّن). أفاد أن ﴿مُّبِينٖ (٦)﴾ اسم فاعل من «أبان» اللازم بمعنى: بان، فمعناه: «بيّن».

(٧) قوله: (أولها الأحد وآخرها الجمعة...). قد تقدم شيء من التفصيل في ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ...﴾ الآية (٥٤) من سورة الأعراف.

الريح[(١)] ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلق بـ«خَلَقَ»، أي: خلقهما وما فيهما من منافع لكم ومصالح ليختبركم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: أطوع لله ﴿وَلَئِن قُلْتَ﴾ يا محمد لهم[(٢)]: ﴿إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ﴾ القرآن الناطق بالبعث، والذي تقوله ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ⁽٧⁾﴾ بيّن[(٣)]، وفي قراءة: «سَاحِرٌ»[(٤)]، والمشار إليه: النبي ﷺ.

⁽٨⁾- ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ[(٥)] ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ﴾ مجيء ﴿أُمَّةٍ﴾ أوقات[(٦)] ﴿مَّعْدُودَةٍ

(١) قوله: (وهو على متن الريح). أي: كان عرشه على الماء قبل أن يخلق السمٰوات والأرض، وكان الماء على متن الريح. روى ذلك ابن جرير وغيره عن عدة من السلف مفصلًا وموجزًا. فقد روى ابن جرير عن أبي رزين قال: قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «**كان في عَماءٍ، ما فوقه هواء، وما تحته هواء، ثم خلق عرشه على الماء**». ورواه الترمذي في تفسير سورة هود، وابن ماجه في المقدمة الباب الثالث عشر، وأحمد (٥/ ١٦١٨٨)، وروى ابن جرير عن ابن عباس: سئل عن قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ على أي شيء كان الماء؟ قال: «على متن الريح».اهـ. فهذه النصوص تدل على أن هذا العالمَ له بدء، وليس قديمًا.

(٢) قوله: (ولئن قلت). اجتمع فيه القسم والشرط؛ لأن اللام للقسم، والقسم هو المتقدم، فيكون الجواب له، ودل على جواب الشرط. وجواب القسم: ﴿لَيَقُولَنَّ ...﴾.

(٣) قوله: «بيّن). تقدم شرح ذلك قريبًا.

(٤) قوله: (وفي قراءة: ﴿سَاحِرٌ﴾). وهي قراءة حمزة، والكسائي، وخلف.
و﴿سِحْرٌ﴾: قراءة الباقين.

(٥) قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ﴾. أي: عن المشركين. وفيه قسم وشرط؛ كالسابقة.

(٦) قوله: (أوقات). وبمثله فسر البيضاوي، قال: «إلى جماعة من الأوقات»، فالمراد بالأمة هنا: الأجل، روى ابن جرير ذلك عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك وغيرهم. قال ابن كثير: =

﴿لَيَقُولُنَّ﴾ استهزاء ﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ ما يمنعه من النزول، قال تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾[1] ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾ مدفوعًا ﴿عَنْهُمْ وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨﴾ من العذاب.

٩- ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ الكافر[2] ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ غنى وصحة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾ قنوط من رحمة الله ﴿كَفُورٌ ۝٩﴾ شديد الكفر به[3].

= «الأمة تستعمل في القرآن والسنة في معانٍ متعددة، منها: الأمد، كما هنا، ومنها: الإمام المقتدى به، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]، ومنها: الملة والدين، كما في ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]، ومنها: الجماعة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [القصص: ٢٣]». اهـ ملخصًا. ونقل القرطبي ثمانية معانٍ لها.

و«مَا» في قوله: ﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ استفهامية، مبتدأ، خبرها جملة ﴿يَحْبِسُهُۥٓ﴾.

(١) قوله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾. ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لـ﴿مَصْرُوفًا﴾ الذي هو خبر ﴿لَيْسَ﴾، واستدل به على جواز تقدم خبر «ليس» عليها؛ لأن تقدم معمول الخبر يدل على جواز تقدم الخبر نفسه، والجواز قول أكثر البصريين، والمنع قول الكوفيين، وروي عن سيبويه القولان، كما ذكره ابن هاشم في «شرح القطر».

(٢) قوله: (الكافر). قيد به؛ لأن ما ذكر في الآية شأن الكافر بخلاف المؤمن، فيكون ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ عامًا أريد به الخصوص أو «أل» فيه عهدية، وأما المؤمن فيكون شاكرًا على النعمة، وصابرًا عند البلاء. وقد أشار ابن جرير، وابن كثير إلى ذلك.

وتفسير الـ﴿رَحْمَةً﴾ بالغنى والصحة؛ لأن المراد هنا الرحمة المتعدية، لا الصفة القائمة في ذاته تعالى.

(٣) قوله: (شديد الكفر). أخذ هذا المعنى من صيغة المبالغة ﴿كَفُورٌ ۝٩﴾.

(١٠)- ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ﴾ فقر وشدة ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ﴾ المصائب ﴿عَنِّيٓ﴾، ولم يتوقع زوالها[١]، ولا شكر عليها ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾ بطر ﴿فَخُورٌ (١٠)﴾ على الناس بما أوتي.

(١١)- ﴿إِلَّا﴾ لكن[٢] ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على الضراء ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في النعماء[٣] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١١)﴾ هو: الجنة.

(١٢)- ﴿ فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ فلا تبلغهم إياه لتهاونهم به[٤] ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ بتلاوته عليهم لأجل ﴿أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ﴾

---

(١) قوله: (ولم يتوقع زوالها). أي: لقنوطه من رحمة الله، ثم لما كشف الله عن ذلك لم يشكره عليه.

(٢) قوله: (لكن). أشار به إلى أن هذا الاستثناء منقطع، وذلك نظرًا إلى تفسير الإنسان بالكافر، فالذين صبروا ليسوا من جنس الكفار، وإذا أريد بالإنسان الجنس يكون الاستثناء متصلًا. كما أفاده البيضاوي.

(٣) قوله: (في النعماء). قيد به لمقابلة (﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على الضراء). أي: فهم صابرون على الضراء، وشاكرون بالعمل الصالح في النعماء، كما أشار إلى ذلك البيضاوي.

الخلاصة: ليس المراد حصر الأعمال الصالحة في السراء، دون الضراء. والله أعلم.

(٤) قوله: (فلا تبلغهم إياه). معطوف على: ﴿تَارِكُۢ﴾. والمراد بـ﴿بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ ما فيه سب آلهتهم أو ما يخالف رأيهم.

والفاء في ﴿ فَلَعَلَّكَ﴾ استئنافية، ويحتمل كونها الفصيحة، وهي الواقعة في جواب شرط مقدر، كأن المعنى: وإذا كان الأمر كذا وكذا فلعلك... والله أعلم.

و«لعل» هنا للنفي والاستبعاد، أي: لا يكون ذلك منك بل بلغهم، وإنما أنت نذير.

وقيل: ضمن معنى الاستفهام، أي: هل أنت تارك تبليغ ما فيه سب آلهتهم؟ فلا تفعل إنما أنت نذير. وذلك أن المشركين قالوا: لو أتيتنا بكتاب ليس فيه سب آلهتنا لاتبعناك،=

هلا[1] ﴿أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾ يصدقه كما اقترحنا ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ﴾ فما عليك إلا البلاغ لا الإتيان بما اقترحوه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ١٢﴾ حفيظ فيجازيهم.

١٣- ﴿أَمۡ﴾ بل أ[2]﴿يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ أي: القرآن ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾؛ فإنكم عربيون فصحاء مثلي، تحداهم به أولًا[3]، ثم بسورة ﴿وَٱدۡعُواْ﴾ للمعاونة على ذلك ﴿مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣﴾ في أنه افتراء.

١٤- ﴿فَإِ﴾ن[4] ﴿لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ﴾ أي: من دعوتموهم للمعاونة[5] ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ خطاب للمشركين ﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ﴾ متلبسًا[6] ﴿بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾ وليس افتراء

= فهمّ النبي ﷺ أن يدع ذكر آلهتهم. اهـ. ملخص ما ذكره القرطبي وغيره، وقال البيضاوي: «توقع الشيء لوجود دواعيه لا يلزم منه وقوعه لجواز وجود الصارف عنه».اهـ. أي: فهاهنا لم يقع ترك ما أوحي إليه، وإن كان هناك دواعيه، وهي: مخافة الاستهزاء والرد؛ لأن النبي ﷺ مأمور بالتبليغ، سواء قبلوا أم ردُّوا، وإنما عليه البلاغ.

(١) قوله: (هلا). أفاد أن ﴿لَوۡلَآ﴾ للتحضيض.

(٢) قوله: (بل أ). أفاد أن ﴿أَمۡ﴾ منقطعة، كما سبق في أول سورة البقرة وغيره.

(٣) قوله: (تحداهم به أولًا). كما ذكرنا في تفسير الآية (٣٨) من سورة يونس.

(٤) قوله: (﴿فَإِ﴾ن). قدره للتوضيح، أي: إن نون «إن» الشرطية مدغمة في لام «لم».

(٥) قوله: (أي: من دعوتموهم...). تفسير للضمير المرفوع، أي: الواو في ﴿يَسۡتَجِيبُواْ﴾.

و﴿مَآ﴾ في ﴿أَنَّمَآ﴾ كافة، أفادت أنها الحصر، ولذا قدر المفسر: (وليس افتراء عليه)، أي: أنزل بعلم الله فقط، دون افتراء عليه.

(٦) قوله: (متلبسًا). أشار إلى أن الباء في ﴿بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾ للتلبس والإلصاق.

عليه ﴿وَأَن﴾ مخففة، أي: أنه[١] ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ بعد هذه الحجة القاطعة أي أسلموا[٢].

﴿١٥﴾- ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بأن أصر على الشرك[٣]، وقيل: هي في المرائِي[٤] ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: جزاء ما عملوه من خير، كصدقة وصلة الرحم ﴿فِيهَا﴾ بأن نوسع عليهم رزقهم ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أي: في الدنيا ﴿لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ ينقصون شيئًا.

---

(١) قوله: (مخففة). وتأتي المخففة إذا سبقت بما يدل على العلم، وهنا كذلك لسبق ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ﴾ وأشار بقوله: (أي: أنه) إلى أن اسم «أن» المخففة محذوف، وهو ضمير الشأن، والجملة بعدها في محل رفع خبرها. وكل ذلك من أحكام «أن» المخففة كما فصله النحاة.

(٢) قوله: (أي: أسلموا). أفاد أن الاستفهام بمعنى الطلب، كما في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١]، في شأن تحريم الخمر.

(٣) قوله: (بأن أصرّ على الشرك). الباء للتصوير، أي: صورة إرادة الحياة الدنيا أن يصر على الشرك، أو للسببية، أي: بسبب إصراره على الشرك. وعلى هذا القول يكون محمل الآية: الكافر: وهو موافق لما قاله الضحاك، قال: «من عمل عملًا صالحًا في غير تقوى -يعني من أهل الشرك- أُعطِيَ على ذلك أجرًا في الدنيا...». وبمثله رُوِي عن أنس قال: «هي في اليهود والنصارى»، ورُوي أنها في غير المؤمن عن قتادة. فتفيد الآية أن الكافر يجزى في الدنيا على حسناته، ولكن لا أجر له في الآخرة، كما دلت على ذلك آيات أخرى.

(٤) وقوله: (وقيل: هي في المرائي). أي: الآية في شأن المرائي، أي: الذي يعمل لأجل الرياء والسمعة. روي ذلك عن ابن عباس، قال: «من عمل صالحًا التمس الدنيا صومًا أو صلاة أو تهجدًا بالليل لا يعمله إلا لالتماس الدنيا، يقول الله: أُوفّيه الذي التمس في الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذي كان يعمل التماس الدنيا وهو في الآخرة من الخاسرين».اهـ. من ابن جرير.

(١٦)- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ﴾ بطل ﴿مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ أي: الآخرة؛ فلا ثواب له ﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾.

(١٧)- ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾ بيان[1] ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾، وهو النبي ﷺ، أو المؤمنون[2]، وهي: القرآن[3] ﴿وَيَتۡلُوهُ﴾ يتبعه[4] ﴿شَاهِدٞ﴾ له[5] بصدقه ﴿مِّنۡهُ﴾ أي: من الله، وهو: جبريل[6] ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ﴾ أي: القرآن ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ التوراة شاهد له أيضًا ﴿إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ﴾ حال، كمن ليس كذلك؟ لا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: من كان على بينة ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ﴾ أي: بالقرآن، فلهم الجنة ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ جميع

---

(١) قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ...﴾. الهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء استئنافية. و«من» اسم موصول مبتدأ، وما بعده صلته، وخبر المبتدأ محذوف، قدره المفسر بقوله: (كمن ليس كذلك)، وقدر جواب الاستفهام بقوله: (لا)، أي: ليس كذلك.

(٢) قوله: (هو: النبي ﷺ). أي: المراد بـ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾ هو النبي ﷺ. هذا قول قتادة.
وقوله: (أو: المؤمنون). هذا قول آخر في المراد بمن كان على بينة، أي: هم المؤمنون، روي ذلك عن ابن زيد، وعلي بن الحسين، كما في القرطبي. ومشى عليه ابن كثير.

(٣) وقوله: (وهي: القرآن). أي: البينة: القرآن. وقريبًا منه ذكره ابن جرير، قال: «بين له دينه»، وقال القرطبي: «بيان من الله ومعجزة كالقرآن».اهـ.

(٤) قوله: (يتبعه). أفاد أن «يتلو» من «التلو»، لا من «التلاوة».

(٥) قوله: (﴿شَاهِدٞ﴾ له...). على هذا يكون هذا المقدر خبرًا لـ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ و﴿مِن قَبۡلِهِۦ﴾ متعلق به، و﴿إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ﴾ حالان من ضمير الخبر.

(٦) قوله: (﴿مِّنۡهُ﴾ أي: من الله، وهو جبريل). فالشاهد: جبريل، والضمير في ﴿مِّنۡهُ﴾ عائد على الله. كذا روي عن ابن عباس، ومجاهد، والنخعي، كما في القرطبي، ورجحه ابن جرير. وعن قتادة، والحسن: «الشاهد لسانه ﷺ، فـ«يتلو» من التلاوة».

الكفار[١] ﴿فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ[٢] فِي مِرۡيَةٖ﴾ شك ﴿مِّنۡهُۚ﴾ من القرآن ﴿إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ ١٧﴾.

١٨- ﴿وَمَنۡ﴾ أي: لا أحد[٣] ﴿أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ يوم القيامة في جملة الخلق ﴿وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ جمع شاهد، وهم الملائكة[٤] يشهدون للرسل بالإبلاغ

---

(١) قوله: (جميع الكفار). كذا قال قتادة وسعيد بن جبير. ودلت الآية على أن من لم يؤمن بهذا الدين من أيّ أهل ملة فهو في النار، كما روى مسلم عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار**» [(١/ ١٣٥)].اهـ. ذكره ابن كثير وغيره.

(٢) قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ﴾. ﴿تَكُ﴾: مضارع «كان» للمخاطب مجزوم بـ«لا» الناهية، وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة تخفيفًا، وحذف النون من مثل هذا جائز بشروط:

١- كونه مضارعًا.

٢- مجزومًا بالسكون.

٣- لم يتصل به ساكن.

٤- لم يتصل به ضمير منصوب.

٥- في غير الوقف. كما فصله النحاة، وذكرناها مفصلة في «الثلاثيات».

(٣) قوله: (أي: لا أحد). أشار إلى أن الاستفهام للإنكار. كما تقدم نظير ذلك.

(٤) قوله: (وهم الملائكة). روى ابن جرير ذلك عن مجاهد وقتادة والأعمش. قال قتادة: «الملائكة، يشهدون على بني آدم بأعمالهم».اهـ. وقال الضحاك: «الأشهاد: الأنبياء والرسل، يقولون: يا ربنا أتيناهم بالحق فكذبوا، فنحن نشهد عليهم أنهم كذبوا عليك يا ربنا».اهـ، نقله ابن جرير.

وعلى الكفار بالتكذيب ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ المشركين.

١٩- ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ[(١)]﴾ دين الإسلام ﴿وَيَبۡغُونَهَا﴾ يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة[(٢)] ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ﴾ تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ ١٩﴾.

٢٠ - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ﴾ الله[(٣)] ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ﴾ أنصار يمنعونهم[(٤)] من عذابه ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾ بإضلالهم غيرهم[(٥)] ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ للحق ﴿وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ٢٠﴾ـه، أي: لفرط كراهتهم له[(٦)]، كأنهم لم يستطيعوا ذلك.

---

(١) ﴿ٱلَّذِينَ﴾ إما في محل جر نعت لـ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، أو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم الذين. ذكرهما القرطبي.

(٢) قوله: (معوجة). أشار المفسر إلى أن ﴿عِوَجًا﴾ مصدر بمعنى: اسم المفعول، والفِعل: عَوِجَ -بكسر الواو-. ويقالُ: عَوَجَ -بفتح العين- على ما كان في حائط، أو عود ونحوهما مما هو منتصب. وبكسر العين: عِوَج على ما كان في أرض أو دين أو معاشٍ، كما يعلم من كتب اللغة.

(٣) قوله: (الله). قدره ليكون مفعولًا به لـ﴿مُعۡجِزِينَ﴾ وكذا فسره ابن جرير وغيره.

(٤) قوله: (من أنصارٍ يمنعونهم). فسر كذلك ابن جرير وغيره.

(٥) قوله: (بإضلالهم غيرهم) أشار به إلى وجه مضاعفة العذاب، وهو ضلالهم وإضلالهم، وإلا فالعذاب لا يضاعف، وإنما يضاعف الثواب فضلًا من الله تعالى. أشار إلى ذلك الصاوي.

(٦) أي: (لفرط كراهتهم...). أشار به إلى أن ﴿مَا﴾ في ﴿مَا كَانُواْ﴾ في الموضعين نافية، والمعنى على التشبيه، شبهوا بمن لا يستطيعون السمع والبصر. كما في قول تعالى: ﴿صُمُّۢ

(٢١) - ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَضَلَّ ﴾ غاب ﴿عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ (٢١)﴾ على الله من دعوى الشريك.

(٢٢) - ﴿لَا جَرَمَ ﴾ حقًّا[١] ﴿أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ (٢٢)﴾.

(٢٣) - ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ ﴾ سكنوا واطمأنوا أو أنابوا[٢] ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٣)﴾.

(٢٤) - ﴿ ۞ مَثَلُ ﴾ صفة ﴿ٱلۡفَرِيقَيۡنِ ﴾ الكفار والمؤمنين[٣] ﴿كَٱلۡأَعۡمَىٰ

بُكۡمٌ عُمۡيٌ ﴾ [البقرة: ١٨]، وبنحوه روى ابن جرير عن قتادة، قال: «ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا خيرًا فينتفعوا به، ولا يبصروا خيرًا فيأخذوا به». وقيل: ﴿مَا ﴾ مصدرية، والمعنى بسبب كونهم يستطيعون السمع والبصر، ولكن أهملوهما. ذكره القرطبي.

(١) قوله: (حقًّا). هذا المعنى المراد بـ﴿لَا جَرَمَ ﴾. وأصله: ﴿لَا ﴾ حرف نفي، وبه تم الكلام أي: ليس الأمر كما زعموا، و﴿جَرَمَ ﴾، بمعنى: ثبت، و«أن» وما بعدها في تأويل مصدر: فاعل ﴿جَرَمَ ﴾، أي: ثبت خسرانهم في الآخرة، وقيل: ﴿لَا ﴾ حرف نفي و﴿جَرَمَ ﴾ بمعنى: بدّ، وبعدها تقدّر «من» الجارة، والتقدير: لا جرم من أنه أي: لابد من أنه، وعلى الوجهين يكون «أن» بفتح الهمزة، ويجوز الكسر على تنزيل ﴿لَا جَرَمَ ﴾ منزلة القسم. كما ذكره النحاة. ولم تقع هنا قراءة بالكسر.

(٢) قوله: (سكنوا واطمأنوا). وهو مروي عن مجاهد، قال: «اطمأنوا».اهـ. وهو بمعنى: سكنوا. وقوله: (أنابوا). تفسير آخر لـ﴿وَأَخۡبَتُوٓاْ ﴾. قاله قتادة وابن عباس. كما روى ابن جرير. وعن قتادة أيضًا: «الإخبات: التخشع والتواضع»، قال ابن جرير: «وهذه الأقوال متقاربة المعاني».

(٣) قوله: (الكفار والمؤمنين). قدم ذكر الكفار مراعاة لما في الآية، فالأعمى والأصم مثل الكافر، والبصير والسميع مثل المؤمن. كما قاله ابن عباس.

﴿وَٱلۡأَصَمِّ﴾ هذا مثل الكافر ﴿وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ﴾ هذا مثل المؤمن ﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾[١] لا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٤﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال[٢]: تتعظون.

٢٥- [٣] ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنِّي﴾ أي: بأني[٤]، وفي قراءة: بالكسر على حذف القول ﴿لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥﴾ بين الإنذار.

٢٦- ﴿أَن﴾ أي: بأن[٥] ﴿لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ إن عبدتم

(١) قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾. ﴿مَثَلًاۚ﴾: تمييز محول عن الفاعل، أي: هل يستوي مثلهما، أي: صفتهما عندكم؟ لا، فكذلك حال الكافر والمؤمن لا يستويان عند الله. كما أشار إلى ذلك ابن جرير.

(٢) قوله: (فيه إدغام التاء). أي: في ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ بتشديد الذال، أصله: «تتذكرون»، أدغمت التاء الثانية في الذال بعد قلبها ذالًا. وهذا على قراءة: ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ بتشديد الذال، وهي قراءة الجمهور. وقرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: بتخفيف الذال: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، أي: بحذف إحدى التاءين.

(٣) من هنا ذكر الله تعالى قصص الأنبياء: تنبيهًا على الصبر على أذى الكفار وتسلية له ﷺ. كما أشار له القرطبي. وبدأ بقصة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض من المشركين عبدة الأصنام. قاله ابن كثير.

(٤) قوله: (﴿أَنِّي﴾ أي: بأني). قرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة: بالكسر: ﴿إِنِّي﴾، ووجهه تقدير القول: أي: «فقال إني». وقرأ الباقون: بفتح الهمزة، ووجهه: تقدير حرف الجر: الباء، والجار المجرور متعلق بـ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾. كما ذكر الوجهين المفسر.

(٥) قوله: (أي: بأن). ظاهر كلام المفسر أن ﴿أَن﴾ هنا مصدرية، والمصدر المؤول بدل اشتمال من ﴿إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٌ﴾ ويصح كون ﴿أَن﴾ هنا تفسيرية، لسبق جملة فيها معنى القول وهي: بعثنا، وعلى هذا لا يحتاج إلى تقدير الباء. والله أعلم، وجرى في «إعراب القرآن» للدرويش على أنها تفسيرية.

غيره ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة[١].

٢٧- ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾ وهم الأشراف[٢] ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا﴾ ولا فضل لك علينا ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا﴾ أسافلنا كالحاكة والأساكفة[٣] ﴿بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ بالهمزة وتركه[٤]، أي: ابتداءً من غير تفكر فيك. ونصبه على الظرف، أي وقت حدوث أول رأيهم ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ

(١) قوله: (مؤلم). بصيغة اسم الفاعل، وبعضهم يضبطونه بصيغة اسم المفعول، وتقدم في سورة البقرة الآية (١٠).

(٢) قوله: (وهم الأشراف). أي: الكبراء، وهو معنى الملأ، كما تقدم.

(٣) قوله: (كالحاكة والأساكفة). الحاكة جمع حائك، وهو الخياط، والأساكفة جمع إسكاف، وهو صانع النعل.

(٤) قوله: (بالهمزة تركه). قرأ الدوري عن أبي عمرو: ﴿بَادِئَ ٱلرَّأۡيِ﴾: بالهمزة في ﴿بَادِئَ﴾ وفي ﴿ٱلرَّأۡيِ﴾.

وقرأ أبو جعفر: ﴿بَادِئَ الرَّاى﴾: بالهمزة والألف.

وقرأ الباقون: ﴿بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾: بالياء في ﴿بَادِيَ﴾ والهمزة في ﴿ٱلرَّأۡيِ﴾. أما همزة ﴿ٱلرَّأۡيِ﴾ فهي الأصل، والألف تخفيف الهمزة، وأما ﴿بَادِئَ﴾ بالهمزة: فهو اسم فاعل من «بدأ»، بمعنى: شرع، والياء في ﴿بَادِيَ﴾ على أنه اسم فاعل من «بدا، يبدو»، بمعنى: ظهر، ومعناهما متقارب. وعلى كل حال، هو منصوب على الظرفية الزمانية كما ذكره المفسر، والعامل فيه: ﴿ٱتَّبَعَكَ﴾.

قال ابن كثير: «هذا القول منهم يدل على جهلهم وقلة عقلهم، فإن الحق في نفسه صحيح سواء قبله الأشراف أو الأراذل، بل الحق الذي لا شك فيه أن أتباع الحق هم الأشراف ولو فقراء، ثم الواقع غالبًا أن أتباع الحق ضعفاء الناس، أي: لطيب قلوبهم، وخلوّها عن الكبر والترفع».اهـ. ملخصًا من ابن كثير والصاوي.

﴿عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ﴾ فتستحقون به الاتباع منا ﴿بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧﴾ في دعوى الرسالة. أَدْرَجُوا قومه معه في الخطاب[(١)].

٢٨- ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ﴾ أخبروني[(٢)] ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ﴾ نبوة[(٣)] ﴿مِّنۡ عِندِهِۦ فَعَمِيَتۡ﴾ خفيت[(٤)] ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾، وفي قراءة: بتشديد الميم والبناء للمفعول ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾[(٥)] أنجبركم على قبولها ﴿وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾ لا نقدر على ذلك[(٦)].

٢٩- ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مَالًا﴾ تعطونيه

---

(١) قوله: (أدرجوا قومه...). يعني: خاطب الكفار نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ بضمير الجمع في قولهم: ﴿نَرَىٰ لَكُمۡ﴾ و﴿نَظُنُّكُمۡ﴾؛ وذلك لإدخال قومه المؤمنين معه، فقول المفسر: (أَدْرَجوا)، أي: أَدْخَلوا.

(٢) قوله: (أخبروني). ذكرنا فيما سبق أصل ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾. مثلًا «الأنعام» الآية (٤٠).

(٣) قوله: (نبوة). بنحوه فسر القرطبي، وعزاه إلى ابن عباس، وقال ابن جرير: «التوفيق والنبوة والحكمة».

(٤) قوله: (خفيت). تفسير لـ﴿فَعَمِيَتۡ﴾، بوزن: سَمِعت، من الثلاثي المجرد: قراءة الجمهور.
وقرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: ﴿فَعُمِّيَتۡ﴾: بتشديد الميم بصيغة المبني للمفعول، كما قاله المفسر.

(٥) فائدة: ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾. خمس كلمات، همزة الاستفهام، والفعل، والفاعل، والمفعول الأول، والمفعول الثاني، ويجوز في الكلام كون المفعول الثاني ضميرًا منفصلًا «إياها»، والضمير المتصل أرجح. وهو أحد الموضعين اللذين يجوز فيهما الضمير المنفصل مع إمكان الضمير المتصل كما فصله النحاة، وقد أوضحنا ذلك في «رسالة الاستثناء».

(٦) قوله: (أي: لا نقدر...). أشار به إلى أن الاستفهام للإنكار.

﴿إِنۡ﴾ ما ﴿أَجۡرِيَ﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾ كما أمرتموني[(١)] ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ بالبعث فيجازيهم، ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩﴾ عاقبة أمركم.

٣٠- ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي﴾ يمنعني[(٢)] ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عذابه[(٣)] ﴿إِن طَرَدتُّهُمۡۚ﴾ أي: لا ناصر لي[(٤)] ﴿أَفَلَا﴾ فهلا[(٥)] ﴿تَذَّكَّرُونَ ٣٠﴾ بإدغام التاء الثانية في الأصل في الذال[(٦)]: تتعظون.

٣١- ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ﴾ إني ﴿أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ[(٧)] وَلَآ أَقُولُ إِنِّي

---

(١) قوله: (كما أمرتموني). أفاد أن أولئك الملأ كانوا سألوا نوحًا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أن يطرد الضعفاء حتى يتبعوه.

روى ذلك ابن جرير عن ابن جريج، قال: «قالوا له: يا نوح، إن أحببت أن نتبعك فاطردهم، وإلا فلن نرضى أن نكون نحن وهم في الأمر سواء، فقال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾». اهـ.

(٢) قوله: (يمنعني). وبه فسر ابن جرير.

(٣) قوله: (أي: عذابه). إشارة إلى تقدير مضاف.

(٤) قوله: (أي: لا ناصر لي). أفاد أن الاستفهام للإنكار والنفي.

(٥) قوله: (فهلا). أشار إلى أن الاستفهام تضمن معنى التحضيض والاستنكار.

(٦) قوله: (بإدغام...). أي: فأصله: تتذكرون، أدغمت التاء الثاية في الذال، كما تقدم نظير ذلك. وهي قراءة الجمهور. وقرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: بحذف إحدى التاءين: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾. كما تقدم نظيره أيضًا.

(٧) قوله: (﴿وَلَآ﴾ إني ﴿أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾). بتقدير: (إني) -كما فعله المفسر تكون الجملة معطوفة على مقول القول، أي: على ﴿عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾. و«لا» مؤكدة للنفي، والمعنى: لا أقول =

﴿مَلَكٌ﴾ بل أنا بشر مثلكم ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ﴾ تحتقر[(١)] ﴿أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ قلوبهم ﴿إِنِّيٓ إِذٗا﴾ إن قلتُ ذلك[(٢)] ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿٣٢﴾- ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا﴾ خاصمتنا[(٣)] ﴿فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ فيه.

﴿٣٣﴾- ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ تعجيله لكم، فإن أمره إليه، لا إليّ ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾ بفائتين الله.

﴿٣٤﴾- ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾

= لكم عندي خزائن الله، ولا أقول إني أعلم الغيب. ويمكن كون ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ﴾ معطوفة على ﴿وَلَآ أَقُولُ﴾، والمعنى: لا أقول عندي خزائن الله، ولا أعلم الغيب. وعلى هذا لا يحتاج إلى تقدير: (إني).

فائدة: أشار القرطبي إلى أن قوله: ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ مما استدل به على تفضيل الملائكة على البشر.اهـ.

(١) قوله: (تحتقر). تزدري: بوزن تفتعل، من «زرَى، يزْري»، وأصله: تزتري بالتاء، قلبت تاء الافتعال دالًا، وتقلب كذلك إذا كان فاؤه دالًا أو ذالًا أو زاءً. كما ذكره أهل الصرف.

(٢) قوله: (إن قلت ذلك). تفسير للمراد بـ﴿إِذٗا﴾ لا بيان الإعراب، إذن هنا حرف جواب، مهملة عن نصب المضارع؛ لتوسطه، أو «إذْ» اسم، وظرف في محل نصب، والتنوين عوض عن المضاف إليه. أي: إذْ أقول ذلك. والله أعلم.

(٣) قوله: (خاصمتنا). تفسير لـ﴿جَٰدَلۡتَنَا﴾. وهو معنى تقريبي؛ لأن الجدل: المبالغة في الخصومة، مشتق من الجدَل -بفتح الدال- وهو شدة الفتل، كما ذكر القرطبي.

أي: إغواءكم[١]، وجواب الشرط دل عليه[٢]: «﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ﴾»، ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿٣٥﴾- قال تعالى: ﴿أَمْ﴾ بل أ[٣] ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: كفار مكة[٤] ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾

---

(١) قوله: (إغواءكم). أشار إلى أن ﴿أَن﴾ مصدرية، والإغواء: الإضلال، كما فسر به القرطبي، وقال: «هذا مما يدل على بطلان قول المعتزلة والقدرية من أن الضلالة غير مرادة لله تعالى».اهـ. ملخصًا. وفسر ابن جرير: ﴿أَن يُغْوِيَكُمْ﴾: «أي: يهلككم».

(٢) قوله: (وجواب الشرط...). أي: الشرط الأول، وهو: ﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾، دل عليه ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ﴾ بناء على مذهب البصريين من أن الجواب لا يتقدم على الشرط، بل المتقدم دال على الجواب المحذوف، ولو كان المتقدم جوابًا لدخلت الفاء عليه؛ لأنه هنا من مواضع وجوب الفاء لكونه منفيًا بـ«لا».

وأما جواب الشرط الثاني فمحذوف أيضًا دل عليه الجملة الشرطية الأولى، والمعنى: إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي. وعلى هذا يكون الشرط الثاني: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ...﴾ قيدًا للشرط الأول ﴿إِنْ أَرَدتُّ...﴾ باعتبار المعنى، كقول القائل: إن أكلتِ إن شربتِ فأنت طالق، تطلق إذا شربت ثم أكلت، قيد الأكل بكونه بعد الشرب، أي: الشرط الثاني أصبح قيدًا للأول، أفاده البيضاوي وغيره.

(٣) قوله: (بل أ). أفاد أن ﴿أَمْ﴾ منقطعة.

(٤) وقوله: (كفار مكة). على هذا تكون هذه الآية معترضة بين قصة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ. عزا القرطبي هذا القول إلى مقاتل، وعليه جرى ابن جرير، وابن كثير، وعزا إلى ابن عباس أن هذا من محاورة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه، واختاره؛ لأن ما قبله وما بعده قصة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقال الصاوي: «عليه أكثر المفسرين»، وعلى هذا يعود الضمير في ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ إلى الوحي الذي بلغه نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ. وعلى كلا القولين لابد أن تكون هذه الآية من قول الله، لا من مقول نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، لوجود: ﴿قُلْ﴾، خطابًا له، ولضمير الغيبة في ﴿يَقُولُونَ﴾، والله أعلم.

اختلق محمد القرآن ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى﴾ إثمي، أي: عقوبته ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ من إجرامكم في نسبة الافتراء إليّ.

﴿٣٦﴾- ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ من الشرك، فدعا عليهم[1] بقوله: «رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ» [نوح: ٢٦] الخ، فأجاب الله دعاءه، فقال:

﴿٣٧﴾- ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا وحفظنا[2] ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أمرنا[3] ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ كفروا، بترك إهلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾[4].

---

(١) قوله: (فدعا عليهم). صريح في أن دعاء نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على قومهم بقوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ...﴾ كان بعد أن أعلمه الله أنه لن يؤمن من قومه أحد إلا من قد آمن، وروي ابن جرير هذا عن الضحاك، قال: «فحينئذ دعا على قومه لما بين الله له أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن».اهـ.

وقد ذكرنا ذلك عن القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ﴾ الآية (٨٨) من سورة يونس، ولكن ظاهر كلام ابن جرير، وابن كثير أن هذه الدعوة كانت أولًا. قال ابن جرير: «وأوحى الله ذلك إليه بعدما دعا عليهم نوح بالهلاك...».اهـ. وبنحو ذلك قال ابن كثير. والله أعلم.

(٢) قوله: (بمرأى منه وحفظنا). تفسير للمراد بقوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾، وبه فسر ابن كثير، قال: «بمرأىً منّا».اهـ. وعزا القرطبي إلى الربيع بن أنس: «بحفظنا إياك حِفْظَ من يراك»، وإلى ابن عباس: «بحراستنا»، فالخلاصة: أن قول المفسر هنا صحيح لا غبار فيه، علمًا بأن العين صفة ثابتة لله تعالى، كما عليه السلف.

(٣) قوله: (أمرنا). بنحوه فسر ابن كثير. قال: «أي: تعلمينا لك ما تصنعه».

(٤) قوله تعالى: ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾، قال البلاغيون: أكدت الجملة مع أن نوحًا لم يكن =

(٣٨)- ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ حكاية حال ماضية[(١)] ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ﴾ جماعة ﴿مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ﴾ استهزؤوا به[(٢)] ﴿قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨﴾ إذا نجونا وغرقتم.

(٣٩)- ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن﴾ موصولة[(٣)]، مفعول للعلم ﴿يَأۡتِيهِ عَذَابٞ

= مترددًا، وذلك تنزيلًا له منزلة السائل لسبق ما يشير إلى هذا الحكم، وهوقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي﴾، ففيه إشارة إلى أنه قد حكم عليهم بالإهلاك، فناسب التأكيد.

(١) قوله: (حكاية حال). أي: التعبير بالمضارع في ﴿وَيَصۡنَعُ﴾ مع أنه قد مضى، لحكاية الحال الماضية، وهي من لطائف البلاغة.

فائدة: نقل ابن كثير عن ابن إسحٰق عن التوراة: «كانت السفينة من خشب الساج، وطولها ثمانون ذراعًا وعرضها خمسون ذراعًا، وارتفاعها ثلاثون ذراعًا، لها ثلاث طبقات، السفلى للدواب، والوسطى للناس، والعليا للطيور، وعليها غطاء من فوقها مطبق عليها».اهـ ملخصًا.

ونقل القرطبي عن ابن عباس: «طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسون، وارتفاعها ثلاثون، وكان من الساج»، وعن الحسن البصري: «طولها ألف ومائتا ذراع، وعرضها ستمائة ذراع»، فالله أعلم.

(٢) قوله: (استهزؤوا به). كان من استهزائهم قولهم: يا نوح صرتَ بعد النبوة نجارًا وقوله: أتعمل السفينة في البر؟ كما في ابن جرير.

ونقل القرطبي: «لما رأوا بناء السفينة قالوا: يا نوح ما تصنع؟ قال: أبني بيتًا يمشي على الماء فعجبوا وسخروا». وعن ابن عباس: «ولم يكن في الأرض قبل الطوفان نهر ولا بحر، فلذلك سخروا منه، ومياه البحار هي بقية الطوفان».اهـ. والله أعلم. ولا يخالف هذا أن العرش كان على الماء؛ لأن المذكور في كلام ابن عباس هو الماء الكائن في الأرض والذي نشاهده.

(٣) قوله: (موصولة). أي: ﴿مَن﴾ هنا اسم موصول في محل نصب مفعول به لـ﴿تَعۡلَمُونَ﴾، المتعدي للمفعول الواحد، ويصح كونها استفهامية، فهي معلّقة، مبتدأ، وجملة ﴿يَأۡتِيهِ﴾ خبر، وليست شرطية، أو استفهامية، وجملة ﴿يَأۡتِيهِ﴾ صلة الموصول.

﴿يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ﴾ ينزل ﴿عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ٣٩﴾.

٤٠- ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية للصنع[١] ﴿إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ للخباز[٢] بالماء، وكان ذلك علامة لنوح ﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا﴾ في السفينة ﴿مِن كُلِّ زَوۡجَيۡنِ﴾ ذكرٍ وأنثى[٣]، أي: من كل أنواعهما ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ ذكرًا وأنثى، وهو مفعول، وفي القصة[٤]: أن الله حشر لنوح السباع والطير وغيرها، فجعل يضرب بيده في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى، فيحملهما في السفينة ﴿وَأَهۡلَكَ﴾[٥] أي: زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾ أي: منهم

---

(١) قوله: (غاية للصنع). ظاهره أن ﴿حَتَّىٰٓ﴾ هنا حرف جر للغاية، والمجرور مقدر: والمعنى: يصنع الفلك حتى قوله له احمل.. والأولى كون ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية لدخولها على الجملة. وذكر البيضاوي احتمال كونها ابتدائية.

(٢) قوله: (للخباز). أشار به إلى أن ﴿ٱلتَّنُّورُ﴾ هنا هو التنور المعروف الذي يخبز عليه. روى ابن جرير ذلك عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد. و«أل» فيه عهدية؛ لأن المراد تنور أهله.
قال ابن عباس: «إذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء...».اهـ. وعن الحسن: «كان التنور: وجه الأرض»، وعن علي: «هو تنوير الصبح»، فمعنى فار التنور: طلع الفجر. وقد نقل القرطبي سبعة أقوال في معناه، والمشهور والمتبادر ما قاله المفسر، وهو الذي رجحه ابن جرير.

(٣) قوله: (أي ذكرٍ وأنثى). قرأ الجمهور بإضافة ﴿كُلِّ﴾ إلى ﴿زَوۡجَيۡنِ﴾، وعلى هذا يكون ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ مفعولًا به لـ﴿ٱحۡمِلۡ﴾، والمعنى: احمل اثنين من كل زوجين أي: من كل أنواع الذكر والأنثى، كما مشى عليه المفسر. وقرأ حفص بتنوين ﴿كُلِّ﴾، وعلى هذا يكون ﴿زَوۡجَيۡنِ﴾ مفعولًا به، و﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ توكيدًا. فقوله: (وهو مفعول) أي: ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ مفعول به لـ﴿ٱحۡمِلۡ﴾ على قراءة الجمهور.

(٤) قوله: (وفي القصة...). نقل القرطبي هذه القصة عن جعفر بن محمد.

(٥) قوله: ﴿وَأَهۡلَكَ﴾. معطوف على مفعول ﴿ٱحۡمِلۡ﴾ منصوب، والكاف مضاف إليه، وليس ﴿أَهۡلَكَ﴾ فعلًا من الإهلاك.

بالإهلاك[١]، وهو زوجته واعلة وولده كنعان[٢] بخلاف سام وحام ويافث، فحملهم وزوجاتهم الثلاثة ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠﴾ قيل: كانوا ستة رجال ونساؤهم[٣]. وقيل: جميع ما كان[٤] في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء.

٤١- ﴿وَقَالَ﴾ نوح ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ بفتح الميمين وضمهما[٥]، مصدران، أي: جريها ورسوّها، أي: منتهى سيرها ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ

---

(١) قوله: (أي: منهم). كما قال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٧].

(٢) قوله: (واعلة). اسم زوجة نوح التي هلكت، وكنعان اسم ولده الذي هلك، والأولاد الثلاثة الباقون -وهم سام وحام ويافث- سلموا هم وزوجاتهم.

(٣) قوله: (قيل: كانوا ستة...). نسب إلى ابن إسحٰق، أنهم كانوا ستة ممن آمن غير نوح وبنيه الثلاثة.

(٤) وقوله: (جميع من كان...). هذا عزي إلى ابن عباس، قال ابن جرير بعد نقل الأقوال المختلفة في عددهم: «قال تعالى: ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠﴾، ولم يذكر عددهم، ولا صح عن رسول الله ﷺ، فلا ينبغي أن نتجاوز في ذلك حد الله...».اهـ. ملخصًا، أي: الأولى ألا نحدد عددهم لعدم دليل صحيح ولعدم الفائدة في ذلك.

(٥) قوله: (بفتح الميمين...). والمراد بالميمين: الميم في «مجرى» و«مرسى». أما فتح الميم من ﴿مَجْر۪ىٰهَا﴾ فسبعية، قرأ به حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف، قرأوا بإمالة الراء.

وأما فتح الميم في ﴿مَرْسَاهَا﴾ فشاذة. عزاها القرطبي إلى يحيى بن وثاب، وهما مصدران ميميان من: «جَرَى» و«رَسَى».

وأما الضم في ﴿مُجْرِاهَا﴾: فقرأه أبو عمرو بالإمالة في الراء. والجمهور بفتح الراء بالألف دون إمالة: ﴿مُجْرَاهَا﴾: مصدر ميمي من «أَجْرَى».

وأما ضم الميم من ﴿وَمُرْسَىٰهَآ﴾ فهي القراءة المتواترة، مصدر ميمي من «أَرْسَى»، وعلى=

﴿رَّحِيمٞ ٤١﴾ حيث لم يهلكنا.

٤٢- ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ﴾ في الارتفاع والعظم[1] ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾ كنعان[2] ﴿وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ﴾ عن السفينة[3] ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢﴾.

٤٣- ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي﴾ يمنعني ﴿مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ عذابه ﴿إِلَّا﴾ لكن[4] ﴿مَن رَّحِمَۚ﴾ الله فهو المعصوم قال تعالى: ﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣﴾[5].

٤٤- ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ الذي نبع منك[6]، فشربته، دون ما نزل من

= كل حال ﴿مَجۡرٜىٰهَا﴾ مبتدأ مؤخر و﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ خبر مقدم. ويحتمل غير ذلك من الإعراب، كما فصله البيضاوي.

(١) قوله: (في الارتفاع والعظم). بيّن به وجه الشبه. والجار والمجرور نعت للـ﴿مَوۡجٖ﴾، وتشبيه له، كما قال القرطبي.

(٢) قوله: (كنعان). ويسمى «يام»، قال القرطبي: «كان هذا النداء من قبل أن يستيقن القوم الغرق، وقبل رؤية اليأس، بل كان في أول ما فار التنور».اهـ. ويدل عليه قوله: ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ﴾.

ونقل عن عكرمة وقتادة: «ركبوا في عشر رجب، واستوت على الجوديّ لعاشر محرم، فذلك ستة أشهر».اهـ.

(٣) قوله: (عن السفينة). وقيل: عن دين أبيه. ذكره القرطبي، ولا منافاة بينهما.

(٤) قوله: (لكن). أشار به إلى أن الاستثناء منقطع. والمعنى: لا شيء يعصم اليوم من أمر الله ولكن من رحمه الله فهو المعصوم.

(٥) قوله تعالى: ﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا﴾. أي: بين نوح وابنه.

(٦) قوله: (الذي نبع منك...). ذكر ابن كثير قريبًا مما ذكر المفسر، قال: «أمر الأرض أن تبلع =

السماء فصار أنهارًا وبحارًا ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ أمسكي عن المطر، فأمسكت ﴿وَغِيضَ﴾ نقص[(١)] ﴿ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ تم أمر هلاك قوم نوح ﴿وَٱسۡتَوَتۡ﴾ وقفت السفينة ﴿عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ جبل بالجزيرة بقرب الموصل[(٢)] ﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا﴾ هلاكًا[(٣)] ﴿لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ الكافرين.

٤٥- ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي﴾ كنعان ﴿مِنۡ أَهۡلِي﴾[(٤)] وقد

= ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها، وأمر السماء أن تقلع عن المطر».اهـ. وعزا القرطبي ذلك إلى ابن العربي. وكما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ حيث أضيف الماء إلى ضمير الأرض. وقد تقدم نقل القرطبي عن ابن عباس: «أن ماء البحار هي بقية الطوفان».

(١) قوله: (نقص). كذا فسره عامة المفسرين، ورواه ابن جرير عن مجاهد.

(٢) قوله: (جبل بالجزيرة...). قاله مجاهد، وقال: «تشامخت الجبال يومئذ من الغرق وتطاولت وتواضع هو لله فلم يغرق، وأرسيت سفينة نوح عليه».اهـ. رواه ابن جرير. قال القرطبي: «يقال: أكرم الله ثلاثة جبال بثلاثة نفر: الجودي بنوح، وطور سينا بموسى، وحِراء بمحمد ﷺ».اهـ. لكن هذا ليس على وجه الحصر؛ لأن من الجبال المكرمة غيرهن، كغار ثور، وجبال أحد، والصفا والمروة، والله أعلم.

(٣) قوله: (هلاكًا). أي: هلاكًا وخسارًا لهم وبعدًا من رحمة الله؛ فإنهم قد هلكوا عن آخرهم فلم يبق لهم بقية. قاله ابن كثير. و﴿بُعۡدٗا﴾ مفعول مطلق منصوب بفعله المقدر.
فائدة: ذكر البلاغيون: أن هذه الآية تضمنت أنواعًا من البلاغة، حتى عد محي الدين الدرويش في كتابه «إعراب القرآن» واحدًا وعشرين نوعًا من أنواع البلاغة.

(٤) قوله تعالى: ﴿مِنۡ أَهۡلِي﴾. أي: الذين وعدتهم بالنجاة. قاله القرطبي. وقال: «كان نوح يظن أنه مؤمن، لأنه كان منافقًا، كما قاله الحسن». اهـ ملخصًا. وقال ابن كثير: «هذا سؤال استعلام، وكشف عن حال ولده الذي غرق».اهـ. وروى ابن جرير عن الحسن وغيره: «أنه لم يكن ابنًا لنوح حقيقة، وإنما كان ابنًا لزوجته»، والله أعلم. والمشهور أنه كان ابنه، وروى ذلك عن ابن عباس، وكما يدل على ذلك ظاهر الآيات. فمعنى: =

وعدتني بنجاتهم ﴿وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ﴾ الذي لا خلف فيه ﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٤٥﴾ أعلمهم وأعدلهم.

۝٤٦- ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ الناجين، أو من أهل دينك ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: سؤالك إياي بنجاته ﴿عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ فإنه كافر، ولا نجاة للكافرين، وفي قراءة[1]: بكسر ميم «عَمِلَ» فعل، ونصب «غَيْرَ»؛ فالضمير لابنه ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ﴾ بالتشديد والتخفيف[2] ﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾ من إنجاء ابنك ﴿إِنِّيٓ

= ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ أي: أهلك الناجين. كما قاله سعيد بن جبير، وذكره ابن كثير وغيره. أو المعنى: ليس من أهل دينك. وعزاه القرطبي إلى الجمهور، وعلى هذا يكون في الكلام تقدير مضاف، ﴿مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ أي: أهل دينك. كما ذكرهما المفسّر.

(١) قوله: (وفي قراءة:...). هذه قراءة الكسائي ويعقوب: ﴿عَمِلَ﴾ على أن «عَمِلَ» فعل ماضٍ وفاعله، و﴿غَيۡرَ﴾ مفعول به. والضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ راجع إلى ابنه.

وقرأ الباقون: ﴿عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾: برفع ﴿عَمَلٌ﴾ و﴿غَيۡرُ﴾. والضمير عائد على السؤال.

(٢) القراءات هنا ست:

١- ﴿فَلَا تَسۡـَٔلَنِّ﴾: بفتح اللام وتشديد النون المكسورة: قرأ به ابن عامر، وقالون.

٢- ﴿فَلَا تَسۡـَٔلَنِّي﴾: بإثبات ياء المتكلم وصلًا: قرأ به ورش، وأبو جعفر.

٣- ﴿فَلَا تَسۡـَٔلَنَّ﴾: بتشديد النون المفتوحة، أي: بدون ياء المتكلم لفظًا ولا تقديرًا: قرأ به ابن كثير، وصلًا ووقفًا.

٤- ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي﴾: بسكون اللام وبإثبات ياء المتكلم وصلًا فقط: قرأ به أبو عمرو.

٥- ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي﴾: بإثبات ياء المتكلم وسكون اللام، وصلًا ووقفًا: قرأ به يعقوب وصلًا ووقفًا.

٦- ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ﴾: بسكون اللام وحذف ياء المتكلم وصلًا ووقفًا: قرأ به الباقون. وقول المفسر بالتشديد والتخفيف يشمل هذه القراءات إجمالًا.

﴿أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ بسؤالك ما لم تعلم.

﴿٤٧﴾- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ﴾ من ﴿أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي[1]﴾ ما فرط مني ﴿وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿٤٨﴾-[2] ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ﴾ انزل من السفينة ﴿بِسَلَٰمٍ﴾ بسلامة أو بتحية[3] ﴿مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ﴾ خيرات[4] ﴿عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ﴾ في السفينة، أي: من أولادهم وذريتهم، وهم المؤمنون ﴿وَأُمَمٌ﴾ بالرفع[5]، ممن معك ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ﴾. ﴿إِلَّا﴾: «إن» الشرطية أدغمت نونها في «لا» النافية، و﴿تَغْفِرْ﴾: فعل الشرط، و﴿أَكُن﴾ جوابه.

(٢) قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ...﴾. القائل: إما الملائكة، أو الله. ذكره القرطبي.

(٣) قوله: (بسلامة أو تحية). ذكرهما القرطبي. واقتصر ابن جرير على الأول فقال: «بأمنٍ منا أنت ومن معك».اهـ. وابن كثير على الثاني فقال: «يخبر تعالى عما قيل لنُوح... من السلام عليه وعلى من معه».

(٤) قوله: (خيرات). تفسير للمراد بالبركات، قال القرطبي: «النعم الثابتة، مشتق من: بروك الجمل، وهو ثبوته وإقامته، ومنه: البِركة لثبوت الماء فيها».اهـ.

و«من» في ﴿مِّمَّن مَّعَكَ ۚ﴾ للتبعيض، كما أشار إليه المفسر بقوله: «وهم المؤمنون»، ومقابله: ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾، ولذلك قال محمد بن كعب القرظي فيما رواه ابن جرير: «دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة، ودخل في ذلك العذاب والمتاع كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة».اهـ.

(٥) قوله: (بالرفع). أي: فهو مبتدأ، خبره جملة ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾.

وقوله: (ممن معك). أفاد به أن ﴿أُمَمٌ﴾ نكرة موصوفة؛ لأن المعنى: وأمم ممن معك. فصح وقوعه مبتدأ.

فائدة: قال العلماء: اجتمعت في قوله تعالى: ﴿أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ﴾ ثماني ميمات متواليات، بدون أيّ ثقل على اللسان. وهذا من الإعجاز البلاغي. وقد عدّ بعض البلاغيين كثرة=

في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾ في الآخرة، وهم الكفار.

﴿٤٩﴾- ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات[١] المتضمنة قصة نوح ﴿مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك[٢] ﴿نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ القرآن[٣] ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على التبليغ، وأذى قومك، كما صبر نوح ﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿٥٠﴾- ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة[٤] ﴿هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ﴾ زائدة[٥] ﴿إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[٦] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ﴾ في

= تكرار الحروف من دواعي التنافر المخل بالفصاحة، والصحيح أنها لا تكون مخلة بالفصاحة إلا إذا أورثت ثقلًا على اللسان. وهٰهنا قد اجتمعت الحروف وليس في ذلك أي ثقل، وهو من أفصح الكلام وأكمله. كما أنه قد اجتمعت في هذه الآية الكريمة أكثر من عشرين ميمًا، وهو أيضًا نوع من الإعجاز البلاغي.

قيل: أكثر ما سُمع من اجتماع الحروف خمسة كافات؛ وذلك في قولهم: «ما رأيتُ كُكَّةً كَكُكَكِكُمْ». الككة: المركب. وفي هذه اللفظة نوع تنافر، مع كون الكلمة غريبة.

(١) قوله: (هذه...). أشار إلى أن المراد بـ﴿تِلْكَ﴾ هنا الإشارة إلى القريب، واستعمل ﴿تِلْكَ﴾ للتفخيم، والله أعلم.

(٢) قوله: (أخبار ما غاب عنك). أفاد أن الغيب مصدر أريد به اسم الفاعل كما تقدم نظيره.

(٣) قوله: (القرآن). بيان للمشار إليه، وبه قال قتادة. والفاء في ﴿فَٱصْبِرْ﴾ الفاء الفصيحة.

(٤) قوله: (من القبيلة). أفاد أن هودًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من قبيلة عاد، وقد تقدم ذكر نسبه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في تفسير الآية (٦٥) من سورة الأعراف، كما مرّ مزيد بيان عنهم.

(٥) قوله: (زائدة). أي: إعرابًا ومؤكدة للعموم معنًى.

(٦) وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾. الإله هنا بمعنى: المعبود بحق، أي: المستحق للعبادة، لا المعبود المطلق. وقد ذكرنا المعنيين في تفسير آية الكرسي، مع تفصيل.

عبادتكم الأوثان ﴿إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ كاذبون على الله.

﴿٥١﴾- ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التوحيد[١] ﴿أَجْرًا إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى﴾ الله[٢] ﴿ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾ خلقني ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾.

﴿٥٢﴾- ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ المطر[٣]، وكانوا قد منعوه[٤] ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ كثير الدرور[٥] ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ﴾ مع ﴿قُوَّتِكُمْ﴾ بالمال والولد ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ مشركين.

﴿٥٣﴾- ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ برهان على قولك[٦] ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ أي: لقولك[٧] ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿٥٤﴾- ﴿إِن﴾ ما ﴿نَّقُولُ﴾ في شأنك ﴿إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾ أصابك ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا

---

(١) قوله: (على التوحيد). أي: الدعاء إليه.

(٢) قوله: (الله). قدر الاسم الكريم ليفيد أن ﴿ٱلَّذِى﴾ نعت للمقدر.

(٣) قوله: (المطر). أفاد أن ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾ هنا بمعنى المطر، من باب المجاز المرسل.

(٤) وقوله: (وكانوا قد منعوه). (منعوا) بصيغة المبني للمفعول، والواو نائب فاعل، والهاء: المفعول الثاني، أي: كانوا منعوا المطر ووقعوا في القحط وقلة النسل. كما أشار له ابن جرير.

(٥) قوله: (كثير الدرور). أفاد أن ﴿مِّدْرَارًا﴾ صيغة مبالغة على وزن «مفعال» من «دَرَّ، يَدُرُّ، أو يَدِرُّ». ونصبه على الحال.

(٦) قوله: (برهان...). وبنحوه فسر ابن جرير وغيره.

(٧) وقوله: (لقولك). أفاد أن ﴿عَن﴾ هنا للتعليل، كما قال ابن جرير: «لقولك أو من أجل قولك».

بِسُوٓءٍۗ﴾ فخبلك[(١)] لسبك إياها فأنت تهذي[(٢)] ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ﴾ علي ﴿وَٱشۡهَدُوٓاْ[(٣)] أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤﴾ـه به.

٥٥- ﴿مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي﴾[(٤)] احتالوا في هلاكي ﴿جَمِيعٗا﴾ أنتم وأوثانكم ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥﴾ تمهلون.

٥٦- ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن﴾ زائدة[(٥)] ﴿دَآبَّةٍ﴾ نسمة[(٦)] تدب على الأرض ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ أي: مالكها وقاهرها[(٧)]، فلا نفع ولا ضرر

(١) قوله: (فخبلك...). أي: أصابك بخبل، وهو فساد العقل -نعوذ بالله منه-، وبمثله فسر ابن جرير، وعزاه إلى مجاهد، وابن عباس وغيرهما.اهـ.

(٢) وقوله: (فأنت تهذي). تهذي: مضارع «هذى، يهذي» بمعنى: تكلم بغير معقول.

تنبيه: هذا الكلام منهم يدل على أنهم يعتقدون في آلهتهم النفع والضر، مع عبادتهم لها.

(٣) قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ﴾. قال البلاغيون: الجملة الأولى ﴿أُشۡهِدُ ٱللَّهَ﴾ خبرية في الظاهر، والجملة الثانية إنشائية لفظًا وخبرية معنًى، أي: أشهدكم، وغاير بينهما تنبيهًا على الفرق بين شهادة الله وشهادة الناس، فشهادة الله أجل وأعلى.

(٤) قوله تعالى: ﴿فَكِيدُونِي﴾. الفاء: الفصيحة، وكيدوا: فعل أمر من «كاد، يكيد» مسند إلى واو الجماعة مبني بحذف النون، والنون للوقاية، والياء: في محل نصب مفعول به، و﴿جَمِيعٗا﴾ حال منصوبة، و﴿لَا﴾ في ﴿لَا تُنظِرُونِ﴾ ناهية جازمة، والفعل مجزوم بحذف النون، والنون الموجودة نون الوقاية، وبعدها ياء المتكلم حذفت تخفيفًا.

(٥) قوله: (زائدة). أي: إعرابًا ومؤكدة للعموم معنًى.

(٦) قوله: (نسمة...). أفاد أن الـ﴿دَآبَّةٍ﴾ هنا بالمعنى اللغوي، كما تقدم في أول السورة.

(٧) قوله: (أي: مالكها وقاهرها). كذا قاله ابن كثير، قال: «تحت قهره وسلطانه»، وهكذا فسره ابن جرير، قال: «فإنه ليس من شيء يدب على الأرض إلا والله مالكه، وهو في قبضته وسلطانه ذليل له خاضع».اهـ.

إلا بإذنه، وخص الناصية بالذكر[١]؛ لأن من أخذ بناصيته يكون في غاية الذل ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾﴾ طريق الحق والعدل.

﴿٥٧﴾- ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ فيه حذف إحدى التاءين، أي: تعرضوا ﴿فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم[٢] مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ﴾ بإشراككم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾﴾ رقيب.

﴿٥٨﴾- ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ عذابنا[٣] ﴿نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ﴾ هداية[٤] ﴿مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾﴾ شديد.

﴿٥٩﴾- ﴿وَتِلۡكَ عَادٞۖ﴾ إشارة إلى آثارهم، أي: فسيروا[٥] في الأرض وانظروا

---

(١) قوله: (وخص الناصية...). أي: ذكر الناصية مع أن كلها في قبضة الله وقهره، لما ذكره المفسر، وبمثله فصّل ابن جرير، قال: «لأن العرب كانت تستعمل ذلك في وصفها من وصفته بالذلة والخضوع، فخاطبهم الله بما يعرفون في كلامهم».اهـ. ملخصًا.

الخلاصة: فيكون الكلام ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ ...﴾ كناية عن القهر والسلطنة.

(٢) قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم...﴾. جواب الشرط، وهو دال على الجواب المحذوف من حيث المعنى، كأن المعنى: فإن تولوا فلا أبالي لأني قد أبلغتكم... والله أعلم. وجملة ﴿وَيَسۡتَخۡلِفُ...﴾ مستأنفة، ولذا رفع المضارع.

(٣) قوله: (عذابنا) وهو الريح العقيم التي سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام.

(٤) قوله: (هداية) ذكر القرطبي هذا المعنى بدون عزو، وقال ابن جرير: «يعني: بفضل منه عليهم ونعمة».اهـ. والهداية فضل خاص ونعمة خاصة، علمًا بأن الرحمة صفة لله تعالى كما تليق به.

فائدة: قال القرطبي: «كان المؤمنون أربعة آلاف، وقيل: ثلاثة آلاف».اهـ.

(٥) قوله: (أي: فسيروا) توضيح لما تضمنته الإشارة، فإن المشار إليه يكون معلومًا للمخاطب.

إليها، ثم وصف أحوالهم فقال[١]: ﴿جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾ جُمِعَ[٢]؛ لأن من عصى رسولًا عصى جميع الرسل؛ لاشتراكهم في أصل ما جاءوا به، وهو التوحيد ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟﴾ أي: السفلة ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾ معاند للحق من رؤسائهم.

﴿٦٠﴾- ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ من الناس[٣] ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ لعنة على رؤوس الخلائق ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟﴾ جحدوا ﴿رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا﴾ من رحمة الله ﴿لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿٦١﴾- ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿۞ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة[٤] ﴿صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحِّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم﴾ ابتدأ خلقكم ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ جعلكم عُمَّارًا تسكنون بها[٥] ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ ۚ﴾ بالطاعة ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ﴾ من خلقه بعلمه ﴿مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ لمن سأله.

---

(١) قوله: (وصف أحوالهم) أي: باعتبار المعنى، وإلا فجملة ﴿جَحَدُوا۟...﴾ خبر ثانٍ لـ﴿تِلْكَ﴾.

(٢) قوله: (جُمِعَ) أي: ذكر «رسل» بصيغة الجمع مع أنهم كذبوا هودًا فقط.

(٣) قوله: (من الناس) أي: كلما ذكروا لعنهم الناس، مع لعنة الله لهم. كما قال ابن كثير: «فلهذا أُتبعوا في الدنيا لعنة من الله، ومن عباده المؤمنين كلما ذكروا...».اهـ.

(٤) قوله: (من القبيلة...) كما تقدم في شأن هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. وقد تقدم ذكر نسب صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وشيء من التفصيل من قصته وقصة الناقة في الآية ذات الرقم (٧٣) من سورة الأعراف.

(٥) قوله: (جعلكم عُمَّارًا) أي: تعمرونها وتستغلونها، كما قال ابن كثير. وأفاد المفسر أن الاستفعال مجرد عن معنى الطلب. أو يقال: طلب منكم عمارتها بما أباح الله. والله أعلم.

٦٢- ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا﴾ نرجو أن تكون سيدًا[١] ﴿قَبۡلَ هَٰذَآۖ﴾ الذي صدر منك ﴿أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ من الأوثان ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾ من التوحيد ﴿مُرِيبٖ ٦٢﴾ موقع في الريب.

٦٣- ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾ بيان[٢] ﴿مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ﴾ نبوة[٣] ﴿فَمَن يَنصُرُنِي﴾ يمنعني ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عذابه ﴿إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بأمركم لي بذلك ﴿غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ٦٣﴾ تذليل[٤].

٦٤- ﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ﴾ حال[٥]، عامله الإشارة ﴿فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ[٦] وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾ عقر[٧] ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ٦٤﴾ إن عقرتموها.

---

(١) قوله: (نرجو أن تكون...) وبه فسر ابن جرير، قال: «كنا نرجو أن تكون فينا سيدًا».اهـ.

(٢) قوله: (بيان). بنحوه فسر ابن جرير، قال: «على علم ومعرفة وبيان من الله لي ما يلزمني له ويجب عليّ...».اهـ.

(٣) قوله: (نبوة). وبها فسر ابن جرير وغيره، قال: «وأتاني منه النبوة والحكمة والإسلام». اهـ. وهو المفعول الثاني لـ﴿ءَاتَىٰنِي﴾ بمعنى: أعطاني. و﴿مِنۡهُ﴾ حال من ﴿رَحۡمَةٗ﴾ أو متعلق بـ﴿ءَاتَىٰنِي﴾.

(٤) قوله: (تذليل). نقل القرطبي عن ابن عباس: «المعنى: فما تزيدونني باحتجاجكم بدين آبائكم غير بصيرة بخسارتكم».اهـ. وبنحوه فسر ابن جرير.

الخلاصة: التخسير لهم، لا له عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. كما قال مجاهد: «ما تزدادون أنتم إلا خسارًا».اهـ.

(٥) قوله: (حال...). تقدم مثله في سورة الأعراف الآية (٧٣).

(٦) قوله تعالى: ﴿فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ...﴾: «ذروا» أمر، أهمل ماضيه، فلم يسمع، وَذَرَ استغناء بـ«ترك». و﴿تَأۡكُلۡ﴾ مجزوم؛ لأنه جواب الأمر.

(٧) قوله: (عقر). كما فسر به عامة المفسرين.

٦٥- ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عقرها قُدار بأمرهم[١] ﴿فَقَالَ﴾ صالح ﴿تَمَتَّعُواْ﴾ عيشوا ﴿فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ﴾ ثم تهلكون ﴿ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ٦٥﴾ فيه.

٦٦- ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ وهم أربعة آلاف[٢] ﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَ﴾ نجيناهم[٣] ﴿مِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ﴾ بكسر الميم[٤]

---

(١) قوله: (قُدار...). بضم القاف. اسم للذي عقر الناقة. وقد ذكرنا القصة بشيء من التفصيل في سورة الأعراف الآية (٧٤).

لطيفة: قال القرطبي: «استدل علماؤنا -يعني المالكية- بإرجاء الله العذاب عن قوم صالح ثلاثة أيام على أن المسافر إذا لم يجمع على إقامة أربع ليالٍ قصر؛ لأن الثلاثة الأيام خارجة عن حكم الإقامة».اهـ. وهذا أيضًا مذهب الشافعية والحنابلة، واستدلوا على ذلك بأدلة أخرى أيضًا.

(٢) قوله: (وهم أربعة آلاف). ذكره البغويّ. وفي عددهم خلاف، ولم أجد فيه نقلًا قويًا.

(٣) قوله: (﴿وَ﴾ نجيناهم) أفاد بهذا التقدير أن الجار والمجرور ﴿مِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ﴾ متعلق به. والواو عاطفة، عطف تفسير. ويصح عطفه على مقدر، أي: نجيناهم من الهلاك وخزي يومئذ، فلا يحتاج إلى تقدير الفعل.

(٤) قوله: (بكسر الميم...). إشارة إلى القراءتين ووجههما: قرأ نافع والكسائي وأبو جعفر بفتح الميم من ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾، والباقون بكسرها. و«يوم» مضاف إليه، فالجر على أنه معرب، والفتح على أنه مبني لإضافته إلى المبني وهو «إذ»؛ لأن «إذْ» ظرف مبني على السكون، وهو هنا في محل جر مضاف إليه والتنوين فيه عوض عن الجملة المضاف إليها. وعلم من هنا أن الاسم المعرب إذا أضيف إلى المبني جاز بناؤها على الفتح، فالمضاف استفاد من المضاف إليه البناء. وذكر النحاة أن المضاف يستفيد من المضاف إليه عشرة أمور، ذكرناها في «الثلاثيات»، ومنها البناء كما هنا، وكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾ [الذاريات: ٢٣]، بفتح ﴿مِّثۡلَ﴾ لإضافته إلى ﴿مَآ﴾.

إعرابًا وفتحها بناء؛ لإضافته إلى مبني، وهو الأكثر[١] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ۝٦٦﴾ الغالب.

٦٧- ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٦٧﴾ باركين[٢] على الركب ميتين.

٦٨- ﴿كَأَن﴾ مخففة[٣]، واسمها محذوف، أي: كأنهم ﴿لَّمْ يَغْنَوْاْ﴾ يقيموا ﴿فِيهَآ﴾ في دارهم ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ۝٦٨﴾ بالصرف وتركه[٤] على معنى الحي والقبيلة.

٦٩- ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ[٥] إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بإسحاق ويعقوب بعده

---

(١) قوله: (وهو الأكثر). أي: في الاستعمال، وأما القراءة فهما سبعيتان متواترتان.

(٢) قوله: (باركين). كما تقدم في سورة الأعراف.

(٣) قوله: (مخففة). أي: من «كأنَّ» المشددة، والمخففة تعمل وجاز ذكر اسمها لكنه قليل، بخلاف «أن» المخففة فاسمها محذوف وجوبًا. وتقدم في تفسير سورة يونس [الآية: ٢٤].

(٤) قوله: (بالصرف وتركه) يعني بتنوين ثمود وترك تنوينه. قرأ حفص، وحمزة، ويعقوب: ﴿إِنَّ ثَمُودَاْ﴾: بترك التنوين، وقرأ الباقون: ﴿إِنَّ ثَمُودًا﴾ وقرأ الكسائي: ﴿بُعْدًا لِثَمُودٍ﴾ بالتنوين. وقرأ الباقون: ﴿لِّثَمُودَ﴾ بعدم الصرف. ووجههما ما ذكره المفسر: منع الصرف للعلمية والتأنيث باعتباره قبيلة. والصرف باعتباره مذكرًا أي: الحيّ. وثمود لفظ عربيّ، مأخوذ من الثمد، وهو الماء القليل. أفاده القرطبي في تفسير الأعراف.

(٥) قوله تعالى: ﴿رُسُلُنَآ﴾، وهم الملائكة: الذين أرسلوا لإهلاك قوم لوط، ولوط عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ابن أخي إبراهيم كان أرسل إلى قرية سدوم -بساحل البحر الميت- وكان إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ببلاد فلسطين، فدخلت الملائكة على إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أولًا يبشرونه بإهلاك قوم لوط، كما بشروه بولده إسحٰق، وكانت الملائكة بشكل شبان حسان الوجوه، دخلوا =

﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ﴾ مصدر[١]، ﴿قَالَ سَلَٰمٞۖ﴾ عليكم[٢] ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ[٣] بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩﴾ مشويّ[٤].

٧٠- ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ﴾ بمعنى: أنكرهم[٥] ﴿وَأَوۡجَسَ﴾ أضمر في نفسه ﴿مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ﴾ خوفًا[٦] ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠﴾ لنهلكهم.

= على إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كضيوف، فقدم لهم العجل الحنيذ. وهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، وعزاه القرطبي إلى ابن عباس.

وعن الضحاك: «كانوا تسعة»، وعن السدي: «أحد عشر ملكًا...». القرطبي.

(١) قوله: (مصدر). أي: فهو منصوب على أنه مفعول مطلق.

(٢) قوله: (عليكم). قدره ليكون خبرًا عن ﴿سَلَٰمٞۖ﴾، وهو مبتدأ جاز الابتداء به مع كونه نكرة لتضمنه معنى الدعاء، قال العلماء: «جواب إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أبلغ من سلامهم؛ لأن تسليمهم بالجملة الفعلية، وجوابه بالجملة الاسمية، والاسمية تدل على الثبوت والدوام». ذكره ابن كثير وغيره.

(٣) قوله تعالى: ﴿أَن جَآءَ...﴾. ﴿أَن﴾ مصدرية، والمصدر المؤول فاعل ﴿لَبِثَ﴾ أي: ما لبث مجيئه، أو فاعل ﴿لَبِثَ﴾ ضمير مستتر عائد إلى إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، والمصدر المؤول مجرور بحرف جر مقدر أي: ما لبث هو عن مجيئه بالعجل. ويجوز كون المصدر المؤول منصوبًا بنزع الخافض على هذا الوجه.

(٤) قوله: (مشويّ). الحنيذ: المشويّ على الحجارة، كما ذكره ابن كثير وغيره.

(٥) قوله: (بمعنى: أنكر). يقال: نكره وأنكره واستنكره بمعنًى واحد.

(٦) قوله: (خوفًا). تفسير بالمراد: والخيفة اسم الهيئة من «خاف»، أو مصدره، يقال: «خاف، خوفًا، ومخافة، وخيفة»، روى ابن جرير عن قتادة: «-في سبب الخوف-: كانت العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم ظنوا أنه لم يجيء بخير».اهـ.

(٧١)- ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ أي: امرأة إبراهيم سارة[(١)] ﴿قَآئِمَةٞ﴾ تخدمهم[(٢)] ﴿فَضَحِكَتۡ﴾ استبشارًا بهلاكهم[(٣)] ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ﴾ بعد ﴿إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ (٧١)﴾ ولده، تعيش إلى أن تراه.

(٧٢)- ﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ كلمة تقال عند أمر عظيم، والألف مبدلة من ياء الإضافة[(٤)] ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ﴾ لي تسع وتسعون سنة[(٥)] ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾ له

---

(١) قوله: (سارة). وهي سارة بنت هاران بن ناحور بن ساروح بن راعو بن فالغ، وهي ابنة عم إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.اهـ. ابن جرير.

(٢) وقوله: (تخدمهم). أو كانت قائمة من وراء الستر تستمع كلام الرسل. ذكرهما ابن جرير.

(٣) قوله: (استبشارًا). هذا المعنى مروي عن قتادة. وعن وهب ابن منبه: «ضحكت استبشارًا بإسحاق»؛ ففي الكلام تقديم وتأخير، وقيل: ضحكت هنا بمعنى: حاضت، وكانت ابنة بضع وتسعين سنة» قاله مجاهد. وقيل غير ذلك.

فائدتان:

١- الضحك من أسماء الحيض، وذكر العلماء له ثمانية أسماء مذكورة في كتب الفقه.

٢- استدل بهذه الآية على أن الذبيح إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لا إسحٰق؛ لأنه بشر به وبابنه يعقوب؛ فلا يناسب الأمر بذبحه. والله أعلم.

(٤) قوله: (والألف...). يعني الألف في «ويلتى» مبدلة عن ياء المتكلم. وأصله: يا ويلتي. ويجوز في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم ستة أوجه. ذكرها النحاة. وهن: إثبات الياء ساكنة، ومفتوحة وحذفها، وإبدالها ألفًا، وحذف الألف، والبناء على الضم.

(٥) قوله: (لي تسع وتسعون سنة). هذا نقله القرطبي عن مجاهد. ونقل عن ابن إسحٰق: «بنت تسعين سنة».

مائة أو وعشرون سنة[١]، ونصبه على الحال[٢]، والعامل فيه ما في «ذا» من الإشارة ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾ أن يولد ولد لهرمين[٣].

﴿٧٣﴾- ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ قدرته ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ يا ﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾[٤] بيت إبراهيم ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ﴾ محمود[٥] ﴿مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ كريم.

﴿٧٤﴾- ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ﴾ الخوف ﴿وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ بالولد[٦]، أخذ[٧] ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ يجادل رسلنا[٨] ﴿فِي﴾ شأن ﴿قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾.

---

(١) قوله: (له مائة أو وعشرون). قولان في عمره عَلَيْهِ السَّلَامُ: ابن مائة سنة في قول مجاهد، أو مائة وعشرين سنة في قول ابن إسحٰق، رواهما ابن جرير.

(٢) قوله: (ونصبه على الحال). أي: ﴿شَيۡخًاۖ﴾: حال منصوب، وعامل الحال: ما في «ذا» من معنى الإشارة، أي: أشير. كما تقدم نظيره.

(٣) قوله: (لهرمين). الهرِم -بكسر الراء-: من بلغ أقصى السن.

(٤) قوله: (يا ﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾). أفاد أن ﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ منادًى منصوب، ويجوز كونه منصوبًا على الاختصاص. كما قاله القرطبي.

(٥) قوله: (محمود). أشار المفسر إلى أن ﴿حَمِيدٌ﴾ «فعيل» بمعنى: مفعول؛ لأنه أنسب في مقام المدح. وتقدم الكلام على معاني «فعيل» في مواضع، مثلًا الآية (٢٦٧) من سورة البقرة.

(٦) قوله: (بالولد). أي: البشرى هي البشرى بالولد إسحٰق. قاله قتادة، وإسحٰق وبعده يعقوب في قول ابن إسحٰق. رواهما ابن جرير.

(٧) وقوله: (أخذ). بمعنى: شرع. قدره ليكون جواب ﴿لَمَّا﴾، وتكون ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ خبرًا لـ(أخذ)؛ لأنه من أفعال الشروع، ترفع الاسم وتنصب الخبر، والخبر يكون فعلاً مضارعًا بدون «أن».

(٨) وقوله: (يجادل رسلنا). أفاد تقدير مضاف.

﴿٧٥﴾- ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ كثير الأناة ﴿أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ رجاع، فقال لهم[١]: أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنًا؟ قالوا : لا، قال: أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنًا؟ قالوا: لا، قال: أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا، قال: إن فيها لوطًا، قالوا: نحن أعلم بمن فيها.

﴿٧٦﴾- فلما أطال مجادلتهم قالوا[٢]: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ الجدال ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بهلاكهم ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿٧٧﴾- ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ﴾ حزن بسببهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدرًا[٣]؛ لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف، فخاف عليهم قومه ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ شديد[٤].

﴿٧٨﴾- ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ لما علموا بهم ﴿يُهْرَعُونَ﴾ يسرعون[٥] ﴿إِلَيْهِ وَمِن

---

(١) قوله: (فقال لهم...). هذا تفصيل لمجادلته مع الملائكة، وما ذكره المفسر رواه ابن جرير عن سعيد بن جبير، وقتادة، والسدي وغيرهم، مع اختلاف يسير في السياق. ونقله ابن كثير والقرطبي وغيرهما.

(٢) قوله: (قالوا). أفاد أن ما بعده: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ...﴾ مما قالته الملائكة لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد صرح بذلك ابن جرير، كما يتضح ذلك مما رواه عن السدي.

(٣) قوله: (صدرًا). تفسير لـ﴿ذَرْعًا﴾ وهو تفسير بالمراد: وأصل الذرع بسط اليد، فكأنك تريد بسط اليد إليه فلم تلنه. كما في كتب اللغة. وهو تمييز محول عن الفاعل، أي: ضاق صدره بهم؛ لما ذكره المفسر. قال القرطبي: «كان بين إبراهيم وقرية لوط أربعة فراسخ».

(٤) قوله: (شديد). كذا فسره عامة المفسرين. قال ابن جرير: «يقال: عصَبَ يومنا هذا يعصِبُ عصبًا».اهـ. ومنه: العِصابة، والعَصَبة.

(٥) قوله: (يسرعون). نقل القرطبي عن الكسائي، والفَراء وغيرهما من أهل اللغة: «لا يكون =

﴿قَبۡلُ﴾ قبل مجيئهم[(١)] ﴿كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ وهي إتيان الرجال في الأدبار ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ فتزوجوهن[(٢)] ﴿هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ[(٣)]﴾ تفضحون ﴿فِي ضَيۡفِيٓۖ﴾ أضيافي[(٤)] ﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨﴾ يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر[(٥)].

٧٩- ﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ﴾ حاجة[(٦)] ﴿وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩﴾ من إتيان الرجال.

= الإهراع إلا إسراعًا مع رِعْدة، أي من برد أو غضب أو حمّى».اهـ. يقال: هُرِع وأُهْرِعَ بالبناء فيهما للمفعول، إذا أعجل على الإسراع، كما في «المصباح».اهـ.

(١) قوله: (قبل مجيئهم). أشار به إلى المضاف إليه المقدر. حذف ونوي معناه ولذا بني ﴿قَبۡلُ﴾ على الضم.

(٢) قوله: (فتزوجوهن). ظاهره أن الإشارة إلى بناته من صلبه، وكان له ثلاثُ بنات، وقيل: بنتان: زيتا، وزاعورا. ولعل نكاح الكافر للمؤمنة جائز في شريعتهم. قاله القرطبي وجهًا. ونقل هو وابن جرير عن مجاهد، وسعيد بن جبير: «الإشارة إلى النساء جملة، وكل نبي أبٌ لأمته»، وعن أبي عبيدة: «إنما الكلام مدافعة عنهم، ولم يرد إمضاءً».اهـ. قال عكرمة: «لم يعرض عليهم بناته ولا بنات أمته، وإنما قال لهم هذا لينصرفوا».اهـ.

(٣) قوله تعالى: ﴿تُخۡزُونِ﴾. النون للوقاية، وبعدها ياء المتكلم محذوفة، والفعل مجزوم بـ«لا»، الناهية، وعلامة جزمه حذف النون.

(٤) قوله: (أضيافي). أفاد أن الضيف بمعنى الجمع. وهو يطلق على المفرد والجمع. كما قاله أهل اللغة.

(٥) قوله: (يأمر بالمعروف...). وقريبًا منه قاله ابن جرير، ورواه ابن إسحٰق، قال: «رجل يعرف الحق وينهى عن المنكر».اهـ.

(٦) قوله: (حاجة). كذا ذكره ابن كثير.

(٨٠)- ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ طاقة ﴿أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ (٨٠)﴾ عشيرة تنصرني[١]، لبطشت بكم.

(٨١)- فلما رأت الملائكة ذلك[٢]: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ بسوء ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ﴾ طائفة[٣] ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿إِلَّا امۡرَأَتُكَۖ﴾ بالرفع[٤]، بدل من «أَحَدٌ»، وفي قراءة

---

(١) قوله: (عشيرة). تفسير للركن الشديد. وبه فسر ابن كثير والقرطبي، ونقله ابن جرير عن قتادة وابن إسحٰق.

و(أن وما بعدها) في تأويل مصدر، فاعل لفعل محذوف تقديره: «ثبت»، وجملة ﴿أَوۡ ءَاوِيٓ﴾ معطوفة على ذلك. فالمعنى: لو ثبت قوتي أو آويت إلى عشيرة شديدة، والجواب محذوف قدره المفسر.

(٢) قوله: (فلما رأت الملائكة ذلك). أي: ما لقي لوط من الكرب بسببهم. كما في ابن جرير. فعند ذلك أخبروا أنهم رسل ربه، أي هم ملائكة جاؤوا لإنزال العذاب بقومه.

(٣) قوله: (طائفة). كذا قال ابن عباس.

(٤) قوله: (بالرفع). أي: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتُكَۖ﴾: هذه قراءة ابن كثير، وأبي عمرو. وبالنصب: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾: قراءة الباقين.

وجه الرفع كما قال المفسر: أنه بدل من «أحد»، ومعلوم أن المستثنى بعد الكلام المنفي التام يكون تابعًا للمستثنى منه في الإعراب إذا كان الاستثناء متصلًا أي: إذا كان المستثنى من جنس المستثنى منه. وهنا كذلك، فيكون المعنى: إنه لا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فهي تلتفتُ فتهلك. وهذا على أنها خرجت مع أهل لوط، ولكنها التفتَتْ، فجاءها حجر من السماء، فهلكت. كما قال المفسر، وروى ذلك ابن جرير عن سعيد بن جبير، وذكره ابن كثير ناقلًا عن بعض المفسرين.

ووجه النصب: أنه مستثنى من «أهلك»، والمعنى: أسر بأهلك إلا امرأتك، والمستثنى من الكلام المثبت التام يكون منصوبًا، وعلى هذا أفادت الآية أنها لم تخرج مع أهل لوط، =

بالنصب، استثناء من «الأهل»، أي: فلا تسر بها ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ﴾، فقيل: لم يخرج بها، وقيل: خرجت والتفتت، فقالت: واقوماه، فجاءها حجر فقتلها، وسألهم عن وقت هلاكهم فقالوا: ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ﴾ فقال: أريد[1] أعجل من ذلك، قالوا: ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١﴾.

٨٢- ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا﴾ قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ بأن رفعها[2] جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ﴾ طين طبخ بالنار[3] ﴿مَّنضُودٖ ٨٢﴾ متتابع[4].

٨٣- ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلمة عليها اسم من يرمى بها[5] ﴿عِندَ رَبِّكَۖ﴾ ظرف لها

= بل بقيت في القرية، وعزا ابن كثير هذا المعنى إلى الأكثرين، كما يدل على ذلك ظاهر قوله تعالى: ﴿كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٨٣﴾ [الأعراف: ٨٣]، أي: الباقين.

(١) قوله: (فقال: أريد...). أي: قال لوط عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: أريد نزول العذاب قبل الفجر. قاله ابن جرير، ورواه عن سعيد.

وروى عن قتادة عن حذيفة: «أن جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ضربهم بجناحه لما اجتمعوا عند بيت لوط عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فباتوا عميانًا وباتوا شر بيتة».اهـ. ملخصًا، كما قال تعالى: ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٧﴾ [القمر: ٣٧]، وقاله ابن كثير وغيره.

(٢) قوله: (بأن رفعها...). هكذا قاله القرطبي، وابن جرير وغيرهم، ونقلوه عن السلف.

(٣) قوله: (طين طبخ بالنار). روى القرطبي هذا المعنى عن ابن زيد، ونقل عن ابن عباس، وابن جبير، وابن إسحٰق: أن ﴿سِجِّيلٖ﴾ لفظ معرّب أصله: «سنك جيل»، بمعنى: حجر وطين، بالفارسية.

(٤) وقوله: (متتابع). قاله ابن عباس، كما في القرطبي.

(٥) قوله: (معلمة عليها اسم من يرمى بها). كذا ذكره ابن كثير، ونقله القرطبي قولًا، وقيل: معلمة، أي: كان عليها أمثال الخواتم. وعن قتادة وعكرمة: «مطوقة عليها نصح من =

﴿وَمَا هِيَ﴾ أي: الحجارة[(١)] أو بلادهم[(٢)] ﴿مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: أهل مكة ﴿بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿٨٤﴾- ﴿۞ وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ نعمة تغنيكم[(٣)] عن التطفيف ﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ بكم يهلككم، ووصف اليوم به مجاز لوقوعه فيه[(٤)].

= حمرة، أي: أثر منها»، وهي منصوبة على الحال. وأفاد ﴿عِندَ رَبِّكَ ۖ﴾ أنها ليست من حجارة الأرض، نقله القرطبي عن الحسن.

قال القرطبي: «قيل: إنها أمطرت على القرى حين رفعها جبريل، وقيل: أمطرت على من لم يكن بالقرية من أهلها».اهـ. ملخصًا.

(١) قوله: (﴿هِيَ﴾ أي: الحجارة). أي: فالضمير راجع إلى الحجارة، والظالمون: المشركون، روي هذا عن مجاهد فتكون الآية تهديدًا لقريش. وقيل المعنى: وما هي -أي الحجارة- من الظالمين -أي قوم لوط- ببعيد، أي: أصابتهم ولم تخطئهم. قاله القرطبي.

(٢) قوله: (أو بلادهم). أي: الضمير يرجع إلى قرى لوط، والمعنى: وما تلك القرى ببعيدة عن المشركين؛ لأنهم قريبة من الشام. نقله القرطبي بدون عزو، ونقل ابن جرير عن قتادة: أنهم كانوا أربعة آلاف ألف، أي: أربعة ملايين. وتذكير ﴿بَعِيدٍ﴾ على معنى: بمكانٍ بعيد، كما أفاده القرطبي.

(٣) قوله: (نعمة تغنيكم...). فسر بمثله القرطبي، قال: «في سعة من الرزق»، وروي عن الحسن: «كان سعرهم رخيصًا».

وقد تقدم في تفسير سورة الأعراف قصة شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ونسبه وشيء من التفصيل الآية رقم (٨٥).

(٤) قوله: (ووصف اليوم...). يعني: أن ﴿مُّحِيطٍ﴾ نعت لـ﴿يَوْمٍ﴾، والضمير فيه راجع إلى =

٨٥- ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ أتموهما ﴿بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئًا ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥﴾ بالقتل وغيره، من عثي بكسر المثلثة، أفسد[١]، و﴿مُفۡسِدِينَ﴾: حال مؤكدة لمعنى عاملها: ﴿تَعۡثَوۡاْ﴾.

٨٦- ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾ رزقه الباقي لكم[٢] بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ من البخس ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ٨٦﴾ رقيب أجازيكم بأعمالكم، إنما بعثت نذيرًا.

٨٧- ﴿قَالُواْ﴾ له استهزاءً[٣] ﴿يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ﴾ بتكليفِ[٤]

= اليوم فقد أسند ﴿مُّحِيطٖ﴾ إلى ضمير «اليوم»، واليوم زمان للعذاب، ففيه مجاز عقلي، وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير الفاعل الحقيقي مما يتعلق بالفعل، كالزمان والمكان وغيرهما. كما هو معروف في علم البلاغة.

(١) قوله: (من عثي). «عَثِيَ» على وزن «رضي»، معناه: أفسد، فيكون قوله: ﴿مُفۡسِدِينَ﴾ حالًا من فاعل «عثى» وهو الواو، مؤكِّدة لمعناه. كما قال المفسر.
والحال المؤكدة: هي التي لا تفيد معنًى جديدًا وإنما تفيد توكيدًا فقط، ومقابلها تسمى: حالًا مؤسِّسة، كما فصله النحاة.

(٢) قوله: (رزقه الباقي لكم). وبه فسر ابن جرير، وابن كثير، والقرطبي وغيرهم. وعن مجاهد: «بقية الله: طاعة الله»، وعن قتادة: «حظكم من ربكم»، وعن ابن عباس: «رزق الله»، رواها عنهم ابن جرير.

(٣) قوله: (استهزاءً). كذا قاله ابن كثير والقرطبي، قال: «روي أن شعيبًا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كان كثير الصلاة».اهـ. وعن الأعمش: «الصلاة هنا بمعنى القراءة»، رواه ابن جرير.

(٤) قوله: (بتكليفِ). قدره دفعًا لما يقال: إن ترك ما ذكر هو من وصفهم وفعلهم، لا من =

﴿أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ من الأصنام ﴿أَوۡ﴾ نترك[١] ﴿أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾ المعنى[٢]: هذا أمر باطل لا يدعو إليه داع بخير ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧﴾ قالوا: ذلك استهزاءً[٣].

٨٨- ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾ حلالًا[٤] أفأشوبه بالحرام[٥] من البخس والتطفيف[٦] ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ﴾ وأذهب[٧] ﴿إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾ فأرتكبه ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ﴾

= فعل شعيب والإنسان يؤمر بفعل نفسه وترك فعل نفسه لا بفعل وترك غيره. أفاده الصاوي.

(١) وقوله: (﴿أَوۡ﴾ نترك). قدر الفعل ليفيد أن قوله ﴿أَن نَّفۡعَلَ﴾ المصدر المؤول من «أن» والفعل معطوف على ﴿مَا يَعۡبُدُ﴾؛ فيكون داخلًا في المأمور بالترك وليس قوله ﴿أَن نَّفۡعَلَ﴾ معطوفًا على ﴿أَن نَّتۡرُكَ﴾؛ لأن فعلهم في أموالهم منهي عنه لا مأمور به.

(٢) قوله: (المعنى...). ما ذكره هو المعنى الإجمالي لمقولتهم.

(٣) قوله: (قالوا ذلك استهزاءً). روى ابن جرير ذلك عن ابن زيد، وابن جريج، وروي عن ابن عباس.

(٤) قوله: (حلالًا). كذا قاله ابن جرير.

(٥) وقوله: (أفأشوبه بالحرام). أي: أخلطه بالحرام؟ قدره المفسر ليكون جوابًا للشرط ﴿إِن كُنتُ ...﴾. وأشوب: مضارع «شابَ» بمعنى: خلط، والهاء ضمير في محل نصب مفعول به عائد إلى الرزق.

(٦) قوله: (البخس...). هو النقص، و(التطفيف) هو النقص في الكيل أو الوزن، وكلاهما بيان للحرام مما كانوا يقترفونه.

(٧) قوله: (وأذهب). قدره ليفيد أن «أخالف» مضمن معنى: أذهب، ولذا عدّي بـ﴿إِلَىٰ﴾.

لكم بالعدل ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ﴾ قدرتي على ذلك[(١)] وغيره من الطاعات ﴿إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ أرجع.

﴿٨٩﴾- ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يكسبنكم[(٢)] ﴿شِقَاقِيٓ﴾ خلافي، فاعل «يَجْرِمَ»[(٣)]، والضمير مفعول أول، والثاني ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ﴾ من العذاب ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ﴾ أي: منازلهم[(٤)]، أو زمن هلاكهم ﴿مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾ فاعتبروا.

﴿٩٠﴾- ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ﴾ بالمؤمنين ﴿وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ محبّ لهم.

﴿٩١﴾- ﴿قَالُوا۟﴾ إيذانًا بقلة المبالاة ﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ[(٥)] كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا

---

(١) قوله: (قدرتي على ذلك). تفسير التوفيق. وبنحوه فسر ابن جرير وغيره. و﴿مَا﴾ في ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ﴾ مصدرية ظرفية، أي: مدة استطاعتي. وفي ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ﴾ نافية.

(٢) قوله: (يكسبنكم). كذا قاله الزجاج. وقال ابن جرير: «لا يحملنكم».

(٣) قوله: (فاعل «يَجْرِمَ»). حاصل ما ذكره من الإعراب: أن ﴿شِقَاقِيٓ﴾ فاعل ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾، و«كُمْ» مفعول أول، والمصدر المؤول من ﴿أَن يُصِيبَكُم﴾ مفعول ثان، والمعنى: لا يكسبنكم مخالفتكم إصابة العذاب الذي يشبه ما أصاب قوم نوح....

(٤) قوله: (أي: منازلهم...). ذكرهما ابن جرير وابن كثير والقرطبي وغيرهم. فإن أهل مدين كانوا حديثي عهد بهلاك قوم لوط، ودورهم قريبة من دور قوم لوط.

(٥) قوله تعالى: ﴿مَا نَفْقَهُ﴾. من: «فقِه، يفقَه» باب «سمع، يسمع»: فهم. أما فقُه يفقُه بضم القاف فيهما، فهو بمعنى: صار فقيهًا. حكاه القرطبي.

﴿لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ ذليلًا(١) ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ عشيرتك(٢) ﴿لَرَجَمْنَٰكَ﴾ بالحجارة ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾ كريم عن الرجم، وإنما رهطك هم الأعزة(٣).

﴿٩٢﴾ - ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فتتركوا قتلي لأجلهم، ولا تحفظوني لله ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي: الله ﴿وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ منبوذًا خلف ظهوركم(٤)، لا تراقبونه ﴿إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾﴾ علمًا فيجازيكم(٥).

﴿٩٣﴾ - ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم(٦) ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ على حالتي ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾ موصولة(٧)، مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ

---

(١) قوله: (ذليلًا). نقله القرطبي عن الحسن، ومعنى: «ذليلًا» أي: لا قوة لك إذا أردنا بك سوءًا. وروى ابن جرير عن سعيد بن جبير: «كان أعمى أي: مصابًا ببصره».اهـ. والله أعلم. قال النحاس: «حكى أهل اللغة أن حمير يقول للأعمى: ضعيفًا»، وقيل غير ذلك، وما ذكره المفسر قواه البيضاوي، أما كون معناه «أعمى»، فلا يناسبه التقييد بالجار والمجرور، أي قولهم: ﴿فِينَا﴾، كما أنه لا يناسب مقام النبوة. والله أعلم. و﴿ضَعِيفًا﴾ مفعول ثان لـ«نرى» العلمية.

(٢) قوله: (عشيرتك). تفسير الرهط. ورهط الرجل قومه وقبيلته، وهم اسم جمع لا واحد له من لفظه، ويجمع على: أرهط، وأرهاط، ولا يقع إلا على الرجال، ويطلق على جمع من الثلاثة إلى العشرة.

(٣) قوله: (وإنما رهطك...). قدره لأن الآية التالية تدل على ذلك.

(٤) قوله: (منبوذًا...). بيان لمعنى «الظهري»، وهو منسوبٌ إلى الظَّهر بفتح الظاء، وكُسِرَت الظاء في النسبة، وهو من تغييرات النسبة، والقياس الفتح. كما يقال في أس: إسّي، وفي دَهَر: دُهريّ.اهـ. ذكره في «إعراب القرآن».

(٥) قوله: (علمًا). تمييز محول عن الفاعل، أي: أحاط علمه بما تعملون.

(٦) قوله: (حالتكم). كما تقدم في سورة الأنعام، الآية (١٣٥).

(٧) قوله: (موصولة). أي: ليست شرطية ولا استفهامية، و﴿يَأْتِيهِ﴾ صلة الموصول. وتقدم نظيره في الآية (٣٩) من هذه السورة.

﴿وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ﴾ انتظروا عاقبة أمركم ﴿إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ٩٣﴾ منتظر.

٩٤- ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ صاح بهم جبريل(١) ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤﴾ باركين على الركب ميتين.

٩٥- ﴿كَأَن﴾ مخففة(٢)، أي: كأنهم ﴿لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ﴾ يقيموا ﴿فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ٩٥﴾(٣).

٩٦- ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٩٦﴾ برهان بين ظاهر.

٩٧- ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ(٤) بِرَشِيدٖ ٩٧﴾ سديد.

٩٨- ﴿يَقۡدُمُ(٥)﴾ يتقدم ﴿قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ فيتبعونه كما اتبعوا في الدنيا

---

(١) قوله: (صاح بهم جبريل). وتقدم في سورة الأعراف الآية (٩١).

(٢) قوله: (مخففة). تقدم مثله في الآية (٦٨) من هذه السورة.

(٣) قوله تعالى: ﴿كَمَا بَعِدَتۡ﴾. بكسر العين، قال النحاس: «المعروف في اللغة: بعِدَ يَبْعَدُ بَعْدًا وبُعْدًا -بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع-: هلك. نقل القرطبي: بعُد، يبعُد، بُعدًا -بالضم-: يستعمل في الخير والشر، أما «بعِد» -بكسر العين- ففي الشر خاصة.اهـ. ملخصًا.

(٤) قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ﴾. أي: شأنه وحاله. قاله القرطبي. فلفظ الأمر يطلق بمعنى: الشأن، كما هنا، وبمعنى: طلب الفعل، نحو: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ﴾ [النور: ٦٣]، ويجمع بالمعنى الأول على «أمور»، وبالمعنى الثاني على «أوامر».

(٥) قوله تعالى: ﴿يَقۡدُمُ﴾. مضارع «قَدَم» من باب نصر قدما وقدومًا: تقدّم. أفاده القرطبي.

﴿فَأَوۡرَدَهُمُ﴾ أدخلهم(١) ﴿ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ٩٨﴾ هي(٢).

٩٩- ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ﴾ أي: الدنيا ﴿لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ لعنة ﴿بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ﴾ العون(٣) ﴿ٱلۡمَرۡفُودُ ٩٩﴾ رفدهم(٤).

١٠٠- ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور، مبتدأ(٥)، خبره ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ﴾ يا محمد ﴿مِنۡهَا﴾ أي: القرى ﴿قَآئِمٞ﴾ هالك(٦) أهله دونه ﴿وَ﴾ منها ﴿حَصِيدٞ ١٠٠﴾ هالك بأهله، فلا أثر له كالزرع المحصود بالمناجل(٧).

---

(١) قوله: (أدخلهم). تفسير «أورد»، وعبر بالماضي لتحقق الوقوع. كما في القرطبي.

(٢) قوله: (هي). أي: النار، قدره ليكون مخصوصًا بالذم.

و﴿ٱلۡوِرۡدُ﴾: الدخول. قاله ابن عباس. وهنا فسِّر بمعنى المورد، أي: المدخل.

قال البيضاوي: «بئس المورد الذي وردوه، فإنه يراد لتبريد الأكباد وتسكين العطش والنار بضده».اهـ. قال القرطبي: «﴿ٱلۡمَوۡرُودُ﴾: الماء الذي يورد».اهـ.

(٣) قوله: (العون). تفسير ﴿ٱلرِّفۡدُ﴾. نقل القرطبي عن أبي عبيدة والكسائي: «رَفَدتُه، أرفِدُه، رَفدًا -على وزن ضربَ-: أعنته، وأعطيته».

(٤) قوله: (رفدهم). قدره ليكون مخصوصًا بالذم، كما في سابقه.

(٥) قوله: (مبتدأ). أي: اسم الإشارة: ذلك في محل رفع مبتدأ، والجار والمجرور ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ﴾ في محل رفع خبر أول، وجملة ﴿نَقُصُّهُۥ...﴾ في محل رفع خبر ثان. وجملة ﴿مِنۡهَا قَآئِمٞ﴾ في محل نصب حال من ﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾.

(٦) قوله: (هالك...). ما ذكره من معنى ﴿قَآئِمٞ﴾ و ﴿حَصِيدٞ﴾ مروي عن ابن عباس وقتادة وابن جريج وغيرهم بألفاظ متقاربة.

وحاصل المعنى: بعض القرى باقٍ بعد فناء أهلها، وبعضها فنيت مع أهلها، الأول كمدين ومدائن صالح، والثاني كسدوم مساكن قوم لوط.

(٧) قوله: (كالزرع). فيه إشارة إلى أن لفظ ﴿حَصِيدٞ﴾ استعارة.

﴿١٠١﴾- ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ بالشرك ﴿فَمَآ أَغْنَتْ ﴾ دفعت[١] ﴿عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي: غيره ﴿مِن﴾ زائدة[٢] ﴿شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ عذابه[٣] ﴿وَمَا زَادُوهُمْ ﴾ بعبادتهم لها ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ تخسير[٤].

﴿١٠٢﴾- ﴿وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي: مثل ذلك الأخذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ ﴾ أريد أهلها[٥] ﴿وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ﴾ بالذنوب، أي: فلا يغني عنهم من أخذه شيء ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾، روى الشيخان[٦] عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليملي**[٧] **للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: «وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ » الآية.

---

(١) قوله: (دفعت). كذا فسره ابن جرير والقرطبي وغيرهما.

(٢) قوله: (زائدة). أي: لتوكيد العموم.

(٣) قوله: (عذابه). فيه إشارة إلى أن إطلاق الأمر على العذاب من المجاز المرسل.

(٤) قوله: (تخسير). كذا قاله قتادة ومجاهد. والتتبيب مصدر تبَّبَ، والتبُّ: الهلاك والخسران. كما في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾ [المسد: ١].

(٥) قوله: (أريد أهلها). أي: فيكون مجازًا مرسلًا من إطلاق المحلّ وإرادة الحالّ. وكذلك في قوله: ﴿وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ﴾. مجاز عقلي حيث أسند الظلم إليها، أي: إلى ضميرها، وهو حاصل من أهلها.

(٦) قوله: (روى الشيخان...) رواه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة هود، ومسلم في البر والصلة والآداب. وروى الحديث غيرهما أيضًا، وأورده ابن جرير وابن كثير وغيرهما.

(٧) وقوله ﷺ: «**ليملي**»، أي: يمهل.

﴿١٠٣﴾- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور من القصص ﴿لَآيَةً﴾ لعبرة ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ﴾[1] فيه ﴿النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ يشهده جميع الخلائق[2].

﴿١٠٤﴾- ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ لوقت معلوم عند الله.

﴿١٠٥﴾- ﴿يَوْمَ يَأْتِي﴾[3] ذلك اليوم[4] ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾ فيه حذف إحدى التاءين[5]

---

(١) قوله تعالى: ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾، ﴿مَّجْمُوعٌ﴾: نعت لـ﴿يَوْمٌ﴾، و﴿النَّاسُ﴾ نائب فاعل لـ﴿مَّجْمُوعٌ﴾. واللام للظرفية بمعنى «في»، كما قدره المفسر. واستعمال اسم المفعول ﴿مَّجْمُوعٌ﴾ مكان الفعل «يُجمع» للمبالغة، والدلالة على الثبوت والدوام، دون التجدد، كأنه قيل: ذلك يوم قد استقر أمر الجمع فيه، وأعد لذلك، وليس ذلك أمرًا طارئًا متجددًا، والله أعلم. أشار إلى ذلك البلاغيون وذكره محي الدين الدرويش في «إعراب القرآن».

(٢) قوله: (يشهده جميع الخلائق)، كما قال الضحاك: «ذلك يوم القيامة، يجتمع فيه الخلق كلهم، ويشهد أهل السماء وأهل الأرض».اهـ، رواه ابن جرير.

(٣) قوله تعالى: ﴿يَأْتِ﴾. قرأ ابن كثير، ويعقوب بإثبات الياء: ﴿يَأْتِي﴾ وصلًا ووقفًا. وقرأ نافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر: بإثبات الياء في الوصل. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بحذف الياء وصلًا ووقفًا: ﴿يَأْتِ﴾، اكتفاء بالكسرة. قال ابن جرير: «وهي لغة معروفة لهذيل، يقولون: ما أدْرِ ما تقول».اهـ.

(٤) قوله: (ذلك اليوم). قدره ليكون تفسيرًا للفاعل وعلى هذا يكون معنى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾: حين يأتي. كما ذكره البيضاوي، ويمكن كون فاعل ﴿يَأْتِ﴾: الجزاء، أو الله سبحانه. كما قال أيضًا.

(٥) قوله: (فيه حذف إحدى التاءين). أي: وأصله: «تتكلم»، وهذا الحذف جائز في اللغة إذا اجتمعت التاءان في أول المضارع. =

﴿نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ تعالى ﴿فَمِنۡهُمۡ﴾ أي: الخلق ﴿شَقِيّٞ وَ﴾ منهم[(١)] ﴿سَعِيدٞ ١٠٥﴾ كتب كلّ في الأزل[(٢)].

١٠٦- ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ﴾ في علمه تعالى ﴿فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ﴾ صوت شديد[(٣)] ﴿وَشَهِيقٌ ١٠٦﴾ صوت ضعيف.

= أفادت الآية أنه لا يتكلم يومئذ إلا من أذن له. وكما في حديث الشفاعة: «**ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم**».

وأما ثبوت الكلام في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا﴾ [النحل: ١١١]، ونحوه فأجاب العلماء بجوابين:

الأول: إن للقيامة مواقف، ففي بعضها لا يقدرون الكلام لشدة الهول، وفي بعضها يتحاجون ويتجادلون.

الثاني: لا تكلم نفس بما ينفعها، بل يتكلم الكفار بما لا ينفعهم. اهـ. كما في الصاوي.

(١) قوله: (منهم). قدره ليفيد أن ﴿سَعِيدٞ﴾ ليس معطوفًا على ﴿شَقِيّٞ﴾ من عطف المفرد على المفرد. وإلا لكان الواحد يتصف بهما، بل هذا من عطف الجملة على الجملة، فـ﴿سَعِيدٞ﴾ مبتدأ، حذف خبره، والجملة معطوفة على ما قبلها.

(٢) قوله: (كتب في الأزل). صريح في أن كلا النوعين مقدر في الأزل، كما هو عقيدة أهل السنة والجماعة. ويدل على ذلك ما رواه الترمذي وغيره عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «لما نزلت ﴿فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ١٠٥﴾ سألت النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، علام نعمل، على شيء قد فرغ منه، أم على شيء لم يفرغ منه؟ فقال: «**على شيء قد فرغ منه يا عمر! وجرت به الأقلام، ولكن كلّ ميسّر لما خلق له**».اهـ. أورده ابن كثير عن رواية أبي يعلى.

(٣) قوله: (صوت شديد). ما فسر به لـ﴿زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ١٠٦﴾ ثابت عن ابن عباس رواه عنه ابن جرير. وعن أبي العالية: «الزفير في الحلق، والشهيق في الصدر». وقيل في تفسيرهما غير ذلك.

(١٠٧)- ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ أي: مدة دوامها في الدنيا[(١)] ﴿إِلَّا﴾ غير[(٢)] ﴿مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾ من الزيادة على مدتها مما لا منتهى له، والمعنى: خالدين فيها أبدًا ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧)﴾.

(١٠٨)- ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سَعِدُواْ﴾ بفتح السين وضمها[(٣)] ﴿فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا﴾ غير ﴿مَا شَآءَ رَبُّكَۖ﴾، كما تقدم. ودل عليه فيهم

---

(١) قوله: (أي: مدة دوامها). أفاد أن ﴿مَا﴾ مصدرية ظرفية، و«دام» هنا تامة، أي: ليس لها خبر، بل لها فاعل وهو: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾.

ومعلوم أن عشرة من أخوات «كان» تأتي تامة، وهن: غير ليس وزال وفتي؛ فهذه الثلاثة تأتي ناقصة فقط. و«زال» المراد بها: التي مضارعها «يزال». وأما زال يزول وزال يزيل؛ فهما تامتان دائمًا.

(٢) قوله: (غير). فسر أداة الاستثناء بـ(غير)، وبين على ذلك معنى الاستثناء في الآيتين، وحاصل ما ذكره هو: أن «إلا» في الموضعين بمعنى «غير» أو «سوى»، والمعنى: مدة دوام السمٰوات والأرض المعروفتين، غير ما شاء الله من الزيادة على ذلك من المدة التي لا نهاية لها. فيكون المعنى: أبدًا، كما ثبت في الأحاديث المتواترة -كما ذكره ابن جرير- من أن الجنة والنار مؤبدتان بأهلهما، لا تفنيان أبدًا.

(٣) وقوله المفسر: (بفتح السين وضمها). قراءتان في ﴿سُعِدُواْ﴾، بضم السين: قراءة حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف. وبفتح السين: ﴿سَعِدُواْ﴾: قراءة الباقين.

فائدة: في هذه الآيات ما يسمى بالجمع والتقسيم في علم البديع، وهو أن يجمع المتكلم بين شيئين فأكثر في حكم ثم يقسمها، أو يقسمهن، فالجمع في قوله تعالى: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ والتقسيم في ﴿فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ (١٠٥)﴾ وفي قوله: ﴿... فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ...، ... ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ ...﴾، كما أن في قوله تعالى: ﴿شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ﴾ ما يسمى بالطباق، وهو الجمع بين المتنافيين في الجملة. والله أعلم.

قوله[١]: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨﴾ مقطوع، وما تقدم من التأويل هو الذي ظهر، وهو خال من التكلف، والله أعلم بمراده.

١٠٩- ﴿فَلَا تَكُ﴾[٢] يا محمد ﴿فِي مِرۡيَةٖ﴾ شك ﴿مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ من الأصنام، إنا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم﴾ أي: كعبادتهم[٣] ﴿مِّن قَبۡلُۚ﴾ وقد عذبناهم ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ﴾ مثلهم[٤] ﴿نَصِيبَهُمۡ﴾ حظهم من العذاب[٥] ﴿غَيۡرَ مَنقُوصٖ ١٠٩﴾ أي: تامًّا.

---

(١) وقول المفسر في تفسير الآية (١٠٨): (ودل عليه فيهم) يعني: دل على أن المعنى الخلود في حق السعداء، قوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨﴾، أي: غير مقطوع، فهذا يفيد أن نعيمهم مؤبّد.

وما ذكره المفسر من المعنى؛ ذكره القرطبي بدون عزو، في جملة وجوه عشرةٍ ذكرها في معنى الاستثناء، وقال: «تجيء «إلا» بمعنى: غير، كما تقول: ما معي رجل إلا زيد».

واختار ابن جرير أن الاستثناء في الآيتين في شأن العصاة من المؤمنين، فهم يدخلون النار، ويمكثون إلى أن يخرجوا بالشفاعة ورحمة الرحمن، وكذا أهل الجنة، يخلدون في الجنة إلا أن العصاة يتأخر دخولهم بقدر مدة لبثهم في النار. ونقله عن الضحاك، والله أعلم. وعلى هذا يكون المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ شَقُواْ﴾ من يدخل من النار؛ إما مؤبدًا أو مؤقتًا، وكذلك ﴿ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾ المراد بهم أهل الجنة إما بدون دخول النار أو بعده، جعلنا الله من أهل الجنة، وأعاذنا من النار.

(٢) قوله: ﴿تَكُ﴾. مجزوم، وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة تخفيفًا، وهذا الحذف جائز بشروطه، وقد تقدم نظيره الآية (١٧) من هذه السورة.

(٣) قوله: (كعبادتهم). أشار به إلى أن ﴿مَا﴾ مصدرية.

(٤) قوله: (مثلهم). أي: مثل آبائهم بمعنى: مثل ما وفّينا آباءهم.

(٥) قوله: (حظهم من العذاب). هذا مروي عن ابن زيد. رواه ابن جرير. =

﴿١١٠﴾- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحساب(١) والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي: المكذبين به ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾ موقع في الريبة.

﴿١١١﴾- ﴿وَإِنَّ﴾ بالتشديد والتخفيف(٢) ﴿كُلًّا﴾ أي: كل الخلائق ﴿لَمَا﴾

= وقال ابن عباس: «ما وعدوا من خير أو شر» رواه ابن جرير. وعن أبي العالية: «نصيبهم من الرزق»، نقل الأقوال الثلاثة القرطبي.

(١) قوله: (بتأخير الحساب). هكذا فسره القرطبي، وذكره ابن كثير وجهًا.

وقال ابن جرير: «لولا كلمة سبقت بأنه لا يعجل خلقه بالعذاب ولكن يتأنى حتى يبلغ الكتاب أجله».اهـ.

و﴿لَوْلَا﴾ هنا شرطية امتناعية، و ﴿كَلِمَةٌ﴾ مبتدأ، وجملة ﴿سَبَقَتْ ...﴾ نعت له، والخبر محذوف تقديره: كائنة، و﴿لَقُضِىَ﴾ جواب ﴿لَوْلَا﴾. والله أعلم.

(٢) قوله: (بالتخفيف والتشديد). القراءات هنا أربع:

١- ﴿وَإِن كُلًّا لَمَا﴾ بتخفيف ﴿إِن﴾ وتخفيف الميم ﴿لَمَا﴾: قراءة نافع، وابن كثير.

٢- ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَا﴾ بتشديد ﴿إِنَّ﴾ وتخفيف ﴿لَمَا﴾: قراءة أبي عمرو، والكسائي، ويعقوب، وخلف.

٣- ﴿وَإِن كُلًّا لَّمَّا﴾ بتخفيف ﴿إِن﴾ وتشديد ﴿لَّمَّا﴾: قراءة شعبة.

٤- ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا﴾ بتشديد ﴿إِنَّ﴾ وتشديد ﴿لَّمَّا﴾: قراءة الباقين.

وقد اضطربوا في إعراب الآية اضطرابًا شديدًا، والأولى -والله أعلم-: إنَّ أو إنْ حرف تأكيد عاملة ﴿كُلًّا﴾ اسمها و﴿لَمَا﴾ بتخفيف الميم: اللام لام الابتداء التي تسمى اللام المزحلقة، و﴿مَا﴾ زائدة للتوكيد، وللفصل بين اللامين، وجملة ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ جواب قسم مقدر دلت على جواب «إن» مخففة أو مشددة. =

﴿مَا﴾ زائدة(١)، واللام موطئة لقسم مقدر، أو فارقة(٢)، وفي قراءة: بتشديد

= وعلى قراءة ﴿لَّمَّا﴾ بالتشديد، فهي بمعنى «إلّا» على ما قاله الزجاج من جواز مجيء «لمّا» في الإثبات. أو «لمّا» حرف نفي وجزم وقلب، والفعل المجزوم محذوف، وحذف الفعل بعدها جائز. والتقدير: «لما يوفّوا إلى الآن، وسيوفون يوم القيامة». كما دل على ذلك جواب القسم، وهذا الذي اختاره فخرالدين قباوة في شرحه على «الجلالين». وأصل هذا القول لابن الحاجب كما ذكره الدكتور عبدالعزيز الحربي في كتابه «توجيه مشكل القراءات العشرية»، وذكر في هذا الكتاب الأوجه المختلفة في إعراب هذه الآية، وهو وجيه.

(١) فقول المفسر: ﴿مَا﴾. زائدة أي على القراءة بالتخفيف، واستشكل قوله: واللام موطئة للقسم؛ لأن الموطئة تأتي مع «إن» الشرطية نحو: ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ...﴾ [الإسراء: ٨٨]، ولا تأتي الموطئة مع «ما» المزيدة.

(٢) وقول المفسر: أو (فارقة). أيضًا مشكل؛ لأن اللام الفارقة إنما تأتي بعد «إن» المخففة المهملة. وأما إذا عملت فلا تأتي الفارقة لعدم الحاجة إليها؛ لأنها الفارقة بين المؤكدة وبين «إنْ» النافية، و«إن» النافية لا تعمل النصب، وهنا «إن» مخففة عاملة؛ لأن ﴿كُلًّا﴾ اسمها منصوب. فلعل المراد بالفارقة: لام الابتداء.

وكذا قوله: (وفي قراءة: بتشديد «لمّا» بمعنى «إلّا»، فـ«إن» نافية) هذا أيضًا مشكل؛ لأن «إن» النافية لا تعمل النصب، فـ«إن» هنا مخففة وليست نافية باتفاق القراءة المتواترة. ولكن قد قرئ شذوذًا «وإن كُلٌّ» برفع «كلّ» فعلى هذه القراءة يتوجه ما قاله. والمعنى: «ما كلٌّ إلا ليوفينهم...»، فلعله أراد بقوله: (وفي قراءة): الإشارة إلى تلك القراءة الشاذة. ولكن عادته ذكر الشاذة بقوله: (قرئ)، وأما قوله: (وفي قراءة) فهي إشارة إلى القراءة المتواترة على عادته.

الخلاصة: كلام المفسر هٰهنا مشكل. وقيل: «لَمَّا» أصله لَمَن ما. «من» الموصولة أدغمت في «ما» المزيدة. وهي خبر «إنّ» المشددة أو المخففة، أو الأصل: لَمِن ما، أي: لمن الذين. على أن «من» حرف جر و«ما» اسم موصول والجار والمجرور خبر «إنّ». والله أعلم. =

﴿لَّمَّا﴾ بمعنى «إلّا»، فـ﴿إِن﴾ نافية ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: جزاءها ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾ عالم ببواطنه كظواهره.

﴿١١٢﴾- ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾ على العمل بأمر ربك[1]، والدعاء إليه ﴿كَمَآ أُمِرْتَ وَ﴾ ليستقم[2] ﴿مَن تَابَ﴾ آمن ﴿مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟﴾ تجاوزوا حدود الله ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ فيجازيكم به.

﴿١١٣﴾- ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟﴾ تميلوا ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بمودة أو مداهنة أو رضا بأعمالهم[3] ﴿فَتَمَسَّكُمُ﴾[4] تصيبكم ﴿ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي:

= **تنبيه:** هذه الآية اشتملت على جملة من المؤكدات، منها: إنَّ، ولام الابتداء، والقسم، و«ما» الزائدة، والتأكيد بأداة العموم «كلًّا»، والإتباع بجملة ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾، والله أعلم.

(١) قوله: (على العمل بأمر ربك). وبنحوه فسر ابن جرير، قال: «استقم أنت يا محمد على أمر ربِّك والدين الذي ابتعثتك به، والدعاء إليه».اهـ.

وكذا قوله: (تجاوزوا حدوده). روى عن ابن زيد: «الطغيان خلاف الله وركوب معصيته». اهـ.

(٢) قوله: (﴿وَ﴾ ليستقم). قدره ليكون ﴿مَن﴾ فاعلًا لهذا الفعل المقدّر حتى لا يترتب عطف الاسم الظاهر على الضمير المستتر، أي: الذي في ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾، وعلى هذا التقدير يكون من عطف الجملة، ولكن يجوز عطف الاسم الظاهر على الضمير المرفوع إذا كان بينهما فاصل، وهو موجود هنا هو ﴿كَمَآ أُمِرْتَ﴾، وعلى هذا يكون ﴿مَن﴾ معطوفًا على الضمير المستتر في ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾، ولا يحتاج لتقدير الفعل، والله أعلم.

(٣) قوله: (بمودة...). كذا روي عن السلف. قال ابن زيد: «الركون: الإدهان»، وعن أبي العالية: «لا ترضوا أعمالهم».

(٤) قوله تعالى: ﴿فَتَمَسَّكُمُ﴾. منصوب بـ«أن» مضمرة وجوبًا بعد فاء السببية المسبوقة بالنهي.

غيره ﴿مِنْ﴾ زائدة[١] ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ يحفظونكم منه ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ تمنعون من عذابه.

﴿١١٤﴾- ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ الغداة والعشيّ[٢]، أي: الصبح[٣] والظهر والعصر ﴿وَزُلَفًا﴾ جمع زلفة، أي: طائفة[٤] ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ أي: المغرب والعشاء[٥] ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ﴾ كالصلوات الخمس[٦] ﴿يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الذنوب الصغائر[٧]، نزلت فيمن قبّل أجنبية، فأخبره النبي ﷺ، فقال: أَلي هذا؟

---

(١) قوله: (زائدة). أي: إعرابًا، ومؤكدة لمعنى العموم.

(٢) قوله: (الغداة والعشي). تفسير لـ﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾.

(٣) وقوله: (أي: الصبح...). فالصبح في طرف الغداة، والظهر والعصر في طرف العشي؛ لأن العشي يبدأ من الزوال، وما ذكره من المعنى مروي عن مجاهد ومحمد بن كعب القرظي، فيما رواه ابن جرير. وعن الحسن ﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾: «أي: صلاة الغداة والمغرب». واختاره ابن جرير. وقال ابن كثير: «يحتمل أن تكون هذه الآية نزلت قبل فرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء».اهـ. لكنه تقدم في أول السورة أن هذه الآية مدنية في قول ابن عباس، وكما يدل على ذلك سبب النزول الذي يذكره المفسر».اهـ.

(٤) قوله: (جمع زلفة، أي: طائفة). كما قال ابن جرير: «الزلفة: الساعة والمنزلة والقُربة، قيل: ومنها: المزدلفة؛ لأنها منزلة بعد عرفة».اهـ.

(٥) قوله: (أي: المغرب والعشاء). كما قاله مجاهد، ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما.

(٦) قوله: (كالصلوات). ظاهر في أن المراد بالحسنات الصلوات وغيرها، وهو ظاهر كلام ابن جرير أول ما فسر به الآية. وروى عن ابن عباس وغيره أن المراد بها الصلوات الخمس، ثم اختاره.

(٧) قوله: (الذنوب الصغائر). كذا ذكر العلماء أن ما تكفر بالحسانات هي الصغائر دون الكبائر، لقوله ﷺ: «**ما اجتنبت الكبائر**»، ولقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، وأشار إلى ذلك القرطبي وغيره.

فقال: «**لجميع أمتي كلهم**» رواه الشيخان[(١)]، ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ عظة للمتعظين.

﴿١١٥﴾- ﴿وَٱصْبِرْ﴾ يا محمد على أذى قومك أو على الصلاة[(٢)] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ بالصبر على الطاعة.

﴿١١٦﴾- ﴿فَلَوْلَا﴾ هلّا[(٣)] ﴿كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم الماضية ﴿مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾ أصحاب دين وفضل ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ المراد به: النفي[(٤)]، أي: ما كان فيهم ذلك ﴿إِلَّا﴾ لكن[(٥)] ﴿قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ نهوا فنجوا،

---

(١) قوله: (رواه الشيخان) واللفظ المذكور عند البخاري في كتاب التفسير ومواقيت الصلاة، ومسلم في التوبة.

(٢) قوله: (على الصلاة...). ذكر القرطبي المعنيين: اصبر على الصلاة، لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، أو اصبر على أذاهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٨]، والله أعلم.

(٣) قوله: (هلّا). أفاد أن ﴿لَوْلَا﴾ هنا تحضيضية، ويدل على ذلك دخولها على الفعل؛ لأن الامتناعية تختص بالجملة الاسمية.

(٤) قوله: (المراد به النفي) أي: المراد بالتحضيض هنا النفي، فالمعنى: لم يكن فيهم ذلك.

(٥) قوله: (لكن) إشارة إلى أن الاستثناء منقطع، ولكن يصح كونه منقطعًا إذا أريد بـ﴿لَوْلَا﴾ التحضيض، فالمعنى: لولا كان منهم أولئك، لكن كان منهم قليل. كما تقول: هلا كان منهم الصالحون إلا العلماء منهم، أما لو كان التحضيض بمعنى النفي فالاستثناء متصل. والمعنى: لم يكن من القرون أولو بقية إلا قليل. وجاز في المستثنى -في المتصل- بعد النفي: الاتباعُ والنصبُ والاتباع أولى. وفي المنقطع النصب أولى، كما فصله النحاة. وقد أشار البيضاوي إلى ذلك. أي: أن الاستثناء منقطع إذا كان «لولا» للتحضيض المحض، ومتصل إذا كان المراد به النفي، وذكر ذلك الزمخشري.

و«من» للبيان ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بالفساد وترك النهي ﴿مَآ أُتۡرِفُواْ﴾ نعموا ﴿فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾.

﴿١١٧﴾- ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٍ﴾ منه لها[1] ﴿وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ مؤمنون.

﴿١١٨﴾- ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ﴾ أهل دين واحد[2] ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ في الدين.

﴿١١٩﴾- ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾ أراد لهم الخير[3]، فلا يختلفون فيه[4] ﴿وَلِذَٰلِكَ

= **الخلاصة**: قول المفسر: إن المراد بالتحضيض النفي، ثم تفسير ﴿إِلَّا﴾ بـ(لكن) الذي يدل على أن الاستثناء منقطع؛ فيه إشكال، والله أعلم. إلا إذا أريد بالقرون: الهالكون دون الناجين، فيكون الاستثناء منقطعًا على كل حال. والله أعلم.

(١) قوله: (منه لها). أي: بظلم من ربك لتلك القرى، أي: إنما إهلاكهم بظلمهم، وبسببهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [النحل: ١١٨]، كذا فسره ابن جرير وابن كثير وغيرهما. وقال القرطبي: «ما كان الله ليهلكهم بظلمهم فقط، أي: بشركهم فقط، حتى ينضم إليه الفساد كما في قوم لوطٍ وشعيب».اهـ. ملخصًا، وعلى هذا فالمراد بالظلم: الشرك منهم. وذكره ابن جرير احتمالًا.

(٢) قوله: (أهل دين واحد). كما قال قتادة: «لجعلهم مسلمين كلهم».

(٣) قوله: (أراد لهم الخير). تفسير الرحمة؛ لأن الرحمة هنا استعملت متعدية، فتكون بمعنى الإنعام. كما قال ابن كثير: «إلا المرحومين من أتباع الرسل»، وإلا فالرحمة صفة لله تعالى من أثرها الإنعام، وليست نفس الإنعام كما عليه السلف.

(٤) وقوله: (فلا يختلفون). على هذا يكون الاستثناء منقطعًا، والمختلفون هم أهل الباطل. كما رواه ابن جرير عن الحسن، وقتادة.

﴿خَلَقَهُمْ﴾ أي: أهل الاختلاف له، وأهل الرحمة لها[١] ﴿وَتَمَّتْ[٢] كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وهي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ١١٩﴾.

١٢٠- ﴿وَكُلًّا﴾ نصب بـ«نَقُصُّ»[٣]، وتنوينه عوض عن المضاف إليه، أي: كل ما يحتاج إليه ﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا﴾ بدل من «كُلًّا»[٤]، ﴿نُثَبِّتُ﴾ نطمّن ﴿بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ قلبك ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ﴾ الأنباء[٥] أو الآيات ﴿ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ١٢٠﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان، بخلاف الكفار.

١٢١- ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ ١٢١﴾ على حالتنا، تهديد لهم[٦].

---

(١) قوله: (أهل الاختلاف له). أي: للاختلاف، (وأهل الرحمة لها) أي: للرحمة. كذا روي عن الحسن، وابن عباس، وعن الحسن أيضًا: «الإشارة للاختلاف».

(٢) وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ ...﴾. الآية دلت على أن الإيمان والكفر مقدران. كما أشار إليه ابن كثير وغيره.

(٣) قوله: (نصب بـ﴿نَّقُصُّ﴾). أي إن ﴿كُلًّا﴾ منصوب على أنه مفعول به لـ﴿نَّقُصُّ﴾. وتنوينه عوض عن المضاف إليه، فهو عوض عن كلمة، ومعلوم أن تنوين العوض ثلاثة أنواع: عوض عن حرف، نحو: جوارٍ وغواش، وعن كلمة نحو: كلًّا، وعن الجملة، نحو: حينئذٍ.

(٤) قوله: (بدل من ﴿كُلًّا﴾). فـ﴿مَا﴾ اسم موصول في محل نصب بدل من ﴿كُلًّا﴾. وجملة ﴿نُثَبِّتُ بِهِۦ﴾ صلة الموصول. وفي الآية تسلية للنبي ﷺ. كما أفاده ابن جرير.

(٥) قوله: (الأنباء...). ورد التفسير بنحوه عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم، قالوا: في هذه السورة.

(٦) قوله: (تهديد لهم). هذه الآية تهديد، وكذلك الآية التالية: ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟ ...﴾ تهديد آخر لهم. أفاده القرطبي.

﴿١٢٢﴾- ﴿ وَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ عاقبة أمركم ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ ذلك.

﴿١٢٣﴾- ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: علم ما غاب فيهما[(١)] ﴿وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ﴾ بالبناء لفاعل: يعود، وللمفعول: يُرَدّ[(٢)] ﴿ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ فينتقم ممن عصى ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ وحده ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ثق به، فإنه كافيك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾، وإنما يؤخرهم لوقتهم. وفي قراءة: «يَعْمَلُونَ» بالتحتانية[(٣)].

❁❁❁

(١) قوله: (أي: علم ما غاب فيهما). أفاد أن الغيب مصدر أريد به اسم الفاعل. وأن إضافة ﴿غَيْبُ﴾ إلى ما بعده بمعنى «في»، ونقل القرطبي نحوه عن أبي علي الفارسي، وقال ابن عباس: «خزائن السمٰوات والأرض»، وقال الضحاك: «جميع ما غاب عن العباد فيهما».اهـ، وكل ذلك متقاربة ومتلازمة.

(٢) قوله: (بالبناء للفاعل: يعود...). قراءتان: بالبناء للمفعول ﴿يُرْجَعُ﴾: قراءة حفص ونافع، ومعناه: يُرَدُّ.

وبالبناء للفاعل: ﴿يَرْجِعُ﴾: قراءة الباقين، ومعناه: يعود. كما قال المفسر.

(٣) قوله: (وفي قراءة: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بالتحتانية). أي: بالياء: وهي قراءة غير نافع، وابن عامر، وحفص، وأبي جعفر، ويعقوب. وهؤلاء قرؤوا بالتاء: ﴿تَعْمَلُونَ﴾. والله أعلم.

١٢- سورة يوسف

مكية(١) وآياتها: مائة وإحدى عشرة آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك(٢) ﴿تِلۡكَ﴾ أي: هذه الآيات(٣) ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى «من»(٤)، ﴿ٱلۡمُبِينِ (١)﴾ المظهر للحق من الباطل.

(٢)- ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾(٥) بلغة العرب ﴿لَّعَلَّكُمۡ﴾ يا أهل مكة

---

(١) قوله: (مكية). أي: كلها. كما مشى على ذلك ابن جرير وابن كثير وغيرهما.

ونقل القرطبي عن ابن عباس، وقتادة: «إلا أربع آيات منها -وهي الأربع الأولى-».

وروى ابن جرير، عن ابن عباس: «قالوا -أي الصحابة-: يا رسول الله، لو قصصت علينا؟ فنزلت ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ ...﴾».اهـ.

نقل القرطبي عن العلماء: «ذكر الله قصص الأنبياء مكررة بوجوه مختلفة على مقتضى البلاغة، ولم يكرر قصة يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فلم يَقْدِرْ مخالف على معارضة ما تكرر ولا على معارضة ما لم يتكرر، والإعجاز لمن تأمل».اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله: (الله أعلم...). كما تقدم.

(٣) قوله: (أي: هذه...). فالإشارة للقريب، واستعمل ﴿تِلۡكَ﴾ للتعظيم.

(٤) قوله: (والإضافة...). أي: إضافة ﴿ءَايَٰتُ﴾ إلى ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾، بمعنى: «مِن». ويكون ذلك إذا كان المضاف جزءًا للمضاف إليه بحيث يصح أن يجعل المضاف مبتدأ والمضاف إليه خبرًا له. نحو: ثوب قطن، وباب حديد، أو يقال: إذا كان المضاف إليه جنسًا للمضاف. وقد تقدم ذكر ذلك.

(٥) قوله تعالى: ﴿عَرَبِيًّا﴾. قال ابن كثير: «لأن لغة العرب أفصح اللغات، ولذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة في أشرف بقاع الأرض وابتدئ إنزاله في أشرف الشهور، فكمل من كل الوجوه».اهـ.

﴿تَعۡقِلُونَ ۝٢﴾ تفقهون معانيه.

۝٣- ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ﴾ بإيحائنا[1] ﴿إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن﴾ مخففة[2]، أي: وإنه[3] ﴿كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣﴾.

۝٤- اذكر ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوب ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ بالكسر[4] دلالة على ياء الإضافة المحذوفة، والفتح دلالة على ألف محذوفة قلبت عن الياء ﴿إِنِّي رَأَيۡتُ﴾ في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ[5] كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ﴾ تأكيد ﴿لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾

---

(١) قوله: (بإيحائنا). أفاد أن ﴿مَآ﴾ مصدرية.

(٢) قوله: (مخففة). أي: من الثقيلة.

(٣) وقوله: (أي: وإنه). هنا قدر اسم «إنْ»، والغالب في المخففة إهمالها؛ فلا حاجة إلى تقدير الاسم، كما نبهنا على ذلك سابقًا.

قال القرطبي: «سميت أحسن القصص؛ لأن فيها فوائد عظيمة كثيرة، أو لأن كل من ذكر فيها كان مآله السعادة، كيوسف وأبيه وإخوته وامرأة العزيز وغيرهم...».اهـ. ملخصًا.

(٤) قوله: (بالكسر). هذه قراءة الجمهور، و﴿أَبَتَ﴾: بفتح التاء: قراءة ابن عامر وأبي جعفر. والتاء عوض عن ياء المتكلم، وكسر التاء للدلالة على الياء، وفتحها دلالةً على الألف المنقلب عن الياء، والفتح والكسر وجهان صحيحان عند النحاة، وإلحاق الياء والألف بالتاء شاذ، وإذا اعتبرنا ذلك أصبح في نداء الأم والأب المضافين لياء المتكلم عشرة أوجه، وهن: يا أبيْ، يا أبيَ، يا أبِ، يا أبَا، يا أبَ، يا أبُ، يا أبتِ، يا أبتَ، يا أبتي، يا أبتَا. والأخيران شاذان، ويقاس على الأب: الأم.

(٥) قوله تعالى: ﴿أَحَدَ عَشَرَ...﴾. ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا﴾: إخوته، ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾: أبواه. كذا روى ابن جرير عن قتادة والضحاك. وروى عن ابن جريج: «الشمس: أمه، والقمر: أبوه».

تنبيه: «رأى» هنا منامية، ولها مفعولان، الأول: الضمير: «هُمْ»، والثاني: ﴿سَٰجِدِينَ﴾.

هذا إذا كان ﴿رَأَيۡتُهُمۡ﴾ مستأنفًا. =

جمع بالياء والنون[(١)] للوصف بالسجود الذي هو من صفات العقلاء.

(٥)- ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ[(٢)] عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾ يحتالوا في هلاكك حسدًا؛ لعلمهم بتأويلها[(٣)] من أنهم الكواكب والشمس أمك والقمر

= وإذا كان توكيدًا فالمفعول الأول: ﴿أَحَدَ عَشَرَ﴾، والثاني: ﴿سَٰجِدِينَ﴾، و﴿كَوْكَبًا﴾ منصوب على التمييز، كما هو واضح.

فائدة: «رأى» تأتي على خمسة أوجه:

١- العلمية: فتنصب مفعولين، نحو: رأيت الله أكبر كل شيء.

٢- الحلمية أي المنامية، فكذلك تنصب مفعولين، نحو هذه الآية.

٣- البصرية فتنصب مفعولًا واحدًا، نحو: رأيت الهلال.

٤- المذهبية من الرأي، فتنصب مفعولًا واحدًا، نحو: رأى الشافعي حِلَّ كذا.

٥- الجنائية بمعنى: أصاب الرئة، فتنصبُ مفعولًا واحدًا، نحو: ضربتُ زيدًا فرأيتُه، أي: أصبت رئته.

(١) قوله: (جمع بالياء والنون). أي: في ﴿سَٰجِدِينَ﴾، وهذا جواب سؤال، وهو أن جمع المذكر السالم خاص بالعقلاء، والشمس والقمر والكواكب ليست عقلاء، فالجواب: أنهن نزلن منزلة العقلاء لاتصافهن بالسجود الذي هو من خواص العقلاء. وكذلك الضمير المنصوب في ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿رُءْيَاكَ﴾. الرؤيا مصدر رأى المنامية. وقد تستعمل مصدرًا لـ«رأى» البصرية، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، والأكثر في البصرية: الرؤية، وفي رأى المذهبية: الرأي.

واللام في ﴿لَكَ﴾ للتعدية لتضمين «كاد» معنى فعل يتعدى باللام، ذكره البيضاوي. ويحتمل كون اللام للتأكيد، كما ذكره القرطبي.

(٣) قوله: (لعلمهم بتأويلها). وقال القرطبي: «لأن تأويلها ظاهر». =

أبوك، ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ ظاهر العداوة[(١)].

٦- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما رأيت ﴿يَجۡتَبِيكَ﴾ يختارك ﴿رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا[(٢)] ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ بالنبوة[(٣)] ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ أولاده[(٤)] ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا﴾ بالنبوة ﴿عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٞ ٦﴾ في صنعه بهم.

= **فائدتان:** قال شيخنا الشيخ عبدالرحمن الأوركمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرؤيا ثلاثة أقسام:

١- أن يرى ما سيقع كما هو، وهي التي تكون مثل فلق الصبح، وهذا لا يحتاج إلى التعبير.

٢- ما كان من باب الرموز كما رأى يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وهذا يحتاج إلى التعبير.

٣- ما كان من أضغاث أحلام، فلا يحتاج إلى التعبير».اهـ.

قال القرطبي وغيره: «أفادت الآية أنه لا يخبر بالرؤيا إلا لناصح أو شفيق ولا يخبر بها غيرهما ولا من لا يعرف التأويل».اهـ.

(١) قوله: (ظاهر العداوة). أفاد أن ﴿مُّبِينٞ﴾ اسم فاعل «أبان» بمعنى: بان، أي: ظهر، أي: فهو لازم. ويحتمل كونه متعديًا، أي: مظهر عداوته. والله أعلم.

(٢) قوله: (تعبير الرؤيا). كذا رواه ابن جرير عن مجاهد.

(٣) قوله: (بالنبوة). وبذلك فسر ابن كثير والقرطبي وغيرهما. وقيل: بإنجائه من كل مكروه.

(٤) قوله: (أولاده). قال القرطبي: «وأعلمه بقوله: ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ أنه سيُعطى بنو يعقوب كلهم النبوة». ونقله عن جماعة من المفسرين، وقد يستشكل بأن الأنبياء معصومون قبل النبوة، وإخوة يوسف قد وقع منهم أمور كبيرة في شأن يوسف. والله أعلم. وما يقال: إنّ ما وقع منهم كان كما وقع من الخضر مع موسى عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ من خرق السفينة وقتل الغلام فهذا بعيد جدًّا، حيث اعترف إخوة يوسف أنهم خاطئون واستغفروا، وذكرهم الله تعالى في معرض ذم، بخلاف قصة الخضر عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

وقال ابن جرير: «أي أهل دين يعقوب وملته من ذريته وغيرهم».اهـ.

﴿٧﴾- ﴿ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي ﴾ خبر ﴿يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ﴾ وهم أحد عشر ﴿ءَايَٰتٞ﴾ عِبَر ﴿لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾[(١)] عن خبرهم.

﴿٨﴾- اذكر ﴿ إِذۡ قَالُواْ ﴾ أي: بعض إخوة يوسف لبعضهم ﴿لَيُوسُفُ﴾ مبتدأ ﴿وَأَخُوهُ﴾ شقيقه بنيامين ﴿أَحَبُّ﴾ خبر[(٢)] ﴿إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ جماعة[(٣)] ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ﴾ خطإ[(٤)] ﴿مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾ بيّن، بإيثارهما علينا.

---

(١) قوله تعالى: ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾. قال ابن جرير: «عنى بذلك النبي ﷺ؛ لأنه تعالى علّمه بهذه السورة ما لقي يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من أذى إخوته، مع تكرمة الله إياه، ففيه تسلية للنبي ﷺ على ما يلقاه من قومه وأقاربه من الأذى، مع تكرمته بالنبوة والمنزلة الرفيعة».اهـ ملخصًا. ونسب ذلك إلى ابن إسحٰق.

فائدة: نقل القرطبي أسماء إخوة يوسف: «وهم: روبيل -وهو أكبرهم-، وشمعون، ولاوى، ويهوذا، وزيالون، ويشجر، وأمهم ليا بنت ليان، وهي بنت خالة يعقوب، وولد له من سريتين أربعة: دان، ونفتالي، وجاد، وآشر، ثم توفيت ليا؛ فتزوج يعقوب أختها راحيل، فولدت له يوسف وبينامين».اهـ.

(٢) قوله: (خبر). أشار به إلى أن اسم التفضيل يكون بصيغة الإفراد والتذكير إذا تجرد من «أل»، والإضافة -كما هنا- وكذا إذا أضيف إلى نكرة كما فصله النحاة.

(٣) قوله: (جماعة). كذا نقله ابن جرير عن ابن زيد. وقال: «العصبة: عشرة فصاعدًا»، وكذا قال البيضاوي.

وقال القرطبي: «ما بين الواحد إلى عشرة، وقيل إلى خمسة عشر». و«العصبة»: اسم جمع لا واحد له من لفظه. والواو في ﴿وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾: حالية.

(٤) قوله: (خطإ). كذا ذكره ابن جرير. أفاد به أن المراد بالضلال هو الخطأ في إيثار اثنين على غيرهما. مع أن نسبتهم إلى يعقوب واحدة، وليس المراد بالضلال عن الهدى، كما نبه عليه القرطبي. أي لأن الأنبياء معصومون.

(٩)- ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ أي: بأرض بعيدة[١] ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ بأن يُقبِل عليكم، ولا يلتفت لغيركم ﴿وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بعد قتل يوسف أو طرحه ﴿قَوْمًا صَٰلِحِينَ (٩)﴾ بأن تتوبوا.

(١٠)- ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ هو يهوذا[٢] ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ﴾ اطرحوه ﴿فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ مظلم البئر، وفي قراءة: «غَيَٰبَٰتِ»[٣] بالجمع ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ المسافرين ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ (١٠)﴾ ما أردتم من التفريق فاكتفوا بذلك[٤].

(١١)- ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ[٥] وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ (١١)﴾

---

(١) قوله: (أي: بأرض...). أشار به إلى أن ﴿أَرْضًا﴾ منصوب بنزع الخافض. و﴿يَخْلُ﴾ مجزوم بحذف الواو؛ لأنه جواب الأمر، والمعنى: يكون وجهه وعنايته خاصًا بكم، فيقبل عليكم بكليّته.

(٢) قوله: (هو يهوذا). وفي تعيين القائل ثلاثة أقوال:

١- إنه يهوذا، نسب إلى ابن عباس، وقيل: كان أكبرهم.

٢- إنه روبيل، نسب إلى ابن إسحٰق.

٣- إنه شمعون، نسب إلى مجاهد. ولا يتعلق بتعيين القائل كبير فائدة.

(٣) قوله: (وفي قراءة: ﴿غَيَٰبَٰتِ﴾). الجمع: قراءة نافع، وأبي جعفر. والإفراد: ﴿غَيَٰبَتِ﴾: قراءة الباقين.

الغيابة: طاق أوسد في البئر يغيب ما فيه عن العيون. وقال الزمخشري: «هي: غورها»، وقال البيضاوي: «في قعرها»، وكلها متقاربة، والجب: البئر التي لم تطو.

(٤) قوله: (فاكتفوا). أي: اتركوا قتله واكتفوا بطرحه في الجب، وقدره المفسر ليكون جوابًا للشرط ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ (١٠)﴾.

(٥) قوله تعالى: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا﴾. ﴿مَا﴾: اسم استفهام: مبتدأ، والجار والمجرور ﴿لَكَ﴾: خبره. وجملة ﴿لَا تَأْمَ۫نَّا﴾ في محل نصب حال من الكاف. =

لقائمون بمصالحه.

﴿١٢﴾- ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصحراء ﴿نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ﴾ بالنون والياء فيهما[1]، ننشط ونتسع[2] ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾.

﴿١٣﴾- ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ﴾ أي: ذهابكم[3] ﴿بِهِۦ﴾ لفراقه ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ المراد به: الجنس[4]، وكانت أرضهم كثيرة

= والمعنى: أي شيء يثبت لك حال كونك لا تأمننا. و﴿لَا﴾ في ﴿لَا تَأْمَنَّا﴾ نافية غير عاملة، و«تأمن» مرفوع بالضمة، ولكن أدغمت النون في نون «نا»، ثم قرأ الجمهور بإشمام النون المدغمة، وقرأ أبو جعفر بدون إشمام.

(١) قوله: (بالنون والياء فيهما)، مجموع القراءات هنا أربع:

١- ﴿يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ﴾: بالياء مع كسر العين: قراءة نافع، وأبي جعفر.

٢- ﴿نَرْتَعِ وَنَلْعَبْ﴾: بالنون مع كسر العين: قراءة ابن كثير.

٣- ﴿نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ﴾: بالنون مع الجزم بالسكون: قراءة أبي عمرو، وابن عامر.

٤- ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾: بالياء والجزم بالسكون: قراءة الباقين.

أما ﴿يَرْتَعِ﴾ أو ﴿نَرْتَعِ﴾ بكسر العين، فهو من باب افتعَل من الرعي، أصله: نرتعي؛ فحذفت الياء للجزم، وأما ﴿نَرْتَعْ﴾ أو ﴿يَرْتَعْ﴾ بسكون العين فهو مضارع «رتَعَ، يرتع»، إذا اتسع في الأكل، أي: أكل كيف شاء.

فقول المفسر: بالنون والياء: أي: في أول الفعل.

(٢) وقوله: (ننشط ونتسع). تفسير بالمراد من ﴿نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ﴾، كما روى عن ابن عباس: «يلهو وينشط ويسعى».اهـ. وعن قتادة: «ينشط ويلهو».

(٣) وقوله: (ذهابكم). أفاد أن ﴿أَن﴾ مصدرية، والمصدر المؤول فاعل «يحزن».

(٤) قوله: (والمراد به الجنس). أي: أن «أل» في ﴿ٱلذِّئْبُ﴾ جنسية، أي: للإشارة إلى الجنس. والجنسية قسمان؛ قسم يراد به فرد غير معين، كما هنا؛ لأن الأكل يحصل من الفرد، =

الذئاب[(١)] ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ١٣﴾ مشغولون.

١٤- ﴿قَالُوا۟ لَئِنْ﴾ لام قسم[(٢)] ﴿أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ١٤﴾ عاجزون، فأرسله معهم[(٣)].

١٥- ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟﴾ عزموا ﴿أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ وجواب «لما» محذوف[(٤)]، أي: فعلوا ذلك، بأن نزعوا

= وقسم يراد به الماهية بدون اطلاع إلى الفرد، كما يقال: الرجل أفضل من المرأة، أي: جنس الرجل أفضل من جنس المرأة، وهذا تقسيم نحويّ وبلاغيّ، لكن البلاغيون يسمون القسم الأول بالعهد الذهني، وقد فصلنا أنواع «أل» في كتاب «الثلاثيات»، وكتاب «الاستثناء»، وفي «البلغة في البلاغة»، وذكرنا بعض الفوائد المتعلقة بـ«أل» في «الثلاثيات».

تنبيه: المراد بالجنس عند النحاة: ما عدا الفرد، فهو كالكلي عند المناطقة، وليس المراد بالجنس عند النحاة المصطلح المنطقي، أي: ما يصدق على كثيرين مختلفين بالحقيقة في جواب ما هو. فالجنس عند النحاة أعمّ من الجنس عند المناطقة.

(١) قوله: (وكانت أرضهم...). توجيه لتنبيه يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إياهم على تعرض الذئب له. وقال القرطبي: «إنما نبههم بذلك لأنه كان رأى في المنام أن الذئب شد على يوسف»، ونقله عن الكلبي.

(٢) قوله: (لام قسم) أي: في ﴿لَئِنْ﴾، وتقدم القسم على الشرط، فيكون الجواب للقسم وهو ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ١٤﴾.

(٣) قوله: (فأرسلهم معهم) دخول إلى ما بعده، وتلخيص للقصة، أي: لما قالوا ليعقوب ذلك أرسل معهم يوسف، فوقع ما قص الله تعالى علينا في الآية التالية.

(٤) قوله: (وجواب «لما» محذوف»). ما ذكره من أن جواب «لما» محذوف على مذهب البصريين، وكذا قال البيضاوي وغيره أن الجواب محذوف، تقديره: فعلوا ذلك أو نحوه. وقال ابن جرير: «الجواب ﴿وَأَجْمَعُوٓا۟﴾ بزيادة الواو»، وقيل: الجواب قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ بزيادة الواو أيضًا، وهذا يصح على مذهب الكوفيين، فإن الواو يجوز زيادتها في جواب =

قميصه[١] بعد ضربه وإهانته وإرادة قتله وأدلوه، فلما وصل إلى نصف البئر ألقوه ليموت[٢]، فسقط في الماء، ثم آوى إلى صخرة، فنادوه، فأجابهم يظن رحمتهم، فأرادوا رضخه بصخرة، فمنعهم يهوذا ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ في الجب وَحْيَ حقيقة[٣]، وله سبع عشرة سنة[٤]، أو دونها؛ تطميناً لقلبه ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾ بعد اليوم[٥] ﴿بِأَمْرِهِمْ﴾ بصنيعهم ﴿هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ بك حال الإنباء[٦].

= «لما»، و«إذا» عندهم، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا...﴾ [الزمر: ٧٣]. ذكر ذلك القرطبي.

(١) قوله: (بأن نزعوا...) ما ذكره المفسر من أفعالهم رواه ابن جرير عن السدي بسياق أطول، أورد ذلك بزيادة وتفصيل المفسرون؛ كالقرطبي وابن كثير.

(٢) قوله: (ألقوه ليموت) أي: طرحوه في البئر بقطع الحبل. كما ذكره ابن كثير.

(٣) قوله: (وَحْيَ حقيقة). ظاهر كلام المفسر يفيد أنه صار نبيّاً في ذلك الوقت، وأن الإيحاء إليه بواسطة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعزا ذلك القرطبي إلى الحسن، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، قالوا: «أعطاه الله النبوة وهو في الجب على حجر مرتفع عن الماء».اهـ.
وقال بعض المفسرين: «كان هذا الإيحاء لتسليته، وليس ذلك بإيحاء نبوة، ويحتمل كون هذا القول مراداً للمفسر، حيث قال: تطميناً لقلبه».اهـ. ويؤيده ذكر الموحَى، أي: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾ حيث اقتصر عليه.
وقيل: إن الإيحاء كان مناماً أو إلهاماً.

(٤) قوله: (وله سبع عشرة سنة). وقيل: ثماني عشرة. نقله القرطبي عن الكلبي.

(٥) قوله: (بعد اليوم). لعله أشار به إلى أن هذا الإنباء يكون متأخراً، والفعل المضارع المؤكّد بالنون يكون بمعنى: الاستقبال دون الحاضر.

(٦) قوله: (بك، حال الإنباء). أي: فالمعنى: وأوحينا إلى يوسف أنه سينبئ إخوتهم بما فعلوا وهم لا يشعرون أنه يوسف، وقد وقع ذلك بعد مدة لما أتوا إلى يوسف للطعام، وهذا المعنى نقله ابن جرير عن ابن عباس، وابن جريج. وقيل في معنى الآية غير ذلك.

(١٦) - ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ﴾ وقت المساء[١] ﴿يَبۡكُونَ ١٦﴾.

(١٧) - ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ﴾ نرمي[٢] ﴿وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ ثيابنا[٣] ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ﴾ بمصدق[٤] ﴿لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ عندك لاتّهمتنا[٥] في هذه القصة لمحبة يوسف، فكيف وأنت تسيء الظن بنا.

(١٨) - ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾ محلُّه نصب على الظرفية[٦]، أي: فوقه ﴿بِدَمٖ

---

(١) قوله: (وقت المساء). أي: ليلًا. قال القرطبي: «إنما جاؤوا عشاءً ليكونوا أقدر على الاعتذار في الظلمة».اهـ.

وجملة ﴿يَبۡكُونَ﴾ في محل نصب حال. ولذا جرّدت عن الواو؛ لأن المضارع المثبت يجب تجريده عن الواو إذا وقع صدر جملة حالية، كما هو معروف.

(٢) قوله: (نرمي) تفسير للمراد بـ﴿نَسۡتَبِقُ﴾، وهو نفتعل من السباق، والمراد: المناضلة، أي: المسابقة بالسهم. كما فسر ابن جرير: «ننتضل».

(٣) قوله: (ثيابنا) كذا ذكره القرطبي.

(٤) قوله: (بمصدق) أفاد أن الإيمان هنا بمعناه اللغوي. وقد تقدم في تفسير سورة التوبة [٦١]: أن الإيمان إذا تعدى باللام يكون بمعنى قبول القول.

(٥) قوله: (لاتّهمتنا) جواب «لو»، واللام داخلة في جوابها، وهو فعل ماضٍ من الاتهام، والتاء فاعل، و«نا» مفعول به.

(٦) قوله: (محله نصب...) ظاهره أن ﴿عَلَىٰ﴾ هنا اسم، بمعنى: فوق، وهو مضاف إلى «قميص»، ثم هذا الظرف في محل نصب حال من «الدم».

والمعنى: جاءوا بدم كذب حال كونه واقعًا على قميصه. وعلى هذا يكون في الآية دليل على جواز تقدم الحال على صاحبه المجرور بحرف. وقد منع ذلك الجمهور، وأجاز ذلك ابن جني وابن كيسان والفارسي وغيرهم. ويحتمل كون المعنى: أحضروا على قيمصه بدمٍ كذب، أو وضعوا... أو نحو ذلك. وعلى هذا يكون ﴿عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾ ظرفًا =

كَذِبٍۚ﴾ أي: ذي كذب(١)، بأن ذبحوا سخلة(٢)، ولطخوه بدمها، وذهلوا عن شَقه(٣)، وقالوا: إنه دمه ﴿قَالَ﴾ يعقوب لما رآه صحيحًا(٤)، وعلم كذبهم ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ﴾ زينت ﴿لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ﴾ ففعلتموه ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾ لا جزع فيه(٥)،

= لـ﴿وَجَآءُو﴾، وليس حالًا، فلا دلالة في الآية عل تقدم الحال على صاحبها المجرور، وقد مال إلى ذلك الزمخشري.

(١) قوله: (أي: ذي كذب) أفاد أن الكذب مصدر أريد به الوصف، كما يقال: فلان عدل أي: ذو عدل. ويمكن أن يقال: كذب بمعنى اسم الفاعل، ونسبته إلى الدم مجاز، نحو عيشة راضية، والمعنى: بدم كذبوا فيه، والله أعلم.

(٢) قوله: (سخلة)، وهي ولد الضأن أو المعز حين يولد، وكون الدم دم سخلة. مروي عن ابن عباس ومجاهد.

(٣) قوله: (وذهلوا عن شقه)، أي: غفلوا عن شق القيمص، حتى يكون مقوّيًا لكذبهم.

(٤) قوله: (لما رآه صحيحًا). أي: رأى القيمص غير مخروق.

(٥) قوله: (لا جزع فيه) هذا معنى الصبر الجميل، وهو الصبر الذي لا جزع فيه. وذكره الخضري في شرحه على ابن عقيل، قال: «الصبر الجميل هو الذي لا شكاية معه، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه، والهجر الجميل هو الذي لا أذية معه».اهـ. وهذا من شأن الأنبياء، يصبرون على قضاء الله تعالى بالصبر الجميل.

فائدتان:

١- استدل الفقهاء بهذه الآية على إعمال القرائن والأمارات في بعض المواضع، وعلى ترجيح بعضها على بعض عند التعارض؛ فالدم قرينة لأكل الذئب، وصحة القميص قرينة على الكذب، رجحت هذه لوضوحها ولوجود التهمة بهم.

٢- روى ابن جرير عن الشعبي، قال: «كان في قيمص يوسف ثلاثة آيات: الشق، والدم، وألقاه على وجه أبيه فارتد بصيرًا»، ولكن قال القرطبي: «القميص الذي أتوه بالدم غير القميص الذي قدّ، وغير القميص الذي أتاه به البشير».اهـ. والله أعلم.

وهو خبر مبتدأ محذوف، أي: أمري ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ المطلوب منه العون ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ تذكرون من أمر يوسف.

﴿١٩﴾- ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ مسافرون[1] من مدين إلى مصر، فنزلوا قريبًا من جبّ يوسف ﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ﴾ الذي يرد الماء[2] ليستقي منه ﴿فَأَدْلَىٰ﴾ أرسل[3] ﴿دَلْوَهُۥ﴾ في البئر، فتعلق بها يوسف، فأخرجه، فلما رآه ﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ﴾، وفي قراءة: «بُشْرَىٰ»[4]، ونداؤها مجاز[5]، أي: احضري فهذا وقتكِ ﴿هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ فعلم به إخوته[6] فأتوه

---

(١) قوله: (مسافرون) أي: رفقة مارّة، من الشام إلى مصر، أخطأوا الطريق، فوصلوا ونزلوا قريبًا من الجبّ. كذا ذكره القرطبي. وقال البيضاوي: «هم سائرون من مدين إلى مصر».اهـ. ومدين قريب من الشام. ونقل ابن كثير عن أبي بكر بن عياش: «أن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مكث في البئر ثلاثة أيام».اهـ.

(٢) قوله: (الذي يرد الماء) تفسير للوارد، وهو الذي يبحث لهم عن الماء.

(٣) قوله: (أرسل)، أي: أنزل الدلو إلى البئر.

(٤) قوله: (وفي قراءة: ﴿بُشْرَىٰ﴾): قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف: ﴿يَٰبُشْرَىٰ﴾، بدون إضافة. وقرأ الباقون: ﴿يَٰبُشْرَاىَ﴾: بالإضافة إلى ياء المتكلم. وهي مفتوحة.

(٥) وقوله: (نداؤها مجاز) أي: نداء البشرى مجاز؛ لأن النداء هو طلب الإقبال، ولا يطلب ذلك من غير الحيوان؛ فيكون مجازًا.

وعلى هذا يكون المراد بـ«البشرى»: الاستبشار، وهو قول قتادة وهو المشهور عند المفسرين. وروى ابن جرير عن السدي: «أن «بشرى» اسم رجل من السيارة، صاحب الدلو»، وعلى هذا يكون نداؤه حقيقة.

(٦) قوله: (فعلم به إخوته) أي: علم باستخراج يوسف من البئر إخوته، وكانوا يراقبون ذلك، كما قال ابن إسحٰق: «لما ألقاه إخوته جلسوا حول البئر يومهم ذلك ينظرون ماذا يصنع وما يصنع به، فساق الله له سيارة...».اهـ.

﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ أي: أخفوا أمره[١]، جاعليه[٢] ﴿بِضَٰعَةً﴾ بأن قالوا: هذا عبدنا أبق، وسكت يوسف خوفًا من أن يقتلوه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ۝١٩﴾.

۝٢٠- ﴿وَشَرَوۡهُ﴾ باعوه[٣] منهم ﴿بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ﴾ ناقص ﴿دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ عشرين[٤] أو اثنين وعشرين[٥] ﴿وَكَانُواْ﴾ أي: إخوته ﴿فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠﴾[٦]،

---

(١) قوله: (أي: أخفوا أمره) يعني إخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أخفوا شأنه أنه أخوهم، وكتم يوسف شأنه مخافة أن يقتلوه، كما روى ذلك ابن جرير عن ابن عباس بسياق أطول.

وروى عن مجاهد ما حاصله: «أسر صاحب الدلو ومن معه أمر يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لئلا يشاركهم فيه أصحابه الباقين»، ففاعل: ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾: صاحب الدلو ومن معه، على هذا القول. واختاره.

(٢) وقوله: (جاعليه)، بهذا التقدير يكون ﴿بِضَٰعَةً﴾ مفعولًا ثانيًا لـ«جاعل» المحذوف، ويصح كونه حالًا، أي: حال كونه بضاعة، وهو أقرب وأظهر من جعله مفعولًا ثانيًا لـ«جاعل» المحذوف.

(٣) قوله: (باعوه)، في مرجع الضمير المرفوع في «باعوا» قولان: الأول: يعود على إخوة يوسف، أي: باعوا يوسف لصاحب الدلو ومن معه بدراهم معدودة. وهذا مروي عن مجاهد وعكرمة، ورواه ابن جرير عن ابن عباس، أن الإخوة باعوه بثمن بخسٍ، واختاره ابن جرير.

والقول الثاني: أنه يعود إلى السيارة، أي: باعه السيارة. وهو مروي عن قتادة، والبخس: النقص.

(٤) قوله: (عشرين...) روى ذلك ابن جرير عن ابن عباس والسدي ونوف البكالي.

(٥) وقوله: (أو اثنين وعشرين)... رواه ابن جرير عن مجاهد، واقتسم كل واحد منهم درهمين درهمين. وقيل: أربعون درهمًا.

(٦) وقوله: ﴿مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠﴾ أي: ليس لهم رغبة فيه، بل لو سألوه بلا شيء لأجابوا. =

فجاءت به السيارة[١] إلى مصر فباعه الذي اشتراه بعشرين دينارًا[٢] وزوجَي نعل وثوبين.

﴿٢١﴾- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ وهو قطفير العزيز[٣] ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ زَلِيخا[٤] ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ مقامه عندنا ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ وكان حصورًا[٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما نجيناه من القتل والجُب وعطفنا عليه قلب العزيز[٦] ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر، حتى بلغ ما بلغ ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا[٧]، عطف على مقدر[٨] متعلق بـ«مَكَّنَّا»، أي:

= كما في ابن كثير. وعن الضحاك: «﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾: أي: لم يعلموا نبوته ومنزلته عند الله».

(١) قوله: (فجاءت به السيارة) دخول إلى ما بعده.

(٢) قوله: (بعشرين دينارًا...) ذكر ذلك القرطبي بدون عزو، وذكر أقوالًا أخر.

(٣) قوله: (قطفير) هو اسمه على ما روي عن ابن عباس. والعزيز لقبه، وكان على خزائن مصر، أي: وزير المالية لملك مصر، وهو: الريان بن الوليد، وقيل: الوليد بن الريان، رجل من العمالقة، وقيل: هو فرعون موسى، وإنه عاش أربعمائة سنة، أي إلى زمن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. ذكر ذلك كله القرطبي.

(٤) قوله: (زليخا) حكاه القرطبي، ونقل ابن جرير عن ابن إسحٰق: «أن اسمها راعيل بنت رعائيل».

(٥) قوله: (وكان حصورًا) أي: لا يأتي النساء. نقله ابن جرير عن ابن إسحٰق.

(٦) قوله: (وعطفنا عليه قلب العزيز) أي: ألقى الله في قلب العزيز عطفًا وشفقة ومحبة وإجلالًا ليوسف، روى ابن جرير عن ابن مسعود من طريقين، قال: «أفرس الناس ثلاثة، العزيز حين تفرس في يوسف، وأبو بكر حين تفرّس في عمر فاستخلفه، والتي قالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [القصص: ٢٦]».اهـ. باختصار.

(٧) قوله: (تعبير الرؤيا) كذا فسر به مجاهد والسدي وأبو نجيح.

(٨) وقوله: (عطف على مقدر). ذكر نحوه البيضاوي.

لنملّكه، أو الواو زائدة[١] ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ تعالى[٢]، لا يعجزه شيء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ۝٢١﴾ ذلك.

۝٢٢- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ[٣]﴾ وهو ثلاثون سنة أو وثلاث[٤] ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا﴾ حكمة[٥] ﴿وَعِلۡمٗاۚ﴾ فقهًا في الدين، قبل أن يبعث نبيًّا[٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٢٢﴾ لأنفسهم.

۝٢٣- ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾ هي زليخا ﴿عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ أي: طلبت منه

---

(١) قوله: (أو الواو زائدة) أي: فيكون الجار والمجرور ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ﴾ متعلقًا بـ﴿مَكَّنَّا﴾. وهذا الوجه ضعيف؛ لأن الأصل عدم الزيادة.

(٢) قوله: (تعالى)، قدره ليفيد أن الهاء من ﴿أَمۡرِهِۦ﴾ راجع إلى الله سبحانه، والمعنى -كما قال القرطبي-: لا يغلب اللهَ شيء بل هو الغالب على أمر نفسه، وكما قال سعيد بن جبير: «أي: فعال لما يشاء»، وقيل: الهاء عائد على يوسف، أي: والله مستولٍ على أمر يوسف. ذكره ابن جرير.

(٣) قوله تعالى: ﴿أَشُدَّهُۥٓ﴾ الأشُدُّ جمع «شِدَّة» عند سيبويه. وجمع «شُدّ» عند الكسائي، واسم جمع لا واحد له عند أبي عبيدة.

(٤) قوله: (وهو ثلاثون...) وذكر في تحديد هذا العمر أقوال، وروي عن مجاهد وقتادة: «ثلاث وثلاثون»، ورجح ابن جرير عدم التحديد هنا.

(٥) قوله: (حكمة). الحكمة: العلم، وقيل: العلم بالحُكم والسلطنة، وقيل: العقل، وعن مجاهد: «العقل والعلم قبل النبوة»، وقال ابن كثير: «النبوة».

(٦) قوله: (قبل أن يبعث نبيًّا). هذا يوافق ما روي عن مجاهد: «العقل والعلم قبل النبوة»، وعلى هذا يكون الإيحاء إليه في الجب إيحاء تسلية، لا إيحاء نبوة. كما أشار إليه سابقًا، وإن كان ظاهر كلام المفسر هناك أنه إيحاء نبوة. ومن قال: إنه كان نبيًّا من حين ذلك الإيحاء، قال: لما بلغ أشدّه زدناه فهمًا وعلمًا. ذكره القرطبي، والله أعلم.

أن يواقعها ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ للبيت ﴿وَقَالَتۡ﴾ له ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾ أي: هلمّ[(١)]، واللام للتبيين، وفي قراءة: بكسر الهاء[(٢)]، وفي أخرى: بضم التاء ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾ أعوذ بالله من ذلك[(٣)] ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الذي اشتراني ﴿رَبِّيٓ﴾ سيدي[(٤)] ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ مقامي، فلا أخونه في أهله ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الشأن ﴿لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ الزناة[(٥)].

---

(١) قوله: (أي: هلمّ). أفاد به أن ﴿هَيۡتَ﴾ اسم فعل أمر معناه: تعال، أو هلمّ. وفاعله: ضمير مستتر للمخاطب، وهو لازم، واللام في ﴿لَكَۚ﴾ لتبيين المخاطب، جيء به توكيدًا. وإلا فإن ﴿هَيۡتَ﴾ دل على المخاطب؛ لأن معناه: تعالْ، والتاء في ﴿هَيۡتَ﴾ مثلثة.

(٢) قوله: (وفي قراءة:...) القراءات هنا أربع:

«هِيتَ» -بكسر الهاء، وهي لغة-: قراءة نافع، وابن ذكوان، وأبي جعفر.

و«هِئتَ»- بكسر الهاء والهمزة-: قراءة هشام.

و«هَيْتُ» -بفتح الهاء وضم التاء-: قراءة ابن كثير.

و«هَيْتَ» -بفتح الهاء وفتح التاء-: قراءة الباقين. والمعنى واحد، وكلها اختلاف اللغات. كما رجحه الدكتور عبدالعزيز الحربي في كتابه «توجيه مشكل القراءات».

(٣) قوله: (أعوذ بالله...). أفاد أن ﴿مَعَاذَ﴾ مفعول مطلق، أقيم مقام فعله. و﴿مَعَاذَ﴾ مصدر ميميّ، من المصادر الجامدة أي: لا يستعمل إلا مفعولًا مطلقًا، ونظيره: سبحانَ وأيضًا، ولبيك، وبله، وألبتة، وغيرها مما لا تستعمل إلا منصوبة على أنها مفعول مطلق.

(٤) قوله: (سيدي). أفاد به أن «الربّ» هنا بمعنى «السيّد»، وكذا رواه ابن جرير عن مجاهد والسدي وابن إسحٰق، وقيل: الضمير في إنه عائد إلى الله، أي: إن الله ربي أحسن مثواي، وعزاه القرطبي إلى الزجاج، وجملة ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ خبر ثانٍ.

(٥) قوله: (الزناة). فسر به لمناسبة المقام، وبنحوه فسر ابن جرير نقلًا عن ابن إسحٰق.

﴿٢٤﴾- ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ قصدت منه الجماع ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ قصد ذلك[(١)] ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾، قال ابن عباس[(٢)]: «مثل له يعقوب، فضرب صدره، فخرجت شهوته من أنامله»، وجواب «لَوْلَآ»: لجامعها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أريناه البرهان[(٣)] ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ الخيانة ﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ الزنى ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلِصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ في الطاعة، وفي قراءة: بفتح اللام[(٤)]، أي: المختارين.

---

(١) قوله: (قصد ذلك). ظاهر كلام المفسر أنه وجد الهم بالسيء منهما، وعليه جماهير المفسرين كما قاله القرطبي. ولكن الهمّ من يوسف كان حركة طبع من دون تصميم فلا يؤاخذ به العبد. كما يخطر ببال الصائم شرب الماء البارد. ونقل القرطبي هذا التأويل من القشيري، والحسن، وابن عطية، واستحسنه، وذلك لوجوب عصمة الأنبياء قبل النبوة وبعدها. ويوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن نبيًّا في ذلك الوقت عند الجمهور، وقيل: كان نبيّا من حين ألقي في الجبّ.

وما ذكره من التأويل يدل عليه أمور منها: أنه تعالى قال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾، ومنها: أنه تعالى قال: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾، والمخلصون: استثناهم الشيطان عن الإغواء ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٤٠].

وجواب ﴿لَوْلَآ﴾ محذوف كما قدره المفسر. وقال أبو عبيدة وغيره: «في الكلام تقديم وتأخير، والأصل: لولا أن رأى برهان ربه لهمّ به، أي: فلما رأى برهان ربه لم يهمّ بها»، وهذا التقدير استبعده ابن جرير وإن كان قريبًا معقولًا.

(٢) قوله: (قال ابن عباس:...) ما ذكره المفسر رواه ابن جرير وغيره عن ابن عباس وجماعة من السلف. وروى غير ذلك في معنى البرهان. ولذا اختار ابن جرير ألّا يعيّن واحد منها في معناه، بل يترك على إطلاقه.

(٣) قوله: (أريناه) قدره ليتعلق به الجار والمجرور ﴿لِنَصْرِفَ﴾.

(٤) قوله: (وفي قراءة:...). هنا قراءتان: ﴿ٱلْمُخْلِصِينَ﴾ -بكسر اللام بصيغة اسم الفاعل، =

(٢٥)- ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ بادرا إليه، يوسف للفرار، وهي للتشبث به[١]، فأمسكت ثوبه وجذبته إليها ﴿وَقَدَّتۡ﴾ شقت[٢] ﴿قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا﴾ وجدا ﴿سَيِّدَهَا﴾ زوجها ﴿لَدَا ٱلۡبَابِۚ﴾ فنزهت نفسها ثم ﴿قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا﴾ زنى ﴿إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ﴾ يحبس في سجن ﴿أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ (٢٥)﴾ مؤلم بأن يضرب[٣].

(٢٦)- ﴿قَالَ﴾ يوسف متبرئًا ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ ابن عمها[٤]، روي أنه كان في المهد[٥]، فقال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ﴾ قدام ﴿فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ (٢٦)﴾.

= أي: المخلصين في الطاعة: قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب. و﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ - بفتح اللام بصيغة اسم المفعول-: قراءة الباقين.

(١) قوله: (للتشبث به). أي: التمسك به لفعل الفاحشة.

(٢) قوله: (شقت) وذلك أنها قبضت في أعلى القميص، فتخرق القميص عند طوقه ونزل التخريق إلى أسفل القميص. ذكره القرطبي.

(٣) قوله: (بأن يضرب). هكذا فسر ابن كثير، والقرطبي وغيرهما.

(٤) قوله: (ابن عمها). روى ابن جرير ذلك عن السدّي، أنه كان ابن عمها.

(٥) وقوله: (روي أنه كان...). أي: كان صبيًّا في المهد، وهذا مروي عن ابن عباس وأبي هريرة وابن جبير والضحاك وغيرهم. وروي عن ابن عباس أيضًا أنه كان رجلًا ذا لحية، وكان من خاصة الملك، كما روى عن عكرمة أنه كان رجلًا حكيمًا، واختار ابن جرير أنه كان صبيًّا لورود حديث بذلك، وهو ما رواه عن ابن عباس: «تكلم أربعة في المهد، وهم صغار: ابن ماشطة بنت فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج وعيسى بن مريم».اهـ.
ومال القرطبي إلى أنه كان رجلًا حكيمًا؛ لأنه لو كان صبيًّا لكان الدليل نفس كلامه من دون حاجة إلى الاستدلال بالقميص، وعلى هذا يكون المراد بالصغير: أنه ليس بشيخ.

﴿٢٧﴾- ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ خلفٍ ﴿فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧﴾.

﴿٢٨﴾- ﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ زوجها ﴿قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ﴾ أي: قولَكِ: «مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ...» الخ، ﴿مِن كَيۡدِكُنَّۖ﴾ أيها النساء[1] ﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨﴾.

﴿٢٩﴾- ثم قال يا ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾ الأمر ولا تذكره[2] لئلا يشيع ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي﴾ يا زليخا ﴿لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ٢٩﴾[3] الآثمين واشتهر الخبر وشاع[4].

﴿٣٠﴾- ﴿۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ[5] فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ مدينة مصر ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾

---

(١) قوله: (أيها النساء). أفاد به أن المراد بضمير الخطاب جنس النساء. نقل القرطبي عن مقاتل عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**إن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان؛ لأن الله تعالى يقول:** ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [النساء: ٧٦]، وقال: ﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨﴾». اهـ.

(٢) قوله: (ولا تذكره...). كذا فسره عامة المفسرين. و﴿يُوسُفُ﴾ منادًى مبني على الضم بحذف حرف النداء قدره المفسر، وحذف حرف النداء من المنادى العَلَم مطّرد.

(٣) قوله تعالى: ﴿ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾. أي: القوم الخاطئين، أو الناس الخاطئين. كما قاله القرطبي وغيره. وعلى هذا لا دلالة في الآية على أن جمع المذكر السالم ونحوه يدخل فيه النساء لفظًا، كما ذهب إلى ذلك جمع من الأصوليين، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٤٣﴾ [النمل: ٤٣]، ﴿وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾ [التحريم: ١٢]، كما أشار إليه القرطبي.

(٤) قوله: (واشتهر الخبر...) دخول إلى ما بعده.

(٥) (نسوة) اسم جمع لا مفرد له من لفظه، كالنساء، فيجوز معه تذكير الفعل وتأنيثه وأشار بقوله: (مدينة مصر) إلى أن «أل» في ﴿ٱلۡمَدِينَةِ﴾ هنا عهدية.

عبدها ﴿عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ﴾ تمييز[(١)]، أي: دخل حبّه شغاف قلبها، أي: غلافه ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ﴾ خطأ ﴿مُّبِينٖ ٣٠﴾ بيّن بحبها إياه.

٣١- ﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ﴾ غِيبَتهن لها[(٢)] ﴿أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ﴾[(٣)] أعدّت ﴿لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا﴾ طعامًا[(٤)] يقطع بالسكين، للاتكاء عنده، وهو: الأترج[(٥)] ﴿وَءَاتَتۡ﴾ أعطت ﴿كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ﴾ ليوسف: ﴿ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ﴾ أعظمنه[(٦)]

---

(١) قوله: (تمييز) أي: ﴿حُبًّاۖ﴾: تمييز، وهو محوّل عن الفاعل، كما قدره المفسر، والمعنى: دخل حبها شغاف قلبها... أي: غلافه، وروي هذا المعنى عن السدّي وأبي عبيدة كما في القرطبي. وروي عن ابن عباس كما في ابن كثير، وكذا ذكره البيضاوي.

(٢) قوله: (غِيبَتِهنَّ) بكسر الغين، أي: بذكرهن إياها بالذّم. وبنحو ذلك روي عن قتادة والسدّي، وقيل: إنهن أفشين سرها، فسمي ذلك مكرًا. نقله القرطبي.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَأَعۡتَدَتۡ﴾. أفْعَلَتْ من العَتَاد، وهو العُدَّة، ذكره ابن جرير. فقول المفسر: (أعدّت) تفسير للمراد.

(٤) قوله: (طعامًا). ظاهره أنه تفسير بالمراد بالمتكإ؛ لأن المتكأ في الأصل هو المجلس المعد فيه المفارش ومخادّ وطعام يؤكل بالسكاكين. وعلى هذا إطلاقه على الطعام يكون من المجاز المرسل؛ لعلاقة المجاورة، كما قال المفسر: (للاتكاء عنده)، أي: إنما سمي الطعام متكأً للاتكاء عنده. روى ابن جرير عن سعيد بن جبير: ﴿مُتَّكَـٔٗا﴾ قال: «طعامًا وشرابًا ومتكأً»، وعن الحسن: «طعامًا»، وكذا عن عطية، فهذا يوافق ما ذكره المفسر.

(٥) قوله: (وهو: الأترج). أي الطعام هو: الأتّرج، رواه ابن جرير عن ابن عباس. والأتّرج ثمر يشبه الليمون. كما يعلم من كتب اللغة.

(٦) قوله: (أعظمنه). روى ذلك عن ابن عباس والسدي وابن زيد وغيرهم، كما في ابن جرير. وقيل: معناه: حِضن من الدهشة. عزاه القرطبي إلى قتادة، ومقاتل، والسدي؛ لأن الحيض من علامات البلوغ؛ فيكنى به عنه. ويُبعده وجود ضمير النصب، أي الهاء في ﴿أَكۡبَرۡنَهُۥ﴾.

﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ بالسكاكين، ولم يشعرن بالألم[١] لشغل قلبهن بيوسف ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تنزيهًا له[٢] ﴿مَا هَٰذَا﴾[٣] أي: يوسف ﴿بَشَرًا إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ لما حواه من الحسن الذي لا يكون عادة في النسمة البشرية. وفي الحديث[٤]: «**إنه أعطي شطر الحسن**».

﴿٣٢﴾- ﴿قَالَتْ﴾ امرأة العزيز لما رأت ما حلّ بهن: ﴿فَذَٰلِكُنَّ﴾[٥] فهذا هو[٦]

---

(١) قوله: (ولم يشعرن بالألم). كما روى عن ابن عباس وغيره: «جعلن يقطعن أيديهن وهنّ يحسبن أنهن يقطعن الأترج».اهـ.

(٢) قوله: (تنزيهًا). أفاد أن ﴿حَٰشَ﴾ هنا اسم في محل نصب مفعول مطلق، كما يعلم من «إعراب القرآن» للدرويش. وكان أصله «حاشا» بالألف، ويستعمل حرفًا في الاستثناء، ويستعمل فعلًا ماضيًا أيضًا، وذكروا فيه لغات: حاشا وحاشَ وحشَا.

(٣) قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا﴾: ﴿مَا﴾ هنا نافية عملت عمل «ليس»، والإعمال لغة أهل الحجاز.

(٤) قوله: (وفي الحديث...). الحديث في «صحيح مسلم»، وهو حديث الإسراء، وفيه أن رسول الله ﷺ مرّ بيوسف في السماء الثالثة، قال: «**فإذا هو أعطي شطر الحُسن**».اهـ.

فائدة: كان نبينا محمد ﷺ أحسن الناس فهو أجمل من يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما في أحاديث كثيرة. قال البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان ﷺ أحسن الناس وجهًا وأحسنهم خلقًا». [البخاري]. ولكن كان جمالُه مغطّى بالهيبة. ولذا لم ينقل افتتان النساء به ﷺ. وعلى هذا فمعنى الحديث: «**أن يوسف أعطي شطر الحسن**»، أي: سوى حسن النبي ﷺ. أو «أل» في «**الحسن**» عهدية إشارة إلى حسنه ﷺ. أفاد ذلك بعض مشايخنا.

(٥) ﴿فَذَٰلِكُنَّ﴾. «ذا»: اسم إشارة. واللام للبعد؛ تعظيمًا، و«كنّ»: حرف خطاب للنسوة. والإشارة به إلى يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما هو واضح.

(٦) وقوله: (فهذا). أشار به إلى أن الإشارة هنا للقريب، واستعمل «ذلك» الموضوع للبعيد؛ تعظيمًا للمشار إليه.

وقوله: (هو). أفاد به أن الاسم الموصول بعده ﴿ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى﴾ خبر المبتدأ: «ذلك».

﴿ٱلَّذِى لُمۡتُنَّنِى فِيهِۖ﴾ في حبه[١]، بيان لعذرها[٢] ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾ امتنع ﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ[٣] مَآ ءَامُرُهُۥ﴾ به ﴿لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢﴾ الذليلين. فقلن له: أطع مولاتك[٤].

٣٣- ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ[٥]﴾ أمِلْ ﴿إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن﴾ أصِرْ[٦] ﴿مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾ المذنبين، والقصد بذلك الدعاء[٧]، فلذا قال تعالى:

---

(١) وقوله: (في حبه). أشار به إلى تقدير مضاف.

(٢) وقوله: (بيان لعذرها). أي: هذا الكلام منها بيان لعذرها في مراودتها. فالمعنى: من كان هذا شأنه حقيق أن يُحَبَّ؛ لجماله وكماله. كما قاله ابن كثير.

(٣) ﴿وَلَئِن لَّمۡ﴾. اللام موطئة للقسم، و«إن» شرطية، فاجتمع القسم والشرط، والمتقدم هو القسم، فيكون الجواب له، وحذف جواب الشرط. فقوله: ﴿لَيُسۡجَنَنَّ﴾: جواب القسم، ولذا أكد بالنون. والنون الأخيرة في ﴿وَلَيَكُونٗا﴾ النون الخفيفة المؤكدة، كتبت في خط المصحف ألفًا؛ لأنها تقلب ألفًا إذا وقف عليها، وليست تنوينًا؛ لأن التنوين مختص بالأسماء، ونظيره قوله تعالى: ﴿لَنَسۡفَعٗا﴾ [العلق: ١٥].

(٤) قوله: (فقلن له: أطع مولاتك). نقله القرطبي. وفسر بذلك ﴿كَيۡدَهُنَّ﴾ فيما حكى.

(٥) ﴿أَصۡبُ﴾. مضارع مجزوم من «صبا، يصبو» إذا مال، جواب الشرط: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ﴾ أصله: «وإن لا تصرفْ».

(٦) قوله: (أصِرْ). أشار به إلى أن «كان» هنا بمعنى: صار، أي: تحوّل، ويأتي بمعنى صار من أخوات «كان»: أصبح، أضحى، ظل، أمسى. أيضًا كما فصله النحاة.

(٧) قوله: (والقصد بذلك). أي: بقوله: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ﴾، فهي جملة خبرية بمعنى الإنشاء، كأنه قال: رب اصرف عني كيدهن... كما ذكره القرطبي وغيره.

(٣٤)- ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ دعاءه ﴿فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلۡعَلِيمُ (٣٤)﴾ بالفعل[١].

(٣٥)- ﴿ثُمَّ بَدَا﴾[٢] ظهر ﴿لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ الدالّات على براءة يوسف[٣] أن يسجنوه[٤]، دلّ على هذا ﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ﴾ إلى ﴿حِينٖ (٣٥)﴾ ينقطع فيه كلام الناس[٥]، فسجن[٦].

(٣٦)- ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ﴾ غلامان للملك، أحدهما ساقيه[٧]،

---

(١) قوله: (للقول) و(بالفعل). لا يخفى أن التقييد بهما لمناسبة المقام. وقد تقدم نظير ذلك كثيرًا.

(٢) ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾. أي: للعزيز وأهل مشورته.

(٣) قوله: (الدالّات على براءة يوسف). منها: شهادة الشاهد، وقدُّ القميص، وقطع النساء أيدهن، واستعصامه واستعاذته منهن.

(٤) قوله: (أن يسجنوه). قدره ليكون فاعلًا لـ﴿بَدَا﴾، حذف لدلالة ﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ﴾ عليه.

وقال البيضاوي: «فاعل ﴿بَدَا﴾ ضمير يفسرُّ: ﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ﴾».اهـ. نقل القرطبي عن سيبويه ﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ﴾ في موضع الفاعل.اهـ. أي: كأنه في تأويل مصدر بدون حرف مصدريّ، كما في ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ [البقرة: ٦]، أي: إنذارك، والله أعلم.

(٥) قوله: (ينقطع فيه كلام الناس...) لم يحدد المفسر مدة اللبث في السجن. وفيه أقوال، قال البيضاوي: «سبع سنين»، وهو قول مقاتل، وعكرمة. وسيذكر المفسر قولين فيه.

(٦) وقوله: (فسجن) قدره ليعطف عليه قوله تعالى الآتي: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ...﴾. ففي الكلام إيجاز حذف.

(٧) قوله: (أحدهما ساقيه...) روى ذلك ابن جرير عن قتادة والسدي، وبنحو ذلك عن ابن إسحٰق، وسبب حبسهما أن الملك بلغه أن خبازه يريد أن يسمّه: فحبسهما. نقله عن السدّي. ونقل عن ابن إسحٰق أن اسم صاحب الطعام: مجلث، واسم صاحب الشراب: نبو. وقيل غير ذلك.

والآخر صاحب طعامه، فرأياه يعبر الرؤيا[١]، فقالا: لنختبرنه[٢] ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾ هو الساقي، ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾[٣] أي: عنبًا[٤] ﴿وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ﴾، وهو صاحب الطعام ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا﴾ خبرنا ﴿بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ﴾ بتعبيره[٥] ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾.

٣٧- ﴿قَالَ﴾ لهما مخبرًا أنه عالم بتعبير الرؤيا ﴿لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ﴾ في منامكما[٦] ﴿إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ في اليقظة ﴿قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ﴾ تأويله ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا

---

(١) قوله: (فرأياهُ...) أي: رأى الفتيان يوسفَ أنه يعبّر الرؤيا.

(٢) وقوله: (فقالا: لنختبرنه)، ظاهر كلامه أنهما لم يريا في المنام شيئًا، وإنما تحلّما ليختبر يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وهذا قول ابن مسعود والسدي، فيما حكاه القرطبي.
ونقل عن ابن عباس ومجاهد، كانت رؤيا صدق رأياها وسألاه عنها، وهذا ظاهر الآية، ومشى على ذلك أكثر المفسرين، كابن كثير، وابن جرير.
وقدّر المفسر هذه الجمل إشارة إلى أن هنا حذفها، فيكون من إيجاز الحذف.

(٣) ﴿أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ﴾: أرى هنا منامية، تتعدى لمفعولين، أولهما ياء المتكلم، والثاني: جملة ﴿أَعۡصِرُ﴾.

(٤) قوله: (أي: عنبًا) أشار به إلى أن ﴿خَمۡرٗاۖ﴾ هنا مجاز مرسل، أطلق على العنب «خمر» باعتبار ما يؤول إليه.

(٥) قوله: (بتعبيره) أفاد به أن التأويل هنا بمعنى: الحقيقة التي يؤول إليها الأمر. ويطلق التأويل بمعنى: التفسير، وبمعنى صرف اللفظ من المعنى القريب إلى البعيد لقرينة، وهذا هو المراد عند الأصوليين في قولهم: الظاهر والمؤول، وتقدم في أول آل عمران.

(٦) قوله: (في منامكما). وهكذا روى ابن جرير، عن السدي، والمعنى: أي طعام رأيتما في المنام فإني أفسرلكما بتأويله أي: ما يقع من تأويله في اليقظة، وخص الطعام؛ لأنهما رأيا ذلك، ولأن الغالب أن المنام يتعلق باشتغال الشخص. =

عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾ فيه حث على إيمانهما، ثم قوّاه بقوله: ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ﴾ دين ﴿قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ﴾ تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ ٣٧﴾.

٣٨- ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن﴾ زائدة[1] ﴿شَيۡءٖۚ﴾ لعصمتنا ﴿ذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾ الله فيشركون.

٣٩- ثم صرح بدعائهما إلى الإيمان فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ﴾ ساكني[2] ﴿ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ خير؟ استفهام تقرير.

٤٠- ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: غيره ﴿إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾ سميتم بها أصنامًا[3] ﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ بعبادتها ﴿مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾ حجة

= وقال القرطبي: «لا يجيئكما غدًا طعام من منزلكما... يعني: أنه كان يعبر لهم مقدار وأوصاف ما يأتيهما من الطعام قبل أن يصلهما، فهذا معجزة بالإخبار بالمغيبات، كما قال عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ٤٩]، أشار إليه الصاوي، وعزا ذلك القرطبي إلى الحسن.

(١) قوله: (زائدة). أي: إعرابًا ومؤكدة للعموم معنًى.

(٢) قوله: (ساكني). أشار به إلى وجه التسمية بالصحبة، فهي باعتبار أنهما فيه، كما قال تعالى لسكان الجنة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ...﴾ [البقرة: ٨٢]، وكذلك قال لأهل النار. أفاده ابن جرير. وإضافة «صاحبي» بمعنى: «في»، و﴿أَمِ﴾ في الآية متصلة عاطفة، وتقدير المفسر (خير)؛ لتوضيح المعنى فقط. ويستغنى عنه إذا كانت ﴿أَمِ﴾ متصلة عاطفة.

(٣) قوله: (أصنامًا). قدره ليكون مفعولًا ثانيًا لـ«سمّى»، فهو يتعدى لمفعولين، وقد يدخل الباء في المفعول الثاني. تقول: سميتُ ابني محمدًا أو بمحمدٍ.اهـ.

وبرهان ﴿إِنِ﴾ ما ﴿ٱلْحُكْمُ﴾ القضاء ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ وحده ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[(١)] ﴿ذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٠﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فهم يشركون.

٤١- ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ أي: الساقي، فيخرج بعد ثلاث أيام[(٢)] ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُۥ﴾ سيده ﴿خَمْرًا﴾ على عادته[(٣)] ﴿وَأَمَّا ٱلْآخَرُ﴾ فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ هذا تأويل رؤياكما، فقالا: ما رأينا شيئًا[(٤)]،

---

(١) ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾. «أن» مصدرية ناصبة، و«لا» نافية، و﴿تَعْبُدُوٓاْ﴾ منصوب بـ«أن»، ويقدر الباء قبلها. والتقدير: أمر بأن لا تعبدوا إلا إياه. أي: بعدم عبادة سواه، وحذف حرف الجر مع «أن» و«أنَّ» مطّرد، كما تقدم مرارًا.

ويصح كون «أن» تفسيرية، وهي المسبُوقة بفعل فيه معنى القول دون حروفه، وهو هنا ﴿أَمَرَ﴾، فتكون «لا» ناهية جازمة، و﴿تَعْبُدُوٓاْ﴾ مجزومًا بها.

(٢) قوله: (بعد ثلاثة أيام) هكذا فسر القرطبي وغيره. وأشار بتقديره: (فيخرج) إلى حذف جملة.

(٣) قوله: (على عادته) أي: إنه سيرجع إلى عمله الذي كان عليه. وهو سقي الملك.

(٤) قوله: (فقالا: ما رأينا شيئًا)... وهكذا فسره ابن جرير والقرطبي وغيرهما. وروى ذلك ابن جرير عن ابن مسعود ومجاهد: «أنهما ما كانا رأيا منامًا، وإنما تحلّما». ويستفاد من ذلك أنه من تحلّم بباطل وفسره فإنه يلزم بتأويله، وقد روى الإمام أحمد وغيره عن معاوية بن حيدة عن النبي ﷺ قال: «**الرؤيا على رِجْلِ طائر ما لم تعبر، فإذا عبرت وقعت**» [(٤/ ١٠)].اهـ. أفاد ذلك ابن كثير.

وذكر القرطبي: «أن الأحلام المكذوبة لا تلزم، وما وقع من يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ من تعبيره خاص به لكونه نبيًّا، وما وقع من عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من نظير ذلك فهو خاص به؛ لكونه محدَّثًا، ولا يلحق غيرهما بهما».اهـ. ملخصًا، وعزاه إلى علماء المالكية، والله أعلم. =

فقال: ﴿قُضِيَ﴾ تم ﴿ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ سألتما عنه، صَدَقْتما أم كَذَبْتما.

﴿٤٢﴾- ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ أيقن(١) ﴿أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنۡهُمَا﴾ وهو الساقي ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ سيدك، فقل له: إن في السجن غلامًا محبوسًا ظلمًا، فخرج ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾ أي: الساقي(٢) ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ﴾ يوسف عند ﴿رَبِّهِۦ فَلَبِثَ﴾

= وما وقع لعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هو ما رواه عبدالرزاق عن معمر، عن قتادة، قال: «جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: إني رأيت كأني أعشبتُ ثم أجدبت ثم أعشبتُ ثم أجدبت، فقال عمر: أنت رجل تؤمن ثم تكفر ثم تؤمن ثم تكفر ثم تموت كافرًا. فقال الرجل: ما رأيت شيئًا، فقال له عمر: قد قضي لك ما قضي لصاحب يوسف».اهـ. أورده القرطبي.

(١) قوله: (أيقن) أي: فالظن هنا بمعنى اليقين.

(٢) قوله: (أي: الساقي) صريح بأن الهاء في ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾ عائد إلى الساقي، والمعنى: أنساه الشيطان ذكر أمر يوسف لسيده، فلم يذكره حتى مكث يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في السجن بضع سنين، وإنما تذكر عند رؤيا الملك تلك الرؤيا التي سيأتي ذكرها. فيكون فاعل الذكر هو الساقي، ويكون إضافته إلى ربه مع تقدير مضافين.

وذكر ابن جرير وغيره: «أن الضمير عائد إلى يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والمعنى: أنساه الشيطان أن يذكر الله تعالى ويستغيث ويشكو إليه، حيث استعان بالساقي وتوسط به إلى الملك، وهذا وإن كان جائزًا لكن كان الأليق بمقام النبوة تركه، والتوكل على الله وحده، وأورد فيه أحاديث عن الحسن وعكرمة وقتادة مرسلًا، وعن ابن عباس مرفوعًا: «**لو لم يقل - أي الكلمة التي قالها- ما لبث في السجن طول ما لبث**».اهـ.

الخلاصة: كان طول المكث في السجن عتابًا على يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على تلك المقالة. فهما قولان في مرجع الضمير في ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾. وتكلم في ذلك المفسرون.

وقال ابن كثير: «الصواب أنه راجع إلى الساقي، لا إلى يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ». وعزاه إلى مجاهد، وابن إسحٰق، وغير واحد. وجرى على ذلك المفسر هنا، وهو أليق، كما يدل على =

مكث يوسف ﴿فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ٤٢﴾ قيل: سبعًا[1]، وقيل: اثنتي عشرة.

٤٣- ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ﴾ ملك مصر: الريان بن الوليد ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾ رأيت[2] ﴿سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ﴾ يبتلعهن ﴿سَبۡعٌ﴾ من البقر ﴿عِجَافٞ﴾ جمع عجفاء ﴿وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ﴾ أي: سبع سنبلات ﴿يَابِسَٰتٖۖ﴾ قد الْتَوَتْ على الخضر وعلَتْ عليها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ﴾ بينوا لي تعبيرها ﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣﴾ فاعبروها لي.

٤٤- ﴿قَالُوٓاْ﴾ هذه ﴿أَضۡغَٰثُ[3]﴾ أخلاط ﴿أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤﴾.

= ذلك قوله تعالى الآتي: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾، أي: نسي الساقي أمر يوسف حتى تذكره بعد حينٍ عند رؤيا الملك والاحتياج إلى تعبيرها، والله أعلم.

(١) قوله: (قيل: سبعًا) روي ذلك عن قتادة وغيره.

(٢) قوله: (رأيت) أفاد أن المضارع ﴿أَرَىٰ﴾ بمعنى الماضي، وذكر المضارع لحكاية الحال.

فائدة: هذه الرؤيا من الملك كانت سببًا لخروج يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من السجن مكرَّمًا، وتوليته حكم مصر كما سيقص الله. فلما رأى ذلك جَمَع الكهنة وكبار دولته فقصها عليهم؛ فلم يعرفوا تأويلها، وقالوا: أضغاث أحلام، وتذكر ذلك الساقي الذي كان فرج عن السجن يوسف، وقال: أنا أنبئكم بتأويله...اهـ. ملخصًا من ابن كثير.

العجفاء: الهرم، والعجاف جمع غير قياسي، والقياس: عُجْف.

واللام في ﴿لِلرُّءۡيَا﴾ لام التقوية، والرؤيا مفعول به لـ﴿تَعۡبُرُونَ﴾ في المعنى. وتقدم الكلام عن اللامات في النساء الآية (٢٦).

(٣) و﴿أَضۡغَٰثُ﴾ جمع ضِغث، أصله الحزمة من الحشيش، يشبه بها الأحلام المختلطة التي لا تأويل لها. ذكره ابن جرير.

وقدّر المفسر: (هذه). ليكون ﴿أَضۡغَٰثُ﴾ خبرًا له.

٤٥- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾ أي: من الفتيين وهو الساقي ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ فيه إبدال التاء في الأصل دالًا وإدغامها في الدال[١]، أي: تذكر ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ حين[٢]، حال يوسف[٣] قال: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ٤٥﴾، فأرسلوه[٤]، فأتى يوسف فقال:

٤٦- يا[٥] ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ الكثير الصدق ﴿أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: الملك وأصحابه ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ٤٦﴾ تعبيرها.

---

(١) قوله: (فيه إبدال...)، فأصله: تذكّر، قلبت التاء دالًا وأدغمت في الذال بعد قلبها دالًا، واجتلبت همزة الوصل. كما فصل في علم الصرف.

(٢) قوله: (حين) هكذا عن ابن عباس والحسن وأبي رزين وغيرهم.

(٣) وقوله: (حال يوسف) مفعول به لـ﴿وَٱدَّكَرَ﴾.

(٤) وقوله: (فأرسلوه...) أفاد به أن في الكلام إيجاز حذف، حذفت هنا جمل.

(٥) قوله: (يا) قدره ليفيد أن ﴿يُوسُفُ﴾ منادًى مبني على الضم في محل نصب، وحذف حرف النداء مطرد إذا كان المنادى علمًا. كما قاله النحاة. وتقدم في الآية (٢٩) من هذه السورة.

فائدة: الأكثر إضافة اسم العدد من ثلاثة إلى عشرة إلى جمع التكسير نحو: ثلاثة أشهر، ويجوز إضافته إلى جمع السلامة، نحو: ثلاثة أحمدين وثلاث زينبات، ولكن قد يتعين إضافته إلى جمع السلامة. وذلك إذا لم يوجد للاسم جمع التكسير.

و﴿سَبْعِ بَقَرَٰتٍ﴾ من هذا الباب؛ لأن «البقرات» جمع بقرة، وليس له جمع تكسير، وأما الأبقار فهو جمع بقر، بدون التاء. وقد يترجح جمع السلامة، وذلك إذا جاور ما أهمل جمع تكسيره، ومن ذلك: ﴿وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ﴾، فهي جمع سنبلة، وله جمع التكسير، وهو: سنابل، كما قال تعالى: ﴿سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ولكن هنا ذكر ﴿سُنۢبُلَٰتٍ﴾ بجمع التكسير لمجاورته لـ﴿بَقَرَٰتٍ﴾ الذي أهمل تكسيره، والله أعلم.

وقد نبهنا على هذا في رسالتنا «إحكام العُدد».

٤٧- ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ﴾ أي: ازرعوا[١] ﴿سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾ متتابعة[٢]، وهي تأويل السبع السمان ﴿فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ﴾ أي: اتركوه ﴿فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ لئلا يفسد ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ٤٧﴾ فادرُسوه[٣].

٤٨- ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: السبع المخصبات ﴿سَبۡعٞ شِدَادٞ﴾ مجدبات صعاب، وهي تأويل السبع العجاف ﴿يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ﴾ من الحب المزروع في السنين المخصبات، أي: تأكلونه فيهن[٤] ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ٤٨﴾ تدخرون.

٤٩- ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾[٥] أي: السبع المجدبات ﴿عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ بالمطر[٦] ﴿وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ٤٩﴾ الأعناب وغيرها لخصبه.

٥٠- ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ﴾ لما جاءه الرسول[٧] وأخبره بتأويلها ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ﴾ أي:

---

(١) قوله: (ازرعوا). أشار إلى أن ﴿تَزۡرَعُونَ﴾ جملة خبرية، بمعنى: الإنشاء، فتكون من المجاز المرسل.

(٢) قوله: (متتابعة): على هذا يكون ﴿دَأَبٗا﴾ حالًا من ﴿سَبۡعَ سِنِينَ﴾، وهو مصدر بسكون الهمزة وفتحها لغتان ووقع بهما القراءة، بمعنى اسم الفاعل، ويحتمل كونه صفة للمصدر، مفعولًا مطلقًا، أي: زرعًا متتابعًا.

(٣) قوله: (فادرسوه). أي: فدوسوه، والدياسة: إخراج الحب من السنبلة، معروفة عند الزراع.

(٤) قوله: (أي: تأكلونه فيهن). أشار به إلى أن إسناد الأكل إلى السنين من باب المجاز العقلي، حيث أسند الفعل إلى الزمان، كما يقال: نهارهُ صائم.

(٥) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ قال ابن جرير: «هذا خبر من يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ للقوم عما لم يكن في رؤيا ملكهم، ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله دلالة على نبوته وحجة على صدقه».اهـ. ونقله عن ابن عباس.

(٦) قوله: (بالمطر). كذا قاله قتادة، والضحاك، ومجاهد وغيرهم.

(٧) قوله: (لما جاءه...). أشار به إلى أن في الكلام إيجاز حذف.

بالذي عبرها ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ﴾ أي: يوسف[(١)] ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ وطلبه للخروج ﴿قَالَ﴾ قاصدًا إظهار براءته[(٢)] ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ﴾ أن يسأل[(٣)] ﴿مَا بَالُ﴾ حال ﴿ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي﴾ سيدي[(٤)] ﴿بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠﴾ فرجع، فأخبر الملك، فجمعهن.

٥١- ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ﴾ شأنكن ﴿إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾[(٥)] هل وجدتن منه ميلا إليكن ﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ

---

(١) قوله: (أي: يوسف). بالنصب تفسير للهاء. والفاعل: ﴿ٱلرَّسُولُ﴾.

(٢) قوله: (قاصدًا إظهار براءته). أي: امتنع من الخروج حتى يتحقق الملك ورعيته براءة ساحته مما نسب إليه من جهة امرأة العزيز، وأن هذا السجن كان ظلمًا. كما ذكره ابن كثير وغيره. وهذا من كمال حلم يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وصبره وأناته، وقد مدح ذلك رسول الله ﷺ، فيما رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وفيه قال ﷺ: «**ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي**».هـ. [«فتح الباري» (٨/ ٢١٦)، مسلم (١/ ٣٣١)].
وفيما رواه ابن جرير عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال النبي ﷺ: «**لو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم جاءني الداعي لأجبته إذ جاءه الرسول، فقال: ارجع إلى ربك، فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن...**».

(٣) قوله: (أن يسأل). قدره لتوضيح المعنى؛ لأن هذا الرسول سوف يطلب من الملك أن يسأل عن النسوة. ولذا جمع الملك النسوة وسألهنّ. وجملة ﴿مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ﴾ سدت مسد المفعول الثاني للسؤال، و﴿مَا﴾ استفهامية مبتدأ، و﴿بَالُ﴾ خبرها.

(٤) قوله: (سيدي). على هذا يكون المراد بـ﴿رَبِّي﴾ هو العزيز؛ لأنه كان عالمًا ببراءة يوسف، ويحتمل كون المراد به الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد ذكر المعنيين ابن جرير.

(٥) ﴿إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ﴾. يحتمل كون المراد بمراودتهن: قولهن: أطع مولاتك يوم قطعن أيدهن، ويحتمل غير ذلك، كما ذكره القرطبي. وقد تقدم إعراب ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ [الآية: ٣١].

﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ﴾ وضح ﴿ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ في قوله: «هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى»، فأخبر يوسف بذلك، فقال[1]:

﴿٥٢﴾- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: طلب البراءة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ﴾ في أهله ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ حال ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ ثم تواضع لله، فقال[2]:

❁❁❁

---

(١) ﴿حَصْحَصَ﴾. نقل القرطبي، وابن جرير: «أصله: حصص، فالحاء الثانية مزيدة على وزن «فَعْفَلَ»، والحصّ: استئصال الشيء، فالمعنى: انقطع الحق عن الباطل بظهوره وثباته.

وهذا القول منها: إظهار لتوبتها وتحقيق لصدق يوسف وكرامته؛ لأن إقرار المقر أقوى من الشهادة، فجمع الله تعالى ليوسف الشهادة والإقرار».اهـ. ملخصًا من القرطبي.

(٢) قوله: (فقال:...). أي: قال يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ما بعده مما ذكر في الآية التالية والتي بعدها.

تنبيه: ما ذكره المفسر من أن هذا قول يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رواه ابن جرير عن مجاهد وقتادة، ولم يذكر سواه، وعزاه ابن كثير إلى مجاهد وابن جبير وعكرمة والضحاك والحسن وغيرهم. وذكره كثير من المفسرين.

ولكن رجح ابن كثير أن هذا من قول امرأة العزيز، فالمعنى: إنما اعترفت بهذا على نفسي ليعلم زوجي أني لم أخنه في نفس الأمر ولم يقع المحذور الأكبر، وإنما وقعت المراودة، ثم اعتذرت بأن النفس تتحدث وتتمنى فهي أمارة بالسوء.

وقال ابن كثير: «هذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام».اهـ، وأفرده ابن تيمية بتصنيف.

وقوَّى القرطبي القول الأول، وقال: «القول الثاني مبني على أنه لم يوجد من يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ همّ».

الخلاصة: هما قولان للمفسرين، وجرى المفسر على القول الأول، وهو الذي لم يحك ابن جرير سواه، فلا داعي للتشنيع على المفسر كما فعله الدكتور قباوة في شرحه على «الجلالين».اهـ.

الجزء (١٣)

(٥٣) - ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾ من الزلل[١] ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ﴾ الجنس[٢] ﴿لَأَمَّارَةُۢ﴾ كثيرة الأمر ﴿بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا﴾ بمعنى: «من»[٣] ﴿رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ فعصمه ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٥٣)﴾.

(٥٤) - ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ أجعله خالصًا لي[٤] دون شريك، فجاءه الرسول، وقال: «أجب الملك»، فقام وودع أهل السجن[٥]، ودعا لهم، ثم اغتسل ولبس ثيابًا حسانًا، ودخل عليه ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ﴾ له: ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ (٥٤)﴾ ذو مكانة وأمانة على أمرنا، فماذا ترى أن نفعل؟[٦] قال: «اجمع

---

(١) قوله: (من الزلل). وهو أخف من المعصية، والأنبياء معصومون من المعاصي، وهذا بناءً على أن هذه الآية من مقول يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ويكون هذا الكلام منه على سبيل التواضع والبعد عن تزكية النفس المنهي عنها، كما جرى على ذلك ابن جرير وغيره.

(٢) وقوله: (الجنس) أفاد أن «أل» في ﴿ٱلنَّفۡسَ﴾ للجنس، لا للعهد؛ لأن نفوس الأنبياء معصومة عن كونها أمارة بالسوء.

(٣) وقوله: (بمعنى: «من») أي: ﴿مَا﴾ هنا للعاقل، وهو مستثنى من ﴿ٱلنَّفۡسَ﴾.

(٤) قوله: (أجعله خالصًا) يعني: أجعله خالصًا لنفسي أفوّض إليه أمر مملكتي. القرطبي.

(٥) قوله: (فقام وودّع...) ذكر البيضاوي قريبًا مما قاله المفسر بدون عزو، بل بقوله: «رُوي». وأشار المفسر إلى تقدير جملٍ، فيكون الكلام من إيجاز الحذف هنا، وفيما يلي.

(٦) قوله: (فماذا ترى أن نفعل). ذكر ذلك القرطبي في تفسيره بسياق أطول، وفيه: «قال الملك: من لي بتدبير هذه الأمور؟ لو جمعت أهل مصر جميعًا ما أطاقوا، ولم يكونوا فيه أمناء. فقال يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عند ذلك: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾، أي: على خزائن أرضك.
وذكر القرطبي: «أن يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ تزوج بزليخا -امرأة العزيز- بعد ذلك وولد له منها ولدان: إفراشيم، ومنشا، وقيل: ميشا. وكان زوجها -العزيز- توفي قبل ذلك».
ونقل ابن كثير عن مجاهد: «إن الملك قد أسلم على يدي يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ»، وقال أيضًا: =

الطعام، وازرع زرعًا كثيرًا في هذه السنين المخصبة، وادخر الطعام في سنبله، فتأتي إليك الخلق ليمتاروا منك»، فقال: ومن لي بهذا؟

(٥٥)- ﴿قَالَ﴾ يوسف: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أرض مصر ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾ ذو حفظ وعلم بأمرها، وقيل: كاتب حاسب[1].

(٥٦)- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كإنعامنا عليه بالخلاص من السجن ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض مصر ﴿يَتَبَوَّأُ﴾ ينزل ﴿مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾ بعد الضيق والحبس. وفي القصة[2] أن الملك توَّجه وختَّمه وولَّاه مكان العزيز، وعزله، ومات بعد، فزوجه امرأته، فوجدها عذراء، وولدت له ولدين، وأقام العدل بمصر، ودانت له الرقاب ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾.

(٥٧)- ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ﴾ من أجر الدنيا[3] ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧﴾ ودخلت سنو القحط[4]، وأصاب أرض كنعان والشام.

= «يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ طلب الولاية؛ لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح، ولذا قال: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾». قال ابن كثير: «يجوز للرجل أن يذكر ما في نفسه من الصلاح إذا جهل أمره للحاجة».

(١) قوله: (وقيل: كاتب حاسب)، أي في تفسير ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾. نقله القرطبي بدون عزو. ونقل: إنه أول من كتب في القراطيس.

(٢) قوله: (وفي القصة...) ما ذكره من القصة رواه ابن جرير عن ابن إسحٰق بسياق أطول، وروى عن السدي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾، قال: «استعمله الملك على مصر، وكان صاحب أمرها، وكان يلي البيع والتجارة، وأمرها كله».اهـ. وروى بنحوه عن ابن زيد.

(٣) قوله: (من أجر الدنيا). أشار إلى أن ﴿خَيۡرٞ﴾ هنا اسم التفضيل، أصله: أخير، حذفت الهمزة تخفيفًا. وتقدم التفصيل في هذا اللفظ. راجع مثلًا البقرة الآية (١٠٣).

(٤) قوله: (ودخلت سنو القحط). دخول إلى ما بعده، أي: مضت السنوات السبع ذات الخصب، =

(٥٨)- ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ﴾ إلا بنيامين[(١)]؛ ليمتاروا، لما بلغهم إن عزيز مصر يعطي الطعام بثمنه ﴿فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ﴾ أنهم إخوته ﴿وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ (٥٨)﴾ لا يعرفونه[(٢)]؛ لبعد عهدهم به، وظنهم هلاكه، فكلموه بالعبرانية، فقال كالمنكر عليهم[(٣)]: ما أقدمكم بلادي؟ فقالوا: للميرة، فقال: لعلكم عيون، قالوا: معاذ الله، قال: فمن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعان، وأبونا يعقوب نبي الله، قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا: نعم، كنا اثني عشر، فذهب أصغرنا، هلك في البرية، وكان أحبنا إليه[(٤)]،

= ثم جاءت السبع الشداد، ووصل القحط إلى بلاد كنعان وهي التي بها يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وإخوة يوسف.

قال السدي وابن إسحٰق وغيرهما: «عم القحط بلاد مصر بكمالها، ووصل إلى كنعان والشام، واحتاط يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ للناس في غلاتهم، وجمعها أحسن جمع، وورد عليه الناس من سائر الأقاليم يمتارون لأنفسهم ولعيالهم، فكان لا يعطي الرجل أكثر من حمل بعير في السنة، وكان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لا يشبع نفسه ولا يأكل هو والملك وجنودهما إلا أكلة واحدة في وسط النهار، وكان رحمة لأهل مصر ومن جاورها.

وكان من جملة من ورد للميرة إخوة يوسف عن أمر أبيهم لهم في ذلك فإنه بلغهم أن عزيز مصر يعطي للناس الطعام بثمنه، فجاءهم إخوته كما قص الله تعالى في الآيات التالية».اهـ. مختصرًا من ابن كثير.

(١) قوله: (إلا بنيامين) وهو أخو يوسف الشقيق، وغيره من الإخوة أخوة من الأب، كما تقدم ذكر ذلك.

(٢) قوله: (لا يعرفونه) تفسير لـ﴿مُنكِرُونَ﴾، وذلك لأنهم ما كانوا يستشعرون أنه بلغ بهذه المنزلة.

(٣) قوله: (فقال كالمنكر عليهم)، أي: قال يوسف لإخوته... وما قاله المفسر من محاورة يوسف مع إخوته نقله ابن كثير عن السدي وغيره بلفظه إلى قوله: «فأمر بإنزالهم وإكرامهم».

(٤) وقوله: (كان أحبنا إليه) أي: كان هو أحبنا إلى أبينا يعقوب.

وبقي شقيقه[١]، فاحتسبه ليتسلى به عنه، فأمر بإنزالهم وإكرامهم.

(٥٩) - ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ وفَّى لهم كيلهم[٢] ﴿قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ أي: بنيامين؛ لأعلم صدقكم فيما قلتم ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ﴾ أتمه من غير بخس[٣] ﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ٥٩﴾.

(٦٠) - ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾ أي: ميرة ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ ٦٠﴾ نهي[٤]، أو عطف على محل «فَلَا كَيْلَ»، أي: تحرموا، ولا تقربوا.

(٦١) - ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ سنجتهد في طلبه منه ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ٦١﴾ ذلك.

(٦٢) - ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰتِهِ﴾ وفي قراءة: «لِفِتْيَٰنِهِ»[٥]: غلمانه: ﴿ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ﴾

---

(١) وقوله: (وبقي شقيقه) أي: وهو بنيامين، فاحتبسه أي: جعله يعقوب عنده، ولم يرسله معهم؛ ليتسلى ويستأنس به عن أخيه المفقود.

(٢) قوله: (وفى لهم) أي: أوفى لهم الطعام وحمله لهم أحمالهم.

(٣) قوله: (من غير بخس) أي: نقص، قال ذلك ترغيبًا لهم في الرجوع، كما في ابن كثير: «﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ٥٩﴾: أي: خير من أنزل ضيفًا على نفسه فأنا أضيفكم».اهـ. كما في ابن جرير.

(٤) قوله: (نهي) يعني أن «لا» في ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ ٦٠﴾ إما ناهية، والفعل مجزوم بحذف النون، والنون الموجودة فيها نون الوقاية، وياء المتكلم بعدها محذوفة، والواو استئنافية، أو «لا» نافية، والواو عاطفة على محل الجواب، وهو: ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ﴾؛ فهي جملة في محل جزم، و﴿تَقْرَبُونِ﴾ مجزوم بالعطف عليه، والنون للوقاية كما تقدم.

الحاصل: أن ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ ٦٠﴾ مجزوم إما بـ«لا» الناهية، أو بالعطف على محل الجواب.

(٥) قوله: (وفي قراءة: ....) هنا قراءتان: ﴿لِفِتْيَٰنِهِ﴾: قراءة حفص وحمزة والكسائي وخلف. و﴿لِفِتْيَٰتِهِ﴾: قراءة الباقين. وهما جمع «فتًى»، ولكن «الفتية» جمع قلة، و«الفتيان» جمع كثرة.

التي أتوا بها ثمن الميرة، وكانت دراهم[١] ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾ أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ﴾ وفرَّغوا أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ إلينا؛ لأنهم لا يستحلون إمساكها[٢].

﴿٦٣﴾- ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾[٣] إن لم ترسل أخانا إليه ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ بالنون والياء[٤] ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿٦٤﴾- ﴿قَالَ هَلْ﴾ ما ﴿ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾[٥] ﴿إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾ يوسف ﴿مِن قَبْلُ﴾ وقد فعلتم به ما فعلتم ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا﴾ وفي قراءة: «حَـٰفِظًا»[٦] تمييز[٧]

(١) قوله: (وكانت دراهم)، كما روى عن قتادة قال: «أي: أوراقهم».اهـ. والأوراق جمع وَرِق، وهو الفضة.

(٢) قوله: (لأنهم لا يستحلون...) فيه إشارة إلى سبب رجوع بضاعتهم إليهم، ذكر لذلك أسباب منها: أنه خشي يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أن لا يكون عندهم بضاعة أخرى يرجعون بها للميرة.
ومنها: أنه علم أنهم يتحرجون من إمساكهم ثمن طعام قبضوه، وهو الذي أشار له المفسر.
ومنها: أنه أراد التوسع مع حاجتهم إلى البضاعة لوجود القحط. ذكر ذلك ابن جرير وغيره.

(٣) ﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ يريدون: في غير هذه المرة.

(٤) قوله: (بالنون والياء) بالياء: ﴿يَكْتَلْ﴾: قراءة حمزة والكسائي وخلف. وبالنون: ﴿نَكْتَلْ﴾: قراءة الباقين. ووجهها واضح.

(٥) قوله تعالى: ﴿ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ ...﴾ الآية هذا الأسلوب يسمى: تلميحًا عند البلاغيين. وهو الإشارة إلى قصة أو شعر مشهور. وأشار المفسر بـ(ما) إلى أن الاستفهام بمعنى: النفي.

(٦) قوله: (وفي قراءة: ﴿حَـٰفِظًا﴾): وهي قراءة حمزة وحفص والكسائي وخلف. و﴿حِفْظًا﴾: قراءة الباقين.

(٧) وقوله: (تمييز) أي: ﴿حَـٰفِظًا﴾ تمييز كـ﴿حِفْظًا﴾. ولكنه مشتق. والأكثر في التمييز كونه جامدًا، وقد يأتي مشتقًا، كما في: (لله دره فارسًا)، «فارسًا» تمييز وهو مشتق.

كقولهم: لله دره فارسًا ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ فأرجو أن يمن بحِفْظِه.

﴿٦٥﴾ - ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ﴾ «مَا»: استفهامية[(١)]، أي: أي شيء نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا، وقرئ بالفوقانية[(٢)] خطابًا ليعقوب، وكانوا ذكروا له إكرامه لهم ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ نأتي بالميرة لهم[(٣)]، وهي الطعام ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ﴾ لأخينا ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾ سهل على الملك لسخائه[(٤)].

﴿٦٦﴾ - ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا﴾ عهدًا ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بأن تحلفوا ﴿لَتَأْتُنَّنِى[(٥)] بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ﴾ بأن تموتوا[(٦)]، أو تغلبوا فلا تطيقوا الإتيان به،

---

(١) قوله: (﴿مَا﴾ استفهامية). هكذا روى ابن جرير عن قتادة، قال: «ما نبغي وراء هذا؟ إن بضاعتنا ردت إلينا وقد أوفى لنا الكيل».اهـ. فتكون «ما» في محل نصب مفعول مقدم لـ﴿نَبْغِى ۖ﴾.

(٢) قوله: (وقرئ بالفوقانية) أي: ﴿تَبْغِى ۖ﴾ بتاء الخطاب ليعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ. وهي قراءة شاذة، كما أشار إليه المفسر بقوله: (قرئ).

(٣) قوله: (نأتي بالميرة) يقال: مار يميرُ ميرًا، كـ«باع».

(٤) قوله: (سهل على الملك) هذا أحد المعاني لهذه الجملة. فالإشارة إلى كيل بعير، وقيل: الإشارة إلى ما كيل لهم، فالمعنى: ذلك الذي حصلنا كيل يسير لا يكفينا ولذا نزداد كيل بعير، وقيل غير ذلك. كما في البيضاوي.

(٥) ﴿لَتَأْتُنَّنِى﴾ جواب قسم. أشار إليه المفسر، والفعل معرب مرفوع علامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لاجتماع الأمثال، وكان أصله: تأتونَنَّنِي، الأولى نون الرفع، والثانية المشددة للتوكيد، والأخيرة: نون الوقاية. فحذفت نون الرفع لاجتماع الأمثال. ثم الواو لالتقاء الساكنين أو للتخفيف، ولدلالة الضم عليها. كما بين في علم الصرف. فبقيت نون التأكيد المشددة ونون الوقاية.

(٦) قوله: (بأن تموتوا...) كذا روى عن مجاهد، (أو تغلبوا...) عن قتادة وابن إسحٰق. والمعنى: إذا وقع ذلك يكون عذرًا لكم عندي. كما ذكره ابن جرير.

فأجابوه إلى ذلك ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ بذلك ﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ نحن وأنتم ﴿وَكِيلٌ ۝٦٦﴾[١] شهيد، وأرسله معهم.

٦٧- ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ﴾ مصر ﴿مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ لئلا تصيبكم العين[٢] ﴿وَمَآ أُغْنِي﴾ أدفع ﴿عَنكُم﴾ بقولي ذلك ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مِن﴾ زائدة[٣] ﴿شَيْءٍۖ﴾ قدره عليكم[٤]، وإنما ذلك شفقة ﴿إِنِ﴾ ما ﴿ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾ وحده ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ﴾ به وثقت ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝٦٧﴾.

٦٨- قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ أي: متفرقين ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: قضائه ﴿مِن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ إِلَّا﴾ لكن[٥]

---

(١) ﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۝٦٦﴾ فاعل ﴿قَالَ﴾: الضمير المستتر العائد إلى يعقوب، والاسم الكريم مبتدأ، خبره: ﴿وَكِيلٌ﴾.

(٢) قوله: (لئلا تصيبكم العين). كذا رواه ابن جرير عن ابن عباس، والضحاك، والسدي، وقتادة، ومحمد بن كعب، وابن إسحٰق. قال قتادة: «كانوا قد أوتوا صورة وجمالًا فخشي عليهم أنفس الناس».اهـ. وبذلك فسره ابن كثير، والقرطبي وغيرهما من المفسرين، خلافًا لما ذهب إليه بعض المعاصرين منهم د. فخرالدين قباوة من تأويل آخر، من أن يعقوب أُلْهِم أنه سيلقى بنيامين يوسف، ويريد أن يكون ذلك على انفراد... إلى آخر ما قاله؛ كأنه يبتعد عن وجود العين والإصابة بها، مع أنه قد تضافرت النصوص النبوية في حقية العين، ولا أدري لأي شيء ينفرون عن تفسير السلف!! وما ذكره من التأويل فيه بعد عن سياق الآية.

(٣) قوله: (زائدة) أي: إعرابًا، ومؤكدة للعموم معنًى، وكذا فيما يأتي.

(٤) قوله: (قدره عليكم) الجملة نعت لـ﴿شَيْءٍۖ﴾، أي: لا أدفع عنكم شيئًا مقدرًا من الله تعالى.

(٥) قوله: (لكن) أفاد أن الاستثناء منقطع.

﴿حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ وهي إرادة دفع العين شفقة[(١)] ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ لتعليمنا إياه[(٢)] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ إلهام الله لأصفيائه.

﴿٦٩﴾- ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ﴾ ضم[(٣)] ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ تحزن[(٤)] ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ من الحسد لنا، وأمره أن لا يخبرهم، وتواطأ معه[(٥)] على أنه سيحتال على أن يبقيه عنده.

﴿٧٠﴾- ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ هي صاع من الذهب مرصع بالجوهر[(٦)] ﴿فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بنيامين ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد بعد انفصالهم

---

(١) قوله: (وهي إرادة...). هكذا روى ابن جريرعن مجاهد، وابن إسحٰق، وبه فسر ابن كثير، والبيضاوي وغيرهما. وقيل: لئلا يرى الملك عددهم وقوتهم. نقله القرطبي عن النحاس.

(٢) قوله: (لتعليمنا). أفاد أن «ما» مصدرية، والهاء يعود ليعقوب، ويصح كون «ما» اسمًا موصولًا، والعائد إليه محذوف، والمعنى: للوحي الذي علمناه إياه. والله أعلم، كما يعلم من البيضاوي.

(٣) قوله: (ضمّ). قال قتادة: «ضم إليه وأنزل معه». وعن السدي وابن إسحٰق: «أنه نزّل يوسف كل اثنين في منزلٍ أو فراش، وبقي بنيامين مفردًا فضمه إليه، وقال: هذا ينام معي».اهـ. ملخصًا.

(٤) قوله: (تحزن) كما روى عن السدي وقتادة، وهو افتعال من البؤس، أفاده ابن جرير.

(٥) قوله: (وتواطأ معه...) أي: اتفق يوسف مع بنيامين أنه سيحتال بحيلة ليبقى عنده.

(٦) قوله: (هي صاع...) فالسقاية والصواع شيء واحد. قال ابن جرير: «كان يشرب فيه الملك ويكيل به الطعام».اهـ.

وقوله: (من ذهب...) نقل القرطبي عن ابن عباس: «كان من فضة مرصّع بالجوهر».=

عن مجلس يوسف: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ٧٠﴾.

٧١- ﴿قَالُوٓاْ وَ﴾ قد[1] ﴿أَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا﴾ ما الذي[2] ﴿تَفْقِدُونَ ٧١﴾ه.

٧٢- ﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ﴾ صاع ﴿ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ﴾ بالحمل ﴿زَعِيمٌ ٧٢﴾ كفيل[3].

٧٣- ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ﴾ قسم فيه معنى التعجب ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣﴾ ما سرقنا قط[4].

= وعن عبدالرحمن بن زيد: «كان من ذهب». وعن عكرمة: «كان من فضة»، والله أعلم. ومن ذلك يعلم أن ذلك كان جائزًا في شرعهم.

(١) قوله: (﴿وَ﴾ قد) قدر «قد» ليفيد أن جملة ﴿أَقْبَلُواْ﴾ في محل نصب حال. والجملة المبدوءة بالماضي إذا وقعت حالًا وجب اقترانها بـ«قد» لفظًا أو تقديرًا. وقد سبق نظائر ذلك.

(٢) قوله: (ما الذي) على هذا يكون «ذا» اسمًا موصولًا في محل رفع خبر لـ«ما» الاستفهامية، وهي مبتدأ، و﴿تَفْقِدُونَ﴾ صلة الموصول، وتكون «ذا» اسمًا موصولًا إذا تقدمها «ما» أو «من» الاستفهاميتان. ويجوز جعل ﴿مَّاذَا﴾ كلمة واحدة؛ فتكون في محل نصب مفعولًا مقدمًا. ومعلوم أن «ذا» تكون اسمًا موصولًا بثلاثة شروط:

١- سبق «ما» أو «من» الاستفهاميتين.

٢- ألا تجعل «ماذا» أو «من ذا» كلمة واحدة.

٣- ألا تكون «ذا» اسم إشارة. وقد سبق في سورة البقرة الآية (٢١٥).

(٣) قوله: (كفيل). وهو الذي يضمن بالشيء لغيره، ويسمى زعيمًا وكفيلًا وضمنيًا وحميلًا وضامنًا. وأحكام الضمان والكفالة مذكورة في كتب الفقه.

(٤) قوله: (ما سرقنا قط). قال ابن جرير: «ذُكر أنهم كانوا ردُّوا البضاعة التي كانوا وجدوها في رحالهم، فقالوا: لو كنا سراقًا لم نرد عليكم البضاعة التي وجدناها في رحالنا».اهـ. والله أعلم.

(٧٤)- ﴿قَالُواْ﴾ أي: المؤذن وأصحابه ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ أي: السارق ﴿إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ (٧٤)﴾ في قولكم: ما كنا سارقين، ووجد فيكم[(١)].

(٧٥)- ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ﴾ يسترق[(٢)]، ثم أكّد بقوله[(٣)]: ﴿فَهُوَ﴾ أي: السارق ﴿جَزَٰٓؤُهُۥۚ﴾ أي: المسروق، لا غير، وكانت سُنَّةَ آل يعقوب[(٤)] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ (٧٥)﴾ بالسرقة، فَصُرِفُوا إلى يوسف[(٥)] بتفتيش أوعيتهم.

(٧٦)- ﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ﴾ ففتشها ﴿قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ لئلا يتهم ﴿ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا﴾ أي: السقاية ﴿مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ﴾، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكيد ﴿كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ﴾ علمناه الاحتيال لأخذ أخيه[(٦)] ﴿مَا كَانَ﴾ يوسف ﴿لِيَأۡخُذَ

---

(١) قوله: (ووجد فيكم). أي: وجد فيكم من أخذ الصواع.

(٢) قوله: (يسترق). أي: يجعل رقيقًا للمسروق منه. قال ابن كثير: «وهكذا كانت شريعة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن السارق يدفع إلى المسروق منه».اهـ. أي يجعل رقيقًا عنده.

(٣) وقوله: (ثم أكد...). يعني: أن قوله ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ﴾ جملة مؤكدة لما قبلها. وما ذكره المفسر هو أحد الأوجه في إعراب الآية. ويحتمل كون ﴿مَن﴾ شرطية، و﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ﴾ جواب الشرط، والجملة الشرطية خبر المبتدأ، ويحتمل غير ذلك، كما بينه المعربون.

(٤) قوله: (وكانت سنة آل يعقوب). أي: استرقاق السارق عند المسروق منه كان الحكم المعمول به في شريعة يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٥) قوله: (فصُرِفُوا...). أي: ردّوا من ذلك المكان إلى يوسف ليجتمعوا عنده وليفتش أوعيتهم. وفي بعض النسخ: (فصرحوا) بالحاء، وفيه نوع خفاء.

(٦) قوله: (علمناه الاحتيال). أفاد به أن ما فعله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كان بوحي من الله تعالى. قال ابن كثير: «وهذا من الكيد المحبوب المراد الذي يحبه الله ويرضاه؛ لما فيه من الحكمة والمصلحة».اهـ.

﴿أَخَاهُ﴾ رقيقًا عن السرقة ﴿فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ حكم ملك مصر[١]؛ لأن جزاءه[٢] عنده الضرب، وتغريم مثلي المسروق، لا الاسترقاق ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أخذه بحكم أبيه[٣]، أي لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله بإلهامه سؤال إخوته وجوابهم بسنتهم ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ بالإضافة والتنوين[٤] في العلم، كيوسف ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ﴾ من المخلوقين ﴿عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ أعلم منه حتى ينتهي إلى الله تعالى[٥].

---

(١) قوله: (حكم ملك مصر). قاله الضحاك وغيره.

(٢) وقوله: (لأن جزاءه...). نقل ذلك القرطبي عن قتادة.

(٣) قوله: (بحكم أبيه). أي: بحكم شريعة أبيه يعقوب. والاستثناء ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ منقطع، لأن الأخذ بشريعة يعقوب ليس من جنس دين الملك، ويمكن كونه متصلًا على معنى: ما كان يمكنه الأخذ على دين الملك ولا أي حالٍ إلا بمشيئة الله تعالى. وربما يشير إلى ذلك قول المفسر.

(٤) قوله: (بالإضافة والتنوين). هنا ثلاث قراءات:

١- ﴿يَرْفَعُ دَرَجَٰتِ مَن نَّشَآءُۗ﴾: بالياء ﴿يَرْفَعُ﴾، وإضافة ﴿دَرَجَٰتِ﴾ إلى ﴿مَن﴾: قراءة يعقوب.

٢- ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتِ مَن نَّشَآءُۗ﴾: بالنون ﴿نَرْفَعُ﴾، والإضافة: قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وأبي جعفر.

٣- ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ﴾: بالنون، وتنوين ﴿دَرَجَٰتٍ﴾: قراءة الباقين.

وعلى هذه القراءة يكون ﴿مَّن﴾ في محل نصب مفعول ﴿نَرْفَعُ﴾، و﴿دَرَجَٰتٍ﴾ منصوب على الظرفية. كما ذكره الدوريش في «إعراب القرآن».

(٥) قوله: (أعلم منه...) وبنحوه فسره الحسن البصري، وكذا فسر ابن جرير وابن كثير. قال الحسن البصري: «ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهي إلى الله عَزَّوَجَلَّ».اهـ. نقله ابن كثير.

٧٧- ﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ[(١)] أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ أي: يوسف، وكان سرق[(٢)] لأبي أمه صنمًا من ذهب فكسره؛ لئلا يعبدوه ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا﴾ يظهرها ﴿لَهُمۡۚ﴾ والضمير للكلمة التي في قوله[(٣)]: ﴿قَالَ﴾ في نفسه: ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ﴾ من يوسف[(٤)] وأخيه؛ لسرقتكم أخاكم من أبيكم، وظلمكم له ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾ تذكرون من أمره.

٧٨- ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا[(٥)] شَيۡخٗا كَبِيرٗا﴾ يحبه أكثر منا، ويتسلى به

---

(١) قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ سَرَقَ﴾: جواب الشرط في الظاهر. أما باعتبار المعنى فهو دال على الجواب المحذوف، أي: إن يسرق فلا عجب لأن أخاه قد سرق.

(٢) وقوله: (وكان سرق...). ما ذكره المفسر مروي عن قتادة، وسعيد بن جبير، وابن جريج. وفيه أقوال أخر، ونقل القرطبي عن الحسن: «أنهم كذبوا عليه فيما نسبوه إليه».

(٣) قوله: (والضمير للكلمة...) المراد بالضمير: «ها» في قوله: ﴿فَأَسَرَّهَا﴾، ﴿وَلَمۡ يُبۡدِهَا﴾، والمعنى: أسرّ يوسف في نفسه قوله: ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ﴾. قاله ابن عباس، وقتادة. وفسر به ابن جرير، وابن كثير. ونقل القرطبي عن ابن شجرة، وابن عيسى: «الضمير يعود إلى قولهم: ﴿إِن يَسۡرِقۡ﴾».

(٤) قوله: (من يوسف...). أفاد أن ﴿شَرّٞ﴾ هنا اسم التفضيل. وكان أصله: أشر، بالهمزة، حذفت تخفيفًا. وقد يستعمل بمعنى السيئة، فلا تفضيل فيه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة: ٨]، وغيره. وكذلك لفظ «خير» يستعمل على الوجهين. وبنحو ما فسر به المفسر فسر ابن جرير. وتقدم ذلك في البقرة الآية (١٠٣) وغيرها.

(٥) قوله تعالى: ﴿أَبٗا﴾ اسم «إن» منصوب بالفتحة، لا بالألف؛ لأن من شروط إعراب الأسماء الستة بالحروف كونها مضافة، وههنا ليس مضافًا، وهو واضح.

عن ولده الهالك، ويحزنه فراقه ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا﴾ استعبده ﴿مَكَانَهُۥٓ﴾ بدلًا منه ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ في أفعالك.

﴿٧٩﴾- ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ نصب على المصدر[١]، حذف فعله وأضيف إلى المفعول، أي: نعوذ بالله من ﴿أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ لم يقل: من سرق؛ تحرزًا من الكذب ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ إن أخذنا غيره[٢] ﴿لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

﴿٨٠﴾- ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟﴾ يئسوا[٣] ﴿مِنْهُ خَلَصُوا۟﴾ اعتزلوا ﴿نَجِيًّا﴾ مصدر يصلح للواحد وغيره[٤]، أي: يناجي بعضهم بعضًا ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ سِنًّا[٥]،

(١) قوله: (نصب على المصدر) أي: ﴿مَعَاذَ﴾ منصوب على أنه مفعول مطلق لفعله المحذوف، وهو مصدر ميمي، ولا يستعمل إلا مفعولًا مطلقًا، فهو من المصادر الجامدة. كما تقدم في الآية (٢٣) من هذه السورة.

(٢) قوله: (إن أخذنا غيره) أفاد أن التنوين في ﴿إِذًا﴾ تنوين عوض عن جملة. و﴿إِذًا﴾ ظرف تضمن معنى العلة.

ويحتمل أن «إذنْ» حرف جواب جيء به للتأكيد. والله أعلم.

(٣) قوله: (يئسوا) أفاد أن الاستفعال هنا مجرد عن معنى الطلب.

(٤) قوله: (مصدر) قاله ابن جرير: «يقال: نجوت فلانًا أنجوه نجيًّا: ووزنه: فعيل، فاستعمل بمعنى اسم الفاعل، وهو هنا حال من الواو في ﴿خَلَصُوا۟﴾.

وقيل: وصف يستعمل للواحد وغيره؛ لأن «فعيلًا» يستعمل للواحد وغيره، نحو: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾، ومن استعمال «نجيّ» في المفرد قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم: ٥٢].

(٥) قوله: (سنًّا): هذا مرويّ عن قتادة أن المراد أكبرهم سنًّا وهو روبيل. واختاره ابن جرير.

روبيل أو رأيًا[١]: يهوذا ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا﴾ عهدًا ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ في أخيكم ﴿وَمِن قَبْلُ مَا﴾ زائدة[٢] ﴿فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾ وقيل: «مَا» مصدرية[٣] مبتدأ، خبره: «وَمِن قَبْلُ»، ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ﴾ أفارق[٤] ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ أرض مصر ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾ بالعود إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى﴾ بخلاص أخي[٥] ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ أعدلهم.

﴿٨١﴾- ﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ﴾ عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ تيقنا[٦] من مشاهدة الصاع في رحله ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾ لما

---

(١) قوله: (أو رأيًا) يعني: عقلًا. وهو يهوذا على قول الكلبي.
وقيل: شمعون روي ذلك عن مجاهد. وعن قتادة: «روبيل هو الذي كان نهى عن قتل يوسف».

(٢) قوله: (زائدة) أي: إعرابًا، لتزيين اللفظ، ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ متعلق بـ﴿فَرَّطتُمْ﴾. والجملة معطوفة على ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ ...﴾، واختار هذا الوجه أبو حيان.

(٣) وقوله: (وقيل: ﴿مَا﴾ مصدرية): أي: فالمصدر المؤول مبتدأ، والمعنى: تفريطكم في يوسف كائن من قبلُ.

(٤) قوله: (أفارق) أشار به إلى أن ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ﴾ هنا تامة، لعدم ذكر خبرها، وفاعلها الضمير المستتر، و﴿ٱلْأَرْضَ﴾ مفعول به.

(٥) قوله: (بخلاص أخي)، قيل: بالسيف، أي: القتال. رواه ابن جرير عن أبي صالح. أو يمكنني من أخذ أخي. ذكره ابن كثير.

(٦) قوله: (تيقنا...) وبنحوه روى ابن جرير عن ابن إسحٰق، ورجحه وروى عن ابن زيد: «وما شهدنا أن السارق يؤخذ بسرقته، إلا لأن ذلك الذي علمنا من شريعتنا، أي: إنهم شهدوا على ذلك حسب شريعتهم، ولم يكن ذلك في حكم مصر» كما تقدم، والغيب بمعنى: اسم الفاعل، كما أشار إليه المفسر.

غاب عنا حين إعطاء الموثق ﴿حَٰفِظِينَ ٨١﴾ ولو علمنا[١] أنه يسرق لم نأخذه.

٨٢- ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ هي مصر[٢]، أي: أرسل إلى أهلها فاسألهم ﴿وَٱلْعِيرَ﴾ أصحاب العير ﴿ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ﴾ وهم قوم من كنعان[٣] ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢﴾ في قولنا، فرجعوا إليه وقالوا له ذلك[٤].

٨٣- ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ﴾ ففعلتموه، اتهمهم لما سبق منهم من أمر يوسف ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ﴾ صبري[٥] ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ﴾ بيوسف وأخويه[٦] ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بحالي ﴿ٱلْحَكِيمُ ٨٣﴾ في صنعه.

٨٤- ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ تاركًا خطابهم ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ الألف[٧] بدل من ياء

---

(١) قوله: (ولو علمنا) وبنحوه قال قتادة وعكرمة: «ما كنا نظن أن ابنك يسرق».

(٢) قوله: (هي مصر). قاله ابن عباس، وقتادة. وإطلاق القرية هنا مجاز مرسل، أطلق المحل وأريد الحال، أي: أهلها. كما أشار إليه المفسر، كذا العير مجاز مرسل لعلاقة المجاورة، وأصله: البعير الذي يحمل الطعام، وأريد هنا أهله، كما قال المفسر.

(٣) قوله: (وهم قوم من كنعان) كما قال ابن جرير وغيره: «القافلة التي كنا فيها».اهـ.

(٤) قوله: (فرجعوا إليه) أي: إلى يعقوب. وهذا دخول إلى ما بعده.

(٥) قوله: (صبري) أفاد أن ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ﴾ خبر مقدم، أو مبتدأ، كما تقدم نظيره.

(٦) قوله: (وأخويه) هما: بنيامين والمتخلف بمصر لأجله، وهو الذي قال: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ إما روبيل، أو يهوذا، أو شمعون على ما تقدم. فهم ثلاثة.

(٧) قوله: (الألف...) فأصله: يا أسفي... والمراد بياء الإضافة: ياء المتكلم المضاف إليها. وقد فصل النحاة ستة أوجه في نداء المضاف إلى ياء المتكلم. وقد ذكرناها سابقًا في سورة هود الآية (٧٢): ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾.

الإضافة، أي: يا حزني ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ انمحى سوادهما، وبُدِّل بياضًا من بُكائه ﴿مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ عليه ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ مغموم مكروب لا يظهر كربه[1].

﴿٨٥﴾- ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ﴾ لا[2] ﴿تَفْتَؤُاْ﴾ تزال ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ مشرفًا على الهلاك، لطول مرضك، وهو مصدر يستوي فيها الواحد وغيره[3] ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾ الموتى.

---

(١) قوله: (مغموم مكروب...). روى نحو ذلك عن أئمة التفسير بألفاظ متقاربة. ومن ذلك ما قال قتادة: «كظيم على الحزن، فلم يقل إلا خيرًا»، وقال ابن زيد: «الكظيم: الذي لا يتكلم بلغ به الحزن حتى كان لا يكلمهم».اهـ.

(٢) قوله: (لا) قدره لأن ﴿تَفْتَؤُاْ﴾ من أخوات «كان» تعمل عملها بشرط تقدم النفي أو شبهه، ما فَتِئَ -مثلًا-. وحذف النفي بعد القسم جائز، ولا يلتبس بالمثبت؛ لأن الفعل لو كان مثبتًا لوجب التأكيد بالنون، نحو: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، فحيث وجد المضارع غير مؤكد بالنون بعد القسم يكون منفيًا، تقدر حرف النفي إن لم تذكر.

فائدة: من أحكام «لا»: أنها قد تزاد فلا يكون لها معنى النفي كما قيل في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ [القيامة: ١]، إن المعنى: أقسم، وكما في قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩] أي: ليعلم. وقد تحذف «لا»، ويكون الكلام منفيًا، كما هنا: ﴿تَفْتَؤُاْ﴾، والله أعلم. و﴿تَفْتَؤُاْ﴾ هنا فعل ناقص، اسمه الضمير المستتر أي: أنت، وخبره جملة: ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾.

(٣) قوله: (وهو مصدر...) يقال: حرِض، يحرض، حرضًا. قال ابن جرير: «وأصل الحرض: الفساد في الجسم أو العقل من الحزن أو العشق».اهـ. ونقل عن ابن عباس: «الجهد من المرض البالي».

(٨٦)- ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي﴾ هو عظيم الحزنِ[١] الذي لا يصبر عليه حتى يبث إلى الناس ﴿وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لا إلى غيره[٢]، فهو الذي تنفع الشكوى إليه ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦)﴾ من أن رؤيا يوسف صدق[٣]، وهو حي، ثم قال[٤]:

(٨٧)- ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ اطلبوا خبرهما[٥] ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ﴾ تقنطوا ﴿مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ رحمته ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ (٨٧)﴾ فانطلقوا نحو مصر ليوسف[٦].

(٨٨)- ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ الجوع[٧] ﴿وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ مدفوعة يدفعها كل من رآها لرداءتها[٨]، وكانت دراهم

---

(١) قوله: (وهو عظيم الحزن...) وبنحوه فسر القرطبي، قال: «حقيقة البث في اللغة: ما يرد على الإنسان من الأشياء المهلكة التي لا يتهيأ له أن يخفيها».اهـ.

(٢) قوله: (لا إلى غيره) أخذ هذا المعنى من ﴿إِنَّمَآ﴾ التي تفيد الحصر.

(٣) وقوله: (من أن رؤيا يوسف...) قاله ابن عباس فيما رواه ابن جرير.

(٤) وقوله: (ثم قال:...) أي: ما بعده: وهذا دخول إلى الآية التالية.

(٥) قوله: (اطلبوا خبرهما) قال القرطبي: «التحسس طلب الشيء بالحواس، وهو تفعل من الحس».اهـ. وقال: «هذا يدل على أنه كان يعقوب متيقنًا بحياة يوسف، إما بالرؤيا، أو بإخبار ملك الموت، أو بإنطاق الله تعالى الذئب، أو تنبه لذلك برد البضاعة، واحتباس أخيه، وإظهار الكرامة... ولذا وجههم نحو مصر».اهـ ملخصًا.

(٦) قوله: (فانطلقوا) أي: إخوة يوسف، ذهبوا نحو مصر يتعرفون يوسف.

(٧) قوله: (الجوع) قال ابن جرير: «الشدة من الجدب والقحط».

(٨) قوله: (مدفوعة...) المزجاة اسم مفعول أزجى يزجي، بمعنى: ساق بالدفع، ومنه: =

زيوفًا[1] أو غيرها ﴿فَأَوۡفِ﴾ أتِمَّ ﴿لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ﴾ بالمسامحة[2] عن رداءة بضاعتنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨﴾ يثيبهم. فرقّ عليهم[3]، وأدركته الرحمة، ورفع الحجاب بينه وبينهم.

٨٩- ثم ﴿قَالَ﴾ لهم توبيخًا: ﴿هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ﴾ من الضرب والبيع وغير ذلك ﴿وَأَخِيهِ﴾ من هضمكم له بعد فراق أخيه ﴿إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩﴾ ما يؤول إليه أمر يوسف.

٩٠- ﴿قَالُوٓاْ﴾ بعد أن عرفوه لما ظهر من شمائله متثبتين[4] ﴿أَءِنَّكَ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين[5] ﴿لَأَنتَ

= ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا﴾ [النور: ٤٣]، فالمعنى: ببضاعة يدفعها ويرميها كل من رآها لرداءتها، كما قال المفسر.

(١) وقوله: (وكانت دراهم...) إشارة إلى الخلاف في تحديد هذه البضاعة. فعن ابن عباس: «كانت دراهم رديئة»، وعن عبدالله بن الحارث: «صوف وسمن»، وقيل غير ذلك. كما روى ابن جرير.

(٢) قوله: (بالمسامحة...) فيه إشارة إلى أن المراد بالصدقة: التسامح؛ لأن الصدقة المالية كانت محرمة على الأنبياء، كما نص عليه القرطبي. وعن ابن عيينة: «أن الصدقة لم تحرم إلا على نبينا ﷺ»، وعلى هذا يجوز كون الصدقة هنا الصدقة المالية.

(٣) قوله: (فرقّ عليهم) الفاء عاطفة، و«رقّ» فعل ماض. أي: رحمَ يوسف بهم ورق قلبه، لما سمع منهم تلك المقالة. روى ذلك ابن جرير عن ابن إسحٰق والسدي.

(٤) قوله: (شمائله) أي: أوصافه. وقوله: (متثبتين) أي: متأكدين.

(٥) قوله: (بتحقيق الهمزتين) الهمزة الأولى: استفهامية، والثانية: همزة «إنّ»، وأشار بذلك إلى أربع قراءات:

١- تحقيق الهمزتين بدون ألف بينهما: قراءة الجمهور. =

﴿يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ﴾ أنعم ﴿ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ بالاجتماع ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾ يخف الله ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على ما يناله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٩٠﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر[1].

٩١- ﴿قَالُوا تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ[2]﴾ فضلك ﴿ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالملك وغيره[3] ﴿وَإِن﴾ مخففة[4]، أي: إنا[5] ﴿كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝٩١﴾ آثمين في أمرك، فأذلنا الله لك.

٢- تحقيقهما مع ألف بينهما إحدى القراءتين عن هشام.

٣- وتسهيل الثانية مع ألف بينهما: قراءة قالون وأبي عمرو.

٤- تسهيل الثانية بدون ألف: قراءة ورش ورويس.

٥- وهنا قراءة خامسة: «إنك» بدون همزة الاستفهام، لابن كثير وأبي جعفر.

(١) قوله: (فيه وضع الظاهر) أي: ﴿أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٩٠﴾ بدلًا من «أجرهم» يفيد وضع الظاهر تعليل الحكم، أي: لا يضيع أجرهم لإحسانهم، والله أعلم.

(٢) ﴿ءَاثَرَكَ﴾ أصله: أَأْثرك بهمزتين، الأولى: زائدة، وهي همزة أَفْعَل، وهي مفتوحة. والثانية: فاء الكلمة، ساكنة، قلبت ألفًا؛ لأنه إذا اجتمعت همزتان في أول الكلمة وثانيهما ساكنة وجب قلبها حسب حركة الأولى، نحو: آمن، أومِنَ، إيمانًا، كما فصل في علم الصرف.

(٣) وقوله: (بالملك وغيره) قال ابن كثير: «في الخَلق والخُلق والسعة والملك والتصرف والنبوة أيضًا، اعترفوا له بالفضل وأقروا بأنهم أساءوا إليه».اهـ. ملخصًا.

(٤) قوله: (مخففة) أي: من «إنّ» المشددة، فهي هنا حرف توكيد.

(٥) وقوله: (أي: إنا) أشار به إلى أنّ «إنْ» عاملة، واسمها محذوف، وإعمال المخففة قليل، فالأولى إهمالها وألا يقدر اسمها، وقد مشى الإمام المحلي أيضًا على إعمال «إن» المخففة، واللام في ﴿لَخَٰطِـِٔينَ﴾ هي اللام الفارقة بين «إن» المخففة والنافية، وهي لازمة عند إهمال «إن» كما قال ابن مالك:

وخففت إنّ فقل العمل ... وتلـزم اللام إذا ما تهمل

وتقدمت هذه المسألة في مواضع مثلًا: آل عمران الآية (١٦٤).

﴿٩٢﴾- ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ﴾ عتب ﴿عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ خصه بالذكر[١]؛ لأنه مظنة التثريب فغيره أولى ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾، وسألهم عن أبيه[٢]، فقالوا: ذهبت عيناه، فقال:

﴿٩٣﴾- ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا﴾، وهو قميص إبراهيم[٣] الذي لبسه حين ألقي في النار كان في عنقه في الجب، وهو من الجنة، أمره جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بإرساله[٤]، وقال: إن فيه ريحها[٥]، ولا يلقى على مبتلى إلا عوفي ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ﴾ يصِرْ[٦] ﴿بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

---

(١) قوله: (خصه بالذكر). أي: خصّ اليوم بالذكر، بأن قيد التثريب به؛ لأن ذلك اليوم مظنة التثريب، حيث ظهر فيه خطؤهم واعترافهم به، فعفا يوسف عنهم وزداهم كرمه بالدعاء لهم.

(٢) قوله: (وسألهم عن أبيه). كذا قاله ابن جرير.

(٣) قوله: (وهو قميص إبراهيم...). نقل ذلك القرطبي عن مجاهد بسياق أوسع، وفيه: «كان ذلك قميص إبراهيم الذي ألبسه الله في النار من حرير الجنة، وكان كساه إسحٰق، وكان إسحٰق كساه يعقوب، وكان يعقوب أدرج ذلك القميص في قصبة من فضة وعلقه في عنق يوسف، لما كان يخاف عليه من العين...».اهـ. ولم يعترض ابن جرير وابن كثير إلى هذه الأمور. وقال أبو حيان: «إنه قميص يوسف الذي كان يلبسه عادة»، وعلى كل حال: هذا القميص مظهر من مظاهر المعجزة كما لا يخفى.

(٤) قوله: (أمره جبريل...). أي: أمر جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يوسف أن يرسل ذلك القميص إلى أبيه يعقوب، أي: كان إرسال القميص بالوحي.

(٥) قوله: (ريحها). أي: ريح الجنة.

(٦) قوله: (يصر). أفاد أنّ ﴿يَأْتِ﴾ ضُمِّنَ معنى يصير، فيكون ﴿بَصِيرًا﴾ خبرًا له، وذهب إليه الزمخشري، وقال البيضاوي: «يرجع بصيرًا»، وعلى هذا يكون ﴿بَصِيرًا﴾ حالًا.

(٩٤)- ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ خرجت(١) من عريش مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لمن حضر من بنيه وأولادهم ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ(٢)﴾ أوصلته إليه الصبا(٣) بإذن الله تعالى من مسيرة ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر(٤) ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ (٩٤)﴾ تُسَفِّهون لصدقتموني(٥).

---

(١) قوله: (خرجت) كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، يقال: فصل من البلد: إذا انفصل وخرج من حدوده.

فائدة: إذا كان فاء الكلمة فاء، وعينها صادًا دلت الكلمة على الخروج والظهور، كما في: فصل، فصم، فصد. ذكره اللغويون.

(٢) ﴿رِيحَ يُوسُفَ﴾، أي: رائحته التي تدرك بحاسة الشم، لا بمعنى الهواء المتحرك.

(٣) قوله: (أوصلته إليه الصَّبا) أي: أوصلت الصبا تلك الريح إلى يعقوب.

لفظ «الريح» لفظ مؤنث يطلق على الرائحة والهواء المتحرك. ولعله يذكَّر إذا كان بمعنى الرائحة، وكان المناسب أن يقول: أوصلتها، بتأنيث الضمير، أو لعل المفسر أوّله بمعنى المشموم، والله أعلم.

والصبا: الريح القادمة من جهة الشرق، ويقابلها: الدبور، وكان يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الشام قريبًا من بيت المقدس، وتقع شمالًا شرقيًا عن مصر، فالريح الآتية من جهة مصر ليست صبًا حقيقة، ولعله عبر بها مَن عبَّر؛ لأن الصبا يتفاءل به بخلاف الدبور، أو هذا من باب إطلاق المقيد في المطلق، والله أعلم، وقد وجه الصاوي بتوجيه آخر.

(٤) وقوله: (من مسيرة ثلاثة أيام) هذه أقوال. وثمانية مروي عن ابن عباس بطرق مختلفة.

(٥) قوله: (تسفهون) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وعطاء وغيرهم. والتفنيد في الأصل: النسبة إلى الفَنَد، وهو الخرف، وإنكار العقل وهو بمعنى السفه. فالتفعيل هنا بمعنى النسبة، نحو: فسَّقَ وخطّأ: أي نسب إلى الفسق والخطأ، وهذا أحد معاني باب «فعّل».

وقوله: (لصدقتموني) قدره ليكون جوابًا لـ﴿لَوْلَآ﴾، وهي هنا امتناعية، والمصدر المؤول من «أن»، والفعل مبتدأ وخبره محذوف وجوبًا، والتقدير: لولا تفنيدكم موجود لصدقتموني.

﴿٩٥﴾- ﴿قَالُواْ﴾ له ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ﴾ خطئك[١] ﴿ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ من إفراطك في محبته ورجاء لقائه على بعد العهد.

﴿٩٦﴾- ﴿فَلَمَّآ أَن﴾ زائدة[٢] ﴿جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ يهوذا[٣] بالقميص، وكان قد حمل قميص الدم[٤]، فأحب أن يفرّحه كما أحزنه ﴿أَلْقَىٰهُ﴾ طرح القميص ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ﴾ رجع ﴿بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

﴿٩٧﴾- ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾.

﴿٩٨﴾- ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ أخر ذلك إلى السحر[٥]؛ ليكون أقرب إلى الإجابة، أو إلى ليلة الجمعة. ثم توجهوا[٦] إلى مصر، وخرج يوسف والأكابر لتلقيهم.

﴿٩٩﴾- ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ في مضربه[٧] ﴿ءَاوَىٰٓ﴾ ضم ﴿إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾

---

(١) قوله: (خطئك) كذا فسره ابن عباس. والقائل: من كان عنده من أولاده وأحفاده الذين قال لهم يعقوب: إني لأجد ريح يوسف؛ لأن إخوة يوسف لم يصلوا إليه من مصر.

(٢) قوله: (زائدة) أي: إعرابًا ومؤكدة معنًى. و«أن» تأتي على أربعة أوجه: مصدرية، مخففة من الثقيلة، ومفسرة، وزائدة. كما فصله النحاة. وقد فصلناها في كتاب «الثنائيات» كما نبهنا على ذلك سابقًا.

(٣) وقوله: (يهوذا). روي عن مجاهد، والضحاك، وابن جريج، والسدي.

(٤) وقوله: (وكان قد حمل). روي ذلك عن السدي.

(٥) قوله: (أخر ذلك إلى السحر...) أي: إلى آخر الليل، روى ذلك عن ابن مسعود وغيره. أو إلى ليلة الجمعة، قول آخر روي عن ابن عباس، كما في ابن جرير.

(٦) وقوله: (ثم توجهوا...) دخول إلى ما بعده.

(٧) قوله: (في مضربه) أي: خَيمته. وكان ذلك خارج المدينة، وكان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ خرج =

أباه وأمه أو خالته[(١)] ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٩٩﴾ فدخلوا[(٢)]، وجلس يوسف على سريره.

١٠٠- ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ﴾ أجلسهما معه ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ السرير[(٣)] ﴿وَخَرُّواْ﴾ أي: أبواه وإخوته ﴿لَهُۥ سُجَّدٗا﴾ سجود انحناء لا وضع جبهة[(٤)]، وكان تحيتهم في

= لتلقيهم مع أمراء مصر وكبرائه. ويقال: إن الملك أيضًا خرج لتلقيهم. ذكر ذلك ابن كثير وغيره، ونقله ابن جرير عن السدي، قال مسروق: «كان يعقوب ومن معه ثلاثة وتسعين شخصًا ما بين رجل وامرأة» نقله القرطبي، وروى ابن جرير: «كانوا ستًّا وثمانين شخصًا».اهـ.

(١) قوله: (وأمه) اسمها راحيل، هذا على القول بحياتها حينئذ، وهو مروي عن ابن إسحٰق، ورجحه الطبري، كما هو ظاهر القرآن.

قوله: (أو خالته) هذا على القول بأن أم يوسف كانت توفيت، وكان مع يعقوب عند قدومه إلى مصر خالته أخت أمه. قاله السدي. واسمها ليا، وعن الحسن: «أحيا الله له أمه تحقيقًا للرؤيا حتى سجدت معه». نقله القرطبي.

(٢) قوله: (فدخلوا...) كلام المفسر يفيد: أن ضم يوسف لأبويه كان عند لقائهم خارج مصر، ثم قال لهم: ادخلوا مصر، فدخلوا، ثم أجلسهما على سريره الذي في مصر، ويشير إلى ذلك كلام ابن جرير وغيره.

(٣) قوله: (السرير) قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي، وغير واحد من السلف: أي: أجلسهما على السرير.

(٤) قوله: (سجود انحناء...) نقله القرطبي عن الحسن، قال: «يومئون برؤوسهم إيماءً».اهـ. وعن الضحاك وقتادة وغيرهما: «سجود وضع الجبهة». قال ابن كثير: «كان جائزًا إلى زمن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحرم في هذه الملة».اهـ. وعلى كل حال: السجود سجود تحية، لا سجود عبادة، كما قاله ابن زيد والضحاك وابن جرير. كما في سجود الملائكة لآدم.

ذلك الزمان ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ﴾ إلي[1] ﴿إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾ لم يقل من الجب؛ تكرمًا[2] لئلا يخجل إخوته ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ البادية[3] ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ﴾ أفسد ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بخلقه ﴿ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾ في صنعه، وأقام عنده أبوه أربعًا وعشرين سنة، أو سبع عشرة سنة[4]، وكانت مدة فراقه ثماني عشرة أو أربعين أو ثمانين سنة[5]. وحضره الموت[6] فوصى يوسف أن

---

(١) قوله: (إلي) أفاد أن الباء بمعنى «إلى».

(٢) قوله: (تكرمًا) وقيل: لأنه دخل السجن باختياره، أو لأنه في السجن كان مع العصاة. قاله القرطبي.

(٣) قوله: (البادية) قال قتادة: «أرض كنعان أرض مواشٍ وبادية»، وقيل: تحول يعقوب إلى البادية؛ لأن الله تعالى لم يبعث نبيًّا من أهل البادية كما في آية (١٠٩) من هذه السورة. ويمكن أن يقال: إن كنعان -مسكن يعقوب- يعتبر بادية بالنسبة إلى حضارة مصر وتمدنها. والله أعلم.

(٤) قوله: (وأقام عنده...) أي: أقام يعقوب في مصر أربعًا وعشرين سنة. نقله القرطبي عن أهل التاريخ. أو سبعة عشر قول آخر، نقله ابن جرير عن ابن إسحٰق.

(٥) وقوله: (وكانت مدة فراقه...) ذكر المفسر ثلاثة أقوال:

١- ثمانية عشر عامًا: عن ابن إسحٰق.

٢- أربعون عامًا: عن عبدالله بن شداد وسلمان وغيرهما.

٣- ثمانون عامًا: عن الحسن وغيره، والله أعلم.

(٦) قوله: (وحضره الموت...) أي: يعقوب، وما ذكره المفسر نقله القرطبي عن أهل التواريخ، وقال: «كان عمر يعقوب ١٤٧ سنة، فدفن في الشام عند أبيه إسحٰق»، وقال الحسن وغيره: «عمر يوسف مائة وعشرون عامًا».اهـ.

يحمله ويدفنه عند أبيه، فمضى بنفسه ودفنه ثمة، ثم عاد إلى مصر وأقام بعده ثلاثا وعشرين سنة.

(١٠١)- ولما تم أمره[(١)]، وعلم أنه لا يدوم، تاقت نفسه إلى الملك الدائم، فقال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا[(٢)] ﴿فَاطِرَ﴾ خالق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ﴾ متولي مصالحي ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ من آبائي، فعاش بعد ذلك أسبوعًا أو أكثر[(٣)]، ومات وله مائة وعشرون سنة[(٤)]، وتشاح المصريون في قبره[(٥)]، فجعلوه في صندوق من مرمر، ودفنوه في أعلى النيل؛ لتعم البركة جانبيه، فسبحان من لا انقضاء لملكه.

---

(١) قوله: (ولما تمّ أمره...) روى ابن جرير عن ابن عباس وقتادة ومجاهد نحوًا مما قاله المفسر. قال ابن عباس: «اشتاق إلى لقاء ربه وأحب أن يلحق به وبآبائه، فدعا الله أن يتوفاه، ويلحقه بهم، ولم يسأل نبي قط الموت غير يوسف».اهـ.

(٢) قوله: (تعبير الرؤيا) قاله مجاهد.

(٣) قوله: (فعاش بعد ذلك أسبوعًا أو أكثر). قال ابن كثير: «يحتمل أن يكون يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قاله عند احتضاره، وأن يكون سأل الوفاة على الإسلام واللحاق بالصالحين إذا جاء أجله وانقضى عمره، ويحتمل أنه سأل ذلك منجزًا، وكان ذلك سائغًا في ملتهم، كما قال قتادة: «لما جمع الله شمله وأقر عينه وهو يومئذ مغمور في الدنيا وملكها وغضارتها، فاشتاق إلى الصالحين قبله».اهـ. رواه ابن جرير.

(٤) وقوله: (وله مائة وعشرون سنة) كما تقدم عن الحسن وغيره.

(٥) وقوله: (وتشاحّ) أي: تنازع، كل يحبّ أن يدفن في محلته لما يرجونه من بركته. وما ذكره المفسر قاله القرطبي من غير عزو، وقال أيضًا: «فلما خرج موسى ببني إسرائيل أخرجه من النيل، ونقل تابوته بعد أربعمائة سنة إلى بيت المقدس فدفنوه مع آبائه لدعوته: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾».اهـ.

(١٠٢)- ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر يوسف ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ أخبار ما غاب عنك يا محمد[١] ﴿نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ﴾ لدى إخوة يوسف ﴿إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ﴾ في كيده، أي: عزموا عليه[٢] ﴿وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ١٠٢﴾ به، أي: لم تحضرهم، فتعرف قصتهم فتخبر بها، وإنما حصل لك علمها من جهة الوحي.

(١٠٣)- ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أهل مكة[٣] ﴿وَلَوۡ حَرَصۡتَ﴾ على إيمانهم ﴿بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾.

(١٠٤)- ﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ﴾ أي: القرآن ﴿مِنۡ أَجۡرٍۚ﴾[٤] تأخذه ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ عظة ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾.

(١٠٥)- ﴿وَكَأَيِّن﴾ وكم[٥] ﴿مِّنۡ ءَايَةٖ﴾ دالة على وحدانية الله ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا﴾ يشاهدونها ﴿وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥﴾ لا يتفكرون فيها.

---

(١) قوله: (أخبار ما غاب...) أشار به إلى أن ﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾ مصدر بمعنى: اسم الفاعل.

(٢) قوله: (في كيده) أي: لإلقائه في الجب. قاله ابن كثير وغيره.

(٣) قوله: (أي: أهل مكة) قال القرطبي: «ظن ﷺ أن العرب يؤمنون لما أخبرهم عن هذه القصة، فلم يؤمنوا، فنزلت الآية تسلية للنبي ﷺ».اهـ. ملخصًا.

(٤) ﴿مِنۡ أَجۡرٍۚ﴾: ﴿مِنۡ﴾ مزيدة إعرابًا في المفعول به، ومفيدة لتوكيد العموم معنًى.

(٥) قوله: (وكم) تفسير لـ«كأيّ»، وهو هنا في محل رفع مبتدأ، و ﴿مِّنۡ ءَايَةٖ﴾ تمييزها. و﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ في محل جر صفة لـ﴿ءَايَةٖ﴾، وجملة ﴿يَمُرُّونَ ...﴾ في محل رفع خبر. وقد تقدم الكلام في «كأي» والفرق بينه وبين «كم» في تفسير آل عمران الآية رقم (١٤٦). وفصلنا الكلام عن ذلك في رسالتنا «إحكام العُدَد».

(١٠٦)- ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾ حيث يقرون بأنه الخالق الرازق[١] ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦)﴾ به بعبادة الأصنام. ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم[٢]: «لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك»، يعنونها[٣].

(١٠٧)- ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ﴾ نقمة تغشاهم[٤] ﴿مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠٧)﴾ بوقت إتيانها قبله.

(١٠٨)- ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ وفسرها[٥] بقوله: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى﴾ دين ﴿ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ حجة واضحة ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ آمن بي، عطف على «أَنَا۠» المبتدأ المخبر عنه بما قبله[٦] ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيهًا عن الشركاء ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

---

(١) قوله: (حيث يقرون...) أي: للمشركين شيء من توحيد الربوبية حيث يقرون بأن الله هو الخالق الرازق، ولكن ليس لهم توحيد الألوهية أصلًا.

(٢) وقوله: (ولذا كانوا...) روى ابن جرير نحوه عن ابن زيد. ونقل القرطبي عن ابن عباس نزلت هذه الآية في تلبية المشركين.اهـ. وعن الحسن: «أنها في المنافقين، لا يؤمنون بلسانهم إلا وهم كافرون بقلوبهم».اهـ. ملخصًا. ولكن هذه الآية مكية، والمنافقون كانوا بالمدينة.

(٣) وقوله: (يعنونها) أي: يعنون بقولهم «إلا شريكًا...»: الأصنام.

(٤) قوله: (نقمة تغشاهم) روي نحوه عن مجاهد وقتادة.

(٥) قوله: (وفسرها) أي: فسر السبيل المشار إليها بما بعدها.

(٦) قوله: (عطف على ﴿أَنَا۠﴾ المبتدأ) يعني أن ﴿وَمَنِ﴾ معطوف على ﴿أَنَا۠﴾، و﴿أَنَا۠﴾ مبتدأ مؤخر، وخبره: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، فتكون ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ جملة، و﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ جملة أخرى، و﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ جملة ثالثة، و﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ جملة أخرى، وكذا ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٠٨)﴾ جملة أخرى. وما ذكره هو أحد الاحتمالات، ويحتمل كون ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ متعلقًا بـ﴿أَدْعُوٓاْ﴾ و﴿أَنَا۠﴾ تأكيدًا للضمير المستتر فيه، ﴿وَمَنِ﴾ معطوفًا على ﴿أَنَا۠﴾. =

(١٠٨)﴾ من جملة سبيله أيضًا[١].

(١٠٩)- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا يُوحَىٰٓ﴾، وفي قراءة: «نُّوحِيٓ» بالنون وكسر الحاء[٢] ﴿إِلَيۡهِم﴾ لا ملائكة[٣] ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ الأمصار[٤]؛ لأنهم أعلم وأحلم[٥]، بخلاف أهل البوادي؛ لجفائهم وجهلهم ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ﴾ أي: أهل مكة ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ[٦] عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ﴾ أي: آخر أمرهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: الجنة[٧] ﴿خَيۡرٞ

= ﴿وَسُبۡحَٰنَ﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف، وهو اسم مصدر لـ«سبّح»، كما تقدم في تفسير سورة البقرة الآية (٣٢).

(١) قوله: (من جملة سبيله أيضًا) أي: هذه الجملة من تمام بيان السبيل المذكورة.

(٢) قوله: (وفي قراءة: ﴿نُّوحِيٓ﴾...) قرأ حفص بالنون: ﴿نُّوحِيٓ﴾. وقرأ حمزة ويعقوب: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيۡهُمۡ﴾ بالياء والبناء للمفعول وضم الهاء. ونائب الفاعل الجار والمجرور ﴿إِلَيۡهِم﴾. وقرأ الباقون بالياء وبالبناء للمفعول وكسر الهاء ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيۡهِم﴾.

(٣) وقوله: (لا ملائكة) معطوف على ﴿رِجَالٗا﴾ المعلوم من ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا﴾ أي: إنما أرسلنا رجالًا لا ملائكة -وكذا- ولا نساءً. كما قاله ابن جرير.

(٤) قوله: (الأمصار).. وقد تقدم الجمع بينه وبين قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾.

(٥) وقوله: (لأنهم أعلم...) قاله قتادة.

(٦) ﴿كَيۡفَ كَانَ﴾: ﴿كَيۡفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر «كان»، و﴿عَٰقِبَةُ﴾ اسمها. و﴿كَيۡفَ﴾ معلقة لـ﴿فَيَنظُرُواْ﴾ عن العمل في المفعول وجملة الاستفهام سدّت مسدّه.

(٧) قوله: (أي: الجنة) تفسير لـ﴿دَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ وإضافة «دار» إلى ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾، قيل: من إضافة الشيء إلى نفسه في المعنى. فيقدر الموصوف، والتقدير: ولدار الساعة الآخرة، أو الحياة=

﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ﴾ الله ﴿أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ١٠٩﴾ بالياء والتاء[(١)]، يا أهل مكة هذا[(٢)]، فتؤمنون.

١١٠- ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية لما دل عليه[(٣)]: « وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا »، أي: فتراخى نصرهم حتى ﴿إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ﴾ يئس[(٤)] ﴿ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ﴾ أيقن الرسل ﴿أَنَّهُمۡ

= الآخرة. كما ذكره البيضاوي. وذلك لأن إضافة الشيء إلى ما اتحد معناه ومعنى المضاف لا تجوز عند البصريين، وذلك كإضافة أحد المترادفين إلى الآخر وإضافة الصفة إلى الموصوف وعكسها، فما ورد من ذلك يؤول عند البصريين، كقولهم: مسجد الجامع، فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة، والتقدير: مسجد المكان الجامع، وكذلك هنا: دار الآخرة أي: دار الساعة، أو الحياة الآخرة. والكوفيون أجازوا تلك الإضافة، لورودها في كلامهم.

(١) قوله: (بالياء والتاء...) قراءتان: بالياء: ﴿يَعۡقِلُونَ﴾: قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف. وبالتاء: ﴿تَعۡقِلُونَ﴾ خطابًا لأهل مكة، كما قدره المفسر: قراءة الباقين.

(٢) قوله: (هذا). قدره ليكون مفعول به لـ﴿تَعۡقِلُونَ﴾ بالياء والتاء.

(٣) قوله: (غاية...)، ﴿حَتَّىٰٓ﴾ هنا ابتدائية، لا عاطفة ولا جارّة؛ لدخولها على الجملة، وتفيد الابتدائية معنى الغاية، كما يقال: مرض زيد حتى لا يرجونه.

وما ذكره المفسر من أنها لغاية ما دل عليه ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا ...﴾ الآية، والمعنى: فتراخى نصرهم، أي: تأخر... هكذا فسر القرطبي وغيره، وبنحوه فسر ابن جرير وابن كثير وغيرهما.

قال ابن كثير: «يذكر الله تعالى أن نصره ينزل على رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله في أحوج الأوقات إليه، كقوله تعالى: ﴿وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ٢١٤]».اهـ.

(٤) قوله: (يئس) أفاد أن الاستفعال هنا مجرد عن معنى الطلب.

﴿قَدۡ كُذِّبُواْ﴾ بالتشديد(١)، تكذيبًا لا إيمان بعده، والتخفيف، أي: ظن الأمم أن الرسل أُخلِفوا ما وُعِدُوا به من النصر ﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُنۡجِي﴾ بنونين مشددًا ومخففًا(٢)،

---

(١) قوله: (بالتشديد) قراءتان: ﴿كُذِّبُواْ﴾ بتشديد الذال: قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر ويعقوب. والمعنى: أن الرسل ظنوا أي: أيقنوا أن قومهم كذبوهم تكذيبًا لا إيمان بعده، وذلك بالوحي من الله، جاءهم نصر الله تعالى عند ذلك. وهذا المعنى مروي عن عائشة وقتادة. رواه عنهما ابن جرير، وروى البخاري عن عائشة كذلك، فالظن بمعنى اليقين.

والقراءة الثانية: ﴿كُذِبُواْ﴾ بتخفيف الذال، كما قال المفسر: والتخفيف، فالضمير في ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ و﴿أَنَّهُمۡ﴾ راجع إلى الأمم.

والمعنى: حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم وظن القوم أنهم كُذِبوا أي: أن الرُّسل قد كذبوهم فيما أخبروا به من العذاب جاءهم نصرنا». اهـ. فالظن على بابه، وهذه قراءة الباقين. وهذا المعنى رواه ابن جرير عن ابن عباس من عدة طرق، وعن سعيد بن جبير كذلك والضحاك.

وفي رواية عن ابن عباس: «ظن الرسل أن الله أخلف ما وعدهم...»، ونقل القرطبي عن القشيري: «إن صحت هذه الرواية فالمراد: أنه خطر بقلوبهم، والخواطر معفو عنها». اهـ. أي: فيكون تأكيدًا لـ﴿ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ﴾. والله أعلم.

(٢) قوله: (بنونين مشددًا). ظاهر كلامه أن القراءات ثلاث:

١- ﴿فَنُنَجِّي﴾ بنونين وتشديد الجيم، مضارع مبنيًا للمفعول. وهذه القراءة لم أجدها.

٢- ﴿فَنُنۡجِي﴾ بنونين وتخفيف الجيم، مضارع «أنجَى»: قراءة الجمهور.

٣- ﴿فَنُجِّيَ﴾ بنون واحدة وتشديد الجيم، ماضي مبني للمفعول: قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب.

وقوله: (ماض). راجع للقراءة الأخيرة، أي: يكون «نجّى» فعلًا ماضيًا. بخلاف القراءة التي قبلها، فهو فعل مضارع. وعلى هذه القراءة يكون ﴿مَن﴾ في محل رفع نائب فاعل.

وبنون مشددًا ماض ﴿مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ المشركين.

﴿١١١﴾ - ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي: الرسل ﴿عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ﴾ أصحاب العقول ﴿مَا كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ يختلق ﴿وَلَٰكِن﴾ كان(١) ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ﴾ تبيين ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين(٢) ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم.

❊❊❊

(١) قوله: (كان). قدره ليفيد أن ﴿تَصْدِيقَ﴾ خبر لـ(كان) المحذوفة مع اسمها، وليس بالعطف بـ«لكن»، لأن «لكن» لا تكون عاطفة إذا دخل عليها الواو. فهي هنا حرف استدراك، كما في قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

فائدة: تكون «لكن» حرف عطف بثلاثة شروط:

١- دخولها على مفرد.

٢- سبق نفي أو شبه نفي.

٣- خلُوّها من الواو.

(٢) قوله: (يحتاج إليه). أشار به إلى أن ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ عام مخصوص. والله أعلم.

١٣- سورة الرعد

مكية[(١)] إلا ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ الآية، و﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ الآية، أو مدنية إلا ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا...﴾ الآيتين.

وآياتها ثلاث أو أربع أو خمس أو ست وأربعون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿الٓمٓرۚ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلۡكَ﴾ هذه[(٢)] الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى: «مِن» ﴿وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: القرآن، مبتدأ[(٣)]، خبره: ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ لا شك فيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ (١)﴾ بأنه من عنده تعالى.

(٢)- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ أي: العمد، جمع عماد[(٤)]، وهو

---

(١) قوله: (مكية). خبر لقوله: سورة الرعد كنظائره. نقل القرطبي عن الحسن، وعكرمة، وعطاء، وجابر: «أنها كلها مكية». وعن الكلبي، ومقاتل: «أنها كلها مدنية». وعن ابن عباس وقتادة: «مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة وهما: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا...﴾ إلى آخرهما».

فقول المفسر: (مكية إلا ﴿وَلَا يَزَالُ...﴾ الآية، و﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ قول رابع.

وقوله: (أو مدنية إلا...). هذا قول ابن عباس، وقتادة المذكور.

وقوله: (وآياتها...). ذكر في ذلك أربعة أقوال. والأشهر أنها ثلاث وأربعون آية، وهو الذي أقر في المصاحف، كما هو الثابت في أكثر كتب التفسير؛ كابن جرير والقرطبي، والله أعلم.

(٢) قوله: (هذه). أشار به أن الإشارة هنا للقريب، واستعمل الاسم الموضوع للبعيد للتعظيم.

(٣) قوله: (مبتدأ). أي: اسم الإشارة ﴿وَٱلَّذِيٓ﴾: مبتدأ، و﴿ٱلۡحَقُّ﴾: خبره.

(٤) قوله: (جمع عماد). أو جمع عَمُود، وهما بمعنًى واحد.

الأسطوانة، وهو صادق بأن لا عمد أصلًا[١] ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ استواءً يليق به[٢] ﴿وَسَخَّرَ﴾ ذلّل ﴿ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ﴾ منهما[٣] ﴿يَجۡرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ يوم القيامة ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾ يقضي[٤] أمر ملكه ﴿يُفَصِّلُ﴾ يبين ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ دلالات قدرته ﴿لَعَلَّكُم﴾ يا أهل مكة ﴿بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ﴾ بالبعث ﴿تُوقِنُونَ ۝٢﴾.

﴿۝٣﴾- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ﴾ بسط[٥] ﴿ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ﴾ خلق[٦] ﴿فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ جبالًا ثوابت[٧] ﴿وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ من كل نوع[٨]

---

(١) وقوله: (وهو صادق...). إشارة إلى تفسيرين للآية:

الأول: ليس لها عمد أصلًا: روي ذلك ابن جرير عن إياس بن معاوية وقتادة.

الثاني: لها عمد لكن لا نراها، روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد.

ونقل القرطبي عن ابن عباس: «إنه توحيد المؤمن، أي: ولولاه لانفطرت بكفر الكافرين».اهـ.

(٢) قوله: (استواءً يليق به). كما تقدم في سورة الأعراف الآية (٥٤).

(٣) قوله: (منهما). أشار به إلى أن ﴿كُلّٞ﴾ مبتدأ، وهو نكرة مخصصة، أو التنوين فيه عوض عن المضاف إليه، فيكون أيضًا نكرة مخصصة، وفي الآية دليل على جريان الشمس والقمر، كما دلت على ذلك نصوص أخرى، ولا ينبغي للمؤمن الجري خلف أهل الفلسفة التي هي مجرد فكر بشري قابل للتبديل والغلط، بخلاف كلام الخالق تعالى.

(٤) وقوله: (يقضي...) قاله مجاهد.

(٥) قوله: (بسط) أي: بسطها طولًا وعرضًا كما قاله ابن جرير والقرطبي وغيرهما. ولا ينافي بسط الأرض كرويتها، كما تقرر ذلك بالبراهين القاطعة.

(٦) وقوله: (خلق). أفاد أن ﴿جَعَلَ﴾ هنا بمعنى خلق؛ فله مفعول واحد. وتأتي «جعل» على أربعة أوجه ذكرناها في سورة البقرة، الآية (٢٢).

(٧) قوله: (جبالًا ثوابت). نقل القرطبي عن ابن عباس وعطاء: «أول جبل وضع على الأرض: أبو قبيس».اهـ.

(٨) قوله: (من كل نوع). تفسير للمراد بـ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، والزوجان: قال الفرّاء: «الذكر =

﴿يُغْشِي﴾ يغطي ﴿ٱلَّيۡلَ﴾ بظلمته ﴿ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣﴾ في صنع الله.

٤- ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ﴾ بقاع مختلفة ﴿مُّتَجَٰوِرَٰتٞ﴾ متلاصقات، فمنها طيبٌ وسبخ[١]، وقليل الريع وكثيره، وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿وَجَنَّٰتٞ﴾ بساتين ﴿مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ﴾ بالرفع عطفًا على «وَجَنَّٰتٞ»، والجر على «أَعۡنَٰبٖ»[٢]، وكذا قوله: ﴿وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ﴾ جمع صنو[٣]، وهي النخلات، يجمعها أصل واحد، وتتشعب فروعها ﴿وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ﴾ منفردة ﴿تُسۡقَىٰ﴾ بالتاء، أي: الجنات وما فيها، والياء أي: المذكور[٤] ﴿بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ﴾ بالنون والياء[٥] ﴿بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي

= والأنثى»، وقيل: صنفان: كالحلو والحامض، والصغير والكبير، والرطب واليابس... قال ذلك القرطبي.

(١) قوله: (فمنها طيب...). روي نحوه عن ابن عباس.

(٢) قوله: (بالرفع): قراءتان: بالرفع: ﴿وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ...﴾: قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحفص ويعقوب. وبالجر للكلمات الأربع: قراءة الباقين. ووجهها كما ذكر المفسر.

(٣) قوله: (جمع: صنو) بكسر الصاد، ومثناه: صنوانِ، بكسر النون؛ فالجمع والمثنى يستويان في الخط والوزن، ويختلفان في حركة النون.

(٤) قوله: (بالتاء...): قراءتان: بالياء ﴿يُسۡقَىٰ﴾: قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب. وبالتاء: ﴿تُسۡقَىٰ﴾: قراءة الباقين. كلاهما بالمبني للمفعول، والنائب عن الفاعل: الضمير المستتر، المؤنث أو المذكر. كما قال المفسر.

(٥) قوله: (بالنون والياء). يفضِّل بالياء، قراءة حمزة ويعقوب والكسائي. وبالنون: قراءة الباقين.

﴿ٱلۡأُكُلِۚ﴾ بضم الكاف وسكونها(١)، فمن حلو وحامض، وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٤﴾ يتدبرون.

۝٥- ﴿۞ وَإِن تَعۡجَبۡ﴾ يا محمد من تكذيب الكفار لك ﴿فَعَجَبٌ﴾ حقيق بالعجب(٢) ﴿قَوۡلُهُمۡ﴾ منكرين للبعث ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ﴾ لأن

---

(١) قوله: (بضم الكاف وسكونها). السكون: قراءة نافع وابن كثير. والضم: قراءة الباقين. وهو: الثمر. قاله القرطبي. ونقل عن الحسن: «هذا مثل ضربه الله لبني آدم أصلهم واحد، وهم مختلفون في الخير والشر...».اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله: (حقيق بالعجب) قدره لأن ﴿فَعَجَبٌ﴾ مصدر، والمراد هنا الوصف؛ لأن قولهم ذلك ليس هو نفس العجب، بل هو حقيق لأن يعجب منه، وهل المراد بالعجب عجب الله تعالى أو عجب النبي ﷺ؛ فعن قتادة: «إن عجبت يا محمد فعجب ﴿قَوۡلُهُمۡ...﴾ عجب الرحمن تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من تكذيبهم بالبعث بعد الموت».اهـ. وقال ابن زيد: «إن تعجب من تكذيبهم... فتعجب من قولهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا...﴾».اهـ.

الخلاصة: قد فسر العجب بالوجهين هنا، علمًا بأن العجب إذا فسر بأنه استعظام أمر خفي سببه -كما هو المشهور أو انفعال نفسي يعتري الإنسان.... كما ذكره بعض أهل المعاجم، فلا يوصف به الرب تعالى. وإذا فسر باستعظام أمرٍ لخروجه عن نظائره أو بنحو ذلك فيوصف به الرب تعالى، كما ورد في الحديث: «**يعجب ربنا**...» فالعجب بهذا المعنى من الصفات التي يثبتها السلف.

تنبيه: هذه الجملة الشرطية ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ...﴾، ومثلها يسميها المناطقة الشرطية الاتفاقية وهي التي ليس بين جملتي الشرط والجواب علاقة العلية، أي: ليست إحداهما علة للأخرى أو كلاهما معلول عن علة واحدة. وبذلك يعلم بطلان قول بعض المعاصرين ممن ينتسب إلى أصول الفقه من أن الشرط يكون علة للمشروط دائمًا. بل التحقيق أن الشرط يأتي على خمسة أوجه: =

القادر على إنشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادرٌ على إعادتهم[(١)]، وفي الهمزتين في الموضعين[(٢)] التحقيق، وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية وإدخال ألف

١- علة للجواب. نحو: إن طلعت الشمس وجد النهار.

٢- شرطًا لتحقق الجواب. نحو: إن دخلت الدار فأنت طالق.

٣- معلولًا للجواب. نحو: إن وجد النهار فقد طلعت الشمس.

٤- كل من الشرط والجواب معلول لعلة أخرى. نحو: إن وجد النهار أضاء العالمَ.

٥- ما ليس كذلك بل لا علاقة ذاتية بينهما، كما في الآية.

(١) قوله: (وما تقدم) أي: من رفع السمٰوات بغير عمد وتسخير الشمس والقمر وغير ذلك. وجملة ﴿أَءِذَا كُنَّا...﴾ في محل نصب مقول القول. والهمزة في ﴿أَءِذَا﴾ استفهامية إنكارية. و«إذا» ظرفية شرطية أو مجردة عن معنى الشرط. والعامل فيها ما دل عليه قوله: ﴿لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۗ﴾ أي: نبعث، وهو الجواب إن جعلنا «إذا» شرطية.، والهمزة الثانية ﴿أَءِنَّا﴾ تأكيد للأولى، وقد ورد هذا الأسلوب أي: الاستفهام المكرر في أحد عشر موضعًا -في تسع سور- أولها هنا، والثاني والثالث في الإسراء، والرابع في المؤمنون، والخامس في النمل، والسادس في العنكبوت، والسابع في «الم السجدة»، والثامن والتاسع في الصافات، والعاشر في الواقعة، والحادي عشر في النازعات. أفاده الصاوي.

(٢) قوله: (وفي الهمزتين...) بيان لأوجه القراءات:

١- تحقيق الهمزتين بدون ألف بينهما في الموضعين للجمهور.

٢- تحقيقهما مع ألف بينهما لهشام.

٣- تسهيل الثانية مع ألف بينهما لقالون وأبي عمرو.

٤- وتسهيلها بدون ألف لورش ورويس.

٥- «أئذا... إنا» بالهمزة في الأول وتركها مع «إنا»: لنافع والكسائي ويعقوب.

٦- عكسه: «إذا... أئنا» لابن عامر وأبي جعفر. وإلى الوجهين الأخيرين أشار المفسر بقوله: (وفي قراءة بالاستفهام...).

بينهما على الوجهين وتركها، وفي قراءة: بالاستفهام في الأول، والخبر في الثاني، وأخرى: عكسه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ(١) فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥﴾.

٦- ونزل في استعجالهم العذاب استهزاءً ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ العذاب ﴿قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ الرحمة ﴿وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ﴾ جمع المثلة، بوزن السَّمُرة، أي: عقوبات أمثالهم من المكذبين(٢)، فلا يعتبرون بها ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ﴾ مع ﴿ظُلۡمِهِمۡۖ﴾ وإلا لم يترك على ظهرها دابة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٦﴾ لمن عصاه.

٧- ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ﴾ هلّا(٣) ﴿أُنزِلَ عَلَيۡهِ﴾ على محمد ﴿ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ﴾ كالعصا واليد والناقة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ﴾ مخوف الكافرين، وليس عليك إتيان الآيات ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ۝٧﴾ نبيّ(٤) يدعوهم إلى ربهم بما يعطيه من الآيات، لا بما يقترحونه.

٨- ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ من ذكر وأنثى(٥)، وواحد ومتعدد

---

(١) ﴿ٱلۡأَغۡلَٰلُ﴾ جمع غِلّ، بكسر الغين، طوق من حديد تشد به اليد إلى العنق، نعوذ بالله.

(٢) قوله: (عقوبات...)، فالمثُلة بضم الثاء، معناها: العقوبة. كما قاله ابن جرير، والقرطبي وغيرهما.

(٣) قوله: (هلّا) أفاد به أن ﴿لَوۡلَآ﴾ هنا تحضيضية، ولذا دخلت على الفعل، وليست امتناعية.

(٤) قوله: (نبيّ...) فالمراد بالهادي: هو النبي. روي ذلك عن مجاهد، وقتادة، وابن زيد. قال مجاهد: «لكل قوم نبيّ»، والمنذر: محمد ﷺ. وعن مجاهد أيضًا، وسعيد بن جبير، والضحاك، وكذا عن ابن عباس: «المنذر هو محمد ﷺ، والهاد: هو الله» روى ذلك كله ابن جرير.

(٥) قوله: (من ذكر وأنثى...) بيان لـ﴿مَا تَحۡمِلُ﴾.

وغير ذلك[(١)] ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾ تنقص ﴿ٱلْأَرْحَامُ﴾ من مدة الحمل[(٢)] ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ منه ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ بقدرٍ وحدٍّ لا يتجاوزه.

﴿٩﴾- ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما غاب وما شوهد[(٣)] ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ العظيم ﴿ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ على خلقه بالقهر[(٤)]، بياء ودونها[(٥)].

---

(١) قوله: (وغير ذلك) أي: من صبيح وقبيح، وصالح وطالح، وغير ذلك. قاله القرطبي.

(٢) قوله: (من مدة الحمل). روي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة: «غيضها: ما تسقط دون تسعة أشهر، والزيادة: ما تزداد فوق التسعة». وعلى هذا جرى المفسر.
وقال مجاهد، وعكرمة: «إذا حاضت المرأة في حملها كان نقصانًا في ولدها، فإن زادت على التسعة كان تمامًا لما نقص». أي: فالغيض: حيض الحامل والزيادة زيادة أيام فوق تسعة أشهر. كما روى ابن جرير ونقله القرطبي. وبهذا التفسير استدل الشافعية والمالكية على جواز حيض الحامل، إذا رأت الحامل دمًا بصفة الحيض فهو حيض، خلافًا للحنفية والحنابلة، حيث قالوا: لا تحيض الحامل، وما تراه دم فساد. ونقل القرطبي عن ابن القصار إطباق الصحابة على أنه يجوز أن تحيض الحامل.
قال القرطبي: «في هذه الآية دليل على أن الحامل قد تضع قبل تسعة أشهر، وأجمع العلماء على أن أقل الحمل ستة أشهر، وأن عبدالملك بن مرون ولد لستة أشهر».اهـ. وهذا يبطل قول بعض الأطباء من أن مدة الحمل لا تختلف.

(٣) قوله: (ما غاب...) أفاد أن الغيب والشهادة مصدران بمعنى: الوصف، فالغيب بمعنى اسم الفاعل، والشهادة بمعنى: اسم المفعول.

(٤) قوله: (بالقهر) وبمثله فسر ابن جرير، قال: «المستعلي على كل شيء بقدرته».اهـ. وكذا قاله القرطبي، علمًا بأن العلوّ من صفاته تعالى. وأطلق ابن كثير، فقال: «﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾: أي: على كل شيء، قد أحاط بكل شيء علمًا وقهر كل شيء...».اهـ.

(٥) قوله: (بياء ودونها): قراءتان: بالياء: ﴿الْمُتَعَالِي﴾: قراءة ابن كثير، ويعقوب وصلًا ووقفًا. وبدونها: ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾ كذلك: قراءة الباقين. وكلتاهما لغة فصيحة إلا أن الأكثر في الاستعمال إثبات الياء في المنقوص المحلى بـ«أل»، وتركها إذا كان مجردًا عن «أل».

(١٠)- ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم﴾ في علمه تعالى ﴿مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ مستتر ﴿بِٱلَّيْلِ﴾ بظلامه ﴿وَسَارِبٌ﴾ ظاهر بذهابه[١] في سربه، أي: طريقه ﴿بِٱلنَّهَارِ (١٠)﴾.

(١١)- ﴿لَهُۥ﴾ للإنسان[٢] ﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾ ملائكة تتعقبه ﴿مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ قدامه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ ورائه ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: بأمره[٣] من الجن وغيرهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ لا يسلبهم نعمته ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ من الحالة الجميلة[٤] بالمعصية ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا﴾ عذابًا ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ من المعقبات

---

(١) قوله: (ظاهر...) كذا نقله القرطبي عن ابن عباس، وروى ابن جرير عن مجاهد، وقتادة.
معنى الآية: يستوي في علم الله تعالى السر والجهر، والظاهر في الطرقات، والمستخفي في الظلمات.اهـ. قاله القرطبي.

(٢) قوله: (للإنسان) فالضمير عائد للإنسان كما في ﴿يَحْفَظُونَهُۥ﴾، وكذا فسره ابن كثير، قال: «للعبد ملائكة يتعاقبون عليه»، فاللام للسببية، أي: لأجل حفظ الإنسان.
وقال ابن جرير، والقرطبي وغيرهما: «له أي: لله تعالى»، فالضميرعائدة إلى الله تعالى: فيكون اللام للملكية، والمعقبات: الملائكة الذين يتعقبون على العبد، كما روى ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد وقتادة غيرهم. وروى عن الضحاك، وعكرمة، وعن ابن عباس أيضًا: «المعقبات: الحَرَسُ، أي: حرس الملوك»، قال الضحاك: «هو السلطان المحروس من أمر الله وهم أهل الشرك».اهـ. أي: فالضمير في ﴿لَهُۥ﴾ عائد إلى الأمراء، ويكون الكلام في معرض الذم، وأنه لا يحرسهم من أمر الله شيء، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾، واختاره ابن جرير. والمشهور في تفسير الآية: المعنى الأول.

(٣) قوله: (بأمره) أفاد أن ﴿مِنْ﴾ هنا بمعنى: الباء. كما قاله قتادة، وإبراهيم، والحسن.

(٤) قوله: (من الحالة الجميلة) بيان لـ﴿مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ و(بالمعصية) متعلق بـ﴿يُغَيِّرُوا۟﴾ والباء =

ولا غيرها ﴿وَمَا لَهُم﴾ لمن أراد الله بهم سوءًا ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: غير الله ﴿مِن﴾ زائدة[1] ﴿وَالٍ ﴿١١﴾﴾ يمنعه عنهم.

﴿١٢﴾- ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾ للمسافرين من الصواعق[2] ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم في المطر ﴿وَيُنشِئُ﴾ يخلق ﴿ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾ بالمطر.

﴿١٣﴾- ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ﴾ هو ملك موكل بالسحاب[3] يسوقه ملتبسًا ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ أي يقول: سبحان الله وبحمده ﴿وَ﴾ تُسبح ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ أي: الله ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ وهي: نار تخرج من السحاب ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ فتحرقه. نزل في رجل[4] بعث إليه النبي ﷺ من يدعوه، فقال:

= للسببية. أي: حتى يغيروا حالتهم بسبب المعصية. وهذه الآية كآية الأنفال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [رقم: ٥٣].

(١) قوله: (زائدة) أي: إعرابًا ومؤكدة للعموم معنًى.

(٢) قوله: (للمسافرين من الصواعق...إلخ) بمثله فسر القرطبي وعزا معناه إلى قتادة، ومجاهد، وغيرهما. وعزا ابن جرير إلى ابن عباس: «أن البرق هنا: الماء»، و﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ منصوبان على أنهما مفعول لأجله بمعنى إرادة خوف وطمع أو بمعنى تخويفًا وتطميعًا، وذلك ليكون فاعلهما وفاعل العامل واحدًا، كما هو شرط المفعول لأجله، أو هما حالان من البرق بتقدير مضافٍ أي: ذا خوف وطمع، كما أفاده البيضاوي وغيره.

(٣) قوله: (هو ملك...) كما تقدم في سورة البقرة الآية (١٩).

(٤) قوله: (نزل في رجل) روى ابن جرير نحوه عن عبدالرحمن بن صُحار العبدي مرسلًا. وبسياق متقارب عن علي وأنس، وعن مجاهد أنها في يهودي قال للنبي ﷺ أخبرني عن ربك من أي شيء هو؟ من لؤلؤ أو ياقوت... وكل الروايات تتفق أنها في جبار معاندٍ تكلم بشيء عظيم فأصابته الصاعقة عقابًا من الله، إلا ما روى عن ابن جريج أنها نزلت =

من رسول الله؟ وما الله؟ أمن ذهب هو أم من فضة أم نحاس؛ فنزلت به صاعقة، فذهبت بقحف رأسه(١) ﴿وَهُمۡ﴾ أي: الكفار ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾ يخاصمون النبي ﷺ ﴿فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ١٣﴾ القوة أو الأخذ(٢).

١٤- ﴿لَهُۥ﴾ تعالى ﴿دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾ أي: كلمته، وهي: لا إله إلا الله(٣) ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ بالياء والتاء(٤)، يعبدون(٥) ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أي: غيره، وهم الأصنام ﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ مما يطلبونه ﴿إِلَّا﴾ استجابة(٦) ﴿كَبَٰسِطِ﴾ أي: كاستجابة باسط ﴿كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ﴾ على شفير البئر(٧) يدعوه ﴿لِيَبۡلُغَ فَاهُ﴾ بارتفاعه من البئر إليه

= في أربد بن ربيعة، وعامر بن الطفيل في قصة طويلة: حاصلها أنهما أتيا إلى رسول الله يريدان السوء، فلم يستطيعا، وجاءت صاعقة، فقتلت أربد، وفي القصة: أن عامرًا هلك بلطمة مَلَكٍ أرسله الله. نقله القرطبي.

(١) وقوله: (بقحف رأسه) بكسر القاف: عظم رأسه الذي يغطي الدماغ.

(٢) قوله: (القوة أو الأخذ): ﴿ٱلۡمِحَالِ﴾: مصدر، عن قتادة ومجاهد: «القوة»، وعن علي: «الأخذ». كما في ابن جرير.

(٣) قوله: (وهي: لا إله إلا الله). روى ذلك ابن جرير عن ابن عباس، وعلي، وقتادة، وابن زيد. قال ابن زيد: «لا إله إلا الله ليست تنبغي لأحد غيره، لا ينبغي أن يقال: فلان إله بني فلان».اهـ.

(٤) قوله: (بالياء والتاء). الياء: قراءة العشر. أما التاء: فشاذة. وكان الأولى أن يقول كعادته: (وقرئ بالتاء) إشارة إلى أنها شاذة.

(٥) وقوله: (يعبدون). أفاد أن الدعاء هنا بمعنى العبادة؛ لأن ذلك هو الشرك.

(٦) قوله: (استجابة...) أشار بهذا التقرير أن الجار والمجرور ﴿كَبَٰسِطِ﴾ مفعول مطلق، نعت للمصدر المحذوف.

(٧) وقوله: (على شفير البئر...) بيان للتشبيه، وما ذكره موافق لما روي عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، =

﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ﴾ أي: فاه أبدًا[(١)]، فكذلك ما هم بمستجيبين لهم ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ عبادتهم الأصنام[(٢)]، أو حقيقة الدعاء[(٣)] ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾ ضياع.

١٥- ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا﴾ كالمؤمنين[(٤)] ﴿وَكَرۡهٗا﴾ كالمنافقين، ومن أكره بالسيف ﴿وَ﴾ تسجد[(٥)] ﴿ظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ﴾ البكر ﴿وَٱلۡأٓصَالِ ١٥﴾ العشايا.

= قال: «هو كالعطشان على شفة البئر، فلا يبلغ قعر البئر، ولا الماء يرتفع إليه».اهـ. رواه ابن جرير، وعن مجاهد نحوه. وقال ابن عباس: «أنه كالظمآن الذي يرى خياله في الماء من بعيد يريد أن يتناوله ولا يقدر عليه». وقيل: إنه كباسط كفه إلى الماء ليقبض عليه فلا يقع في كفه شيء منه، أي: لتسرب الماء من كفه.

الخلاصة: ذكروا للتشبيه ثلاثة توجيهات.

(١) قوله: (أي: فاه...). تفسير للضمير المجرور في ﴿بَٰلِغِهِۦۚ﴾ ولعله فسره بالنصب؛ لأن هذا الضمير في محل نصب مفعول به في المعنى. والضمير ﴿هُوَ﴾ والمستتر في ﴿لِيَبۡلُغَ﴾ راجعان إلى ﴿ٱلۡمَآءِ﴾.

(٢) قوله: (عبادتهم...). تفسير للدعاء. وبها فسر ابن كثير وغيره.

(٣) قوله: (أو حقيقة الدعاء). تفسير آخر للدعاء هنا. عزاه القرطبي إلى ابن عباس، والمعنى: أصوات الكافرين محجوبة عن الله فلا يسمع دعاءهم. اهـ. أي: لا يستجيب لهم.

(٤) قوله: (كالمؤمنين..) كما قال الحسن، وقتادة وغيرهما: «المؤمن يسجد طوعًا والكافر يسجد كرهًا بالسيف».اهـ. وقال الزجاج: «سجود الكافر كرهًا ما فيه من الخضوع، وأثر الصنعة».اهـ. يعني هو خاضع لما أراد الله ودال على خالقه، لا سجود عبادة. كما يعلم من القرطبي.

(٥) قوله: (تسجد) أفاد أن ﴿ظِلَٰلُهُم﴾ معطوف على ﴿مَن﴾ الموصول. أي: ظلال الخلق ساجدة لله تعالى بالغدو والآصال؛ لأنها تبين في هذين الوقتين وتميل من ناحية إلى ناحية، وذلك تصريف الله إياها على ما يشاء. اهـ. قاله القرطبي، وعزاه إلى ابن عباس.

(١٦)- ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ﴾ أي: غيره ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ أصنامًا تعبدونها ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ وتركتم مالكها، استفهام توبيخ[١] ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن[٢] ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ الكفر ﴿وَٱلنُّورُ﴾ الإيمان؟ لا ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ﴾ أي: خلق الشركاء بخلق الله ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم؟ استفهام إنكار، أي: ليس الأمر كذلك، ولا يستحق العبادة إلا الخالق ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ لا شريك له فيه، فلا شريك له في العبادة ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ (١٦)﴾ لعباده.

(١٧)- ثم ضرب مثلًا للحق والباطل، فقال[٣]: ﴿أَنزَلَ﴾ تعالى ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ

(١) قوله: (استفهام توبيخ). وهذا إلزام لهم، أي: إذا اعترفتم أنه الخالق فلم تعبدون غيره؟ كما أفاده القرطبي.

(٢) قوله: (الكافر والمؤمن...). كما قال مجاهد: «أما الأعمى والبصير، فالكافر والمؤمن، وأما الظلمات والنور، فالهدى والضلالة».اهـ. فتكون الكلمات الأربع من باب الاستعارة. و﴿أَمْ﴾ هنا منقطعة؛ لعدم سبق همزة التسوية أو التعيين.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ ...﴾ من تمام الاحتجاج. وكذا ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي: فلزم من ذلك أن يعبده كل خلق. كما قال المفسر: فلا شريك له في العبادة. وفي الآية رد على القدرية الذين يرون أن العباد يخلقون أفعالهم.

(٣) قوله: (ثم ضرب مثلًا...) أي: شبه الباطل -الكفر- بالزبد الذي يعلو ماء السيل، والزبد الذي يعلو المعادن عند صوغها في النار. فهذا الزبد يذهب ويضمحل، ويبقى ماء السيل والمعدن الصافي نافعين للناس زمانًا، كذلك الحق يبقى، كما سيذكره المفسر، فهذا يتضمن نوعين من المثل.

مَآءً﴾ مطرًا ﴿فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ بمقدار ملئها[١] ﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ﴾ عاليًا عليه[٢]، هو ما على وجهه من قذر ونحوه ﴿وَمِمَّا تُوقِدُونَ﴾ بالتاء والياء[٣] ﴿عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ﴾ من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس ﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾ طلب ﴿حِلۡيَةٍ﴾ زينة ﴿أَوۡ مَتَٰعٖ﴾ ينتفع به كالأواني إذا أذيبت ﴿زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾ أي: مثل زبد السيل[٤]، وهو خبثه الذي ينفيه الكِير ﴿كَذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ﴾ أي: مَثَلهما ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ﴾ من السيل، وما أوقد عليه من الجواهر ﴿فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ﴾ باطلًا مرميًا به[٥] ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من الماء والجواهر ﴿فَيَمۡكُثُ﴾ يبقى ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ زمانًا، كذلك الباطل يضمحل وينمحق، وإن علا على الحق في بعض الأوقات، والحق ثابت باقٍ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضۡرِبُ﴾ يبيّن ﴿ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾.

---

(١) قوله: (بمقدار ملئها). قاله مجاهد. أي: الكبير بكبره، والصغير بصغره. قاله الطبري.

(٢) قوله: (عاليًا) تفسير ﴿رَّابِيٗاۖ﴾ وهو اسم فاعل: ربا، يربو.

(٣) قوله: (بالتاء والياء). بالياء: ﴿يُوقِدُونَ﴾: قراءة حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف. وبالتاء: ﴿تُوقِدُونَ﴾: قراءة الباقين.

(٤) قوله: (أي: مثل زبد السيل...). أي: يعلو هذه الأشياء زبد كما يعلو السيل. فقوله: (وهو خبثه) أي: الذي يوجد لما يوقد خبثه. والكير: زق الحداد ينفخ فيه ويوقد النار.

(٥) قوله: (باطلًا...). الجُفَاء مصدر بمعنى اسم المفعول، أي: ما يُجفأ به، أي: يرمى به. ونصبه على الحال، كما يعلم من البيضاوي وغيره.

وأشار المفسر بقوله: (مثلهما). إلى تقدير مضاف.

(١٨)- ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ﴾ أجابوه بالطاعة[(١)] ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة[(٢)] ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ وهم الكفار ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم[(٣)] مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ﴾ من العذاب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ وهو المؤاخذة بكل ما عملوه[(٤)]، لا يغفر منه شيء ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (١٨)﴾ الفراش هي[(٥)].

(١٩)- ونزل في حمزة وأبي جهل[(٦)] ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾[(٧)]

---

(١) قوله: (أجابوه). أشار إلى أن الاستفعال مجرد عن معنى الطلب.

(٢) قوله: (الجنة). قاله قتادة. وفسر بها المفسرون. وقيل: من الحسنى: النصر في الدنيا والنعيم المقيم غدًا. نقله القرطبي.

(٣) قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم ...﴾ الآية كما تقدم في آل عمران (٩١)، وفي سورة المائدة الآية (٢٦).

(٤) قوله: (وهو المؤاخذة...). قاله ابن جرير. ورواه عن شهر بن حوشب، وإبراهيم النخعي.

(٥) قوله: (الفراش) تفسير لـ﴿ٱلْمِهَادُ﴾، و(هي) مخصوص بالذم، مبتدأ مؤخر والجملة خبر مقدم. أو خبر مبتدأ محذوف. كما يعرب سائر المخصوص بالمدح أو الذم.

(٦) قوله: (ونزل...) ما ذكره من سبب النزول قاله القرطبي من غير عزو. وحمزة هو حمزة بن عبدالمطلب عم الرسول ﷺ، وأبو جهل هو عمرو بن هشام المعروف.

(٧) الهمزة في ﴿أَفَمَن﴾ للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على محذوف عند الزمخشري، ومن تبعه، أي: أيستوي من يعلم... مثلًا. أو الفاء استئنافية قدمت الهمزة عليها لصدارتها عند الجمهور.

و﴿أَنَّمَآ﴾ «أنّ» حرف توكيد، و«ما» اسم موصول في محل نصب اسمها، وُصِلَتْ بـ«إنّ» على خط المصحف، والخط العادي: فصْلُ «ما» الموصولة «أن ما» ووَصْل «ما» الكافة أنّما، وخبر «أن»: ﴿ٱلْحَقُّ﴾.

فآمن به ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ لا يعلمه ولا يؤمن به؟ لا[١]، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ أصحاب العقول.

﴿٢٠﴾- ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ المأخوذ عليهم[٢]، وهم في عالم الذر، أو كل عهد ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾﴾ بترك الإيمان أو الفرائض.

﴿٢١﴾- ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من الإيمان والرحم وغير ذلك ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: وعيده ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ تقدم مثله[٣].

﴿٢٢﴾- ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية[٤] ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ طلب ﴿وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا غيره من أعراض الدنيا ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ﴾ في الطاعة ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ﴾ يدفعون ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ كالجهل بالحلم والأذى بالصبر[٥] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، هي:

---

(١) وقوله: (لا) جواب الاستفهام.

(٢) قوله: (المأخوذ عليهم) أي: وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ...﴾ الأعراف (١٧٢)، وهذا التفسير قاله القرطبي احتمالًا، وكذا قاله البيضاوي. وفسر ابن جرير، وابن كثير، والقرطبي وغيرهم: «بالعهد مطلقًا». كما قال المفسر: (أو كل عهد)، والعهد والميثاق: مقصودهما واحد. أو العهد مطلق، والميثاق: المأخوذ من العباد حين أخرجهم من صلب آدم. كما يعلم من القرطبي. أو بالعكس، فيكون عامًا بعد ذكر الخاص، كما أفاده البيضاوي.

(٣) قوله: (تقدم مثله) أي قريبًا في آية (١٨). تقدم معنى ﴿سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾. والمصدر المؤول من ﴿أَن يُوصَلَ﴾ بدل من الهاء في ﴿بِهِۦٓ﴾. كما تقدم في سورة البقرة الآية (٢٧).

(٤) قوله: (على الطاعة...) ذكر المفسر أنواع الصبر الثلاثة. ومن المفسرين من اقتصر على بعضها.

(٥) قوله: (كالجهل بالحلم....) وما ذكره أمثلة لدرء السيئة بالحسنة، كما أشار إلى ذلك بالكاف.

=

(٢٣)- ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾[(١)] إقامة ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ هم[(٢)] ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ آمن ﴿مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾ وإن لم يعملوا بعملهم[(٣)] يكونون في درجاتهم تكرمة لهم ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ (٢٣)﴾ من أبواب الجنة[(٤)]، أو القصور أول دخولهم؛ للتهنئة[(٥)].

(٢٤)- يقولون ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾ هذا الثواب[(٦)] ﴿بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾ بصبركم في الدنيا ﴿فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ (٢٤)﴾ عقباكم[(٧)].

= قال ابن عباس: «يدفعون بالعمل الصالح السيء من الأعمال»، وقيل: الذنب بالتوبة، وقيل: الفحش بالسلام، وقيل غير ذلك. نقله القرطبي.

(١) ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ بدل من ﴿عُقۡبَى ٱلدَّارِ (٢٢)﴾ أو خبر لمبتدأ محذوف تقدير: هي. كما قال المفسر.

(٢) قوله: (هم) قدره ليعطف ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ على الضمير المرفوع، أي: الواو من ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾؛ لأنه لا يعطف الظاهر على الضمير المرفوع إلا بفاصل، ولكن تقدير الضمير «هم» هنا ليس ضروريًا لوجود الفصل بالمفعول به وهو «ها».

(٣) قوله: (وإن لم يعملوا بها...) كذا ذكره ابن كثير وغيره، يجمع الله بينهم وبين أقاربهم في الجنة بشرط الصلاح وهو الإيمان. كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ [الطور: ٢١].

(٤) قوله: (من أبواب الجنة) ظاهر كلامه: أن هذا عام في كل أهل الجنة. وعلى ذلك جرى ابن كثير، وكذا روى ابن جرير عن ابن زيد. نقل ابن كثير رواية أحمد: أن ذلك في الفقراء المهاجرين... في حديث طويل. [أحمد (٢/ ١٦٨)].

(٥) وقوله: (للتهنئة) تعليل لدخول الملائكة.

(٦) قوله: (هذا الثواب) قدره ليكون مبتدأ، و﴿بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾ خبرًا. و«ما» فيه مصدرية كما قدره المفسر.

(٧) وقوله: (عقباكم) مخصوص بالمدح.

(٢٥)- ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ[(١)] عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ البعد من رحمة الله ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ (٢٥)﴾ العاقبة السيئة في الدار الآخرة، وهي: جهنم.

(٢٦)-[(٢)] ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿وَفَرِحُواْ﴾ أي: أهل مكة فرحَ بطرٍ ﴿بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: بما نالوه فيها ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي﴾ جنب حياة[(٣)] ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ (٢٦)﴾ شيء قليل يتمتع به ويذهب[(٤)].

(٢٧)- ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿لَوۡلَآ﴾ هلّا[(٥)] ﴿أُنزِلَ عَلَيۡهِ﴾ على محمد ﴿ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۗ﴾ كالعصا واليد والناقة ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ إضلاله[(٦)]، فلا تغني عنه الآيات شيئًا ﴿وَيَهۡدِيٓ﴾ يرشد ﴿إِلَيۡهِ﴾ إلى

---

(١) ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾ الواو استئنافية، والاسم الموصول مبتدأ، خبره جملة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾، وقد تقدم نظير هذه الآية في سورة البقرة (٢٧)، لما ذكر الله تعالى الموفين بعهده وما لهم ذكر عكسهم. كما قاله القرطبي.

(٢) مضمون هذه الآية ومناسبتها لما قبلها: لما بيّن الله عاقبة المؤمن وعاقبة الكافر بين أنه تعالى هو الذي يبسط الرزق في الدنيا ويضيقه؛ لأنها دار امتحان، فبسط الرزق على الكافر لا يدل على كرامته، وضيق الرزق على بعض المؤمنين لا يدل على إهانتهم. أفاده القرطبي.

(٣) قوله: (جنب حياة) أفاد تقدير مضافين.

(٤) وقوله: (شيء قليل...) كما قاله مجاهد: «قليل ذاهب».

(٥) قوله: (هلّا) أفاد أن ﴿لَوۡلَآ﴾ تحضيضية. كما تقدم نظيرها.

(٦) قوله: (إضلاله) مفعول به لـ﴿يَشَآءُ﴾.

دينه[١] ﴿مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾ رجع إليه، ويبدل من «مَنْ»[٢].

﴿٢٨﴾- ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: وعده[٣] ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ أي: قلوب المؤمنين.

﴿٢٩﴾- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿طُوبَىٰ﴾ مصدر من الطيب[٤]، أو شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها[٥] ﴿لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ مرجع.

﴿٣٠﴾- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ

---

(١) قوله: (إلى دينه) على هذا يكون تقدير مضاف، ويكون الضمير -الهاء- راجعًا على الله تعالى.

(٢) قوله: (ويبدل...) أي: فالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في الآية التالية في محل نصب بدل من ﴿مَنْ﴾، و﴿ ٱلَّذِينَ﴾ الآتي مبتدأ كما سيذكره المفسّر.

(٣) قوله: (أي: وعده) عزاه القرطبي إلى مقاتل، فيكون فيه تقدير مضاف. وقال قتادة: «تطمئن قلوبهم بذكر الله بألسنتهم». وقال مجاهد: «بالقرآن»، وكل هذا متقارب.

(٤) قوله: (مصدر من الطيب) على هذا تكون نكرة، جاز الابتداء بها لتضمنها معنى الدعاء.

وعلى أنها اسم شجرة تكون معرفة. واختلف في معنى ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾؛ فعن عكرمة: «نعم ما لهم»، وعن الضحاك: «غبطة لهم»، وعن قتادة: «حُسنى لهم»، وعن إبراهيم: «خير لهم»، وعن ابن عباس وسعيد بن مشجوع: «اسم للجنة»، وكذا عن عكرمة، وعن ابن عباس أيضًا: «شجر في الجنة».

(٥) وقول المفسر: (شجرة في الجنة يسير...) روى ذلك ابن جرير عن وهبٍ بسياق طويل. وروى عن حماد، كما روى عن عتبة بن عبد السلمي بسياقٍ قريب.

﴿بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ حيث قالوا لما أمروا بالسجود له: وما الرحمن؟[١] ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد: ﴿هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠﴾[٢].

٣١- ونزل لما قالوا له[٣]: إن كنت نبيًّا فسيّر عنّا جبال مكة، واجعل لنا فيها أنهارًا وعيونًا لنغرس ونزرع، وابعث لنا آباءنا الموتى يكلمونا أنك نبيّ ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ﴾ نقلت عن أماكنها ﴿أَوۡ قُطِّعَتۡ﴾ شققت ﴿بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ﴾ بأن يُحيَوْا لما آمنوا[٤] ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ﴾ لا لغيره[٥]، فلا يؤمن إلا من شاء إيمانه دون غيره[٦]، وإن أوتوا ما اقترحوا. ونزل لما أراد الصحابة إظهار

---

(١) قوله: (حيث قالوا لما أمروا...) إشارة إلى سبب نزول هذه الآية. عزاه القرطبي إلى ابن عباس، قال: «نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ: «**اسجدوا للرحمن**»، قالوا: وما الرحمن؟». وروى ابن جرير عن قتادة، وابن جريج عن مجاهد: «نزلت في صلح الحديبية لما كتب «بسم الله الرحمن الرحيم»، قالوا: لا تكتب الرحمن، وما ندري ما الرحمن، ولا نكتب إلا باسمك اللهم...». ملخصًا، وعزاه القرطبي إلى مقاتل.

(٢) ﴿مَتَابِ ٣٠﴾ مصدر ميمي أي: مرجعي، وهو مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة.

(٣) قوله: (ونزل...) ما ذكره من سبب النزول مروي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة وغيرهم بألفاظ متقاربة، كما روى ابن جرير، ونقله القرطبي.

(٤) قوله: (بأن يُحيَوْا) بصيغة المبني للمفعول.

وقوله: (لما آمنوا) قدره ليكون جوابًا لـ﴿لَوۡ﴾ الشرطية. وفعل الشرط محذوف، تقديره: ولو ثبت أن قرآنًا...، والواو في ﴿وَلَوۡ أَنَّ﴾ استئنافية.

(٥) قوله: (لا لغيره) استفيد الحصر من تقديم الخبر ﴿لِّلَّهِ﴾، ومن الحال ﴿جَمِيعًاۗ﴾.

(٦) وقوله: (فلا يؤمن...) بيان لمضمون هذه الآية. قال ابن كثير في معنى الآية: «لو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال أو تقطع به الأرض أو تكلم به الموتى، لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره أو بطريق الأولى، ومع هذا فهؤلاء المشركون =

ما اقترحوا طمعًا في إيمانهم[١] ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾ يعلم[٢] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن﴾ مخففة، أي: أنه ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ﴾ إلى الإيمان من غير آية ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾ بصنعهم، أي: كفرهم ﴿قَارِعَةٌ﴾ داهية[٣] تقرعهم بصنوف البلاء من القتل والأسر والحرب والجدب ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ يا محمد بجيشك[٤] ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ مكة ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِۚ﴾ بالنصر عليهم[٥] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾، وقد حل بالحديبية حتى أتى فتح مكة.

﴿٣٢﴾- ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كما استهزئ بك، وهذا تسلية للنبي ﷺ[٦] ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ أمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ﴾ بالعقوبة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ أي: هو واقع موقعه[٧]، فكذلك أفعل بمن استهزأ بك.

= كافرون به...» ملخصًا. فالقرآن على هذا يكون بمعنى الكتاب، أي كتاب سماوي، ويكون جواب ﴿لَوْ﴾: لكان هذا القرآن.

(١) قوله: (ونزل...). لم أجد هذا معزوًّا.

(٢) وقوله: (يعلم). وبه فسر ابن عباس، وعليّ، ومجاهد وغيرهم، واختاره ابن جرير، قال الكلبي: «هي لغة نخع».

(٣) قوله: (داهية) وبمثله فسر ابن جرير، والقرطبي وغيرهما.

(٤) قوله: (يا محمد) أشار به إلى أنها صيغة مخاطب وضميرها «أنت»، للنبي ﷺ، قاله ابن عباس، ومجاهد. وعن قتادة، والحسن: «﴿تَحُلُّ﴾ القارعة». فهي صيغة الغائبة المؤنثة.

(٥) قوله: (بالنصر عليهم) وهو فتح مكة في قول مجاهد، وقتادة. وقال الحسن: «وعد الله يوم القيامة».اهـ.

(٦) قوله: (وهذا تسلية...) كما قاله ابن كثير وغيره.

(٧) قوله: (هو واقع موقعَه) كما في «الصحيحين»: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا** =

(٣٣)- ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ﴾ رقيب[١] ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر، وهو الله كمن ليس كذلك من الأصنام؟ لا[٢]، دل على هذا[٣] ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ له من هم؟ ﴿أَمْ﴾ بل أَ[٤] ﴿تُنَبِّـُٔونَهُۥ﴾ تخبرون الله ﴿بِمَا﴾ أي: بشريك ﴿لَا يَعْلَمُ﴾ـه ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ استفهام إنكاري، أي: لا شريك له، إذ لو

= أخذه لم يفلته»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)﴾ [هود: ١٠٢].اهـ. [«فتح الباري (٨/ ٢١٥)، مسلم (٤/ ١٩٩٧)].

﴿كَيْفَ﴾ في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾.

﴿عِقَابِ﴾ مضاف إلى ياء المتكلم، حذف تخفيفًا، واكتفاءً بالكسر، وهم اسم ﴿كَانَ﴾.

(١) قوله: (رقيب) أفاد به أن القيام هنا ليس ما يقابل القعود، بل بمعنى التولي بأمور الخلق ومراقبتها. كما قال ابن كثير: «حفيظ عليم رقيب...».اهـ.

(٢) قوله: (كمن ليس كذلك). قدره ليكون خبرًا عن ﴿مَنْ﴾ الموصولة المبتدأ، حذف لدلالة السياق عليه، والهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء استئنافية أو عاطفة على مقدر.

وقوله: (من الأصنام). بيان لـ(من ليس كذلك).

وقوله: (لا). قدره ليكون جوابًا للاستفهام الإنكاري.

(٣) وقوله: (دل على هذا) أي على الخبر المقدر بقوله: (كمن ليس كذلك) دل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ...﴾. كما فسر ابن جرير، وابن كثير وغيرهما.

والمعنى: أفمن هو قائم... كمن ليس كذلك كالأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل ولا تملك ضرًّا ولا نفعًا؟ كما قاله ابن كثير؛ ففي الآية تضليل لعبادة الأصنام وأنها خلاف المقتضى العقل السليم.

(٤) قوله: (بل أَ) أفاد أن ﴿أَمْ﴾ منقطعة تضمنت معنى الاستفهام الإنكاري، وكذا ﴿أَم﴾ الآتية منقطعة بدون معنى الاستفهام.

كان لعلمه، تعالى عن ذلك ﴿أَمْ﴾ بل تسمونهم شركاء ﴿بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ﴾ بظن باطل[١]، لا حقيقة له في الباطن ﴿بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ﴾ كفرهم[٢] ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾ طريق الهدى ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٣﴾.

٣٤- ﴿لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ بالقتل والأسر[٣] ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ﴾ أشد منه ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عذابه ﴿مِن وَاقٖ ٣٤﴾ مانع.

٣٥- ﴿۞ مَّثَلُ﴾ صفة[٤] ﴿ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ﴾ مبتدأ[٥]، خبره محذوف أي: فيما نقُصُّ عليكم ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا﴾ ما يؤكل فيها ﴿دَآئِمٞ﴾ لا يفنى ﴿وَظِلُّهَاۚ﴾ دائم[٦] لا تنسخه شمس لعدمها فيها[٧] ﴿تِلۡكَ﴾ أي:

---

(١) قوله: (بظن باطل) قال مجاهد: «بظنّ»، وقال قتادة: «بباطل من القول»، فكأن المفسر جمع بين التفسيرين.

(٢) قوله: (كفرهم) بمثله قاله مجاهد: «قولهم: أي قولهم بالشرك بالله» كما ذكره ابن جرير.

(٣) قوله: (والأسر...). أي: وغيرهما من الآفات التي يصيبهم الله بها. كما قال ابن جرير.

(٤) قوله: (صفة) كذا فسر المثل ابن كثير وغيره، قال ابن كثير: «أي: صفتها ونعتها».

(٥) قوله: (مبتدأ...). ما ذكره المفسر من الإعراب نسب إلى سيبويه. فـ﴿مَّثَلُ﴾ بمعنى صفة مبتدأ، والخبر مقدر: أي: فيما يتلى عليكم أو يقص عليكم صفة الجنة.

وجملة ﴿تَجۡرِي﴾ وما بعدها بيان للمحذوف، أي: لما يتلى عليكم من صفات الجنة. وقال الخليل: «﴿مَّثَلُ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿تَجۡرِي﴾ في محل رفع خبر». وقال الفراء: «﴿مَّثَلُ﴾ مزيد». والمعنى: الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها... نقله القرطبي، والبيضاوي وغيرهما، والأشهر الأول الذي ذكر المفسر.

(٦) قوله: (﴿وَظِلُّهَاۚ﴾ دائم). أفاد أن خبر ﴿وَظِلُّهَاۚ﴾ محذوف لدلالة الأول عليه.

(٧) وقوله: (لعدمها فيها). أي: لعدم الشمس في الجنة. قاله ابن جرير.

الجنة ﴿عُقۡبَى﴾ عاقبة ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ﴾ الشرك ﴿وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ٣٥﴾.

٣٦- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ كعبدالله بن سلام[١] وغيره من مؤمني اليهود ﴿يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ﴾ لموافقته ما عندهم ﴿وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود[٢] ﴿مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ﴾ كذكر الرحمن، وما عدا القصص ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ﴾ فيما أنزل إليّ ﴿أَنۡ﴾ أي: بأن[٣] ﴿أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ[٤] ٣٦﴾ مرجعي.

٣٧- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الإنزال ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿حُكۡمًا عَرَبِيًّاۚ﴾ بلغة العرب

---

(١) قوله: (كعبدالله بن سلام). أي: فالمراد بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ هنا هم مؤمنو أهل الكتاب. وعزا القرطبي القول به إلى مجاهد. وقال قتادة: «المراد بهم أصحاب محمد ﷺ يفرحون بنور القرآن»، وقاله مجاهد أيضاً. فـ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ على هذا: القرآن، وعلى القول الأول: التوراة. وعلى القول الثاني المراد بـ﴿ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ المشركون وغيرهم. وقال القرطبي عن أكثر العلماء: «لما أسلم عبدالله بن سلام وأصحابه ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن وكثرة ذكره في التوراة، فأنزل الله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ﴾ [الإسراء: ١١٠]، فاستنكرت قريش، قالوا: محمد يدعو إلى الله وإلى الرحمن، وما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، فنزلت: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ ...﴾، ففرح مؤمنو أهل الكتاب، وأنزل الله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ...﴾».اهـ. ملخصًا، وفي كلام المفسر إشارة إلى هذا.

(٢) قوله: (بالمعاداة...) بالتاء المربوطة مصدر عادى يعادي. وأما «المعادات» بالتاء المفتوحة فهو جمع مؤنث لاسم مفعول من أعاد يُعيد.

(٣) قوله: (بأن) أشار إلى حذف حرف الجر وهو مطرد مع «أنْ» و«أنَّ»، و﴿أَنۡ﴾ هنا مصدرية ناصبة.

(٤) ﴿مَـَٔابِ﴾ مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة تخفيفًا.

تحكم به بين الناس[١] ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ أي: الكفار فيما يدعونك إليه من ملّتهم، فرضًا[٢] ﴿بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بالتوحيد ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن﴾ زائدة[٣] ﴿وَلِيٍّ﴾ ناصر ﴿وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ مانع من عذابه.

﴿٣٨﴾- ونزل لما عيّروه بكثر النساء[٤]: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ أولادًا، وأنت مثلهم ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾[٥] منهم ﴿أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مربوبون ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ مدة ﴿كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ مكتوب فيه تحديده[٦].

(١) قوله: (تحكم به) أشار به إلى أن المراد بالحكم هو القرآن؛ لأنه يحكم به، فهو حاكم، سمي حكمًا مبالغة، كما يعلم من كلام ابن جرير وغيره، ونصبه على الحال من الهاء.

(٢) قوله: (فرضًا) أي: اتباع هواهم أمر مفترضٌ، كما تقدم في سورة البقرة (١٤٥)، وغيرها من الآيات.

(٣) قوله: (زائدة). أي: إعرابًا؛ لتوكيد الكلام.

(٤) قوله: (ونزل...). ذكر القرطبي نحو ذلك من دون عزو، وقال: «قيل: إن اليهود عابوا على النبي ﷺ الأزواج...».اهـ وإذا كانت هذه السورة كلها مكية فلا يتأتى هذا القول؛ لأن تعدد أزواجه ﷺ كان بعد الهجرة، ويمكن أن يكون فيها رد على قول المشركين: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧]، ونحو ذلك من أقوالهم، والله أعلم.

(٥) وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ...﴾. رد لشبهة أخرى من أنه إن كان نبيًّا لأتى بما نقترحه كله. كما في الصاوي.

(٦) قوله: (مكتوب فيه...) بنحوه فسر ابن كثير، قال: «لكل مدة مضروبة كتاب مكتوب بها وكل شيء عنده بمقدار».اهـ.

(٣٩)- ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ﴾ منه[١] ﴿مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُ﴾ بالتخفيف والتشديد[٢]، فيه ما يشاء من الأحكام وغيرها[٣] ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ (٣٩)﴾ أصله الذي لا يتغير منه شيء، وهو ما كتبه في الأزل.

(٤٠)- ﴿وَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة[٤] ﴿نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف، أي: فذاك[٥]

---

(١) قوله: (منه) أي: من ذلك الكتاب.

(٢) قوله: (بالتخفيف والتشديد): قراءتان: بالتخفيف: ﴿وَيُثۡبِتُ﴾ مضارع أثبت: قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وعاصم، ويعقوب. وبالتشديد: ﴿وَ يُثَبِّتُ﴾ مضارع ثبّت: قراءة الباقين.

(٣) وقوله: (فيه ما يشاء) أي: في ذلك الكتاب يثبت ما يشاء، كما يمحو منه ما يشاء. قال ابن كثير بعد ما نقل ما ورد عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وغيرهما في تفسير قوله تعالى: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ...﴾: «ومعنى هذه الأقوال أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها، ويثبت منها ما يشاء». ويستأنس لذلك بما رواه أحمد والنسائي وغيرهما عن ثوبان، قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر**». ونقل القرطبي ما يفيد هذا المعنى عن ابن عباس. وظاهر كلام المفسر هنا يفيده. ولكن أم الكتاب وهو ما كتبه في الأزل بمتقضى علمه وإرادته فلا يتغير، وقال الصاوي: «الصحف التي بيد الملائكة قابلة للتغيير جزمًا، وأصل الكتاب الذي هو ما قدره وتعلق به إرادته وعلمه فلا يتغير، وأما اللوح المحفوظ ففيه خلاف».اهـ. وظاهر كلام المفسر أنه يقع فيه التغير أيضًا. والعلم عند الله.

(٤) قوله: (فيه إدغام...). أي: ﴿إِمَّا﴾ أصله «إن» الشرطية، و«ما» المزيدة أدغمت النون في «ما».

(٥) قوله: (وجواب الشرط محذوف). هذا أحد الاحتمالين، والثاني: الجواب ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ﴾ والمعنى: إما نرينك عذابهم أو نتوفينك قبل ذلك -مهما كان الأمر- فإنما عليك البلاغ.

﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ﴾ ما عليك إلّا التبليغ ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ إذا صاروا إلينا فنجازيهم.

﴿٤١﴾- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أي: أهل مكة ﴿أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ نقصد أرضهم[1] ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بالفتح على النبي ﷺ[2] ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ﴾ في خلقه بما يشاء ﴿لَا مُعَقِّبَ﴾ لا رادّ[3] ﴿لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾.

﴿٤٢﴾- ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم بأنبيائهم[4]، كما مكروا بك ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾، وليس مكرهم كمكره؛ لأنه تعالى[5] ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فيعدّ لها جزاءه، وهذا هو المكر كله؛ لأنه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ﴾ المراد به الجنس[6]، وفي قراءة: «الْكُفَّرُ»، ﴿لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾

---

(١) قوله: (نقصد أرضهم) أفاد به أن الإتيان هنا بمعنى القصد لا الإتيان الذي هو صفته كإتيانه لفصل القضاء. كما نقل ابن كثير عن ابن عباس قال: «أولم يروا أنا نفتح لمحمد ﷺ الأرض بعد الأرض».اهـ.

(٢) قوله: (بالفتح على النبي ﷺ) روى ابن جرير ذلك عن ابن عباس، والحسن، والضحاك بألفاظٍ متقاربة، فيكون المعنى: أولم يروا ذلك ولا يخافون أن تفتح له أرضهم كما فتحنا له غيرها. قاله ابن جرير.

(٣) قوله: (لا رادّ) كما قاله ابن جرير وغيره.

(٤) قوله: (بأنبيائهم) أي: أرادوا إخراج رسلهم أو الفتك بهم.

(٥) قوله: (لأنه تعالى...) مرتبطة بما بعده. أشار بتقديره إلى أن جملة ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ﴾ في معنى التعليل لما قبلها، كما يعلم من كلام المفسرين، وتقدم في أول سورة البقرة معنى نسبة المكر ونحوه إلى الله تعالى.

(٦) قوله: (المراد به الجنس) أي: على قراءة: ﴿الْكَافِرُ﴾، فيكون بمعنى الجمع، وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وأبي جعفر. و﴿الْكُفَّرُ﴾: بصيغة الجمع: قراءة الباقين.

أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، ألهم أم للنبي ﷺ وأصحابه.

٤٣- ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لك ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ﴾ لهم ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ من مؤمني اليهود والنصارى[1].

❁❁❁

(١) قوله: (من مؤمنين اليهود والنصارى). روى ابن جرير ذلك عن ابن عباس، وعن قتادة. واختاره ابن كثير. وعن مجاهد: «المراد به عبدالله بن سلام»، وأخرج ابن جرير رواية عن عبدالله بن سلام قال: «أنزل فيّ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾»، كما رواه الترمذي أيضًا. قال ابن كثير: «هذا القول غريب؛ لأن عبدالله بن سلام آمن بالمدينة، والآية مكية»، وكذا قاله القرطبي.

ونقل عن ابن عباس: «أنه جبريل»، وعن الحسن، ومجاهد: «هو الله تعالى». والذي عليه جمهور المفسرين -كابن كثير والقرطبي وغيرهما- ما ذكره المفسر، فتكون الآية احتجاجًا على المشركين؛ لأنهم كانوا يرجعون إلى أهل الكتاب. كما ذكره القرطبي.

والباء في اسم الجلالة مزيدة للتوكيد، واسم الجلالة فاعل ﴿كَفَىٰ﴾، وزيادة الباء هنا جائزة.

وقد ذكرنا في «الثنائيات» مواضع جر الفاعل بحرف الجر، وهي خمسة مواضع:

قَدْ جُرَّ فاعِل بحرف جَرِّ ... في صورٍ خمسٍ بدون نُكْرِ

بعد كفى، وحُبَّ، هيهاتَ، وفي ... أفعِلْ به وبعد فِعْلٍ قد نُفِي

والتفصيل في الشرح.

١٤- سورة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

مكية(١) إلا ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ ...﴾ [٢٨-٢٩] الآيتين، وآياتها إحدى أو اثنتان أو أربع أو خمس وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك، هذا القرآن(٢) ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر(٣) ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِ﴾ بأمر ﴿رَبِّهِمْ﴾ ويبدل من «إِلَى ٱلنُّورِ»، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ طريق ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿ٱلْحَمِيدِ (١)﴾ المحمود.

(٢)- ﴿ٱللَّهِ﴾ بالجر بدل، أو عطف بيان، وما بعده صفة(٤)، والرفع: مبتدأ،

---

(١) قوله: (مكية...) كلها مكية في قول جابر، والحسن، وعكرمة. ومكية إلا الآيتين (٢٨-٢٩)، في قول ابن عباس، وقتادة. وقيل: ثلاث آيات. نقله القرطبي.

وقوله: (وآياتها...) ذكر المفسر في عدد الآيات أربعة أقوال، ولم أجدها معزوة، والمرقم في المصاحف: اثنتان وخمسون آية. واقتصر على ذلك ابن جرير وابن كثير وغيرهما.

(٢) قوله: (هذا القرآن) قدره ليكون مبتدأ، و﴿كِتَٰبٌ﴾ خبرًا له.

(٣) قوله: (الكفر) أشار به إلى أن ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ و﴿ٱلنُّورِ﴾ من باب الاستعارة، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وغيره من الآيات، وكما في الآية التالية رقم (٥).

(٤) قوله: (بالجرّ) قرأ نافع وابن عامر، وأبو جعفر برفع ﴿ٱللَّهُ﴾، وصلًا وابتداءً، ورويس: بالرفع ابتداءً، والجرّ وصلًا. وقرأ الباقون بالجر وصلًا وابتداءً. ووجههما الإعرابي: ما ذكره المفسر. أي: الجرّ على أنه بدل أو عطف بيان. والاسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾ نعت، والرفع على أنه مبتدأ، والاسم الموصول خبر، ويجوز كونه خبرًا للمبتدأ المحذوف، أي: هو الله الذي...

خبره: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا[١] ﴿وَوَيْلٌ[٢] لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ٢﴾.

٣- ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت[٣] ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ يختارون[٤] ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ أي: السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة[٥] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ٣﴾ عن الحق.

٤- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ﴾ بلغة[٦] ﴿قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ليفهمهم ما أتى به ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ[٧] وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في

---

(١) قوله: (ملكًا وخلقًا وعبيدًا) تمييز للنسبة كما تقدم.

(٢) و﴿وَيْلٌ﴾ مبتدأ، وهو نكرة سوغ الابتداء به لتضمنه معنى الدعاء. تقدم تفسيره في سورة البقرة الآية (٧٩).

(٣) قوله: (نعت) ويجوز كونه مبتدأ، والخبر جملة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ٣﴾.

(٤) وقوله: (يختارون) كما فسر به ابن جرير وغيره، أفاد به أن ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ تعلق به ﴿عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ لتضمنه معنى (يختارون).

(٥) قوله: (معوجة) أشار إلى أن ﴿عِوَجًا﴾ مصدر بمعنى اسم فاعل، وهو منصوب على الحالية، ويجوز كونه على مصدريته، ويكون مفعولًا به، والضمير «ها» في محل نصب على نزع الخافض، أي: يبغون لها عوجًا. كما يعلم من كلام القرطبي وغيره.

(٦) قوله: (بلغة) فاللسان هنا بمعنى اللغة، كما فسر به عامة المفسرين، وإطلاق اللسان على اللغة من المجاز المرسل، من إطلاق الآلة على ذي الآلة، فاللسان آلة للنطق باللغة.

تنبيه: استدل بعض المعاصرين بهذه الآية على وجوب ترجمة خطبة الجمعة وما أدري ما وجه الدلالة. ولا يخفى أن الفقهاء اشترطوا كون الخطبة بالعربية؛ لأنها عبادة، ولم تنقل ترجمتها مع اتساع دائرة الإسلام إلى بلاد العجم.

(٧) قوله تعالى: ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ...﴾. صريح في أن الهداية وضدها من الله تعالى، =

ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ ۝٤﴾ في صنعه.

۝٥- ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التسع[1]، وقلنا له[2]: ﴿أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ﴾ بنعمه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ التذكير ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾ على الطاعة ﴿شَكُورٖ ۝٥﴾ للنعم.

= وهما مقدران أزلًا، كما عليه أهل السنة والجماعة، فليست الهداية راجعة إلى مجرد العلم، فكم من كفار يعلمون الحق، ولم يسلموا، وعلى رأسهم إبليس، وكانت أحبار اليهود يعرفون الحق، وكذا أكثر مشركي مكة كانوا يعرفون أن الرسول حق، وصدهم عن الهداية الحسد؛ كاليهود، أو العصبية؛ ككفار مكة، اللهم ثبتنا على الحق.

(١) قوله: (التسع) وهن: اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنون ونقص الثمرات -مع اختلاف في بعضها-. وهذه الآيات أرسل بها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى القبط وبني إسرائيل، وكانت قبل هلاك فرعون، وأما المن والسلوى وانفجار اثنتي عشرة عينًا وتظليل الغمام ونحو ذلك فهي خاصة ببني إسرائيل بعد هلالك فرعون. وقد نبهنا على ذلك في تفسير سورة الأعراف، وعلى هذا لا مانع أن يراد بـ﴿قَوۡمَكَ﴾ بنو إسرائيل والقبط. لكن تفسير ﴿بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ﴾ بنعمه يدل على أن المراد بهم بنو إسرائيل، حيث فسره قتادة ومجاهد وغير واحد أنها: إنجاؤهم من فرعون وفلق البحر والمن والسلوى وغيرها مما أنعم الله على بني إسرائيل، وقد روى عبدالله بن أحمد في مسند أبيه أحمد في ذلك حديثًا مرفوعًا عن أبي بن كعب قال النبي ﷺ: «**بنعم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**»، ولكن قال ابن كثير: «كونه موقوفًا أشبه».اهـ.

(٢) قوله: (وقلنا له). هذا تفسير لتوضيح المراد، وإلا فلا يحتاج إليه لأن ﴿أَنۡ﴾ تفسيرية، وضابطها: أن تتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه، وهي هنا: ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾، ويجوز كون ﴿أَنۡ﴾ مصدرية، أي: بإرسال قومك... ذكر الوجهين البيضاوي وغيره.

٦- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَآءَكُمْ﴾ لقول بعض الكهنة[1]: إن مولودًا يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ الإنجاء أو العذاب ﴿بَلَآءٌ﴾ إنعام أو ابتلاء ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦﴾.

٧- ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أعلم ﴿رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ[2]﴾ نعمتي بالتوحيد والطاعة ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ جحدتم النعمة بالكفر والمعصية لأعذبنكم، دلّ عليه ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾.

٨- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ لقومه ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ ۝٨﴾ محمود في صنعه بهم.

٩- ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ استفهام تقرير[3] ﴿نَبَؤُاْ﴾ خبر ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا

---

(١) قوله: (لقول بعض الكهنة:...) تقدم تفسير ذلك كله في سورة البقرة.

(٢) ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ اللام دالة على قسم، فهنا اجتمع القسم والشرط، والمتقدم هو القسم، فالجواب له، وهو ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾... قال ابن كثير: «لأزيدنكم من نعمتي».اهـ. و﴿إِنَّ عَذَابِي...﴾ الجملة الاسمية دالة على جواب القسم ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾. كما قال المفسر، وتقدير الجواب: (لأعذبنكم) لموافقة ما قبله، وإلا فالجملة الاسمية تقع جواب القسم. قوله: (محمود...) تقدم ما يتعلق به. مثلًا سورة البقرة الآية (٢٦٧).

(٣) قوله: (استفهام تقرير). وذلك أن الهمزة للاستفهام الإنكاري دخلت على النفي، ونفي النفي إثبات. فصار حاصل المعنى: التقرير.

﴿يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ لكثرتهم ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج الواضحة على صدقهم ﴿فَرَدُّوٓاْ﴾ أي: الأمم ﴿أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ أي: إليها[(١)] ليعضُّوا عليها من شدة الغيظ[(٢)] ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾ في زعمكم ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٩﴾ موقع في الريبة[(٣)].

١٠- ﴿۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ﴾ استفهام إنكار، أي: لا شك في توحيده للدلائل الظاهرة عليه[(٤)] ﴿فَاطِرِ﴾ خالق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ﴾ إلى طاعته ﴿لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾، «مِّن» زائدة[(٥)]، فإن الإسلام يغفر به ما

---

(١) قوله: (أي: إليها...) أفاد به أن ﴿فِيٓ﴾ بمعنى: إلى.

(٢) وقوله: (ليعضوا عليها...) فسر به معنى قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ﴾، وهذا الذي ذكره من المعنى رواه ابن جرير عن عبدالله بن مسعود من عدة طرق، ورجحه. وروى عن مجاهد: «معناه: ردّوا قولهم وكذبوهم»، فتكون كناية. ونقل القرطبي عن أبي صالح: «إذا قال نبيهم: أنا رسول الله، أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم: أن اسكت؛ تكذيبًا لهم».اهـ. وعلى هذا الكلام حقيقة. ومآل هذه الأقوال متقارب. كما أشار له القرطبي.

(٣) قوله: (موقع في الريبة). تفسير ﴿مُرِيبٖ﴾، وهو نعت لـ﴿شَكّٖ﴾.

(٤) قوله: (أي: لا شك في توحيده...) عزا القرطبي هذا إلى قتادة، ولعل وجه تخصيص التوحيد بالذكر؛ لأنهم كانوا يعرفون أن الله هو الخالق، أي: كان عندهم شيء من توحيد الربوبية، وكانوا ينكرون توحيد الألوهية.

و﴿فَاطِرِ﴾ نعت لله، وإضافته معنوية؛ لكونها بمعنى الماضي.

(٥) قوله: (﴿مِّن﴾ زائدة). عزاه القرطبي إلى أبي عبيد. وعلى هذا يكون المراد بالذنوب ما عدا حقوق الآدميين.

قبله، أو تبعيضية[١] لإخراج حقوق العباد ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ أجل الموت ﴿قَالُوٓاْ إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ حجة ظاهرة على صدقكم.

﴿١١﴾- ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن﴾ ما ﴿نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ كما قلتم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ﴾ بالنبوة[٢] ﴿وَمَا كَانَ﴾ ما ينبغي ﴿لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ بأمره، لأننا عبيد مربوبون ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ يثقوا به.

﴿١٢﴾- ﴿وَمَا لَنَآ أَ﴾ن[٣] ﴿لَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: لا مانع لنا من ذلك ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ﴾ على أذاكم[٤] ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

---

(١) وقوله: (أو تبعيضية) قاله سيبويه على ما عزاه القرطبي، وحكى وجهًا ثالثًا: أنها للبدلية. والمعنى: لتكون المغفرة بدلًا عن ذنوبكم.

(٢) قوله: (بالنبوة) كذا فسره القرطبي. وعلى هذا يكون المراد بـ﴿مَن يَشَآءُ﴾ الأنبياء. وقيل: بالتوفيق والهداية. فيكون المراد: الأنبياء وغيرهم. كما هو ظاهر كلام ابن جرير.

(٣) قوله: (أن) قدر النون لتوضيح المعنى. وفي بعض النسخ: ﴿أَلَّا﴾ أي بدون إظهار النون. و«أن» مصدرية، وهي تكتب موصولة باللام ﴿أَلَّا﴾. و«أن» المخففة تكتب مفصولة ﴿أَن لَّا﴾. و«ما» استفهامية مبتدأ، و﴿لَنَآ﴾ الجار والمجرور خبر. والمصدر المؤول منصوب بنزع الخافض، والمعنى: أي شيء لنا في ترك التوكل. كما يعلم من القرطبي وغيره. والواو في ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا﴾ حالية، وفي ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ﴾ استئنافية.

(٤) وقوله: (على أذاكم) أفاد به أن ﴿مَآ﴾ مصدرية.

١٣- ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ ﴾ لتصيرن[١] ﴿فِي مِلَّتِنَاۖ﴾ ديننا ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٣﴾ الكافرين.

١٤- ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ أرضهم ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْۚ﴾ بعد هلاكهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ النصر وإيراث الأرض ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ أي: مقامه بين يديّ[٢] ﴿وَخَافَ وَعِيدِ ١٤﴾[٣] بالعذاب.

١٥- ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ﴾ استنصر الرسل بالله على قومهم[٤] ﴿وَخَابَ﴾ خسر ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾ متكبر عن طاعة الله ﴿عَنِيدٍ ١٥﴾ معاند للحق[٥].

١٦- ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ أي: أمامه[٦] ﴿جَهَنَّمُ﴾ يدخلها ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ فيها ﴿مِن مَّآءٍ

---

(١) قوله: (لتصيرن). أفاد به أن المراد بالعود هنا الصيرورة، لا العود الحقيقي؛ لأن الرسل لم يكونوا على ملتهم حتى يتصوّر منهم العود. وظاهر كلامه أن ﴿أَوْ﴾ هنا للتخيير، والفعل ﴿لَتَعُودُنَّ﴾ مرفوع، علامة رفعه النون المحذوفة. حكاه القرطبي عن ابن العربي. ويحتمل كون ﴿أَوْ﴾ بمعنى: حتى، والفعل منصوب بـ«أن» مضمرة. كما قاله ابن جرير وغيره.

(٢) قوله: (أي: مقامه...). أشار إلى أن «مقام» مصدر ميمي أضيف إلى الضمير الراجع إلى الله تعالى بنوع تقدير.

(٣) ﴿وَعِيدِ﴾. منصوب مضاف إلى ياء المتكلم حذفت تخفيفًا.

(٤) قوله: (استنصر الرسل...). كذا فسره ابن جرير وغيره، ورواه عن مجاهد وغيره.

(٥) قوله: (معاند للحق). كما قال قتادة: «الذي أبى أن يقول: لا إله إلا الله».

(٦) قوله: (أمامه) قاله ابن جرير. وكما قال القرطبي: «أي: من بعد هلاكه». وقيل: من ورائه أي: أمامه. أي: في المستقبل وهو ما بعد موته... فالمآل واحد. ونقل ابن جرير: «هو من حروف الأضداد، أي: «وراء» يكون قدامًا وخلفًا».اهـ.

﴿صَدِيدٍ ١٦﴾ هو ما يسيل من جوف أهل النار[١]، مختلطًا بالقيح والدم.

١٧- ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ يزدرده[٢]؛ لقبحه وكراهته[٣] ﴿وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي: أسبابه المقتضية له من أنواع العذاب ﴿مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ بعد ذلك العذاب ﴿عَذَابٌ غَلِيظٞ ١٧﴾ قويّ متصل[٤].

١٨- ﴿مَّثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ﴾ مبتدأ[٥]، ويبدل منه: ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ الصالحات، كصلة وصدقة في عدم الانتفاع بها ﴿كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ

---

(١) قوله: (هو ما يسيل...) تفسير للـ﴿صَدِيدٍ﴾، وبه قال ابن جرير ورواه عن مجاهد، وقتادة، والضحاك. و﴿صَدِيدٍ﴾ عطف بيان لـ﴿مَّآءٍ﴾، عند من أجاز كون عطف البيان نكرة، وهو مذهب الكوفيين أو بدل عند من منعهُ، كما هو مذهب البصريين.

(٢) قوله: (يزدرده). مضارع «ازدرد»، بوزن «افتعل» من الزرد. والدال الأولى منقلبة عن التاء، بمعنى: ابتلع بسهولة.

(٣) وقوله: (لقبحه...) كما روى ابن جرير عن أبي أمامة مرفوعًا... «**فإذا شربه قطّع أمعاءه حتى يخرج من دُبُره**». ورواه الترمذي وأحمد والحاكم.

(٤) قوله: (قويّ متصل). كما قال ابن كثير: «وله من بعد هذه الحال عذاب آخر غليظ... فتارة يكونون في أكل الزقوم، وتارة في شرب حميم وتارة يردون إلى جحيم، والعياذ بالله».اهـ. موجزًا.

(٥) قوله: (مبتدأ) يعني: ﴿مَّثَلُ﴾ مبتدأ، و﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ بدل اشتمال منه، والخبر: الجار والمجرور: ﴿كَرَمَادٍ...﴾. هذا أحد الأوجه في إعراب الآية، وذكره البيضاوي.

وأعربت أيضًا: ﴿مَّثَلُ﴾ مبتدأ، حذف خبره، والتقدير: فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا. وجملة ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ مستأنفة لبيان المثل. وذكره البيضاوي وغيره.

﴿ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ﴾ شديد هبوب الريح، فجعلته هباءً منثورًا لا يقدر عليه[(١)]، والمجرور خبر المبتدأ ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ﴾ أي: الكفار ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾ عملوا في الدنيا ﴿عَلَىٰ شَيۡءٖۚ﴾ أي: لا يجدون له ثوابًا لعدم شرطه[(٢)] ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ﴾ الهلاك ﴿ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾.

١٩- ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ تنظر يا مخاطب[(٣)]، استفهام تقرير ﴿أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ متعلق بـ«خَلَقَ» ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ أيها الناس ﴿وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٩﴾ بدلكم.

٢٠- ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ٢٠﴾ شديد[(٤)].

٢١- ﴿وَبَرَزُواْ﴾ أي: الخلائق[(٥)]، والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي لتحقق

---

(١) قوله: (فجعلته هباءً...). فيه إشارة إلى وجه الشبه. كما روى ابن جرير عن ابن عباس: «...لا يقدرون على شيء من أعمالهم ينفعهم، كما لا يقدر على الرماد إذا أرسل عليه الريح في يوم عاصف».اهـ.

(٢) وقوله: (لعدم شرطه). وهو الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣]. فالمراد أنه لا ثواب لهم عليها في الآخرة، وقد ينالون بها خيرًا في الدنيا.

(٣) قوله: (تنظر...) أشار به إلى أن الرؤية هنا بصرية. فيكون جملة ﴿أَنَّ ٱللَّهَ...﴾ في محل نصب مفعولًا به، والأقرب أنها قلبية، والجملة سدّت مسد المفعولين، وقد نص القرطبي أنها قلبية، كما أشار إلى ذلك المعربون، وكما يدل على ذلك قراءة الكسائي وحمزة وخلف: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ خَٰلِقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾.

(٤) قوله: (شديد) أي: متعذر وممتنع كما فسر بنحو ذلك ابن جرير والقرطبي.

(٥) قوله: (أي: الخلائق) كذا فسره ابن كثير، وقال ابن جرير: «وظهر هؤلاء الذين كفروا =

وقوعه ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾ أي: المتبوعون ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعًا﴾ جمع: تابع[1] ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ «مِنْ» الأولى للتبيين، والثانية للتبعيض[2] ﴿قَالُواْ﴾ أي: المتبوعون ﴿لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ﴾ لدعوناكم إلى الهدى ﴿سَوَآءٌ[3] عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن﴾ زائدة ﴿مَّحِيصٖ ٢١﴾ ملجأ.

٢٢- ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ إبليس[4] ﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ وأدخل أهل الجنة

= به يوم القيامة...».اهـ. ولعله نظر إلى خصوص موضوع الآيات حيث ذكر فيها مخاصمة الكفار وتبرؤ الشيطان. والقول الأول نظر إلى الواقع، فإن الظهور من القبور والمجازاة عام في كل خلق برهم وفاجرهم، كما يدل عليه قوله تعالى الآتي: ﴿وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

فائدة: قال ابن كثير: «والظاهر أن هذه المراجعة في النار بعد دخولهم فيها، كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ...﴾ [غافر: ٤٧] الآية».اهـ.

(١) قوله: (جمع: تابع) أي: لأن «فَعَلًا» من أوزان الجمع لاسم الفاعل، نحو خادم وخَدَم، وحارس وحَرَس.

(٢) قوله: (﴿مِنۡ﴾ الأولى للتبيين) أي: بيانية، فهي بيان لشيء تقدمت عليه. و﴿مِن﴾ الثانية وهي الداخلة على ﴿شَيۡءٖۚ﴾ زائدة إعرابًا ومؤكدة للعموم معنًى، فالمعنى: فهل أنتم مغنون عنا شيئًا من عذاب الله، أي: شيئًا هو عذاب الله، وما ذكره أحد الوجوه الإعرابية.

(٣) ﴿سَوَآءٌ﴾ خبر مقدم، والهمزة للتسوية، و﴿أَمۡ﴾ متصلة عاطفة وجملة ﴿أَجَزِعۡنَآ﴾ في تأويل مصدر مبتدأ، أي: مستوٍ علينا الصبر والجزع. كما تقدم في قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ...﴾ [البقرة: ٦] الآية.

(٤) قوله: (إبليس) أفاد به أن الشيطان هنا إبليس، لا شياطين الإنس؛ لأن الشيطان يطلق على كل متمرد، من الجن والإنس والدواب. كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾ =

الجنة[١]، وأهل النار النار، واجتمعوا عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾ بالبعث والجزاء فصَدَقكم[٢] ﴿وَوَعَدتُّكُمۡ﴾ أنه غير كائن ﴿فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن﴾ زائدة ﴿سُلۡطَٰنٍ﴾ قوة وقدرة أقهركم على متابعتي[٣] ﴿إِلَّآ﴾ لكن[٤] ﴿أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ﴾ على إجابتي ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ﴾ بمغيثكم ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ﴾ بفتح الياء وكسرها[٥] ﴿إِنِّي

= [البقرة: ١٤]، و﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]. وكما في الحديث في شأن الكلب الأسود: «**إنه شيطان**»، أي: شيطان البهائم.

(١) قوله: (وأدخل أهل الجنة....) كما نقل القرطبي عن الحسن: «يقف إبليس خطيبًا في جهنم على منبر من نار يسمعه الخلائق جميعًا...».اهـ. وروى ابن جرير عن عامر الشعبي في تفسير هذه الآية، قال: «خطيبان يقومان يوم القيامة: إبليس وعيسى بن مريم، فأما إبليس فيقوم في حزبه فيقول هذا القول، وأما عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فيقول: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ ...﴾ [المائدة: ١١٧] الآية».اهـ.

(٢) قوله: (فصدقكم) من الصِّدْق، أي: قال لكم الصدق. قدره ليكون في مقابل ﴿فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ﴾.

(٣) قوله: (قوة...). وقال ابن جرير: «من حجة». كذا قال القرطبي، وغيره، وكلها متقارب.

(٤) قوله: (لكن) أفاد أن الاستثناء منقطع؛ لأن دعوته ليس من جنس السلطان.

(٥) قوله: (بفتح الياء...) قراءتان: كسر الياء: ﴿بِمُصۡرِخِيِّ﴾: قراءة حمزة. والفتح: ﴿بِمُصۡرِخِيَّ﴾: قراءة الجمهور. وهما لغتان، والأشهر الفتح. وأصله: «مصرخين»، جمع: مُصرخ. أضيف إلى ياء المتكلم فحذفت النون، وأدغمت الياء التي هي علامة الجر في ياء المتكلم، وفتحت ياء المتكلم لكون الفتح أخف الحركات، وكسرت -على قراءة حمزة- لأصل التقاء الساكنين؛ لأن الياءين ساكنتان في الأصل. كما أشار إلى ذلك القرطبي وغيره.

كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ﴾ بإشراككم إياي مع الله[١] ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ مؤلم.

﴿٢٣﴾- ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾ حال مقدرة[٢] ﴿فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾ من الله ومن الملائكة وفيما بينهم ﴿سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾[٣].

﴿٢٤﴾- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر[٤] ﴿كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه[٥] ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ أي: لا إله إلا الله[٦] ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي: النخلة[٧] ﴿أَصْلُهَا

---

(١) قوله: (بإشراككم...) أشار به إلى أن «ما» مصدرية. والنون في ﴿أَشْرَكْتُمُونِ﴾ نون الوقاية، وحذفت ياء المتكلم بعدها.

فائدة: قال القرطبي: «في قوله ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ...﴾ رد على القدرية والمعتزلة ومن نحا نحوهم، حيث أفاد أن الهداية وضدها بيده تعالى».اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله: (حال مقدرة) تقدم أنها التي يحصل معناها بعد حصول عاملها. فالخلود يكون بعد الدخول.

(٣) قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾. تقدم مثله في سور يونس الآية (١٠)، وكان المفسر ذكر هناك ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ فيما بينها ﴿فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ ومضى تفسير ذلك.

(٤) قوله: (تنظر). كما تقدم في آية (١٩)، و﴿كَيْفَ﴾ اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال، وهي معلقة للفعل ﴿تَرَ﴾ عن العمل، فجملة ﴿كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ...﴾ تسد مسد المفعولين.

(٥) قوله: (ويبدل منه) أي: من ﴿مَثَلًا﴾، و﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ بدل من ﴿مَثَلًا﴾ هذا أحد الأوجه الإعرابية.

(٦) قوله: (أي: لا إله إلا الله) أي: المراد بالكلمة الطيبة: لا إله إلا الله. كذا فسره ابن عباس، وبمثله قال الربيع بن أنس، كما في ابن جرير.

(٧) قوله: (هي: النخلة) أي الشجرة الطيبة التي شبهت بها الكلمة الطيبة هي: النخلة. =

﴿ثَابِتٌ﴾ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾ غصنها ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿٢٥﴾- ﴿تُؤْتِيٓ﴾ تعطي ﴿أُكُلَهَا﴾ ثمرها ﴿كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ بإرادته. كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن(١)، وعمله يصعد إلى السماء، ويناله بركته وثوابه كل وقت. ﴿وَيَضْرِبُ﴾ يبين ﴿ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ يتعظون، فيؤمنون.

﴿٢٦﴾- ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي: كلمة الكفر(٢) ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي: الحنظل(٣) ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾ استؤصلت ﴿مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ مستقر

= روى ذلك ابن جرير عن عدة من السلف، منهم ابن عباس، وأنس، وقتادة، وابن زيد. وكما يؤيد ذلك ما رواه البخاري عن ابن عمر قال: كنا عند رسول الله فقال: «**أخبروني عن شجرة تشبه -أو- كالرجل المسلم لا يتحات ورقها صيفًا ولا شتاء، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها...**»، وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**هي النخلة**».اهـ. [«فتح الباري» (٨/ ٢٢٨)]، وأصل الحديث رواه البخاري في عدة مواضع من صحيحه. وعن ابن عباس: «هي شجرة في الجنة»، وقال ابن كثير: «والظاهر من السياق أن المؤمن مثله كمثل شجرة لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف وشتاء أو ليل أو نهار...».

الخلاصة: يكون الأقوال في المراد بالشجرة: ثلاثة.

(١) قوله: (كذلك كلمة الإيمان...) فيه بيان لوجه الشبه في هذه التشبيه الرائع، ويستفاد من هذا التشبيه: إن إطلاق الأصوليين الأصل على الإيمان والفرع على الأعمال حيث يقولون: أصول الدين وفروعه، ونحو ذلك، فهذا إطلاق صحيح مناسب، خلافًا لمن انتقد على ذلك.

(٢) قوله: (هي كلمة) ولم أر فيه خلافًا. قال ابن جرير: «ومثل الشرك بالله وهي الكلمة الخبيثة».اهـ.

(٣) قوله: (هي: الحنظل) هكذا رواه ابن جرير عن أنس، ومجاهد. ورواه عن أنس مرفوعًا =

وثبات، كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة[١].

(٢٧)- ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ هو: كلمة التوحيد[٢] ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾ أي: في القبر[٣] لما يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبيهم، فيجيبون بالصواب، كما في حديث الشيخين ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكفار، فلا يهتدون للجواب بالصواب، بل يقولون: لا ندري، كما في الحديث ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ (٢٧)﴾.

(٢٨)- ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر[٤] ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي: شكرها ﴿كُفْرًا﴾

= أيضًا. والحنظل: نبات يمتد في الأرض يشبه البطيخ؛ لكنه صغير يضرب به المثل في المرارة.

(١) قوله: (كذلك...) فيه بيان لوجه الشبه في هذا التشبيه البديع.

(٢) قوله: (هي: كلمة التوحيد) أي: لا إله إلا الله، كما ذكره المفسرون. وعزاه القرطبي إلى ابن عباس.

(٣) قوله: (أي: في القبر) أي: المراد بالتثبيت في الآخرة هو عند سؤال الملكين في القبر، وأما التثبيت في الحياة الدنيا فتثبيتهم بالخير والعمل الصالح. رواه ابن جرير عن قتادة وطاووس ورجحه. وعليه أكثر المفسرين فيما نعلم. وروى عن البراء بن عازب من طرق: التثبيت في الحياة الدنيا: عند سؤال الملكين، أي: ويكون المراد بالتثبيت في الآخرة على هذا القول: التثبيت في المحشر. وعلى كل قول اتفقوا على أن هذه الآية في سؤال القبر. كما دل على ذلك حديث الشيخين الذي أشار إليه المفسر عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم إذا سئل في القبر أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله: «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة...»**» [«فتح الباري» (٨/ ٢٢٩)]، وسؤال القبر من معتقدات أهل السنة والجماعة خلافًا للمعتزلة.

(٤) قوله: (تنظر) فسر به لإفادة أن ﴿تَرَ﴾ ضمن معنى (تنظر)، ولذا عدّي بـ﴿إِلَى﴾.

هم كفار قريش[(١)] ﴿وَأَحَلُّواْ﴾ أنزلوا ﴿قَوۡمَهُمۡ﴾ بإضلالهم إياهم ﴿دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ الهلاك.

﴿٢٩﴾- ﴿ جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان[(٢)] ﴿يَصۡلَوۡنَهَاۖ﴾ يدخلونها ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ المقر هي[(٣)].

﴿٣٠﴾- ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا ﴾ شركاء ﴿لِّيَضِلُّواْ﴾ بفتح الياء وضمها[(٤)] ﴿عَن سَبِيلِهِۦۗ﴾ دين الإسلام ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿تَمَتَّعُواْ﴾ بدنياكم قليلًا ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ﴾ مرجعكم ﴿إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿٣١﴾- ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ[(٥)] ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا

---

(١) قوله: (هم كفار قريش). روي ذلك عن ابن عباس، وعلي، ومجاهد، وسعيد بن جبير وغيرهم. كما في ابن جرير. قال ابن كثير: «والمعنى يعم جميع الكفار، فإن الله تعالى بعث محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، ونعمة للناس، فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنة، ومن ردها وكفرها دخل النار».اهـ.

(٢) قوله: (عطف بيان) أي: لـ﴿دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾، أو بدل منها، وجملة ﴿يَصۡلَوۡنَهَاۖ﴾ استئنافية أو حالية، ويجوز كون ﴿ جَهَنَّمَ﴾ مفعولًا لفعل محذوف يفسره ﴿يَصۡلَوۡنَهَاۖ﴾ على باب الاشتغال، فلا يكون للجملة ﴿يَصۡلَوۡنَهَاۖ﴾ محل من الإعراب.

(٣) قوله: (هي) قدره ليكون مخصوصًا بالذم. والقرار مصدر بمعنى: مكان القرار، فيكون فيه نوع مجاز مرسل، والله أعلم.

(٤) قوله: (بفتح الياء...) قراءتان: بالفتح: ﴿لِّيَضِلُّواْ﴾: مضارع «ضلّ» الثلاثي المجرد: قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، ورويس. وبالضم: ﴿لِّيُضِلُّواْ﴾: مضارع «أضلَّ» الثلاثي المزيد: قراءة الباقين.

(٥) قوله تعالى: ﴿يُقِيمُواْ ...﴾. مجزوم على أنه جواب الأمر ﴿ قُل﴾، ويكون المراد بالعباد: =

وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ﴾ فداء[1] ﴿فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ مُخالَّة[2]، أي: صداقة تنفع، هو يوم القيامة.

﴿٣٢﴾- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ السفن[3] ﴿لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ بالركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِۦ ۖ﴾ بإذنه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿٣٣﴾- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ﴾ جاريين في فلكهما[4]، لا يفتران ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه ﴿وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ لتبتغوا فيه من فضله.

﴿٣٤﴾- ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ[5]﴾ على حسب مصالحكم ﴿وَإِن

= الممتثلون، ليترتب إقامة الصلاة، وما ذكر بعدها عن قول النبي ﷺ لهم بذلك. أي: إذا قلت لهم ذلك يقيموا... ومقول القول محذوف دل عليه الجواب: أي: قل لهم: أقيموا الصلاة...، ويجوز كون ﴿يُقِيمُوا۟﴾ مجزومًا بلام الأمر المقدر. وذكر الوجهين: البيضاوي.

(١) قوله: (فداء) فسر به ابن كثير.

(٢) وقوله: (مُخالة) بضم الميم وتشديد اللام، مصدر «خاللتُ فلانًا»، مخالّة، وخِلالًا. أفاده ابن كثير.

(٣) قوله: (السفن). ﴿ٱلْفُلْكَ﴾ -بضم اللام وسكونها-: السفينة، يطلق على الواحد والجمع. ويذكر ويؤنث، كما تقدم في سورة البقرة (١٦٤). والقراءة هنا بسكون اللام باتفاق.

(٤) قوله: (في فلكهما) بفتح الفاء واللام، أي: سمائهما ومدارهما، كما قال تعالى: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٣].

(٥) ﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ﴾. ﴿مِّن﴾: تبعيضية على ما قاله ابن جرير. والمعنى: وآتاكم مع إنعامه عليكم من تسخير هذه الأشياء من كل شيء سألتموه شيئًا. وقيل: ﴿مِّن﴾ زائدة، مؤكدة. أي: وآتاكم كل شيءٍ سألتموه حسب مصالحكم، وإليه يشير قول المفسر. وقيل: في الآية اكتفاء. والمعنى: وآتاكم من كل ما سألتموه ومما لم تسألوه. نقله القرطبي.

﴿تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ بمعنى: إنعامه[١] ﴿لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ لا تطيقوا عدها ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ الكافر[٢] ﴿لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ كثير الظلم لنفسه بالمعصية، والكفر لنعمة ربه.

٣٥- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ﴾ مكة ﴿ءَامِنٗا﴾ ذا أمن، وقد أجاب الله دعاءه[٣]، فجعله حرمًا لا يسفك فيه دم إنسان، ولا يظلم فيه أحد، ولا يصاد صيده، ولا يتخلى خلاه ﴿وَٱجۡنُبۡنِي﴾ بَعِّدْني ﴿وَبَنِيَّ[٤]﴾ عن ﴿أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾.

٣٦- ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ أي: الأصنام ﴿أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ بعبادتهم لها ﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾ على التوحيد ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ﴾ من أهل ديني ﴿وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ

---

(١) قوله: (إنعامه): النعمة تطلق على المنعم به، وعلى الإنعام فيكون اسم مصدر، وبه فسر المفسر، ويمكن أن يراد بها المعنى الأول، أي: المنعم به، كما يقتضيه كلام بعض المفسرين كالقرطبي، ومعناهما متقارب، وعلى كل حال يفيد أن المفرد المضاف إلى المعرفة مما يفيد العموم، كما يفيده الجمع المضاف إلى المعرفة، وقد أشار إلى ذلك القرطبي.

(٢) قوله: (الكافر) أشار به إلى أن الإنسان عام مراد به الخصوص. ويجوز كون «أل» فيه عهدية، والإشارة إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرًا. كما يقتضيه كلام ابن جرير.

(٣) قوله: (وقد أجاب الله...) كما تقدم في سورة البقرة (١٣٦).

(٤) وقوله تعالى: ﴿وَبَنِيَّ﴾. قال مجاهد: «فلم يعبد أحد من بنيه صنمًا». وقال القرطبي: «أراد بنيه من صلبه، وهم ثمانية؛ فلم يعبد أحد منهم صنمًا».اهـ.

وأشار المفسر بقوله: (عن) إلى حذف حرف الجر، وهو مطرد مع «أن» و«أنّ»، كما تقدم.

والصنم: التمثال المصور، وما لم يصور فهو وثن. كما أشار له ابن جرير.

رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ هذا قبل علمه أنه تعالى لا يغفر الشرك[1].

﴿٣٧﴾ - ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي: بعضها[2]، وهو إسماعيل مع أمه هاجر ﴿بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ هو مكة ﴿عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ الذي كان قبل الطوفان[3] ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً﴾ قلوبًا ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ﴾ تميل وتَحِنُّ ﴿إِلَيۡهِمۡ﴾. قال ابن عباس[4]: «لو قال: أفئدة الناس؛ لحنت إليه فارس

---

(١) قوله: (هذا قبل علمه...) نقله القرطبي بدون عزو، ونقل عن مقاتل: «ومن عصاني فيما دون الشرك».

(٢) قوله: (أي: بعضها) أفاد به أن ﴿مِن﴾ للتبعيض.

(٣) قوله: (الذي كان قبل الطوفان) يشير به أن هذا الدعاء كان قبل بناء الكعبة حين ما أسكن هاجر وإسماعيل في مكة، كما ثبت ذلك في «صحيح البخاري» في حديث طويل، ويكون البيت الحرام معلومًا عند إبراهيم بالوحي، كما أشار له القرطبي، وقد تقدم شيء مما يتعلق به في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩٦].
وفي حديث البخاري عن ابن عباس: «أن إبراهيم وضع هاجر وإسماعيل وهو رضيع بمكة، وليس هناك أحد، ثم رجع فتبعته هاجر أم إسماعيل، فقال: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيء، فقالت له ذلك مرارًا، فلم يلتفت، فقالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، فقالت: إذًا لا يضيّعنا، ثم رجعت، وانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية استقبل بوجهه البيت، ودعا بهذه الدعوات...» ملخصًا إلى آخر الحديث. ومن ذلك يعلم أن ما ذهب إليه ابن كثير من أن هذا الدعاء كان بعد بناء البيت قول غير قويّ.
فائدة: قال القرطبي: «لا يجوز لأحد التعلق بهذا في طرح ولده وعياله بأرض مضيعة اتكالًا على العزيز الرحيم، واقتفاءً بإبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، كما تقول غلاة الصوفية، فإن إبراهيم فعل ذلك بأمر الله ووحيه...اهـ. بتصرف يسير.

(٤) قوله: (قال ابن عباس:...) رواه ابن جرير.

والروم، والناس كلهم»، ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾، وقد فعل بنقل الطائف إليه[1].

﴿٣٨﴾- ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى﴾ نسرّ ﴿وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن﴾ زائدة[2] ﴿شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ يحتمل أن يكون من كلامه تعالى أو كلام إبراهيم[3].

﴿٣٩﴾- ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى﴾ أعطاني ﴿عَلَى﴾ مع ﴿ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ﴾ وُلِدَ وله تسع وتسعون سنة[4] ﴿وَإِسْحَٰقَ﴾ وُلِدَ وله مائة واثنتا عشرة سنة ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿٤٠﴾- ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَ﴾ اجعل[5] ﴿مِن ذُرِّيَّتِى﴾ من يقيمها، وأتى

---

(١) وقوله: (وقد فعل ...) أي: نقل الطائف من فلسطين إلى مكان الطائف. رواه ابن جرير. وتقدم في تفسير سورة البقرة الآية (١٣٦).

(٢) قوله: (زائدة) أي: إعرابًا ومؤكدة لعموم النفي معنًى.

(٣) قوله: (يحتمل أن يكون) أي: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ يحتمل كونه من كلام الله وكونه من تتمة كلام إبراهيم. ذكر الاحتمالين القرطبي وغيره. ولو قال المفسر: «وكلام إبراهيم» بدل «أو» لكان أولى؛ لأنه يتعين العطف بالواو بعد احتمل، واشترك، ونحوهما، مما لا يستغني المعطوف عليه من المعطوف، كما فصله النحاة.

(٤) قوله: (ولد وله تسع...) نقل ذلك القرطبي عن ابن عباس. قال: «ولد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة، وإسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة».اهـ.

(٥) قوله: (﴿وَ﴾ اجعل..) أفاد بالتقدير أن ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ معطوف على ياء المتكلم في ﴿ٱجْعَلْنِى﴾ و﴿مِن﴾ تبعيضية، والمفعول الثاني لـ«اجعل» المقدرة محذوف قدره المفسر بقوله: (من يقيمها). و﴿دُعَآءِ﴾ مضاف إلى ياء المتكلم حذفت تخفيفًا، أصله: دعائي.

بـ«مِن» لإعلام الله تعالى له أن منهم كفارًا ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ المذكور.

﴿٤١﴾- ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله عَزَّوَجَلَّ[1]، وقيل: أسلمت أمه. وقرئ[2]: «وَلِوَالِدِي» مفردًا و«وَلَدَيَّ» ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ﴾ يثبت ﴿ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾. قال تعالى:

﴿٤٢﴾- ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون من أهل مكة ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ بلا عذاب ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ لهول ما ترى. يقال: شخَصَ بصرُ فلان[3]، أي: فتحه فلم يغمضه.

﴿٤٣﴾- ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين[4]، حال ﴿مُقْنِعِى﴾ رافعي[5] ﴿رُءُوسِهِمْ﴾ إلى السماء ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ بصرهم ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ﴾ قلوبهم ﴿هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ خالية من العقل[6]؛ لفزعهم.

---

(١) قوله: (هذا قبل أن يتبين...) أي: الدعاء لوالديه بالمغفرة قبل أن يتبين... كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ...﴾ [التوبة: ١١٤]، وهكذا قاله القرطبي، ثم نقل عن القشيري: «ولا يبعد أن تكون أمّه مسلمة؛ لأن الله تعالى ذكر عذره في استغفاره لأبيه دون أمّه».اهـ. وإلى ذلك أشار المفسر بقوله: (وقيل: أسلمت أمّه).

(٢) قوله: (وقرئ) هذه قراءة شاذة. عزاها القرطبي إلى سعيد بن جبير. وقيل: أراد بالوالدين: آدم وحواء. كما أن ﴿وَلَدَيَّ﴾ قراءة شاذة عزاها القرطبي إلى إبراهيم النخعي ويحيى بن يعمر.

(٣) قوله: (يقال: شخَصَ بصرُ فلان). كذا ذكره القرطبي، وعزاه إلى الفراء.

(٤) قوله: (مسرعين). قاله الحسن، وقتادة، وابن جبير. يقال: أهطع: أسرع. كما قال تعالى: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٨].

(٥) قوله: (رافعي). قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك.

(٦) قوله: (خالية من العقل...). بمثله روي عن ابن عباس، قال: «ليس فيها شيء من الخير؛ =

﴿٤٤﴾- ﴿وَأَنذِرِ﴾ خَوِّفْ يا محمد[١] ﴿ٱلنَّاسَ﴾ الكفار ﴿يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ هو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ كفروا ﴿رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ﴾ بأن تردنا إلى الدنيا ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ﴾ بالتوحيد ﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ﴾ فيقال لهم توبيخًا[٢]: ﴿أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم﴾ حلفتم ﴿مِّن قَبۡلُ﴾ في الدنيا ﴿مَا لَكُم مِّن﴾ زائدة ﴿زَوَالٖ ﴿٤٤﴾﴾ عنها إلى الآخرة[٣].

﴿٤٥﴾- ﴿وَسَكَنتُمۡ﴾ فيها[٤] ﴿فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بالكفر من الأمم السابقة ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ﴾[٥] من العقوبة، فلم تنزجروا ﴿وَضَرَبۡنَا﴾ بينا ﴿لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ في القرآن فلم تعتبروا.

﴿٤٦﴾- ﴿وَقَدۡ مَكَرُواْ﴾ بالنبي ﷺ ﴿مَكۡرَهُمۡ﴾ حيث أرادوا قتله، أو

= فهي كالخربة». وروى ابن جرير عن مرة بن كعب من طرق: «متخرقة لا تعي شيئًا». وروى عن قتادة: «هواء ليس فيها شيء خرجت من صدورهم فنشبت في حلوقهم».

(١) قوله: (خوف يا محمد...) أفاد أن الخطاب للنبي ﷺ.

(٢) قوله: (فيقال لهم...). أفاد أن قوله ﴿أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ﴾ الجملة في محل نصب مقول لقول محذوف. الهمزة للاستفهام التقريعي والواو عاطفة، كما تقدم نظيره مرارًا.

(٣) قوله: (عنها إلى الآخرة) أي: مالكم الانتقال من الدنيا إلى الآخرة، ولا تموتون... كما قاله مجاهد.

(٤) قوله: (فيها) أي: في الدنيا.

(٥) قوله تعالى: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ﴾. فاعل ﴿وَتَبَيَّنَ﴾ ضمير مستتر، أي: تبين لكم شأنهم. و﴿كَيۡفَ﴾ في محل نصب حال أو مفعول مطلق. أي: أيّ حال أو أيّ فعلٍ فعلنا بهم. ويمكن كون فاعله: جملة ﴿كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ﴾، وتكون في تأويل مصدر. والمعنى: تبين لكم كيفية فِعْلِنَا بهم. ويكون ﴿كَيۡفَ﴾ معلقة لـ﴿وَتَبَيَّنَ﴾ عن عمله فيها.

تقييده، أو إخراجه[1] ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ﴾ أي: علمه أو جزاؤه ﴿وَإِن﴾ ما ﴿كَانَ مَكۡرُهُمۡ﴾[2] وإن عظم ﴿لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ٤٦﴾. المعنى: لا يعبأ به

---

(١) قوله: (حيث أرادوا...). أخذ المفسر معنى المكر الذي ذكره من قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وهو معنى جيد مؤيد بالكتاب. ونقل القرطبي عن ابن عباس وغيره: «المكر: الشرك بالله، وتكذيب الرسل، والمعاندة». وهذا أعم من المعنى الأول. وعلى هذين التفسيرين يكون المراد بالضمير في ﴿مَكَرُواْ﴾ مشركي العرب.

وقد روى ابن جرير عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن الآية في نمرود الذي حاج إبراهيم في ربه، أخذ نسرين وربط صندوقًا برجلهما، وصعد فيه على الهواء كأنه يحاجّ من في السماء... إلى آخر القصة. فإن كانت صحيحة فالمراد بالضمير في ﴿مَكَرُواْ﴾ الذين ظلموا أنفسهم في الآية السابقة.

(٢) قوله: (﴿وَإِن﴾ ما ﴿كَانَ مَكۡرُهُمۡ﴾. ذكر هنا تفسيرين على قراءتين:

الأولى: كسر اللام في ﴿لِتَزُولَ﴾، وهي قراءة الجمهور -غير الكسائي-، وعلى هذا تكون ﴿إِن﴾ نافية، واللام لام الجحود، والفعل ﴿لِتَزُولَ﴾ منصوب بـ«أن» مضمرةً. والمعنى: لم يكن مكرهم كبيرًا بحيث تزول منه الجبال، بل هي ثابتة، والجبال: إما حقيقة، أو مجاز، بمعنى الشريعة. كما قال المفسر، وكما ذكره القرطبي وغيره.

والتفسير الثاني: على قراءة الكسائي: بفتح اللام ﴿لَتَزُولُ﴾، فعلى هذا تكون ﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة، واللام لام الابتداء الفارقة. والمعنى: قد عظم مكرهم حتى كادت الجبال تزول، كما قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾، ولا منافاة بين المعنيين؛ لأن مكرهم كان عظيمًا في نفسه، وفي نظرهم، ولكن لم يؤثر شيئًا؛ لأنه بالنسبة إلى قدرة الله تعالى ليس بشيء. وهذا حاصل ما ذكره المفسر.

فقوله: (وفي قراءة...) وهي قراءة الكسائي. بفتح اللام: ﴿لَتَزُولُ﴾.

ولا يضر إلا أنفسهم. والمراد بـ«ٱلْجِبَالُ» هنا، قيل: حقيقتها، وقيل: شرائع الإسلام المشبهة بها في القرار والثبات، وفي قراءة: بفتح لام «لَتَزُولُ» ورفع الفعل، فـ«إن» مخففة، والمراد تعظيم مكرهم. وقيل: المراد بالمكر كفرهم، ويناسبه على الثانية(١): «تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾» [مريم: ٩٠]، وعلى الأولى ما قرئ(٢): «وَمَا كَانَ».

﴿٤٧﴾- ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ(٣)﴾ بالنصر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يعجزه شيء ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ ممن عصاه.

﴿٤٨﴾- اذكر ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ هو يوم القيامة، فيحشر

---

(١) وقوله: (ويناسبه على الثانية...) أي: يناسب كون المراد بالمكر كفرهم وشركهم على القراءة الثانية: وهي قراءة الكسائي بفتح اللام. يناسبه قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾؛ ففيه بيان أن كفرهم عظيم بحيث كادت السمٰوات أن ينفطرن... فهذا يناسب استعظام مكرهم المستفاد من كون ﴿إن﴾ مخففة. كما تقدم.

(٢) وقوله: (وعلى الأول...) أي: على الوجه الأول وهو كون ﴿إن﴾ نافية، واللام لام الجحود، والمعنى الإجمالي استصغار مكرهم، يناسبه قراءة ﴿وَمَا كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ مكان ﴿وَإِن كَانَ﴾ ففيها تصريح بالنفي. وهي قراءة شاذة كما أشار إليه المفسر بقوله: (قرئ).

(٣) قوله تعالى: ﴿مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾. ﴿مُخْلِفَ﴾: اسم فاعل مضاف إلى المفعول الثاني. وهو ﴿وَعْدِهِۦ﴾. والمفعول الأول: ﴿رُسُلَهُۥٓ﴾. قدم المفعول الثاني للأهمية، وفيه إشارة إلى أنه لا يخلف الميعاد أصلًا. أفاده بعض المفسرين، ويمكن كون ﴿رُسُلَهُۥٓ﴾ مفعولًا لـ﴿وَعْدِهِۦ﴾. كما أشار إليه القرطبي.

الناس على أرض بيضاء نقية، كما في حديث «الصحيحين»[١]. وروى مسلم حديث: «سئل النبي ﷺ: أين الناس يومئذ؟ قال: «**على الصراط**»[٢]، ﴿وَبَرَزُوا﴾ خرجوا من القبور ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿٤٩﴾- ﴿وَتَرَى﴾ يا محمد: تبصر ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ﴾ مشدودين مع شياطينهم[٣] ﴿فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾﴾ القيود أو الأغلال[٤].

﴿٥٠﴾- ﴿سَرَابِيلُهُم﴾ قُمُصهم[٥] ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾؛ لأنه أبلغ لاشتعال النار[٦]

---

(١) قوله: (كما في حديث «الصحيحين»...) أي: البخاري ومسلم، عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقيّ، ليس فيها معلم لأحد**».اهـ. [«فتح الباري» (١١/ ٣٧٩)، رقم الحديث (٦١٥٦)، ومسلم (٤/ ٢١٥٠)]. عفراء: بيضاء مشوبة بحُمْرة، كقرصة النقي: كرغيف مصنوع من دقيق خالص من الغش والنخالة.

(٢) قوله: («على الصراط»). وفي رواية لمسلم في حديث طويل: قال رسول الله ﷺ: «**هم في الظلمة دون الجسر**».اهـ.

(٣) قوله: (مشدودين مع شياطينهم) ذكره القرطبي دون عزو، حيث قال: «وقيل: يقرن كل كافر مع شيطان في غُلّ». بيان قوله: ﴿۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]، يعني: قرناءهم من الشياطين.

(٤) قوله: (القيود والأغلال). كما قاله قتادة. وفسر به القرطبي وغيره، والأصفاد: جمع صَفَد أو صَفْد -بفتح الفاء أو سكونها-: القيد.

(٥) قوله: (قمصهم). قاله ابن زيد. والسرابيل: جمع سِربال، وقال ابن كثير: «أي: ثيابهم التي يلبسونها من قطران».اهـ. والقطران: سائل يتخذ من بعض الأشجار، سريع الاتقاد، أسود اللون، كما يعلم من «المنجد» وغيره.

(٦) قوله: (لأنه أبلغ...) نقله القرطبي عن الحسن. وروى ابن جرير عن ابن عباس، وقتادة: «القطران: النحاس».

﴿وَتَغۡشَىٰ﴾ تعلو ﴿وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠﴾.

۝٥١- ﴿لِيَجۡزِيَ﴾ متعلق بـ«بَرَزُواْ» ﴿ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ﴾ من خير وشر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝٥١﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا[1]، لحديث بذلك.

۝٥٢- ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ﴾ أي: أنزل لتبليغهم[2] ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ بما فيه من الحجج ﴿أَنَّمَا هُوَ﴾ أي: الله ﴿إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال[3]: يتعظ ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٥٢﴾ أصحاب العقول.

❁❁❁

(١) قوله: (يحاسب...) كما تقدم في سورة البقرة الآية (٢٠٢)، وآل عمران وغيرهما.

(٢) قوله: (أنزل لتبليغهم). أفاد به أن قوله ﴿وَلِيُنذَرُواْ﴾ معطوف على ﴿بَلَٰغٞ﴾؛ لما فيه من معنى التعليل. والإله في الآية بمعنى مستحق العبادة. وراجع تفسير آية الكرسي.

(٣) قوله: (بإدغام التاء في الأصل...) أي: فأصله: وليتذكر، أدغمت التاء في الذال.

الجزء (١٤)

١٥- سورة الحِجْر

مكية(١)، وآياتها تسع وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١) - ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات(٢) ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن(٣)، والإضافة بمعنى: «من»، ﴿وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ (١)﴾ مظهر للحق من الباطل، عطف بزيادة صفة.

(٢) - ﴿رُّبَمَا﴾ بالتشديد والتخفيف(٤) ﴿يَوَدُّ﴾ يتمنى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾

---

(١) قوله: (مكية) أي: كلها. ولم أجد في ذلك اختلافًا.

(٢) قوله: (أي: هذه...) أشار به إلى أن الإشارة هنا للقريب، وجيء بـ﴿تِلْكَ﴾ للتعظيم. كما فسر ابن جرير: «يعني: هذه الآيات».

(٣) قوله: (القرآن). تفسير لـ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾، وعلى هذا يكون العطف في ﴿وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ عطف تفسير. وقد حكى القرطبي القول بأن المراد بـ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: «القرآن». وروى ابن جرير عن مجاهد: «﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: التوراة والإنجيل»، فيكون العطف عطف مغايرة، ويكون «أل» في ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ للجنس.

(٤) قوله: (بالتشديد...) قراءتان: بالتخفيف: ﴿رُبَمَا﴾: قراءة نافع، وعاصم، وأبي جعفر. وبالتشديد: ﴿رُّبَّمَا﴾: قراءة الباقين. وهما لغتان. قاله القرطبي، وابن جرير، وغيرهما.

و«رُبَّ» حرف جر شبيه بالزائد، ولا يحتاج إلى متعلق، وقد بينا ذلك في «رسالة الاستثناء»، وإذا دخلت «ما» عليها كفتها عن العمل، ولذا دخلت على الفعل، فيقال في الإعراب: ﴿رُبَمَا﴾: كافة ومكفوفة، و﴿يَوَدُّ﴾: فعل مضارع... ويحتمل كون «ما» مصدرية. فيكون المصدر المؤول في محل جر بـ«رُبّ»، كما يحتمل كونها نكرة موصوفة، =

يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين ﴿لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ و«رُبَّ» للتكثير[١]، فإنه يكثر منهم تمني ذلك، وقيل: للتقليل، فإن الأهوال تدهشهم، فلا يفيقون حتى يتمنوا ذلك إلا في أحيان قليلة.

﴿٣﴾ - ﴿ذَرْهُمْ﴾ اترك الكفار يا محمد ﴿يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟﴾ بدنياهم ﴿وَيُلْهِهِمُ﴾ يشغلهم ﴿ٱلْأَمَلُ﴾ بطول العمر وغيره عن الإيمان ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ عاقبة أمرهم، وهذا قبل الأمر بالقتال[٢].

﴿٤﴾ - ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن﴾ زائدة[٣] ﴿قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها[٤] ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ﴾ أجل ﴿مَّعْلُومٌ ۝٤﴾ محدود لإهلاكها.

= فهي في محل جرّ، وجملة ﴿يَوَدُّ﴾ في محل جر نعت لـ«ما». والمعنى: ربّ شيءٍ يوده الذين كفروا. و﴿لَوْ﴾ هنا مصدرية، لتقدم «ودّ» عليها.

(١) قوله: («ورُبّ» للتكثير). «رُبَّ» تفيد التكثير كثيرًا، والتقليل قليلًا. كما ذكره النحاة. وقد فسرت هنا على الوجهين كما قاله المفسر. وذكرهما القرطبي وغيره. وقد روى ابن جرير عن أنس، وابن عباس: «يوم يحبس الله أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين في النار، قال: فيقول لهم المشركون: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون في الدنيا؟ قال: فيغضب الله لهم بفضل رحمته؛ فيخرجهم، فذلك حين يقولون: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾»، وروى معناه عن ابن مسعود وعدد من السلف.

(٢) قوله: (وهذا قبل الأمر...) أي: فتكون منسوخة بآية السيف. قاله القرطبي. وقال: «هذا تهديد لهم»، و﴿وَيُلْهِهِمُ﴾ مضارع «ألهى» مجزوم بحذف الياء، و«هم» ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والميم للجماعة، و﴿ٱلْأَمَلُ﴾: فاعل.

(٣) قوله: (زائدة): أي: إعرابًا ومفيدة للتوكيد معنًى. وكذلك في الآية التالية.

(٤) قوله: (أريد أهلها) أي: فيكون من المجاز المرسل من إطلاق المحل وإرادة الحال.

٥- ﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ﴾ زائدة ﴿أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ٥﴾ يتأخرون عنه[١].

٦- ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: كفار مكة للنبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ القرآن في زعمه[٢] ﴿إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦﴾.

٧- ﴿لَّوۡ مَا﴾ هلا[٣] ﴿تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧﴾ في قولك: إنك نبيّ، وإن هذا القرآن من عند الله.

٨- قال تعالى: ﴿مَا تَنَزَّلُ﴾ فيه حذف إحدى التائين[٤] ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ بالعذاب ﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا﴾ أي: حين نزول الملائكة بالعذاب[٥] ﴿مُّنظَرِينَ ٨﴾ مؤخرين.

٩- ﴿إِنَّا نَحۡنُ﴾ تأكيد لاسم «إن»، أو فصل[٦] ﴿نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ﴾ القرآن

---

(١) قوله: (يتأخرون). أفاد أن الاستفعال مجرد عن معنى الطلب.

(٢) قوله: (في زعمه) قيد به؛ لأن المشركين القائلين ذلك لا يعتقدون بأن القرآن ذكر.

(٣) قوله: (هلا). أفاد أن ﴿لَّوۡ مَا﴾ حرف تحضيض.

(٤) قوله: (فيه حذف...). أي: فأصله: «ما تَتَنَزَّلُ» مضارع «تَنَزَّلَ»، حذفت إحدى التاءين، وهذا الحذف جائز. وهذا على قراءة الجمهور، و﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالرفع فاعل.

وقرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: ﴿مَا نُنَزِّلُ﴾ بالنون، وبالبناء للفاعل: ونصب ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾، فيكون الفعل مضارع «نزّل».

وقرأ شعبة: ﴿مَا تُنَزَّلُ﴾: بالتاء وبالبناء للمفعول، ورفع ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ على أنه نائب فاعل.

(٥) قوله: (أي: حين نزول...) تفسير للمراد بـ﴿إِذٗا﴾. و«إذا» ظرف في محل نصب، والتنوين عوض عن الجملة المضاف إليها، أي: إذا نزلت الملائكة.

(٦) قوله: (تأكيد...) فيكون في محل نصب. =

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ من التبديل والتحريف والزيادة والنقص[١].

١٠- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ رسلًا ﴿فِي شِيَعِ﴾ فِرَق[٢] ﴿ٱلْأَوَّلِينَ ١٠﴾.

١١- ﴿وَمَا﴾ كان[٣] ﴿يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ١١﴾ كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

١٢- ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾ أي: مثل إدخالنا التكذيب[٤] في قلوب أولئك ندخله ﴿فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ١٢﴾ أي: كفار مكة.

١٣- ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ بالنبي ﷺ ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ١٣﴾ أي: سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم، وهؤلاء مثلهم.

= وقوله: (أو فصل) أي: ضمير الفصل، فليس له محل إعراب على المشهور. وفصلنا الكلام على ضمير الفصل في «الاستثناءات» وغيرها.

(١) قوله: (من التبديل...) أفاد به أن الضمير في ﴿لَهُۥ﴾ عائد على ﴿ٱلذِّكْرَ﴾ الذي هو القرآن. وعليه جمهور المفسرين، روى ابن جرير عن قتادة، قال: «حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلًا أو ينقص منه حقًّا».

وقيل: الهاء يعود للنبي ﷺ، أي: وإنا لحافظونه من أن يناله مكروه من أعدائه. نقله ابن جرير بدون عزو. وعلى كلا القولين اللام في ﴿لَهُۥ﴾ للتقوية.

(٢) قوله: (فِرَق). بكسر الفاء وفتح الراء: جمع فِرقة. أي: جماعة، يعني: أمم الأولين. قاله ابن عباس.

(٣) قوله: (كان). أفاد بالتقدير أن الفعل المضارع ﴿يَأْتِيهِم﴾ بمعنى الماضي، وجيء بالمضارع لنكتة بلاغية.

(٤) قوله: (مثل إدخالنا...). أشار به إلى أن الجار والمجرور ﴿كَذَٰلِكَ﴾ نعت لمصدر محذوف في محلّ نصب. وفي هذه الآية رد على المعتزلة والقدرية في قولهم بأن الكفر غير مقدّر من الله، ففي الآية تصريح بأنه مقدّر، كغيره من الأشياء. أفاده القرطبي.

﴿١٤﴾- ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ﴾ في الباب[1] ﴿يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾﴾ يصعدون.

﴿١٥﴾- ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾ سدّت[2] ﴿أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ يخيل لنا ذلك.

﴿١٦﴾- ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر[3]: الحمل والثور والجوزاء

---

(١) قوله: (في الباب). أشار به إلى أن الضمير المجرور عائد إلى الباب، ولذا ذُكِّرَ، وليس عائدًا إلى السماء. وإلا لأنّث؛ لأن السماء مؤنثة.

والضمير في ﴿فَظَلُّواْ﴾ عائد إلى الكفار في قول الحسن وغيره.

والمعنى: لو صعدوا إلى السماء وشاهدوا الملكوت والملائكة لأصروا على الكفر، وقالوا هذه خيالات...

وقيل: الضمير في ﴿ظَلُّوا﴾ عائد إلى الملائكة. والضمير في ﴿عَلَيْهِم﴾ راجع إلى الكفار على كلا الوجهين.

والمعنى: لو فتح الله عليهم بابًا من السماء فظلت الملائكة تعرج فيه، أي: يختلفون فيه جائين وذاهبين، لقالوا: إنما سكّرت أبصارنا، ورأينا شيئًا لا حقيقة لها. روي هذا المعنى عن ابن عباس وغيره، كما في ابن جرير والقرطبي.

(٢) قوله: (سدّت). قاله مجاهد، وابن جريج، والضحاك. وقال الحسن: «سحرت»، وعن ابن عباس، والضحاك: «سدت بالسحر». وكل ذلك متقارب.

وفي الآية استبعاد لإيمانهم، فلا يؤمنون حتى لو شاهدوا الآيات الظاهرة.

(٣) قوله: (اثني عشر). من هنا يبين الله تعالى دلائل قدرته لكي يستدل بها على وحدانيته وألوهيته.

والبروج: جمع بُرج، وهو المنزل. واختلف في المراد بالبروج هنا، فنقل القرطبي عن ابن عباس: «بروج الشمس والقمر، أي: منازلهما»، أي: طرق تيسيران بها. وعن الحسن، =

والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، وهي منازل[1] الكواكب السبعة السيارة: المريخ وله: الحمل والعقرب، والزهرة ولها: الثور والميزان، وعطارد وله: الجوزاء والسنبلة، والقمر وله: السرطان، والشمس ولها: الأسد، والمشتري وله: القوس والحوت، وزحل له: الجدي والدلو، ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالكواكب ﴿لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿١٧﴾- ﴿وَحَفِظۡنَٰهَا﴾ بالشهب ﴿مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ مرجوم.

= وقتادة: «البروج: النجوم»، وقال عطية العوفي: «البروج هنا: قصور الحرَس». نقله ابن كثير. والمفسر مشى على القول الأول، وذلك مشهور في علم الأفلاك.

والاثنا عشر المذكورة تقاسيم لدائرة السماء، كل قسم يعتبر برجًا، ومسير الشمس فيها بسيرها الذاتي يعتبر شهرًا، فتتم الشمس سيرها الدائرة الكاملة بمدة سنة، وتتكون الفصول الأربعة في سيرها بتلك البروج؛ فالحمل والثور والجوزاء: فصل الربيع، والسرطان والأسد والسنبلة: فصل الصيف، والميزان والعقرب والقوس: فصل الخريف، والجدي والدلو والحوت: فصل الشتاء، كما فصل في علم الأفلاك القديمة.

والكواكب السبعة السيارة: هي التي لها حركات ذاتية، فتختلف مطالعها باختلاف الأزمان والأوقات، وهي على ترتيب السمٰوات من السابعة إلى الأسفل: زحل، مشتري، مريخ، شمس، زهرة، عطارد، القمر، زحل في السابعة، والمشتري في السادسة، والمريخ في الخامسة، والشمس في الرابعة، والزهرة في الثالثة، والعطارد في الثانية، والقمر في الأولى. وباقي الكواكب في الفلك الثامن ليس لها حركات ذاتية عند الفلكيين القدامى. وحقيقة العلم عند الله تعالى، وليس من الواجب تطبيق الآيات على آراء الرصديين والفلكيين.

(١) وقوله: (وهي منازل...) أي: تلك البروج الاثنا عشر، منازل سير هذه الكواكب السيارة السبعة، على ما فصله.

(١٨)- ﴿إِلَّا﴾ لكن[١] ﴿مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ﴾ خطفه ﴿فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ (١٨)﴾ كوكب يضيء ويحرقه أو يثقبه أو يخبله.

(١٩)- ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا﴾ بسطناها ﴿وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ جبالًا ثوابت؛ لئلا تتحرك بأهلها[٢] ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ (١٩)﴾ معلوم مقدر[٣].

(٢٠)- ﴿وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ بالياء[٤]، من الثمار والحبوب ﴿وَ﴾ جعلنا[٥]

(١) قوله: (لكن). أشار به إلى أن الاستثناء منقطع، كانت الشياطين تسترق السمع من السماء فتلقيه إلى الكهان، فلما بعث رسول الله ﷺ مُنِعَتْ منه، فمن استرق السمع تبعه شهاب من السماء، فيخرقه، أي: يجرحه، أو يثقبه، أو يخبله، ولا يقتله. كما روى عن ابن عباس، وقال الحسن وطائفة: «بل يقتله». وقال ابن كثير: «من تمرد وتقدم فيهم لاستراق السمع جاءه شهاب مبين فأتلفه، فربما يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلى الذي دونه، فيأخذها ويأتي بها إلى وليه».اهـ. أي: إلى الكهنة.

الخلاصة: رمي الشياطين بالشهب ثابت بالكتاب والسنة فلا يجوز تأويل ذلك عن ظاهره، كما يفعله بعض أهل العصر.

(٢) قوله: (لئلا تتحرك...). أي: وضع الله الجبال في الأرض لئلا تتحرك الأرض بأهلها، كما قال تعالى: ﴿أَن تَمِيدَ...﴾ [النحل: ١٥]، وهو ظاهر في أن الأرض لا تتحرك بخلاف ما عليه علماء الفلك المعاصرون.

(٣) قوله: (معلوم مقدر). كما قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وغيرهما.

(٤) قوله: (بالياء)، أي: لفظ ﴿مَعَٰيِشَ﴾ بالياء، لا بالهمزة «معائش»؛ لأنه إنما تقلب حرف العلة همزة في الجمع «فعائل»، إذا كانت زائدة، نحو: صحيفة وصحائف، والياء هنا أصلية؛ لأنه من المعيشية -العيش-. فتبقى ياءً، وقد تقدم في سورة الأعراف الآية (١٠).

(٥) قوله: (﴿وَ﴾ جعلنا...). أفاد بالتقدير أن ﴿مَن﴾ الموصولة معطوفة على ﴿مَعَٰيِشَ﴾.

لكم ﴿مَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ٢٠﴾ من العبيد والدواب والأنعام، فإنما يرزقهم الله.

٢١- ﴿وَإِن﴾ ما ﴿مِّن﴾ زائدة[1] ﴿شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ مفاتيح خزائنه ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ على حسب المصالح[2].

٢٢- ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ تلقح السحاب[3]، فيمتلئ ماءً ﴿فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ السحاب ﴿مَآءٗ﴾ مطرًا ﴿فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ٢٢﴾ أي: ليست خزائنه بأيديكم.

٢٣- ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ٢٣﴾ الباقون نرث جميع الخلق.

---

(١) قوله: (زائدة). أي: إعرابًا ومؤكدة للعموم معنًى.

(٢) قوله: (على حسب المصالح). تصريح بأن لأفعال الله تعالى مصالح وحكمًا، ولم ينازع في ذلك أحد من العلماء، وهذه الآية كما قال تعالى: ﴿۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ﴾ [الشورى: ٢٧].

(٣) قوله: (تلقح السحاب). جرى المفسر أن «اللواقح» بمعنى الملقحات. واللواقح جمع لاقح، بمعنى ملقح هنا. والفرق بين اللاقح والملقح: اللاقح هي التي حَملت، والملقح: الذي جعل غيره حاملًا. فالريح يجعل السحاب حاملًا للماء.. هذا ما جرى عليه المفسر، ورواه ابن جرير عن قتادة، والحسن، وإبراهيم، وبمثله عن ابن عباس. وروى عن ابن مسعود: «اللواقح بمعنى: حوامل»، أي: الرياح تحمل الماء بنفسها، قال ابن مسعود: «يرسل الله الرياح، فتحمل الماء، فتجري السحاب، فتدرّ كما تدر اللقحة، ثم تمطر».اهـ. فاللواقح ليست بمعنى الملقحات، واختار ابن جرير: «أن السحاب لواقح وملقحات معًا، ولقحها: حملها الماء، وإلقاحها السحاب والشجر: عملها فيه».اهـ. ملخصًا. وفي كلام البيضاوي ما يفيد: أن «اللواقح» من باب الاستعارة؛ لأن أصلها حمل الدابة بالجنين.

﴿٢٤﴾ - ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ أي: من تقدم من الخلق من لدن آدم[(١)] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ المتأخرين إلى يوم القيامة.

﴿٢٥﴾ - ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ بخلقه.

﴿٢٦﴾ - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ آدم ﴿مِن صَلْصَـٰلٍ﴾ طين يابس[(٢)] يسمع له صلصلة، أي: صوت إذا نقر ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾ طين أسود[(٣)] ﴿مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ متغير[(٤)].

﴿٢٧﴾ - ﴿وَٱلْجَآنَّ﴾ أبا الجن[(٥)]، وهو إبليس ﴿خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل خلق آدم ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ هي نار لا دخان لها تنفذ من المسام[(٦)].

---

(١) قوله: (أي: من تقدم...). ما قاله من تفسير المستقدمين والمستأخرين مروي عن ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وغيرهم. واختاره ابن جرير، وفي معناهما أقوال أخر، عدّها القرطبي ثمانية أقوال وعزا كل قول إلى قائلها. وعلى تفسير المفسر يكون الاستفعال مجردًا عن معنى الطلب كما أشار بقوله: (من تقدم) و(المتأخرين). والله أعلم.

(٢) قوله: (طين يابس). قاله ابن عباس، وقتادة، وغيرهما. قال قتادة: «الصلصال: التراب اليابس الذي يسمع له صلصلة».اهـ. رواه ابن جرير. وقال القرطبي: «وهو قول أكثر المفسرين». وروى عن مجاهد: «الصلصال: المنتن».اهـ. من صل اللحم وأصلّ: إذا أنتن.

(٣) وقوله: (طين أسود). تفسير ﴿حَمَإٍ﴾. قاله ابن جرير، والقرطبي، وغيرهما.

(٤) قوله: (متغير). أي: منتنة. رواه ابن جرير عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة.

(٥) قوله: (أبا الجن). تفسير للمراد بـ﴿وَٱلْجَآنَّ﴾. وبه فسر ابن جرير وغيره.

(٦) قوله: (هي نار لا دخان لها...) تفسير لـ﴿نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾. وعزاه القرطبي إلى ابن عباس، وعنه أيضًا: «أنها الحارة التي تقتل». رواه عنه ابن جرير أيضًا، والمسام: جمع سَمّ، ثقبة ومنافذ الجلد التي أسفل الشعور، وتقدم في سورة الأعراف: سم الخياط، أي: ثقبة الإبرة، الآية (٤٠).

(٢٨) -[١] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨)﴾.

(٢٩) - ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ أتممته ﴿وَنَفَخْتُ﴾ أجريت[٢] ﴿فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ فصار حيًّا، وإضافة الروح إليه تشريف لآدم ﴿فَقَعُوا۟[٣] لَهُۥ سَٰجِدِينَ (٢٩)﴾ سجود تحية بالانحناء[٤].

(٣٠) - ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠)﴾ فيه تأكيدان[٥].

(٣١) - ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجن[٦] كان بين الملائكة ﴿أَبَىٰٓ﴾ امتنع من ﴿أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٣١)﴾.

---

(١) أفادت هذه الآية أن الله ذكر شأن آدم للملائكة وشرفه بأمر الملائكة بالسجود له قبل خلقه، وقد أشار إلى ذلك ابن كثير.

(٢) قوله: (أجريت). تفسير للمراد بالنفخ. وهو في الأصل: إخراج الريح من الفم، وليس بمراد، قوله: (وإضافة الروح)... يعني: أن الروح خلق من خلق الله تعالى، وإضافة الخلق إلى الله تعالى تكون إضافة تشريف وتكريم، نحو: بيت الله، ناقة الله، بخلاف إضافة الصفة إلى الله، فتكون إضافة اتصاف، نحو: رحمة الله، وغضب الله، وأشار لنحوه القرطبي.

(٣) وقوله تعالى: ﴿فَقَعُوا۟﴾. الفاء واقعة في جواب ﴿فَإِذَا﴾. و«قعوا»: فعل أمر مسند إلى واو الجماعة، من: وقع، يقع.

(٤) قوله: (سجود تحية). كما تقدم في سورة البقرة.

(٥) قوله: (فيه تأكيدان). وهما: ﴿كُلُّهُمْ﴾ و﴿أَجْمَعُونَ﴾ كما هو واضح، يفيدان المبالغة في العموم.

(٦) قوله: (هو أبو الجن). تقدم في سورة البقرة.

٣٢- ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ﴾ ما منعك ﴿أَ﴾ ن ﴿لَّا﴾ زائدة[١] ﴿تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣٢﴾.

٣٣- ﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ[٢]﴾ لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٣٣﴾.

٣٤- ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السمٰوات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤﴾ مطرود.

٣٥- ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٣٥﴾ الجزاء.

٣٦- ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦﴾ أي: الناس.

٣٧- ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٣٧﴾.

٣٨- ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٣٨﴾ وقت النفخة الأولى.

٣٩- ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ أي: بإغوائك لي[٣]، والباء للقسم، وجوابه: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ المعاصي ﴿وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩﴾.

---

(١) قوله: (﴿لَّا﴾ زائدة). وهذا على تفسيره بقوله: (ما منعك)، كما في آية أخرى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ...﴾ [الأعراف: ١٢]، ولكن يمكن جعل ﴿لَّا﴾ هنا نافية، والمعنى: أيّ شيء ثبت لك في عدم كونك مع الساجدين. كما قاله الصاوي. وفي بعض النسخ: ﴿أَلَّا﴾ بدون إظهار النون. و«أن» مصدرية، وذلك واضح.

(٢) ﴿لِّأَسۡجُدَ﴾ اللام لام الجحود، لسبق ﴿لَمۡ أَكُن﴾، والفعل منصوب بـ«أن» مضمرة وجوبًا.

(٣) قوله: (أي: بإغوائك). يعني أن «ما» مصدرية. والباء للقسم، والمصدر المؤول المجرور هو المقسم به، والتقدير: أقسم بإغوائك... ويجوز كون الباء للسببية، و﴿لَأُزَيِّنَنَّ﴾ جواب لقسم محذوف. وإليه يشير كلام ابن كثير.

(٤٠) - ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ أي: المؤمنين[(١)].

(٤١) - ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾[(٢)].

(٤٢) - وهو ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ أي: المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ قوة ﴿إِلَّا﴾ لكن[(٣)] ﴿مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ الكافرين.

---

(١) قوله: (المؤمنين). كذا قاله الضحاك.

تنبيه: قال القرطبي ما حاصله: «إذا قال قائل: قد أخبر الله عن آدم وحواء: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [البقرة: ٢٦]، وعن جماعة من الصحابة: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٥]؛ فكيف التوفيق بين ذلك وبين هذه الآية؟

فالجواب: إنه ليس له سلطان على قلوبهم، وموضع إيمانهم، فلا يوقعهم في ذنب يؤول إلى عدم القبول، بل تزيله التوبة وتمحوه، ثم لم يكن خروج آدم من الجنة عقوبة...». إلى آخر ما قاله.

(٢) قال البيضاوي: «الإشارة -﴿هَٰذَا﴾- إلى ما تضمنه الاستثناء، وهو تخليص المخلصين من إغوائه». و﴿عَلَيَّ﴾ متعلق بمحذوف، أي: حقّ عليّ أن أراعيه. ونقل القرطبي عن عمر بن الخطاب قال: «معناه: هذا صراط يستقيم بصاحبه حتى يهجم به على الجنة».اهـ. وعلى هذا يكون ﴿عَلَيَّ﴾ متعلقًا بمحذوف تقديره: يهجم أو يدخل. وروى ابن جرير عن الحسن وغيره: «أنه بمعنى «إلى»». فهو متعلق بـ﴿صِرَٰطٌ﴾.

(٣) قوله: (لكن). أشار به إلى أن الاستثناء منقطع، حيث إن المراد بالعباد: المؤمنون المهتدون، وبه فسر ابن كثير.

فائدة: استدل بعض الأصوليين بهذه الآية وما قبلها: (٣٩، ٤٠)، على جواز استثناء الأكثر؛ لأنه استثني أولًا من العباد: المخلصون، ثم استثني الغاوون، فأيهما أكثر فقد وقع استثناؤه، وهذه مسألة أصولية، أجاز ذلك أكثر الشافعية، ولعل التحقيق في ذلك صحة استثناء الأكثر إذا كان المستثنى منه عامًا، وعدم صحته إذا كان المستثنى منه عددًا، =

٤٣- ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ أي من اتبعك معك.

٤٤- ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أطباق[(١)] ﴿لِّكُلِّ بَابٍ﴾ منها ﴿مِّنْهُمْ جُزْءٌ﴾ نصيب ﴿مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾.

٤٥- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ تجري فيها.

٤٦- ويقال لهم[(٢)]: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ أي: سالمين من كل مخوف[(٣)]، أو مع سلام، أي: سلّموا وادخلوا ﴿آمِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ من كل فزع.

٤٧- ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ حقد[(٤)] ﴿إِخْوَانًا﴾ حال منهم[(٥)] ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ

= نحو: مائة إلا تسعين، هذا لا يصح، وأكرم الطلاب إلا الرساب، وهذا يصح، وإن كان أكثرهم رسابًا. والله أعلم. وظاهر قول الشافعية صحة استثناء الأكثر مطلقًا أي ولو من عدد.

(١) قوله: (أطباق). كذا فسره ابن جرير وغيره. ورواه عن علي، وعكرمة، وروى عن ابن جريج: «أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية، والجحيم فيها أبو جهل».اهـ. نعوذ بالله منها كلها.

(٢) قوله: (ويقال لهم...) بهذا التقدير يصبح جملة ﴿ادْخُلُوهَا﴾ في محل نصب مقول القول.

(٣) قوله: (أي: سالمين). أفاد أن الجار والمجرور ﴿بِسَلَامٍ﴾ في محل نصب حال، ومعناه: سالمين، أو مع سلام، أو بتحية من الله لهم. حكاه القرطبي.

(٤) قوله: (حقد). كما روي عن علي، والضحاك: «العداوة»، وتقدم تفسير الغل في سورة الأعراف، الآية (٤٣).

(٥) قوله: (حال منهم). أي: ﴿إِخْوَانًا﴾ منصوب على أنه حال من الضمير المجرور في ﴿صُدُورِهِم﴾، وهو مضاف إليه، والأصل أن المضاف إليه لا يكون صاحب حال، إلا في ثلاث مسائل، وما هنا إحداها. وهي كون المضاف جزءًا من المضاف إليه، فالصدور جزء منهم. وتقدم ذكر هذه المسألة في تفسير آل عمران [٩٥].

﴿مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧﴾ حال أيضًا، أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض(١)؛ لدوران الأسرّة(٢) بهم.

٤٨ - ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ﴾ تعب ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ٤٨﴾ أبدًا.

٤٩ - ﴿نَبِّئۡ﴾ خبّر يا محمد(٣) ﴿عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ﴾ للمؤمنين ﴿ٱلرَّحِيمُ ٤٩﴾ بهم.

٥٠ - ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ للعصاة ﴿هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾ المؤلم.

٥١ - ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٥١﴾ هم ملائكة(٤): اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة، منهم جبريل.

٥٢ - ﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ أي: هذا اللفظ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم لما عرض عليهم الأكل فلم يأكلوا: ﴿إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ٥٢﴾ خائفون.

٥٣ - ﴿قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ﴾ تخف ﴿إِنَّا﴾ رسلُ ربك ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٥٣﴾ ذي علم كثير(٥)، هو إسحاق كما ذكر في سورة هود.

---

(١) قوله: (أي: لا ينظر بعضهم...) كما روي ذلك عن مجاهد وغيره.

(٢) قوله: (الأسرّة). جمع سرير، أي: تكون الأسرّة متقابلة، حتى لا يكون بعضهم خلف بعض، وبعضهم مقدمًا وبعضهم مؤخرًا.

(٣) قوله تعالى: ﴿نَبِّئۡ﴾ يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل؛ الأول: ﴿عِبَادِيٓ﴾، والثاني والثالث سدّ مسدّهما «أنّ» ومعمولاها، والله أعلم.

(٤) قوله: (هم ملائكة...) قد تقدم شيء من التفصيل في ذلك في سورة هود الآية (٦٩)، وما بعدها، وذكر هناك بعض الاختلاف في عددهم.

(٥) قوله: (ذي علم كثير). أخذ معنى الكثرة من ﴿عَلِيمٖ﴾؛ فإنه صيغة مبالغة محول من عالم.

فائدة: قوله تعالى: ﴿تَوۡجَلۡ﴾ مضارع مجزوم بـ﴿لَا﴾ الناهية، وثبتت الواو في المضارع لكونه مفتوح العين. ولو كانت عين الكلمة مكسورة لحذفت الواو من المضارع نحو: وَعَدَ يَعِدُ. وذلك لوقوع الواو بين عدوّيها: الياء والكسر. كما فصل في علم الصرف. =

(٥٤) - ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ بالولد ﴿عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ حال[١]، أي: مع مسه إياي ﴿فَبِمَ﴾[٢] فبأي شيء ﴿تُبَشِّرُونَ (٥٤)﴾ استفهام تعجب.

(٥٥) - ﴿قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق[٣] ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ (٥٥)﴾ الآيسين.

(٥٦) - ﴿قَالَ وَمَن﴾ أي: لا ﴿يَقْنِطُ﴾ بكسر النون وفتحها[٤] ﴿مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ (٥٦)﴾ الكافرون.

(٥٧) - ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ (٥٧)﴾.

(٥٨) - ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٥٨)﴾ كافرين، أي: قوم لوط؛ لإهلاكهم.

(٥٩) - ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ[٥] إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩)﴾ لإيمانهم.

= واستثنيت بعض الكلمات؛ فحذفت الواو مع فتح العين منها: يقَعُ، ويضَعُ، يطأ، يدَعُ، يذَر، والتفصيل في علم الصرف.

(١) قوله: (حال). أي: الجار والمجرور ﴿عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ في محل نصب حال.

(٢) ﴿فَبِمَ﴾. الفاء: عاطفة، والباء: حرف جر، والميم: استفهامية حذف ألفها لدخول حرف الجر عليها، وهذا الحذف واجب، فتكتب مع الجار كالكلمة الواحدة، نحو: بم، علامَ، إلامَ، عمَّ.

(٣) قوله: (بالصدق). فسر به؛ لأنّ الصدق يختص بالقول، فهو القول الموافق للواقع. والحق عام في القول وغيره، ولما كان التبشير بالقول ناسب تفسير الحق بالصدق.

(٤) قوله: (بكسر النون وفتحها): قراءتان: بكسر النون: ﴿يَقْنِطُ﴾ مضارع: قَنَطَ، بفتحها: قراءة أبي عمرو، والكسائي، ويعقوب، وخلف. وبالفتح: ﴿يَقْنَطُ﴾ مضارع: قنِط: بكسر النون: قراءة الباقين. وهما لغتان من بابي «ضرب، وسمع».

(٥) ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾. أي: أتباعه وأهل دينه، كما في القرطبي.

٦٠- ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ[(١)] قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٦٠﴾ الباقين في العذاب؛ لكفرها.

٦١- ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ﴾ أي: لوطًا ﴿ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٦١﴾.

٦٢- ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٦٢﴾ لا أعرفكم[(٢)].

٦٣- ﴿قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ﴾ أي: قومك ﴿فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٦٣﴾ يشكون، وهو: العذاب.

٦٤- ﴿وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٦٤﴾ في قولنا.

٦٥- ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ اِمش خلفهم[(٣)] ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ٦٥﴾ وهو الشام.

٦٦- ﴿وَقَضَيۡنَآ﴾ أوحينا[(٤)] ﴿إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ﴾ وهو[(٥)] ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ

---

(١) ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾ استثناء من آل لوط أو من الضمير «هم» الراجع إليهم، وآل لوط استثناء من قوم مجرمين، وهو استثناء منقطع، إذا أريد بهم المؤمنون، وكذلك ﴿ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾ استثناء منقطع، والله أعلم. والاستثناءان منصوبان لوقوعهما بعد كلام تام مثبت. ويراجع تفسير سورة هود الآية (٨٠).

(٢) قوله: (لا أعرفكم). تفسير لـ﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٦٢﴾، وبه فسر ابن جرير، والقرطبي، وغيرهما.

(٣) قوله: (اِمش خلفهم). كما قال قتادة: «أُمِر أن يكون خلف أهله، يتبع أدبارهم في آخرهم إذا مشوا». قال القرطبي: «لئلا يتخلف منهم أحد فيناله العذاب».اهـ.

(٤) قوله: (أوحينا) تفسير لـ﴿وَقَضَيۡنَآ﴾. قاله ابن زيد، وبه فسر ابن جرير، والقرطبي وغيرهما.

(٥) وقوله: (وهو). بهذا التقدير تكون جملة ﴿أَنَّ دَابِرَ...﴾ في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، =

مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ حال، أي: يتم استئصالهم في الصباح.

﴿٦٧﴾- ﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ مدينة سدوم، وهم قوم لوط لما أخبروا أن في بيت لوط مُرْدًا[١] حسانًا، وهم الملائكة ﴿يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ حال، طمعًا[٢] في فعل الفاحشة بهم.

﴿٦٨﴾- ﴿ قَالَ ﴾ لوط ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾﴾[٣].

﴿٦٩﴾- ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾﴾ بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة بهم.

﴿٧٠﴾- ﴿ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾﴾ عن إضافتهم[٤].

﴿٧١﴾- ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾﴾ ما تريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن، قال تعالى:

﴿٧٢﴾- ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ خطاب للنبي ﷺ[٥]، أي: وحياتك ﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ

= ويجوز إعرابها بدلًا من ﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ فتكون في محل نصب. وعلى كل تقدير في الكلام تفصيل بعد الإجمال، أي: الإجمال في ﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ ثم فصله بما بعده. ويعتبر هذا من أنواع الإطناب في علم البلاغة.

(١) قوله: (مُردًا) بضم الميم وسكون الراء: جمع أمرد، وهو الشاب الذي لم تنبت له لحية.

(٢) قوله: (طمعًا). مفعول لأجله للفعل ﴿ وَجَآءَ ﴾، وقد تقدم في سورة هود، والأعراف، ذكر قصة لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقومه.

(٣) ﴿فَلَا تَفْضَحُونِ﴾. الفاء للتعليل، و﴿لَا﴾ ناهية جازمة، و﴿تَفْضَحُونِ﴾ مجزوم وعلامة الجزم حذف النون، والنون الموجودة للوقاية، وحذفت ياء المتكلم بعدها اختصارًا.

(٤) قوله: (عن إضافتهم). أي: أن تجعل أحدًا ضيفًا عندك، وبنحوه فسر ابن جرير وعزاه إلى قتادة. ويراجع تفسير الآية (٧٨) من سورة هود.

(٥) قوله: (خطاب للنبي ﷺ). أي: ففي هذه الآية أقسم الله تعالى بحياة النبي ﷺ، وفي =

﴿يَعۡمَهُونَ ٧٢﴾ يترددون.

٧٣- ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ صيحة جبريل[١] ﴿مُشۡرِقِينَ ٧٣﴾ وقت شروق الشمس.

٧٤- ﴿فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا﴾ أي: قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ بأن رفعها جبريل إلى السماء، وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ٧٤﴾ طين طبخ بالنار.

٧٥- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ دلالات على وحدانية الله ﴿لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ٧٥﴾ للناظرين المعتبرين[٢].

= ذلك تشريف له ﷺ، وهذا من خصائص الرسول ﷺ، وقد ذكرنا ذلك في قصيدة «لوامع الدرر»، مع ذكر خصلة أخرى من الخصائص في هذا البيت:

«وأقسم في القرآن أي: بحياته نهى أن ينادى باسمه كلَّ مُقبل

روى ابن جرير عن ابن عباس، قال في قول الله ﴿لَعَمۡرُكَ﴾، قال: «ما حلف الله تعالى بحياة أحد إلا بحياة محمد ﷺ، قال: وحياتك يا محمد، وعمرك، وبقائك في الدنيا ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٢﴾». اهـ.

قال ابن كثير: «وفي هذا تشريف عظيم، ومقام رفيع، وجاه عريض». اهـ.

(١) قوله: (صيحة جبريل). وكانت صوتًا قاصفًا، كما قال ابن كثير.

(٢) قوله: (للناظرين). قاله ابن عباس، والضحاك.

وقوله: (المعتبرين). فسر به قتادة. والمفسر جمع بين التفسيرين، وهما متلازمان، وعن مجاهد: «للمتفرِّسين». التوسّم: تفعّل من الوسم، وهي العلامة التي يستدل بها على مطلوب غيرها. قاله القرطبي. روى ابن جرير عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله**»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ٧٥﴾، ورواه الترمذي، وقال: «لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

﴿٧٦﴾- ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي: قرى قوم لوط[١] ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ طريق قريش إلى الشام، لم تندرس أفلا يعتبرون بهم؟.

﴿٧٧﴾- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ لعبرة ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿٧٨﴾- ﴿وَإِن﴾ مخففة[٢]، أي: إنه ﴿كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ هي غيضة[٣] شجر بقرب مدين، وهم قوم شعيب ﴿لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ بتكذيبهم شعيبًا.

﴿٧٩﴾- ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بأن أهلكناهم بشدة الحر ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ أي: قرى قوم لوط والأيكة ﴿لَبِإِمَامٍ﴾ طريق[٤] ﴿مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ واضح، أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة؟

﴿٨٠﴾- ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾ وادٍ بين المدينة والشام[٥]، وهم ثمود

---

(١) قوله: (أي: قرى قوم لوط). وهي السدوم، وسميت مؤتفكة في سورة النجم، بمعنى: منقلبة.

(٢) قوله: (مخففة). أي: «إنْ» هنا حرف توكيد مخففة من «إنَّ»، والمخففة عملها قليل. فقول المفسر: (أي: إنه) يريد تقدير اسمها، بناء على أنها تعمل وليس تقدير الاسم بلازم، بل الأولى عدم التقدير؛ لأن إهمالها أكثر، وقد نبهنا على ذلك في مواضع.

(٣) قوله: (هي غيضة). الغيضة: الجماعة من الشجر، والجمع: الأيك، قاله القرطبي. وقيل: الأيكة وليكة اسم قريتهم أو مدينتهم. والمراد بهم قوم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ باتفاق. وقد تقدم خبرهم في سورة هود والأعراف.

(٤) قوله: (طريق). تفسير «الإمام»، وبه فسر عامة المفسرين. نقله ابن جرير عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والضحاك.

(٥) قوله: (وادٍ بين المدينة...). الحجر: قرية من قرى مدائن صالح، باقية بذلك الاسم إلى الآن، تبعد من المدينة نحو أربعمائة كيلو، وتبوك تبعد عنها نحو ذلك. وقد ذكرت أخبار قوم صالح في سورة الأعراف وهود مفصلة.

﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٨٠﴾ بتكذيبهم صالحًا؛ لأنه تكذيب لباقي الرسل(١)؛ لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد.

٨١- ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ في الناقة ﴿فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٨١﴾ لا يتفكرون فيها.

٨٢- ﴿وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ٨٢﴾.

٨٣- ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ٨٣﴾ وقت الصباح.

٨٤- ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ﴾ دفع ﴿عَنۡهُم﴾ العذاب ﴿مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٤﴾ من بناء الحصون وجمع الأموال.

٨٥- ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ﴾ لا محالة، فيجازى كل أحد بعمله ﴿فَٱصۡفَحِ﴾ يا محمد عن قومك ﴿ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾ أعرض عنهم إعراضًا لا جزع فيه(٢)، وهذا منسوخ بآية السيف(٣).

٨٦- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ﴾ لكل شيء ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٨٦﴾ بكل شيء.

٨٧- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾ قال ﷺ: «**هي الفاتحة**» رواه الشيخان(٤)؛

---

(١) قوله: (لأنه تكذيب...) بيان لكونهم مكذبين الرُّسُلَ مع أنه أرسل إليهم رسول واحد، وهو: صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٢) قوله: (إعراضًا لا جزع فيه)، بيان لمعنى ﴿ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾، وذكرنا معناه، ومعنى الصبر الجميل والهجر الجميل في تفسير سورة يوسف الآية (١٨).

(٣) قوله: (وهذا منسوخ) أي: لأن السورة مكية، ونقل ابن جرير نسخ هذه الآية بآية السيف عن قتادة، والضحاك.

(٤) قوله: (رواه الشيخان). أي: روى الشيخان: «أن السبع المثاني هي الفاتحة». روى البخاري حديثين في ذلك، أحدهما عن أبي سعيد، وفيه: «**الحمد لله رب العالمين**»، **هي السبع المثاني، والقرآن الذي أوتيته**»، والثاني عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول =

لأنها تُثنّى في كل ركعة[(١)] ﴿وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾.

﴿٨٨﴾- ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا﴾ أصنافًا[(٢)] ﴿مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾ أَلِنْ جانبك[(٣)] ﴿لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

= الله ﷺ: «**أم القرآن هي السبع المثاني، والقرآن العظيم**». [«فتح الباري» (٨/ ٢٣٢)]، وهذا القول روي عن علي، وأبي هريرة، وعمر، وابن مسعود، وابن عباس، وغيرهم، واختاره ابن جرير، وابن كثير، والقرطبي، وغيرهم.

وقيل: السبع المثاني: السور السبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع التوبة. روي ذلك عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وغيرهما.

وسميت مثاني: لتكرر الأحكام والعبر والحدود فيها. ومما يرجح القول الأول: أن هذه الآية مكية، والسبع الطوال منها المدنية، بل أكثرها مدنية، وورود الحديث الصحيح بأنها الفاتحة.

(١) قوله: (لأنها تُثنّى). بيان لوجه تسمية الفاتحة بالمثاني، وفي ذلك أقوال أخر، و﴿وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ عطف تفسير، والمراد به: الفاتحة. كما قاله القرطبي.

(٢) قوله: (أصنافًا). تفسير للمراد بالأزواج، وبنحوه فسر المفسرون. و﴿أَزۡوَٰجٗا﴾ مفعول به لـ﴿مَتَّعۡنَا﴾، والمراد بهم: الأغنياء، والأمثال في الغنى، كما قاله مجاهد.

قال القرطبي: «معنى الآية: قد أغنيتك بالقرآن عما في أيدي الناس».اهـ. وبنحوه فسر ابن جرير.

ونقل عن ابن عيينة تأويل قوله ﷺ: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**» بهذا المعنى، أي: من لم يستغن به، والحديث رواه البخاري، وأبو داود، وأحمد. [البخاري في التوحيد، باب (٤٤)، أبو داود في الوتر، باب (٢٠)، وأحمد (١/ ١٤٧٦)].

(٣) قوله: (ألن جانبك). «أَلِن» أمر من «ألانَ، يلين، إلانةً»: جعل الشيء ليّنًا.

وأشار بهذا التفسير أن خفض الجناح من باب الاستعارة. وبمثل ما قاله المفسر فسر ابن جرير، وابن كثير، وغيرهما.

٨٩- ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ﴾ من عذاب الله أن ينزل عليكم ﴿الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ البين الإنذار.

٩٠- ﴿كَمَا أَنزَلْنَا﴾ العذاب[١] ﴿عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ اليهود والنصارى[٢].

٩١- ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ﴾ أي: كتبهم المنزلة عليهم ﴿عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ أجزاء حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض، وقيل[٣]: المراد بهم الذين اقتسموا

---

(١) قوله: (العذاب). مفعول به لـ﴿أَنزَلْنَا﴾، وعلى هذا تكون «ما» مصدرية، والكاف اسم بمعنى: «مثل»، مفعول مطلق، نعت لمحذوف، والتقدير: أنا النذير المبين إنزال عذاب كإنزالنا على المقتسمين، والأولى جعل «ما» موصولة، والمعنى: أنا النذير المبين عذابًا مثل العذاب الذي أنزلنا على المقتسمين.

وقيل: الكاف زائدة مؤكدة، والمعنى: أنا النذير المبين ما أنزلنا على المقتسمين من العذاب، كما يعلم كل ذلك من القرطبي، والبيضاوي، ومن كتاب الإعراب.

(٢) قوله: (اليهود والنصارى). تفسير للمراد بـ﴿الْمُقْتَسِمِينَ﴾. والاقتسام: جعل الكتب المنزلة إليهم أجزاءً بأن آمنوا ببعض وكفروا ببعض. وهذا رواه ابن جرير عن ابن عباس، وسعيد بن جبير. ورواه البخاري عن ابن عباس. [«فتح الباري» (٨/ ٢٣٣)]

فالمراد بـ﴿الْقُرْآنَ﴾: التوراة والإنجيل.

(٣) قوله: (وقيل:...) قول ثانٍ في المراد بـ﴿الْمُقْتَسِمِينَ﴾. وكانوا ستة عشر رجلًا بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاقتسموا طرق مكة ليصدوا الناس عن الدين، فأماتهم الله شرّ ميتة، قاله مقاتل، والفراء.

فالمراد بـ﴿الْقُرْآنَ﴾ هو هذا القرآن، ومعنى: جعله عضين: بأن قال بعضهم: سحر، وبعضهم كهانة، وبعضهم شعر.

وقال قتادة: «المقتسمون: كفار قريش، اقتسموا كتاب الله بأن قال بعضهم، سحر، وبعضهم كهانة، وبعضهم شعر، وبعضهم أساطير الأولين». فالمراد بـ﴿الْقُرْآنَ﴾ هذا القرآن أيضًا. وذكر القرطبي سبعة أقوال في المراد بـ﴿الْمُقْتَسِمِينَ﴾. =

طرق مكة يصدون الناس عن الإسلام، وقال بعضهم في القرآن: سحر، وبعضهم: كهانة، وبعضهم: شعر.

﴿٩٢﴾ - ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ سؤال توبيخ.

﴿٩٣﴾ - ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

﴿٩٤﴾ - ﴿فَاصْدَعْ﴾ يا محمد ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ به، أي: اِجهر به وأمضه[1] ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ هذا قبل الأمر بالجهاد[2].

﴿٩٥﴾ - ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ بك بإهلاكنا كلًّا منهم بآفة، وهم[3]: الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل وعدي بن قيس والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث.

= و﴿عِضِينَ﴾ جمع عضة. ملحق بجمع المذكر السالم، منصوب على أنه مفعول ثان لـ﴿جَعَلُوا﴾، وأصله: عضو أو عضه بالهاء. وهي من باب «سنين» الملحق بجمع المذكر السالم، كما فصله النحاة. وباب «سنين»: كل اسم ثلاثي حذفت منه لام الكلمة وعوض عنها هاء التأنيث، ولم يأت له جمع تكسير آخر.

(١) قوله: (اجهر به...). عن مجاهد: «اجهر بالقرآن في الصلاة»، وعن ابن عباس: «فامضه»، وعن ابن مسعود، قال: «ما زال النبي ﷺ مستخفيًا حتى نزلت: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾، فخرج هو وأصحابه».

(٢) قوله: (هذا قبل الأمر بالجهاد). أي: فيكون منسوخًا؛ لأن الآية مكية. نقل القرطبي عن ابن عباس: «إنها منسوخة بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ...﴾ [التوبة: ٥]».

(٣) قوله: (وهم...). نقل ابن جرير عن سعيد بن جبير: «أن المستهزئين كانوا خمسة»، وهم الذين ذكرهم المفسر إلا أنه قال: «الحارث بن عيطلة» مكان عدي بن قيس. وذكر أنهم كلهم ماتوا ميتة سيئة. ونقل ذلك القرطبي عن ابن إسحٰق. وذكر القرطبي: الحارث بن الطُلاطِلة مكان الحارث بن عيطلة.

(٩٦)- ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ﴾ صفة[١]، وقيل: مبتدأ، ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء في خبره، وهو ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٩٦﴾ عاقبة أمرهم.

(٩٧)- ﴿وَلَقَدۡ﴾ للتحقيق[٢] ﴿نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧﴾ من الاستهزاء والتكذيب.

(٩٨)- ﴿فَسَبِّحۡ﴾ ملتبسًا ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ أي قل: سبحان الله وبحمده ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨﴾ المصلين.

(٩٩)- ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ الموت[٣].

❁❁❁

---

(١) قوله: (صفة). أي: الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ إما نعت لـ﴿ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾، فهو في محل جر، أو مبتدأ في محل رفع، وعلى إعرابه مبتدأ يكون خبره: الجملة ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٩٦﴾، ودخلت الفاء فيها تشبيهًا للاسم الموصول باسم الشرط في إفادة العموم في الجملة، أي: فيشبه الخبر بجواب الشرط، فيجوز دخول الفاء فيه كما تدخل على جواب الشرط في المواضع المعروفة. وعلى أن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت تكون الفاء لعطف الجملة.

(٢) قوله: (للتحقيق). نبه على ذلك؛ لأن الأكثر إفادة قد التحقيق في الماضي والتقليل في المضارع، وهٰهنا هي داخلة على المضارع للتحقيق، وللام مؤطئة للقسم.

(٣) قوله: (الموت). تفسير لـ﴿ٱلۡيَقِينُ﴾، باتفاق المفسرين فيما نعلم.

قال ابن كثير: «ويستدل بهذه الآية الكريمة: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ...﴾ على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتًا، فيصلي بحسب حاله، ويستدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد بـ﴿ٱلۡيَقِينُ﴾: المعرفة، فإذا وصل أحدهم ذلك سقط عنه التكليف، وهذا كفر وضلال وجهل، فإن الأنبياء وأصحابهم أعلم الناس بالله وحقوقه، وكانوا أكثرهم عبادة ومواظبة على الخيرات إلى حين الوفاة، فالمراد بـ﴿ٱلۡيَقِينُ﴾ هنا الوفاة».اهـ. ملخصًا.

١٦- سورة النحل

مكية[١]، إلا[٢] ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ...﴾ إلى آخرها الآية (١٢٦).

وآياتها مائة وثمان وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- لما استبطأ المشركون العذاب[٣]، نزل: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: الساعة، و«أَتَىٰٓ» بصيغة الماضي لتحقق وقوعه[٤]، أي: قرب ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ تطلبوه قبل حينه، فإنه واقع لا محالة ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهًا له[٥] ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١)﴾ به غيره[٦].

---

(١) قوله: (مكية). كلها مكية في قول الحسن، وعكرمة، وعطاء، وجابر.

(٢) وقوله: (إلا...) هذا قول آخر مشى عليه المفسر، أي: إن الآية ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ...﴾ الآية، مدنية، نزلت في شأن التمثيل بحمزة، وقتلى أحد، نقله كله القرطبي. وهناك أقوال أخر، وتسمى سورة النِّعَم بسبب ما عدد الله فيها من نعمه على عباده. قاله القرطبي.

(٣) قوله: (لما استبطأ...) ما ذكره من سبب النزول أورده القرطبي بسياقٍ مفصّل، مما يفيد أن المراد بـ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: الساعة. وبذلك فسر ابن كثير، وغيره من المفسرين. وعن الزجاج: «المراد به: ما وعد الكفار من المجازاة»، وعن الحسن، والضحاك: «المراد به: ما جاء به القرآن من الفرائض والأحكام»، واستبعده ابن جرير، والقرطبي؛ لأنه لم يثبت أنهم استعجلوا الأحكام.

(٤) قوله: (و﴿أَتَىٰٓ﴾ بصيغة الماضي). أي: في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ﴾ بدلًا من «يأتي». وذلك لتحقق الوقوع، وهذه نكتة بلاغية.

(٥) قوله: (تنزيهًا له). سبحان: اسم مصدر منصوب على المفعول المطلق، كما تقدم في سورة البقرة.

(٦) قوله: (به غيره). الضمير في (به) عائدة إلى «ما» الموصولة، و(غيره) بالنصب مفعول به =

(٢)- ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ أي: جبريل[١] ﴿بِٱلرُّوحِ﴾ بالوحي[٢] ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ بإرادته ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ وهم الأنبياء ﴿أَنْ﴾ مفسرة[٣] ﴿أَنذِرُوٓاْ﴾ خوّفوا الكافرين بالعذاب[٤]، وأعلموهم[٥] ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ (٢)﴾ خافونِ.

(٣)- ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: محقًّا[٦] ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣)﴾ به من الأصنام.

(٤)- ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ منيّ إلى أن صيره قويًّا شديدًا ﴿فَإِذَا هُوَ

= لـ﴿يُشْرِكُونَ﴾. ويحتمل كون «ما» مصدرية،، فلا يحتاج لعائد. وحذف العائد المجرور مشروط بشروط لم تتوفر هٰهنا، وهي: كون حرف الجر نفسه داخلًا على الاسم الموصول، بلفظه ومعناه ومتعلقه،والتفصيل في كتب النحو.

(١) قوله: (أي: جبريل). أشار به إلى أنه من إطلاق العام، وإرادة الخاص، من باب العام المراد به الخصوص؛ لأن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الموكل بالوحي.

(٢) قوله: (بالوحي). قاله ابن عباس، وبه فسر ابن كثير، وقال الربيع بن أنس: «القرآن»، وفسر بهما البيضاوي.

(٣) قوله: (مفسّرة) وذلك لوجود معنى القول في «الروح» المفسر بالوحي.

(٤) قوله: (بالعذاب). قدره ليكون مفعولًا للإنذار.

(٥) وقوله: (وأعلموهم) قدره ليفيد أن جملة ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ مفعول ثانٍ لهذا الفعل المقدر. ويمكن كونه إشارة إلى أن ﴿أَنذِرُوٓاْ﴾ متضمن معنى أعلموا، فتكون الجملة مفعولًا ثانيًا لـ﴿أَنذِرُوٓاْ﴾، والنون في ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ نون الوقاية حذفت بعدها ياء المتكلم تخفيفًا.

(٦) قوله: (محقًّا). أفاد به أن الباء في ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ للإلصاق، وأن الجار والمجرور حال من فاعل ﴿خَلَقَ﴾.

﴿خَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة[١] ﴿مُّبِينٌ ۝٤﴾ بيّنها[٢] في نفي البعث، قائلًا[٣]: «﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝٧٨﴾» [يسٓ: ٧٨].

۝٥ - ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ﴾ الإبل والبقر والغنم، ونصبه[٤] بفعل مقدر، يفسره: ﴿خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ﴾ من جملة الناس ﴿فِيهَا دِفۡءٞ﴾[٥] ما تستدفئون به من

---

(١) قوله: (شديد الخصومة). أخذ معنى الشدة من صيغة المبالغة ﴿خَصِيمٌ﴾؛ لأن «فعيلًا» من صيغ المبالغة إن كان محوّلًا عن فاعل. ويأتي «فعيل» صفة مشبهة لـ«فعُلَ» كالكريم من كَرُم، كما يأتي بمعنى اسم المفعول كـ«قتيل»، وكما يأتي مصدرًا، وتقدم في تفسير سورة البقرة الآية (٢٦٧).

(٢) قوله: (بيّنها). بتشديد الياء والضمير عائد إلى الخصومة، وأفاد به أن ﴿مُّبِينٌ﴾ بمعنى: اللازم «بيّن» كما تقدم نظيره في مواضع.

(٣) قوله: (قائلًا:...). أشار به إلى ما روي من أن الآية نزلت في أبيّ بن خلف، جاء إلى النبي ﷺ بعظم رميم، فقال: أترى يحيي الله هذا بعد ما رمّ؟. وفي هذا أيضًا نزل: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ۝٧٧﴾ [يسٓ: ٧٧]، ذكره القرطبي.

(٤) قوله: (ونصبه...) يعني: أن هذا من باب الاشتغال، فـ﴿ٱلۡأَنۡعَٰمَ﴾ منصوب بفعل مضمر وجوبًا يفسره: ﴿خَلَقَهَاۖ﴾، والتقدير: خلق الأنعام خلقها...، وهذا من مواضع ترجح النصب للاسم السابق ﴿ٱلۡأَنۡعَٰمَ﴾، وذلك للعطف على جملة فعلية سابقة، وهي: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾، والنحاة استشهدوا بهذه الآية على تلك المسألة.

(٥) قوله: ﴿دِفۡءٞ﴾. الدفء: اسم بمعنى ما يدفأ به، كما فسر به المفسر، وفي المراد به قولان:

١- الثياب. كما قاله المفسر، روي عن ابن عباس، ومجاهد.

٢- النسل، روي عن ابن عباس أيضًا.

قال الجوهري في «الصحاح»: «الدفء: نتاج الإبل وألبانها، وما ينتفع به منها».

الأكسية والأردية[١] من أشعارها وأصوافها[٢] ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ من النسل والدّر[٣] والركوب ﴿وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥﴾ قدم الظرف للفاصلة[٤].

۝٦ - ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زينة ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ تردُّونها إلى مُراحها بالعشي[٥] ﴿وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦﴾ تخرجونها إلى المرعى بالغداة.

۝٧ - ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ﴾ أحمالكم ﴿إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ﴾ واصلين إليه على غير الإبل ﴿إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ﴾ بجهدها[٦] ﴿إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧﴾ بكم حيث خلقها لكم.

۝٨ - ﴿وَ﴾ خلق ﴿ٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ[٧] وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ﴾ مفعول له، والتعليل بهما[٨] بتعريف النعم لا ينافي خلقها لغير ذلك، كالأكل في الخيل الثابت

(١) قوله: (من الأكسية): جمع كساء، (والأردية): جمع رداء، وهما معروفان.

(٢) قوله: (من أشعارها). الشعر: للمعز، والصوف: للشاة، والوبر: للإبل، وقد يطلق الشعر على ما هو أعمّ.

(٣) قوله: (النسل). أي: الأولاد، (والدّر): الحليب.

(٤) قوله: (قدم الظرف...). يعني: الجار والمجرور، ﴿وَمِنۡهَا﴾ للفاصلة، أي: رؤوس الآي.

(٥) قوله: (إلى مراحها...). المراح -بضم الميم-: مأوى المواشي ليلًا.

(٦) قوله: (بجهدها). قاله قتادة. وروى مثله عن عكرمة، ومجاهد. كما في ابن جرير.

(٧) ﴿وَٱلۡبِغَالَ﴾. جمع: بغل. وهو حيوان أهلي متولد من حمارٍ وفرس، أي: أبوه حمار وأمه فرس. ولا يجوز أكله، كما لا يجوز أكل الحمار الأهليّ. وأما الخيل فيجوز أكله، كما قال المفسر.

(٨) قوله: (والتعليل بهما). أي: بالركوب والزينة. أفاد بهذا أن التعليل بهما ليس له مفهوم مخالفة، لثبوت نصّ بخلاف المفهوم، ولأن الغرض بذكر هذا التعليل التعريف بالنعمة، =

بحديث «الصحيحين»[(١)]، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ من الأشياء العجيبة الغريبة[(٢)].

۝٩- ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: بيان الطريق المستقيم[(٣)] ﴿وَمِنْهَا﴾ أي: السبيل ﴿جَآئِرٌ﴾ حائد عن الاستقامة ﴿وَلَوْ شَآءَ﴾ هدايتكم[(٤)] ﴿لَهَدَىٰكُمْ﴾ إلى قصد السبيل ﴿أَجْمَعِينَ ۝٩﴾ فتهتدون إليه باختيار منكم.

= وذكر أكبر المقاصد منها، فإذا ذكر القيد لغرض خاص لا يكون له مفهوم مخالفة كما بينه الأصوليون.

(١) وقوله: (بحديث «الصحيحين»). أي: البخاري ومسلم. ففي «صحيح البخاري» عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «نهى رسول الله ﷺ عن لحوم الحمر الأهلية، وأذن في لحوم الخيل». [«فتح الباري» (٩/ ٥٧٠)، مسلم (٣/ ١٥٤١)]، وفي «صحيح مسلم» عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: «نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرسًا فأكلناها ونحن بالمدينة».اهـ. [(٣/ ١٥٤١)].

(٢) قوله: (من الأشياء العجيبة...). ولعل فيه إشارة إلى ما اكتشف وستكتشف من الأمور والأدوات والمراكب وغيرها، المتنوعة الكثيرة.

(٣) قوله: (بيان الطريق المستقيم). المستقيم تفسير لـ﴿قَصْدُ﴾، و(بيان) مضاف مقدر، والمراد بـ(الطريق) هنا: الطريق المعنوية، أي: طريق الهداية من الضلالة، كما روي عن ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما. قال ابن عباس: «على الله البيان أن يبين الهدى والضلالة». و﴿جَآئِرٌ﴾: السبل المتفرقة، والأهواء المختلفة. روى ذلك عن ابن عباس. قال ابن كثير: «لما ذكر الله من الحيوانات ما يسار عليها في السبيل الحسية نبه على الطريق المعنوية الدينية».اهـ. وذكر لذلك نظائر من الآيات.

(٤) قوله: (هدايتكم). قدره ليكون مفعولًا به لـ﴿شَآءَ﴾، وحذفه بعد شاء ونحوه الواقع بعد الشرط مطّرد، للعلم به من الجواب.

١٠- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ تشربونه ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ ينبت بسببه[1] ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾﴾ ترعون دوابكم[2].

١١- ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَةً﴾ دالة على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ في صنعه، فيؤمنون.

١٢- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ﴾ بالنصب عطفًا على ما قبله[3]، والرفع: مبتدأ ﴿وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ بالوجهين، ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾ بالنصب: حال، والرفع: خبر ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بإرادته ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ يتدبرون.

١٣- ﴿وَ﴾ سخر لكم ﴿مَا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من الحيوان

---

(١) قوله: (ينبت بسببه). أشار أن «مِن» للسببية.

(٢) قوله: (ترعون...). كذا فسره عامة السلف، وهو مضارع: أَسَام، يُسيم. والمجرد منه: سَامَ، يسومُ، ومنه: السائمة. وهي التي ترعى بنفسها. ومقابلها: المعلوفة.

(٣) قوله: (بالنصب...) هٰهنا ثلاث قراءات:

١- ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌ﴾ بالرفع في الجميع: وهي قراءة ابن عامر، ووجهها: أنها مبتدأ وخبر.

٢- ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌ﴾ بنصب «الشمس والقمر»، ورفع «النجوم ومسخرات»: هذه قراءة حفص، ووجهها: الشمس والقمر معطوفان على ما قبلهما، والنجومُ مبتدأ، خبره: مسخرات.

٣- ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ﴾ بنصب الجميع: وهي قراءة الباقين، ووجهها: أن الشمس وما بعدها معطوفة، و﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾ حال.

والنبات وغير ذلك ﴿مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓ﴾ كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣﴾ يتعظون.

١٤- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ﴾ ذلّله لركوبه والغوص فيه ﴿لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾ هو: السمك[1] ﴿وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا﴾ هي: اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى﴾ تبصر ﴿ٱلۡفُلۡكَ﴾ السفن ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ تمخر الماء[2]، أي: تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ﴾ عطف على «لِتَأۡكُلُواْ» تطلبوا ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ تعالى بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤﴾ الله على ذلك.

١٥- ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ جبالًا ثوابت لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾[3]

---

(١) قوله: (هو: السمك). أي: اللحم الطري. والتقييد بالطريّ ليس له مفهوم مخالفة؛ فلا يفيد حرمة غير الطريّ، وهو المجفف؛ لأن هذا القيد ذكر في معرض الامتنان، كما فصله الأصوليون.

(٢) قوله: (تمخر الماء). قاله عكرمة. أو: تمخر الريح. قاله ابن زيد. قال ابن كثير: «كلاهما صحيح».

(٣) قوله: (﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾) أفاد أن حرف التعليل: اللام مقدر قبل ﴿أَن﴾ وحذف حرف الجر قبل «أن» و«أنّ» مطرد. وأفاد أيضًا تقدير حرف النفي «لا». وبذلك فسر ابن جرير وغيره، وعزاه القرطبي إلى الكوفيين، وحكى عن البصريين، التقدير: «كراهة أن تميد بكم». فلا تقدر حرف النفي.

وفي الآية إشارة إلى أن الأرض ثابتة غير متحركة كما عليه الفلكيون القدامى، خلافًا لما عليه المعاصرون، وقد ثبت جغرافيًا أن إزالة الجبال عن مكانها تتسبّب للزلازل، وقد أعلن ذلك في بعض الجرائد إثر زلزلة وقعت بالهند، فبحثوا عن سببها، فانتهت الدراسة إلى أنها بسبب إزالة جبل كان هناك. وكان ذلك بمدينة كاليكوت.

تتحرك ﴿بِكُمْ وَ﴾ جعل فيها ﴿أَنْهَـٰرًا﴾ كالنيل[١] ﴿وَسُبُلًا﴾ طرقًا ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ إلى مقاصدكم.

﴿١٦﴾- ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍ﴾ تستدلون بها على الطرق، كالجبال بالنهار ﴿وَبِٱلنَّجْمِ﴾ بمعنى النجوم ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ إلى الطرق والقِبْلة بالليل[٢].

﴿١٧﴾- ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾[٣] هو: الله ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ وهو: الأصنام، حيث تشركونها معه في العبادة، لا[٤] ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ هذا، فتؤمنون.

﴿١٨﴾- ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ تضبطوها، فضلًا[٥] أن تطيقوا شكرها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ حيث ينعم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم.

﴿١٩﴾- ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾.

---

(١) قوله: (كالنيل). نهر بمصر معروف.

(٢) قوله: (والقبلة). أي: جهة الصلاة.

قوله: (في الليل) متعلق بـ﴿يَهْتَدُونَ﴾.

(٣) ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾. الهمزة للاستفهام الإنكاري. والفاء: عاطفة على محذوف. أو استئنافية قدمت الهمزة عليها للصدارة.

فائدة: هذا من عكس التشبيه، والأصل: أفمن لا يخلق كمن يخلق. ففيه مبالغة في الذم لهم، حيث يجعلون عبادة الأصنام أصلًا، وعبادة الله تعالى فرعًا، نقل معناه صاحب «إعراب القرآن» عن زكريا الأنصاري في كتابه «فتح الرحمن».

(٤) قوله: (لا). جواب الاستفهام.

(٥) قوله: (فضلًا...) أي: حيث يتعذر ضبطها، فتعذّر الشكر عليها من باب أولى. (فضلًا): مفعول مطلق لفعل محذوف يؤتى به لإفادة أن ما بعده أولى بالحكم مما قبله. وتقدم في سورة إبراهيم معنى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ...﴾.

(٢٠)- ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ بالتاء والياء[١]: تَعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠)﴾ يصوّرون من الحجارة وغيرها.

(٢١)- ﴿أَمْوَاتٌ﴾ لا روح فيهم[٢]، خبر ثانٍ ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ تأكيد ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: الأصنام ﴿أَيَّانَ﴾ وقت[٣] ﴿يُبْعَثُونَ (٢١)﴾ أي: الخلق، فكيف يعبدون إذ لا يكون[٤] إلـٰهًا إلا الخالق الحي، العالم بالغيب.

(٢٢)- ﴿إِلَٰهُكُمْ﴾ المستحق للعبادة منكم[٥] ﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ لا نظير له في ذاته ولا في صفاته[٦]، وهو الله تعالى ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾

---

(١) قوله: (بالياء والتاء). قراءتان: بالياء: ﴿يَدْعُونَ﴾: قراءة عاصم، ويعقوب. وبالتاء: ﴿تَدْعُونَ﴾: قراءة الباقين.

(٢) قوله: (لا روح فيهم). يطلق «الميت» في اللغة على ما لا روح له، وإن لم يكن قابلًا للروح. وقد صرح بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة التدمرية» لكنه ليس مطردًا. ويمكن أن يقال: إطلاق الأموات لتنزيلها منزلة العقلاء من حيث إنها عبدت من دون الله، كما قال تعالى: ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ و﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ و﴿لَا يَخْلُقُونَ﴾ و﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠)﴾، فكل هذه تعبيرات تناسب العقلاء. والله أعلم.

(٣) قوله: (وقت). أفاد أن ﴿أَيَّانَ﴾ هنا ظرف زمان في محل نصب، وهي استفهامية هنا، معلقة لـ﴿يَشْعُرُونَ﴾ عن عمل النصب، وعامل ﴿أَيَّانَ﴾ هو: ﴿يُبْعَثُونَ﴾.

(٤) قوله: (إذ لا يكون...). بيان لمضمون هذه الآيات، وقد فسر ابن كثير بنحو من ذلك.

(٥) قوله: (المستحق...). أفاد أن الإله هنا بمعناه الخاص، وهو المستحق للعبادة، لا بمعناه العام، أي: المعبود مطلقًا، بدليل قوله تعالى: ﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾. وقد تقدم ذكر المعنيين في تفسير آية الكرسي وغيرها.

(٦) قوله: (لا نظير له...). بيان لمعنى الوحدانية، وهذا التفسير يفيد أنواع التوحيد الثلاثة بل أكثر؛ لأنه يفيد أن ذاته تعالى واحد غير مؤلّف من أجزاء؛ لأن المركّب يحتاج إلى أجزائه، =

جاحدة للوحدانية ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ متكبرون عن الإيمان بها.

﴿٢٣﴾- ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقًّا[(١)] ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فيجازيهم بذلك ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ بمعنى: أنه يعاقبهم[(٢)].

﴿٢٤﴾- ونزل في النضر بن الحارث[(٣)]: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّا﴾ استفهامية[(٤)] ﴿ذَآ﴾ موصولة ﴿أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على محمد ﴿قَالُوٓاْ﴾ هو ﴿أَسَٰطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ إضلالًا للناس.

﴿٢٥﴾- ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ﴾ في عاقبة الأمر[(٥)] ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾ ذنوبهم ﴿كَامِلَةً﴾ لم

= ووجوده متأخر عن وجودها. وهذا المعنى ليس واضحًا من تقسيم التوحيد إلى الأقسام الثلاثة أي الربوبية والألوهية والصفات. والله أعلم.
ويدخل في قوله: (صفاته): الألوهية، وصفات الأفعال.

(١) قوله: (حقًّا). كما تقدم في سورة هود الآية (٢٢).

(٢) قوله: (بمعنى: أنه يعاقبهم). فيه إشارة إلى تأويل صفة المحبة. وقد تقدم.

(٣) قوله: (ونزل...). ما ذكره من سبب النزول وأن الآية نزلت في النضر بن الحارث حكاه القرطبي بـ«قيل». من غير عزو. وقال: «إن النضر بن الحارث خرج إلى الحيرة فاشترى أحاديث، فكان يقرأ على قريش، ويقول: ما يقرأ محمد على أصحابه إلا أساطير الأولين».اهـ.

(٤) قوله: (استفهامية). أي: في محل رفع مبتدأ. و﴿ذَآ﴾ بمعنى: الذي في محل رفع خبر، و﴿أَنزَلَ﴾ صلة الموصول، والعائد محذوف، أي: أنزله. هذا أحد الوجهين في الإعراب.
والوجه الثاني: ﴿مَّاذَآ﴾: اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم لـ﴿أَنزَلَ﴾. بمعنى: أيَّ شيءٍ أنزل. وعلى هذا تكون «ذا» ملغاةً، أي: ليست اسمًا موصولًا، بل مركبة مع «ما». ويؤيد الوجهَ الأولَ الرفع في ﴿أَسَٰطِيرُ﴾.

(٥) قوله: (في عاقبة الأمر). أفاد أن اللام في ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ﴾: لام العاقبة. والفعل «يحملوا» منصوب بـ«أن» مضمرة. وقيل: اللام للأمر، والفعل مجزوم. ذكره القرطبي.

يُكَفَّر منها شيء[(١)] ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ﴾ بعض[(٢)] ﴿أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾ لأنهم دعوهم إلى الضلال، فاتبعوهم، فاشتركوا في الإثم ﴿أَلَا سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا يَزِرُونَ ٢٥﴾ يحملونه، حملهم هذا[(٣)].

٢٦- ﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ هو: نمروذ[(٤)]، بنى صرحًا طويلًا ليصعد منه إلى السماء، ليقاتل أهلها ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ﴾ قصد[(٥)] ﴿بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ﴾ الإساس[(٦)]، فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمته ﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ

---

(١) قوله: (لم يكفر منها). أي: لم يترك ولم يستر منها شيء.

(٢) قوله: (بعض). أفاد أن «من» للتبعيض. ولعل وجه ذلك: أن المضلين يحملون ما كان سببًا لوزر الضالين. أما ما ليس كذلك وهو الوزر الذي ارتكبه من نفسه فلا يحمله المضل. والله أعلم.

والظاهر من قول مجاهد، وقتادة، ومما روي عن ابن عباس أنهم يحملون ذنوب الضالين، قال ابن عباس: «يحملون ذنوبهم»، وقال قتادة: «أي: ذنوبهم وذنوب الذين يضلونهم بغير العلم...»، وبه فسر القرطبي، وغيره، وتكون «من» لبيان الجنس، لا للتبعيض، وكما يدل على ذلك حديث مسلم: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**».اهـ. [(٤/ ٢٠٦٠)].

(٣) قوله: (حملهم هذا). قدره ليكون مخصوصًا بالذم.

(٤) قوله: (هو: نمروذ). هذا القول مروي عن ابن عباس، وزيد بن أسلم وغيرهما، أن نمروذ بنى صرحًا ليقاتل أهل السماء، نقل القرطبي عن ابن عباس: «كان طوله خمسة آلاف ذراع، وعرضه ثلاثة آلاف، فسقط الصرح، وأبطل الله كيدهم.اهـ. ملخصًا.

(٥) قوله: (قصد). تأويل صحيح، قال قتادة: «لأتاها أمر الله من أصلها». وقال ابن جرير: «معناه: هدم الله بنيانهم من أصله».

(٦) قوله: (الإساس). بكسر الهمزة، جمع: أُسٍّ.

﴿ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ أي: وهم تحته ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٦﴾ من جهة لا تخطر ببالهم. وقيل: هذا تمثيل[١] لإفساد ما أبرموه من المكر بالرسل.

٢٧- ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ﴾ يذلهم ﴿وَيَقُولُ﴾ الله لهم على لسان الملائكة توبيخًا[٢]: ﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ﴾ بزعمكم ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ﴾ تخالفون المؤمنين ﴿فِيهِمۡۚ﴾ في شأنهم ﴿قَالَ﴾ أي: يقول ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ من الأنبياء والمؤمنين[٣] ﴿إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٧﴾ يقولونه شماتة بهم.

٢٨- ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ بالتاء والياء[٤] ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ بالكفر ﴿فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾ انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين: ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ﴾ شرك، فتقول الملائكة: ﴿بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨﴾ فيجازيكم به.

٢٩- ويقال لهم: ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى﴾ مأوى ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٢٩﴾.

---

(١) قوله: (وقيل: هذا تمثيل). اختاره ابن كثير، قال: «والصحيح هذا من باب المثل لإبطال ما صنعه هؤلاء الذين كفروا بالله وأشركوا في عبادته غيره».اهـ.

(٢) قوله: (على لسان الملائكة). أي تقول لهم الملائكة بأمر وإذن من الله تعالى، وظاهر كلام ابن جرير وغيره أن القائل هو الله، وعلى هذا يكون المراد بنفي كلام الله لهم، أي: الكلام الذي يسرهم، كما نبهنا على ذلك في تفسير سورة البقرة الآية (١٧٤) وغيرها.

(٣) قوله: (من الأنبياء والمؤمنين). وعن ابن عباس: «الملائكة»، وقيل: المؤمنون. ذكرهما القرطبي.

(٤) قوله: (بالتاء والياء): قراءتان: بالياء: ﴿يَتَوَفَّىٰهُمُ﴾: قراءة حمزة، وخلف. وبالتاء: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾: قراءة الباقين. وكذلك فيما يأتي الآية (٣٢).

(٣٠)-[١] ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ ﴾ الشرك ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ بالإيمان ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ﴾ حياة طيبة ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿خَيۡرٞۚ﴾ من الدنيا وما فيها. قال تعالى: ﴿وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ (٣٠)﴾ هي[٢].

(٣١)- ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ ﴾[٣] إقامة، مبتدأ، خبره: ﴿يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ (٣١)﴾.

(٣٢)- ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ نعت[٤] ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الكفر[٥]

---

(١) قال القرطبي في بيان معنى الآيتين: «كان يَرِدُ -أي: يأتي- الرجل من العرب بمكة في أيام الموسم، فيسأل المشركين عن محمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فيقولون: ساحر، أو شاعر، أو كاهن، أو مجنون، ويسأل المؤمنين، فيقولون: أنزل الله عليه الخير والهدى».اهـ.

و﴿خَيۡرٗاۗ﴾ مفعول به لـ﴿أَنزَلَ﴾، و﴿لِلَّذِينَ ...﴾ كلام مستأنف، وهو خبر مقدم، والمبتدأ: ﴿حَسَنَةٞۚ﴾.

فائدة: نقل القرطبي عن الثعلبي ما حاصله: «جاء الجواب مرفوعًا في قولهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، ومنصوبًا في قول المؤمنين: ﴿خَيۡرٗاۗ﴾، وذلك لأن المشركين لم يؤمنوا بالتنزيل، وكأنهم يقولون: الذي يقول محمد هو أساطير، والمؤمنون آمنوا بالتنزيل فقالوا: أنزل خيرًا».اهـ. وبنحوه قال ابن جرير.

(٢) قوله: (هي) قدره ليكون مخصوصًا بالمدح.

(٣) ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ بدل من ﴿دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، أو خبر لمبتدأ محذوف، أو هي المخصوص بالمدح، أو مبتدأ، وخبره: ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ فيكون من باب الاشتغال، أشار إلى ذلك كله القرطبي.

(٤) قوله: (نعت) أي: لـ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾. فيكون في محل نصب.

(٥) قوله: (طاهرين من الكفر). بمثله فسر ابن جرير، وذكره القرطبي في جملة أقوال في معناه.

﴿يَقُولُونَ﴾[(١)] لهم عند الموت ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ﴾ ويقال لهم في الآخرة[(٢)]: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿٣٣﴾- ﴿هَلۡ﴾ ما ﴿يَنظُرُونَ﴾ ينتظر الكفار ﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ﴾ بالتاء والياء[(٣)] ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ﴾ العذاب، أو القيامة[(٤)] المشتملة عليه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما فعل هؤلاء ﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ من الأمم، كذبوا رسلهم فأهلكوا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ بالكفر.

﴿٣٤﴾- ﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ أي: جزاؤها[(٥)] ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾ أي: العذاب.

﴿٣٥﴾- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ من أهل مكة ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ﴾ من البحائر والسوائب[(٦)]،

---

(١) قوله: (يقولون). أي: الملائكة. روى ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي، يقول: «إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك، فقال: السلام عليك ولي الله، الله يقرأ عليك السلام، ثم نزع بهذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾». ونقل القرطبي مثله عن ابن مسعود.

(٢) قوله: (ويقال لهم...). وقيل: هذا تبشير لهم بالجنة عند الموت. ذكره ابن جرير. وكما هو الظاهر مما رواه عن محمد بن كعب القرظي.

(٣) قوله: (بالتاء والياء). بالياء: قراءة حمزة، والكسائي، وخلف. وبالتاء: قراءة الباقين.

(٤) قوله: (العذاب). كالقتل يوم بدر.

وقوله: (أو القيامة). تفسير آخر لـ﴿أَمۡرُ رَبِّكَ﴾. ذكرهما القرطبي.

(٥) قوله: (أي: جزاؤهما) أشار به إلى تقدير مضاف.

(٦) قوله: (من البحائر...). جمع بحيرة، والسوائب جمع: سائبة. وتقدم معناهما في سورة =

فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته، فهو راض به، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ أي: كذبوا رسلهم فيما جاؤوا به ﴿فَهَلۡ﴾ فما ﴿عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٣٥﴾ الإبلاغ البيّن[1]، وليس عليهم الهداية.

٣٦- ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا﴾ كما بعثناك في هؤلاء ﴿أَنِ﴾ أي: بأن[2] ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحّدوه ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ الأوثان، أن تعبدوها ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ﴾ فآمن ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ﴾ وجبت ﴿عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ في علم الله[3] فلم يؤمن ﴿فَسِيرُواْ﴾ يا كفار مكة ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ[4] عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾ رسلهم من الهلاك.

٣٧- ﴿إِن تَحۡرِصۡ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ﴾ وقد أضلهم الله، لا تقدر على ذلك[5] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ﴾ من يريد إضلاله[6]، بالبناء للمفعول

= المائدة (١٠٣)، كما تقدم نظير هذه الآية وتفسيرها في سورة الأنعام (١٤٨).

(١) قوله: (الإبلاغ). أشار به إلى أن ﴿ٱلۡبَلَٰغُ﴾ اسم مصدر لـ«أبلغ».

(٢) قوله: (بأن). أشار بهذا أن ﴿أَنِ﴾ مصدرية. وحذف حرف الجر قبلها. ويجوز كون ﴿أَنِ﴾ مفسرة، لتضمن ﴿بَعَثۡنَا﴾ معنى القول، وعلى هذا لا يحتاج لتقدير حرف الجرّ.

(٣) قوله: (في علم الله). في الآية ردّ على القدرية القائلين بأن الله هدى الناس كلهم ثم هم اختاروا الكفر من عند أنفسهم بدون أن يكون ذلك مقدرًا. أفاده القرطبي.

(٤) ﴿كَيۡفَ كَانَ﴾، ﴿كَيۡفَ﴾: اسم استفهام في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾، وهي معلقة بـ﴿ٱنظُرُواْ﴾ عن نصبه المفعول، وتقدم نظيره.

(٥) قوله: (لا تقدر على ذلك). قدره ليكون جواب الشرط، حذف ودل عليه سببه وهو: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ ...﴾.

(٦) قوله: (من يريد إضلاله). أي: من سبق في إرادته الضلالة، كما يعلم من القرطبي وغيره.

والفاعل(١) ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٣٧﴾ مانعين من عذاب الله.

٣٨ - ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ(٢)﴾ أي: غاية اجتهادهم فيها ﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ قال تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ يبعثهم ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان منصوبان بفعلهما المقدر، أي: وعد ذلك وعدًا، وحقه حقًّا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٨﴾ ذلك.

٣٩ - ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ متعلق بـ(يبعثهم)(٣) المقدر ﴿لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ﴾ مع المؤمنين ﴿فِيهِ﴾ من أمر الدين بتعذيبهم وإثابة المؤمنين ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ۝٣٩﴾ في إنكار البعث.

٤٠ - ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ أي: أردنا إيجاده، و«قَوْلُنَا» مبتدأ، خبره: ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ أي: فهو يكون(٤)، وفي قراءة بالنصب، عطفًا على

---

(١) قوله: (بالبناء للمفعول...). قراءتان: بالبناء للفاعل: ﴿لَا يَهْدِي﴾: وفاعله ضمير مستتر عائد إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. و﴿مَن﴾ مفعول به: هذه قراءة عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف. وبالبناء للمفعول: ﴿لَا يُهْدَىٰ﴾، و﴿مَن﴾ نائب فاعل. والمعنى: من أضله الله لا يُهدى. قراءة الباقين.

(٢) ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ منصوب على أنه مفعول مطلق.

(٣) قوله: (متعلق بـ(يبعثهم). وبذلك فسر ابن جرير. وقيل: متعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا﴾.

(٤) قوله: (فهو يكون) تفسير على قراءة رفع ﴿فَيَكُونُ﴾، فالفاء استئنافية، وهي قراءة الجمهور. وقرأ ابن عامر، والكسائي بالنصب، ووجهه: إما العطف على ﴿نَّقُولَ﴾، كما قال المفسر، أو على أن الفاء فاء السببية، والفعل بعدها منصوب بـ«أن» مضمرة، و﴿فَيَكُونُ﴾ هنا تامة على الوجهين، وفاعلها الضمير المستتر. والمراد بـ﴿كُن﴾ تعلق =

«نَّقُولَ»، والآية لتقرير القدرة على البعث.

٤١- ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ لإقامة دينه ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ بالأذى من أهل مكة، وهم النبي ﷺ وأصحابه[1] ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ﴾ ننزّلنّهم ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ دارًا ﴿حَسَنَةٗ﴾ هي: المدينة[2] ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿أَكۡبَرُ﴾ أعظم ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾ أي: الكفار أو المتخلفون عن الهجرة ما للمهاجرين من الكرامة لوافقوهم[3].

= الإرادة، كما أشار له ابن كثير حيث قال: «أي: أن نأمر به مرة واحدة فإذا هو كائن». وفي هذه الآية إثبات للمعاد؛ لأنه أمر إذا أراده الله فإنما يأمره مرة واحدة فيكون، كما أفاده ابن كثير، وتقدم في سورة البقرة الآية (١١٧).

(١) قوله: (وهم النبي ﷺ...). روى ابن جرير نحوه عن قتادة، قال: «هؤلاء أصحاب محمد ﷺ ظلمهم أهل مكة، وأخرجوهم من ديارهم، حتى لحق طوائف منهم بالحبشة، ثم بوّأهم الله المدينة بعد ذلك، فجعلها لهم دار الهجرة، وجعل لهم أنصارًا من المؤمنين».اهـ.

وقال ابن كثير: «ويحتمل كون سبب نزول الآية في مهاجرة الحبشة، لما اشتد ظلم أهل مكة هاجروا إلى الحبشة، وفي مقدمهم عثمان بن عفان ورقية بنت الرسول ﷺ، ثم مكنهم الله في البلاد، وحكَّمَهُم الله على العباد، وجعلهم للمتقين إمامًا».اهـ. باختصار.

(٢) قوله: (هي: المدينة). قاله ابن عباس، والشعبي، وقتادة. وقال مجاهد: «الرزق الحسن»، وقيل غير ذلك. وكل ذلك متلازمة، وقول المفسر: (دارًا) قدره ليكون موصوفًا لـ﴿حَسَنَةٗ﴾.

(٣) قوله: (لوافقوهم). قدره ليكون جواب ﴿لَوۡ﴾، روى ابن جرير عن ابن عباس، قال: «هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ في قوم هاجروا إلى رسول الله ﷺ من أهل مكة بعد ظلمهم وظلمهم المشركون».اهـ.

(٤٢) - هم ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢)﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون.

(٤٣) - ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ﴾ لا ملائكة[١] ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل[٢] ﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ (٤٣)﴾ ذلك، فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﷺ.

(٤٤) - ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ متعلق بمحذوف[٣]، أي: أرسلناهم بالحجج الواضحة ﴿وَٱلزُّبُرِۗ﴾ الكتب[٤] ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ﴾ القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾[٥] فيه من الحلال والحرام ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)﴾ في ذلك، فيعتبرون.

---

(١) قوله: (لا ملائكة). فيه إشارة إلى سبب النزول، كما روى ابن جرير عن ابن عباس: «لما بعث الله محمدًا رسولًا، أنكرت العرب ذلك أو من أنكر منهم، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا...، فأنزل الله: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا...﴾ [يونس: ٢]، وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ ﴾».اهـ

(٢) قوله: (العلماء بالتوراة...) قاله ابن عباس، ومجاهد. وعن ابن زيد: «﴿أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾: أهل القرآن». وروي عن ابن عباس أيضًا. قاله القرطبي.

(٣) قوله: (متعلق بمحذوف). هذا أحد الأوجه، ذكرها المعربون، وقيل: متعلق بـ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾. والمعنى: وما أرسلنا إلا رجالًا بالبينات. على أن الجار والمجرور نعت لـ﴿رِجَالٗا﴾، أو ما أرسلنا بالبينات إلا رجالًا، فالجار والمجرور ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ متقدم في المعنى. وهذا الوجه عزاه القرطبي إلى الكلبي. وما ذهب إليه المفسر أولى، وهو الذي قدمه البيضاوي، وذكره أوجهًا أخرى، والله أعلم.

(٤) قوله: (الكتب). قاله ابن عباس.

(٥) قال ابن كثير في تفسير ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾: «أي: من ربهم، لعلمك معنى ما أنزل =

﴿٤٥﴾- ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ﴾ المكرات[١] ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بالنبي ﷺ[٢] في دار الندوة من تقييده، أو قتله، أو إخراجه، كما ذكر في الأنفال ﴿أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ كقارون[٣] ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ أي: من جهة لا تخطر ببالهم، وقد أهلكوا ببدر[٤]، ولم يكونوا يُقدِّرون ذلك[٥].

﴿٤٦﴾- ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ﴾ في أسفارهم للتجارة[٦] ﴿فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾﴾ بفائتين العذاب.

﴿٤٧﴾- ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾ تنقّص[٧] شيئًا فشيئًا حتى يهلك الجميع، حال

= الله عليك، وحرصك عليه، واتباعك له، ولعلمنا بأنك أفضل الخلائق، وسيد ولد آدم، فتفصّل لهم ما أجمل وبيّن لهم ما أشكل».اهـ.

(١) قوله: (المكرات). قدره ليكون موصوفًا لـ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، ويكون منصوبًا على أنه مفعول مطلق، ويحتمل كونه منصوبًا بنزع الخافض، أي: بالسيئات.

(٢) قوله: (بالنبي ﷺ). لعل المفسر أخذ هذا من قول الله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ﴾ [الأنفال: ٣٠] الآية. ولكن هذه وقعت قُبيل الهجرة، وهذه الآية مكية، لعلها نزلت قبل ذلك. وقد فسر ابن جرير، وابن كثير، والقرطبي وغيرهم بأنها في الكفار الذين ظلموا المسلمين واحتالوا ضد الإسلام.

والهمزة في ﴿أَفَأَمِنَ﴾ للاستفهام التوبيخي، والفاء للعطف على محذوف، أي: ألم يتفكروا فأمنوا، كما يعلم من إعراب القرآن، والله أعلم.

(٣) قوله: (كقارون). هكذا نقله القرطبي عن ابن عباس.

(٤) قوله: (وقد أهلكوا...). أي: تصديقًا لهذه الآية. وبنحوه قال القرطبي.

(٥) قوله: (ولم يكونوا...). في بعض النسخ: «يقدروا» بحذف النون تخفيفًا أو للجوار.

(٦) قوله: (في أسفارهم...). قاله قتادة، والسدي.

(٧) قوله: (تنقّص). كذا قاله مجاهد. وروي عن ابن عباس، وابن زيد، وفسر به ابن جرير.=

من الفاعل أو المفعول(١) ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة.

﴿٤٨﴾- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ له ظل(٢) كشجرة وجبل ﴿يَتَفَيَّؤُا﴾ يتميل ﴿ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ جمع شمال، أي: عن جانبيها: أول النهار وآخره(٣) ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ حال، أي: خاضعين له بما يراد منهم(٤) ﴿وَهُمْ﴾ أي:

= ونقل القرطبي عن ابن المسيب: «بينما عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على المنبر، قال: أيها الناس ما تقولون في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾، فسكت الناس، فقال شيخ من بني هذيل: هي لغتنا يا أمير المؤمنين، التخوف: التنقص».

وفي الأثر أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل شاهدًا على هذا المعنى من أشعارهم، فقال له هذليّ: قال شاعرنا أبو كبير الهذلي، يصف ناقة تنقص السير سنامها بعد تَمَكُّهِ واكتنازه:

تخوّف الرحل منها تامِكًا قَرِدا كما تخوّف عُودَ النبعة السَّفَنُ

فقال عمر: «يا أيها الناس، عليكم بديوانكم شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم».اهـ. نقله القرطبي عن ابن المسيّب.

وعن الضحاك: «التخوف: من الخوف». وكذا عن الحسن، وعليه مشى ابن كثير.

(١) قوله: (حال من الفاعل ...). أي: الجار والمجرور ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ في محل نصب حال. وإذا كان من الفاعل، فالمعنى: يأخذهم حال كونه متنقصًا منهم. وإن كانت من المفعول، فالمعنى: يأخذهم حال كونهم متنقّصين بأخذه. والله أعلم.

(٢) قوله: (له ظل...). هكذا نقله القرطبي عن ابن عباس. وكذا قوله: (يتميّل). تفسير ﴿يَتَفَيَّؤُا﴾. رواه عنه ابن جرير.

(٣) قوله: (أول النهار وآخره). كذا روى ابن جرير وعن قتادة: «أما اليمين فأول النهار، وأما الشمال فآخر النهار».

(٤) قوله: (أي: خاضعين...). وبنحوه قال ابن جرير، قال: «وأولى الأقوال بالصواب أن =

الظلال ﴿دَٰخِرُونَ ٤٨﴾ صاغرون، ونزلوا منزلة العقلاء.

٤٩- ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ ﴾ أي: نسمة تدب عليها[١]، أي: يخضع له بما يراد منها[٢]. وغلّب في الإتيان بـ«مَا» ما لا يعقل[٣] لكثرته ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ خصهم بالذكر تفضيلًا[٤] ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ٤٩﴾ يتكبرون عن عبادته.

٥٠- ﴿ يَخَافُونَ﴾ أي: الملائكة، حال من ضمير «يَسْتَكْبِرُونَ»، ﴿رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾

= يقال: إن الله أخبر في هذه الآية أن ظلال الأشياء هي التي تسجد، وسجودها: ميلانها ودورانها من جانب إلى جانب، وناحية إلى ناحية، كما قال ابن عباس».اهـ.

فائدة: ذكر اليمين مفردًا، والشمائل جمعًا، تفننًا، والمعنى هو: الجمع، ومن الأساليب العربية: المقارنة بين المفرد والجمع، نحو: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]. كما يعلم من القرطبي.

(١) قوله: (أي: نسمة...). أفاد أن المراد بالدابة هنا المعنى اللغوي، وهو كل ما يدب ويسير في الأرض، فدخل فيه الإنسان، لا المعنى العرفي، وهو: ذوات الأربع، أو الفرس، كما تقدم في أول سورة هود.

(٢) قوله: (أي: يخضع له...). أفاد به أن السجود من كل شيء بحسبه، ولا يتعين بوضع الجبهة، وبمثله فسر ابن جرير حيث يقول: «يقول تعالى ذكره: ولله يخضع ويستسلم لأمره ما في السموات وما في الأرض من دابة يدب عليها، والملائكة التي في السموات...».اهـ.

(٣) قوله: (ما لا يعقل) نائب فاعل (غلّب)، يعني أنه استعمل في قوله تعالى: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ «ما» الموضوع لما لا يعقل، مع وجود العقلاء في الساجدين، وذلك تغليبًا لغير العاقل؛ لكثرته.

(٤) قوله: (خصهم بالذكر). فهو من عطف الخاص على العام لما في الخاص من مزيّة.

حال منهم[(١)]، أي: عاليًا عليهم بالقهر ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ به.

﴿٥١﴾- ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ تأكيد ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ أتى به[(٢)] لإثبات الإلهية والوحدانية ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ خافون[(٣)] دون غيري[(٤)]، وفيه التفات عن الغيبة.

﴿٥٢﴾- ﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾ الطاعة ﴿وَاصِبًاۚ﴾ دائمًا[(٥)]، حال من «ٱلدِّينُ»، والعامل فيه[(٦)]: معنى الظرف ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ

---

(١) قوله: (حال من «هم»). أي قوله: ﴿مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾، في محل نصب حال من الملائكة أي الضمير في ﴿يَخَافُونَ﴾ الراجع إلى الملائكة.

والمعنى: حال كون الملائكة فوق من في الأرض من دابة، فإذا خافوا فمن في الأرض أولى بالخوف، وهذا المعنى هو المناسب إذا كان حالًا من «هم». وقد ذكره القرطبي.

أما قول المفسر: (أي: عاليًا عليهم...) فيكون إذا كان حالًا من ﴿رَبَّهُم﴾، أي: حال كون ربهم فوقهم، ففي كلامه إشكال.

وقوله: (بالقهر) أي: بالسلطنة. اكتفى به، وكان الأولى: الإطلاق فهو فوقهم بالذات والقهر. فهو مباين عن العالَم، وقاهر عليهم.

وقيل: يخافون نزول عذاب ربهم من فوقهم، بتقدير المضاف، ذكره القرطبي. وإلى ذلك يشير ابن جرير حيث قال: «يخافون... ربهم من فوقهم أن يعذبهم إن عصوا».اهـ.

(٢) قوله: (أتى به) أي بقوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾.

(٣) قوله: (خافون): ارهبوا، وخافوا فعل أمر، والنون فيها نون الوقاية. وبعدها ياء المتكلم المحذوف تخفيفًا.

(٤) قوله: (دون غيري). أخذ معنى الحصر من تقديم المفعول به، وهو ﴿إِيَّٰيَ﴾ فهو مفعول لفعل محذوف متأخر عن الضمير، والتقدير: إيّايَ ارهبوا.

(٥) قوله: (دائمًا). قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك، وغيرهم.

(٦) قوله: (والعامل فيه). أي: في الحال، ومعروف أن الحال يحتاج إلى عامل يعمل فيه النصب،=

﴿تَتَّقُونَ ۝٥٢﴾ وهو الإله الحق ولا إله غيره، والاستفهام للإنكار والتوبيخ.

۝٥٣ - ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ لا يأتي بها غيره[1]، و«ما» شرطية أو موصولة ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ﴾ أصابكم ﴿ٱلضُّرُّ﴾ الفقر والمرض ﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء[2]، ولا تدعون غيره.

۝٥٤ - ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝٥٤﴾.

۝٥٥ - ﴿لِيَكْفُرُوا۟[3] بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ من النعمة ﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾ باجتماعكم[4] على

= وهو إما فعل أو ما فيه معنى الفعل، وهنا العامل معنى الاستقرار الذي تعلق به الجار والمجرور «له»، والتقدير: مستقر له الدين حال كونه واصبًا. وهذا المراد بقوله: معنى الظرف.

والهمزة في ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ للاستفهام التوبيخي، والفاء عاطفة على محذوف، أي: أتعبدون الأصنام فغير الله تتقون، كما يعلم من «إعراب القرآن» للدرويش، والله أعلم. وقيل في الفاء غير ذلك.

(١) قوله: (لا يأتي بها غيره). معنى الحصر مستفاد من «ما» التي تفيد العموم. وهي شرطية أو موصولة، والأولى كونها موصولة؛ لأنه لم يذكر فعل الشرط، فلو كانت شرطية لاحتيج إلى تقدير فعل الشرط، فـ«ما» موصولة مبتدأ، خبره الجار والمجرور: ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾، ودخلت الفاء على الخبر لشبه المبتدأ بالشرط في العموم.

(٢) قوله: (ترفعون أصواتكم...). كما قال ابن جرير: «تصرخون بالدعاء وتستغيثون به...».اهـ.

(٣) ﴿لِيَكْفُرُوا۟﴾. اللام: لام التعليل، و«يكفروا» منصوب بـ«أن» مضمرة جوازًا، أي: يشركون بربهم بسبب كفرهم بنعمة ربهم، ويحتمل كون اللام للعاقبة، فالمعنى: عاقبة إشراكهم بربهم كفرهم بنعمة ربهم، كما أشار للوجهين: القرطبي وغيره.

(٤) قوله: (باجتماعكم). أي: مثلًا. و﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾ فعل أمر للتهديد مبني على حذف النون، والفاء فيه: الفصيحة، وكذا الفاء في ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

عبادة الأصنام، أمر تهديد ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٥٥﴾ عاقبة ذلك.

٥٦- ﴿وَيَجۡعَلُونَ﴾ أي: المشركون ﴿لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أنها تضر ولا تنفع[1]، وهي: الأصنام ﴿نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ﴾ من الحرث والأنعام[2]، بقولهم: «هذا لله وهذا لشركائنا»، ﴿تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ﴾ سؤال توبيخ، وفيه التفات عن الغيبة[3] ﴿عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ٥٦﴾ على الله من أنه أمركم بذلك.

٥٧- ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهًا له عما زعموا[4] ﴿وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ٥٧﴾ـه، أي: البنون[5]، والجملة[6] في محل رفع

---

(١) قوله: (أنها تضر...). قدره ليكون مفعولًا لـ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾، والجار والمجرور ﴿لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ﴾ مفعول ثانٍ لـ﴿يَجۡعَلُونَ﴾، والمفعول الأول: ﴿نَصِيبٗا﴾.

(٢) قوله: (من الحرث...). كما تقدم في سورة الأنعام الآية (١٣٧).

(٣) قوله: (وفيه التفات...). أي في قوله: ﴿لَتُسۡـَٔلُنَّ﴾ التفات إلى الخطاب من الغيبة في قوله ﴿وَيَجۡعَلُونَ﴾، والالتفات من المحسنات البديعية.

(٤) قوله: (تنزيهًا له...). أشار به أن ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ منصوب على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف، كما تقدم مرارًا.

(٥) قوله: (أي: البنون). تفسير لـ﴿مَا يَشۡتَهُونَ﴾.

(٦) قوله: (والجملة) الجملة هي: ﴿وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ٥٧﴾، ومراد المفسر بالجملة هنا لفظ «ما» في هذه الجملة، من إطلاق الكل وإرادة الجزء، فـ«ما» اسم موصول يحتمل إعرابين:

١- مبتدأ مؤخر، و﴿وَلَهُم﴾ خبر مقدم. والجملة في محل نصب حال، والواو حالية.

٢- معطوف على ﴿ٱلۡبَنَٰتِ﴾، فهو في محل نصب ....، والواو عاطفة.

والمعنى كما ذكره المفسر: ويجعلون لهم ما يشتهون ويفضلون، أي: الذكور. =

أو نصب بـ«يجعل»، المعنى: يجعلون له البنات التي يكرهونها، وهو منزه عن الولد، ويجعلون لهم الأبناء الذين يختارونهم فيختصون بالأسنى، كقوله: « فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾» [الصافات: ١٤٩].

﴿٥٨﴾-[(١)] ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ﴾ تولد له ﴿ظَلَّ﴾ صار[(٢)] ﴿وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ متغيرًا تغيُّرَ مُغْتَمٍّ[(٣)] ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ ممتلئ غمًّا، فكيف تنسب البنات إليه تعالى.

﴿٥٩﴾- ﴿ يَتَوَٰرَىٰ ﴾ يختفي ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: قومه ﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾ خوفًا من التعيير، مترددًا[(٤)] فيما يفعل به ﴿أَيُمْسِكُهُۥ﴾ يتركه بلا قتل ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾ هوان

= فقوله: (والمعنى...) بيان للمعنى على كون «ما» معطوفة كما هو واضح، وتوجيه كلام الأئمة وحمله على وجه صحيح أولى من عزوهم إلى الوهم والغلط، كما يفعله الدكتور قباوة في شرحه على الجلالين، وبعض المنتقدين. وما ذكره من الوجهين في الإعراب معلوم من البيضاوي، والقرطبي، وغيرهما.

(١) هذه الآية مرتبطة بما قبلها، يبين الله تعالى فيها موقفهم من البنات، ثم ينسبون إلى الله تعالى البنات.

(٢) قوله: (صار). أفاد به أن ﴿ظَلَّ﴾ بمعنى: صار. وليس بمعنى اتصف الاسم بالخبر في النهار، ويستعمل بمعنى «صار» من «كان وأخواتها»: كان، وظل، وأصبح، وأمسى، وأضحى، كما بينه النحاة، وقد أشرنا إلى ذلك سابقًا.

(٣) قوله: (متغيرًا...) أشار به إلى أن المراد بالسواد التغير، وهو كناية عن الغم، وليس المراد به لون السواد الذي هو ضد البياض. والعرب تقول لكل من لقي مكروهًا: قد اسودّ وجهه غمًّا وحزنًا. قاله القرطبي، وعزاه إلى الزجاج، ونقل عن الجمهور: المراد سواد اللون.

(٤) قوله: (مترددًا). أخذ هذا المعنى من همزة الاستفهام للتعيين، و﴿أَمْ﴾ المتصلة العاطفة في ﴿أَيُمْسِكُهُۥ أَمْ يَدُسُّهُۥ﴾.

وذل ﴿أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ﴾ بأن يَئِدَه[(١)] ﴿أَلَا سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا يَحۡكُمُونَ ۝٥٩﴾ حكمهم هذا[(٢)]، حيث نسبوا لخالقهم البنات اللاتي هن عندهم بهذا المحل.

۝٦٠- ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: الكفار ﴿مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ أي: الصفة السوآى بمعنى القبيحة، وهي وأدهم البنات[(٣)] مع احتياجهمْ إليهن للنكاح ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ الصفة العليا، وهو أنه: لا إله إلا هو[(٤)] ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ ۝٦٠﴾ في خلقه.

---

(١) قوله: (بأن يئده). مضارع: «وأد»، أي: يدفنه حيًّا. وتذكير الضمير في ﴿أَيُمۡسِكُهُۥ﴾ وما بعده: باعتبار لفظ ﴿مَا﴾. روى ابن جرير عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: «يقول: يجعلون لله البنات ترضونهن لي ولا ترضونهن لأنفسكم، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا ولد للرجل منهم جارية أمسكها على هون، أو دسها في التراب وهي حية».اهـ.

وهذا حكم الجاهلية، أما الإسلام فقد حث على تربيتها ووعد لمن رباها تربية حسنة بالأجر العظيم، وعلّمنا أنها تكون سترًا وحجابًا من النار، وأعطى لها حقوقًا كثيرة تناسب طبيعتها، وأكرمها أيّ إكرام.

(٢) قوله: (حكمهم هذا). قدره ليكون مخصوصًا بالذم.

(٣) قوله: (وهي وأدهم...). هذا مثالٌ للمثل السيء، وعن ابن عباس: «﴿مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾: النار». نقله القرطبي. وقيل: صفة السوء من الجهل والكفر، وقيل: وصفهم الله بالصاحبة والولد.

(٤) قوله: (وهو أنه: لا إله إلا الله). هذا بيان لـ﴿ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾، أي: الصفة العليا، قاله قتادة، وروي عن ابن عباس. وقيل: الصفة العليا بأنه خالق رازق قادر مُجازٍ. قاله القرطبي.

تنبيه: نجد في كلام المتأخرين الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ على إجراء القياس الأولى في حقه تعالى، بأن يقال: كل صفة كمالٍ في الخلق من كل وجه؛ فالخالق أولى بها، ولا نجد لهذا الاستدلال أصلًا في كلام أئمة التفسير، ثم باب صفات الله تعالى التوقيف، ولا يصح إجراء أي قياس فيه تعالى، ليس كمثله شيء.

(٦١)- ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم ﴾ بالمعاصي ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ أي: الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ نسمة[١] تدب عليها ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١)﴾[٢] عليه.

(٦٢)- ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ لأنفسهم من البنات[٣] والشريك في الرياسة وإهانة الرسل ﴿وَتَصِفُ﴾ تقول ﴿أَلْسِنَتُهُمُ﴾ مع ذلك ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ وهو[٤]: ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ عند الله، أي: الجنة[٥]؛ لقوله: «وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ» [فصلت: ٥٠]. قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقًّا[٦] ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ

---

(١) قوله: (نسمة). أفاد أن المراد بالدابة المعنى اللغوي. لا العرفي الذي هو: ذوات الأربع، كما تقدم في تفسير الآية (٤٩).

(٢) قوله: ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾. معطوف على الجملة الشرطية السابقة، لا على الجواب، كما تقدم في الأعراف (٣٤).

(٣) قوله: (من البنات...). فسر المفسر ﴿مَا يَكْرَهُونَ﴾ بثلاثة أمثلة:

الأول: البنات، وبه فسر بعض المفسرين؛ كابن جرير، والقرطبي.

والثاني: الشركة في الرياسة، فكانوا يأنفون أن يكون عند أحدهم شريك في ماله، كما قاله ابن كثير.

والثالث: إهانة الرسل، فرسول أي واحد كان يحترم، ولو كان رسول العدوّ، وكان التعرض للرسل عيبًا عندهم، ومع ذلك قد تعرضوا لرسول الله بالسوء والتكذيب.

(٤) قوله: (وهو). بهذا التقدير تكون جملة ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ في محل رفع خبرًا، ويصح كونها بدلًا من ﴿ٱلْكَذِبَ﴾.

(٥) قوله: (عند الله، أي: الجنة). وبنحو ذلك فسر ابن كثير، فقال: «أن لهم الحسنى في الدنيا، وإن كان ثم معاد ففيه أيضًا لهم الحسنى». واستدل بالآية التي أوردها المفسر، وروى ابن جرير عن قتادة، ومجاهد: «المراد بالحسنى: البنون».

(٦) قوله: (حقًّا). تقدم تفسير ﴿لَا جَرَمَ﴾ في سورة هود (٢٢).

﴿وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ٦٢﴾ متروكون فيها[١]، أو مقدمون إليها[٢]، وفي قراءة بكسر الراء[٣]، أي: متجاوزون الحد.

٦٣- ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ رسلًا ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ السيئة فرأوها حسنة، فكذبوا الرسل ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ﴾ متولي أمورهم ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ أي: في الدنيا[٤] ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦٣﴾ مؤلم في الآخرة، وقيل: المراد بـ«ٱلۡيَوۡمَ»: يوم القيامة[٥] على حكاية الحال الآتية، أي: لا ولي لهم غيره، وهو عاجز عن نصر نفسه، فكيف ينصرهم؟

٦٤- ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ للناس ﴿ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ من أمر الدين ﴿وَهُدٗى﴾ عطف على «لِتُبَيِّنَ»[٦]، ﴿وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤﴾ به.

---

(١) قوله: (متروكون...) كذا فسره ابن جرير، ونقله عن ابن جبير، والضحاك، وبنحوه عن مجاهد.

(٢) قوله: (أو مقدمون...). تفسير آخر لـ﴿مُّفۡرَطُونَ﴾. نقله ابن جرير عن قتادة، واختاره.

(٣) قوله: (وفي قراءة). قرأ نافع: ﴿مُفۡرِطُونَ﴾: اسم فاعل من الإفراط، أي: تجاوز الحد. وقرأ أبو جعفر: ﴿مُفَرِّطُونَ﴾: اسم فاعل من التفريط، وهو التقصير. وقرأ الباقون بفتح الراء: ﴿مُّفۡرَطُونَ﴾. وتقدم تفسيره.

(٤) قوله: (أي: في الدنيا). وبه فسر ابن جرير.

(٥) وقوله: (﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ يوم القيامة). حكاه القرطبي، وإليه يشير ابن كثير.

(٦) قوله: (عطف على ﴿لِتُبَيِّنَ﴾). ظاهر كلامه أن «هدًى» منصوب بفتحة مقدرة، عطفًا على مجموع الجار والمجرور، أي: إلا تبينًا وهدًى. ويمكن عطفه على محل المصدر المؤول المجرور، أي: إلا للتبيين والهدى. والله أعلم.

﴿٦٥﴾- ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ يبسها[1] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَةً﴾ دالة على البعث ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ سماع تدبر.

﴿٦٦﴾- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ اعتبارًا[2] ﴿نُّسْقِيكُم﴾ بيان للعبرة ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ أي: الأنعام[3] ﴿مِنۢ﴾ للابتداء متعلقة بـ«نُّسْقِيكُم»، ﴿بَيْنِ فَرْثٍ﴾ ثفل

---

(١) قوله: (بالنبات). و(يبسها) فيه إشارة إلى أن الإحياء والإماتة هنا استعارة عن الإنبات واليبس، والله أعلم، وهذه الآية لها علاقة بما قبلها من حيث إن القرآن المنزل حياة للقلوب الميتة بالكفر والضلال، كذلك الماء المنزل حياة للأرض الميتة. أفاد ذلك ابن كثير.

(٢) قوله: (اعتبارًا). كما قال القرطبي: «نبه سبحانه على عظيم قدرته بخروج اللبن خالصًا بين الفرث والدم».

(٣) قوله: (أي: الأنعام) تفسير للهاء، وذكّر الضمير اعتبارًا للفظ (الأنعام). فهو اسمع جمع ولذا عده سيبويه في «المفردات». وأنث ضميره في سورة المؤمنون مراعاة لمعناه، أي: جماعة الأنعام، وقيل: إن الأنعام جمع نعم، فيكون تذكير الضمير باعتبار مضاف، أي: مما في بطون بعضها، أي: الإناث منها. أفاد كله البيضاوي. و«من» في ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ للتبعيض، و﴿مِنۢ﴾ الثانية للابتداء. وكلاهما متعلق بـ﴿نُّسْقِيكُم﴾، ويصح تعلق حرفي الجرّ بلفظ واحدٍ بشيء واحد إذا اختلف معناهما، أما إذا اتحد معناهما؛ فلا يصح إلا إذا كان الثاني معطوفًا أو بدلًا، كما تقول: مررت بزيد وبعمرو، أو مررت بزيد بأخيك، ولا يقال: مررت بزيد بعمروٍ، ومعنى الآية على ما قال المفسر: نسقيكم بعضَ ما في بطونه صادرًا ذلك السقي من بين فرث ودم، كما يقال: سقيت من الحوض، أي: السقي صادر من الحوض، فيكون الجار والمجرور ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ﴾ متعلقًا بـ﴿نُّسْقِيكُم﴾. كما قاله المفسر، وبينه البيضاوي.

ويصح كون الجار والمجرور ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ...﴾ حالًا من ﴿لَّبَنًا﴾، فالمعنى: نسقيكم من بعض ما في بطنه لبنًا خالصًا حال كونه صادرًا من بين فرث ودم، كما ذكره الصاوي.

الكرش(١) ﴿وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ لا يشوبه(٢) شيء من الفرث والدم من طعم أو ريح أو لون، وهو بينهما ﴿سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ سهل المرور في حلقهم، لا يغص به(٣).

﴿٦٧﴾- ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ ثمر(٤) ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ خمرًا تسكر، سُميت بالمصدر(٥)، وهذا قبل تحريمها(٦) ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتمر والزبيب والخل والدبس ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَةً﴾ دالة على قدرته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ يتدبرون.

﴿٦٨﴾- ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ وحي إلهام(٧) ﴿أَنِ﴾ مفسّرة أو مصدرية(٨)

---

(١) قوله: (ثفل الكرش). بضم الثاء: الزبل الذي ينزل إلى الكرش، وإذا خرج يسمى: سرجينًا. قال البيضاوي والقرطبي ما حاصله: يتكون مما في الكرش الدم، ثم يخلص اللبن من الدم... فأعلم الله تعالى أن هذا اللبن يخرج من بين ذلك وبين الدم...اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله: (لا يشوبه) أي: لا يخلطه.

(٣) قوله: (لا يغص به). أي: لا يمسك في الحلق. قال ابن جرير: «قيل: لم يغص أحد باللبن قطّ».اهـ.

(٤) قوله: (ثمر) قدره ليكون مبتدأ مؤخرًا، والجار والمجرور ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ﴾ خبرًا مقدمًا. وجملة ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ في محل رفع نعت للمبتدأ المقدر. وهذا أحد الأوجه في الإعراب.

(٥) قوله: (سُميت بالمصدر). أي: فالسَكَر بفتحتين: مصدر سكِرَ يسكر من باب تعب. وتسمية الخمر بذلك من باب المجاز المرسل، وبنحوه قال أئمة التفسير.

(٦) قوله: (وهذا قبل تحريمها). أي: لأن الآية مكية، وروى ابن جرير نسخ الآية عن مجاهد، وقتادة، وأبي رزين وغيرهم.

(٧) قوله: (وحي إلهام). أي: لا وحي إرسال. قال مجاهد: «ألهمها إلهامًا». وقال القرطبي: «لا خلاف بين المتأولين أن الوحي هنا بمعنى الإلهام».اهـ.

(٨) قوله: (مفسّرة» أي: لسبق فعل فيه معنى القول دون حروفه وهو: ﴿وَأَوْحَىٰ﴾.

﴿ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا﴾ تأوين إليها ﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾ بيوتًا ﴿وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ٦٨﴾ أي: الناس يبنون لك[١] من الأماكن. وإلا لم تأو إليها[٢].

٦٩- ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي﴾ ادخلي ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾ طرقه في طلب المرعى ﴿ذُلُلٗاۚ﴾ جمع ذلول، حال من السبل[٣]، أي: مسخّرة لك[٤]، فلا تعسر عليك، وإن توعّرت، ولا تضلي عن العود منها وإن بعدت، وقيل[٥]: من الضمير في «فَٱسۡلُكِي»، أي: منقادة لما يراد منك ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ﴾ وهو: العسل ﴿مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ[٦]﴾ من الأوجاع. قيل:

= وقوله: (أو مصدرية) على هذا يقدر حرف جر قبلها: أي: بأن اتخذي، أي: باتخاذ.

(١) قوله: (يبنون لك) فيه إشارة إلى معنى ﴿يَعۡرِشُونَ﴾. قال القرطبي: «عَرش بمعنى: هيّأ، وأكثر ما يستعمل فيما يكون من إتقان الأغصان والخشب وترتيب ظلالها».اهـ. وقال: «وجعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة الأنواع: إما في الجبال وكواها، وإما في متجوّف الأشجار، وإما فيما يعرش ابن آدم...».اهـ.

(٢) قوله: (وإلا لم تأو...). أي: وإن لم تلهم الله تعالى للنحل ذلك لم تأو إليها، فيضيع عسلها. قال الصاوي: «ومن عجائب قدرته تعالى أن ألهمها اتخاذ بيوت على شكل مسدس، من أضلاع متساوية بلا تفاوت، ولا فرجة ولا خلل، وأن تجعل عليها ملكة مطاعة، وأن تجعل على باب كل خلية بوّابًا، وأن تخرج من بيوتها فتدور، وترعى وترجع ولا تضل عنها».اهـ. ملخصًا.

(٣) قوله: (حال من السبل). اختاره ابن جرير، وروى معناه عن مجاهد.

(٤) قوله: (أي: مسخّرة...) بيان لمعنى ﴿ذُلُلٗاۚ﴾ على أنه حال من السبل.

(٥) قوله: (وقيل...). وجه آخر في إعراب ﴿ذُلُلٗاۚ﴾، أي: إنه حال من الياء في ﴿فَٱسۡلُكِي﴾، الراجع إلى النحل، أي: حال كونك مذللة منقادة. رواه ابن جرير عن قتادة، واختاره القرطبي.

(٦) ﴿فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ﴾. أي: في الشراب الذي هو العسل، كما قاله ابن عباس، وعليه جماهير المفسرين، وروى ابن جرير عن مجاهد: ﴿فِيهِ﴾، أي: في القرآن.

لبعضها[١]، كما دل عليه تنكير شفاء، أو لكلها[٢] بضميمته إلى غيره. أقول[٣]: وبدونها بنيته، وقد أمر به ﷺ من استطلق عليه بطنه. رواه الشيخان. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ في صنعه تعالى.

﴿٧٠﴾- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ ولم تكونوا شيئًا ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أي: أخسه[٤] من الهرم والخرف ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾، قال عكرمة[٥]: «من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة». ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾

---

(١) قوله: (قيل: لبعضها) أي: العسل شفاء لبعض الأمراض، كما نقل ابن كثير عن بعض العلماء: لو قال: فيه الشفاء للناس لكان دواءً لكل داء، ولكن قال: فيه شفاء للناس...اهـ.

(٢) قوله: (أو لكلها). أي: العسل دواء لكل داء، نقله القرطبي، وحكى عن ابن عمر أنه لا يشكو قرحة ولا شيئًا إلا جعل عليه عسلًا.اهـ. فقد يكون العسل وحده شفاءً، وقد يكون مع ضمّ غيره إليه، كالزيتون والماء وغيرهما.

(٣) وقوله: (أقول). ذهب المفسر إلى أن العسل بنفسه شفاء إذا نوى بذلك الشفاء، كما نقله القرطبي عن بعض السلف، واستدل على ذلك بحديث «الصحيحين» من أمره ﷺ لمن استطلق عليه بطنه، أي: أصابه الإسهال. وفيه قال رسول الله ﷺ لمن اشتكى أخاه بالإسهال، ولم يبرأ بشرب العسل: «**صدق الله، وكذب بطن أخيك، اذهب فاسقه عسلًا، فذهب، فسقاه عسلًا؛ فبرئ**».اهـ. [«فتح الباري» (١٠/ ١٧٨)].

(٤) قوله: (أي: أخسه) روى ابن جرير عن علي، قال: «خمس وسبعون».اهـ. وقيل: خمس وتسعون. ذكره البيضاوي.

(٥) قوله: (قال عكرمة: ...). أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأورده السيوطي في «الدر المنثور». روى البخاري عند تفسير هذه الآية عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان يدعو: «**أعوذ بك من البخل والكسل والهرم وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات**».اهـ. [«فتح الباري» (٨/ ٢٣٩)].

بتدبير خلقه ﴿قَدِيرٌ ۝٧٠﴾ على ما يريده.

٧١- ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾ فمنكم غني وفقير ومالك ومملوك ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟﴾ أي: الموالي[1] ﴿بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾ أي: بجاعلي ما رزقناهم من الأموال وغيرها شركة بينهم وبين مماليكهم ﴿فَهُمْ﴾ أي: المماليك والموالي ﴿فِيهِ سَوَآءٌ﴾ شركاء. والمعنى[2]: ليس لهم شركاء من مماليكهم في أموالهم، فكيف يجعلون بعض مماليك الله شركاء له؟

---

(١) قوله: (أي: الموالي). جمع مولًى، والمراد به المالك.

(٢) قوله: (والمعنى:...) أفاد به أن هذه الآية مثل ضربه الله، كما قال قتادة: «وهذا مثل ضربه الله، فهل منكم من أحد شارك مملوكه في زوجته وفي فراشه، فتعدلون بالله خلقه وعباده؟ فإن لم ترض لنفسك هذا، فالله أحق أن ينزه منه من نفسك ولا تعدل بالله أحدًا من عباده». وهذا المعنى روي عن ابن عباس وغيره، قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: «يقول: لم يكونوا يشركون عبيدهم في أموالهم ونسائهم، فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني؟».اهـ.

ويعلم من هذا: أن ما ينزهُ الإنسان عنه في نفسه وما يعتبر نقصانًا وعيبًا في حقه ينزه الله تعالى منه، فهذا باب التنزيه، ولا يدل على إثبات صفة في حقه تعالى بالقياس على خلقه، كأن يقال: ما كان كمالًا في الخلق فالخالق أولى به، أي: بالاتصاف به؛ لأن باب الصفات توقيفي. والله أعلم.

ودلت الآية على أن المفاضلة بين الناس في الرزق أمر إلهي، مقدر، ولن يستطاع أن يغير ذلك الحكم الإلهي، ولم يحاول لذلك أحد إلا وقد فشل، ورأى الآثار السلبية العامة، كما وقع من حزب الشيوعية.

تنبيه: إعراب ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ﴾ كما تقدم نظيره في الآية (٥٢)، وكذلك إعراب ما سيأتي في الآية التالية.

﴿أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ۝٧١﴾ يكفرون، حيث يجعلون له شركاء.

۝٧٢- ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ فخلق حواء[١] من ضلع آدم، وسائر الناس من نطف الرجال والنساء ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ﴾ أولاد الأولاد[٢] ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ من أنواع الثمار والحبوب والحيوان ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ﴾ الصنم ﴿يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ۝٧٢﴾ بإشراكهم.

۝٧٣- ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بالنبات ﴿شَيۡـٔٗا﴾ بدل من «رِزۡقٗا»[٣]. ﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝٧٣﴾ يقدرون على شيء، وهو الأصنام.

۝٧٤- ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾ فلا تجعلوا لله أشباهًا تشركونهم به[٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ﴾ أن لا مثل له ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧٤﴾ ذلك.

۝٧٥- ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه ﴿عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا﴾ صفة تميزه من

---

(١) قوله: (فخلق حواء...). كما تقدم في سورة النساء الآية (١).

(٢) قوله: (أولاد الأولاد). تفسير الحفدة، وهو جمع: حافد، روى ابن جرير عن ابن عباس: «حفدة: هم الولد وولد الولد». وعن عكرمة، والحسن، وطاووس: «الخدم»، وكلاهما من معنى الحفدة كما يعلم من القاموس وغيره، وقد فسر بهما الآية، وفسر بغير ذلك أيضًا.

(٣) قوله: (بدل من ﴿رِزۡقٗا﴾). أي: فيكون المراد بالرزق: المرزوق. ويجوز أن يراد بالرزق المصدر فيكون ﴿شَيۡـٔٗا﴾ مفعولًا به لـ﴿رِزۡقٗا﴾. أي: لا يملك أن يرزقوا شيئًا.

(٤) قوله: (فلا تجعلوا...). كما قال مجاهد: «الأمثال: الأشباه». وقال ابن عباس: «لا تجعلوا معي إلهًا غيري، فإنه لا إله غيري».اهـ. رواهما ابن جرير.

الخلاصة: الآية تمنع من تشبيهه تعالى بغيره، فلا منافاة بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾، وقوله تعالى: ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا...﴾.

الحرّ[١]، فإنه عبد لله ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ لعدم ملكه[٢] ﴿وَمَن﴾ نكرة موصوفة، أي: حرًّا ﴿رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ أي: يتصرف فيه كيف يشاء، والأول مثل الأصنام[٣]، والثاني مثله تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ أي: العبيد العجزة والحر المتصرف؟ لا ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٧٥﴾ ما يصيرون إليه من العذاب، فيشركون.

٧٦- ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه ﴿رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ وُلِدَ أخرسَ ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ لأنه لا يَفْهَم ولا يُفْهِم[٤] ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾ ثقيل ﴿عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ وليّ أمره ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ يصرفه ﴿لَا يَأْتِ﴾ منه ﴿بِخَيْرٍ﴾ بِنُجْحٍ، وهذا مثل الكافر[٥] ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ﴾ أي: الأبكم المذكور ﴿وَمَن يَأْمُرُ

---

(١) قوله: (صفة تميزه...). يعني: أن ﴿مَّمْلُوكًا﴾ صفة العبد، وصف به؛ لبيان أن المراد بالعبد: المملوك، وإلا فكل إنسان عبد لله تعالى. فقوله: (فإنه)، أي: الحر.

(٢) قوله: (لعدم ملكه). أشار به إلى أنه عام مخصوص، والمراد: على شيء من التصرفات، بدليل ذكر مقابله: وهو الحر الذي ينفق سرًّا وجهرًا. واستدل بهذه الآية على أن العبد لا يملك شيئًا وإن ملكه سيده. كما هو مذهب الشافعية.

(٣) قوله: (والأول مثل الأصنام...). ما ذكره مروي عن مجاهد، وقال ابن عباس، وقتادة: «العبد المملوك: مثل للكافر، ومن رزقناه: مثل للمؤمن». واختاره ابن جرير.

(٤) قوله: (لا يَفْهَم....). أي: لا يستفيد ولا يعلم ولا يفيد غيره. والكّلّ: في الأصل مصدر: كلَّ، يكِلّ، أو يكَلُّ، يطلق بمعنى اسم الفاعل، وهو من باب: ضرب أو تعِب. كما يعلم من كتب اللغة.

(٥) قوله: (وهذا مثل الكافر). يعني: أن الأبكم مثل الكافر، ومن يأمر بالعدل مثل المؤمن، روي ذلك عن ابن عباس.

﴿بِٱلۡعَدۡلِ﴾ أي: ومن هو ناطق نافع للناس حيث يأمر به[١] ويحث عليه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ﴾ طريق ﴿مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦﴾ وهو الثاني المؤمن؟ لا[٢]. وقيل: هذا مثل لله[٣]، والأبكم للأصنام، والذي قبله مثل للكافر والمؤمن.

٧٧- ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: علم ما غاب فيهما[٤] ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ لأنه بلفظ: كن فيكون[٥] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٧٧﴾.

---

(١) قوله: (يأمر به...). أي: بالعدل.

(٢) وقوله: (لا). قدره ليكون جوابًا للاستفهام: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي﴾، وأفاد به أن الاستفهام بمعنى: النفي.

(٣) قوله: (وقيل: هذا...) هذا القول مروي عن مجاهد، كما قاله ابن كثير. فعلى قوله: المثلان: لله تعالى وللأصنام. وعلى قول ابن عباس: هما للمؤمن والكافر. وكل ذلك محتمل، والله أعلم.

(٤) قوله: (أي: علم ما غاب...). أشار به إلى أن ﴿غَيۡبُ﴾ مصدر بمعنى اسم الفاعل، وإلى تقدير مضاف، أي: علم، واللمح: النظر بسرعة، وهو مصدر: لَمَحَ، يلمح، لمحًا، ولمحانًا. كما في القرطبي.

(٥) قوله: (لأنه بلفظ: كن...). كما رواه ابن جرير، وقتادة، قال: «هو أن يقول: كن؛ فهو كلمح البصر أو أقرب منه». اهـ. موجزًا. ونقل القرطبي عن الزجاج قريبًا منه، قال: «لم يرد أن الساعة تأتي في لمح البصر، وإنما وصف سرعة القدرة على الإتيان بها، أي يقول للشيء: كن، فيكون». وقول «كن» كناية عن تعلق الإرادة، كما تقدم في سورة البقرة الآية (١١٧).

و﴿أَوۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ ليس للشك، بل للتخيير، أي: للتمثيل بأيهما شاء الممثل. أفاده القرطبي.

﴿٧٨﴾- ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ الجملة حال[1] ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ بمعنى الأسماع ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ القلوب ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ ـه على ذلك، فتؤمنون.

﴿٧٩﴾- ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ﴾ مذللات للطيران ﴿فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: الهواء بين السماء والأرض[2] و﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عند قبض أجنحتهن أو بسطها أن يقعن[3] ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بقدرته ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ هي[4]: خلقها بحيث يمكنها الطيران، وخلق الجو يمكن الطيران فيه وإمساكها.

﴿٨٠﴾- ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ موضعًا[5] تسكنون فيه ﴿وَجَعَلَ

(١) قوله: (الجملة حال). أي: جملة ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ في محل نصب حال من كاف الخطاب في ﴿أَخْرَجَكُم﴾.

﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ أي: عن المنافع، والمضار، كما هو ظاهر كلام ابن جرير، وابن كثير، وغيرهما.

وقيل: لا تعلمون شيئًا مما قضى الله من السعادة والشقاوة، وقيل: غير ذلك، والأول أشهر وأرجح؛ لأن السعادة والشقاوة غير معلومتين حتى بعد خروج الإنسان إلى الدنيا. اللهم اجعلنا من السعداء.

(٢) قوله: (أي: الهواء...). كذلك فسر ابن جرير، وقال القرطبي: «الجو: ما بين السماء والأرض»، وأضاف الجو إلى السماء؛ لارتفاعه.

(٣) قوله: (أن يقعن). أي: أن يسقطن إلى الأرض.

(٤) قوله: (هي): الآيات.

(٥) قوله: (موضعًا). تفسير للمراد بالسكن، وهو مصدر يوصف به الواحد وغيره، قاله =

لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ كالخيام والقباب ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾[١] للحمل ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ سفركم ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ أي: الغنم[٢] ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ أي: الإبل ﴿وَأَشْعَارِهَآ﴾ أي: المعز ﴿أَثَٰثًا﴾ متاعًا لبيوتكم كبُسط وأكسية[٣] ﴿وَمَتَٰعًا﴾ تتمتعون به ﴿إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾ يبلى فيه[٤].

﴿٨١﴾- ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ من البيوت والشجر والغمام ﴿ظِلَٰلًا﴾ جمع ظل، تقيكم حر الشمس ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ جمع كِنّ[٥]،

= القرطبي. وقال: «ما أظلك فهو سقف وسماء، وما أقلك فهو أرض، وما سترك من الجهات الأربع فهو جدار، فإذا انتظمت واتصلت فهو بيت، وذكر الله تعالى أولًا البيت الذي يقصد للإقامة الطويلة، ثم ذكر بيوت النقلة والرحلة بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾».اهـ. باختصار.

(١) قوله تعالى: ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾، أي: يخف عليكم حملها. كما في الصاوي.

(٢) قوله: (أي: الغنم). الصوف للغنم، والوبر للإبل، والشعر للمعز. كما سبق أن ذكرنا.

(٣) قوله: (كبُسط...) بضم الباء، جمع بساط، وأكسية: جمع كساء.

(٤) قوله: (يبلى فيه). أو إلى حين الموت. ذكرهما القرطبي.

تنبيه: قال الأصوليون: هذه الآية مخصصة لعموم قوله ﷺ: «**ما أبين من حي فهو ميت**»، رواه ابن ماجه، والترمذي، وغيرهما. فـ«ما» في الحديث عام يشمل الشعر كغيره، وخصته الآية، فيكون من أمثلة تخصيص السنة بالكتاب.

(٥) قوله: (جمع كِنّ). بكسر الكاف، وهوا لحافظ من المطر والريح وغير ذلك. وهي هنا: الغيران في الجبال، جعلها الله عدّة للخلق يأوون إليها، ويتحصنون بها، أو يعتزلون عن الخلق بها، كما تعبد الرسول ﷺ بغار حراء، وكما مكث في أول هجرته في غار ثور مع الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.اهـ. ملخصًا من القرطبي.

وهو ما يستكن فيه كالغار والسرب[١] ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ﴾ قمصًا[٢] ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ أي: والبرد[٣] ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ حربكم، أي: الطعن والضرب فيها، كالدروع والجواشن[٤] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما خلق هذه الأشياء ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ﴾ في الدنيا ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بخلق ما تحتاجون إليه ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ توحدونه.

﴿٨٢﴾- ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا عن الإسلام[٥] ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾ الإبلاغ البين، وهذا قبل الأمر بالقتال[٦].

﴿٨٣﴾- ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي: يقرون بأنها من عنده[٧] ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بإشراكهم ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

---

(١) قوله: (السرب). بفتح السين والراء: الشق الطويل الذي لا نفاذ له.

(٢) قوله: (قمصًا) جمع قميص، تفسير لـ﴿سَرَٰبِيلَ﴾. وهو جمع واحده: سِربال.

(٣) قوله: (أي: والبرد) أشار به إلى أن في الكلام اكتفاءً، وهو ذكر أحد الأمرين، ولعله خصّ الحرّ بالذكر؛ لأن بلاد العرب حارة، كما أشار له الصاوي والقرطبي.

(٤) قوله: (كالدروع) الدروع جمع: درع -بكسر الدال-: قميص من الحديد يلبس وقاية عن السلاح.

قوله: (والجواشن) جمع: جوشن، بمعنى: الدرع.

(٥) قوله: (أعرضوا...). أشار إلى أن ﴿تَوَلَّوْا۟﴾ هنا فعل ماضٍ، ويجوز كونه مضارعًا حذف منه إحدى التاءين، كما ذكره المعربون، فإن كان ماضيًا فهو في محل جزم، وإن كان مضارعًا فهو مجزوم بحذف النون، والفاء فيه استئنافية.

(٦) قوله: (قبل الأمر بالقتال). لعل ذلك لأن الآية مكية نزلت قبل أن يشرع القتال.

(٧) قوله: (يقرون...) بنحوه فسر مجاهد وبه قال ابن كثير، وقال السدي: «نعمة الله يعني محمدًا ﷺ ثم يجحدونه...». واختاره ابن جرير.

(٨٤)- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ هو نبيها[(١)] يشهد لها وعليها، وهو يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ لا يطلب منهم العتبى[(٢)]، أي: الرجوع إلى ما يرضي الله.

(٨٥)- ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ النار ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ يمهلون عنه إذا رأوه.

(٨٦)- ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَآءَهُمْ﴾ من الشياطين وغيرها ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا﴾ نعبدهم ﴿مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾ أي: قالوا لهم[(٣)]: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾ في قولكم: إنكم عبدتمونا، كما في آية أخرى: «مَا كَانُوٓا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾» [القصص: ٦٣]، «سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ» [مريم: ٨٢].

---

(١) قوله: (وهو نبيها) كذا فسره أئمة التفسير، وقد سبق في سورة النساء، الآية (٤١).

(٢) قوله: (لا يطلب...) أفاد أن الاستفعال بمعنى الطلب.

قال القرطبي: «أصل الكلمة: من العتب، وهي: الموجدة، يقال: عتب عليه إذا وجد عليه، وعاتبه: إذا فاوضه ما عتب عليه، وأعتب: إذا رجع إلى مسرّتك، والاسم: العُتبى، وهو رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب».اهـ. ملخصًا.

(٣) قوله: (أي: قالوا لهم) أي: قال المعبودون للعابدين. قال القرطبي: «أي: نطقت بتكذيب من عبدها بأنها لم تكن آلهة، ولا أمرتهم بعبادتها، فينطق الله الأصنام حتى تظهر عند ذلك فضيحة الكفار».اهـ.

واستدل على ذلك المفسر بآيتين: أولاهما: قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوٓا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ وهي طرف آية من سورة القصص (٦٣)، والثانية: ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ وهي بدء الآية (٨٢) من سورة مريم.

(٨٧) - ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ أي: استسلموا لحكمه[١] ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٧)﴾ من أن آلهتهم تشفع لهم.

(٨٨) - ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ الذي استحقوه بكفرهم. قال ابن مسعود[٢]: «عقارب أنيابها كالنخل الطوال»، ﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (٨٨)﴾ بصدهم الناس عن الإيمان.

(٨٩) - ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ هو نبيهم[٣] ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ أي: قومك[٤] ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿تِبْيَانًا﴾ بيانًا[٥] ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الناس من أمر الشريعة[٦]

---

(١) قوله: (أي: استسلموا) أي: الكفار.

(٢) قوله: (قال ابن مسعود...) أي: في معنى زيادة العذاب. وهذا الأثر رواه ابن جرير عنه بطرقٍ، وفي بعضها: «أفاعي في النار»، وروى عن عبدالله بن عمرو، قال: «إن لجهنم سواحل فيها حيات وعقارب، أعناقها كأعناق البُخت».اهـ. البُخت: الإبل الخراسانية، وهي جمال طول الأعناق، واحدها: بختيّ.

(٣) قوله: (هو نبيهم). كما تقدم في الآية (٤١) من سورة النساء.

(٤) قوله: (أي: قومك). بيان للمشار إليه بـ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾. كما فسر به ابن جرير.

(٥) قوله: (بيانًا). أفاد أن «تبيان» مصدر، وهو بمعنى اسم الفاعل، وهو على وزن «تِفعال»، والمصادر على وزن «تِفعال» بكسر التاء نادرة، حتى قيل: لم يرد إلا لفظان: تبيان وتلقاء. وزاد بعضهم: تنضال، وزاد بعضهم: تمثال، وتضراب، وتنضال. أما بفتح التاء «تَفعال» فكثير، نحو: التكرار، التعداد، التذكار، التنقاد، وغير ذلك. وتقدم التنبيه عليه.

(٦) قوله: (يحتاج إليه...). بمثله فسره ابن جرير ورواه عن مجاهد. فيكون ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ عامًا أريد به الخصوص. وروى ابن جرير عن ابن مسعود، قال: «أنزل في هذا القرآن كل علم وكل شيء فقد بيّن لنا في القرآن».اهـ. وظاهره: أن ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ على عمومه. =

﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ﴾ بالجنة ﴿لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ الموحدين.

﴿٩٠﴾- ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ التوحيد أو الإنصاف(١) ﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ الفرائض، أو أن تعبد الله كأنك تراه(٢)، كما في الحديث(٣) ﴿وَإِيتَآيِٕ﴾ إعطاء ﴿ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة، خصه بالذكر(٤)؛ اهتمامًا به ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾

= وإليه يشير كلام ابن كثير، قال: «فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وكل حلال وكل حرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم».اهـ.

(١) قوله: (التوحيد) ذكر المفسر للعدل تفسيرين: أولهما: التوحيد، روي عن ابن عباس، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله». رواه ابن جرير.

الثاني: الإنصاف، روي عن عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. قاله القرطبي.

وقيل: العدل: الفرائض، والإحسان: النوافل. روي عن ابن عطية.

(٢) قوله: (أداء الفرائض). كذلك ذكر للإحسان تفسيرين: الأول: أداء الفرائض، روى ابن جرير ذلك عن ابن عباس.

الثاني: «أن تعبد الله...»، وقد نقل القرطبي عن العلماء ما يفيد هذا المعنى؛ فعن سفيان بن عيينة: «العدل هنا: استواء السريرة، والإحسان: أن تكون السريرة أفضل من العلانية». وقال القرطبي: «الإحسان مصدر أحسنَ، وله استعمالان: الأول: متعديًا بنفسه، تقول: أحسنت العملَ. والثاني: متعديًا بحرف جر «إلى»، نحو: أحسنت إلى فلان؛ فالأول: إتقان العمل بمراعاة مكملاته وآدابه، كما في حديث جبريل: «**أن تعبد الله كأنك تراه**...». والثاني: إيصال النفع، وفي هذه الآية يراد المعنيان».اهـ. ملخصًا.

(٣) قوله: (كما في الحديث) أشار به إلى الحديث المتفق عليه، الذي ذكر فيه مجيء جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بصورة إنسان، وسؤال النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان.

(٤) قوله: (خصه بالذكر) أي: ذكر إيتاء ذي القربى بخصوصه مع أنه يدخل في الإحسان؛ للاهتمام به.

الزنا[١] ﴿وَٱلۡمُنكَرِ﴾ شرعًا، من الكفر والمعاصي[٢] ﴿وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾ الظلم خصه بالذكر؛ اهتمامًا، كما بدأ بالفحشاء، كذلك ﴿يَعِظُكُمۡ﴾ بالأمر والنهي ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ تتعظون. وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال[٤]، وفي «المستدرك»[٥]: عن ابن مسعود: «وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر».

٩١- ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ من البِيع والأيمان وغيرها[٦] ﴿إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ توثيقها ﴿وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ﴾ بالوفاء حيث حلفتم به، والجملة حال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٩١﴾ تهديد لهم.

---

(١) قوله: (الزنا). روي ذلك عن ابن عباس. وقيل: كل قبيح من قول أو فعل.

(٢) قوله: (من الكفر...) فيكون عامًا بعد خاص، وقد فسر به القرطبي وغيره.

(٣) قوله: (الظلم للناس). كما فسر به ابن جرير وغيره، ويكون ذكره بعد المنكر من باب ذكر الخاص بعد العام؛ للاهتمام به. كما قال المفسر، وكذا قاله القرطبي.

(٤) قوله: (وفيه إدغام). أي: كان أصله «تتذكرون» أدغمت التاء في الذال، وهذا على القراءة بتشديد الذال، وهي قراءة الجمهور. وقرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: بتخفيف الذال: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بحذف إحدى التاءين.

(٥) قوله: (وفي «المستدرك»...) أي: للحاكم. والمستدرك: ما جمع فيه أحاديث صحيحه لم يروها أحد الصحيحين، وقد روى ابن جرير هذا الأثر عن ابن مسعود.

(٦) قوله: (من البِيع). بكسر الباء: جمع بيعة، أي: المعاهدة. والأيمان جمع يمين: الحلف.

قال ابن كثير: «هذا مما يأمر الله به، وهو: الوفاء بالعهود، والمواثيق، والمحافظة على الأيمان المؤكدة». روى ابن جرير عن بريدة، قال: «أنزلت هذه الآية في بيعة النبي ﷺ كان من أسلم بايع على الإسلام». وقيل: في الحلف الذي كانت الجاهلية -أهل مكة- تحالفوه على نصرة المظلوم، تسمى: حلف الفضول. واختار ابن جرير عموم الآية. كما هو ظاهر ابن كثير، والقرطبي، وغيرهما. وكما هو ظاهر كلام المفسر.

(٩٢)- ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ﴾ أفسدت ﴿غَزْلَهَا﴾ ما غزلته[١] ﴿مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ إحكام له وبرْم[٢] ﴿أَنكَٰثًا﴾ حال[٣]، جمع نِكث[٤]، وهو ما ينكث، أي: يُحَلّ إحكامه، وهي امرأة حمقاء من مكة[٥]، كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه، ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ حال من ضمير «تَكُونُوا۟»، أي: لا تكونوا مثلها في اتخاذكم ﴿أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا﴾ هو ما يدخل في الشيء وليس منه أي فسادًا وَخديعة ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بأن تنقضوها[٦] ﴿أَن﴾ أي: لأن[٧] ﴿تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿هِىَ أَرْبَىٰ﴾ أكثر ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ وكانوا يحالفون الحلفاء[٨]، فإذا وجَدُوا أكثر منهم وأعز

---

(١) قوله: (ما غزلته). أشار به إلى أن «غزل» مصدر بمعنى اسم المفعول.

(٢) قوله: (برْم). بالجر وسكون الراء، مصدر: «بَرَم، يَبْرُم»، أي: أحكم. فهو عطف تفسير.

(٣) قوله: (حال). أي: حال من ﴿غَزْلَهَا﴾. والمعنى: حال كونه أنكاثًا، أي: منقوضًا. ويحتمل كونه مفعولًا مطلقًا لـ﴿نَقَضَتْ﴾؛ لأن النقض والنكث واحد.

(٤) قوله: (جمع نِكث). بكسر النون، بمعنى: منكوث.

(٥) قوله: (وهي امرأة...). يعني: أن المراد بالتي نقضت امرأة بعينها كانت بمكة. روى ذلك ابن جرير عن السدي، ونقل القرطبي -بدون عزو- اسمها: ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة. وروى ابن جرير عن قتادة، وابن زيد: «هذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده»، أي: ليس المراد التشبيه بامرأة معينة.

(٦) قوله: (بأن تنقضوها). تصوير لاتخاذ الأيمان دخلًا وفسادًا.

(٧) قوله: (لأن). أفاد به حذف حرف الجر.

(٨) قوله: (وكانوا يحالفون...). بيان لسبب النزول. وما ذكره المفسر مروي عن مجاهد، وعزاه القرطبي إلى المفسرين، قال: «نزلت هذه الآية في العرب الذين كانت القبيلة منهم إذا حالفت أخرى، ثم جاءت قبيلة قوية كثيرة، غدرت بالأولى ونقضت عهدها، ورجعت وتعاهدت مع هذه الكبرى، فقال الله: لا تنقضوا العهود لأجل كثرة الدنيا =

نقضوا حلف أولئك وحالفوهم ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ﴾ يختبركم ﴿ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ أي: بما أمره به من الوفاء بالعهد[١] لينظر المطيع منكم والعاصي، أو بكون أمة أربى لينظر أتفون[٢] أم لا ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾ في الدنيا من أمر العهد وغيره، بأن يعذب الناكث ويثيب الوافي.

﴿٩٣﴾- ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ[٣] لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿وَلَـٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ﴾ يوم القيامة سؤال تبكيت ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ لتجازوا عليه.

﴿٩٤﴾- ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ كرره تأكيدًا[٤] ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ﴾ أي: أقدامكم عن محجة الإسلام ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ استقامتها عليها[٥] ﴿وَتَذُوقُوا۟

= وسعتها مع طائفة أخرى، وفيه نهي عن العود إلى الكفر بسبب كثرة الكفار، وكثرة أموالهم».اهـ. ملخصًا.

(١) قوله: (أي: بما أمر به...). بين به مرجع الضمير ﴿بِهِۦ﴾. وذكر احتمالين.

(٢) وقوله: (أتفون). الهمزة للاستفهام، و(تفون) مضارع «وفَى» مسند إلى واو الجماعة. ووزنه: «تَعُون» حذفت فاء الكلمة ولامها، لعلة تصريفية، كما هو معلوم في علم الصرف.

(٣) ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾. حذف المفعول لـ﴿شَآءَ﴾، للعلم به من جواب ﴿وَلَوْ﴾، وحذف مفعول ﴿شَآءَ﴾ ونحوه، مطرد في هذا الأسلوب، كما تقدم.

قال القرطبي: «والآية تردّ على أهل القدر».اهـ. أي: لدلالته على أن الهداية وضدها مقدّران.

(٤) قوله: (كرره تأكيدًا). قاله القرطبي. وبهذه الآية استدل ابن جرير على تقوية ما نقله عن بريدة: من أن المراد بالعهد في الآية السابقة (٩١): «بيعة النبي ﷺ على الإسلام؛ لأن الصد عن سبيل الله والضلال عن الهدى من صفة أهل الكفر».اهـ.

(٥) قوله: (استقامتها عليها). أي: استقامة الأقدام على محجة الإسلام. و«زلة القدم» =

﴿ٱلسُّوٓءَ﴾ أي: العذاب ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: بصدكم عن الوفاء بالعهد[(١)]، أو بصدكم غيركم عنه؛ لأنه يستن بكم ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾ في الآخرة.

﴿٩٥﴾- ﴿وَلَا تَشْتَرُوا[(٢)] بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا، بأن تنقضوه لأجله[(٣)] ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[(٤)] من الثواب ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما في الدنيا[(٥)] ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾﴾ ذلك فلا تنقضوا[(٦)].

﴿٩٦﴾- ﴿مَا عِندَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿يَنفَدُ﴾ يفنى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ دائم ﴿وَلَيَجْزِيَنَّ﴾

= استعارة من الوقوع في الشر بعد الثبوت على الخير، والعرب تقول لكل مبتلًى بعد عافية، أو ساقط في ورطة: زلت قدمه. أفاده القرطبي.

(١) قوله: (بصدكم) أفاد أن «ما» مصدرية. وتفسير المفسر بذلك يفيد أن المراد بالعهد ما يضم المعاهدة بين الناس، كما يشمل المعاهدة مع النبي ﷺ بالإسلام. وكما يشير لذلك قول القرطبي: «وذوق السوء في الدنيا هو ما يحل بهم من مكروه».اهـ.

(٢) ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾. استعارة عن أخذ الدنيا مقابل نقض العهود.

(٣) قوله: (بأن تنقضوه). الباء للتصوير، أي: صورة اشتراء الثمن بالقليل: بنقض العهد لأجل ذلك الثمن.

(٤) ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾. «ما»: اسم موصول، شبكت مع «إن» في الخط على قاعدة الرسم العثماني. وأما الخط العادي فتكتب «ما» مفصولة عن «إن» إذا كانت موصولة، ومشبوكة إذا كانت كافة.

(٥) وقوله: (مما في الدنيا). أشار به إلى أن ﴿خَيْرٌ﴾ هنا اسم التفضيل، وتقدم ذكر الاستعمالين للخير والشر في سورة البقرة الآية (١٠٣) وغيرها.

(٦) قوله: (فلا تنقضوا) قدره ليكون جواب الشرط.

بالياء والنون[١] ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ﴾ على الوفاء بالعهود[٢] ﴿أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ «أحسن» بمعنى: حسن[٣].

٩٧- ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ قيل: هي حياة الجنة[٤]، وقيل: في الدنيا بالقناعة أو الرزق الحلال ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾.

٩٨- ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أي: أردت قراءته[٥] ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨﴾ أي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

---

(١) قوله: (بالياء والنون): قراءتان: بالنون: قراءة ابن كثير، وعاصم، وأبي جعفر، وابن ذكوان في وجه. وبالياء: قراءة الباقين، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان.

(٢) قوله: (على الوفاء بالعهود). قدره بالنظر لمناسبة المقام، وإلا فالصبر أعم من ذلك.

(٣) قوله: («أحسن» بمعنى: حسن). أي: لأن الجزاء يكون على الأحسن والحسن من الأعمال. وإذا أريد بالحسن: المباحات، وبالأحسن: الطاعات، يكون «أحسن» اسم التفضيل على بابه، وأشار إليه القرطبي.

(٤) قوله: (قيل: هي حياة الجنة...). ذكر المفسر ثلاثة أقوال في المراد بالحياة الطيبة:

الأول: أنها الجنة، قاله الحسن، وقتادة، وابن زيد.

الثاني: القناعة، قاله علي بن أبي طالب، والحسن البصري في رواية.

الثالث: الرزق الحلال، قاله ابن عباس، والضحاك. كل ذلك رواه ابن جرير.

(٥) قوله: (إن أردت...). أشار به إلى أن هذه الآية فيها تأويل، وهو تأويل قريب. والمراد: إذا أردت القراءة، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ ...﴾ [المائدة: ٦]. وهذا الأمر للندب عند عامة أهل العلم، كما نبه على ذلك ابن جرير.

(٩٩)- ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ﴾ تسلط(١) ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩﴾.

(١٠٠)- ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾ بطاعته ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾ أي: بالله(٢) ﴿مُشۡرِكُونَ ١٠٠﴾.

(١٠١)- ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ﴾ بنسخها(٣) وإنزال غيرها لمصلحة العباد ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ﴾ أي: الكفار للنبي ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۢ﴾ كذَّاب تقوله من عندك ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١﴾ حقيقة القرآن وفائدة النسخ.

---

(١) قوله: (تسلط). روى ابن جرير عن سفيان، قال: «ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر».اهـ. ومقتضاه أنه ربما يحملهم على بعض المعاصي التي تكون تحت المغفرة، كما هو الواقع. وقال القرطبي: «هذا عام يدخله التخصيص، فقد يوشوش على الفضلاء أوقاتهم...».اهـ. ملخصًا. وقال ابن عباس: «السلطان على من تولّى الشيطان وعمل بمعصية الله».اهـ. وظاهره أنه ليس له سلطان عليهم بحال لأنه قال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠﴾ [الحجر: ٤٠، صٓ: ٨٣].اهـ. وكما يفيده وقوع النكرة في سياق النفي هٰهنا، أي: ﴿لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ﴾ فهذا من ألفاظ العموم.

(٢) قوله: (أي: بالله). فالضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد على الله تعالى المعلوم من قوله: ﴿رَبِّهِمۡ﴾. قاله مجاهد، والضحاك، وقال الربيع بن أنس: «الضمير راجع للشيطان». والمعنى: يشركون الشيطان في أعمالهم، أو الباء للسببية، والمعنى: يشركون بسبب الشيطان، كما يعلم من ابن جرير، والقرطبي.

(٣) قوله: (بنسخها). الباء للتصوير أو للسببية. أي: صورة تبديل آية مكان آية بالنسخ أو بسبب النسخ. الخلاصة: الآية في نسخ بعض الآيات، وعزاه القرطبي إلى جمهور المفسرين. وجملة ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ جملة معترضة بين الشرط والجواب.

(١٠٢) - ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ جبريل[١] ﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ«نَزَّلَ» ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بإيمانهم به ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢)﴾.

(١٠٣) - ﴿وَلَقَدْ﴾ للتحقيق[٢] ﴿نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ﴾ القرآن ﴿بَشَرٌ﴾ وهو قين نصراني[٣]، كان النبي ﷺ يدخل عليه. قال تعالى: ﴿لِّسَانُ﴾ لغة ﴿ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ﴾ يميلون ﴿إِلَيْهِ﴾ أنه يُعَلِّمه ﴿أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ (١٠٣)﴾ ذو بيان وفصاحة، فكيف يُعَلِّمه أعجمي؟!!

(١٠٤) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤)﴾ مؤلم.

(١٠٥) -[٤] ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن بقولهم:

---

(١) قوله: (جبريل). كما فسر به ابن جرير.

(٢) قوله: (للتحقيق). نبه عليه؛ لأن الغالب إفادة قد التحقيق إذا دخلت على الماضي، والتقليل إذا دخلت على المضارع، وهنا داخلة على المضارع، ولكنها للتحقيق، وتقدم نظير ذلك. واللام دالة على القسم.

(٣) قوله: (وهو قين). القين: الحدّاد. وما ذكره المفسر من سبب النزول ذكره أئمة التفسير، كابن جرير، وابن كثير بطرق مختلفة، مع اختلاف في اسم ذلك النصراني، قيل: اسمه بلعام، وقيل: جبر، وقيل: يعيش.

وحاصل ذلك كما قال ابن كثير وغيره: هو رجل أعجمي، كان بين أظهرهم، وهو غلام لبعض بطون قريش، وكان بياعًا يبيع عند الصفا، أو عند المروة، وكان النبي ﷺ يجلس إليه، ويكلمه بعض الشيء، أو كان النبي ﷺ يهديه ويدعوه إلى الإسلام. قيل: أسلم هو. وكان ذلك أعجمي اللسان لا يعرف العربية أو أنه كان يعرف الشيء اليسير، فقال المشركون: إن ذلك الأعجمي هو الذي يعلّم رسول الله ﷺ، فرد الله عليهم بأن ذلك الرجل أعجمي، فكيف يعلّم هذا الكلام الذي لا يستطيع الإنس والجن أن يعارضوا منه سورة واحدة، وهو عربي فصيح كامل مبين.اهـ. ملخص ما ذكره الأئمة.

(٤) هذه الآية جوابُ وصفِهم النبي ﷺ بالافتراء، أي: إن أولئك هم الكاذبون، وفي هذه =

هذا من قول البشر ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٥﴾ والتأكيد بالتكرار وإن وغيرهما ردّ لقولهم: ﴿إنما أنت مفتر﴾.

١٠٦ - ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ ﴾ على التلفظ بالكفر فتلفظ به ﴿وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ و«مَنۡ» مبتدأ[1] أو شرطية، والخبر أو الجواب: لهم وعيد شديد، دل على هذا: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾ له، أي: فتحه ووسعه، بمعنى: طابت به نفسه ﴿فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾.

١٠٧ - ﴿ذَٰلِكَ﴾ الوعيد لهم ﴿بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ اختاروها[2]

= الآية مؤكدات، كما أشار إليه المفسر منها: تكرار مضمون الجملة، ومنها: إنما المفيدة للحصر، ومنها: ضمير الفصل ﴿هُمُ﴾، وتعريف الخبر: ﴿ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾.

(١) قوله: (و﴿مَنۡ﴾ مبتدأ). يعني: أن ﴿مَنۡ﴾ في ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ﴾ إما اسم موصول مبتدأ، أو اسم شرط، وهو مبتدأ أيضًا. وعلى كونه اسمًا موصولًا مبتدأ يكون خبره محذوفًا، تقديره: جملة (لهم وعيد شديد). وعلى كونه اسم الشرط، فخبره ما بعده: أي: جملة ﴿كَفَرَ بِٱللَّهِ﴾. وجواب الشرط محذوف، وهو الجملة المقدرة المذكورة: وقوله تعالى: ﴿فَعَلَيۡهِمۡ...﴾، الجملة جواب لقوله: ﴿مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾، و﴿صَدۡرٗا﴾ تمييز محوّل عن فاعل ﴿شَرَحَ﴾، أي: شرح صدرُه. وشرح الصدر كناية عن طيب النفس. كما قاله المفسر.

روى ابن جرير عن ابن عباس: «إن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر، تلفظ بكلمة الكفر كرهًا لما عذبه المشركون عذابًا شديدًا، فرجع إلى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك، فأنزل الله عذره».اهـ. ملخصًا. قال القرطبي: «أجمعوا على جواز التلفظ بالكفر عند الإكراه بشرط كون القلب مطمئنًا بالإيمان، كما أجمعوا أن الصبر على القتل أفضل».اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله: (اختاروها). كذا فسره ابن جرير وغيره، أشار به المفسر إلى أن «استحب»، مضمن معنى اختار، ولذا عدّي بـ﴿عَلَى﴾.

﴿عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾.

﴿١٠٨﴾-[(١)] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ عما يراد بهم.

﴿١٠٩﴾- ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقًّا[(٢)] ﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

﴿١١٠﴾- ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ إلى المدينة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾ عذبوا وتلفظوا بالكفر[(٣)]، وفي قراءة[(٤)]: بالبناء للفاعل، أي: كفروا أو

(١) تقدم في سورة البقرة: معنى طبع الله على قلوبهم.

(٢) قوله: (حقًّا). كما تقدم ذلك أيضًا. [سورة هود: ٢٢].

(٣) قوله: (عذبوا وتلفظوا بالكفر). أشار المفسر بهذا إلى سبب نزول هذه الآية، وحاصل ذلك فيما رواه ابن جرير عن مجاهد، قال: «ناس من أهل مكة آمنوا، فكتب إليهم بعض أصحاب النبي ﷺ بالمدينة أن هاجروا، فإنا لا نراكم منا حتى تهاجروا إلينا، فخرجوا يريدون المدينة، فأدركتهم قريش بالطريق، ففتنوهم وكفروا مكرهين، ففيهم نزلت هذه الآية، أي: ثم هاجروا ولحقوا برسول الله ﷺ، كما قاله ابن جرير. فأفادت الآية، أن ما صدر منهم من التلفظ بالكفر والالتحاق بالمشركين مغفور لهم.

وقال القرطبي: «نزلت في عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ». وروى ابن جرير عن الحسن البصري وعكرمة، ونقل القرطبي عن ابن عباس: «أن الآية نزلت في عبدالله بن سعد بن أبي سرح، كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فأزلّه الشيطان فارتد ولحق بالكفار، فأمر به أن يقتل يوم فتح مكة، فاستجار له عثمان بن عفان، فأجاره ﷺ».اهـ. فيكون مستثنى من قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ ...». الآية.

(٤) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ ابن عامر: ﴿فَتَنُواْ﴾ بالبناء للفاعل. والباقون: بالبناء للمفعول: ﴿فُتِنُواْ﴾. وقراءة ابن عامر توافق ما قيل: إنها نزلت في ابن سرح.

فتنوا الناس عن الإيمان ﴿ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ﴾ على الطاعة ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ أي: الفتنة ﴿لَغَفُورٞ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ ١١٠﴾ بهم، وخبر «إِنَّ» الأولى[1] دلّ عليه خبر الثانية.

١١١- اذكر ﴿۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ﴾ تحاج[2] ﴿عَن نَّفۡسِهَا﴾ لا يهمها غيرها، وهو يوم القيامة ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ﴾ جزاء[3] ﴿مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١١١﴾ شيئًا.

١١٢- ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا﴾ ويبدل منه: ﴿قَرۡيَةٗ﴾ هي مكة[4]، والمراد: أهلها[5] ﴿كَانَتۡ ءَامِنَةٗ﴾ من الغارات، لا تهاجُ[6] ﴿مُّطۡمَئِنَّةٗ﴾ لا يُحتاج إلى الانتقال عنها لضيق أو خوف ﴿يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا﴾ واسعًا ﴿مِّن

(١) قوله: (خبر ﴿إِنَّ﴾ الأولى). أي: في قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾.

(٢) قوله: (تحاج). قال ابن كثير: «أي: ليس أحد يحاج عنها، لا أب، ولا ابن، ولا أخ، ولا زوجة». ونقل القرطبي عن ابن عباس، قال: «ما تزال الخصومة بالناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد...». إلى آخر ما قاله.

(٣) قوله: (جزاء). إشارة إلى تقدير مضاف.

(٤) قوله: (هي مكة). قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد فيما رواه عنهم ابن جرير، وبذلك فسر ابن كثير وغيره، وروى ابن جرير عن أم المؤمنين حفصة: «أنها المدينة»، آمنت برسول الله ﷺ، ثم كفرت بأنعم الله بمقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما حدث بالمدينة بعد وفاة النبي ﷺ من الفتن. وعلى هذا تكون الآية إخبارًا بما سيقع، كما أنها تكون إخبارًا بما سيقع إذا كانت الآية مكية -كما عليه الجمهور-. وفسّرت القرية بمكة؛ لأن قحط أهل مكة سبع سنين كان بعد الهجرة، وقيل: هذه الآية مدنية، ذكر ذلك الصاوي.

(٥) قوله: (والمراد: أهلها). فيكون من باب المجاز المرسل.

(٦) قوله: (لا تهاجُ) أي: لا تطرد ولا تحرّك.

كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ بتكذيب النبي ﷺ ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾[(١)] فقحطوا سبع سنين[(٢)] ﴿وَٱلْخَوْفِ﴾ بسرايا النبي ﷺ ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

﴿١١٣﴾- ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ الجوع والخوف ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

﴿١١٤﴾- ﴿فَكُلُواْ﴾ أيها المؤمنون ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾.

﴿١١٥﴾-[(٣)] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

---

(١) قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾. قال البلاغيون: فيه ثلاث استعارات:

الأولى: «اللباس»: استعارة تصريحية عما غشيهم من آثار الجهد والجوع.

الثانية: في ﴿فَأَذَاقَهَا﴾، شبه اللباس بالطعام المر، واستعير لفظ المشبه، لكنه لم يذكر، ورمز إليه بذكر شيء من لوازمه، وهو: الإذاقة، فاللفظ المستعار المطوي الذكر: استعارة مكنية، وإثبات الإذاقة للمشبه -اللباس- استعارة تخييلية. ففي هذه الجملة اجتمعت أنواع الاستعارات الثلاث: التصريحية والمكنية والتخييلية.

ومعلوم أن الاستعارة المكنية والتخييلية متلازمتان. والله أعلم.

(٢) قوله: (فقحطوا...). وذلك لأن النبي ﷺ دعا عليهم بسبع كسبع يوسف، فابتلوا بالقحط حتى أكلوا العظام والجيف، وجاء أبو سفيان إلى المدينة يستنجد، فرقّ لهم رسول الله ﷺ وأذن بإرسال الطعام إلى أهل مكة. كما ذكره علماء السيرة، وذكر بعضها ابن جرير، والقرطبي، وغيرهما من المفسرين.

(٣) تقدم تفسير نظير هذه الآية في سورة البقرة الآية (١٧٣).

﴿١١٦﴾- ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ﴾ أي: لوصف ألسنتكم[١] ﴿ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ لما لم يحلّه الله ولم يحرّمه[٢] ﴿لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بنسبة ذلك إليه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾.

﴿١١٧﴾- لهم[٣] ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ مؤلم.

﴿١١٨﴾- ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أي: اليهود ﴿حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ في آية[٤]: «وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ» [الأنعام: ١٤٦] إلى آخرها، ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بتحريم ذلك ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾ بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك.

---

(١) قوله: (أي: لوصف). أفاد أن «ما» مصدرية. و﴿ٱلْكَذِبَ﴾ مفعول به.

(٢) قوله: (لما لم يحلّه الله...). كالبحائر والسوائب. كما روي عن مجاهد.

فائدة: نقل القرطبي عن الأعمش، قال: «ما سمعت إبراهيم قط يقول: هذا حلال، وهذا حرام، ولكن كان يقول: كانوا يكرهون وكانوا يستحبون». ونقل عن مالك، قال: «لم يكن من فتيا الناس أن يقولوا: هذا حلال، وهذا حرام، ولكن يقولون: إياكم كذا وكذا، ولم أكن لأصنع كذا».اهـ. قال القرطبي: «ومعنى هذا: أن التحليل والتحريم إنما هو لله عَزَّوَجَلَّ، وليس لأحد أن يقول أو يصرح بهذا في عين من الأعيان، إلا إذا أخبر الشارع بذلك، ولا بأس إذا قوي الدليل عند المجتهد أن يقول ذلك...».اهـ. ملخصًا.

ولهذا نرى المتقدمين يطلقون لفظ الكراهة على المحرم، تحرزًا من مخالفة هذه الآية، وقد نبّه على ذلك الأصوليون.

(٣) قوله: (لهم). قدره ليفيد أن ﴿مَتَٰعٌ﴾ مبتدأ مؤخر لخبر محذوف.

(٤) قوله: (في آية...). وهي الآية (١٤٦) من سورة الأنعام. كما قاله الحسن، وعكرمة، وقتادة.

(١١٩)- ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ﴾ الشرك[١] ﴿بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟﴾ رجعوا ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟﴾ عملهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي: الجهالة أو التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ (١١٩)﴾ بهم.

(١٢٠)-[٢] ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ إمامًا قدوة جامعًا لخصال الخير[٣] ﴿قَانِتًا﴾ مطيعًا ﴿لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ مائلًا إلى الدين القيم ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٢٠)﴾[٤].

(١٢١)- ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ﴾ اصطفاه ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١)﴾.

(١٢٢)- ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾ فيه التفات عن الغيبة[٥] ﴿فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ﴾ هي: الثناء

---

(١) قوله: (الشرك). قاله ابن عباس، نقله القرطبي. قال ابن كثير: «قال بعض السلف: كلّ من عصى الله فهو جاهل».اهـ. وقد تقدم ذكر ذلك في سورة النساء الآية (١٧)، وفي سورة الأنعام الآية (٥٤).

(٢) في هذه الآيات مدح الله رسوله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وبرّأه من المشركين ومن اليهودية والنصرانية، قاله ابن كثير. وقال ابن جرير: «هذا إعلام من الله تعالى أهل الشرك به من قريش أن إبراهيم منهم بريء، وأنهم منه برآء». وقال القرطبي: «دعا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مشركي العرب إلى ملة إبراهيم، إذ كان أباهم، وباني البيت الذي عندهم».اهـ.

(٣) قوله: (إمامًا قدوة...) بنحوه قال قتادة: «كان إمام هُدًى، مطيعًا، تُتبع سنتُه وملته».اهـ. وقال ابن مسعود: «الأمة: الذي يعلم الخير». وقال: «القانت: الذي يطيع الله»، وبنحوه فسر عامة المفسرين.

(٤) قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُ﴾. ﴿يَكُ﴾: مضارع «كان» مجزوم وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة تخفيفًا، وهذا الحذف جائز بشروط تقدم ذلك في سورة هود الآية (١٧).

(٥) قوله: (فيه التفات). أي في: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾ بصيغة المتكلم المعظِّم، فيه التفات عن صيغة الغيبة، أي: الاسم الظاهر في قوله تعالى: ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾، وضمائر الغيبة في «أنعمه»، و«اجتبى»، و«هدى». والالتفات من المحسنات البديعية.

الحسن في كل أهل الأديان[١] ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٢٢﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

١٢٣- ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ﴾ دين[٢] ﴿إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾ كرر ردًّا على زعم اليهود والنصارى أنهم على دينه.

١٢٤- ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ﴾ فرض تعظيمه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ على نبيهم[٣]، وهم اليهود أُمِروا أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة، فقالوا: لا نريده، واختاروا السبت، فشدّد عليهم فيه[٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ

---

(١) قوله: (هي: الثناء الحسن...). قاله ابن جرير. ورواه عن مجاهد. وقال ابن كثير: «جمعنا له خير الدنيا من جميع ما يحتاج المؤمن إليه في إكمال حياته الطيبة»، وفسرت الحسنة هنا: بالنبوة، وبالولد الطيب، وبالصلاة عليه مع الصلاة على محمد ﷺ. ولعل ابن كثير أراد تعميم كل ما فسرت به الحسنة.

(٢) قوله: (دين). كما تقدم في سورة آل عمران (٩٥)، والأنعام (١٦١).

(٣) قوله: (على نبيهم). كما روي عن مجاهد: «اتبعوا وتركوا الجمعة»، ونقل القرطبي عن طائفة من العلماء: أن موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عيّن لهم يوم الجمعة، فناظروه أن السبت أفضل، فعين عليهم.اهـ. باختصار.

وفي البخاري: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم، فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع: اليهود غدًا، والنصارى بعد غد**».اهـ. ونحوه في «صحيح مسلم». [«فتح الباري» (١١/ ٥٢٦)، مسلم (٢/ ٥٨٦)].

(٤) قوله: (فشدّد عليهم...). أي: بتحريم الصيد فيه، ونحو ذلك، وتقدم في سورة الأعراف ذكر ذلك وما نزل بهم من العقاب، الآيات (١٦٣-١٦٦)، وكذا في سورة البقرة (٦٥-٦٦).

﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ من أمره، بأن يثيب الطائع، ويعذب العاصي بانتهاك حرمته.

﴿١٢٥﴾- ﴿ ٱدْعُ ﴾ الناس يا محمد ﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ دينه ﴿بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ بالقرآن[(١)] ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ مواعظه[(٢)]، أو القول الرقيق ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى﴾ أي: المجادلة[(٣)] التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته والدعاء إلى حججه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم[(٤)] ﴿بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ فيجازيهم، وهذا قبل الأمر بالقتال[(٥)].

﴿١٢٦﴾- ونزل[(٦)] لما قتل حمزة ومثل به، فقال ﷺ وقد رآه: «**لأمثلنّ بسبعين**

---

(١) قوله: (بالقرآن). وبنحوه فسر ابن جرير، قال: «بوحي الله الذي يوحيه إليك وكتابه الذي ينزله عليك».

(٢) قوله: (ومواعظه). كما قال ابن جرير: «وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه».اهـ.

(٣) قوله: (أي: المجادلة...). أشار به إلى أن الاسم الموصول «التي» صفة لمصدر محذوف.

(٤) قوله: (أي: عالم). أفاد أن اسم التفضيل هنا ليس للمفاضلة التي تقتضي اشتراك غيره تعالى في ذلك العلم وزيادة علم الله تعالى، بل للمبالغة والتأكيد، أي: هو عالم بمن ضل، ولا يعلم ذلك غيره.

(٥) قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال). يعني: أنه منسوخ بآية القتال، وذكر القرطبي نحوًا مما قال المفسر، قال القرطبي: «هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف»، وقال: «فالآية محكمة في جهة العصاة من الموحدين، ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين، وقد قيل: إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورجي إيمانه بها دون القتال فهي فيه محكمة، والله أعلم». اهـ.

(٦) قوله: (ونزل...). ما قاله المفسر من سبب النزول، أي: أن الآية مدنية نزلت في شأن =

منهم مكانك»: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾ عن الانتقام ﴿لَهُوَ﴾ أي: الصبر ﴿خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ فكف ﷺ، وكفّر عن يمينه. رواه البزار.

﴿١٢٧﴾- ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ بتوفيقه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكفار إن لم يؤمنوا لحرصك على إيمانهم ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ أي: لا تهتم بمكرهم، فأنا ناصرك عليهم.

﴿١٢٨﴾- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ بالطاعة والصبر بالعون والنصر(١).

❁❁❁

= المثلة بحمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم أحد، عزاه القرطبي إلى جمهور المفسرين، ورواه ابن جرير عن الشعبي وعطاء، وفيما رواه عن عطاء: قال ﷺ: «**لئن ظهرنا عليهم لنمثلهن بثلاثين رجلًا منهم**». وفيما نقله القرطبي عن رواية الدارقطني: «...**لأمثلن مكانه بسبعين رجلًا**».

وروى ابن جرير عن ابن سيرين ما ملخصه: أن الآية عامة، قال ابن سيرين: «إن أخذ منكم رجل شيئًا فخذوا مثله».اهـ. وبه فسر ابن كثير حيث قال: «يأمر تعالى بالعدل في القصاص والمماثلة في استيفاء الحق».اهـ. ورجحه ابن جرير، وعلى هذا القول تكون الآية محكمة.

وروى ابن جرير عن ابن عباس، وابن زيد، ما يفيد أنها منسوخة بآية ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

(١) قوله: (بالعون والنصر). متعلق بما تعلق به الخبر ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ﴾، وأفاد به أن المعية هنا: المعية الخاصة. وأما المعية العامة فمع كل خلقه. والله أعلم.

١٧- سورة الإسراء

مكية[١] إلا ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ...﴾ [٧٣-٨٠] الآيات الثمان.
وآياتها مائة وعشر آيات[٢]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿سُبْحَٰنَ﴾ تنزيه[٣] ﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿لَيْلًا﴾ نصب على الظرف، والإسراء: سير الليل، وفائدة ذكره[٤]: الإشارة بتنكيره إلى تقليل

---

(١) قوله: (مكية). ذهب البيضاوي إلى أنها كلها مكية. وحكى الاستثناء بـ«قيل». وكونها كلها مكية ظاهر كلام ابن كثير، وابن جرير، حيث أطلقا أنها مكية، بدون استثناء. وقال القرطبي: «مكية إلا ثلاث آيات، الآيات (٦٠، ٧٦، ٨٠).

وما ذكره المفسر من الاستثناء منسوب إلى قتادة، كما ذكره د. فخرالدين قباوة في شرحه على الجلالين، واعترض في عد الآية الثمانين مدنية، وهي قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى ...﴾ الآية، حيث قال السيوطي: «ونزل لما أمر بالهجرة: ﴿ وَقُل رَّبِّ ...﴾ الآية، فإن ما نزل من القرآن قبل الهجرة يعتبر مكيًّا». وأجاب الصاوي بأنه لما نزلت بعد الأمر بالهجرة التحقت بالمدني خصوصًا.اهـ.

(٢) قوله: (وآياتها مائة وعشر). وفي بعض النسخ: مائة وإحدى عشرة. فيكون من الاختلاف في عدد الآيات، إما باعتبار عد البسملة منها، أو باعتبار اختلاف السلف في رؤوس الآيات.

(٣) قوله: (تنزيه). أفاد أن ﴿سُبْحَٰنَ﴾ بمعنى المصدر. وهو اسم مصدر على المشهور، منصوب على أنه مفعول مطلق، وتقدم في سورة البقرة الآية (٣٢).

(٤) وقوله: (وفائدة ذكره:...) يعني: أن الإسراء هو السير في الليل، فذكر ﴿لَيْلًا﴾ هنا لإفادة تقليل تلك المدة التي أسري فيها رسول الله ﷺ، فقد أسري به إلى أماكن بعيدة ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة، وهي مدة قليلة بالنسبة إلى طول السفر.

مدّته ﴿مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ أي: مكة[(١)] ﴿إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ بيت المقدس؛ لبعده منه ﴿ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ بالثمار والأنهار ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ﴾ عجائب قدرتنا ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١﴾، أي: العالم[(٢)] بأقوال النبي ﷺ وأفعاله، فأنعم عليه بالإسراء المشتمل على اجتماعه بالأنبياء، وعروجه إلى السماء، ورؤية عجائب

---

(١) قوله: (أي: مكة). فسر بذلك لأنه ورد في رواية محمد بن إسحٰق أنه ﷺ كان نائمًا في بيت أم هانئ، فاحتمله الملائكة إلى الحِجْر، ثم وقع الإسراء منه. أفاده الصاوي.

فقوله: (مكة) يصدق على كلتا الروايتين، ويطلق المسجد الحرام والكعبة على الحرم كله، كما قال تعالى: ﴿هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ ...﴾ [المائدة: ٩٥]، والمراد: الحرم. قوله: (لبعده...). بيان لوجه التسمية بالأقصى.

(٢) قوله: (أي: العالم...) ليس هذا من تأويل صفة السمع والبصر؛ لأن علماء الأشاعرة يثبتونهما بلا تأويل، بل مراد المفسر توضيح المعنى.

تنبيه: الإسراء: سيره ﷺ من مكة المكرمة إلى بيت المقدس ليلًا. والمعراج: سيره وصعوده إلى السمٰوات وما فوقها إلى حيث شاء الله تعالى. وهما من خصائص الرسول ﷺ. والمعراج في اللغة: آلة العروج.

والإسراء ذكر في قوله تعالى صريحًا: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ...﴾ الآية. والمعراج: أشير إليه في قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ﴾، ولكنه ثابت بالأحاديث الصحيحة المتواترة معنًى.

وقد أورد ابن كثير أكثر ما ورد فيها من الروايات. وقال القرطبي: «ثبت الإسراء في جميع مصنفات الحديث، وروي عن الصحابة في كل أقطار الإسلام، فهو من المتواتر من هذا الوجه، وذكر النقاش ممن رواه: عشرين صحابيًا».اهـ.

وكانت هذه الواقعة العظيمة مرة واحدة قبل الهجرة بسنة، وقيل: بسنة وشهرين، واختلف في تعيين اليوم الذي وقع فيه، وكانت بجسده الشريف، في اليقظة، لا في المنام، كما قاله ابن كثير: «والحق أنه ﷺ أسري به يقظة لا منامًا من مكة...».الخ.

وساق المفسر رَحِمَهُ ٱللَّهُ الحديث المتفق عليه بطوله، استدلالًا لما قال: (فأنعم عليه بالإسراء المشتمل على اجتماعه بالأنبياء وعروجه إلى السماء...).

الملكوت ومناجاته له تعالى، فإنه ﷺ قال: «**أتيت بالبُراق** -وهو دابة أبيض فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه[(١)]- **فركبته، فسار بي حتى أتيت بيت المقدس، فربطت الدابة[(٢)] بالحلقة التي تربط فيها الأنبياء، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين[(٣)]، ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، قال جبريل: أصبت الفطرة[(٤)]**»، قال: «**ثم عرج بي إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل[(٥)]، قيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد أرسل إليه؟[(٦)] قال: قد أرسل إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحّب بي، ودعا لي بالخير[(٧)]، ثم عرج إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أو قد بعث إليه؟ قال: قد بعث**

---

(١) قوله: (يضع حافره...) يدل على شدة سرعته، والطرف: بسكون الراء، البصر: أي يضع رجله عند منتهى بصره، ومدى البصر بعيد جدًّا، فإذا وضع الرجل في سيره بمنتهى البصر يتصور من ذلك فرط سرعته.

(٢) قوله: (فربطت الدابة). في ذلك تعليم بأن التوكل يكون بعد أخذ الأسباب الظاهرة، فربط الدابة سبب لوقوفه وعدم انفلاته، وقد فعله النبي ﷺ مع أنه متوكل على الله تعالى.

(٣) قوله: (فصليت فيه ركعتين).. يرى ابن كثير أن هذه الصلاة تحية المسجد، أما صلاته ﷺ إمامًا للأنبياء فهو بعد رجوعه من المعراج، والمشهور أنه ﷺ صلى إمامًا للأنبياء هناك قبل المعراج، كما في «شرح العقيدة الطحاوية» وغيره.

(٤) قوله: (أصبت الفطرة). أي الخلقة الأصلية، وهي فطرة الإسلام، كما قاله الصاوي.

(٥) قوله: (فاستفتح). أي طلب جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للملك الموكل بباب السماء أن يفتح الباب، في ذلك زيادة إكرام للرسول ﷺ حتى يرحب.

(٦) قوله: (أوقد أرسل إليه؟). يحتمل كون المراد: هل أرسل إليه للعروج إلى السمٰوات؛ لأن أصل بعثته لا يخفى على الملائكة. أفاده الصاوي.

(٧) قوله: (فرحب بي). أي قال: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح.

إليه، ففتح لنا فإذا بابني الخالة: يحيى وعيسى(١)، فرحبا بي ودعوا لي بالخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيل: أو أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن(٢)، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيل: أو قد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل: فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيل: أو قد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بهارون، فرحب بي

---

(١) قوله: (ابني الخالة). وذلك: أن عيسى هو ابن مريم بنت حنة، ويحيى أمه: إشاع أخت حنة، فيكون عيسى ابنًا لبنت خالة يحيى. ويحيى يكون ابنًا لخالة أم عيسى، فأطلق عليهما: ابني الخالة تجوّزًا.

(٢) قوله: «**قد أعطي شطر الحسن**». أي: نصف الحسن، قد أعطي يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والنصف الآخر قد قسم بين الخلق، وقد يستشكل بأن الرسول ﷺ كان أحسن الناس وأجملهم، كما قال البراء: «لم أر شيًا أحسن منه»، وقال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خلقًا»، رواهما البخاري. وقال جابر: «...فإذا هو أحسن عندي من القمر»، وقال أبو هريرة: «ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله...»، رواهما الترمذي.

أجاب عنه بعض العلماء: بأن الحسن الذي أعطي رسول الله ﷺ حسن خاص غير مقسّم، ولم يعط منه شيء لغيره، والذي أعطي يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو الحسن العام الذي قسم بين الخلق، أعطي منه شطره كما أشار إلى ذلك الصاوي، وقال بعضهم: «أل» في قوله: «**أعطي شطر الحسن**» عهدية. إشارة إلى حسن النبي ﷺ، فيكون المعنى: أعطي يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نصف حسن محمد ﷺ، والله أعلم. أفاده شيخنا الشيخ عبدالرحمن الأوركمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض دروسه لـ«صحيح مسلم».

ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيل: أو قد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بموسى، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل، قيل: ومن معك؟ فقال: محمد، قيل: أو قد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم، فإذا هو مستند إلى البيت المعمور[١]، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى[٢]، فإذا أوراقها كآذان الفيلة[٣]، وإذا ثمارها كالقلال[٤]، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها

(١) قوله: «**البيت المعمور**». هو بيت في السماء على سمت الكعبة، وإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي بنى الكعبة في الأرض كان مستندًا إلى البيت المعمور الذي هو الكعبة السماوية.

وقوله: «**يدخل كل يوم**...» أي: يدخله هذا العدد من الملائكة كل يوم، ولا يسمح لهم الدخول إليه مرة أخرى. وهذا يشير إلى أن عدد الملائكة لا يعلمه إلا الله تعالى.

(٢) قوله: «**سدة المنتهى**». هي شجرة لا يحيط بوصفه إلا الله، وقد غشيها من أمر الله تعالى عظمة عظيمة من فراش من ذهب وألوان متعددة، كما قال تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [النجم: ١٦].

(٣) قوله: «**كآذان الفيلة**». أي في الشكل. والفيلة: جمع فيل، الحيوان المعروف.

(٤) قوله: «**كالقلال**». جمع قُلة، بضم القاف، القربة المعروفة، كما في حديث القلتين.

تنبيه: لما اعترض من لم يقل بحديث القلتين من العلماء على ذلك الحديث -في جملة ما اعترضوا به- أن القلة لفظ مشترك مبهم، أجاب القائلون بالقلتين، بأن القلة إذا أطلقت علمها المخاطبون، وهي القربة من قرب هجر، واستدلوا على ذلك بهذا الحديث، أي: حديث الإسراء. فقد أطلق هنا: «**وإذا ثمارها كالقلال**». وعلمها المخاطبون.

وفي «الصحيح»: أنه انتهى إلى مستوًى يسمع فيه صريف الأقلام.اهـ. أي: أقلام القدر بما هو كائن، ورأى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على صورته وله ستمائة جناح، ورأى رفرفًا أخضر قد سدّ الأفق... وغير ذلك مما فصل في الروايات.

تغيرت، فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن يصفها من حسنها»، قال: «فأوحى الله إليّ ما أوحى[١]، وفرض عليّ[٢] في كل يوم وليلة خمسين صلاة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى[٣]، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة في كل يوم وليلة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم[٤]، قال: فرجعت إلى ربي، فقلت: أي رب، خفف عن أمتي، فحط عني خمسًا، فرجعت إلى موسى، قال: ما فعلت؟ فقلت: حط عني خمسًا، قال: إن أمتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى، ويحط عني

(١) قوله: «**فأوحى الله إليّ ما أوحى**»... لم يختلفوا في أنه ﷺ سمع كلامه تعالى، وجرى بينه وبين ربه المناجاة، ولكن اختلفوا في أنه ﷺ هل رأى ربه رؤية العين؟ فممن أثبت ذلك ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وممن نفى ذلك: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وأكثر العلماء على أنه ﷺ لم ير الله تعالى بعينه، مستندين إلى ما رواه مسلم عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما سأل رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال ﷺ: «**نور، أنّى أراه**». والله أعلم. والمفسر هنا يميل إلى ثبوت الرؤية حيث أورد ما رواه الحاكم عن ابن عباس مرفوعًا.

(٢) وقوله: «**وفرض عليّ...**». هذا مما أوحي إليه، فهو من عطف الخاص على العام، خص بالذكر لتعلقه بالأمة، وفيه دليل على أن ما ثبت في حقه ﷺ ثابت في حق الأمة إلا ما خص الدليل. وهي من مسائل أصول الفقه.

(٣) قوله: «**حتى انتهيت إلى موسى**». أي: في السماء السادسة، ولعل اختصاص موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالمراجعة دون غيره من الأنبياء؛ لأنه اختبر أمته بالصلاة أكثر من غيره حتى ثقلت الصلاة عليهم. وقال بعض المفسرين -وأهل العلم-: كان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ طلب الرؤية، فلم يتمكن له ذلك، والرسول ﷺ ثبتت له الرؤية، على ما قال به الكثير، فأحبّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يرى من رأى الله تعالى، والله أعلم.

(٤) وقوله: «**وخبّرتهم**». أي: جربتهم.

خمسًا خمسًا حتى قال: يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة[١]، ومن همّ[٢] بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرًا، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت» رواه الشيخان، واللفظ لمسلم، وروى الحاكم في «المستدرك» عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت ربي عَزَّوَجَلَّ**».

(٢) - قال تعالى[٣]: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ

---

(١) قوله: «**فتلك خمسون صلاةً**». أي: في الأجر.

(٢) وقوله: «**ومن هَمَّ**»... هذا مما تفضل الله تعالى على عباده، والمراد بالهمّ هنا هو الميل إلى الفعل، أما العزم المصمم فهو فعل القلب، فيكتب به الخير والشر عند أكثر العلماء... وأما الخواطر النفسية -وهي ما تخطر بالنفس وتزول- فلا مؤاخذة بها. كما قاله الصاوي وغيره، وحرّره شراح الحديث.

تنبيه: قد تضمنت هذه الواقعة العظيمة أنواعًا من الخصائص النبوية، منها: قطع هذه المسافة في وقت يسير، ولقاؤه بالأنبياء وترحيبهم به، وإقرارهم بنبوته، وصلاته إمامًا لهم، ومناجاته بالرب سبحانه، ورؤيته له -إذا ثبتت- وفرض الصلوات، وتخفيفها، ورؤيته لجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في صورته، ومروره بسدرة المنتهى، والجنة والنار، والبيت المعمور، وسماعه صريف الأقلام، ورؤيته لما أراده الله من ملكوت السمٰوات إلى غير ذلك. فصلوات الله وسلامه عليه.

(٣) قوله: (قال تعالى...). فيه إشارة إلى أن الواو في ﴿ وَءَاتَيْنَا ﴾ استئنافية. ويصح كونها عاطفة للجملة على جملة ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ ...﴾، أو على ﴿أَسْرَىٰ ﴾ بمعنى: سبحان الذي أسرى بعبده وآتى الكتاب لموسى. أي: كرم محمدًا ﷺ بالإسراء، وأكرم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بإعطاء الكتاب. ذكره القرطبي.

إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ لـ ﴿أَ﴾ نْ[(١)] ﴿لَّا يَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ۝٢﴾ يفوضون إليه أمرهم. وفي قراءة: «تَتَّخِذُواْ» بالفوقانية؛ التفاتًا فـ«أَنْ» زائدة، والقول مضمر.

۝٣- يا ﴿ذُرِّيَّةَ[(٢)] مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ﴾ في السفينة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ كثير الشكر لنا، حامدًا في جميع أحواله.

۝٤- ﴿وَقَضَيْنَآ﴾ أوحينا[(٣)] ﴿إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي

---

(١) قوله: (لـ﴿أَ﴾ ن ﴿لَّا﴾...). قدر اللام لإفادة أن ﴿لَّا﴾ نافية، و«أن» مصدرية، والمصدر المؤول تعليل لما قبله، وهذا على قراءة: ﴿يَتَّخِذُواْ﴾ بالياء. وهي قراءة أبي عمرو التي بنى عليها المفسر. وقرأ الباقون بالتاء: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ﴾. يقول المفسر: فيه التفات، أي: من الغيبة إلى الخطاب، و«أن» زائدة، و«لا» ناهية جازمة، والقول مقدر، والتقدير: قلنا لهم: لا تتخذوا... والأولى جعل «أن» تفسيرية؛ لأن ﴿ وَءَاتَيْنَا﴾ فيه معنى القول. فلا يحتاج إلى تقدير القول. وفي بعض النسخ لـ﴿أَلَّا﴾ بدون إظهار النون.

(٢) ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ منصوب بالنداء، أي: يا ذرية. والنداء لجميع الناس، لأنهم انحصروا في ذرية نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد الطوفان. وفي هذا النداء تأكيد لما قبله من النهي عن اتخاذ الوكيل غير الله؛ لأن نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان عبدًا شكورًا، وأنتم ذريته، فكونوا مثله عبادًا لله، ولا تتخذوا من دونه وكيلًا. أشار إليه الزمخشري، أو اذكروا نعمتي بإرسال محمد ﷺ، واشكروا له بالإيمان. كما أشار له ابن كثير.

(٣) قوله: (أوحينا). فسر به لمناسبة حرف الجر: ﴿إِلَىٰ﴾. ونقله القرطبي بدون عزو، ويقرب منه ما روي عن ابن عباس: «قضينا، أي: أعلمنا»، وعن مجاهد: «أخبرنا»، وقال قتادة: «حكمنا»، فيكون ﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى: «على»، ويكون المراد بـ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: اللوح المحفوظ. وقد روي هذا عن ابن عباس أيضًا. وتقدم ذكر معنى «قضى» إجمالًا في سورة البقرة الآية (١١٧).

﴿ٱلْأَرْضِ﴾ أرض الشام بالمعاصي ﴿مَرَّتَيْنِ[1] وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤﴾ تبغون بغيًا عظيمًا.

۝٥ - ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ أولَى مرّتي الفساد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أصحاب قوة في الحرب والبطش ﴿فَجَاسُواْ﴾ ترددوا لطلبكم ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ وسط دياركم ليقتلوكم ويسبوكم ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾ وقد أفسدوا الأولى[2] بقتل زكريا فبعث عليهم جالوت وجنوده، فقتلوهم وسبوا أولادهم وخربوا بيت المقدس.

۝٦ - ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ﴾ الدولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعد مائة سنة

---

(١) و﴿مَرَّتَيْنِ﴾ منصوب على أنه مفعول مطلق؛ لأن المعنى: إفسادتين.

(٢) قوله: (وقد أفسدوا...). ما ذكره المفسر من أن المراد بفسادهم الأول هو قتل زكريا، رواه ابن جرير عن ابن عباس وغيره، وكذا ما ذكره المفسر من أن الذين بعثوا وسلطوا على بني إسرائيل بعد ذلك هم جالوت وجنوده، هذا أيضًا رواه ابن جرير عن ابن عباس وغيره.

قال ابن عباس: «بعث الله عليهم جالوت، فجاس خلال ديارهم، وضرب عليهم الخراج والذل، فسألوا الله أن يبعث لهم ملكًا يقاتلون في سبيل الله، فبعث الله طالوت، ورجع الله إلى بني إسرائيل ملكهم».اهـ.

وقد تقدم لنا في سورة البقرة قصة جالوت وطالوت وقتل داود جالوت... الآيات من [٢٤٦-٢٥١].

وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلطين على بني إسرائيل من هم؟ قال ابن كثير: «قد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية، منها ما هو موضوع، ومنها ما يحتمل الصحة، ونحن في غنًى عنها، ولله الحمد».اهـ. ملخصًا.

وذكر البيضاوي في ذلك ثلاثة أقوال:

١- بختنصر. ٢- جالوت. ٣- سنحاريب من أهل نينوى.

بقتل جالوت ﴿وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ٦﴾ عشيرة[١].

﴿٧﴾- وقلنا[٢] ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ﴾ بالطاعة ﴿أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ﴾ لأن ثوابه لها ﴿وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ﴾ بالفساد ﴿فَلَهَاۚ﴾ إساءتكم ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ﴾ المرة ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بعثناهم[٣] ﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ يحزنوكم بالقتل والسبي حزنًا يظهر في وجوهكم[٤] ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ﴾ بيت المقدس فيخربوه ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ وخربوه ﴿أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ﴾ يهلكوا ﴿مَا عَلَوۡاْ﴾ غلبوا عليه ﴿تَتۡبِيرًا ٧﴾

---

(١) قوله: (عشيرة). النفير: من ينفر مع الرجل من قومه، وقيل: جمع نفر، وهم المجتمعون للذهاب إلى العدو. قاله البيضاوي.

قال القرطبي: «والمعنى: أنهم صاروا بعد هذه الواقعة الأولى أكثر انضمامًا وأصلح أحوالًا؛ جزاءً من الله تعالى لهم على عودهم إلى الطاعة».اهـ.

تنبيه: ما ذكر المفسر من أن الإفساد الأول لبني إسرائيل هو قتل زكريا، فسلط عليهم جالوت وجنوده؛ فيه إشكال من جهة التاريخ؛ لأن داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي قتل جالوت كان قبل زكرياء عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكذا فيما سيذكر المفسر من أن الإفساد الثاني قتل يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فسلط عليهم بختنصر، فيه أيضًا إشكال؛ لأن يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قتل بعد رفع عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وبختنصر كان قبل ذلك بزمان، ولذا نقل القرطبي وغيره أن الذي قتلوه في زمان بختنصر هو النبي شعياء.اهـ.

(٢) قوله: (وقلنا). الظاهر أنه مقول موجه لبني إسرائيل الذين كانوا في ذلك الزمان. ويحتمل كونه خطابًا لبني إسرائيل الذين كانوا في زمان نزول القرآن. ذكر الوجهين القرطبي.

(٣) قوله: (بعثناهم). قدره ليتعلق به ﴿لِيَسُـُٔواْ﴾ وما بعده.

(٤) قوله: (حزنًا يظهر في وجوهكم). بمثله فسره القرطبي.

هلاكًا، وقد أفسدوا ثانيًا بقتل يحيى[(١)]، فبعث عليهم بختنصر، فقتل منهم ألوفًا، وسبي ذريتهم، وخرّب بيت المقدس.

(٨)- وقلنا في الكتاب ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد المرة الثانية إن تبتم ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ إلى الفساد ﴿عُدْنَا﴾ إلى العقوبة، وقد عادوا بتكذيب محمد ﷺ[(٢)]؛ فسلط عليهم بقتل قريظة[(٣)]، ونفي النضير[(٤)]، وضرب الجزية عليهم ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨)﴾ مَحْبَسًا وَسِجْنًا[(٥)].

---

(١) قوله: (وقد أفسدوا...) قد ذكرنا ما فيه من الإشكال التاريخي.
ونقل القرطبي عن ابن إسحٰق: «أن الذي سلط عليهم بعد قتل يحيى: ملك من ملوك بابل اسمه: خردوس»، وذكر قصته مفصلة.
الخلاصة: هناك اختلاف كبير في تحديد إفسادهم، وتحديد من سلّط عليهم بذلك. كما قاله ابن كثير، والعلم عند الله تعالى.

(٢) قوله: (وقد عادوا...). روي نحو ذلك عن قتادة، قال: «فبعث الله عليهم محمدًا ﷺ فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون». وعن ابن عباس، قال: «فعادوا فسلط الله عليهم المؤمنين...». رواهما ابن جرير.

(٣) قوله: (بقتل قريظة). قريظة قبيلة يهودية بالمدينة، آذوا المسلمين، ونقضوا العهد وغدروا. وكان عاقبة أمرهم أن قتل رجالهم وسبي نساؤهم وذراريهم، وذلك السنة الخامسة من الهجرة، بعد غزوة الخندق.

(٤) وقوله: (ونفي النضير). بنو النضير قبيلة يهودية كانت بالمدينة، صالحوا النبي ﷺ لما هاجر إليها، ثم ناقضوا العهد وأرادوا قتل النبي ﷺ فحاصرهم، فصالحوه على الجلاء، فخرجوا من المدينة، ونزل بعضهم بخيبر، وبعضهم بالشام، وكان ذلك في السنة الرابعة من الهجرة.

(٥) قوله: (مَحْبَسًا وسِجْنًا) وهما بمعنى واحد. روي هذا المعنى عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وغيرهم. وقال الحسن: «الحصير: الفراش والمهاد كما قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]».

(٩) - ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى﴾ أي: للطريقة[١] التي ﴿هِىَ أَقْوَمُ﴾ أعدل وأصوب ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾.

(١٠) - ﴿وَ﴾ يخبر[٢] ﴿أَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا﴾ أعددنا[٣] ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ مؤلمًا هو النار.

(١١) - ﴿وَيَدْعُ[٤] ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ على نفسه وأهله إذا ضجر ﴿دُعَآءَهُۥ﴾ أي: كدعائه له[٥] ﴿بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الجنس ﴿عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ بالدعاء على نفسه، وعدم النظر في عاقبته.

---

(١) قوله: (للطريقة...) أشار به إلى حذف الموصوف، فالاسم الموصول «التي» نعت للمحذوف، فيكون من باب إيجاز الحذف.

(٢) قوله: (يخبر). قدره لأن التبشير في الحقيقة يكون في الخير، وعلى التقدير المذكور تكون هذه الآية معطوفة على جملة ﴿وَيُبَشِّرُ﴾، وإذا لم يقدر هذا الفعل فقد يتوهم أنها معطوفة على ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ وهذا لا يناسب من حيث المعنى؛ لأن المعنى يكون: ويبشر المؤمنين أن الذين لا يؤمنون... ولذا قدر الفعل ليكون المعنى: إن هذا القرآن يبشر المؤمنين بالأجر الكريم، ويخبر أن الذين لا يؤمنون أعتدنا لهم عذابًا أليمًا. والله أعلم.

(٣) قوله: (أعددنا) تفسير لـ﴿أَعْتَدْنَا﴾، أَعْتَد: أَفْعَلَ من عَتَدَ، يَعتُد، عتادًا. تهيأ، وأعتد: هيَّأ.

(٤) ﴿وَيَدْعُ﴾ الواو استئنافية، و«يدعو» فعل مضارع مرفوع، حذفت الواو على خط المصحف.

(٥) قوله: (أي: كدعائه...). أفاد به أن ﴿دُعَآءَهُۥ﴾ مفعول مطلق مبين للنوع.

روى ابن جرير عن عباس، ومجاهد، وقتادة في معنى هذه الآية ما حاصله: أن الإنسان ربما يستعجل فيدعو على نفسه أو أهله أو ماله بالشر، فلو استجاب الله ذلك لهلك، كما قال تعالى: ﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ...﴾ [يونس: ١١].

(١٢) - ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ دالتين على قدرتنا ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ طمسنا نورها بالظلام(١)؛ لتسكنوا فيه، والإضافة للبيان(٢) ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي: مبصرًا فيها بالضوء(٣) ﴿لِّتَبْتَغُواْ﴾ فيه ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالكسب ﴿وَلِتَعْلَمُواْ﴾ بهما ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ للأوقات ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا (١٢)﴾ بيّناه تبيينًا.

(١٣) - ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ(٤) أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾ عمله(٥)، يحمله ﴿فِي عُنُقِهِۦ﴾ خص

---

(١) قوله: (طمسنا نورها...) وبمثله فسره ابن جرير، وابن كثير، وغيرهما.

وروى ابن جرير عن علي: «﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾: هو السواد الذي في القمر». وعن مجاهد: «الشمس آية النهار، والقمر آية الليل، و﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾: السواد الذي في القمر».اهـ.

(٢) قوله: (والإضافة للبيان). أي: إضافة ﴿ءَايَةَ﴾ إلى ﴿ٱلَّيْلِ﴾، فالمعنى: الآية التي هي الليل، وهذا على ما فسر به المفسر كما هو المشهور، وأما على التفسير المروي عن علي، ومجاهد من أن المراد بها القمر؛ فتكون الإضافة بمعنى: «في»، وكذا القول في ﴿ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ﴾.

(٣) قوله: (أي: مبصرًا فيها). أفاد أن إسناد الإبصار إلى آية النهار من المجاز العقلي، من إسناد اسم الفاعل إلى الظرف الزماني.

(٤) ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ﴾ منصوب بفعل مقدر يفسره: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ﴾، من باب الاشتغال، كما أن ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا (١٢)﴾ كذلك. وهما من مواضع ترجح النصب، لعطفهما على الجملة الفعلية السابقة: أي: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ ...﴾.

(٥) قوله: (عمله). قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن جريج، كما روى ابن جرير. وقال ابن جرير: «إنما ذكر ﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾ لأن العرب كانت تتفاءل به أو تتشاءم، فأعلمهم جَلَّ وَعَلَا أن كل إنسان عمله مقدر عليه خيرًا كان أو شرًّا، فهو ملازمه».اهـ. ملخصًا. =

بالذكر[١]؛ لأن اللزوم فيه أشد. وقال مجاهد[٢]: «ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد». ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا﴾ مكتوبًا فيه عمله[٣] ﴿يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾ صفتان لـ«كِتَٰبًا».

﴿١٤﴾- ويقال له[٤]: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ محاسبًا.

﴿١٥﴾- ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن إثمه عليها ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ نفس[٥] ﴿وَازِرَةٌ﴾ آثمة، أي: لا تحمل

= روى مسلم عن جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ قال: «**لا عدوى ولا طيرة، وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه**». وفسر ابن كثير بوجهٍ آخر حيث قال: «والمقصود أن عمل ابن آدم محفوظ عليه قليلهُ وكثيره، ويكتب عليه ليلًا ونهارًا، صباحًا ومساءً».اهـ.

(١) قوله: (خص بالذكر). أي: خص العنق بالذكر، ولم يقل: في يده مثلًا.

(٢) وقوله: (وقال مجاهد:...). هذا الأثر رواه ابن جرير. وعلى هذا يكون إطلاق العنق على الحقيقة، أي: فالورقة المكتوب فيها السعادة والشقاوة موجودة في عنقه.

(٣) قوله: (مكتوبًا فيه عمله...) نقل ابن كثير عن الحسن البصري: «يا ابن آدم، وكّل بك ملكان: كاتب الحسنات، وكاتب السيئات، حتى إذا مت طويت صفحتك فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتابًا تلقاه منشورًا».اهـ. ملخصًا.

(٤) قوله: (ويقال له:...) أفاد به أن جملة ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ ﴾ في محل نصب مقول لقول محذوف، فهو من إيجاز الحذف.

(٥) قوله: (نفس). أفاد به أن ﴿وَازِرَةٌ﴾ نعت لمنعوت محذوف، في الموضعين، ففي الكلام إيجاز حذف، والمعنى: لا يحمل أحد ذنب أحدٍ، ولا ينافي في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، ونحو ذلك من النصوص؛ لأن الإثم يترتب على المباشرة والتسبب، فمن عمل شيئًا وتسبب لغيره يجزى جزاء الفعل والتسبب خيرًا كان أو شرًّا. كما في حديث: «**من سن سنة...**». كما أفاده ابن كثير وغيره.

﴿وِزۡرَ﴾ نفس ﴿أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾[1] أحدًا ﴿حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾ يبين له ما يجب عليه.

١٦- ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا﴾ مُنعَّميها[2] بمعنى: رؤسائها بالطاعة[3] على لسان رسلنا ﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ فخرجوا عن أمرنا ﴿فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ﴾ بالعذاب ﴿فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦﴾ أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها.

١٧- ﴿وَكَمۡ﴾ أي: كثيرًا[4] ﴿أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ الأمم ﴿مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ

---

(١) وقول تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ ...﴾. ظاهر في أنه لا يعذب من مات صغيرًا أو مجنونًا أو أصمّ أو كان من أهل الفترة. أورد ابن كثير حديث الإمام أحمد عن الأسود بن سريع مرفوعًا بما يفيد: أن هؤلاء يمتحنون يوم القيامة بتكليفهم دخول النار، فمن أطاع كانت له بردًا وسلامًا، وأصبح من أهل الجنة، ومن عصى أصبح من أهلها. ونقل عن ابن عباس وغيره كراهة التكلم في هذه المسألة.

(٢) قوله: (منعميها). بصيغة اسم المفعول تفسير لـ﴿مُتۡرَفِيهَا﴾، وهم اسم مفعول من: أتْرف، يُتْرِفُ، إترافًا.

(٣) قوله: (بالطاعة). متعلق بـ﴿أَمَرۡنَا﴾. أي: أمرنا رؤساءها بالطاعة، فعصوا، وهذا المعنى ذكره ابن جرير، ورواه عن ابن عباس، وابن جبير. وقيل: معناه: جعلناهم أمراء، وقد قرئ: ﴿أَمَّرۡنَا﴾: بتشديد الميم، بمعنى: جعلناهم أمراء. وقرأ يعقوب: ﴿آمَرۡنَا﴾: بمد الهمزة. ومعناه: أكثرنا عددهم.

وروى ابن جرير هذا عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، والضحاك.

وعلى كل حال: ليس المعنى أنه أمرهم بالفسق ففسقوا؛ لأن الله تعالى لا يأمر به، إلا إذا كان الأمر بمعنى القدر والقضاء، فيكون المعنى قدرنا عليهم الفسق، وسلطناهم عليه، كما ذكره ابن كثير.

(٤) قوله: (أي: كثيرًا). أفاد أن «كم» هنا خبرية في محل نصب مفعول به مقدم لـ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾.

﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ١٧﴾ عالمًا ببواطنها وظواهرها، وبه يتعلق: «بِذُنُوبِ»[1].

١٨- ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ الدنيا[2] ﴿عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ التعجيل له. بدل من «لَهُۥ» بإعادة الجار[3] ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا﴾ يدخلها ﴿مَذۡمُومٗا﴾ ملومًا[4] ﴿مَّدۡحُورٗا ١٨﴾ مطرودًا عن الرحمة.

١٩- ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا﴾ عمل عملها اللائق بها ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ حال ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩﴾ عند الله، أي: مقبولًا مثابًا عليه[5].

٢٠- ﴿كُلّٗا﴾ من الفريقين ﴿نُّمِدُّ﴾ نعطي ﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ بدل[6] ﴿مِنۡ﴾ متعلق بـ«نُّمِدُّ»، ﴿عَطَآءِ رَبِّكَۚ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ﴾ فيها ﴿مَحۡظُورًا ٢٠﴾ ممنوعًا عن أحد.

---

(١) قوله: (وبه يتعلق...) يعني أن الجار والمجرور ﴿بِذُنُوبِ﴾ يتعلق بـ﴿خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾. أما الجار والمجرور ﴿بِرَبِّكَ﴾؛ فالباء: زائدة مؤكدة داخلة على فاعل: ﴿وَكَفَىٰ﴾، والحرف الزائد -وكذا الشبيه بالزائد- لا يحتاج إلى متعلق، وقد فصلناه في «رسالة الاستثناء».

(٢) قوله: (الدنيا). وبه فسر ابن زيد.

(٣) قوله: (بدل من ﴿لَهُۥ﴾). أي: ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ بدل من ﴿لَهُۥ﴾، وقد أعيد فيه حرف الجر اللام، فيكون بدلًا من الجار والمجرور: ﴿لَهُۥ﴾.

(٤) قوله: (ملومًا). ذكره ابن عباس.

(٥) قوله: (أي: مقبولًا مثابًا عليه)... وبمثله فسر ابن جرير، قال: «وشكر الله إياهم على سعيهم ذلك، حسن جزائه لهم على أعمالهم الصالحة، وتجاوزه لهم عن سيئها برحمته» ورواه عن قتادة.

(٦) قوله: (بدل) أي: اسم الإشارة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بدل من ﴿كُلّٗا﴾، والإشارة بهما إلى الفريقين، أي: من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة، على اللف والنشر المرتب.

(٢١) – ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ[(١)] فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ في الرزق والجاه ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ﴾ أعظم ﴿دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا (٢١)﴾ من الدنيا[(٢)]، فينبغي الاعتناء بها دونها[(٣)].

(٢٢) – ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا (٢٢)﴾ لا ناصر لك.

(٢٣) – ﴿۞ وَقَضَىٰ﴾ أمر[(٤)] ﴿رَبُّكَ أَ﴾ن، أي: بأن[(٥)] ﴿لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَ﴾ أن تحسنوا ﴿بِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ بأن تبروهما ﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ﴾ فاعل ﴿أَوۡ كِلَاهُمَا﴾. وفي قراءة: «يَبۡلُغَانِ»[(٦)]، فـ«أَحَدُهُمَآ» بدل من ألفه ﴿فَلَا

---

(١) ﴿كَيۡفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال. واللام في ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ﴾ لام ابتداء تفيد التوكيد، و﴿دَرَجَٰتٖ﴾ تمييز، وكذا ﴿تَفۡضِيلٗا﴾.

(٢) قوله: (من الدنيا): قدره ليكون المفضل عليه؛ لأن اسم التفضيل المجرد يذكر معه المفضل عليه المجرور بـ«من»، وإن لم يذكر يكون مقدرًا كما هنا. وأحكام اسم التفضيل وأقسامها مفصلة في «الثلاثيات».

(٣) وقوله: (الاعتناء بها) أي: بالآخرة دونها، أي: دون الدنيا. وهذا بيان لمضمون الآية.

(٤) قوله: (أمر) أفاد به أن ﴿قَضَىٰ﴾ هنا بمعنى: أمر ووصى، كما فسر به ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، وغيرهم، لا بمعنى: حكم وقدر؛ لأن ﴿قَضَىٰ﴾ يطلق على معانٍ؛ منها: أمر، وخلق، وحكم، وقدّر، وفرغ، وأراد، وعهد. كما ذكره القرطبي. وتقدم ذلك في سورة البقرة.

(٥) وقوله: (بأن) وعلى هذا تكون «أن» مصدرية، و﴿لَّا﴾ نافية، والفعل ﴿تَعۡبُدُوٓاْ﴾ منصوبًا بـ«أن»، ويصح كون «أن» تفسيرية فلا يحتاج إلى تقدير الباء، فتكون ﴿لَّا﴾ ناهية جازمة والفعل مجزومًا.

(٦) قوله: (وفي قراءة: ﴿يَبۡلُغَٰنِ﴾). أي: بألف الاثنين، وهي قراءة حمزة، والكسائي، وخلف. و﴿يَبۡلُغَنَّ﴾: قراءة الباقين. وعلى القراءة الأولى يكون ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ بدلًا من الألف، والألف هو فاعل الفعل.

تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ بفتح الفاء وكسرها منونًا وغير منوّن[١]، مصدر[٢] بمعنى: تَبًّا وقُبْحًا ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ تزجرهما ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ جميلًا لينًا.

﴿٢٤﴾- ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ أَلِنْ لهما جانبك الذليل[٣] ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أي: لِرقتك عليهما[٤] ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا﴾ رحماني حين ﴿رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

﴿٢٥﴾- ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ من إضمار البر والعقوق[٥] ﴿إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ﴾

---

(١) قوله: (بفتح الفاء...). أي: القراءات ثلاث:

١- ﴿أُفَّ﴾: بفتح الفاء: قراءة ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب.

٢- ﴿أُفٍّ﴾: بالكسر والتنوين: قراءة نافع، وحفص، وأبي جعفر.

٣- ﴿أُفِّ﴾: بالكسر، بلا تنوين: قراءة الباقين.

وفي ﴿أُفٍّ﴾ لغات أخرى.

(٢) وقوله: (مصدر) أي: مصدر: «أفَّ، يؤُفُّ» فهو في محل نصب مفعول مطلق، والأشهر أنه اسم فعل مضارع بمعنى: أتضجّر، لا محل له من الإعراب، ولعل المفسر مشى على القول بأن أسماء الأفعال لها محل من الإعراب. وهو خلاف المشهور. ولو كان مصدرًا مفعولًا مطلقًا لتعين نصبه مع التنوين: «أفًّا».

(٣) قوله: (أَلِنْ...) تفسير للمراد بـ﴿وَٱخْفِضْ﴾. وفي الكلام استعارة مكنية وتخييلية على ما فصله البلاغيون، شبه الذل بطير له الجناح، واستعير لفظ المشبه به للمشبه ضمنًا ولم يصرح به وهي الاستعارة المكنية، ثم أثبت لازم المشبه به -وهو الجناح- للمشبه، وهو الذل، وهي التخييلية، وهذا من أروع الأساليب الأدبية.

(٤) قوله: (أي: لرقتك...) أشار به إلى أن ﴿مِنَ﴾ للتعليل. أي: لأجل الرحمة والشفقة لا حياءً ولا خوفًا من العار، مثلًا. والكافُ في ﴿كَمَا رَبَّيَانِي﴾ للتعليل أيضًا. ويحتمل كونها للتنظير.

(٥) قوله: (من إضمار البر...). بيان لـ﴿بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾، وعلى هذا تكون هذه الآية مرتبطة بما قبلها، وفي بر الوالدين، وبنحو ما فسر به المفسر فسرها ابن جرير وعزاها إلى أئمة التفسير.

طائعين لله ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ﴾ الراجعين إلى طاعته[١] ﴿غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ لما صدر منهم في حق الوالدين من بادرة[٢]، وهم لا يضمرون عقوقًا.

﴿٢٦﴾- ﴿وَءَاتِ﴾ أعط[٣] ﴿ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة[٤] ﴿حَقَّهُۥ﴾ من البر والصلة ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ بالإنفاق في غير طاعة الله[٥].

---

(١) قوله: (الراجعين...) أفاد أن الأوابين من: «آب، يؤوب» إذا رجع، وهو جمع لصيغة المبالغة، واختلف في المراد بهم، فعن ابن عباس: ««الأواب: الحفيظ الذي إذا ذكر خطاياه استغفر لها»، وعنه أيضًا: «المسبِّح»، وعن ابن المسيب: «الذي يتوب ثم يذنب، فيتوب»، وعن قتادة: «المطيع المصلي»، وعن عون العقيلي: «الذين يصلون صلاة الضحى». كما في ابن جرير، والقرطبي.

(٢) قوله: (بادرة) وهي الهفوة أو الزلة في حق الوالدين بدون إرادة العقوق، فهذه مغتفرة.

(٣) قوله: (أعط). ﴿وَءَاتِ﴾: أمر من «آتى» على وزن «فاعَلَ»، مبني على حذف حرف العلة.

(٤) قوله: (القرابة) أي: قرابة الشخص. فالآية تأمر بمراعاة صلة الرحم بعد رعاية حق الوالدين، كما أفاده القرطبي. وكما روي عن ابن عباس نحو من ذلك. وروي عن علي بن الحسين: «المراد بهم: قرابة النبي ﷺ».

والآية مما تدل على أن في المال حقًّا سوى الزكاة، قاله الحسن، كما في ابن جرير.

وقال القرطبي: «والحق في هذه الآية ما يتعيّن من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه».اهـ.

(٥) قوله: (بالإنفاق...) أفاد أن التبذير: إنفاق المال في غير طاعة الله، يؤيده ما نقل القرطبي عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «التبذير إنفاق المال في غير حقه، ولا تبذير في عمل الخير».اهـ. وعزاه القرطبي إلى الجمهور. وروى ابن جرير عن ابن مسعود وابن عباس: «الإنفاق في غير حق»، وعن قتادة: «التبذير: النفقة في معصية الله»، وقال مجاهد: «لو أنفق الإنسان ماله كله في الحق ما كان تبذيرًا، ولو أنفق مدًّا في باطل كان تبذيرًا».اهـ. وقال القرطبي: «من أنفق في الشهوات زائدًا على قدر الحاجة، فإذا عرض بذلك على نفاد المال فهو مبذر، وإلا فليس بمبذر».اهـ. ملخصًا.

٢٧- ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أي: على طريقتهم[١] ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ٢٧﴾ شديد الكفر لنعمه[٢]، فكذلك أخوه المبذر.

٢٨- ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ[٣]﴾ أي: المذكورين من ذي القربى وما بعده، فلم تعطهم ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ أي: لطلب رزق تنتظره يأتيك فتعطيهم منه ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ٢٨﴾ لينًا سهلًا، بأن تَعِدهم[٤] بالإعطاء عند مجيء الرزق.

٢٩- ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي: لا تمسكها عن الإنفاق كل المسك[٥] ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ في الإنفاق ﴿كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ راجع

---

(١) قوله: (أي على طريقتهم). وبنحوه فسر ابن جرير، وقيل: إنهم يقرنون مع الشيطان غدًا في النار. نقله القرطبي.

(٢) قوله: (شديد الكفر) استفيد هذا المعنى من صيغة المبالغة ﴿كَفُورًا﴾.

(٣) ﴿وَإِمَّا﴾: «إن» الشرطية مدغمة في «ما» المزيدة المؤكدة. و﴿تُعْرِضَنَّ﴾ فعل الشرط مبني على الفتح؛ لوجود نون التوكيد المباشرة في محل جزم. وجواب الشرط: ﴿فَقُل لَّهُمْ﴾، ومعنى الآية: إذا سألك أقاربك ومن أمرنا بإعطائهم، وليس عندك شيء فأعرضت عنهم لفقد النفقة راجيًا من الله أن يعطي ما تنفق منه، فقل لهم قولًا لينًا، وعِدْهُم وعدًا حسنًا، بأن يقال مثلاً: إذا جاء رزق من الله فسنعطيكم منه... وبنحوه فسر ابن كثير. وعزاه إلى أئمة التفسير.

(٤) قوله: (بأن تَعِدهم...) بفتح التاء وكسر العين، مضارع: «وَعَد» مسند إلى ضمير المخاطب المستتر.

(٥) قوله: (أي: لا تمسكها...) يعني: لا تبخل. فجعل اليد مغلولة؛ كناية عن البخل وعدم الإنفاق. كما تقدم في سورة المائدة: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].
والآية ناهية عن البخل، وعن الإسراف في الإنفاق، وآمرة بالاقتصاد. كما في ابن كثير.

للأول[١] ﴿مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ منقطعًا لا شيء عندك. راجع للثاني.

٣٠- ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء[٢] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ عالمًا ببواطنهم وظواهرهم، فيرزقهم على حسب مصالحهم[٣].

٣١- ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ بالوأْدِ[٤] ﴿خَشْيَةَ﴾ مخافة ﴿إِمْلَٰقٍ﴾ فقر ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا﴾ إثمًا[٥] ﴿كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ عظيمًا.

٣٢- ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ أبلغ من لا تأتوه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ قبيحًا ﴿وَسَآءَ﴾ بئس ﴿سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ طريقًا هو[٦].

---

(١) قوله: (راجع للأول). أي قوله: ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ أي: مذمومًا يلومه ويذمه الناس، راجع إلى البخل، أي: إذا بخلت ذمّك الناس، و﴿مَّحْسُورًا﴾ راجع إلى الإسراف في الإنفاق. ذكره ابن كثير، وعزاه إلى ابن عباس، وقتادة، والحسن، وغيرهم.

(٢) قوله: (يضيقه). أشار إلى أن القدر هنا بمعنى: الضيق، ويأتي بمعنيين آخرين:
١- القضاء. ٢- المنزلة والشرف.

(٣) قوله: (فيرزقهم على حسب مصالحهم...). كما قال ابن كثير: «...وقد يكون الغِنَى في حق بعض الناس استدراجًا، والفقر عقوبة، عياذًا بالله من هذا وهذا».اهـ.

(٤) قوله: (بالوَأْدِ) وهو دفن الحي. وهذا مثال؛ لأنه كان عادة بعض الجاهلية، فكذلك قتل البنات بأي وسيلة.

(٥) قوله: (إثمًا): تفسير ﴿خِطْـًٔا﴾: وزنًا ومعنًى. قال الأزهري: «يقال: خَطِئَ، يَخْطأ، خِطْئًا: إذا تعمد الخطأ، مثل: أَثِم يأثم، إثمًا. وأخطأ: إذا لم يعمد إخطاءً وخَطَأً».اهـ. نقله القرطبي.

(٦) قوله: (هو). مخصوص بالذم. وفاعل ﴿وَسَآءَ﴾: الضمير المستتر المبهم، و﴿سَبِيلًا﴾: تمييز منصوب.

(٣٣)- ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ ﴾ لوارثه(١) ﴿سُلْطَٰنًا ﴾ تسلطًا على القاتل(٢) ﴿فَلَا يُسْرِف ﴾ يتجاوز الحد ﴿فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ﴾ بأن يقتل غير قاتله(٣) أو بغير ما قتل به ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا (٣٣)﴾.

(٣٤)- ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ﴾ إذا عاهدتم الله أو الناس ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا (٣٤)﴾ عنه(٤).

(٣٥)- ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ ﴾ أتموه ﴿إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ﴾ الميزان السوي(٥)

---

(١) قوله: (لوارثه) تفسير للمراد بالولي هنا. فيدخل فيه الذكر والأنثى.

(٢) قوله: (تسلّطا) يشمل القتل والعفو والدية، وعزي إلى ابن عباس، والضحاك، وبه قال الشافعي، أي: الأولياء مخيرون بين القود والدية والعفو مجانًا. على التفصيل الذي ذكره الفقهاء، وعلى هذا يكون لفظ «السلطان» هنا قد أطلق على أكثر من معنًى في موضع واحد، وإطلاق اللفظ في أكثر من معنى في موضع واحد مختلف فيه عند الأصوليين، وأجازه الشافعية استدلالًا بهذه الآية وغيرها.

(٣) قوله: (بأن يقتل...) تصوير للإسراف المنهي عنه، ذكر المفسر صورتين للإسراف:

١- أن يقتل غير قاتله. عزاه القرطبي إلى الحسن، ومجاهد، وابن جبير، ويدخل في ذلك بالأولى أن يقتل اثنين مقابل واحدٍ.

٢- أن يقتل بغير ما قتل به، ويدخل في ذلك التمثيل بالقاتل. كما فسر بذلك طلق بن حبيب.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا (٣٣)﴾ أي: إن الولي كان منصورًا. قاله قتادة، واختاره ابن جرير، وروى عن مجاهد: «إنه كان منصورًا، أي: إن المقتول كان منصورًا، أي: بأوليائه».

(٤) قوله: (عنه). أفاد به أن ﴿مَسْـُٔولًا ﴾ اسم مفعول ونائب الفاعل الضمير العائد إلى المفعول الثاني، يقال: سُئِلَ زيدٌ عن الأمر أو الأمرَ

(٥) كما تقدم في سورة الأنعام الآية (١٥٢).

«القسطاس»: الميزان، وعن مجاهد: «العَدْل».

﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ٣٥﴾ مآلًا[١].

٣٦- ﴿وَلَا تَقۡفُ﴾ تتبع[٢] ﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ﴾ القلب ﴿كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ صاحبُه[٣] ماذا فعل به.

٣٧- ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ أي: ذا مرح بالكبر والخيلاء[٤] ﴿إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ﴾ تثقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك ﴿وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧﴾

---

(١) وقوله: (مآلًا) أي: عاقبة، كما قاله القرطبي.

(٢) ﴿وَلَا تَقۡفُ﴾: مضارع مجزوم من: «قفا، يقفو». ومعنى الآية: لا تقل ما ليس لك به علم. ذكره ابن جرير، عن ابن عباس، وقال قتادة: «لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم».اهـ.

وعن ابن الحنفية: «شهادة الزور»، وعن ابن عباس أيضًا: «لا ترمِ أحدًا بما ليس لك به علم».اهـ. وجميع التفاسير متقاربة ومتلازمة.

(٣) قوله: (صاحبه) بدل من الضمير المستتر في ﴿مَسۡـُٔولٗا﴾. الراجع إلى المكلف، واسم ﴿كَانَ﴾ الضمير الراجع إليه أيضًا، والمعنى: كان المكلف مسؤولًا عن كل أولئك، كما قاله ابن هشام.

وقيل: إن (عنه) نائب الفاعل لـ﴿مَسۡـُٔولٗا﴾ تقدم عليه، وقد يتقدم الفاعل أو نائبه على العامل إذا لم يلتبس بالمبتدأ، والكوفيون أجازوا التقدم مطلقًا. وعلى هذا يكون الضمير المستتر عائدًا إلى ﴿كُلُّ﴾.

والإشارة بـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى السمع والبصر والفؤاد، ويشار بـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى غير العاقل، كما قال الشاعر: «والعيش بعد أولئك الأيام»، والأكثر الإشارة به إلى جماعة العقلاء.

(٤) قوله: (بالكبر والخيلاء). تفسير للمراد بالمرح، وبه فسر ابن جرير. قال قتادة: «المرح: الخيلاء في المشيء»، قال القرطبي: «هذا نهي عن الخيلاء وأمر بالتواضع».اهـ. و﴿مَرَحًاۖ﴾: حال، بتقدير مضاف، كما قاله المفسر أي: ذا مرح.

المعنى[١]: أنك لا تبلغ هذا المبلغ فكيف تختال؟

(٣٨) - ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨)﴾[٢].

(٣٩) - ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ الموعظة ﴿وَلَا تَجْعَلْ[٣] مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا (٣٩)﴾ مطرودًا عن رحمة الله.

(٤٠) -[٤] ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾ أخلصكم يا أهل مكة ﴿رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾ بنات لنفسه بزعمكم ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ﴾ بذلك ﴿قَوْلًا عَظِيمًا (٤٠)﴾.

(٤١) - ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بيّـنا[٥] ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ من الأمثال، والوعد،

---

(١) قوله: (المعنى...) وبمثله قاله المفسرون، قال القرطبي: «أي: لن تخرق الأرض بكبرك ومشيك عليها، ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا (٣٧)﴾: بعظمتك، أي: بقدرتك لا تبلغ هذا المبلغ بل أنت عبد ذليل محاط بك من تحتك ومن فوقك، والمحاط محصور ضعيف، فلا يليق بك التكبر».اهـ.

(٢) قوله تعالى: ﴿مَكْرُوهًا﴾. المكروه: ما لا يرضاه الله عَزَّوَجَلَّ فهو المحرم، أما إطلاق المكروه على ما لا إثم في فعله ويثاب على تركه؛ فهو اصطلاح حادث. والإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى جميع ما ذكر من قوله تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾، وفيها مأمورات ومنهيات، ومجموعها: خمسة وعشرون خصلة. والسيء منه: اثنتا عشرة خصلة، فالمراد بـ﴿سَيِّئُهُۥ﴾: السيء منه.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ...﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والمراد كل من سمع الآية من البشر. قاله القرطبي.

(٤) الآية رد لمشركي مكة الزاعمين أن الملائكة بنات الله، وتقدم نظيره في سورة النحل وغيرها. والهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على محذوف، وتقدم نظير هذا التركيب كثيرًا.

(٥) قوله: (بينا) وبه فسر القرطبي، وقيل: كررنا.

والوعيد[١] ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ يتعظوا ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ عن الحق.

﴿٤٢﴾- ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ﴾ أي: الله ﴿ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟﴾ طلبوا ﴿إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: الله ﴿سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ ليقاتلوه[٢].

﴿٤٣﴾- ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهًا له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من الشركاء ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾.

﴿٤٤﴾- ﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾ تنزهه ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾[٣] ﴿وَإِن﴾ ما ﴿مِّن

---

(١) قوله: (من الأمثال...). «من» زائدة أو تبعيضية، وما بعدها مفعول به لـ﴿صَرَّفْنَا﴾ في المعنى.

(٢) قوله: (ليقاتلوه). يعني: طلبوا منازعة مع الله وقتالًا كما تفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض. نقل القرطبي هذا المعنى عن ابن عباس، وسعيد بن جبير.
ونقل عن قتادة: «إذا لابتغت الآلهة القُربة إلى ذي العرش، والتمست الزلفة عنده، وعبدوه، فإذا كانت هي محتاجة إلى الله وطالبة القربة عنده بطل كونها آلهة معبودة...»، وهذا المعنى اختاره ابن كثير.

(٣) ﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾، أي: الإنس والجن والملائكة. قاله القرطبي وغيره، ثم عمّم تعالى تسبيح غيرهم في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ ...﴾.
قال ابن كثير: «وهذا عام في الحيوانات والجمادات والنباتات، وهذا أشهر القولين».اهـ.
ولكن تسبيحهن بِلُغَتِهِنّ، ولذلك لا يدركه بنو آدم، إلا ما كان من باب المعجزة أو الكرامة، فيسمعونه، كما في «صحيح البخاري» عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كنا نسمع تسبيح الطعام، وهو يؤكل».
وروى الإمام أحمد عن معاذ بن أنس، أن رسول الله ﷺ دخل على قوم وهم وقوف على دوابّ لهم ورواحل، فقال لهم: اركبوها سالمة ودعوها سالمة، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق، فرُبّ مركوبة خير من راكبها، وأكثر ذكرًا منه».اهـ.
الشاهد: «وأكثر ذكرًا منه» مما يدل على أن الدواب تسبح وتذكر الله تعالى. أورد الحديثين ابن كثير. وهناك أدلة كثيرة تدل على تسبيح الجمادات أورد القرطبي شيئًا منها.

شَىۡءٍ﴾ من المخلوقات ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ﴾ ملتبسًا ﴿بِحَمۡدِهِۦ﴾ أي يقول: سبحان الله وبحمده ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ﴾ تفهمون ﴿تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ لأنه ليس بلغتكم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة.

٤٥- ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ٤٥﴾ أي: ساترًا لك عنهم[1]، فلا يرونك، نزل فيمن أراد الفتك به ﷺ[2].

٤٦- ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾ أغطية[3] ﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾ من أن يفهموا

---

(١) قوله: (ساترًا). أشار به إلى أن ﴿مَّسۡتُورٗا﴾ من باب المجاز العقليّ حيث أسند اسم المفعول إلى غير المفعول به بل إلى الفاعل الحقيقي، فالحجاب ساتر، وهذا أحد الوجهين في الآية، والوجه الثاني: أنه حقيقة، والمعنى: مستورًا عن أبصاركم، ذكرهما القرطبي وغيره.

(٢) وقوله: (نزل فيمن...) أشار به إلى ما رواه أبو يعلى في «مسنده» عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لما نزلت ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١﴾ [المسد: ١]، جاءت العوراء أم جميل -وهي امرأة أبي لهب- ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول: مذممًا أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا، ورسول الله ﷺ جالس، وأبو بكر إلى جنبه، فقال أبو بكر: «لقد أقبلَتْ هذه وأنا أخاف أن تراك، فقال: إنها لن تراني، وقرأ قرآنًا اعتصم به منها: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ٤٥﴾، قال: فجاءت حتى قامت على أبي بكر فلم تر النبي ﷺ... فانصرفت...».اهـ، باختصار. وروى مثله عن سعيد بن جبير أورده القرطبي.

(٣) قوله: (أغطية) الأكنة جمع: كِنان بمعنى: غطاء. و﴿نُفُورٗا﴾: جمع نافر، مثل شهود جمع شاهد. فيكون حالًا، ويحتمل كونه مصدرًا، مفعولًا مطلقًا لـ﴿وَلَّوۡاْ﴾. ذكرهما القرطبي.

تنبيه: إسناد الجعل إلى الله تعالى في قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ...﴾ إسناد حقيقي؛ لأن الإيمان والكفر والخير والشر كل ذلك مقدّر، كما نبهنا على ذلك في سورة البقرة عند تفسير: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ﴾ [البقرة: ٢]».اهـ.

القرآن، أي: فلا يفهمونه ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾ ثقلًا، فلا يسمعونه ﴿وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾﴾ عنه.

﴿٤٧﴾- ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ بسببه من الهزء[1] ﴿إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ﴾ إلى قراءتك ﴿وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ﴾ يتناجون بينهم، أي: يتحدثون ﴿إِذۡ﴾ بدل من «إِذۡ» قبله ﴿يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ في تناجيهم ﴿إِن﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ مخدوعًا مغلوبًا على عقله.

﴿٤٨﴾- قال تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ بالمسحور والكاهن والشاعر ﴿فَضَلُّواْ﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ طريقًا إليه.

﴿٤٩﴾- ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ منكرين للبعث ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾﴾[2].

---

(١) قوله: (بسببه) أشار أن الباء للسببية، و(من الهزء) بيان لـ«ما»، فيكون المعنى: نحن أعلم بهزئهم الذي بسببه يستمعون إليك قراءتك. نقل القرطبي عن قتادة وغيره: وكانوا يستمعون القرآن من النبي ﷺ ثم ينفرون فيقولون: هو ساحر...».اهـ.
وكانت نجواهم: قولهم: إنه مجنون، وإنه ساحر، وإنه يأتي بأساطير الأولين وغير ذلك.اهـ.
وأورد ابن كثير رواية ابن إسحٰق الطويلة في استماع أبي سفيان وأبي جهل والأخنس بن شريق ثلاث ليالٍ، حتى أثر القرآن فيهم، وكان قول أبي جهل: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه...اهـ. مما يدل على أن كفره كان للعناد والحمية، لا لخفاء الحق عليه.

(٢) ﴿وَرُفَٰتًا﴾. «الرفات»: ما تكسر وبليَ من كل شيء، كالفُتات والحُطام والرُّضاض، قاله القرطبي. ونقل عن ابن عباس: «الغبار»، وعن مجاهد: «التراب».
و﴿خَلۡقٗا﴾: مصدر مفعول مطلق لـ﴿لَمَبۡعُوثُونَ﴾، أو حال، فيكون بمعنى اسم المفعول.

(٥٠) - ﴿ ۞ قُلْ ﴾ لهم ﴿كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠)﴾[(١)].

(٥١) - ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعظم عن قبول الحياة[(٢)]، فضلًا عن العظام والرفات، فلابد من إيجاد الروح فيكم ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ﴾ إلى الحياة ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ﴾ خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ولم تكونوا شيئًا؛ لأن القادر على البدء قادر على الإعادة، بل هي أهون[(٣)] ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ يحركون[(٤)] ﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾ تعجبًا ﴿وَيَقُولُونَ ﴾ استهزاءً[(٥)] ﴿مَتَىٰ هُوَ﴾ أي: البعث ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا (٥١)﴾.

(٥٢) - ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ ﴾ يناديكم من القبور[(٦)] على لسان إسرافيل ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ ﴾

---

(١) ﴿كُونُواْ﴾. الأمر للتعجيز. والمعنى: إن عجبتم من البعث بعد أن صرتم رفاتًا فكونوا حجارة أو حديدًا أو خلقًا مما يكبر في صدوركم إن قدرتم، فلابد من بعثكم. كما يعلم من ابن جرير.

ونقل القرطبي عن علي بن عيسى ما حاصله: أن الأمر هنا للمبالغة في الإلزام، والمعنى: لو كنتم حجارة أو حديدًا لم تفوتوا على الله؛ فضلًا عن كونكم رفاتًا. وهو ظاهر كلام المفسر.

(٢) قوله: (يعظم عن قبول الحياة). أي: كالسماء والأرض والجبال. قاله قتادة.

وعن ابن عمر، وابن عباس، وأبي صالح، والحسن، وابن جبير: «الموت». أي: كونوا الموت إن استطعتم، فإن الموت سيموت.

قال ابن جبير: «وليس شيء أكبر في نفس ابن آدم من الموت».اهـ. رواه ابن جرير.

(٣) قوله: (بل هي أهون). أي الإعادة أهون من البدء بالنسبة إلى المخاطبين، أما عند الله تعالى فهما سواء.

(٤) قوله: (يحركون). يقال: نَغض رأسه، يَنْغُض ويَنْغِض: تحرَّك، وأَنْغَض: حرَّكَ.

(٥) قوله: (استهزاء) كما قال قتادة: «يحركون رؤوسهم تكذيبًا واستهزاءً».

(٦) قوله: (يناديكم...) وهي النفخة الثانية للحشر. =

فتجيبون دعوته من القبور[١] ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ بأمره[٢]، وقيل: وله الحمد[٣] ﴿وَتَظُنُّونَ إِن﴾ ما ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ لهول ما ترون.

﴿٥٣﴾- ﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾ المؤمنين ﴿يَقُولُواْ﴾ للكفار[٤]، الكلمة ﴿الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾

= قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ [قٓ: ٤١]، يُنزل الله مطرًا ينبت به الأجساد كما ينبت الحب، فإذا تكاملت الأجساد أمر الله إسرافيل فينفخ في الصور -وهي النفخة الثانية- وقد أودعت الأرواح في ثقب في الصور، فتخرج الأرواح تتوهج بين السماء والأرض، فيقول الله تعالى: «**وعزتي وجلالي، لترجعنّ كل روح إلى الجسد**»، فترجع كل روح إلى جسدها، فتدب فيه كما يدب السم في اللديغ، وتنشق الأرض عنهم، فيقومون إلى موقف الحساب...» باختصار.

(١) قوله: (فتجيبون). يفيد أن الاستفعال هنا مجرد عن معنى الطلب.

(٢) وقوله: (بأمره). قاله ابن عباس.

(٣) قوله: (قيل: وله الحمد). على هذا يكون جملة اعتراضية قصد به الثناء على الله، نقل نحوه القرطبي عن أبي سهل، وقيل: حامدين الله بألسنتكم، ولكن لا ينفع ذلك الكفار، قاله ابن جبير.

(٤) قوله: (للكفار). على هذا التقدير يكون معنى الآية: قل لعبادي المؤمنين يقولوا إذا جادلوا الكفار أن يقولوا الكلمة التي هي أحسن، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾ [الأنعام: ١٠٨]، أو أن يقولوا للكافر إذا تشطط: هداك الله، يرحمك الله -مثلًا-، وبمثل ذلك فسره البيضاوي، وعزاه القرطبي إلى الحسن، ويناسبه ما ذكره الثعلبي، والماوردي، وابن عطية، والواحدي، من أن الآية نزلت في عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وذلك أن رجلًا من العرب شتمه، وسبه عمر، وهمّ بقتله، فكادت تثير فتنة، وكذا ما قاله الكلبي من أنها نزلت لما استأذن المسلمون للنبي ﷺ لقتال الكفار لما طال إيذاؤهم، فقال: «**لم أؤمر بعدُ بالقتال**».

وعلى هذا التفسير تكون الآية منسوخة بآية القتال، وتكون الآية التالية ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ في شأن الكفار، وتفسيرًا للكلمة الحسنة، كما قال المفسر. =

إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ﴾ يفسد ﴿بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴿٥٣﴾﴾ بيّن العداوة، والكلمة التي هي أحسن هي:

﴿٥٤﴾- ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ بالتوبة والإيمان ﴿أَوْ إِن يَشَأْ﴾ تعذيبكم ﴿يُعَذِّبْكُمْۚ﴾ بالموت على الكفر ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾ فتجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالقتال.

﴿٥٥﴾- ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ﴾ فيخصهم بما شاء على قدر أحوالهم ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ﴾ بتخصيص كل منهم بفضيلة كموسى بالكلام، وإبراهيم بالخلة، ومحمد بالإسراء[(١)]

= والمعنى: قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها، ولا تصرحوا بأنهم من أهل النار فإنه يهيجهم على الشر. كما قاله البيضاوي. ولكن ذهب ابن كثير وغيره إلى أن هذه الآية في شأن خطاب المؤمنين بعضهم مع بعض، قال ابن كثير: «يأمر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عبده ورسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم... ولذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه بحديدة...». اهـ.وهذا أيضًا ظاهر كلام ابن جرير.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ ...﴾. جملة تعليلية لمفهوم قوله: ﴿يَقُولُوا۟ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ﴾ أي: لا تقولوا الكلام الخشن؛ لأن الشيطان ينزغ. كما قاله الصاوي. و﴿يَقُولُوا۟﴾ مجزم على أنه جواب الأمر، وقيل: بتقدير لام الأمر.

(١) قوله: (ومحمد بالإسراء...). أي: وبالخلّة والكلام أيضًا. وبأمور كثيرة، وذكرنا شيئًا من ذلك في كتاب: «لوامع الدرر»، قال ابن كثير: «وهذا لا ينافي ما ثبت في «الصحيحين»: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تفضلوا بين الأنبياء**»، لأن المراد بذلك التفضيل بمجرد التشهي والعصبية، لا بمقتضى الدليل، ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء، وأولو العزم أفضل الرسل، ومحمد ﷺ أفضلهم».اهـ. ملخصًا.

﴿وَءَاتَيْنَا (١) دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾.

﴿٥٦﴾- ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أنهم آلهة(٢) ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ كالملائكة(٣) وعيسى وعزيرًا ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ له إلى غيركم.

﴿٥٧﴾- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هم آلهة(٤) ﴿يَبْتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ القربة بالطاعة ﴿أَيُّهُمْ﴾ بدل من واو(٥) «يَبْتَغُونَ»، أي: يبتغيها

---

(١) وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَا...﴾. تنبيه على فضل داود، وفي البخاري: قال ﷺ: «**خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج**»، فكان يقرؤه قبلَ: أن تفرغ». أورده ابن كثير.

(٢) قوله: (أنهم آلهة). قدره ليكون سادًّا مسدّ مفعولي «زعم»، وحذف للعلم بهما، فيكون في الكلام إيجاز حذف.

(٣) وقوله: (كالملائكة...) إشارة إلى ما روي عن ابن عباس، قال: «:ان أهل الشرك يقولون: نعبد الملائكة، والمسيح، وعزيرًا...».اهـ. وعن الحسن: «يعني الملائكة، وعيسى، وعزيرًا».اهـ. فبين الله تعالى: أن الذي يملك كشف الضر هو الله وحده، كما أفاده ابن كثير. وقال القرطبي: «لما ابتليت قريش بالقحط سبع سنين، وشكوا إلى رسول الله ﷺ ذلك أنزل الله هذه الآية»، وعزاه إلى مقاتل.

(٤) قوله: (هم آلهة). «هم»: مفعول لـ﴿يَدْعُونَ﴾، وآلهة: حال. أو هما مفعولان لـ﴿يَدْعُونَ﴾، إذا كان بمعنى: يعتقدون. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: بدل، و﴿يَدْعُونَ﴾ صلة الموصول، و﴿يَبْتَغُونَ﴾: خبر لمبتدأ. على ما ذهب إليه المفسر.

(٥) قوله: (بدل من واو). يعني: أن ﴿أَيُّهُمْ﴾ هنا اسم موصول، وهو بدل من واو ﴿يَبْتَغُونَ﴾ بدل بعض. والمعنى: إن الذين يدعونهم -الأقرب منهم إلى ربهم- يطلبون القرب من الله بالطاعة، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، فغير الأقرب أولى بالطاعة والخوف والرجاء، فإذا كان هذا حال المعبودين، فكيف يعبدونهم؟ والمعبودون في أنفسهم يعبدون ربهم ويخافونه؟ كما أشار إليه المفسر بقوله: (فكيف تدعونهم آلهة؟). =

الذي هو ﴿أَقۡرَبُ﴾ إليه فكيف بغيره ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ كغيرهم، فكيف تدعونهم آلهة؟ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾.

٥٨- ﴿وَإِن﴾ ما[١] ﴿مِّن قَرۡيَةٍ﴾ أريد أهلها[٢] ﴿إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ بالموت[٣] ﴿أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ﴾ بالقتل وغيره ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ اللوح المحفوظ[٤] ﴿مَسۡطُورٗا ٥٨﴾ مكتوبًا.

٥٩- ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ﴾ التي اقترحها أهل مكة[٥] ﴿إِلَّآ أَن

= وأشار المفسر بقوله: (أي: يبتغيها الذي هو...) إلى كون «أيّ» هنا موصولة، وأقرب خبر لمبتدأ محذوف قدره بقوله: (هو)، والجملة صلة: «أيّ». ويحتمل كون «أيّ» استفهامية مبتدأ، و﴿أَقۡرَبُ﴾ خبره، على تقدير: ينظرون أيهم أقرب. وذكر الوجهين المعربون؛ كأبي حيان، ومحي الدين الدرويش.

(١) قوله: (ما): أشار به إلى أن «إنْ» نافية.

(٢) قوله: (أريد أهلها). أي: فيكون من باب المجاز المرسل.

(٣) قوله: (بالموت) أشار به إلى ما روي عن مقاتل: «القرية الصالحة إهلاكها بالموت، والطالحة بالعذاب»، وروي نحوه مجاهد.

(٤) قوله: (اللوح المحفوظ) كذا فسر به ابن جرير والقرطبي وغيرهما، ورواه ابن جرير عن ابن زيد.

(٥) قوله: (التي اقترحها أهل مكة) روى أحمد والنسائي عن ابن عباس، قال: «سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وأن ينحي الجبال عنهم، فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن نستأني بهم، وإن شئت أن يأتيهم الذي سألوه، فإن كفروا هلكوا كما أهلكت من كان قبلهم من الأمم، قال: لا، بل استأنِ بهم».

وأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ...﴾ الآية. اهـ. وروي مثله -بأوسع منه- عن قتادةَ، وابن جريج وغيرهما، ذكر ذلك ابن كثير.

كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ لما أرسلناها، فأهلكناهم. ولو أرسلنا إلى هؤلاء لكذبوا بها، واستحقوا الإهلاك، وقد حكمنا بإمهالهم لإتمام أمر محمد ﷺ ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ آية[١] ﴿مُبۡصِرَةٗ﴾ بينة واضحة[٢] ﴿فَظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿بِهَاۚ﴾ فأهلكوا ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخۡوِيفٗا ۝٥٩﴾ للعباد، فيؤمنوا.

٦٠- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾ علمًا وقدرة، فهم في قبضته فبلِّغْهم[٣]، ولا تخف أحدًا، فهو يعصمك منهم ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ﴾ عيانًا[٤] ليلة الإسراء ﴿إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ أهل مكة إذ كذبوا بها، وارتد

---

(١) قوله: (آية) قدره ليكون موصوفًا لـ﴿مُبۡصِرَةٗ﴾، ففيه إيجاز حذف.

(٢) قوله: (بينة واضحة) تفسير لـ﴿مُبۡصِرَةٗ﴾، ففيه نوع مجاز عقلي، من إسناد اسم الفاعل إلى المفعول به، كما في نحو: ﴿عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٢١﴾ [الحاقة: ٢١]. والله أعلم.

(٣) قوله: (فبلغهم ولا تخف...) أشار به إلى أن الآية حضٌّ للنبي ﷺ على التبليغ وإعلام له أنه قد عصمه الله تعالى من الناس، وكذلك فسرها ابن جرير، وروى معناه عن قتادة، والحسن، ومجاهد وغيرهم.

(٤) قوله: (عيانًا) أفاد به أن ﴿ٱلرُّءۡيَا﴾ هنا بمعنى: رؤية العين، كما روى البخاري عن ابن عباس، قال: «هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به»، والأكثر مجيء «الرؤية» مصدرًا لـ«رأى» البصرية. و«الرؤيا» لـ«رأى» المنامية.

فائدة: «رأى» تأتي على أربعة أوجه أو أكثر:

١- رأى: العلمية: تتعدى إلى مفعولين، من أخوات «ظن»، مصدره: الرأي، نحو: رأيت الله أكبر كل شيء.

٢- رأى: الحلمية المنامية، تتعدى إلى مفعولين، مصدرها: الرؤيا، نحو: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف: ٣٦]. =

بعضهم، لما أخبرهم بها[١] ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ وهي الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم[٢]، «جعلناها فتنة لهم»، إذ قالوا[٣]: النار تحرق الشجر، فكيف تنبته؟ ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بها ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تخويفنا ﴿إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾.

﴿٦١﴾- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ سجود تحية بالانحناء[٤] ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ نصب بنزع الخافض[٥]، أي: من طين.

﴿٦٢﴾- ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ﴾ أي: أخبرني[٦] ﴿هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ﴾ فضلت ﴿عَلَىَّ﴾

= ٣- رأى: البصرية، تتعدى إلى مفعول واحد، مصدرها: الرؤية، وقد تأتي «رؤيا» كما هنا، نحو: رأيت الهلال.

٤- رأى: المذهبية، تتعدى إلى مفهول واحد، ومصدرها: الرأي، نحو: رأي الشافعي حلَّ كذا.

٥- رأى الرجلَ، بمعنى: أصاب رئته؛ فهي متعدية إلى مفعول واحد، ومصدره: الرأي أيضًا، واستعمال «رأى» لهذا المعنى قليل. وتقدم ذكر هذه المعاني في سورة يوسف الآية (٤).

(١) قوله: (وارتد بعضهم). ذكر ذلك ابن جرير، والقرطبي بدون عزو.

(٢) قوله: (هي الزقوم). روي عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وابن جبير، وغيرهم، واستشهد المفسّر لذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [صَ: ٦٣].

(٣) وقوله: (إذ قالوا...) قال ذلك أبو جهل ومن معه، كما روى ذلك ابن جرير من عدة طرق، وفسر بذلك.

(٤) قوله: (سجود تحية). كما تقدم في تفسير سورة البقرة وغيرها.

(٥) قوله: (بنزع الخافض...). أي: كما ورد في سورة الأعراف: ﴿وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [١٢]. وفي الحجر: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ [٢٦].

(٦) قوله: (أخبرني). تقدم وجه كون «أرأيت» بمعنى: أخبرني، وأنه نوع من المجاز في سورة الأنعام الآية (٤٠).

بالأمر بالسجود له، و«﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ﴾» [الأعراف: ١٢](١)، ﴿لَئِنۡ﴾ لام قسم(٢) ﴿أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ﴾ لأستأصلن(٣) ﴿ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ بالإغواء ﴿إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢﴾ منهم ممن عصمته.

٦٣- ﴿قَالَ﴾ تعالى له: ﴿ٱذۡهَبۡ﴾ منظرًا إلى وقت النفخة الأولى(٤) ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ﴾ أنت وهم(٥) ﴿جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ٦٣﴾ وافرًا(٦) كاملًا.

---

(١) قوله: ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ﴾. هذا توجيه لكونه خيرًا على زعمه.

(٢) قوله: (لام قسم). أي: فالتقدير: والله لئن...؛ فاجتمع القسم والشرط، والجواب للمتقدم، وهو القسم، وجوابه: ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ﴾، دل على جواب الشرط، كما تقدم نظير ذلك في مواضع.

(٣) قوله: (لأستأصلن). وبمثله فسر ابن جرير حيث قال: «لأستولين عليهم، ولأستأصلنهم، ولأستميلنهم»، وعزا ذلك إلى أهل التأويل.

يقال: احتنك الجراد الأرض: إذا أكل ما عليها. واحتنك فلان ما عند فلانٍ من مال أو علم: أخذه كلّه.

(٤) قوله: (إلى وقت النفخة الأولى) كما فسر بذلك قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٣٨﴾ [الحجر: ٣٨].

(٥) قوله: (أنت وهم)، تفسير للمراد بضمير الخطاب.

(٦) وقوله: (وافرًا). تفسير للمراد بـ﴿مَّوۡفُورٗا﴾. يقال: وفرته، أَفِرُه، وَفْرًا، وَفَرَ المالُ، يَفِرُ، وفورًا، فهو لازم ومتعدّ، قاله القرطبي. ومصدر اللازم: وفور، ومصدر المتعدي: وفر. كما يقال: وقفه وقفًا، ووقف فلان وقوفًا.

وفي الآية: ﴿مَّوۡفُورٗا﴾: اسم مفعول، فسره المفسر باسم الفاعل؛ لتوضيح المعنى، لا للإشارة إلى أن فيه مجازًا عقليًّا، كما في ﴿حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ٤٥﴾، حيث فسره بـ(ساترًا)، للإشارة إلى أن فيه مجازًا عقليًا كما تقدم في الآية (٤٥).

(٦٤)- ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ﴾ استخف[١] ﴿مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾ دعائك بالغناء[٢] والمزامير، وكل داع إلى المعصية ﴿وَأَجۡلِبۡ﴾ صِحْ[٣] ﴿عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ وهم الرُّكَّاب[٤] والمشاة في المعاصي ﴿وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ﴾ المحرمة كالربا والغصب[٥] ﴿وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ من الزنى[٦]

(١) قوله: (استخفّ) بتشديد الفاء وفتحها، أمر من الاستخفاف، وهو الاستجهال، قال القرطبي: «هذا أمر تعجيز، أي: أنت لا تقدر على إضلال أحد، وليس لك على أحد سلطان فافعل ما شئت».اهـ.

(٢) قوله: (دعائك...) روى عن مجاهد: «المراد بالصوت هنا: صوت الغناء والمزامير»، وعن ابن عباس: «صوته: كل داعٍ دعا إلى معصية الله».اهـ. رواهما ابن جرير، ورجح الثاني. ففي كلام المفسر إشارة إلى التفسيرين.

(٣) قوله: (صِح) أمر من: صاح، يصيح. الجلَبُ والجلبة: الصوت. وأصل الإجلاب: السوق بجلبة من السائق، والمعنى: أجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكائدك. قاله القرطبي.

(٤) قوله: (وهم الركاب...). الركّاب: بتشديد الكاف، جمع: راكب. والمشاة: جمع ماش. وروي هذا المعنى عن مجاهد، قال: «كل راكب وماش في معاصي الله».اهـ. ونحوه عن قتادة وابن عباس بألفاظ متقاربة.

(٥) قوله: (المحرّمة كالربا) كما روى عن مجاهد، وعطاء، والحسن وغيرهم بألفاظ متقاربة. والمعنى: اجعل لنفسك شركة في الأموال والأولاد. فشركته في الأموال إنفاقها في معصية الله، كما روي عن الحسن، أو إصابتها من غير حلالٍ، كما روي عن مجاهد.
وعن ابن عباس: «ما كانوا يحرمونه من البحيرة والسائمة والوصيلة والحام».
وعن الضحاك: «ما كانوا يذبحونه لآلهتهم». ورجح ابن جرير كون المراد كلّ ذلك.

(٦) قوله: (من الزنى) أي: المراد المشاركة في الأولاد: أولاد الزنى، كما روى عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك.
وعن ابن عباس أيضًا: «ما قتلوا من الأولاد»، وعن قتادة: «صبغة أولادهم كفارًا حتى هوَّدوهم ونصَّروهم»، ورجح ابن جرير تعميم هذه الأقوال كلها.

﴿وَعِدۡهُمۡۚ﴾[1] بأن لا بعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا ٦٤﴾ باطلًا.

٦٥- ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ المؤمنين[2] ﴿لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ﴾ تسلط وقوة ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ٦٥﴾[3] حافظًا لهم منك.

٦٦- ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي﴾ يُجْري[4] ﴿لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ السُّفُن ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ تعالى بالتجارة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٦٦﴾ في تسخيرها لكم.

٦٧- ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾ الشدة ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ خوف الغرق[5] ﴿ضَلَّ﴾ غاب عنكم ﴿مَن تَدۡعُونَ﴾ تعبدون من الآلهة[6]، فلا تدعونه ﴿إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾ تعالى، فإنكم

(١) ﴿وَعِدۡهُمۡۚ﴾ الواو عاطفة، و«عد» أمر من الوعد، و«هم» مفعول به، فهذه جملة مكونة من أربع كلمات، أو خمس، وهي كلها خمسة أحرف.

(٢) قوله: (المؤمنين) كما قاله ابن عباس. وهم المستثنون في قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾.

(٣) ﴿بِرَبِّكَ﴾ الباء زائدة مؤكدة داخلة في فاعل ﴿وَكَفَىٰ﴾. و﴿وَكِيلٗا﴾ تمييز منصوب.

(٤) قوله: (يُجري) بضم الياء، من الإجراء، وبه فسر ابن عباس وغيره، والإزجاء: السوق، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا﴾ [النور: ٤٣].
والفلك يطلق على المفرد والجمع، والمراد هنا: الجمع، والبحر: الماء الكثير المجتمع عذبًا كان أو ملحًا وغلب إطلاقه على الملح. أفاد كل ذلك القرطبي. وهذه الآية تذكير لآلاء الله على عباده، أي: ربكم الذي أنعم عليكم بكذا وكذا، فلا تشركوا به.

(٥) قوله: (خوف الغرق). تفسير لـ﴿ٱلضُّرُّ﴾، ولعل المراد ذكر مثالٍ للضر، وإلا فهو يعم خوف الغرق والإمساك عن الجري وأهوال حالات البحر.

(٦) قوله: (تعبدون من الآلهة). ظاهر كلام المفسر أن الاستثناء منقطع، وذلك بأن يحمل ﴿مَن تَدۡعُونَ﴾ على الآلهة الباطلة، ولذا قدر قوله: (فلا تدعونه). =

تدعونه وحده؛ لأنكم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ﴾ من الغرق وأوصلكم ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن التوحيد ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ جحودًا للنعم.

﴿٦٨﴾- ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ أي: الأرض[1]، كقارون ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: نرميكم بالحصباء، كقوم لوط ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾ حافظًا منه.

﴿٦٩﴾- ﴿أَمْ أَمِنتُمْ[2] أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ أي: البحر ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ أي: ريحًا شديدة لا تمرّ بشيء إلّا قصفته فتكسر فُلككُمْ ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بكفركم[3] ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟[4] لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ ناصرًا

= وقوله: (فإنكم تدعونه وحده)، فتكون إلا بمعنى: لكن. ويحتمل كون الاستثناء متصلًا وذلك بأن يحمل ﴿مَن تَدْعُونَ﴾ على الآلهة الحق والباطل..

(١) قوله: (الأرض) تفسير لـ﴿ٱلْبَرِّ﴾، والخسف الانهيار بالشيء، يقال: بئر خسيف: إذا انهدم أصلها، وعين خاسف: أي غارت حدقتها في الرأس، وعين من الماء خاسفة، أي غار ماؤها، بيّنت الآية: أن الله تعالى قادر على إهلاكهم في البر وإن سلموا من البحر، فما بالهم أنهم أشركوا لما سلموا من البحر.

(٢) ﴿أَمْ أَمِنتُمْ﴾ الظاهر أن ﴿أَمْ﴾ هنا منقطعة تتضمن معنى الإضراب والاستفهام الإنكاري؛ لأن الهمزة السابقة في قوله: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ﴾ ليست للتسوية ولا للتعيين، بل كل من الآيتين استفهام توبيخي مستقلة، ومن المعربين من جعل ﴿أَمْ﴾ هنا متصلة عاطفة، وذلك بجعل الهمزة للتعيين، والمعنى: أي الأمرين تأمنون؟ والأولى: الوجه الأول؛ لأن معنى التعيين هنا غير متجه، بل المراد التقريع بكل من الأمرين جميعًا، والله أعلم.

(٣) قوله: (بكفركم) أفاد أن «ما» مصدرية.

(٤) وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟﴾ في الموضعين منصوب عطفًا على الفعل السابق.

وتابعًا[١] يطالبنا بما فعلنا بكم.

(٧٠)- ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا ﴾ فضّلنا ﴿بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ بالعلم والنطق[٢]، واعتدال الخلق وغير ذلك. ومنه[٣]: طهارتهم بعد الموت، ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ ﴾ على الدواب[٤] ﴿وَٱلْبَحْرِ ﴾ على السفن ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا ﴾ كالبهائم والوحوش ﴿تَفْضِيلًا (٧٠)﴾ فـ«من» بمعنى «ما»[٥]، أو على بابها[٦]،

(١) قوله: (ناصرًا) روي عن ابن عباس.
وقوله: (أو تابعًا). روي نحوه عن مجاهد، وقتادة.

(٢) قوله: (بالعلم والنطق...). أشار به إلى أنواع ما ورد عن السلف في تفسير التكريم، فعن الضحاك: «بالنطق والتمييز»، وعن عطاء: «باعتدال القامة»، وعن ابن عباس: «بأن يأكل بيده، وسائر الحيوان يأكل بالفم». قال الطبري: «بتسليطه على سائر الخلق». وقيل: بالكلام والخط، واختار القرطبي: «بالعقل»، وهو قريب من قول الضحاك.

(٣) وقوله: (ومنه:...) أي: من تكريم بني آدم طهارتهم بعد الموت، سواء المؤمن والكافر: على ما هو مذهب جماهير العلماء، وسائر الحيوانات ينجس بالموت، إلا السمك والجراد، باتفاق لكونهما مأكولين، لا لكرامتهما، وما لا نفس له سائلة كالحشرات عند بعض العلماء، وذلك لعموم البلوى.

(٤) قوله: (على الدواب) أي: مثلًا، ويدخل في عموم الآية ركوبهم الطائرات؛ لأنها تطير فوق البر والبحر، فالسير على المراكب من خواص بني آدم؛ كما أن الأكل من الطيبات وأنواع المأكولات الطرية والمطبوخة من خواصهم أيضًا.

(٥) وقوله: (فـ«من» بمعنى «ما») يعني: أن «من» في قوله تعالى: ﴿مِّمَّنْ خَلَقْنَا ﴾ لغير العاقل، بمعنى: «ما»، إذا كان المراد بيان تفضيل بني آدم على البهائم والوحوش.

(٦) وقوله: (أو على بابها) هذا وجه آخر، فيكون «من» للعقلاء، على ما هو الأصل في استعمالها، ويكون المراد بيان تفضيل جنس البشر على جنس الملائكة، فالأنبياء من جنس البشر، وهم أفضل من جنس الملائكة عند كثير من أهل العلم، وأشار إلى ذلك ابن كثير، =

وتشمل الملائكة، والمراد تفضيل الجنس، ولا يلزم تفضيل أفراده إذ هم[(١)] أفضل من البشر غير الأنبياء.

(٧١)- اذكر ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ نبيهم[(٢)]، فيقال: يا أمة فلان، أو بكتاب أعمالهم، فيقال: يا صاحب الخير، يا صاحب الشر، وهو يوم القيامة ﴿فَمَنْ أُوتِيَ﴾ منهم ﴿كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾، وهم السعداء أولو البصائر في الدنيا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿فَتِيلًا (٧١)﴾ قدر قشرة النواة[(٣)].

(٧٢)- ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ﴾ أي: الدنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾ عن الحق[(٤)] ﴿فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ عن طريق النجاة وقراءة الكتاب ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢)﴾ أبعد طريقًا عنه.

= وقد أطنب علم الكلام هذه المسألة، وليست من المسائل الضرورية ولذا قد تحاشى طائفة من الخوض فيها، كما ذكر ذلك القرطبي وغيره.

(١) قوله: (إذ هم) أي: الملائكة.

(٢) قوله: (نبيّهم) تفسير للإمام، وذكر المفسر هنا له تفسيرين: الأول: المراد به نبيهم. وهو قول مجاهد، وقتادة. الثاني: كتاب أعمالهم. قاله ابن عباس، والحسن، وقيل: كتابهم الذي أنزل عليهم. روي عن ابن زيد.

(٣) قوله: (قدر قشرة النواة) لعل المراد به الخيط الذي في شق النواة؛ لأنه المسمى بالفتيل، أما القشرة المغطية للنواة فتسمى: قِطْمِيرًا، والنقطة التي في ظهر النواة تسمى: نقيرًا. كما تقدم في سورة النساء.

(٤) قوله: عن الحق) أشار به إلى أن العمى هنا عمى البصيرة لا عمى البصر، ويعتبر من المجاز. وظاهر كلام المفسر أن المعنى: من عَمِيَ عن الحق في الدنيا بعث يوم القيامة أعمى، كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤)﴾ [طه: ١٢٤].اهـ.

وقيل: المعنى: من عمي عن آيات الله في الدنيا التي هي مشاهدة فهو أعمى عن أمور الآخرة التي لم يشاهدها. ذكره القرطبي.

(٧٣)- ونزل في ثقيف[١]، وقد سألوا ﷺ أن يحرّم واديهم وألحّوا عليه: ﴿وَإِن﴾ مخففة[٢] ﴿كَادُواْ﴾ قاربوا ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ ليستزلُّونك ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا﴾ لو فعلت ذلك ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣)﴾.

(٧٤)- ﴿وَلَوْلَآ﴾[٣] أن ﴿ثَبَّتْنَٰكَ﴾ على الحق بالعصمة ﴿لَقَدْ كِدتَّ﴾ قاربت ﴿تَرْكَنُ﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا﴾ ركونًا[٤] ﴿قَلِيلًا (٧٤)﴾ لشدة احتيالهم وإلحاحهم، وهو صريح في أنه ﷺ لم يركن ولا قارب[٥].

(٧٥)- ﴿إِذًا﴾ لو ركنت ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ﴾ عذاب[٦] ﴿ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ﴾

---

(١) قوله: (ونزل في ثقيف) ما ذكره من سبب النزول عزاه القرطبي إلى ابن عباس في رواية عطاء، قال: «أتوا إلى النبي ﷺ، فسألوه شططًا، وقالوا: متّعنا بآلهتنا سَنةً حتى نأخذ ما يُهدى لها، فإذا أخذناه كسرناها وأسلمنا، وحرِّمْ وادينا كما حرّمت مكة، حتى تعرف العرب فضلنا عليهم؛ فهمَّ رسولُ الله أن يعطيهم ذلك فنزلت هذه الآية».اهـ. وفي سبب النزول أقوال أخر.

(٢) قوله: (مخففة) أي: فهي حرف توكيد، مهملة، وإهمال المخففة أكثر من إعمالها.

(٣) ﴿وَلَوْلَآ﴾ هنا امتناعية شرطية، و﴿أَن﴾ والفعل في تأويل مصدر مبتدأ حذف خبره، والتقدير: ولولا تثبيتنا إياك حاصل.

(٤) قوله: (ركونًا) أفاد به أن ﴿شَيْـًٔا﴾ منصوب على أنه مفعول مطلق.

(٥) قوله: (وهو صريح...) أي قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ ...﴾ يدل على ذلك؛ لأن «لولا» تفيد امتناع الجواب لوجود الشرط، فيكون المعنى: امتنع مقاربتك للركون إليهم لوجود تثبيت الله إياك وعصمتِهِ لك. ونقل القرطبي عن ابن عباس، قال: «كان النبي ﷺ معصومًا، ولكن هذا تعريف للأمة لئلا يركن أحد منهم إلى المشركين في شيء من أحكام الله تعالى وشرائعه».اهـ.

(٦) قوله: (عذاب) أفاد به إلى تقدير مضاف، فيكون الكلام من باب الإيجاز.

عذاب ﴿ٱلۡمَمَاتِ﴾ أي: مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة[١] ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ٧٥﴾ مانعًا منه.

٧٦- ونزل[٢] لما قال له اليهود: إن كنت نبيًّا فالحق بالشام، فإنها أرض الأنبياء ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض المدينة ﴿لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا﴾ لو أخرجوك ﴿لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ﴾ فيها ﴿إِلَّا قَلِيلٗا ٧٦﴾ ثم يهلكون.

٧٧- ﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ﴾ أي: كسنتنا فيهم[٣] من إهلاك

---

(١) وقوله: (أي: مثلي ما...) وبمثله ورد التفسير عن ابن عباس، ومجاهد وغيرهما. قال القرطبي: «كلما كانت الدرجة أعلى كان العذاب عند المخالفة أعظم، قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ [الأحزاب: ٣٠]».اهـ.

(٢) قوله: (ونزل...). ما ذكره من سبب النزول عزاه القرطبي إلى ابن عباس. قال: «حسدت اليهود مقام النبي ﷺ بالمدينة، فقالوا: إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام، فإن كنت نبيًّا فالحق بها، فإنك إن خرجت إليها صدّقنا وآمنا بك، فوقع ذلك في قلبه لما يحب من إسلامهم، فرحل من المدينة على مرحلة، فأنزل الله هذه الآية».اهـ.

وروى ابن جرير مثل هذا عن طريق المعتمر بن سليمان في إسناده من لم يُسمّ. وأورد السيوطي في أسباب النزول نحو ذلك عن البيهقي، وابن أبي حاتم، وقال: «هذا مرسل ضعيف».

وعلى هذا القول تكون الآية مدنية، وقال مجاهد، وقتادة: الآية نزلت في همّ أهل مكة بإخراجه، ولو أخرجوه لما أمهلوا، ولكن الله أمره بالهجرة فخرج، ومع ذلك ما لبثوا بعد هجرته ﷺ إلا قليلًا، فقد قُتلوا يوم بدر، وهذا القول -أي كون الآية مكية- نزلت في أهل مكة، هو الذي رجحه ابن جرير، وابن كثير، والقرطبي، وغيرهم.

(٣) قوله: (كسنتنا). أشار به إلى أن ﴿سُنَّةَ﴾ منصوب بنزع الخافض، ويصح كونه منصوبًا على أنه مفعول مطلق أي، نعت للمصدر المحذوف، والتقدير: سنّ الله ذلك سُنَّة، كسنة من قد أرسلنا. =

من أخرجهم ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۝٧٧﴾ تبديلًا[(١)].

۝٧٨- ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ أي: من وقت زوالها[(٢)] ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ إقبال ظلمته، أي: الظهر والعصر والمغرب والعشاء ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾[(٣)] صلاة الصبح ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾ تشهده ملائكة الليل، وملائكة النهار[(٤)].

۝٧٩- ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾ فصلّ ﴿بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ فريضة

= وأشار المفسر بقوله: (كسنتنا فيهم) إلى أن ﴿سُنَّةَ﴾ مضاف إلى المفعول في المعنى، والفاعل محذوف.

(١) قوله: (تبديلًا). كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۝٧٧﴾ [الأحزاب: ٦٢].

(٢) قوله: (أي: من وقت زوالها) أفاد المفسر أمرين:

الأول: أن اللام في ﴿لِدُلُوكِ﴾ بمعنى من الابتدائية.

والثاني: الدلوك بمعنى الزوال، أي: زوال الشمس من وسط النهار؛ كما روي ذلك عن ابن عباس، وابن عمر، وأبي برزة، والحسن وغيرهم، فيدخل في ذلك: الظهر والعصر والمغرب والعشاء، كما قال المفسر.

(٣) ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾: هي صلاة الصبح معطوف على الصلاة، فيكون في الآية ذكر الصلوات الخمس إجمالًا، قال ابن كثير: «وقد تواتر من أقواله وأفعاله ﷺ تفاصيل هذه الأوقات على ما عليه أهل الإسلام اليوم، مما تلقوه خلفًا عن سلفٍ وقرنًا بعد قرن».اهـ. ملخصًا.

وروي عن ابن عباس أيضًا وغيره: أن الدلوك: الغروب. والقول الأول: هو الأشهر وهو الذي رجحه ابن جرير، ومشى عليه ابن كثير وغيره.

(٤) قوله: (تشهده ملائكة...) كما في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفيهما أيضًا عنه عن النبي ﷺ قال: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح، وفي صلاة العصر**...». الحديث. [البخاري (٥٣٠)].

زائدة لك[١] دون أمتك، أو فضيلة على الصلوات المفروضة[٢] ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ﴾ يقيمك ﴿رَبُّكَ﴾ في الآخرة ﴿مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ يحمدك فيه الأولون والآخرون، وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء[٣].

﴿٨٠﴾- ونزل لما أمر بالهجرة[٤]: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي﴾ المدينة ﴿مُدۡخَلَ صِدۡقٖ﴾

(١) قوله: (فريضة زائدة...) على هذا تكون ﴿نَافِلَةٗ﴾ بالمعنى اللغوي أي: زائدة، والتهجد كان فرضًا عليه دون أمته ﷺ، كما روي عن ابن عباس وغيره، واختاره ابن جرير.

(٢) وقوله: (أو فضيلة...) تفسير آخر، لـ﴿نَافِلَةٗ﴾، فعلى هذا، النافلة بمعنى: التطوع والمندوب، وسميت ﴿نَافِلَةٗ﴾ لأنها في حقه ﷺ لرفع الدرجات، لا لتكفير الذنوب لعصمته ﷺ، روي ذلك عن مجاهد.

تنبيه: التهجد: ترك الهجود، أي: النوم، فالتهجد التيقظ، وصلاة التهجد هي الصلاة بعد النوم، وأما قيام الليل فهو لفظ يشمل أنواعًا من الصلوات:

منها: الوتر، أقلها ركعة وأكثرها إحدى عشرة، مشروعة طول السنة.

ومنها: التراويح، وهي عشرون ركعة في رمضان خاصة. وتسمى: قيام رمضان.

ومنها: التهجد: وهي الصلاة بعد النوم.

ومنها: النافلة المطلقة، فكل هذه يصدق عليها صلاة الليل أو قيام الليل.

وبين الوتر والتراويح فروق كثيرة، لخَّصْناها في نظمٍ.

(٣) قوله: (وهو مقام الشفاعة...) هذا هو التفسير المشهور للمقام المحمود، روي عن ابن عباس، وأبي هريرة، ومجاهد، وقتادة، والحسن، وغيرهم. واختاره ابن جرير، وعامة المفسرين، وورد في ذلك حديث الشفاعة الطويل بطرق مختلفة.

وعن مجاهد في معنى المقام المحمود: «هو إجلاسه ﷺ على عرش الرحمن، وروي في ذلك حديث».

قال القرطبي: «إذا ثبت ذلك فليس فيه ما يحيله العقل والشرع؛ فالعرش خلق من خلقه تعالى، وله أن يكرم محمدًا ﷺ بإجلاسه عليه...».اهـ. ملخصًا.

(٤) قوله: (ونزل...) ما ذكره من سبب النزول ومعنى الآية مرويّ عن ابن عباس، رواه =

إدخالًا مرضيًّا لا أرى فيه ما أكره ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ من مكة ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ إخراجًا لا ألتفت بقلبي إليها ﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ قوة تنصرني بها على أعدائك.

﴿٨١﴾- ﴿وَقُلْ﴾ عند دخولك مكة[(١)] ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ الإسلام[(٢)] ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ بطل الكفر[(٣)] ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ مضمحلًّا زائلًا. وقد دخلها ﷺ وحول البيت ثلاثمائة وستون صنمًا، فجعل يطعنها بعُودٍ في يده، ويقول ذلك حتى سقطت، رواه الشيخان[(٤)].

= ابن جرير، والترمذي، وعلى هذا تكون الآية مكية نزلت قبل الهجرة، ويكون المراد بـ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾: دخول المدينة، و﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾: الخروج من مكة مهاجرًا. وهذا المعنى هو الذي اختاره ابن جرير.

وأشار المفسر بقوله: (إدخالًا) أن ﴿مُدْخَلَ﴾ مصدر ميميّ أضيف لما بعده من باب إضافة الموصوف إلى الصفة، وكذلك ﴿مُخْرَجَ﴾، وفسرت الآية بغير هذا المعنى أيضًا.

(١) قوله: (عند دخولك...) أي: في فتح مكة.

(٢) قوله: (الإسلام) وبه فسر القرطبي، فيشمل القرآن كما روي عن قتادة، والجهاد كما روي عن ابن جريج.

(٣) وقوله: (الكفر) يشمل الشرك الذي فسره ابن جريج، والشيطان الذي فسر به قتادة. ورجح ابن جرير وغيره تعميم المعنى: للحق والباطل، كما يفيده كلام المفسّر.

(٤) قوله: (رواه الشيخان) وكذا رواه الترمذي، وأحمد وغيرهما. ورواه ابن جرير عن ابن مسعود. [راجع «فتح الباري» (٨/ ٢٥٢)].

فائدة: جملة ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ تسمى عند البلاغيين «تذييلًا»، وهو نوع من الإطناب الممدوح، ومعناه: تعقيب الجملة بجملةٍ تؤكد معنى الأولى، وتكون الجملة الثانية جارية مجرى الأمثال، كما هنا.

(٨٢)- ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ﴾ للبيان[١] ﴿ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ من الضلالة[٢] ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ به ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ لكفرهم به.

(٨٣)- ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ الكافر[٣] ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ ثنى عِطفه متبخترًا[٤] ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ قنوطًا من رحمة الله.

(٨٤)- ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ منا ومنكم ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ طريقته[٥] ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ طريقًا، فيثيبه.

---

(١) قوله: (للبيان) أي: بيان لـ﴿مَا﴾، ففيه أن القرآن كله شفاء ورحمة، لأن المعنى: ننزل ما هو شفاء هو القرآن.

(٢) قوله: (من الضلالة) كما روي عن قتادة، قال: «إذا سمعه المؤمن انتفع به، وحفظه، ووعاه».اهـ. وعلى هذا يكون لفظ ﴿شِفَآءٌ﴾ من المجاز.

وجمهور العلماء على أن القرآن شفاء من الأمراض الظاهرة أيضًا، كما ذكره القرطبي، ودلّ على ذلك أحاديث وآثار صحيحة.

(٣) قوله: (الكافر). فسر به؛ لأن ما ذكر حال الكافر، بخلاف المؤمن، فهو يشكر عند النعمة، ويصبر عند البلاء، فيكون من إطلاق العام وإرادة الخاص، أو من الإيجاز بحذف الصفة.

(٤) قوله: (ثنى عطفه). أي: لف جانبه، تفسير للمراد بـ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾. و«نأى» بمعنى: بَعُد. ولذلك فسره مجاهد: «تباعد عنا».

(٥) قوله: (طريقته). وبمثله فسرت الكلمة، فعن ابن عباس: «ناحيته»، وعن مجاهد: «حدته»، وعن الحسن، وقتادة: «نيته»، وعن مقاتل: «جِبلَّته»، وعن الفراء: «طريقته»، وكلها متقاربة، كما قاله ابن جرير، قال القرطبي: «إن كل أحد يعمل على ما يشاكل أصله، وأخلاقه التي ألفها، وهذا ذم للكافر ومدح للمؤمن».اهـ.

٨٥- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي: اليهود[١] ﴿عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾ الذي يحيا به البدن[٢]

(١) قوله: (أي: اليهود). كما في «الصحيحين»، عن ابن مسعود، قال: «بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في حرث وهو متوكئ على عسيب إذ مرّ اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وفيه... أنهم سألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ ولم يرد عليهم شيئًا، فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي، فلما نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ...﴾ الآية».اهـ. باختصار.

وظاهر ذلك أن هذه الآية مدنية، لكن قال ابن كثير: «يحتمل أنها نزلت مرة أخرى في هذه الواقعة بعد ما نزلت السورة كاملة بمكة، أو أوحي إليه بأن يجيبهم بتلك الآية التي نزلت بمكة»، والله أعلم.

ونقل القرطبي عن بعض المفسرين، عن ابن عباس: «أن السائلين كفار مكة، وذلك أن اليهود قالوا لهم: سلوه عن أصحاب الكهف، وذي القرنين، والروح؛ فإن أخبركم عن اثنين وأمسك عن واحد فهو نبي؛ فأخبرهم خبر أصحاب الكهف، وذي القرنين، وقال في الروح: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾».اهـ. وعلى هذا لا إشكال في كون الآية مكية.

(٢) قوله: (الذي يحيا به البدن...) أفاد به أن المراد بالروح: هو الروح الذي به يحيا البدن، وعليه أكثر أهل التأويل كما قاله القرطبي.

وعن قتادة: «المراد جبريل». وعن علي: «أنه ملك من الملائكة».

وقيل: عيسى. وقيل: القرآن. والأشهر الأول، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾، فحقيقة الروح لا يعلمها إلا الله، كما قال المفسر: (أي: علمه). يعني: هو أمر يعلمه تعالى وحده دون غيره، كما قال ابن جرير: «إنه من الأمر الذي يعلمه الله دونكم».اهـ.

وقد تكلم فيه الفلاسفة وغيرهم بما لا يفيد إلا إبهامًا، وغاية ما يعلم من أدلة الشرع أن يقال: إنه جسم لطيف يسري في الجسم كسريان الرطوبة في الغصن، وهذا تعبير تقريبيّ وبمثله فسر الجلال المحلي في سورة «صٓ» (٧٢)، وهو مما خالف الإمام السيوطي لشيخه المحلي كما نبه عليه في آخر الإسراء. =

﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ أي: علمه، لا تعلمونه ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾[١] بالنسبة إلى علمه تعالى.

٨٦- ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ أي: القرآن، بأن نمحوه من الصدور والمصاحف[٢] ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ٨٦﴾.

٨٧- ﴿إِلَّا﴾ لكن أبقيناه[٣] ﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ٨٧﴾ عظيمًا حيث أنزله عليك، وأعطاك المقام المحمود، وغير ذلك من الفضائل.

٨٨- ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ في

= وقال السبكي في «جمع الجوامع»: «وحقيقة الروح لم يتكلم عليها محمد ﷺ فنمسك عنها».اهـ.

(١) قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم...﴾. الخطاب لعامة الخلق، اختاره ابن جرير وغيره.
وقوله المفسر: (بالنسبة إلى علمه تعالى). أفاد به أن القلة بالنسبة إلى علم الله، فلا ينافي قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩].
روى ابن جرير عن عطاء: «أن اليهود استشكلوا، فقالوا: أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء، فقال ﷺ: «**هي في علم الله قليل، وقد أتاكم ما إن عملتم به انتفعتم**»، فأنزل الله: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ﴾ الآية [لقمان: ٢٧]».اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله: (بأن نمحوه...) روى ابن جرير عن ابن مسعود: «يطرق الناس ريح حمراء -يعني في آخر الزمان- من قبل الشام فلا يبقى في مصحف رجل ولا في قلبه آية، ثم قرأ: ﴿وَلَئِن شِئۡنَا﴾ الآية».

(٣) قوله: (لكن). أفاد أن الاستثناء منقطع.

الفصاحة والبلاغة[(١)] ﴿لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ[(٢)] وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾﴾ معينًا. نزل ردًّا لقولهم: «لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ» [الأنفال: ٣١].

﴿٨٩﴾- ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا﴾ بيَّنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾ صفة لمحذوف[(٣)]، أي: مثلًا من جنس كل مثل ليتعظوا ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِلَّا كُفُورٗا ﴿٨٩﴾﴾ جحودًا للحق.

﴿٩٠﴾- ﴿وَقَالُواْ﴾ عطف على «أَبَىٰٓ»، ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾ عينًا ينبع منها الماء.

---

(١) قوله: (في الفصاحة...) وكذا في غيرهما، فالقرآن معجز من كل وجه؛ كسعة العلم، والتأثير في الخلق، والإخبار بالغيب، والبقاء بلا اختلاف، وغير ذلك، وهذا التحدي بالقرآن كله، وقد وقع التحدي بعشر سور في سورة هود، وبسورة واحدة في سورة البقرة.

فائدة: قدم في هذه الآية ذكر الإنس حيث قال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ...﴾، وفي آية الرحمن قدم ذكر الجن: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ...﴾ [الرحمن: ٣٣]؛ لأنه لما كان التحدي بالكتاب أليق بالبشر قدم ذكرهم، ولما كان النفوذ في أقطار السمٰوات أليق بالجن قدم ذكرهم، ففي كل آية قدم من هو الأولى بالمقام، وهذا من دقائق بلاغة القرآن، أفاده بعض العلماء.

(٢) وقوله تعالى: ﴿لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ﴾. جواب القسم؛ لأن القسم هو المتقدم، وهو دل على جواب الشرط.

(٣) قوله: (صفة لمحذوف) يعني أن الجار والمجرور ﴿مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾: صفة لمحذوف، هو المفعول به، والتقدير: مثلًا من كل مثل، أي: من جنس كل مثل. ولم يجعل ﴿مِن﴾ زائدة، و﴿كُلِّ مَثَلٖ﴾ مفعولًا به لئلا يوهم أن فيه كل جزئيات الأمثال، وليس بمراد. بل ذكر فيه من جميع أنواع الأمثال، من الآيات والعبر والترغيب والترهيب والقصص والأوامر والنواهي والجنة والنار وغيرهما، كما أشار إليه القرطبي.

(٩١)-[١] ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا﴾ وسطها ﴿تَفْجِيرًا (٩١)﴾.

(٩٢)- ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ قطعًا[٢] ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا (٩٢)﴾ مقابلة وعيانًا[٣]، فنراهم.

---

(١) هذه الآية وما بعدها نزلت في اقتراح قريش وتعنتهم ومناظرتهم بذلك رسول الله ﷺ، روى ابن جرير من طريق ابن إسحٰق عن ابن عباس هذه القصة مفصلة، وأوردها ابن كثير، والقرطبي، وغيرهما من المفسرين.

ملخصها: أنه اجتمع عظماء قريش كعتبة وشيبة وأبي سفيان وأبي جهل والوليد بن المغيرة عند الكعبة، ودعوا إليهم رسول الله ﷺ، فأتاهم، فقالوا: إن كنت تريد المال جمعناه لك، وإن كنت تريد الشرف سوَّدناك، وإن كنت تريد الملك ملّكناك، وإن كان الذي يأتيك رئيًّا - أي جنّيًا- عالجناك... فقال ﷺ: «**ما بي ما تقولون، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولًا، وأنزل عليّ كتابًا، وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا؛ فبلغتكم رسالة ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوا عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم**»، أو كما قال ﷺ، فقالوا: إذًا سل ربّك فليسير هذه الجبال، وليفجر لنا أنهارًا وليبعث لنا من مضى من آبائنا... فأجابهم ﷺ بمثل ما قال أولًا، فقالوا: إذًا سل ربك يبعث ملَكًا يصدقك ويجعل لك جنانًا وكنوزًا وقصورًا من ذهب وفضة، فأجابهم كما أجاب، فقالوا: فأسقط علينا السماء كسفًا كما زعمت أن ربك قادر عليه، وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا الله والملائكة قبيلًا... إلى آخر القصة.

(٢) قوله: (قطعًا). قاله ابن عباس، وقتادة. وعن مجاهد: «جميعًا».

(٣) قوله: (مقابلة). كذا ورد عن قتادة، وابن جريج. وقال مجاهد: «كل قبيلة قبيلة». وهو وصف منصوب على الحال، وتفسير المفسر بالمصدر حيث قال: (معاينة) توضيح المعنى بدون مراعاة الإعراب.

(٩٣)- ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ ذهب[١] ﴿أَوْ تَرْقَىٰ﴾ تصعد ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ بِسُلَّم ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ لو رقيت فيها[٢] ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾ منها ﴿كِتَٰبًا﴾ فيه تصديقك ﴿نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ﴾ لهم ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجب ﴿هَلْ﴾ ما[٣] ﴿كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا (٩٣)﴾ كسائر الرسل، ولم يكونوا يأتون بآية إلا بإذن الله.

(٩٤)- ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا[٤] إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا﴾ أي: قولهم منكرين ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا (٩٤)﴾ ولم يبعث ملكًا.

(٩٥)- ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بدل البشر ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا (٩٥)﴾ إذ لا يرسل إلى قوم رسول إلا من جنسهم ليمكنهم مخاطبته والفهم عنه.

---

(١) قوله: (ذهب). كذا فسره ابن عباس، ومجاهد، وقتادة.

(٢) قوله: (لو رقيت فيها). أي: صعدت في السماء. الرقي أصله: الرقُوي. قلبت الواو ياءً وأدغمت. وهو مصدر «رقى» على وزن «فُعُول».

(٣) قوله: (ما). أفاد أن الاستفهام بمعنى النفي.

(٤) ﴿أَن يُؤْمِنُوٓا﴾ بحذف حرف جر، أي: من أن يؤمنوا، أي: من إيمانهم.

و﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓا﴾ فاعل ﴿مَنَعَ﴾، أي: إلا قولهم. و﴿أَن﴾ في الموضعين حرف مصدريّ.

ومعنى الآية: أن الناس استنكروا لجهلهم بعثة الرسل من بني آدم، كما قال تعالى في آيات أخرى، كقوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ [يونس: ٢]، و﴿فَقَالُوٓا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن: ٦]، ﴿فَقَالُوٓا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ (٤٧)﴾ [المؤمنون: ٤٧]، ونبه تعالى في الآية التالية أن إرسال الرسل من البشر إليهم لطف بهم ورحمة لهم ليفقهوا منهم، كما قال المفسر: (إذ لا يرسل إلى قوم رسول إلا من جنسهم). وكما في آيات كثيرة.

٩٦- [١] ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ عالمًا ببواطنهم وظواهرهم.

٩٧- ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ يهدونهم ﴿مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ماشين ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا [٢] مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ سكن لهبها [٣] ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ تلهبًا واشتعالًا.

٩٨- ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا﴾ منكرين للبعث ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا [٤] أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾.

٩٩- ﴿۞ أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا [٥] ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مع

---

(١) قال القرطبي: «يروى أن كفار قريش قالوا حين سمعوا قوله: ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾: فمن يشهد لك أنك رسول الله؟ فنزل: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ الآية».اهـ.

(٢) ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾. قال ابن جرير: «فإن قال قائل: كيف وصفوا بأنهم يحشرون عميًا وبكمًا وصُمًّا، وقد قال تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ [الكهف: ٥٣]، و﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الفرقان: ١٢-١٣]؛ فقد أثبت لهم البصر والسمع والكلام؟

أجيب:

أولًا: يحشرون عميًا وبكمًا وصُمًّا، ثم يجعل لهم سمع وبصر وكلام.

وثانيًا: المعنى: عميًا فلا يرون ما يسرون، بكمًا: لا ينطقون بحجة، صُمًّا لا يسمعون شيئًا يسرهم». فالمراد نفي ما ينفعهم، لا نفي أصل قواهم. وروي هذا عن ابن عباس.

(٣) قوله: (سكن لهبها). بمثله فسر ابن عباس حيث قال: «سكنت».

(٤) ﴿عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾. أي: عظامًا بالية، وترابًا.

(٥) قوله: (يعلموا). أفاد أن الرؤية هنا علمية. وجملة أن سدت مسدّ مفعوليها.

عظمهما ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ﴾ أي: الأناسيّ في الصغر[(١)] ﴿وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا﴾ للموت والبعث ﴿لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٩٩﴾﴾ جحودًا له.

﴿١٠٠﴾- ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّوۡ أَنتُمۡ[(٢)] تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ﴾ من الرزق والمطر ﴿إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ﴾ لبخلتم[(٣)] ﴿خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ﴾ خوف نفادها بالإنفاق[(٤)]، فتفتقروا ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴿١٠٠﴾﴾ بخيلًا.

﴿١٠١﴾- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ﴾ واضحات، وهي اليد[(٥)] والعصا

---

(١) قوله: (في الصغر). متعلق بـ﴿مِثۡلَهُمۡ﴾. والأناسي: جمع إنسيّ، وقيل: إن «مثل» هنا بمعنى الذات، كما يقال: مثلك لا يبخل أي: أنت لا تبخل. وجملة ﴿وَجَعَلَ لَهُمۡ﴾ معطوفة على جملة ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾، لأنها بمعنى: قد رأوا. فهما متفقتان خبرًا من حيث المعنى.

(٢) ﴿لَّوۡ أَنتُمۡ﴾. ﴿أَنتُمۡ﴾ تأكيد للفاعل لفعل الشرط المحذوف، والتقدير: لو تملكون أنتم... وذلك لأن ﴿لَّوۡ﴾ أداة شرط تدخل على الفعل فقط، فإذا وجد اسم بعدها قدر قبله الفعل.

(٣) قوله: (لبخلتم). وذلك أولًا: أن الإنسان محتاج في نفسه إلى المال؛ فيمسك عن الإنفاق نظرًا لحاجته.

وثانيًا: الإنسان إذا أنفق شيئًا نقص ذلك من ماله؛ فيخاف من الإنفاق خوفًا من النفاد.

وثالثًا: من عادة الإنسان أنه يحسن إلى أوليائه ولا ينفق على أعدائه ومن يؤذيه. بخلاف الحق تعالى، فليس بمحتاج، ولا ينفد ما عنده، وينفق على البر والفاجر، والمؤمن والكافر... وقد أشار إلى بعض هذه الأمور القرطبي.

(٤) قوله: (خوف نفادها...) على هذا التقدير يكون الإنفاق بمعنى: صرف المال، ولكن فسره ابن عباس وغيره: بالفقر، أي: خشية الفقر. فلا حاجة إلى التقدير الذي ذكره المفسر.

(٥) قوله: (وهي اليد...). تقدم في سورة الأعراف شيء من التفصيل لهذه الآيات، وهذه الآيات هي التي أرسل بها موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إلى فرعون وقومه مع بني إسرائيل، وأما انفلاق البحر والمن والسلوى والغمام وغير ذلك فهي مما اختص بها بنو إسرائيل بعد =

والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم أو الطمس والسنون ونقص الثمرات ﴿فَسْـَٔلْ﴾ يا محمد ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ عنه سؤال تقرير للمشركين على صدقك[(١)]، أو فقلنا له: اسأل[(٢)]، وفي قراءة[(٣)]: بلفظ الماضي ﴿إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾ مخدوعًا مغلوبًا على عقلك.

﴿١٠٢﴾- ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ عبرًا، ولكنك تعاند، وفي قراءة: بضم التاء[(٤)] ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ هالكًا أو مصروفًا عن الخير[(٥)].

= هلاك فرعون، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك. وما ذكره من تفسير الآيات منسوب إلى ابن عباس وغيره. وقيل: المراد بالـ﴿ءَايَٰتٍ﴾: آيات الكتاب: أوامره ونواهيه. رواه الترمذي عن صفوان بن عسال بسياق مفصّل، وأورده القرطبي.

(١) قوله: (سؤال تقرير). أي: ليعرف اليهود والمشركون صدق محمد ﷺ.

(٢) وقوله: (أو فقلنا له:...) وجه آخر للأمر بالسؤال، فعلى هذا يكون الخطاب لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، و﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: مفعول ثان. والأول محذوف. والتقدير: فاسئل فرعون بني إسرائيل أن يرسل معه.

(٣) قوله: (وفي قراءة:...) هذه قراءة شاذة، فكان ينبغي أن يقول: (وقرئ). والضمير في «سأل» لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كما هو واضح.

(٤) قوله: (وفي قراءة: ...) هذه قراءة الكسائي: ﴿عَلِمْتُ﴾: بتاء المتكلم. وقرأ الجمهور بفتح التاء، والخطاب من موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لفرعون.

(٥) قوله: (هالكًا). كذا فسره مجاهد، وقتادة.

وقوله: (أو مصروفًا...). تفسير آخر لـ﴿مَثْبُورًا﴾. روي مثله عن ابن عباس، قال ابن جرير: «يقال: ما ثبرك عن هذا الأمر، أي: ما منعك؟ ورجل مثبور: محبوس عن الخيرات، هالك».اهـ.

(١٠٣)- ﴿فَأَرَادَ﴾ فرعون ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾ يخرج موسى وقومه[١] ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر[٢] ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا (١٠٣)﴾.

(١٠٤)- ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: الساعة[٣] ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤)﴾ جميعًا أنتم وهم[٤].

(١٠٥)- ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿وَبِٱلْحَقِّ﴾ المشتمل عليه ﴿نَزَلَ﴾ كما أنزل لم يعترِهِ تبديلٌ[٥] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ من آمن بالجنة ﴿وَنَذِيرًا (١٠٥)﴾ من كفر بالنار[٦].

(١٠٦)- ﴿وَقُرْءَانًا﴾ منصوب بفعل يفسره[٧] ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾ نزلناه مفرقًا[٨] في

---

(١) قوله: (يخرج موسى...). أي: بالقتل أو الإبعاد. قاله القرطبي.

(٢) وقوله: (أي: أرض مصر). أشار به إلى أن «ال» في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ عهدية. والمراد بـ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ في ﴿ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾: الشام. كما فسر به ابن جرير. وقال القرطبي: «أرض الشام ومصر».

(٣) قوله: (أي: الساعة). كما فسر به ابن جرير، والقرطبي وغيرهما.

(٤) قوله: (جميعًا). كما قاله قتادة، ومجاهد، والضحاك. أي: مجتمعين ومختلطين، يقال: لففتُ الجيوش: إذا ضربت بعضها ببعض؛ فاختلط الجميع. قاله ابن جرير.

(٥) وقول المفسر: (لم يعتره...). (يعتر) فعل مضارع مجزوم علامة جزمه حذف الياء، والهاء مفعول به.

(٦) قوله: (بالجنة) متعلق بـ﴿مُبَشِّرًا﴾، وكذا: (بالنار) متعلق بـ﴿نَذِيرًا﴾.

(٧) قوله: (منصوب...). أي: فهو من باب الاشتغال، ويترجح النصب هنا؛ لأن هذه الجملة معطوفة على الجملة الفعلية السابقة: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾. ولم تقع القراءة بالرفع: ﴿وَقُرْءَانٌ﴾، وإن كان جائزًا في النحو.

(٨) وقوله: (نزلناه مفرقًا). كذا فسره البيضاوي. وهو مناسب للقراءة بالتشديد: ﴿فَرَّقْنَٰهُ﴾: وهي قراءة شاذة، نسبت إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في ابن جرير. =

عشرين سنة أو وثلاث(١) ﴿لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٍ﴾ مهلٍ وتُؤدةٍ ليفهموه(٢) ﴿وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦﴾ شيئًا بعد شيء على حسب المصالح.

١٠٧ - ﴿قُلۡ﴾ لكفار مكة: ﴿ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ﴾ تهديد لهم(٣) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾ قبل نزوله، وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧﴾(٤).

= أما تفسيره على التخفيف: ﴿فَرَقۡنَٰهُ﴾، فعن أبي بن كعب: «ثبتناه»، وعن ابن عباس: «فصلناه»، وعن الحسن: «فرق الله بين الحق والباطل».

(١) قوله: (أو وثلاث). أي: ثلاث وعشرين سنة. وهذا هو المشهور بناءً على أن عمره ﷺ ثلاث وستون، وأول ما أوحي إليه في أربعين من عمره.

وروى ابن جرير عن ابن عباس: «أنزل الله القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة».اهـ.

(٢) قوله: (تؤدة) به فسر مجاهد. وهو بمعنى: المكث والمهل.

(٣) قوله: (تهديد). أفاد أن الأمر والنهي يفيدان التهديد، أي: مع التسوية، وليس المراد حقيقة الأمر والنهي.

(٤) قوله: (وهم مؤمنو أهل الكتاب). كما قاله مجاهد: «هم ناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل الله على محمد قالوا: سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولًا».اهـ. وبه فسر ابن كثير وغيره، فالمراد بـ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ هنا: مؤمنو أهل الكتاب، والمراد بالذي ﴿يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾: هذا القرآن. كما قال ابن كثير: «﴿إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ هذا القرآن...».

﴿سُجَّدٗا﴾ لله عَزَّوَجَلَّ شكرًا على ما أنعم به عليهم من جعله إياهم أهلًا أن أدركوا هذا الرسول الذي أنزل عليه هذا الكتاب، ولهذا يقولون: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ﴾، أي: تعظيمًا وتوقيرًا على قدرته التامة، وأنه لا يخلف الميعاد الذي وعدهم على ألسنة الأنبياء المتقدمين عن بعثته محمد ﷺ، ولهذا قالوا: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨﴾.اهـ.

(١٠٨)- ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ تنزيهًا له عن خلف الوعد ﴿إِن﴾ مخففة[١] ﴿كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بنزوله وبعث النبي ﷺ ﴿لَمَفْعُولًا (١٠٨)﴾.

(١٠٩)- ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ عطف بزيادة صفة[٢] ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن ﴿خُشُوعًا ۩ (١٠٩)﴾ تواضعًا لله.

(١١٠)- وكان ﷺ يقول[٣]: «**يا الله! يا رحمٰن**»، فقالوا: ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهًا آخر معه؛ فنزل ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ أي: سموه بأيهما[٤]،

---

(١) قوله: (مخففة). أي: من الثقيلة، فهي حرف توكيد، مهملة.

(٢) قوله: (بزيادة صفة). وهي: البكاء، والمراد بالصفة هنا: المعنى اللغوي، لا النعت التابع؛ لأن جملة ﴿يَبْكُونَ﴾ حال.

قال القرطبي: «هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم، وحق لكل من توسم بالعلم وحصّل منه شيئًا أن يجري إلى هذه المرتبة، فيخشع عند استماع القرآن، ويتواضع ويذل».اهـ.

والأذقان جمع: ذقن. وهو أسفل الوجه، ومجتمع اللحيين، وفسر الأذقان بالوجوه في قول ابن عباس، وباللحى في قول الحسن، كما في ابن جرير.

(٣) قوله: (وكان ﷺ...). ما ذكره من سبب النزول روى نحوه عن ابن عباس وغيره، قال ابن عباس: «كان النبي ﷺ ساجدًا يدعو: «**يا رحمن، يا رحيم**»، فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحدًا، وهو يدعو مثنى ومثنى، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ ...﴾ الآية». رواه ابن جرير.

(٤) قوله: (سمّوه...) ذكر المفسر معنيين لـ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ﴾، الأول: سموه بأيهما... وعلى هذا ﴿ٱللَّهَ﴾: مفعول ثان، والأول محذوف تقدير: سمّوا معبودكم الله أو الرحمن. والمعنى الثاني: نادوه بهما. وعلى هذا اسم الجلالة مفعول به، وليس للفعل مفعول ثانٍ، والمعنى الأول ذكره البيضاوي، والمعنى الثاني ذكره ابن جرير وغيره. وعلى كل حال ﴿أَوِ﴾ للتخيير.

أو نادوه بأن تقولوا: يا الله! يا رحمن! ﴿أَيًّا﴾ شرطية(١) ﴿مَّا﴾ زائدة، أي: أيّ هذين ﴿تَدْعُواْ﴾ فهو حسن(٢) دلّ على هذا: ﴿فَلَهُ﴾ أي: لمسماهما ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، وهذان منها(٣)، فإنها كما في الحديث: «الله الذي لا إله إلا هو(٤)، **الرحمن، الرحيم،**

---

(١) قوله: (شرطية). فهي مفعول مقدم لـ﴿تَدْعُواْ﴾. و﴿مَّا﴾ زائدة مؤكدة.

(٢) قوله: (فهو حسن). قدره ليكون جواب الشرط، حذف لدلالة ما بعده عليه، كما قال المفسر.

(٣) قوله: (هذان) أي: اسم ﴿ٱللَّهَ﴾ و﴿ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ من الأسماء الحسنى. والحسنى: مؤنث أحسن، وحسنها لدلالتها على المعاني الشريفة.

وأسماؤه تعالى توقيفية، أي: بوضع الشارع؛ فلا يصح تسميته بغير ما ورد به الشرع، وإن جاز الإخبار عنه بما يدل على الكمال.

في «الصحيحين» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله تسعةً وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدة، من أحصاها دخل الجنة**». وما ذكره المفسر من رواية الترمذي فيه تفصيل لتلك الأسماء، لكن في إسناد هذا الحديث مقال، وقد روى البيهقي وغيره نحو هذا الحديث مع اختلاف في بعض الأسماء، ولذلك يقول العلماء: قوله: «**من أحصاها دخل الجنة**» نعت للأسماء، وليس خبرًا ثانيًا أو مستأنفًا، فيكون المعنى: إن لله تسعة وتسعين اسمًا صفتها أنه من أحصاها دخل الجنة. فلا ينافي أن يكون له أسماء أخرى، كما ثبتت في بعض الروايات، وكما ورد في الدعاء: «...أو استأثرتَ به في علم الغيب...»، والله أعلم.

ومعنى: «**من أحصاها**»: من عرف ألفاظها ومعانيها، أو حفظها كما في بعض الروايات، أو الاتصاف بما يمكن منها، والعثور على حقائقها، مدارج نتائجها، قاله الصاوي.

(٤) - «**الذي لا إله إلا هو**»: نعت للاسم الكريم. و«هو» ليس من الأسماء الحسنى، بل هو ضمير.

- «**الرحمن، الرحيم، الملك**» كما تقدم في سورة الفاتحة.
- «**القدوس**»: أي المنزه عن صفة النقص.
- «**السلام**»: أي المؤمن من المخاوف، أو الذي يسلم على عباده.
- «**المؤمن**»: أي المصدق لرسله بالمعجزات والأولياء بالكرامات وللمؤمنين على إخلاصهم.

- «**المهيمن**»: أي المطلع على الأسرار.
- «**العزيز**»: أي القاهر، أو الذي لا نظير له.
- «**الجبار**» أي القهار المنتقم.
- «**المتكبر**» من الكبرياء، أي: المتعالي في العظمة.
- «**الخالق**» الموجد من العدم.
- «**البارئ**» بمعنى الخالق، أو المبرئ من الأسقام.
- «**المصور**»: المبدع للأشكال.
- «**الغفار**»: كثير المغفرة والستر للذنوب.
- «**القهار**»: ذو البطش الشديد والقهر.
- «**الوهاب**»: ذو الهبات العظيمة.
- «**الرزاق**»: معطي الأرزاق كثيرًا.
- «**الفتاح**»: ذو الفتح لما كان مغلقًا، فهو المسهّل لكل عسير دنيًا وأخرى.
- «**العليم**»: كثير العلم.
- «**القابض**»: ضد البسط، قابض للأرزاق والأرواح وغيرها.
- «**الباسط**»: ضد القبض: باسط الأرزاق وغيرها.
- «**الخافض**»: لمن أراد خفضه، فهو خافض لكلمة الكفر وأهلها.
- «**الرافع**»: ذو الرفع لأهل الإسلام والأنبياء والصديقين والصالحين.
- «**المعز**»: معطي العزة لمن يشاء.
- «**المذل**»: معطي الذل لمن يشاء.
- «**السميع**»: ذو السمع.
- «**البصير**»: ذو البصر.
- «**الحكم**»: ذو الحكم التام.
- «**العدل**»: أي ذو العدل، لا يظلم مثقال ذرة.
- «**اللطيف**»: العالم بخفيات الأمور.

- «**الخبير**»: المطلع على خفيات الأمور، أو القادر على الإخبار بما عجز عنه الخلق.
- «**الحليم**»: ذو الحلم، الذي لا يعجل بالعقوبة.
- «**العظيم**»: الذي كل شيء صغير عند ذكره، ولا يحيط به إدراك.
- «**الغفور**»: كثير المغفرة، كالغفار.
- «**الشكور**»: كثير الشكر لعباده، بإثابتهم وذكرهم في الملأ الأعلى.
- «**العلي**»: المرتفع عن خلقه، المستغني عنهم.
- «**الكبير**»: بمعنى العظيم.
- «**الحفيظ**»: الحافظ لخلقه: العالم السفلي والعلوي، دنيا وأخرى.
- «**المقيت**»: من القوت، أي: خالق أقوات الأجساد والأرواح. قوت الأجساد: الطعام والشرابُ، وقوت الأرواح: الإيمان والعلوم والصفات الطيبة.
- «**الحسيب**»: الكافي من توكل عليه، أو المحاسب لعباده.
- «**الجليل**»: العظيم في الذات والصفات والأفعال.
- «**الكريم**»: المعطي بدون سؤال، أو من عمّ كرمه المطيع والعاصي.
- «**الرقيب**»: المراقب الحاضر المشاهد لكل مخلوق، المتصرف فيه.
- «**المجيب**»: لدعوة الداعي.
- «**الودود**»: كثير الود والحب لعباده الصالحين، أو المحبوب لهم.
- «**المجيد**»: الشريف.
- «**الباعث**»: الذي يبعث الأموات ويحييهم للحساب.
- «**الشهيد**»: المطلع على الظاهر والباطن، كالرقيب.
- «**الحق**»: الثابت الذي لا يقبل الفناء، وبمعناه: واجب الوجود عند المتكلمين.
- «**الوكيل**»: المتولي أمور الخلق.
- «**القوي**»: أي ذو القوة التامة والقدرة الكاملة.
- «**المتين**»: أي ذو القوة العظيمة التي لا تعارض ولا يعتريها نقص.
- «**الولي**»: الموالي والمتابع للإحسان لعبده، أو المتولي للخير والشر.

- «**الحميد**»: المحمود، أو الحامد لنفسه ولعباده الصالحين.
- «**المحصي**»: الضابط كل شيء عددًا.
- «**المبدئ**»: المنشيء من العدم.
- «**المعيد**»: الذي يعيد الخلق بعد فنائهم.
- «**المحيي**»: المعطي للحياة.
- «**المميت**»: الخالق للموت في الحي.
- «**الحيّ**»: ذو الحياة.
- «**القيوم**»: المبالغ في القيام بتدبير خلقه، فهو القائم بذاته والمقوم لغيره. وتقدم في تفسير آية الكرسي.
- «**الواجد**»: الغني الذي لا ينفذ شيء مما عنده.
- «**الماجد**»: بمعنى المجيد، أي الشريف، أو واسع الكرم.
- «**الواحد**»: الذي لا ثاني له في ربوبيته وألوهيته وصفاته، أو يقال: في ذاته وصفاته وأفعاله.
- «**الصمد**»: الذي يقصد في الحوائج.
- «**القادر**»: ذو القدرة التامة.
- «**المقتدر**»: المبالغ في القدرة.
- «**المقدم**»: الذي يقدم من أراد تقديمه من عباده.
- «**المؤخر**»: الذي يؤخر من أراد تأخيره.
- «**الأول**»: الذي لا افتتاح لوجوده، ولم يسبقه عدم.
- «**الآخر**»: الذي لا انتهاء لوجوده.
- «**الظاهر**»: الذي ليس فوقه شيء، ولا يغلبه شيء.
- «**الباطن**»: الذي ليس دونه شيء، أو الذي تحجَّب عنا بجلالته وعظمته.
- «**الوالي**»: المتولي لعباده.
- «**المتعالي**»: على عباده والمنزه عن النقص.
- «**البر**»: المحسن لعباده.

الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض،

- «**التواب**»: كثير التوبة لعباده.
- «**المنتقم**»: المرسل للنقمة والعذاب لأعاديه.
- «**العفو**»: كثير العفو والمحو للذنوب.
- «**الرؤوف**»: كثير الرأفة، وهي شدة الرحمة.
- «**مالك الملك**»: يتصرف فيه كما يشاء.
- «**ذو الجلال**»: صاحب العظمة والهيبة.
- «**والإكرام**»: الإنعام.
- «**المقسط**»: الذي يحكم بالعدل بين خلقه.
- «**الجامع**»: لكل كمال أو للخلق يوم القيامة.
- «**الغني**»: ذو الغنى المطلق لا يحتاج إلى شيء.
- «**المغني**»: المعطي الغنى لمن يشاء، دنيا وأخرى.
- «**المانع**»: الدافع عن عبيده المضار.
- «**الضار**»: موصل الضر لمن يشاء، والضر ضد النفع.
- «**النافع**»: موصل النفع لمن يشاء.
- «**النور**»: الظاهر في نفسه والمظهر لغيره، أو خالق النور.
- «**الهادي**»: الموصل للهداية والرشاد.
- «**البديع**»: المخترع للأشياء، أو المبدع والمحكم كل شيء صنعه.
- «**الباقي**»: الدائم الذي لا يزول.
- «**الوارث**»: الباقي بعد فناء خلقه، أو الذي يرجع إليه كل شيء.
- «**الرشيد**»: ذو الرشد، وهو الذي يضع الشيء في محله، أو خالق الرشد في عباده.
- «**الصبور**»: الذي لا يعجل بالعقوبة؛ كالحليم.

تنبيه: معاني هذه الأسماء المذكورة مستقاة من حاشية الصاوي وغيرها، والله أعلم.

الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال، والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور»، رواه الترمذي، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ بقراءتك فيها[1]، فيسمعك المشركون فيسبّوك ويسبوا القرآن ومن أنزله ﴿وَلَا تُخَافِتْ﴾ تسر ﴿بِهَا﴾ لينتفع أصحابك ﴿وَابْتَغِ﴾ اقصد ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الجهر والمخافتة ﴿سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ طريقًا وسطًا.

﴿١١١﴾ - ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ في الألوهية[2]

---

(١) قوله: (بقراءتك فيها). أي في الصلاة.

روى ابن جرير من طرق مختلفة بسياق متقاربة عن ابن عباس: «نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ متوارٍ -أي مختفٍ بمكة- ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾، قال: كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع ذلك المشركون سبُّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله لنبيه: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ فيسمع المشركون ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوا عنك».اهـ. ورواه الشيخان وغيرهما.

(٢) قوله: (في الألوهية). كذا فسر به البيضاوي، والألوهية: استحقاق العبادة، ولعله من لازم نفي الشريك في الملك. وقال القرطبي: «لأنه واحد لا شريك له في ملكه ولا في عبادته».

﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ﴾ ينصره ﴿مِّنَ﴾ أجل[(١)] ﴿ٱلذُّلِّۖ﴾ أي: لم يذل فيحتاج إلى ناصر[(٢)] ﴿وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ عظمه عظمة تامة عن اتخاذ الولد والشريك والذل وكل ما لا يليق به، وترتيب الحمد على ذلك[(٣)]؛ للدلالة على أنه استحق لجميع المحامد لكمال ذاته وتفرده في صفاته، وروى الإمام أحمد في «مسنده»: عن معاذ الجهني، عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «**آية العز**[(٤)]: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ...﴾ إلى آخر السورة». والله تعالى أعلم.

---

(١) قوله: (أجل). أشار به إلى أن ﴿مِّنَ﴾ للسببية.

(٢) وقوله: (أي: لم يذل...). هذا التفسير عزاه القرطبي إلى الحسن بن فضيل، قال: «يعني: لم يذل فيحتاج إلى وليّ، ولا ناصر لعزته وكبريائه».اهـ.

(٣) قوله: (وترتيب الحمد...). ما ذكره المفسر يعلم من ترتيب الحكم على الأوصاف فإنه يفيد كون تلك الأوصاف علة لذلك الحكم، فلما رتب الحكم باستحقاق الحمد على الذات الموصوفة بتلك الأوصاف التي تدل على الكمال أفاد ذلك كونها علة لذلك الحكم. فالآية تتضمن تنزيهًا لله تعالى، وحمدًا عليه تعالى بذلك، والله أعلم.

قال القرطبي: «هذه الآية رادة على اليهود والنصارى والعرب في قولهم أفذاذًا: عزير وعيسى والملائكة ذرية الله سبحانه، تعالى الله عن أقوالهم».اهـ.

وروى ابن جرير عن القرظي، قال: «إن اليهود والنصارى، قالوا: اتخذ الله ولدًا، وقالت العرب: لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك، وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذل الله؛ فأنزل الله: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ﴾ أنت يا محمد على ما يقولون ﴿تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾».

(٤) قوله: «**آية العز**:...». أي الآية التي من قرأها مؤمنًا بها حصل له العز والرفعة. قاله الصاوي. وهذا الحديث ضعفه الألباني، ذكره في «ضعيف الجامع» [١٩]، و«الضعيفة» [١٥٤٧].

قال الإمام جلال الدين السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق جلال الدين المحلي الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، المتوفى سنة ٨٦٤هـ، وقد أفرغت فيه جهدي، وبذلت فكري فيه في نفائس أراها إن شاء الله تعالى تُجدِي، وألفته في مدة قدر ميعاد الكليم، وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم، وهو في الحقيقة مستفاد من الكتاب المكمل، وعليه في الآي المتشابه الاعتماد والمعول، فرحم الله امرءًا نظر بعين الإنصاف إليه ووقف فيه على خطإ فأطلعني عليه، وقد قلت:

حمدات الله ربي إذ هداني لما أبديت مع عجزي وضعفي

فمن لي بالخطأ فأرد عنه ومن لي بالقبول ولو بحرف

هذا، ولم يكن قطّ في خلدي أن أتعرض لذلك لعلمي بالعجز عن الخوض في هذه المسالك، وعسى الله أن ينفع به نفعًا جمًّا، ويفتح به قلوبًا غلفًا وأعينًا عميًا وأذانًا صمًّا، وكأني بمن اعتاد المطولات، وقد أضرب عن هذه التكملة وأصلها حسمًا، وعدل على صريح العناد ولم يوجه إلى دقائقها فهمًا، ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [الإسراء: ٧٢]. رزقنا الله به هداية إلى سبيل الحق، وتوفيقًا واطلاعًا على دقائق كلماته وتحقيقًا، وجعلنا به ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩]، وفرغ من تأليفه يوم الأحد عاشر شوال سنة ٨٧٠هـ سبعين وثمانمائة، وكان الابتداء فيه في يوم الأربعاء مستهل رمضان من السنة المذكورة، وفرغ من تبييضه يوم الأربعاء سادس صفر ٨٧١هـ إحدى وسبعين وثمانمائة، والله أعلم».

قال صاحب «الفتوحات»: «واعلم أنه قد وجد بعد ختم هذه التكملة بخط

السيوطي ما نصه: «قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطوفي، أخبرني صديقي الشيخ العلامة كمال الدين المحلي، أخو شيخنا الشيخ جلال الدين المحلي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور في النوم، وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطي مصنف هذه التكملة، وقد أخذ الشيخ هذه التكملة في يديه وتصفحها، ويقول لمصنفها المذكور: أيهما أحسن وضعي أو وضعك؟ فقال: وضعي، فقال: انظر، وعرض عليه مواضع فيها، وكأنه يشير إلى اعتراض فيها بلطف. ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئًا يجيبه، والشيخ يبتسم ويضحك.

قال شيخنا الإمام العلامة جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي مصنف هذه التكملة: «الذي أعتقده وأجزم به أن الوضع الذي وضعه الشيخ جلال الدين المحلي -رحمه الله تعالى- في قطعته أحسن من وضعي أنا، بطبقات كثيرة، كيف وغالب ما وضعته هنا مقتبس من وضعه، ومستفاد منه، لا مرية عندي في ذلك. وأما الذي رؤي في المنام المكتوب أعلاه، فلعل الشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التي خالفت وضعه فيها لنكتة، وهي يسيرة جدًّا ما أظنها تبلغ عشرة مواضع:

منها: أن الشيخ قال في سورة «صٓ»: والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه. وكنت تبعته أولًا، فذكرت هذا الحد في سورة الحجر، ثم ضربت عليه لقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥] الآية، فهي صريحة أو كالصريحة في أن الروح من علم الله تعالى لا نعلمه فالإمساك عن تعريفها أولى. ولذا قال الشيخ تاج الدين بن السبكي في «جمع الجوامع»: «والروح لم يتكلم عليها محمد ﷺ فنمسك عنها».

ومنها: أن الشيخ قال في سورة الحج: «الصائبون فرقة من اليهود...»،

فذكرت ذلك في سورة البقرة، وزدت: «أو النصارى»؛ بيانًا لقول ثانٍ، فإنه المعروف خصوصًا عند أصحابنا الفقهاء. وفي «المنهاج»: «وإن خالفت السامرة اليهود، والصابئون النصارى في أصل دينهم، حَرُمْن». وفي شرحه أن الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نص على أن الصابئين فرقة من النصارى.

ولا أستحضر الآن موضعًا ثالثًا، فكأن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى يشير إلى مثل هذا، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.اهـ.

قال الفقير أبو سهيل أنور عبدالله بن عبدالرحمن الفضفري: «فرغت من هذا الشرح ووصلت إلى هنا يوم الجمعة بعد العصر في ٨ شوال ١٤٣٦هـ ثامن شوال من عام ألف وأربعمائة وستة وثلاثين الهجري، وفقني الله لإتمام شرح القسم الثاني، شرح العلامة جلال الدين المحلي، والله الموفق، ونسأل الله تعالى أن يعم النفع به، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله ذخيرة لي يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

❊❊❊

١٨- سورة الكهف

مكية[(١)] **إلا** ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾[(٢)] [الكهف: ٢٨] **الآية.**

وآياتها مائة وعشر آيات أو خمس عشرة آية.

---

(١) قوله: (مكية). قال القرطبي: «في قول جميع المفسرين».اهـ.

هذه السورة الثالثة من السور الخمس المبدوءة بـ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾، وهن: الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر.

(٢) وقوله: (إلا ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾). لم يذكر أكثر المفسرين هذا الاستثناء، ولعل وجه الاستثناء ما نقله القرطبي عن سلمان الفارسي رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أنها نزلت في المؤلفة قلوبهم: عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وغيرهما، فطلبوا من رسول الله ﷺ أن ينحي عن مجلسه فقراء المسلمين؛ فنزلت هذه الآية.اهـ. باختصار.

تنبيه: نقل ابن كثير، وابن جرير وغيرهما في سبب نزول هذه السورة، عن ابن عباس: «أن زعماء قريش أرسلوا بعضهم إلى أحبار اليهود بالمدينة ليسألوهم عن محمد ﷺ؛ لأنهم أهل كتاب لهم معرفة عنه، فسألوهم، فقالت الأحبار لهم: سلوا محمدًا عن ثلاثة أمور، فإن أجابكم فيها فهو نبي، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، وعن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وعن الروح ما هو، ففعلت قريش، فقال رسول الله ﷺ: «**أخبركم غدًا مما سألتم عنه**»، ولم يقل: «إن شاء الله» فتأخر الوحي خمسة عشر يومًا، ثم جاء جبريل عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ بسورة الكهف، وقول الله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ ...﴾ الآية من الإسراء [٨٥]».اهـ. باختصار.

فائدة: روى البيهقي بإسناد حسن: «**من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين**» [«السنن الكبرى» (٣/ ٢٤٩)]. وأفادنا بعض مشايخنا المناسبة في قراءتها يوم الجمعة؛ وذلك أن يوم الجمعة يوم أولياء الله تعالى ويوم التقرّب إليه، وقد ذكِرتْ في سورة الكهف أربعة أنواع من أولياء الله تعالى وأتقيائه؛ الأول: أولياءهم شباب وهم أصحاب الكهف، والثاني: وليّ زاهد مخالط بالناس وهو الذي ناقش صاحب الجنتين، والثالث: وليّ لا يخالط الناس وهو الخضر عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، والرابع: وليّ حاكم وهو ذو القرنين مع ما فيها من قصة النبي عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ. والله أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾- ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ وهو الوصف بالجميل، ثابت[١] ﴿لِلَّهِ﴾ تعالى. وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به، أو الثناء به أو هما؟ احتمالات، أفيدها الثالث[٢]. ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ محمد ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ﴾ أي: فيه ﴿عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ اختلافًا أو تناقضًا[٣]. والجملة حال من «ٱلْكِتَٰبَ».

﴿٢﴾- ﴿قَيِّمًا﴾ مستقيمًا[٤]، حال ثانية مؤكدة[٥] ﴿لِّيُنذِرَ﴾ يخوف بالكتاب الكافرين[٦] ﴿بَأْسًا﴾ عذابًا ﴿شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ من قِبَلِ الله ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) قوله: (ثابت). قدره ليكون متعلق الجار والمجرور ﴿لِلَّهِ﴾.

(٢) قوله: (وهل المراد...). يعني: أن جملة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جملة خبرية محضة أو خبرية أريد بها الإنشاء، أي: إنشاء الحمد، أو خبرية تتضمن إنشاء الحمد؛ ثلاث احتمالات. قال المفسر: (أفيدها الثالث). أي: الاحتمال الثالث، وهو أنها جملة خبرية تتضمن الإنشاء.

(٣) قوله: (اختلافًا...). وبمثله نقله ابن جرير عن ابن عباس، قال: «ولم يجعل له ملتبسًا». وقال ابن كثير: «ولم يجعل فيه اعوجاجًا ولا زيغًا ولا ميلًا».اهـ. وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ﴾ في محل نصب حال، وهي حال لازمة، كما هو واضح، فالواو في ﴿وَلَمْ يَجْعَل﴾ حالية، ويحتمل كونها عاطفة، والجملة معطوفة على ﴿أَنزَلَ﴾.

(٤) قوله: (مستقيمًا). وبه فسر ابن جرير، قال: «معتدلًا مستقيمًا». ونقله عن الضحاك وغيره. وقال أيضًا: «وقيل: عني به أنه قيّم على سائر الكتب يصدّقها ويحفظها».اهـ.

(٥) وقوله: (حال ثانية...). أي: ﴿قَيِّمًا﴾ منصوب على أنه حال ثانية من ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾. والأولى هي الجملة ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ كما تقدم.
وقوله: (مؤكدة) أي: مؤكدة لمعنى الحال الأولى؛ لأن عدم العوج هو الاستقامة، وعند الإعراب يقال: إنها حال مترادفة، والمراد بالمترادفة: الحال الثانية من صاحب الحال، وقد ذكرنا الفرق بين الحال المترادفة والمتداخلة في رسالتنا «الشرح الطري على ثُنائيات الفضفري».

(٦) قوله: (الكافرين). قدره ليكون مفعولًا أولًا للفعل ﴿يُنْذِرَ﴾، و﴿بَأْسًا﴾ هو المفعول الثاني.

﴿ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ۝٢﴾.

٣- ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ۝٣﴾ هو الجنة[1].

٤- ﴿وَيُنذِرَ﴾ من جملة الكافرين[2] ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ۝٤﴾.

٥- ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ﴾ بهذا القول ﴿مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ﴾ من قبلهم القائلين له ﴿كَبُرَتۡ﴾ عظمت ﴿كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ﴾، «﴿كَلِمَةٗ﴾»: تمييز[3] مفسر

---

(١) قوله: (هو الجنة). أي: الأجر الحسن هو الجنة.

(٢) قوله: (من جملة الكافرين). قدره لإفادة أن إنذاره شامل لجميع الكفار، وبالخصوص القائلين لتلك المقولة. قال ابن إسحٰق: «وهم مشركو العرب في قولهم: نحن نعبد الملائكة وهم بنات الله».اهـ. نقله ابن كثير.

(٣) قوله: (﴿كَلِمَةٗ﴾: تمييز). أي: فهذا من أسلوب الذم.

اعلم أن أسلوب المدح والذم جملة مكونة من ثلاث كلمات: فعل المدح أو الذم، وفاعله، والمخصوص. أما الفعل فهو: «نِعْمَ» للمدح، و«بِئْسَ» للذم، ويلحق بهما كل ثلاثي صالح للمدح والذم بعد تحويله إلى صيغة «فعُلَ»، بضم العين. ومن ذلك: كَبُرَ، ساءَ، حَسُنَ، ونحوهن.

وأما الفاعل: فيأتي على ثلاثة أوجه: الأول: الاسم المحلى بـ«أل» الجنسية، نحو: نعم الرجل. الثاني: المضاف إلى ما فيه «أل» الجنسية، نحو: نعم طالب العلم. الثالث: كونه ضميرًا مبهمًا يفسره تمييز بعده، نحوه: نعمَ رَجُلًا. ومن هذا القبيل ما في هذه الآية: ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ﴾، فاعل ﴿كَبُرَتۡ﴾: ضمير مستتر مبهم، يفسره ما بعده وهو ﴿كَلِمَةٗ﴾. والمعنى: كَبُرت الكلمة.

وأما المخصوص: فيذكر بعد الفاعل أو التمييز، نحو: نعم الرجل زيد. أو: نعم رجلًا زيد، وقد يحذف لدلالة المقام كما في هذه الآية، ووضحه المفسر بقوله: (أي: مقالتهم المذكورة). وكما في قوله تعالى: ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾ [صٓ: ٤٤]، أي: أيوب. وهذا ملخص هذا الباب، والتفصيل مذكور في كتب النحو المطولة.

للضمير المبهم. والمخصوص بالذم محذوف، أي: مقالتهم المذكورة ﴿إِن﴾ ما ﴿يَقُولُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا﴾ مقولًا ﴿كَذِبًا ۝٥﴾.

۝٦- ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ﴾ مهلك[(١)] ﴿نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ بعدهم، أي: بعد توليهم عنك ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَسَفًا ۝٦﴾ غيظًا وحزنًا منك[(٢)]، لحرصك على إيمانهم. ونصبه على المفعول له[(٣)].

۝٧- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ من الحيوان والنبات والشجر والأنهار وغير ذلك ﴿زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾ لنختبر الناس، ناظرين إلى ذلك[(٤)] ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ

---

(١) قوله: (مهلك). تفسير ﴿بَٰخِعٌ﴾. وهو اسم فاعل من: «بخَع، يبخَعُ، بخعًا، وبخُوعًا»، وبمثله فسر قتادة، قال: «قاتل نفسك».

تنبيه: «لعلّ» هنا للإشفاق، وهو توقع المكروه، ضد الترجّي، وهو توقع المحبوب، و«لعل» يستعمل فيهما. والأكثر مجيئه للترجّي كما بيّن النُحاة.

(٢) قوله: (غيظًا وحزنًا). روى ابن جرير عن قتادة: «غضبًا»، وعن مجاهد: «جزعًا»، وعن قتادة في رواية: «حزنًا عليهم»، فالمفسر جمع بين تفسيرين.

تنبيه: قال ابن كثير ما حاصله: «إن هذه الآية تسلية للنبي ﷺ... أي: لا تأسف عليهم، بل أبلغهم رسالة الله، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات».اهـ.

(٣) قوله: (ونصبه على المفعول له). أي ﴿أَسَفًا﴾ مفعول له، والمفعول له كما قال النحاة، وكما هو معروف: المصدر الذي يذكر علةً للحدث، ولنصبه شروط، ذكرناها في «الثلاثيات» مفصلة.

(٤) قوله: (ناظرين). حال من (الناس)، أي: لنختبر الناس حال كونهم ناظرين إلى ما على الأرض للاعتبار به أو للاغترار. و«أيّ» استفهامية، مبتدأ، و﴿أَحْسَنُ﴾ خبر، و﴿عَمَلًا﴾: =

عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ فيه، أي: أزهد له.

﴿٨﴾- ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ فُتاتًا[1] ﴿جُرُزًا ﴿٨﴾﴾ يابسًا لا ينبت.

﴿٩﴾-[2] ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ أي: ظننت ﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾ الغار في الجبل[3]

= تمييز. والجملة ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾: بدل من «هم» في ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾، بدل اشتمال، فهي في محل نصب، ويحتمل كون «أيّ» موصولية، فيكون بدلًا من «هم»، ويكون ﴿أَحْسَنُ﴾ خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره: هو أحسن، وهذه الجملة صلة الموصول.

(١) قوله: (فُتاتًا). الفتات: بضم الفاء، بمعنى اسم الفاعل: المتفتت، أي: المضمحل بالريح والمتلاشي.

قال قتادة: «الصعيد: الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات»، وعن ابن زيد: «الصعيد: المستوي، والجرز: لا شيء عليها»، والجرز: صفة مشبهة من: «جَرِزَ، يجرَزُ»، وهو نعت للصعيد. قال ابن إسحٰق: «معنى الآية: أن ما على الأرض فانٍ وبائِدٌ، والمرجع إلى الله، فلا تأس ولا تحزن».اهـ. بإيجاز.

(٢) بهذه الآية بدأ ذكر قصة أصحاب الكهف، وهي أحد الأمور الثلاثة التي سأل عنها زعماء قريش رسول الله ﷺ، كما تقدم.

روى ابن جرير وغيره قصتهم مفصلة عن ابن إسحٰق، وملخصها: أن أهل الإنجيل بدأ فيهم المعاصي حتى عبدوا الأصنام، وكان فيهم من يتمسك بالحق، وكان ملك من ملوك الروم اسمه: دقيانوس عبد الأصنام وأمر الناس به وقتل من خالفه، فاعتزلهم فتية من أهل الإيمان، وأحضروا عند الملك فقالوا له: إنهم على الحق، فهددهم وأجّل أمرهم ليتراجعوا، فوفقهم الله تعالى للفرار بالدين، وأن يأووا إلى الكهف في الجبل، فآووا إليه، فأماتهم الله تعالى ثلاثمائة سنة، ووقع ما قص الله علينا من الآيات التالية، ويرى ابن كثير أن هذه القصة وقعت قبل نزول الإنجيل، لاحتفاظ اليهود بها، وكانوا يخالفون الإنجيل وأهله، والعلم عند الله.

(٣) قوله: (الغار في الجبل). تفسير لـ﴿ٱلْكَهْفِ﴾، ولم أر فيه قولًا آخر.

﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾ اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم[(١)]، وقد سئل ﷺ عن قصتهم، ﴿كَانُوا۟﴾ في قصتهم ﴿مِنْ﴾ جملة ﴿ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ خبر «كان»[(٢)]، وما قبله حال، أي: كانوا عجبًا دون باقي الآيات، أو أعجبها، ليس الأمر كذلك[(٣)].

۝١٠- اذكر[(٤)] ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ جمع فتى[(٥)]، وهو الشاب

---

(١) قوله: (اللوح المكتوب...) تفسير للرقيم، وقد اختلف المفسرون في معناه على أقوال:

١- ما ذكر المفسر، روي عن سعيد بن جبير، وبنحوه عن ابن زيد، ومجاهد، وابن عباس في رواية. واختاره ابن جرير؛ لأن «الرقيم» فعيل، بمعنى: مرقوم، من الرقم.

٢- اسم للوادي، روي عن الضحاك، وقتادة، وابن عباس في رواية.

٣- اسم للجبل الذي فيه الكهف، روي عن ابن عباس.

٤- اسم للقرية، روي عن كعب.

(٢) قوله: (خبر «كان») أي: قوله: ﴿عَجَبًا﴾ خبر «كان». والجار والمجرور ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ في محل نصب حال، والمعنى: أم حسبت أنهم كانوا عجبًا حال كونهم من جملة آياتنا، أي: ليس الأمر كذلك بل السموات والأرض وما فيهما من العجائب أعجب من أصحاب الكهف. ذكره ابن جرير.

وأشار المفسر إلى وجهين: الأول: أم حسبت أن قصتهم عجيبة دون باقي الآيات. ليس الأمر كذلك بل كل ذلك عجيب. والثاني: أم حسبت أن قصتهم أعجب الآيات ليس الأمر كذلك، بل من الآيات ما هو أعجب من قصتهم، وإلى هذا المعنى أشار بقوله: أو أعجبها. وكلا المعنيين يستفاد من كلام أئمة التفسير.

(٣) قوله: (ليس الأمر كذلك). أشار به إلى أن الاستفهام المستفاد من ﴿أَمْ﴾ المنقطعة للنفي والإنكار.

(٤) قوله: (اذكر) قدره ليكون عاملًا في ﴿إِذْ﴾ كما سبق نظيره مرارًا.

(٥) قوله: (جمع فتى). وهو جمع قلة. وجمع القلة -كما هو معروف- ما كان على وزن: أفعِلة، أفعال، أفْعُل، فِعلَة، ويدل على العشرة وما دونها، وجمع الكثرة للفتى: الفتيان.

الكامل[١]. خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ﴾ من قِبَلِك[٢] ﴿رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ﴾ أصلح ﴿لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴿١٠﴾﴾ هداية.

﴿١١﴾- ﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ﴾ أي: أَنَمْنَاهم[٣] ﴿فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ﴿١١﴾﴾ معدودة[٤].

﴿١٢﴾- ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ﴾ أيقظناهم ﴿لِنَعۡلَمَ﴾ علم مشاهدة[٥] ﴿أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ﴾ الفريقين[٦] المختلفين في مدة لبثهم ﴿أَحۡصَىٰ﴾ أفعل بمعنى: أضبط[٧] ﴿لِمَا

---

(١) وقوله: (وهو الشاب). الشاب من سن البلوغ إلى الثلاثين.

(٢) قوله: (قبلك). بكسر القاف، أي: من عندك.

(٣) قوله: (أيْ: أَنَمْنَاهم). من الإنامة، أي: ألقينا عليهم النوم، وهكذا فسر ذلك المفسرون، قال البيضاوي: «أي: ضربنا عليهم حجابًا يمنع السماع، بمعنى: أنمناهم إنامة لا تنبههم فيها الأصوات».اهـ. وقال القرطبي: «هي من فصيحات القرآن التي أقرت العرب بالقصور عن الإتيان بمثله».اهـ. يشير به إلى أنه نوع من الاستعارة.

(٤) قوله: (معدودة). وهي ثلاثمائة سنة بحساب السنة الشمسية، وثلاثمائة وتسع سنوات بحساب السنة القمرية. كما سيذكر.

(٥) قوله: (علم مشاهدة). أي: ليشاهد الناس ما علم الله من شأنهم ومدة لبثهم، وإنما قدر ذلك؛ لأن الله عالم بهم وبكل شيء قبل الوقوع.

(٦) قوله: (الفريقين). هما: الفتية وأهل المدينة الذين بُعثت الفتية في عهدهم. عزاه القرطبي إلى الجمهور. وقيل: حزبان من الكفار اختلفوا في مدة لبثهم، وقيل: حزبان من المؤمنين. كما ذكره القرطبي. ونقل نحوه ابن جرير وغيره.

(٧) قوله: (أفعل بمعنى: أضبط). يعني: أن ﴿أَحۡصَىٰ﴾ اسم تفضيل من الإحصاء، بمعنى: أكثر إحصاءًا وضبطًا، وعلى هذا يكون ﴿أَمَدٗا﴾ مفعولًا به لفعلٍ محذوف تقديره: يُحصي، أو أحصى، وقيل: منصوب على التمييز، وفيه نظر؛ لأن المنصوب على التمييز بعد اسم التفضيل يكون فاعلًا له في المعنى. نحو: زيد أكثر مالًا، والمعنى: كثر ماله، وليس =

﴿لَبِثُوٓاْ﴾ للبثهم متعلق بما بعده ﴿أَمَدٗا ١٢﴾ غاية[1].

١٣- ﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ﴾ نقرأ ﴿عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ بالصدق[2] ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣﴾[3].

١٤- ﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ قوّيناها على قول الحق[4] ﴿إِذۡ قَامُواْ﴾ بين

= ﴿أَمَدٗا﴾ فاعلًا في المعنى لـ﴿أَحۡصَىٰ﴾، ثم أخذ اسم التفضيل من غير الثلاثي شاذ عند الجمهور، و﴿أَحۡصَىٰ﴾ مأخوذ من الإحصاء، ولكن أجازه سيبويه كما تقول: زيد أعطى للمال، وعمرو أضيع للوقت، ونحو ذلك.

وفي بعض نسخ «الجلالين»: ﴿أَحۡصَىٰ﴾ فعل، بمعنى: ضبط. أي: إن أحصى فعل ماض، وليس اسم تفضيل، وإليه ذهب البيضاوي. فلعل هذه النسخة أصح، وعلى هذا يكون ﴿أَمَدٗا﴾ مفعولًا به لـ﴿أَحۡصَىٰ﴾، والجار والمجرور متعلق بـ﴿أَمَدٗا﴾، أي: أمدًا لما لبثوا. أو حال منه، والتقدير: أمدًا حال كونه مستقرًا لما لبثوا.

و﴿أَيُّ﴾ استفهامية، و﴿أَحۡصَىٰ﴾ خبر على الوجهين. و﴿أَيُّ﴾ معلقة لـ﴿نَعۡلَمَ﴾، فالجملة سدت مسد المفعولين.

(١) قوله: (غاية). ذكره ابن كثير وجهًا، والوجه الآخر: ﴿أَمَدٗا﴾ بمعنى: عددًا، وعزاه ابن جرير إلى مجاهد، ومعناهما متقاربان.

(٢) قوله: (بالصدق). فسر به؛ لأن الصدق يتصف به الكلام، والحق يتصف به الكلام وغيره. وذلك لأن معنى الصدق: الكلام الموافق للواقع، ومعنى الحق: الثابت. وقد سبق مثل هذا الكلام.

(٣) وفي قوله تعالى: ﴿وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣﴾ دليل على زيادة الإيمان ونقصانه، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة خلافًا للمرجئة. وقد نبه على ذلك ابن كثير.

(٤) قوله: (قوّيناها...). وبمثله فسر أئمة التفسير. قال ابن جرير: «وألهمناهم الصبر، وشددنا قلوبهم بنور الإيمان».اهـ.

يدي ملكهم[(١)]، وقد أمرهم بالسجود للأصنام ﴿فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: غيره ﴿إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ أي: قولًا ذا شطط[(٢)]، أي: إفراط في الكفر إن دعونا إلهًا غير الله فرضًا[(٣)].

﴿١٥﴾ - ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأ ﴿قَوْمُنَا﴾ عطف بيان[(٤)] ﴿ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا﴾ هلّا[(٥)] ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾ على عبادتهم ﴿بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ﴾ بحجة ظاهرة ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم[(٦)] ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾ بنسبة الشريك إليه تعالى.

---

(١) قوله: (بين يدي ملكهم). وذلك أن هؤلاء الفتية لما اجتمعوا واعتزلوا قومهم -وكانوا أبناء زعمائهم وسادتهم في رغد العيش- علم بهم ملكهم دقيانوس، فأحضرهم بين يديه، وأمرهم بترك ما هم عليه من الحق، وبالتمسك بعبادة الأصنام، فقوّى الله تعالى قلوبهم بنور الإيمان، وأوضحوا الحق والتوحيد بين يدي ذلك الجبار، ولم يردعهم تهديده لهم، ولا ضيق عيشهم بعد ما كانوا متنعمين في مدينتهم. ذكر ذلك مفصّلًا ابن جرير، وابن كثير، وغيرهما، نقلًا عما روي في شأنهم.

(٢) قوله: (أي: قولًا ذا شطط). أشار به إلى أن ﴿شَطَطًا﴾ نعت لمنعوت محذوف، وهو مفعول مطلق لـ﴿قُلْنَآ﴾. والشطط: مصدر أريد به الوصف؛ مبالغة، كما تقول: زيد عدل، بمعنى: عادل. وفسره ابن كثير: «أي: باطلًا وبهتانًا». ونقل ابن جرير عن قتادة: «كذبًا»، وعن ابن زيد: «خطأ»، وكل ذلك متقارب.

(٣) وقوله: (إن دعونا إلهًا...). توضيح لمعنى: ﴿إِذًا﴾، وهو ظرف والتنوين فيه عوض عن الجملة المضاف إليها، ووضحها المفسر بقوله: (إن دعونا...).

وقوله: (فرضًا). أي: افتراضًا وتقديرًا.

(٤) قوله: (عطف بيان). ويصح إعرابه بدلًا.

(٥) قوله: (هلّا). أشار به إلى أن ﴿لَّوْلَا﴾ هنا تحضيضية.

(٦) قوله: (لا أحد أظلم). أشار إلى أن الاستفهام للإنكار.

﴿١٦﴾- قال بعض الفتية لبعض[(١)]: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ[(٢)] فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦﴾ بكسر الميم وفتح الفاء[(٣)]، وبالعكس: ما ترتفقون به من غداءٍ وعشاء[(٤)].

﴿١٧﴾- ﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ﴾ بالتشديد والتخفيف[(٥)]: تميل ﴿عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ﴾ ناحيته ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾[(٦)] تتركهم

---

(١) قوله: (قال بعض الفتية...). أفاد أن ما بعده مقول لبعضهم لبعض. نقل القرطبي عن ابن عطية: «أن قائله هو رئيسهم يمليخا»، وعن الغزنوي: «رئيسهم: مكسلمينا». قال: «وقيل: هو من قول الله لهم».

(٢) وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ استثناء من ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ﴾، ويكون الاستثناء منقطعًا إذا كان القوم لا يعرفون الله، وإنما يعرفون ويعبدون الأصنام فقط. ويكون الاستثناء متصلًا إذا كان هؤلاء يعبدون الله ويعبدون الأصنام، كما كان عليه مشركو العرب.

(٣) قوله: (بكسر الميم...). قراءتان: بفتح الميم وكسر الفاء: ﴿مَرۡفِقًا﴾: قراءة نافع، وابن عامر، وأبي جعفر. وبكسر الميم وفتح الفاء: ﴿مِّرۡفَقٗا﴾: قراءة الباقين.
المَرفق: من أوزان الظرف، والمِرفق: من أوزان الآلة، ومعناهما متقارب، وهما لغتان في مرفق اليد، كما ذكره في القاموس.

(٤) وقوله: (ما ترفقون به...). تفسير للمراد بالمرفق، وبنحوه فسر ابن جرير، وابن كثير، وغيرهما. قال ابن جرير: «ويعني بالمرفق: ما ترتفقون به من شيء».

(٥) قوله: (بالتشديد...). هنا ثلاث قراءات، ذكر المفسر اثنتين.
الأولى: ﴿تَزۡوَرُّ﴾ من الازاورار: قرأه ابن عامر، ويعقوب.
الثانية: ﴿تَزَاوَرُ﴾: بتخفيف الزاء، أصله: تتزاور: قرأه عاصم، وحمزة، والكسائي.
الثالثة: ﴿تَّزَٰوَرُ﴾: بتشديد الزاء، أصله: تتزاور: قرأه الباقون.

(٦) قوله تعالى: ﴿ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ﴾، أي: يمين الكهف، وكذا ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾. وكلاهما منصوب على الظرفية

وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم ألبتة[١] ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ متسع من الكهف يناهم برد الريح ونسيمها[٢] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾.

﴿١٨﴾- ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ لو رأيتهم[٣] ﴿أَيْقَاظًا﴾ أي: منتبهين؛ لأن أعينهم منفتحة[٤]، جمع يقِظ، بكسر القاف ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ نيام، جمع راقد ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ لئلا تأكل الأرض لحومهم[٥] ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ[٦] ذِرَاعَيْهِ﴾

(١) وقوله: (تتركهم). قاله ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما.

وقوله: (فلا تصيبهم ألبتة). أي: لا تصيبهم الشمس لا عند الطلوع ولا عند الغروب. عزاه القرطبي إلى ابن عباس. وقال: «كان كهفهم مستقبل بنات نعش في أرض الروم، فكان الشمس تميل عنهم طالعة وغاربة».اهـ. يشير إلى أن عدم إصابة الشمس لكون كهفهم إلى جهة الشمال، ونقل عن الزجاج أن فعل الشمس كان آية من آيات الله من دون أن يكون باب الكهف إلى جهة توجب ذلك، ثم قال: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، يقوي قول الزجاج. وقال أيضًا: «المقصود: بيان حفظهم عن تطرق البلاء وتغير الأبدان والألوان إليهم».اهـ.

(٢) قوله: (متسع...). كذا فسره ابن جرير وعزاه إلى أهل التفسير.

(٣) قوله: (لو رأيتهم). أشار به إلى أن المعنى: أنك لو رأيت رأيتهم كذا، لا أنك تراهم بالفعل، ذكر ذلك القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ﴾، والخطاب لكل مخاطب، كما يعلم من القرطبي، أو للنبي ﷺ، كما ذكره ابن جرير.

(٤) قوله: (لأن أعينهم...). عزا القرطبي ذلك إلى أهل التفسير، وقال: «وقيل: تحسبهم أيقاظًا لكثرة تقلبهم كالمستيقظ في مضجعه».اهـ.

(٥) قوله: (لئلا تأكل). قاله ابن عباس. و﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ منصوب على الظرفية، كما تقدم نظيره.

(٦) قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم﴾. قال القرطبي: «أكثر المفسرين أنه كلب حقيقة، وكان لصيد أحدهم أو زرعه»، ونقل عن ابن عباس: «أنهم وجدوا في طريقهم راعيًا له كلب =

يديه ﴿بِٱلۡوَصِيدِۚ﴾ بفناء الكهف[(١)]، وكانوا إذا انقلبوا انقلب معهم، وهو مثلهم في النوم واليقظة ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا﴾[(٢)] ﴿وَلَمُلِئۡتَ﴾ بالتخفيف والتشديد[(٣)] ﴿مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨﴾ بسكون العين وضمها[(٤)]، منعهم الله بالرعب من دخول أحد عليهم[(٥)].

= فتبعهم»، واختلف في اسمه؛ فعن عليٍّ: «ريان»، وعن ابن عباس: «قطمير»، وعن الأوزاعي: «مشير»، وقيل: غير ذلك، كما في القرطبي.

تنبيه: ﴿ذِرَاعَيۡهِ﴾ مفعول به لـ﴿بَٰسِطٞ﴾، وهو اسم فاعل، ومن شرط نصبه المفعول به كونه بمعنى الحال أو الاستقبال لا بمعنى الماضي، فهٰهنا بمعنى الحال تقديرًا؛ لأنه لحكاية الحال الماضية، ولذا قال: ﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ﴾ بصيغة المضارع، وهذا قول الجمهور. وذهب الكسائي إلى إعمال اسم الفاعل ولو كان بمعنى الماضي مستدلًا بهذه الآية، أي: بظاهرها.

(١) قوله: (فناء الكهف). كذا فسره ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وقتادة، والضحاك. وعن ابن عباس أيضًا: «الوصيد: الباب».

(٢) ﴿فِرَارٗا﴾: مفعول مطلق لـ﴿لَوَلَّيۡتَ﴾.

(٣) قوله: (بالتشديد والتخفيف). فيه أربع قراءات:

١- بالتشديد والهمزة: ﴿وَلَمُلِّئۡتَ﴾: قراءة نافع، وابن كثير.

٢- بالتشديد والياء: ﴿وَلَمُلِّيۡتَ﴾: قراءة أبي جعفر.

٣- بالتخفيف والياء: ﴿وَلَمُلِيۡتَ﴾: قراءة السوسي.

٤- بالتخفيف والهمزة: ﴿وَلَمُلِئۡتَ﴾: قراءة الباقين. والتشديد للمبالغة، والياء مقلوبة عن الهمزة تخفيفًا.

(٤) قوله: (بسكون العين...). قراءتان: بضم العين: ﴿رُعُبٗا﴾: قراءة ابن عامر، والكسائي، وأبي جعفر، ويعقوب. وبالسكون: ﴿رُعۡبٗا﴾: قراءة الباقين. وهما لغتان. قاله القرطبي.

(٥) وقوله: (منعهم الله...). قال مثله ابن جرير: «لما كان الله ألبسهم من الهيبة كيلا يصل إليهم واصل، ولا تلمسهم يد لامس، حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله».اهـ.

(١٩)- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما فعلنا بهم ما ذكرناه[١] ﴿بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أيقظناهم[٢] ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ عن حالهم ومدة لبثهم ﴿قَالَ قَآئِلٌ[٣] مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس[٤]، وبُعثوا عند غروبها؛ فظنوا أنه غروب يوم الدخول، ثم ﴿قَالُوا۟﴾ متوقفين في ذلك[٥]: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرْقِكُمْ﴾ بسكون الراء وكسرها[٦]: بفضتكم ﴿هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ يقال: إنها المسماة الآن[٧]: طرسوس، بفتح الراء ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أي: أيّ أطعمة المدينة أحلّ ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ[٨] وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩)﴾.

---

(١) قوله: (ما ذكرناه). أي: من إنامتهم وزيادة الهدى وتقليبهم.

(٢) قوله: (أيقظناهم). تفسير للمراد بالبعث، قال القرطبي: «البعث: التحريك عن سكون». واللام في ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟﴾: لام الصيرورة.

(٣) قوله تعالى: ﴿قَآئِلٌ﴾. وهو رئيسهم: يمليخا، أو مكسلمينا. قاله القرطبي.

(٤) قوله: (لأنهم دخلوا...). ذكره المفسرون كابن كثير، والقرطبي، وغيرهما.

(٥) قوله: (متوقفين). أي: متحيرين؛ لأنهم استنكروا من أنفسهم طول رقدتهم.

(٦) قوله: (بسكون الراء...). قرأ بالسكون: ﴿بِوَرْقِكُمْ﴾: أبو عمرو، وشعبة، وحمزة، وخلف، وروح. وبالكسر: ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾: الباقون. وهما لغتان، السكون تخفيف الكسر كما يعلم من القرطبي.

(٧) قوله: (يقال: إنها المسماة...). قال القرطبي: «إن اسم المدينة في الجاهلية: أفسوس، فلما جاء الإسلام سموها بالطرسوس».اهـ. وهي مدينة في تركيا.

(٨) قوله تعالى: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾. أي: في دخول المدينة، وشراء الطعام.

فائدة: هذه الكلمة ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ يعتبر منتصف القرآن باعتبار عدد الحروف، فالتاء =

(٢٠) - ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم بالرجم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا﴾ أي: إن عدتم في ملتهم[(١)] ﴿أَبَدًا ٢٠﴾.

(٢١) - ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما بعثناهم ﴿أَعْثَرْنَا﴾ أَطْلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قومهم[(٢)]

= بعد الياء من النصف الأول، واللام التي بعدها من النصف الثاني، وهكذا وجد مطبوعًا على هامش بعض المصاحف.

(١) قوله: (أي: إن عدتم...). توضيح للجملة المحذوفة المضاف إليها ﴿إِذًا﴾، والتي عوض عنها تنوينه.
قال القرطبي: «روي أنهم انتبهوا جياعًا، وأن الذي بعثوه هو يمليخا، وكان أصْغرهم فيما ذكره الغزنوي».اهـ.

(٢) قوله: (أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قومهم...). قومهم: مفعول به لـ﴿أَعْثَرْنَا﴾ الذي فسره بـ(أطلعنا). روى أئمة التفسير كابن جرير، وابن كثير، والقرطبي، وغيرهم قصتهم مفصلة وفيها ما حاصله: أنه بعد مضي ثلاثمائة سنة عليهم في الكهف، أيقظهم الله، وهم يحسبون أنهم في اليوم الذي ناموا فيه، ووجدوا جوعًا، فأرسلوا أحدهم إلى المدينة ليحضر لهم الطعام، فلما رأى المدينة وأهلها استنكر، وأهل المدينة كذلك استنكروا، واستغربوا النقد الذي كان معه، فأحضروه إلى ملكهم، وكان مسلمًا، فسأله عن شأنه وشأن أصحاب الكهف، فقام الملك ومن معه من أهل البلد إلى الكهف، فتقدمهم إلى الكهف ذلك الفتى، فقيل: أن الملك ومن معه لم يستطيعوا الدخول في الكهف، وقيل: بل دخلوا، وعانقهم الملك ودعوا له، رجحه ابن جرير، ثم ودّعوهم، وأماتهم الله تعالى في كهفهم، ورجع الملك ومن معه. وكان اسم الملك «يندوسيس»، وكان دعا الله تعالى أن يريهم آية ظاهرة للبعث؛ لأن قومه كان فيهم من ينكر البعث، وانتشر فيهم هذه العقيدة الفاسدة، فكان الاطلاع على أهل الكهف آية لهم على البعث، أظهرها الله استجابة لدعاء الملك».
قال القرطبي: «وأما أسماء أهل الكهف فأعجمية: والسند في معرفتها واهٍ». والذي ذكره الطبري هي هذه: مكسلمينا وهو أكبرهم، والمتكلم عنهم، ومحسيميلنينا، ويمليخا،=

والمؤمنين ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ أي: قومهم ﴿أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقّٞ﴾ بطريق أن القادر على إنامتهم المدة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غذاء قادر على إحياء الموتى ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ﴾ شك ﴿فِيهَآ إِذۡ﴾ معمول لـ«أَعۡثَرۡنَا»[(١)]، ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ أي: المؤمنون والكفار[(٢)] ﴿بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ﴾ أمر الفتية في البناء حولهم ﴿فَقَالُواْ﴾ أي: الكفار ﴿ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم﴾ أي: حولهم ﴿بُنۡيَٰنٗاۖ﴾ يسترهم ﴿رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ﴾ أمر الفتية، وهم المؤمنون ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم﴾ حولهم ﴿مَّسۡجِدٗا ٢١﴾ يصلّى فيه، وفعل ذلك على باب الكهف[(٣)].

= وهو الذي مضى بالورق إلى المدينة عند بعثهم من رقدتهم، ومرطوس، وكشوطوش، ودينموس، ويطونس، وبيرونس.اهـ. مع اختلاف في ضبط أسمائهم وعددهم.

(١) قوله: (معمول لـ﴿أَعۡثَرۡنَا﴾) أي: ﴿إِذۡ﴾: ظرف لـ﴿أَعۡثَرۡنَا﴾، فهو في محل نصب، ومضاف لما بعده.

(٢) قوله: (أي: المؤمنون والكفار). يعني: أن المتنازعين في شأنهم كانوا المؤمنين والكفار، فقال الكفار: نبني عليهم بنيانًا، وقال المسلمون: نبني على حولهم مسجدًا، نعبد الله فيه. هكذا ورد في رواية ابن جرير عن عبدالله بن عبيد بن عمير.

وذهب ابن كثير أن المراد بالتنازع هنا: تنازعهم في شأن البعث، وعلى هذا يكون الضمير في ﴿أَمۡرَهُمۡۖ﴾ عائدًا إليهم لا إلى الفتية، وتكون الفاء في ﴿فَقَالُواْ﴾ للعطف على ﴿أَعۡثَرۡنَا﴾ لا على ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾، وهذا أدق باعتبار المعنى؛ لأن تنازعهم في البناء كان بعد العثور عليهم فليس وقت التنازع وقت الإعثار عليهم، والله أعلم، كما ذهب إلى أن رأيهم باتخاذ المسجد حولهم رأيٌ مذموم، لقوله ﷺ: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد**»، يحذر ما فعلوا. [البخاري].

(٣) قوله: (وفعل ذلك...). أي: بنى ملكهم المسجد على باب الكهف. ذكره البيضاوي. ولم يذكر ذلك ابن جرير في الروايات.

(٢٢)- ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي: المتنازعون في عدد الفتية في زمن النبي ﷺ، أي: يقول بعضهم: هم ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾[(١)] ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ﴾ أي: بعضهم: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، والقولان لنصارى نجران[(٢)] ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: ظنًّا في الغيبة عنهم، وهو راجع إلى القولين معًا، ونصبه على المفعول له[(٣)]، أي: لظنهم ذلك ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: المؤمنون: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الجملة من المبتدأ وخبره صفة «سَبْعَةٌ» بزيادة الواو[(٤)]، وقيل: تأكيدًا ودلالة على لصوق الصفة بالموصوف[(٥)]،

---

(١) قوله: (هم ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾). قدر الضمير (هم) ليكون مبتدأ، و﴿ثَلَٰثَةٌ﴾ خبره، وجملة ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ في محل رفع صفة ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾. والجملتان في محل نصب مقول القول، وكذلك ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾. معنى ﴿رَّابِعُهُمْ﴾: أن الكلب جعل عددهم أربعة بانضمامه إليهم، كما تفيد إضافة فاعل من أسماء الأعداد إلى العدد الذي دونها مثلًا لو قلت: زيد رابعُ ثلاثةٍ أو رابعٌ ثلاثةً. فمعناه: أنه جعل الثلاثة أربعةً بانضمامه إليهم، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في رسالة: «إحكام العُدد في أحكام العَدد».

(٢) قوله: (القولان لنصارى نجران). حكاه القرطبي بـ«قيل» بدون عزو: «فإن قومًا منهم حضروا النبي ﷺ من نجران فجرى ذكر أصحاب الكهف، فقالت اليعقوبية: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقالت النسطورية: كانوا خمسة سادسهم كلبهم، وقال المسلمون: هم سبعة وثامنهم كلبهم».اهـ.

(٣) قوله: (ونصبه...). أي: نصب ﴿رَجْمًا﴾ على أنه مفعول له لـ﴿وَيَقُولُونَ﴾.

(٤) قوله: (بزيادة الواو). أي: بين الموصوف ﴿سَبْعَةٌ﴾، والصفة: جملة ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾. وكل زائد يفيد التوكيد، فالواو تؤكد العدد المذكور قبله أنه سبعة بدون زيادة.

(٥) قوله: (ودلالة...) هذا من جملة معنى التأكيد.

الخلاصة: هذه الواو زائدة لإفادة التوكيد، وأشار لنحوه القرطبي، ونقل عن ابن خالويه وغيره: هي الواو المسماة بـ«واو الثمانية». وحكى الثعلبي عن أبي بكر بن عياش أن العرب =

ووصف الأولين بالرجم دون الثالث[(١)]؛ دليل على أنه مرضيّ وصحيح ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ﴾ قال ابن عباس: «أنا من القليل»[(٢)]، وذكرهم سبعة ﴿فَلَا تُمَارِ﴾ تجادل ﴿فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾ بما أنزل عليك[(٣)] ﴿وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم﴾ تطلب الفتيا ﴿مِّنۡهُمۡ﴾ من أهل الكتاب اليهود[(٤)] ﴿أَحَدٗا ٢٢﴾.

٢٣- وسأله أهل مكة عن خبر أهل الكهف[(٥)]، فقال «**أخبركم به غدًا**»، ولم

= تدخل الواو في الثمانية، قيل: لأن السبعة كانت عندهم العدد الكامل، كالعشرة عندنا. وجعلوا من ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ...﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَٱلنَّاهُونَ ...﴾ [التوبة: ١١٢]، بالواو في الثامن، وكذا قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ٥﴾ [التحريم: ٥]، بالواو مع الثامن».اهـ. ولكن ليس ذكر الواو مع الثامن مطردًا فكثيرًا يذكر الثامن بلا واو، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ﴾، ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ﴾ هو الوصف الثامن هنا، ذكر بلا واو، ولذلك لم يثبت واو الثمانية إلا بعض النحاة. وقال الكافيجي: «واو الثمانية هي الواو العاطفة لكن لما أفادت نقطة خاصة سميت واو الثمانية». نقله عنه الشيخ محي الدين الدرويش في كتابه «إعراب القرآن».

ويحتمل كون الواو في ﴿وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ﴾ للحال، والجمل حال من ﴿سَبۡعَةٞ﴾.

(١) قوله: (ووصف الأولين...) أي: القولين الأولين، أي القول بأنهم ثلاثة أو خمسة. وقوله: (دون الثالث). أي القول الثالث. وهو أنهم سبعة.

(٢) قوله: (قال ابن عباس:...). رواه عنه ابن جرير من طرق.

(٣) قوله: (بما أنزل عليك). وبنحوه روى ابن جرير عن ابن عباس وغيره، قال ابن عباس: «يقول: حسبك ما قصصت عليك فلا تمار فيهم».اهـ.

(٤) قوله: (من أهل الكتاب اليهود). هكذا روى عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. [ابن جرير].

(٥) قوله: (وسأله...). ظاهر كلام المفسر يوهم أن سبب نزول هذه الآية ما ذكر. وقد تقدم في أول السورة أن ذلك كان سببًا لنزول هذه السورة، وآية ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ ...﴾ =

يقل: «إن شاء الله»؛ فنزل: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ﴾ أي: لأجل شيء ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾﴾ أي: فيما يستقبل من الزمان[(١)].

﴿٢٤﴾- ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أي: إلا ملتبسًا بمشيئة الله تعالى[(٢)]، بأن تقول: «إن شاء الله»، ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾ أي: مشيئته معلقًا بها[(٣)] ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ التعليق بها، ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول. قال الحسن وغيره[(٤)]: «ما دام

= [الإسراء: ٨٥]؛ فلعل مراد المفسر أن هذه الآية فيها تنبيه للنبي ﷺ على أن لا يجزم بشيء من الأمور المستقبلية إلا بالتعليق بمشيئة الله تعالى. كما فسر كذلك ابن جرير وغيره.

(١) قوله: (أي: فيما يستقبل) أفاد به أن المراد بالغد مطلق الاستقبال لا اليوم التالي لليوم الذي أنت فيه بخصوصه، كما أشار لذلك كلام ابن كثير وغيره.

(٢) قوله: (إلا ملتبسًا...) يعني: إلا أن تقول معه: إن شاء الله، قاله ابن جرير. فحذف القول اكتفاءً بالمقول، نبه على ذلك ابن جرير.

(٣) قوله: (معلقًا بها...) المعنى: إذا نسيت «إن شاء الله» فقل ذلك عند التذكر. قاله ابن كثير، وعزاه إلى أبي العالية، والحسن.

(٤) وقوله: (قال الحسن وغيره: ...). نقل القرطبي ذلك عن الحسن بدون ذكر الإسناد.

تنبيه: روى ابن جرير عن ابن عباس: «أن من حلف على شيء فله أن يستثني ولو إلى سنة».اهـ. أي: أخذًا من هذه الآية؛ لأن التعليق بمشيئة الله نوع استثناء وقد أمر به إذا نسيه المتكلم عند التذكر، ولم يذكر له مدة، فدل على صحة الاستثناء ولو بعد مدة... ولكن قال ابن جرير، وابن كثير وغيرهما: أن مراد ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه لمن نسي قول «إن شاء الله» في يمينه أو كلامه أن يقوله عند التذكر، حتى يسقط عنه الحرج بتركه ويأتي بالسنة، وليس المراد أنه لا يحنث وتسقط عنه الكفارة، وكذا ليس المراد أنه يصح الاستثناء من كلامه بعد طول الفصل، مثلًا أن يقر اليوم بألفٍ ثم يستثنى من ذلك مائة بعد مدة، فهذا ليس بصحيح ولا مقبول، خلافًا لبعض الأصوليين ممن عمم هذه المسألة وعزاها إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

في المجلس» ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا﴾ من خبر أهل الكهف في الدلالة على نبوتي[1] ﴿رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ هداية، وقد فعل الله ذلك.

﴿٢٥﴾- ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ﴾ بالتنوين[2] ﴿سِنِينَ﴾ عطف بيان[3] لـ«ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ»، وهذه السنون الثلاثمائة عند أهل الكهف شمسية[4]، وتزيد

---

(١) قوله: (من خبر أهل الكتاب) متعلق بـ﴿لِأَقْرَبَ﴾، وكذلك قوله: (في الدلالة). وبنحو ما فسره قال ابن جرير، ونقل القرطبي عن محمد الكوفي المفسر: «إنها بألفاظها مما أمر أن يقولها كل من نسي الاستثناء، فهي كفارة عن النسيان».اهـ. أي: من نسي قول «إن شاء الله» فليقل: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ ...﴾ الآية». ونقله ابن جرير أيضًا.

(٢) قوله: (بالتنوين). أي: بتنوين ﴿مِا۟ئَةٍ﴾ بدون إضافتها إلى ﴿سِنِينَ﴾. وهذه قراءة الجمهور، إلا أن أبا جعفر قرأ ﴿مِيَةٍ﴾: بقلب الهمزة ياءً. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف بإضافة ﴿مِا۟ئَةٍ﴾ إلى ﴿سِنِينَ﴾. والأكثر إضافة «مائة» إلى المفرد، نحو: مائة حبة، ويجوز الإضافة إلى الجمع. قاله أبو علي وغيره.

ولفظ «سنون» جمع سنة، وأصلها: سنو أو سنه، حذفت لام الكلمة وعوض عنها تاء التأنيث، فجمع جمعًا مذكرًا سالمًا جبرًا لحذف لام الكلمة. ولذلك يعتبر هذا الجمع «سنون» بمثابة المفرد،ولذا حسن إضافة «مائة» إليه. ذكره النحاة، وقد بينا ذلك في كتاب «إحكام العُدد في أحكامِ العَدد».

(٣) وقول المفسر: (عطف بيان). أي: على القراءة بالتنوين يكون ﴿سِنِينَ﴾ عطف بيان لـ﴿ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ﴾.

(٤) قوله: (وهذه... شمسية). وهكذا فسر ابن كثير، أي: لأن كل مائة سنة شمسية تكون مائة وثلاث سنوات قمرية، وعزاه القرطبي إلى الغزنوي، وحكاية النقاش، ثم هذا بيان لمقدار ما لبثوا في كهفهم من حين رقدتهم إلى أن بعثهم الله تعالى. كما قاله ابن كثير، وغيره.

القمرية عليها عند العرب تسع سنين، وقد ذكرت في قوله: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ٢٥﴾ أي: تسع سنين، فالثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع قمرية.

٢٦- ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ ممن اختلفوا فيه[١]، وهو ما تقدم ذكره[٢] ﴿لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: علمه ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ﴾ أي: بالله، هي صيغة تعجب[٣] ﴿وَأَسۡمِعۡۚ﴾ به كذلك[٤]، بمعنى: ما أبصره وما أسمعه[٥]، وهما على جهة المجاز[٦]، والمراد أنه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه شيء ﴿مَا لَهُم﴾

---

(١) قوله: (ممن اختلفوا). قدره ليكون المفضل عليه لاسم التفضيل: ﴿أَعۡلَمُ﴾.

(٢) وقوله: (وهو ما تقدم ذكره). أي: مدة لبثهم ما تقدم ذكره وهو ثلاثمائة سنة وتسع سنوات.

(٣) قوله: (هي صيغة تعجب). أي: ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ﴾ صيغة التعجب وهي عند البصريين فعل ماضٍ مبني على الفتح المقدر، لكونه على شكل الأمر. وذلك أن أصل قولك: أحسن بزيد، هو: أحسنَ زيدٌ. ثم لما ضمن الفعل معنى التعجب الذي هو إنشاء حول صيغته إلى صيغة الإنشاء، أي: الأمر، فاستقبح وجود فاعل مرفوع بعد صيغة الأمر، فأدخل فيه الباء ليكون على صورة المفعول به. كما فصله النحاة.

(٤) وقوله: (كذلك). أي: كصيغة: أسمع به.

(٥) وقوله: (بمعنى: ما أسمعه). هذا بيان لمعنى التعجب الذي وضع له هذا اللفظ ، وليس بيانًا للإعراب؛ لأن إعراب (ما أسمعه): أن (ما) مبتدأ، وجملة (أسمعه) خبر، على المشهور، كما فصله النحاة. فإعراب الصيغتين مختلف.

(٦) وقوله: (وهما على جهة المجاز). أي: استعمال صيغة التعجيب في حقه تعالى مجاز، أي: إذا فسّر التعجب بأنه استعظام أمر خفي سببه؛ لأن الله تعالى لا يخفى عليه شيء، ولكن من صفاته تعالى العجب كما ورد في السنة، وذلك بمعنًى يليق به لا بالمعنى المذكور. وما ذكره المفسر من أن المراد أنه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه شيء. ذكر نحوه ابن جرير، =

لأهل السماوات والأرض ﴿مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ ناصر ﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦﴾ لأنه غني عن الشريك.

٢٧- ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧﴾ ملجأ.

٢٨- ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾ احبسها ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ﴾ بعبادتهم ﴿وَجۡهَهُۥۖ﴾ تعالى، لا شيئًا من أغراض الدنيا، وهم الفقراء(١) ﴿وَلَا تَعۡدُ﴾ تنصرف ﴿عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾ عبر بهما عن صاحبهما(٢) ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾ أي: القرآن، هو عيينة بن حصن

= وحكاه عن قتادة، فقال ابن جرير: «وتأويل الكلام: ما أبصر الله لكل موجود، وأسمعه لكل مسموع، لا يخفى عليه من ذلك شيء».اهـ.

(١) قوله: (وهم الفقراء). أي: المراد بالذين يدعون ربهم المذكورين في الآية، والذين أمر رسول الله ﷺ بالجلوس معهم هم فقراء المسلمين. روى ابن جرير عن سلمان الفارسي، قال: «جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ: عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وذووهم، فطلبوا منه أن يؤخر فقراء المسلمين عن المجلس، فنزلت هذه الآية».اهـ. ملخصًا. وعلى هذا تكون الآية مدينة كما ذكرنا في أول السورة. وقال ابن كثير: «يقال إنها نزلت في أشراف قريش حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم ولا يجالسهم بضعفاء المسلمين».اهـ. ملخصًا. وعلى هذا تكون الآية مكية كبقية السورة، وكما يناسب ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا...﴾.

(٢) قوله: (عبر بهما عن صاحبهما) أي: عبر بالعينين والمراد صاحبهما، فيكون من المجاز المرسل، من إطلاق الجزء وإرادة الكل. وجملة ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ في محل نصب حال.

وأصحابه[1] ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في الشرك ﴿وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ إسرافًا.

٢٩- ﴿وَقُلِ﴾ له ولأصحابه: هذا القرآن[2] ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ تهديد لهم[3] ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الكافرين[4] ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾ ما أحاط بها[5] ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ كعكر الزيت[6] ﴿يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ﴾ من حرّه إذا قرب إليها ﴿بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ﴾ هو[7] ﴿وَسَآءَتۡ﴾ أي: النار ﴿مُرۡتَفَقًا ٢٩﴾ تمييز منقول عن الفاعل[8]، أي: قبح

---

(١) قوله: (هو: عيينة بن حصن...). كان من المؤلفة قلوبهم، ولم يكن عندئذ بصيرة بالإسلام، كما يعلم من ابن جرير، وإذا كانت الآية في شأن رؤساء الكفار فالمعنى واضح، كما أشرنا إلى ذلك.

الخلاصة: تطبيق الآية على عيينة بن حصن وأصحابه محلّ إشكال.

(٢) قوله: (هذا القرآن). قدره ليكون مبتدأ، و﴿ٱلۡحَقُّ﴾ خبرًا. والجملة مقول القول في محل نصب.

(٣) قوله: (تهديد). كما قاله ابن جرير، ورواه عن مجاهد وغيره، أي: فليست الآية في التخيير بين الإيمان والكفر، وذلك واضح.

(٤) قوله: (أي: الكافرين) كذا رواه ابن جرير عن ابن زيد.

(٥) قوله: (ما أحاط بها). أي: حائط من نار، قاله ابن عباس. وكما قال ابن جرير: «حائط من نار يطيف بهم كسرادق الفسطاس»، ووزنه: «فُعَالِلُ» من: سَرْدق.

(٦) قوله: (كعكر الزيت). وهو ما يرسب من الزيت في إنائه، وبمثله فسر ابن عباس، وعنه أيضًا: «أسود كهيئة الزيت»، وعن ابن جبير: «المهل: الذي انتهى حرّه»، وعن مجاهد: «القيح والدم». قال ابن كثير بعد نقل الأقوال فيه: «ولا منافاة بينها، فإن المهل يجمع هذه الأوصاف كلها».اهـ. ملخصًا. أعاذنا الله منه.

(٧) قوله: (هو). قدره ليكون مخصوصًا بالذم.

(٨) قوله: (تمييز...). على هذا يكون تمييزًا للنسبة، ولا يكون قوله ﴿وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ من =

مرتفقها، وهو مقابل لقوله الآتي في الجنة: «وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٣١﴾»، وإلا فأي ارتفاقٍ في النار؟[(١)].

﴿٣٠﴾- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ الجملة خبر «إِنَّ ٱلَّذِينَ»[(٢)]، وفيها إقامة الظاهر مُقَام المضمر، والمعنى: أجرهم، أي: نثيبهم بما تضمنه[(٣)]:

﴿٣١﴾- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ إقامة ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ قيل: «مِنۡ» زائدة[(٤)]، وقيل: للتبعيض[(٥)]، وهي جمع أسورة كأحمرة جمع

= أسلوب الذم، ويصح جعله منه، فيكون فاعل ﴿وَسَآءَتۡ﴾ ضميرًا مبهمًا، و﴿مُرۡتَفَقًا﴾ تمييزله، والمخصوص محذوف، والمرتفق: اسم ظرف من: ارتفق. وفي بعض النسخ بعد ﴿مُرۡتَفَقًا﴾: متكأ.

(١) قوله: (فأي ارتفاق). أي: لا ارتفاق فيها.

(٢) قوله: (الجملة ...). أي: جملة ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ ...﴾ فهي خبر «إنّ» في ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾، وإذا وقعت الجملة خبرًا للمبتدأ أو للناسخ احتاجت إلى رابط يربطها بالمبتدأ أو اسم الناسخ. والرابط إما ضمير أو اسم إشارة أو إعادة ذكر المبتدأ أو عموم، وهٰهنا لما وضع الاسم الظاهر -وهو ﴿مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾، أي: الاسم الموصول ﴿مَنۡ﴾- مقام الضمير: هم. حصل الربط بسبب العموم، فإن الاسم الموصول عام دخل في عمومه الاسم، أي: الذين آمنوا... ووضع الاسم الظاهر مقام الضمير يكون لفائدة بلاغية.

(٣) قوله: (بما تضمنه). فاعل (تضمنه): الآية التالية.

(٤) قوله: (قيل: ﴿مِنۡ﴾ زائدة) أي: فالمعنى: يحلون فيها أساور، فيكون مفعولًا ثانيًا لـ﴿يُحَلَّوۡنَ﴾.

(٥) وقوله: (للتبعيض). فالمعنى: بعض أساور، ويحتمل كون الجار والمجرور ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ صفة لمحذوف مفعولٍ ثان، والتقدير: يحلون فيها حليًا من أساور.

سوار[1] ﴿مِن ذَهَبٍ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرًا مِّن سُندُسٍ﴾ ما رقَّ من الديباج[2] ﴿وَإِسۡتَبۡرَقٍ﴾ ما غلظ منه، وفي آية الرحمن[3]: «بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٍۚ». ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ﴾ جمع أريكة، وهي السرير في الحجلة، وهي بيت يزين بالثياب والستور للعروس ﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ﴾ الجزاء[4]: الجنة ﴿وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا ٣١﴾.

٣٢- ﴿۞وَٱضۡرِبۡ﴾ اجعل[5] ﴿لَهُم﴾ للكفار مع المؤمنين ﴿مَّثَلًا رَّجُلَيۡنِ﴾

---

(١) قوله: (جمع سوار:...) أي: فيكون أساور جمع الجمع. والجار والمجرور ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ نعت لـ﴿أَسَاوِرَ﴾.

(٢) قوله: (ما رقّ) أي: نحف وخفّ، فالسندس: الحرير الرقيق. نقله القرطبي عن الكسائي، والإستبرق: الحرير الثخين. نقله عن عكرمة.

(٣) وقوله: (وفي آية الرحمن:...). أفاد به أن البطائن تكون من إستبرق والظهائر من سندس. كما ذكره المفسر في تفسير سورة الرحمن، فما أجمل هنا مفصل في سورة الرحمن. قال القرطبي: «خصَّ الأخضر بالذكر؛ لأنه الموافق للبصر؛ لأن البياض يبدد النظر والسواد يذم، والخضرة بين البياض والسواد».اهـ.

(٤) قوله: (الجزاء) تفسير ﴿ٱلثَّوَابُ﴾.

وقوله: (الجنة). مخصوص بالمدح، وإعراب ﴿وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا ٣١﴾ كما في ﴿وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ٢٩﴾.

(٥) قوله: (اجعل) تفسير لـ﴿ٱضۡرِبۡ﴾. و«ضرب» يأتي لمعانٍ كثيرة منها: جعل. وعلى هذا يكون له المفعولان: الأول: ﴿مَّثَلًا﴾. والثاني: ﴿لَهُم﴾، و﴿رَّجُلَيۡنِ﴾ بدل، وعلى هذا مشى المفسر، ويصح جعل ﴿رَّجُلَيۡنِ﴾ هو المفعول الثاني؛ فيكون الجار والمجرور ﴿لَهُم﴾ متعلقًا بـ﴿وَٱضۡرِبۡ﴾.

واختلف في المراد بالرجلين، مع الوفاق بأن هذا مثل لمن يتعزز بالدنيا، ويستنكف عن مجالسة المؤمنين، فهذه الآية مرتبطة بما قبلها، كما يعلم من أئمة التفسير؛ كابن جرير، وابن كثير، والقرطبي وغيرهم. =

بدل، وهو وما بعده تفسير للمثل ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾ الكافر ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ بستانين ﴿مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾ يقتات به.

﴿٣٣﴾ - ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ﴾ «كِلْتَا»: مفرد يدل على التثنية[1]، مبتدأ ﴿آتَتْ﴾ خبره ﴿أُكُلَهَا﴾ ثمرها ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ﴾ تنقص[2] ﴿مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا﴾ أي: شققنا ﴿خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾ يجري بينهما.

﴿٣٤﴾ - ﴿وَكَانَ لَهُ﴾ مع الجنتين ﴿ثَمَرٌ﴾ بفتح الثاء[3] والميم وبضمهما، وبضم

= والرجلان المذكوران هنا: نقل القرطبي عن الكلبي: «هما أخوان من أهل مكة مخزوميان أحدهما مؤمن اسمه أبو سلمة عبدالله بن عبدالأسد، زوج أم سلمة قبل زواج النبي ﷺ، والآخر كافر اسمه: الأسود بن عبدالأسد. وقيل: رجلان من أهل الكتاب مؤمن اسمه يهوذا، وكافر اسمه قرطوش.

ومعنى: ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا﴾: أحطناهما، أي: جعلنا النخيل محيطًا بالجنتين.

(١) قوله: (﴿كِلْتَا﴾: مفرد...) أي: باعتبار المعنى: لأن معناه كل واحدٍ من الاثنين لا مجموع الاثنين. ولذا يعود إليه الضمير المفرد. كما هنا في ﴿آتَتْ أُكُلَهَا﴾. حيث لم يقل: آتتا أكلهما. أو يقال: ﴿كِلْتَا﴾: لفظ مفرد، وإن دلّ على اثنين، وعلى كل حال الأفصح عود الضمير المفرد، وقيل: يجوز عود ضمير المثنى إليه اعتبارًا بمعناه. ثم ﴿كِلْتَا﴾ هنا مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة، وليس بالألف؛ لأنه يعرب بإعراب المثنى إذا أضيف إلى الضمير، وأما إذا أضيف إلى الاسم الظاهر؛ فإعرابه بحركات مقدرة. كما هو معروف في علم النحو. و«كلا» و«كلتا» لا يستعملان إلا مضافين، كبعض الأسماء الأخرى.

(٢) قوله: (تنقص). تفسير ﴿تَظْلِمْ﴾، من قولهم: ظلم فلان فلانًا حقه، أي: نقصه. قاله ابن جرير.

(٣) قوله: (بفتح الثاء). إشارة إلى القراءات الثلاث: =

الأول وسكون الثاني، وهو جمع ثمرة[١]، كشجرة وشجر وخشبة وخشب وبدنة وبدن ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ يفاخره ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤﴾ عشيرة.

٣٥- ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ بصاحبه[٢]، يطوف به فيها، ويريه أثمارها، ولم يقل: «جنتيه»[٣]؛ إرادة للروضة، وقيل: اكتفاءً بالواحد[٤] ﴿وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ بالكفر[٥] ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾ تنعدم ﴿هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥﴾.

١- ﴿ثُمْرٌ﴾: بضم الثاء وسكون الميم: قراءة ابن عامر.

٢- ﴿ثَمَرٌ﴾: بفتحهما: قراءة عاصم، وأبي جعفر، ويعقوب.

٣- ﴿ثُمُرٌ﴾: بضمهما: قراءة الباقين.

(١) وقوله: (جمع ثمرة...). أي: على الأوجه الثلاثة، ثم ذكر لكل منها نظيرًا.
- فنظير «ثَمَر»: شجرة وشجر، هنا يكون شجر اسم جنس جمعيًا.
- ونظير «ثُمُر»: خشبة وخُشُب بالضمتين.
- ونظير «ثُمْر»: بدنة وبُدْن: بضمن الباء وسكون الدال.

والوجهان الأخيران جمع تكسير لـ«ثمر»، أما ثمرة وثمر: بفتحتين، فاسم جنس جمعي. والله أعلم. وعن ابن عباس في تفسير ﴿ثَمَرٌ﴾: «أنواع المال»، وعن مجاهد: «.... الذهب والفضة». و﴿مَالٗا﴾ تمييز محوّل عن المبتدأ أصله مالي أكثر وكذلك ﴿نَفَرٗا﴾.

(٢) قوله: (بصاحبه...). كما يعلم من سياق الآية، وذكره البيضاوي وغيره.

(٣) قوله: (ولم يقل: «جنيته»). أي: بالتثنية؛ لأن له جنتين.

(٤) وقوله: (إرادة للروضة). فالروضة: هي الأرض الخضراء سواء كان فيها جنة أم أكثر. أو (اكتفاء بالواحد)؛ وذلك لأن الدخول يكون في الواحد فالواحد. وذكر البيضاوي أوجهًا أخرى.

(٥) قوله: (بالكفر). فسر به عامة المفسرين، وكما يعلم من السياق.

(٣٦)- ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ في الآخرة على زعمك[(١)] ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦)﴾ مرجعًا.

(٣٧)- ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ يجاوبه[(٢)] ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ لأن آدم خلق منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ مني ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ﴾ عدلك وصيرك ﴿رَجُلًا (٣٧)﴾.

(٣٨)- ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ أصله: «لكن أنا»[(٣)]، نقلت حركة الهمزة إلى النون، أو حذفت الهمزة ثم أدغمت النون في مثلها[(٤)] ﴿هُوَ﴾[(٥)] ضمير الشأن تفسره الجملة بعده،

---

(١) قوله: (في الآخرة...). أي: وإن كان بعثٌ فكما أعطاني هذه النعم في الدنيا فسيعطيني أفضل منه لكرامتي عليه. ذكره القرطبي. وهذه مقولة من يغتر بالدنيا، ولا يدري أن ذلك استدراج، وأن الدنيا مقسومة للمطيع والعاصي. وكما يعتقده كثير ممن ضعف إيمانهم، فيظنون أن من كان على سعة من الرزق ورفاهية من العيش فهو مرضيّ عند الله.

(٢) قوله: (يجاوبه). المحاورة: المراجعة في الكلام والمجاوبة. وفسره أولًا بالمفاخرة؛ نظرًا للواقع لأن كلام ذلك الكافر صاحب الجنتين متضمن للمفاخرة والاغترار والكفران.

(٣) قوله: (أصله...). أي: فهو مؤلف من كلمتين، فهو: «لكن» و«أنا».

(٤) وقوله: (نقلت حركة الهمزة...). يعني ثم حذفت الهمزة.

وقوله: (أو حذفت الهمزة...). أي: بدون نقل الحركة، حذفت الهمزة بحركتها. فمراد المفسر: أنه حذفت الهمزة إما بعد نقل حركتها أو بدون النقل. كما في البيضاوي. وعبارته ربما لا تفيد ذلك.

(٥) قوله: (﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن). فهو مبتدأ، وجملة ﴿ٱللَّهُ رَبِّى﴾ خبر، والجملة الكبيرة ﴿هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ في محل نصب مقول القول المقدر: أي: أنا أقول: ﴿هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾. كما أشار المفسر إليه بقوله: (والمعنى: أنا أقول...). ولكن كان ينبغي أن يقدره قبل ﴿هُوَ﴾؛ لأن المقول ﴿هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾. كما قال ابن جرير: «ومعناه أنه يقول: ولكن أنا أقول: هو الله ربي».

=

والمعنى: أنا أقول ﴿ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨﴾.

٣٩- ﴿ وَلَوۡلَآ ﴾ هلّا[١] ﴿إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ ﴾ عند إعجابك بها هذا[٢] ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ وفي الحديث[٣]: «**من أعطي خيرًا من أهل أو مال فيقول عند ذلك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لم ير فيه مكروهًا**»، ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠﴾ ضمير فصل بين المفعولين[٤] ﴿أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ٣٩﴾.

٤٠- ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ ﴾ جواب الشرط[٥] ﴿وَيُرۡسِلَ

= **تنبيه**: قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ورويسٌ: بإثبات الألف في ﴿ لَّٰكِنَّا۠﴾ وصلًا ووقفًا، والباقون بحذفها وصلًا وإثباتها وقفًا.

(١) قوله: (هلّا). أفاد أن ﴿لَوۡلَآ ﴾ هنا تحضيضية. وهي داخلة على ﴿قُلۡتَ ﴾ تقديرًا؛ لأن أدوات التحضيض مختصة بالأفعال.

(٢) قوله: (هذا) قدره ليكون مبتدأ، و﴿مَا﴾ من ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ خبرًا.

(٣) قوله: (وفي الحديث:...). روى نحوه البيهقي في «الشعب» عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ. وأورده القرطبي عنه بلفظ: «**... لم يضره عين**».

(٤) قوله: (ضمير فصل...). ضمير الفصل هو ضمير يؤتى به بين المبتدأ والخبر، أو ما أصله المبتدأ والخبر كمعمولي النواسخ، يفيد توكيدًا وتخصيصًا وأن ما بعده خبر لا نعت. والمشهور أنه ليس له محل من الإعراب. وقد فصلنا الكلام عنه في كتاب «البلاغة»، و«رسالة الاستثناء».

والنون في ﴿تَرَنِ﴾ نون الوقاية، وبعدها ياء المتكلم محذوفة، وهي المفعول الأول لـ«ترَ»، والمفعول الثاني: ﴿أَقَلَّ ﴾، و﴿مَالٗا ﴾: تمييز.

(٥) قوله: (جواب الشرط). أي: جملة ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ ...﴾ جواب الشرط الذي هو ﴿إِن تَرَنِ ﴾.

عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾ جمع حسبانة، أي: صواعق[١] ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾﴾ أرضًا ملساء، لا يثبت عليها قدم.

﴿٤١﴾- ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾ بمعنى: غائرًا[٢]، عطف على «وَيُرْسِلَ»[٣] دون «يُصْبِحَ»؛ لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾ حيلة تدركه بها.

﴿٤٢﴾- ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ بأوجه الضبط السابقة[٤]، مع جنته بالهلاك[٥]، فهلكت ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ ندمًا وتحسّرًا ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ في عمارة جنته ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ دعائمها للكرم[٦]، بأن سقطت ثم سقط الكرم ﴿وَيَقُولُ يَا﴾ للتنبيه[٧] ﴿لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾.

---

(١) قوله: (أي: صواعق). فالحسبانةُ: الصاعقة. نقله القرطبي عن ابن الأعرابي، وقريبًا منه عن أبي عبيدة، والأخفش. ومن معاني الحسبانة: الوسادة، والسحابة. نقله القرطبي. ونقل ابن جرير عن ابن عباس وغيره: «الحسبان: العذاب».

(٢) قوله: (بمعنى: غائرًا). أي: فهو مصدر بمعنى اسم الفاعل؛ للمبالغة.

(٣) قوله: (عطف على ﴿وَيُرْسِلَ﴾): وعلى هذا يحتاج لتقدير الرابط في هذه الجملة، كأن يقال: أو يصبح ماؤها غورًا بقضائه تعالى. ويصح جعلها معطوفة ﴿يُصْبِحَ﴾ إذا فسر الحسبان بالعذاب، كما ورد التفسير به عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٤) قوله: (بأوجه الضبط). يعني: القراءات الثلاثة: ثُمْر، ثُمُر، ثَمَر.

(٥) وقوله: (مع جنته). متعلق بـ﴿وَأُحِيطَ﴾ أفاد به أن الهلاك شامل لجنته مع الثمر، لا للثمر وحده كما يعلم من السياق.

(٦) قوله: (دعائمها). يعني: سقوفها التي تصنع للكرم وهو العنب.

(٧) قوله: (للتنبيه). أي: ليست للنداء؛ لأن النداء خاص بالاسم. و«ليت» حرف.

﴿٤٣﴾- ﴿وَلَمْ تَكُن﴾ بالتاء والياء[١] ﴿لَّهُۥ فِئَةٌ﴾ جماعة ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ عند هلاكها ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ عند هلاكها بنفسه[٢].

﴿٤٤﴾- ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: يوم القيامة[٣] ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ بفتح الواو[٤]: النصرة، وبكسرها: الملك ﴿لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ﴾ بالرفع: صفة «ٱلْوَلَٰيَةُ»، وبالجر: صفة الجلالة[٥] ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ من ثواب غيره[٦]، لو كان يثيب ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ بضم القاف

---

(١) قوله: (بالتاء...). قراءتان: بالياء: ﴿يَكُن﴾: حمزة، والكسائي، وخلف. وبالتاء: ﴿تَكُن﴾: الباقون.

(٢) قوله: (بنفسه). متعلق بـ﴿مُنتَصِرًا﴾ أي: لم يستطع أن ينتصر ويمتنع بنفسه من عذاب الله.

(٣) قوله: (أي: يوم القيامة). أفاد أن الإشارة بهنالك: إلى يوم القيامة المعلوم من سياق الآية. فيكون متعلقًا بما تعلق به الجار والمجرور: ﴿لِلَّهِ﴾ أي: كائن لله يوم القيامة، وهذا أحد الوجهين، والوجه الثاني: أنه إشارة إلى يوم نزول العذاب على صاحب الجنتين، فقيل: إنه متعلق بقوله: ﴿مُنتَصِرًا﴾ أي: وما كان منتصرًا هنالك. وقيل: متعلق بما تعلق به الخبر ﴿لِلَّهِ﴾. ذكر الوجهين القرطبي بدون عزو. وعلى الوجهين تكون الإشارة بـ﴿هُنَالِكَ﴾ إلى الزمان، والأصل: الإشارة به إلى المكان. والله أعلم.

(٤) قوله: (بفتح الواو...): قراءتان: ﴿ٱلْوِلَٰيَةُ﴾: بكسر الواو: قراءة حمزة، والكِسائي، وخلف. وبفتح الواو: ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾: قراءة الباقين.
فقيل: كلاهما بمعنًى واحد كالرضاعة والرِّضاعة، وقيل: بالكسر، معناها: المُلك والسلطنة. وبالفتح: النصرة، كما ذكره المفسر، وكما يعلم من القرطبي.

(٥) قوله: (بالرفع...): قراءتان أيضًا: بالرفع: ﴿ٱلْحَقُّ﴾: قراءة أبي عمرو، والكسائي. وبالجر: ﴿ٱلْحَقِّ﴾: قراءة الباقين. ووجههما كما ذكر المفسر.

(٦) قوله: (من ثواب غيره). أشار به إلى أن ﴿خَيْرٌ﴾ هنا اسم التفضيل، وحذف المفضل عليه. وظاهر كلام ابن كثير أن ﴿خَيْرٌ﴾ هنا للمبالغة والتأكيد، وليس للمفاضلة. والله أعلم.

وسكونها[١]: عاقبة للمؤمنين، ونصبها على التمييز.

(٤٥) - ﴿وَٱضْرِبْ﴾ صيّر[٢] ﴿لَهُم﴾ لقومك ﴿مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مفعول أول، ﴿كَمَآءٍ﴾ مفعول ثان ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾ تكاثف بسبب نزول الماء[٣] ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ أو امتزج الماء بالنبات، فَرَوِيَ وحَسُنَ[٤] ﴿فَأَصْبَحَ﴾ صار النبات ﴿هَشِيمًا﴾ يابسًا متفرقة أجزاؤه[٥] ﴿تَذْرُوهُ﴾ تنثره وتفرّقه ﴿ٱلرِّيَٰحُ﴾ فتذهب به. المعنى[٦]: شبه الدنيا بنبات حسن فيبس فتكسر ففرقته الرياح. وفي قراءة: «ٱلرِّيحُ»[٧]،

---

(١) قوله: (بضم القاف...): قراءتان: ﴿عُقْبًا﴾: بسكون القاف: قراءة عاصم، وحمزة، وخلف. وبالضم: قراءة الباقين.

(٢) قوله: (صيّر). صيغة أمر تفسير ﴿ٱضْرِبْ﴾، أي: اجعل مثل الحياة الدنيا مثل ماءٍ، فالكاف في ﴿كَمَآءٍ﴾ اسم في محل نصب مفعول ثان.

(٣) قوله: (تكاثف...). على هذا التفسير تكون الباء للسببية.

(٤) وقوله: (أو امتزج...). هذا تفسير آخر لـ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾، وعلى هذا تكون الباء للإلصاق، ويكون المعنى: امتزج الماء بالنبات، ويكون في الآية قلب للمبالغة. حيث قيل: اختلط به النبات، أي: اخْتلط بالماء النبات، والأصل: اختلط الماء بالنبات.

قوله: (فروي). بكسر الواو، أي: شرب النبات الماءَ.

(٥) قوله: (يابسًا). تفسير ﴿هَشِيمًا﴾ أفاد أنه بمعنى اسم الفاعل. قال الزمخشري: «الهشيم: ما يبس وتحطّم».اهـ.

(٦) قوله: (المعنى...). أفاد أن هذا من التشبيه المركب، وقد مرّ في تفسير سورة يونس نظير هذا الآية (٢٤).

(٧) قوله: (وفي قراءة:...). هذه قراءة حمزة والكسائي وخلف. وقرأ الجمهور بصيغة الجمع: ﴿ٱلرِّيَٰحُ﴾.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ قادرًا[(١)].

﴿٤٦﴾-[(٢)] ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ يتجمّل بهما فيها ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ هي[(٣)]: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، زاد بعضهم[(٤)]: ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾﴾، أي: ما يأمله الإنسان، ويرجوه عند الله تعالى.

﴿٤٧﴾- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوۡمَ تُسَيَّرُ ٱلۡجِبَالُ﴾ يذهب بها عن وجه الأرض فتصير هباءً منبثًا[(٥)]، وفي قراءة[(٦)]: بالنون وكسر الياء ونصب «ٱلۡجِبَالَ» ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ

---

(١) قوله: (قادرًا). كذا فسره البيضاوي. ولعله تفسير تقريبيّ، وإلا فالمقتدر أبلغ من القادر كما نبه عليه الصاوي وغيره. أي كما تفيده زيادة الحرف.

(٢) ربط ابن جرير هذه الآية بقصة عيينة وأصحابه الذين طلبوا من رسول الله ﷺ إبعاد فقراء المسلمين عن المجلس المذكورة في الآية (٢٨)، كما ربط قصة صاحب الجنتين بها. حيث قال في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى ذكره: المال والبنون أيها الناس التي يفخر بها عيينة والأقرع، ويتكبران بها على سلمان وخباب وصهيب مما يتزين به في الحياة الدنيا، وليسا من عداد الآخرة...».اهـ.

(٣) قوله: (هي: سبحان الله...). رواه ابن جرير عن ابن عباس، وكذا عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كما روى عن ابن عباس أيضًا: «هي الصلوات الخمس». وعن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: «هي الأعمال الصالحة كلها»، واختاره.

(٤) وقوله: (وزاد بعضهم:...). هذه الزيادة وردت عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه أحمد، كما رواه عنه ابن جرير.

(٥) قوله: (فتصير هباءً...). بمثله فسر ابن جرير، وعزاه إلى أئمة التفسير.

(٦) قوله: (وفي قراءة: ...) هما قراءتان: ﴿تُسَيَّرُ﴾: بالتاء المضمومة، وفتح الياء، على صيغة المبني للمفعول، ورفع ﴿ٱلۡجِبَالُ﴾: قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وعليها =

بَارِزَةً﴾ ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره ﴿وَحَشَرۡنَٰهُمۡ﴾ المؤمنين والكافرين ﴿فَلَمۡ نُغَادِرۡ﴾ نترك ﴿مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾﴾.

﴿٤٨﴾- ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا﴾ حال، أي: مصطفين كل أمة صف[١]، ويقال لهم: ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ﴾ أي: فرادى[٢] حفاة عراة غرلًا، ويقال لمنكري البعث: ﴿بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن﴾ مخففة من الثقيلة، أي: أنه[٣] ﴿لَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴿٤٨﴾﴾ للبعث.

= درج المفسر. و﴿نُسَيِّرُ﴾: بالنون المضمومة، وكسر الياء، بصيغة المبني للفاعل، ونصب ﴿ٱلۡجِبَالَ﴾: وهي قراءة الباقين.

(١) قوله: (كل أمة صف). هكذا نقله القرطبي عن مقاتل، قال: «يعرضون صفًّا بعدَ صف، كالصفوف في الصلاة كل أمة وزمرة في صف، لا أنهم صف واحد».اهـ. وقيل: ﴿صَفّٗا﴾ بمعنى: جميعًا. كما يميل إلى ذلك ابن كثير. ونقل القرطبي عن الحافظ ابن منده حديثًا عن معاذ مرفوعًا حاصله: «أن الله ينادي عباده لإحضار حجتهم في الحساب ويأمر الملائكة أن يجعلهم صفوفًا».

(٢) قوله: (فرادى...). كما قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ [٩٤]؛ فقوله: (فرادى) أحد التفسيرين لـ﴿كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ﴾ ذكرهما القرطبي. والتفسير الثاني: أن معناه: حشرهم حفاة عراة غرلًا. والمفسر جمع بينهما كما ثبت في سورة الأنعام. وحشر الناس حفاة عراة غرلًا؛ رواه مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والغرل: الأقلف غير المختون.

(٣) قوله: (أي: أنه). أفاد به أن اسم ﴿أَن﴾ المخففة ضمير الشأن المحذوف، والجملة بعدها في محل رفع خبر، و«أن» المخففة واجبة العمل، كما هو معروف من علم النحو.

(٤٩)- ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ كتاب كل امرئ في يمينه من المؤمنين[١]، وفي شماله من الكافرين ﴿فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مُشۡفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ﴾ عند معاينتهم ما فيه من السيئات ﴿يَٰ﴾ للتنبيه ﴿وَيۡلَتَنَا﴾ هلكتنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه[٢] ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً﴾ من ذنوبنا[٣] ﴿إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾ عدها وأثبتها، تعجبوا منه في ذلك ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ﴾ مثبتًا في كتابهم ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا (٤٩)﴾ لا يعاقبه بغير جرم[٤]، ولا ينقص من ثواب مؤمن.

(٥٠)- ﴿وَإِذۡ﴾ منصوب بـ(اُذكر)، ﴿قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ سجود انحناء لا وضع جبهة[٥]، تحية له ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ قيل: هم نوع من

---

(١) قوله: (كتاب كل امرئ...). أفاد به أن «أل» في ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ عهدية، والمراد به كتاب الأعمال. كما فسر به ابن جرير وغيره.

(٢) قوله: (وهو مصدر...). أي: كلمة «ويل» مصدر بمعنى: الهلاك، وليس له فعل من لفظه، ولو وجد لكان: وال، يويل، نحو: باع، يبيع، بيعًا، ولكن لا وجود له، وتقدم تفسير «ويل» في سورة البقرة الآية (٧٨).

(٣) قوله: (من ذنوبنا). وبمثله فسر ابن جرير. وروى عن ابن عباس، وغيره: «الصغيرة: الضحك»، وروى القرطبي عنه: «الصغيرة: التبسم، والكبيرة: الضحك»، ثم قال: «أي في معصية الله تعالى»، والمشهور أن الكبيرة كل ذنب ترتب عليه حدّ أو ورد فيه عذاب أو لعن، وفيها أقوال كثيرة.

تنبيه: كتبت لام الجرّ مفصولة عن ﴿هَٰذَا﴾ في خط المصحف: ﴿مَالِ هَٰذَا ...﴾.

(٤) قوله: (لا يعاقبه...). تفسير لنفي الظلم، وتسمية ذلك «ظلمًا» نوع مجاز؛ لأن ثوابه من فضله، وعقابه من عدله، ومنع الفضل لا يسمى ظلمًا، لكن لما وعد به وهو لا يخلف الميعاد، صار كالواجب، وسمّى منعه: ظلمًا. والله أعلم.

(٥) قوله: (سجود انحناء...). كما تقدم في أول سورة البقرة.

الملائكة[١]، فالاستثناء متصل[٢]، وقيل: هو منقطع[٣]، وإبليس هو أبو الجن، فله ذرية ذكرت معه بعد[٤]، والملائكة لا ذرية لهم ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: خرج عن طاعته بترك السجود ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ الخطاب لآدم وذريته، والهاء في الموضعين لإبليس ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ تطيعونهم ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ أي: أعداء[٥]، حال[٦] ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ إبليس وذريته في إطاعتهم بدل إطاعة الله[٧].

﴿٥١﴾- ﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ أي: إبليس وذريته[٨] ﴿خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا

---

(١) قوله: (قيل: هم نوع...). أي: حقيقتهم واحدة، والفرق بالأوصاف، فعند هذا القائل من كان فيه الخير فقط: ملك، ومن كان فيه الشر فقط: شيطان، ومن كان فيه كل منهما: جنّ مع اتحاد الحقيقة؛ كالإنسان؛ فمن كان فيه الخير فقط: الأنبياء، ومن كان فيه الشرّ فقط: هو الكافر، ومن كان فيه كلاهما: سائر الناس، مع اتحاد حقيقة الأصناف الثلاثة.

(٢) وقوله: (متصل). أي: يكون المستثنى من جنس المستثنى منه.

(٣) وقوله: (منقطع). أي: المستثنى ليس من جنس المستثنى منه، وهما مصطلحان نحويان كما هو معلوم.

(٤) وقوله: (وذكرت معه بعده). أي في قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ ...﴾. وهذا استدلال على أن إبليس ليس من نوع الملائكة. وهو قول الجمهور.

الهمزة في ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ للاستفهام التوبيخي، والفاء عاطفة على محذوف.

(٥) قوله: (أي: أعداءً). أفاد أن العدو هنا بمعنى الجمع، وهو فَعُولٌ من عَدا.

(٦) قوله: (حال). أي: جملة ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ في محل نصب حال، إما من الواو في «تتخذون»، أو من مفعوله.

(٧) قوله: (إبليس...) قدره ليكون مخصوصًا بالذم.

(٨) قوله: (أي: إبليس...). أفاد أن الضمير يرجع إليهم، وحكى القرطبي وجهًا آخر: =

﴿خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ أي: لم أحضر بعضهم خلق بعض ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ﴾ الشياطين[١] ﴿عَضُدٗا ۝٥١﴾ أعوانًا في الخلق، فكيف تطيعونهم؟

۝٥٢ - ﴿وَيَوۡمَ﴾ منصوب بـ«اذكر» ﴿يَقُولُ﴾ بالياء والنون[٢] ﴿نَادُواْ شُرَكَآءِيَ﴾ الأوثان ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ﴾[٣] ليشفعوا لكم بزعمكم ﴿فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾ لم يجيبوهم[٤] ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم﴾ بين الأوثان وعابديها[٥] ﴿مَّوۡبِقٗا ۝٥٢﴾ واديًا من أودية جهنم، يهلكون فيه جميعًا[٦]، وهو من وبَق بالفتح: هلك.

= «أن الضمير يرجع إلى المشركين، فتتضمن الآية الرد على طوائف من المنجمين وأهل الطبائع ونحوهم».اهـ. ملخصًا.

(١) قوله: (الشياطين). وقيل: الكفار. [القرطبي].

(٢) قوله: بالياء والنون): قراءتان: بالنون: ﴿نَقُولُ﴾: قراءة حمزة. وبالياء: ﴿يَقُولُ﴾: قراءة الباقين.

(٣) و﴿ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ﴾ حذف منه مفعولا «زعم» لدلالة المقام، والتقدير: زعمتموهم شركاء.

(٤) قوله: (لم يجيبوهم). أفاد أن الاستفعال خالٍ عن معنى الطلب.

(٥) قوله: (بين الأوثان...). بيّن المفسر مرجع الضمير أنه: المشركون ومعبوداتهم. وهذا أحد الوجهين، وعزاه ابن جرير إلى الحسن، ولكن فسر الموبق: بالعداوة، وعزاه ابن كثير إلى ابن عباس وغيره، وفسروا الموبق: بالمهلك.

والوجه الثاني: أن الضمير يعود إلى أهل الهدى وأهل الضلالة. روى ابن جرير ذلك عن عبدالله بن عمرو وغيره، وفسروا الموبق بأنه وادٍ في جهنم، وروى عن أنس أنه وادٍ من قيح ودم. وفي كلام المفسر جمع بين القولين، حيث فسر الموبق بأنه وادٍ، وأنه بمعنى: المهلك.

(٦) وقوله: (يهلكون...). أي: يعذبون، وليس بمعنى: يموتون؛ لأن النار ليس فيها موت، نعوذ بالله.

﴿٥٣﴾- ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ﴾ أي: أيقنوا[١] ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ أي: واقعون فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ معدلًا.

﴿٥٤﴾- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بيّنّا ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة لمحذوف، أي: مثلًا من جنس كل مثل ليتعظوا[٢] ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: الكافر[٣] ﴿أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ خصومة في الباطل، وهو تمييز منقول من اسم «كان»[٤]، المعنى: وكان جدل الإنسان أكثر شيء فيه.

﴿٥٥﴾- ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: كفار مكة[٥] ﴿أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ مفعول ثانٍ[٦] ﴿إِذْ

(١) قوله: (أيقنوا). أشار إلى أن «ظن» في اللغة يأتي بمعنى: أيقن، وقد تقدم نظيره.

(٢) قوله: (أي: مثلًا من جنس...) أي: ليس المراد كل جزئيات الأمثال، بل كل نوع من أنواعها. وتقدم نحوه في الإسراء الآية (٨٩).

(٣) قوله: (الكافر). أشار به إلى أن ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ مطلق أريد به مقيد. وعزا القرطبي هذا التفسير إلى الزجاج، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ﴾. أفاده القرطبي.

(٤) قوله: (وهو تمييز...). أي: ﴿جَدَلًا﴾ تمييز محول عن اسم «كان». وقد بينا أنواع التمييز ملخصًا في كتابنا: «الشرح الطري على ثنائيات الفضفري».

(٥) قوله: (أي: كفار مكة). فسره به لمناسبة أن الآية مكية. فتكون «أل» في ﴿ٱلنَّاسَ﴾ عهدية.

(٦) قوله: (مفعول ثان). أي لـ﴿مَنَعَ﴾، فيتعدى إلى المفعولين، نحو: منعْت فلانًا كذا، وقد يتعدى بـ«من» إذا كان بمعنى: دفع وأبعد، كما تقول: منعتُ الشر عن فلانٍ، أو منعتُ فلانًا عن كذا، ويصح جعل الآية من هذا القبيل، والتقدير: وما منع الناس من أن يؤمنوا، وحذف حرف الجرّ مع «أن» و«أنّ» مطرد، كما تقدم مرارًا. والله أعلم.

جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ القرآن ﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فاعل[١]، أي: سُنَّتنا فيهم، وهي الإهلاك المقدر عليهم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قِبَلًا ﴿٥٥﴾﴾ مقابلة وعيانًا[٢]، وهو القتل يوم بدر، وفي قراءة: بضمتين: جمع قبيل، أي: أنواعًا.

﴿٥٦﴾-[٣] ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ للمؤمنين ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ مخوفين للكافرين ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بقولهم: «أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾» [الإسراء: ٩٤]، ونحوه. ﴿لِيُدْحِضُواْ بِهِ﴾ ليبطلوا بجدالهم ﴿ٱلْحَقَّ﴾ القرآن ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي﴾ أي: القرآن ﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾ به من النار ﴿هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾ سخرية.

﴿٥٧﴾- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ ما عمل من الكفر والمعاصي[٤] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾

---

(١) قوله: (فاعل). أي: المصدور المؤول من ﴿أَن﴾ وما بعدها فاعل لـ﴿مَنَعَ﴾.
وظاهر قول المفسر أن معنى الآية: ما منعهم عن الإيمان إلا نزول العذاب. وهو الذي يفيد كلام ابن جرير، وقال ابن كثير ما حاصله: «أن المعنى: ما منعهم عن الإيمان إلا طلبهم أن يشاهدوا العذاب، كما قالوا: فأسقط علينا كسفًا من السماء، ونحو ذلك».

(٢) قوله: (مقابلة...). هذا على القراءة: ﴿قِبَلًا﴾: بكسر القاف، وفتح الباء، التي مشى عليها المفسر. وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، ويعقوب. وقرأ الباقون: بالضمتين: ﴿قُبُلًا﴾، جمع: قبيل، كجديد وجُدُد، أي: أنواعًا. كما قال المفسر: وهو منصوب على الحال على الوجهين.

(٣) قال ابن جرير في معنى الآية: «لما جادل الكفار الأنبياء بالباطل قال لهم الله: إنا لا نرسل المرسلين للجدال والخصومات، وإنما نرسلهم مبشرين ومنذرين».اهـ. ملخصًا.

(٤) قوله: (ما عمل...). أشار به إلى أن إطلاق اليد من باب المجاز المرسل، وقد تقدم نظيره.

أي: من أن يفهموا القرآن(١)، أي: فلا يفهمونه ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ﴾ ثقلًا، فلا يسمعونه ﴿وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا﴾ أي: بالجعل المذكور(٢) ﴿أَبَدٗا ٥٧﴾.

٥٨- ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ(٣) لَوۡ يُؤَاخِذُهُم﴾ في الدنيا ﴿بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ﴾ فيها ﴿بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ﴾ وهو يوم القيامة ﴿لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ٥٨﴾ مَنْجًى، من: وَأَلَ: نجَا.

٥٩- ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ أي: أهلها(٤) كعاد وثمود وغيرهما ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا

---

(١) قوله: (أي: من أن يفهم القرآن). أشار به إلى أن حرف الجر محذوف، وحذف حرف الجر مطرد مع «أنّ» و«أن». وقد سبق نظير ذلك مرارًا، كما سبق معنى نحو هذه الآية في تفسير قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [البقرة: ٧]، ونحو ذلك من الآيات. وأنها من أدلة أهل السنة والجماعة من أن الخير والشر كله مقدر، خلافًا للقدرية. وأن الطبع بسبب كفرهم لا جبرًا وقهرًا، خلافًا للجبرية.

(٢) قوله: (أي: بالجعل المذكور). تفسير للمراد بـ﴿إِذًا﴾. والتنوين في ﴿إِذًا﴾ تنوين يصح جعله عوضًا عن الجملة، والتقدير: إذ جعلنا على قلوبهم أكنة... أو يقال: ﴿إِذًا﴾: حرف جواب، يفيد التوكيد.

(٣) قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾. فيه إثبات صفة الرحمة لله تعالى، لا كما يزعم المعتزلة والجهمية من نفي الصفات عنه تعالى. قال القرطبي: «في قوله: ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾ أربعة تأويلات: العفو، والثواب، فيختص بالمؤمنين، النعمة، والهدى فتعم غيرهم».اهـ. ملخصًا. ولم يعز هذه الأقوال. وهذه تأويلات للرحمة المتعدية كما هو واضح.

(٤) قوله: (أي: أهلها...). فيه إشارة إلى أنها من المجاز المرسل حيث أطلق المحل، وأريد الحال، بقرينة الضمير في ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾.

ظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿وَجَعَلْنَا لِمُهْلَكِهِم﴾ لإهلاكهم[١]، وفي قراءة بفتح الميم، أي: لهلاكهم[٢] ﴿مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾.

۝٦٠- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ هو ابن عمران[٣] ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ يوشع بن نون[٤]، كان يتبعه ويخدمه، ويأخذ منه العلم ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ لا أزال أسير[٥] ﴿حَتَّىٰٓ

---

(١) قوله: (لإهلاكهم) هذا على قراءة: ﴿لِمُهْلَكِهِم﴾: بضم الميم، وفتح اللام. مصدر ميمي من: أهلك: وهي قراءة الجمهور.

(٢) وقوله: (وفي قراءة: بفتح الميم...). أي: فيكون مصدرًا ميميًا لـ«هلك» الثلاثي المجرد، وهي قراءة حفص، وشعبة، إلا أن حفصًا كسر اللام، وشعبة فتحها.

(٣) قوله: (هو ابن عمران). أي: موسى بني إسرائيل النبي الرسول المشهور أحد أولي العزم. وفي قول المفسر رد على من زعم أنه موسى بن منشا بن يوسف بن يعقوب، وكان نبيًّا قبل موسى بن عمران. ذكره القرطبي. وكان هذا قول فرقة من العلماء منهم: نوف البكالي التابعي، وقد رد عليه ابن عباس، وقال: «إنه موسى بني إسرائيل». رواه البخاي في «صحيحه». وهذه القصة الثانية الكبيرة ذات العضات والعبرات من القصص الثلاث المذكورة في سورة الكهف، إحداهما قصة أصحاب الكهف، والثالثة قصة ذي القرنين الآتية، وقد روى البخاري في «صحيحه» سبب خروج موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للقاء الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما سيوردها المفسر قريبًا.

(٤) قوله: (يوشع بن نون). أي: يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ. قاله القرطبي، كان حُرًّا بل جعل نبيًا بعد موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وقيل: كان ابن أخت موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وسمي فتًى وإن كان حرًّا لمتابعته لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وخدمته، أفاده القرطبي. والفتى في اللغة: الشاب، ويطلق على الخادم.

(٥) قوله: (لا أزال أسير) كذا فسره ابن جرير والقرطبي وغيرهما. وظاهره: أن ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ هنا فعل ناقص حذف خبرها، قدره المفسر بـ(أسير). ويحتمل كونها تامة فلا يحتاج إلى الخبر ويناسبه قول ابن زيد حيث قال: ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾، قال: «لا أنتهي». رواه عنه ابن جرير.

﴿أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ ملتقى بحر الروم وبحر فارس مما يلي المشرق[١]، أي: المكان الجامع لذلك[٢] ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ٦٠﴾ دهرًا طويلًا في بلوغه إن بَعُدَ[٣].

٦١ - ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا﴾ بين البحرين ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نسي يوشع حمله عند الرحيل[٤]، ونسي موسى تذكيره ﴿فَٱتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ أي: جعله بجعل الله ﴿سَرَبٗا ٦١﴾ أي: مثل السرب، وهو الشق الطويل لا نفاذ له[٥]، وذلك أن الله تعالى أمسك عن الحوت جري الماء[٦]، فانجاب عنه، فبقي كالكوة، لم يلتئم، وجمد ما تحته منه[٧].

---

(١) قوله: (ملتقى بحر الروم...) هذا قول قتادة ومجاهد. وقيل غير ذلك. وذكر بعض المعاصرين أن ﴿مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾: عند مصب دجلة والفرات، شرقي الشام وجنوبي العراق.اهـ.

(٢) وقوله: (أي: المكان الجامع) تفسير لـ﴿مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾.

(٣) قوله: (دهرًا طويلًا). بمثله قال ابن عباس. وقيل: هو ثمانون سنة، وقيل: سبعون سنة. حكاهما ابن جرير وغيره.

(٤) قوله: (نسي يوشع...) هذا بيان لنسبة النسيان إليهما.

(٥) قوله: (لا نفاذ له). أي: ينتهي هذا السرب بحيث لا يمكن الذهاب فيه إلى مكان آخر.

(٦) وقوله: (وذلك أن الله...) بيان لاتخاذ السرب. روى ابن جرير عن ابن عباس، عن أُبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما انجاب ماء منذ كان الناس غيره، ثبت مكان الحوت الذي فيه، فانجاب كالكوة حتى رجع إليه موسى، فرأى مسلكه، فقال: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِ﴾**».اهـ.

(٧) قوله: (وجمد...). روي عن ابن عباس قريب منه.

نقل القرطبي عن ابن عباس: «أن الحوت كان مملوحًا في زنبيل، وكان يصيبان منه غداءً وعشاءً، فلما انتهيا إلى الصخرة على ساحل البحر وضع فتاه المكتل، فأصاب الحوت جرى البحر، فتحرك الحوت في المكتل، فقلب المكتل وانسرب الحوت...الخ». =

٦٢- ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلك المكان بالسير إلى وقت الغداء من ثاني يوم ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ هو ما يؤكل أول النهار ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ تعبًا، وحصوله بعد المجاوزة[1].

٦٣- ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ﴾ أي: تنبّه[2] ﴿إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ بذلك المكان ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[3] يبدل من الهاء: ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ بدل اشتمال، أي: أنساني ذكره ﴿وَٱتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ مفعول ثان[4]، أي: يتعجب منه موسى وفتاه، لما تقدم في بيانه.

= وقيل: كان الحوت دليلًا على موضع الخضر وكان معهما زاد غير الحوت. قال القرطبي: «هذا ذكره شيخنا الإمام أبو العباس وارتضاه».اهـ.

(١) قوله: (وحصوله...). أي: كان حصول التعب بعد مجاوزة ذلك المكان الذي فقد فيه الحوت، كما تفيد رواية البخاري. قال القرطبي: «وفي هذا دليل على جواز إخبار الإنسان بما يجده من الألم والأمراض».اهـ. كما ذكره فوائد أخرى، منها: اتخاذ الزاد وأنه لا ينافي التوكل، ومنها: الرحلة لطلب العلم، واستصحاب الخادم، وتحمل التعب لأجله، كما أن فيه إيجاب توكيل الأمور إلى الله تعالى بأن يقول العالم: الله أعلم. عما لا يعلمه.

(٢) قوله: (تنبّه). تفسير للمراد بـ﴿أَرَءَيْتَ﴾. وتقدم الكلام على هذا التركيب في سورة الأنعام الآية (٤٠)، وفي هذا اللفظ إشارة للعجب في نفس موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من ذلك الخبر الذي سيخبر به فتاه، وحث للتنبيه له، كما أشار المفسر بقوله (تنبّه).

(٣) قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾. قرأ حفص بضم الهاء، وهو خلاف الأكثر، والأكثر كسرها، وبالكسر قرأ الباقون. ونسبة النسيان للشيطان مع أن الشيطان لا تسلّط له على الأنبياء؛ هضمًا لنفسه، وتأدبًا مع الله. أفاده الصاوي.

(٤) قوله: (مفعول ثان). أي: ﴿عَجَبًا﴾ مفعول ثان لـ﴿وَٱتَّخَذَ﴾، والأول: ﴿سَبِيلَهُۥ﴾ كما هو واضح.

﴿٦٤﴾- ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: فقدنا الحوت ﴿مَا﴾ أي: الذي[١] ﴿كُنَّا نَبْغِۚ﴾ نطلبه، فإنه علامة لنا على وجود من نطلبه ﴿فَٱرْتَدَّا﴾ رجعا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ يقصانها[٢] ﴿قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ فأتيا الصخرة[٣].

﴿٦٥﴾- ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ هو الخضر[٤] ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ نبوة في قول[٥]، وولاية في آخر، وعليه أكثر العلماء ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا﴾ من

---

(١) قوله: (الذي). أفاد أن ﴿مَا﴾ اسم موصول، وليس حرف نفي، و﴿نَبْغِۚ﴾ بحذف الياء تخفيفًا، ولدلالة الكسر عليها، قرأ به عاصم، وحمزة، وابن عامر، وخلف.
وقرأ نافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر: بإثبات الياء وصلًا.
وقرأ ابن كثير، ويعقوب: بإثباتها وقفًا ووصلًا. وحذف الياء: قراءة الباقين.

(٢) قوله: (يقصانها). أي: يتبعان آثارهما.

(٣) قوله: (فأتيا الصخرة). أشار به إلى أن هنا حذف جملة، وهو من الإيجاز. والصخرة هي التي نام عليها موسى وفتاه، كما سيذكر في الحديث الذي أورده المفسر.

(٤) قوله: (هو الخضر)، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. بفتح الخاء وكسر الضاد أو سكونها، وبكسر الخاء وسكون الضاد؛ ففيه ثلاث لغات. أفاده الصاوي. قال ابن كثير: «كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة».اهـ. يعني أن المراد بالعبد هنا هو الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.اهـ.
الخضر لقبه، واسمه: إيليا بن ملكان، وكنيته: أبو العباس. قاله الصاوي. ولقب بالخضر: لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء. رواه الترمذي عن أبي هريرة.

(٥) قوله: (نبوة). تفسير ﴿رَحْمَةً﴾ هنا، وبها فسر القرطبي. ورجّح أنه نبي، قال: «والآية تشهد بنبوته؛ لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي».اهـ. وذهب كثير من العلماء إلى أنه حي، وأنه لقي النبي ﷺ، وأطال القرطبي في ترجيح هذا القول، ولم يثبت بذلك نص مؤكد، والعلم عند الله تعالى. وعلى القول بنبوته فإن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أفضل منه؛ لأن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أولي العزم، ولا مانع من زيادة المفضول ببعض العلم على الفاضل، =

قِبلنا(١) ﴿عِلۡمٗا ٦٥﴾ مفعول ثان(٢)، أي: معلومًا من المغيبات. روى البخاري(٣) حديث: «**إن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه، إذ لم يردّ العلم إليه**(٤)**، فأوحى إليه: إن لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا ربّ! كيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتًا، فتجعله في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمّ**(٥)**. فأخذ حوتًا فجعله في مكتل، ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة ووضعا رأسيهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه**(٦)**، فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سربًا، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء، فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كانا من الغداة، قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا، إلى قوله:** ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ٦٣﴾». قال: «**وكان للحوت سربًا، ولموسى ولفتاه عجبًا**...الخ».

= عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ، فكل منهما عنده ما ليس عند غيره من العلم، كما في «صحيح البخاري» أن الخضر عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قال لموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: «يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه».

(١) قوله: (قِبلنا) بكسر القاف تفسير لـ﴿لَّدُنَّآ﴾، و«عند» و«لدن» تتفقان في أمور وتفترقان في أمور، فصلناها في كتاب «الثنائيات» وشرحه الطري.

(٢) وقوله: (مفعول ثان). أي: لعلّمنا، وليس مفعولًا مطلقًا؛ لأن المراد به المعلوم.

(٣) قوله: (روى البخاري). أي: في كتاب العلم، بطرق وسياقٍ متقارب.

(٤) قوله: (لم يردّ العلم إليه). أي: إلى الله بمعنى أنه لم يقل: الله أعلم.

(٥) قوله: (فهو ثَم). بفتح الثاء، أي: هنالك.

(٦) قوله: (فاضطربَ)، وفي البخاري: «وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة، لا يصيب من مائها شيء إلا حيي، فأصاب الحوت من ماء تلك العين، فتحرك...» إلخ.اهـ.

٦٦- ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا ﴿٦٦﴾﴾ أي: صوابًا أرشد به، وفي قراءة[١]: بضم الراء وسكون الشين، وسأله ذلك[٢]؛ لأن الزيادة في العلم مطلوبة.

٦٧- ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾.

٦٨- ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾[٣]. في الحديث السابق عقب هذه الآية: «**يا موسى! إني على علم من الله علمنيه لا تعلمه، وأنت على علم من الله علمكه الله لا أعلمه**»، وقوله: «﴿خُبْرًا﴾» مصدر لمعنى: لم تحط، أي: لم تَخْبُرْ حقيقته.

٦٩- ﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى﴾ أي: وغير عاص[٤] ﴿لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ تأمرني به، وقيد بالمشيئة[٥]؛ لأنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما الْتزم،

---

(١) قوله: (وفي قراءة: ...). هما قراءتان: الأولى: ﴿رَشَدًا﴾: بفتحتين: قرأه أبو عمر، ويعقوب. بنى عليها المفسر. والثانية: ﴿رُشْدًا﴾: بضم الراء وفتح الشين: قراءة الباقين. وهما بمعنًى واحد، وهو مفعول ثان لـ﴿تُعَلِّمَنِ﴾.

(٢) قوله: (سأله ذلك...). وهذا سؤال الملاطف والمتأدب، كما أفاده القرطبي.

(٣) ﴿خُبْرًا﴾ قال القرطبي: «لأن الأنبياء لا يقرون على منكر، ولا يجوز لهم التقرير». و﴿خُبْرًا﴾ منصوب على التمييز المحول عن فاعل ﴿لَمْ تُحِطْ﴾. وقيل: مفعول مطلق من معناه؛ لأن معنى ﴿لَمْ تُحِطْ﴾: لم تَخْبُر. وإليه ذهب المفسر حيث قال: (و﴿خُبْرًا﴾ مصدر).

(٤) قوله: (أي: وغير عاص). على هذا يكون من عطف الفعل على الاسم الذي فيه معنى الفعل، وهو كثير مطرد، ويصح عطفه على جملة ﴿سَتَجِدُنِىٓ﴾.

(٥) قوله: (وقيد بالمشيئة). أي: بقوله: إن شاء الله، وهذا الاستثناء قيل يشمل قوله: ﴿وَلَآ أَعْصِى﴾، وقيل: لا، بل استثنى في الصبر فقط، فصبر، ولم يستثن في ﴿وَلَآ أَعْصِى﴾ فاعترض، ذكره القرطبي.

وهذه عادة الأنْبياء والأولياء أن لا يثقوا إلى أنفسهم طرفة عين.

٧٠- ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي﴾ وفي قراءة[1]: بفتح اللام وتشديد النون ﴿عَن شَيۡءٍ﴾ تنكره مني في علمك، واصبر[2] ﴿حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠﴾ أي: أذكره لك بعلته. فقبل موسى شرطه رعاية لأدب التعلّم من العالم.

٧١- ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ يمشيان على ساحل البحر[3] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾ التي مرت بهما[4] ﴿خَرَقَهَاۖ﴾ الخضر بأن اقتلع لوحًا[5] أو لوحين منها من جهة البحر بفأس لما بلغت اللجّ ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا﴾، وفي قراءة: بفتح التحتانية[6] والراء ورفع «أَهۡلُهَا»، ﴿لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ٧١﴾ أي:

---

(١) قوله: (وفي قراءة: ...). هما قراءتان: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلَنِّي﴾: بفتح اللام وتشديد النون، فعل مؤكد بالنون، هذه قراءة نافع، وابن عامر، وأبي جعفر. و﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي﴾: بتسكين اللام: قراءة الجمهور. وعلى هذا يكون الفعل مجزومًا بالسكون الظاهر، وعلى الأولى: يكون مبنيًا على الفتح في محل جزم.

(٢) قوله: (واصبر). قدره لزيادة توضيح المعنى، فيكون الجار والمجرور ﴿حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ﴾ متعلقًا به.

(٣) قوله: (ميشيان... الخ). كما في رواية «الصحيحين».

(٤) قوله: (التي مرت...) أفاد أن «أل» في ﴿ٱلسَّفِينَةِ﴾ عهدية. وفي «الصحيح»: «أن أهل السفينة حملوهما بغير نول، وكانوا عرفوا الخضر».

(٥) وقوله: (بأن اقتلع...) كما ورد في الحديث.

(٦) قوله: (وفي قراءة: ...): قراءتان: ﴿لِتُغۡرِقَ﴾: بتاء الخطاب، ونصب ﴿أَهۡلَهَا﴾ على المفعولية: قراءة الجمهور. و﴿لِيَغۡرَقَ﴾: بصيغة الغيبة، ورفع ﴿أَهۡلُهَا﴾ على الفاعلية: قراءة حمزة، والكسائي، وخلف.

عظيمًا منكرًا[(١)]، وروي: أن الماء لم يدخلها[(٢)].

(٧٢)- ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢)﴾.

(٧٣)- ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ أي: غفلت عن التسليم لك وترك الإنكار عليك ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ تكلفني ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣)﴾ مشقة في صحبتي إياك، أي: عاملني فيها بالعفو واليسر.

(٧٤)- ﴿فَانطَلَقَا﴾ بعد خروجهما من السفينة يمشيان ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا﴾ لم يبلغ الحنث يلعب مع الصبيان، أحسنهم وجهًا ﴿فَقَتَلَهُ﴾ الخضر، بأن ذبحه بالسكين مضطجعًا، أو اقتلع رأسه بيده، أو ضرب رأسه بالجدار، أقوال[(٣)]. وأتى هنا بالفاء العاطفة[(٤)]؛ لأن القتل عقب اللقاء، وجواب «إِذَا»: ﴿قَالَ﴾ له

(١) قوله: (أي: عظيمًا). كذا فسره ابن جرير، وروى عن قتادة: «يقول: نُكرًا»، وعن مجاهد: «منكرًا». وقال ابن جرير: «والإمر في كلام العرب: الداهية».

فائدة: قال القرطبي ما حاصله: «يؤخذ من الآية جواز نقص الولي من مال اليتيم لصونه عن نحو السارق».اهـ. ملخصًا. ولكن ينبني هذا على أن شرع من قبلنا شرع لنا، وذلك محل نزاع عند الأصوليين، ويمكن أن يستدل لذلك بتطبيق القاعدة الفقهية وهي: «درء أعظم المفسدتين بارتكاب أخفهما».

(٢) وقوله: (وروي أن الماء...إلخ). لم أجد تلك الرواية إلا أنه ذكره المفسرون، والواقع يشهد لذلك حيث إن السفينة لم تغرق بعد هذا الخرق.

(٣) قوله: (أقوال). أي: أقوال ثلاثة في كيفية قتله الغلام. ذكرها المفسرون، وقال القرطبي: «يحتمل أن يوجد كل ذلك»، والذي في «الصحيحين»: «فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده، فقتله».

(٤) وقوله: (وأتى هنا بالفاء...) أي: في قوله ﴿فَقَتَلَهُ﴾ عطفًا على ﴿لَقِيَا﴾.

موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً﴾، أي: طاهرة لم تبلغ حد التكليف، وفي قراءة: «زَكِيَّةً» بتشديد الياء بلا ألف[(١)]، ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: لم تقتل نفسًا ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ بسكون الكاف وضمها[(٢)]، أي: منكرًا[(٣)].

❁❁❁

---

(١) قوله: (بتشديد الياء...) هما قراءتان: ﴿زَاكِيَةً﴾ بصيغة اسم الفاعل. و﴿زَكِيَّةً﴾ بصيغة الصفة المشبهة، والأولى: قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وأبي جعفر، ورويس. والثانية: قراءة الباقين.

ويعلم من ﴿زَكِيَّةً﴾ أن الغلام لم يكن بالغًا، وهو قول الجمهور. وقيل: كان بالغًا. حكاهما القرطبي.

(٢) قوله: (بسكون الكاف...) أيضًا قراءتان: ﴿نُّكُرًا﴾: بضم الكاف: قراءة نافع، وابن ذكوان، وشعبة، وأبي جعفر، ويعقوب. و﴿نُّكْرًا﴾: بسكون الكاف: قراءة الباقين.

(٣) وقوله: (أي: منكرًا). تفسير للمراد بالنكر، والنُكْر: صفة مشبهة، أو مصدر بمعنى اسم المفعول يقال: نِكرَه نُكرًا ونكُورًا، كما يعلم من «مختار الصحاح»، وهذا ظاهر كلام المفسر. وقال في القاموس: «النكر بالضم، وبضمتين: المنكر».اهـ.

(٧٥)- ﴿۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ زاد «لَّكَ»[١] على ما قبله لعدم العذر هنا.

(٧٦)- ولهذا ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أي: بعد هذه المرّة ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ لا تتركني أتبعك ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي﴾ بالتشديد والتخفيف[٢]: من قِبلي ﴿عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾ في مفارقتك لي.

(٧٧)- ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي: أنطاكية[٣] ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ طلبًا منهم الطعام بضيافة[٤] ﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ ارتفاعه مائة ذراع[٥]

---

(١) قوله: (زاد ﴿لَّكَ﴾). أي: في خطابه لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال: ألم أقل لك. وفيما قبله كان: ألم أقل. ففي زيادة ﴿لَّكَ﴾ شيء من التشديد، كما جاء في حديث «الصحيحين»: «**وهذه أشد من الأولى**».

(٢) قوله: (بالتشديد...). قرأ نافع، وأبو جعفر بتخفيف النون مع ضم الدال، أي: بدون نون الوقاية. وقرأ الجمهور بتشديد النون، والنون الثانية نون الوقاية، دخلت على «لدن» للمحافظة على سكون البناء، ووجود النون أكثر من حذفها، كما قال ابن مالك: «وفي لَدُنِّي لَدُني قَلَّ...».

(٣) قوله: (هي: أنطاكية). حكى القرطبي أقوالًا عديدة في تحديد تلك القرية معزوة وغير معزوة. ثم قال: «وهذا كله بسبب الخلاف في أي ناحية من الأرض كانت قصة موسى، والله أعلم بحقيقة ذلك».اهـ. وأنطاكية: مدينة تاريخية، تقع في تركيا على الضفة اليسرى لنهر العاصي على بعد ٣٠كم من شاطئ البحر المتوسط.

(٤) قوله: (طلبًا منهم...). أفاد أن الاستفعال هنا بمعنى الطلب، كما هو الغالب فيه.
وقوله: (بضيافة). وفي بعض النسخ: ضيافةً.

(٥) قوله: (ارتفاعه مائة ذراع). ذكره بعض المفسرين، ونقل القرطبي: «أن سمكه كان =

﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أي: يقرب أن يسقط لميلانه[١] ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ الخضر بيده[٢] ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ لتَخِذْتَ﴾ وفي قراءة[٣]: «لَتَّخَذْتَ»، ﴿عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ جُعلًا[٤]، حيث لم يضيفونا مع حاجتنا إلى الطعام.

﴿٧٨﴾- ﴿قَالَ﴾ له الخضر: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ﴾ أي: وقت فراق[٥] ﴿بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ فيه

= ثلاثين ذراعًا بذراع ذلك القرن، وطوله على وجه الأرض خمسمائة ذراع، وعرضه خمسون ذراعًا». اهـ، ولم يثبت في ذلك نص صريح.

(١) قوله: (أي: يقرب...). فيه إشارة إلى أن إطلاق الإرادة من باب الاستعارة. كما قرره القرطبي وغيره؛ لأن الإرادة من صفات العقلاء، فإذا أسندت إلى غيرهم يكون مجازًا، إلا ما كان من باب المعجزة وخرق العادة فيكون ذلك حقيقة، كتسليم الحجر على رسول الله ﷺ، وتسبيح الطعام، والحصى، وغير ذلك، فكل ذلك حقيقة؛ لأنه من خرق العادات.

(٢) قوله: (بيده). كذا نقله القرطبي عن سعيد بن جبير: «أن الخِضر مسح الجدار بيده وأقامه، فقام»، وصحح القرطبي هذا القول. وقيل: نقضه فعمّره، وقيل: أقامه بعود، وقيل غير ذلك.

(٣) قوله: (وفي قراءة: ...). فهما قراءتان: ﴿لَتَخِذْتَ﴾: بصيغة الثلاثي المجرد المسند إلى ضمير الخطاب: وهذه قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، ويعقوب. و﴿لَتَّخَذْتَ﴾: بصيغة الثلاثي المزيد من باب افتعل، وهذه قراءة الباقين. ومعناهما واحد. وهي من أفعال التصيير الناصبة للمفعولين، الأول: ﴿أَجْرًا﴾، والثاني: الجار والمجرور ﴿عَلَيْهِ﴾، ويحتمل كونها بمعنى: أخذ، فيكون له مفعول واحد، وهو: ﴿أَجْرًا﴾، كما مال إليه بعض المعربين.

(٤) وقوله: (جُعلًا). بضم الجيم، وسكون العين، بمعنى: الأجر.

(٥) قوله: (أي: وقت). أفاد به حذف مضاف، فيكون من إيجاز الحذف.

إضافة «بين» إلى غير متعدد[١]، سوغها تكريره بالعطف بالواو ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ قبل فراقي لك ﴿بِتَأْوِيلِ[٢] مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾.

﴿٧٩﴾- ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾ عشرة[٣] ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ بها مؤاجرة لها طلبًا للكسب ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم﴾ إذا رجعوا[٤]، أو أمامهم الآن

---

(١) قوله: (فيه إضافة «بين»). أشار به إلى مسألة نحوية، وذلك: ان لفظ «بين» مما تلزم الإضافة، ولا تضاف إلا إلى متعدد معنًى، كما تقول: بين الناس، أو بينهما، أو إلى مفرد معطوف عليه، كما نقول: بين زيد وعمرو، أو بين زيد وبين عمرو، لأنه بمعنى: بينهما. ومن هذا ما في الآية، فقد أضيف إلى مفرد معطوف عليه: ﴿بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾؛ لأنه بمعنى: بيننا.

(٢) قوله تعالى: ﴿بِتَأْوِيلِ﴾. التأويل هنا بمعنى: مآل. أي: الحقيقة التي يؤول إليها الشيء كما يعلم من القرطبي، وابن جرير. ويطلق التأويل بمعنى: التفسير والتوضيح. ويطلق في اصطلاح الأصوليين على صرف اللفظ من معناه القريب إلى البعيد لقرينة.

فائدة: قال القرطبي نقلًا: «مناسبة وقوع هذه الآيات الثلاث لموسى مع الخضر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد وقع له نظير هذه الأمور، حيث قتل القبطيّ، وقد ألقي في اليمّ، وهو في التابوت، وقد سقى بنات شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ من البئر بغير أجر».اهـ.

(٣) قوله: (عشرة). هذا العدد نقله القرطبي عن كعب وغيره، قال: «وكانوا عشرة إخوة من المساكين ورثوا السفينة من أبيهم». وقيل: هم سبعة، والله أعلم.

(٤) قوله: (إذا رجعوا). أشار به إلى الاختلاف في معنى «وراء» هٰهنا، فنقل القرطبي عن بعض المفسرين -بدون عزو- أن المعنى: «خلفقهم»، وكان رجوعهم عليه. ونسب إلى الجمهور أنه بمعنى: قدام. كما قرأ ابن عباس، وابن جبير: ﴿وَكَانَ أَمَامَهُم مَّلِكٌ﴾. وكما في الآية: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [الجاثية: ١٠]، وذلك أن الحدث الموجود حالًا: أمامك، والذي بعده هو الوراء، فالوراء يطلق على ما سيأتي من الأمور.اهـ. من القرطبي ملخصًا.

﴿مَّلِكٌ﴾ كافر[١] ﴿يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة[٢] ﴿غَصۡبٗا ٧٩﴾ نصبه على المصدر المبين لنوع الأخذ.

٨٠- ﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا[٣] طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ٨٠﴾ فإنه -كما في حديث مسلم[٤]-: طبع كافرًا، ولو عاش لأرهقهما، ذلك لمحبتهما له يتبعانه في ذلك.

٨١- ﴿فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا﴾ بالتشديد والتخفيف[٥] ﴿رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ﴾

---

(١) قوله: (كافر). قيل اسمه: هُدَد بن بُدَد، وقيل: الجلنْدَى، وقيل: جيسور، أو حيسور، أو حيسون. وقيل: جيسور اسم الغلام المقتول.

(٢) قوله: (صالحة). أشار به إلى حذف الصفة، فيكون الكلام من إيجاز الحذف. وهي موجودة في قراءة ابن عباس: ﴿يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ﴾، وفي أخرى عنه: ﴿كُلَّ سَفِينَةٍ صَحِيحَةٍ﴾.

فائدة: أخذ من الآية أن المسكين أحسن حالًا من الفقير، وأن من الجائز إفساد بعض المال لإصلاح كله، وهي من قاعدة: ارتكاب أخف الضررين لدفع أشدهما. كما أشار إلى ذلك القرطبي. وتقدمت الإشارة إلى ذلك.

(٣) وقوله تعالى: ﴿فَخَشِينَآ﴾ عن ابن عباس: «علمنا»، وقال ابن جرير: «وقيل: كرهنا».

﴿أَن يُرۡهِقَهُمَا﴾ أي: يحمّلهما ويكلفهما، قال ابن كثير: «أي: يحملهما حبه على متابعته على الكفر».اهـ.

(٤) قوله: (كما في حديث مسلم). ورواه ابن جرير عن ابن عباس عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «**الغلام الذي قتله طبع يوم طبع كافرًا**».اهـ.

(٥) قوله: (بالتشديد...) قراءتان: بتشديد الدال ﴿يُبَدِّلَهُمَا﴾ من التبديل: قراءة نافع، وأبي عمر، وأبي جعفر، وعليها مشى المفسر. وبتخفيفها: ﴿يُبۡدِلَهُمَا﴾ من الإبدال: قراءة الباقين.

أي: صلاحًا وتقىً ﴿وَأَقْرَبَ﴾ منه ﴿رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ بسكون الحاء وضمها[(١)]، رحمة، وهي البر بوالديه، فأبدلهما تعالى[(٢)] جارية تزوجت نبيًّا فولدت نبيًّا، فهدى الله تعالى به أمة.

﴿٨٢﴾- ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ﴾ مال مدفون من ذهب وفضة[(٣)] ﴿لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ فحُفِظا بصلاحه[(٤)] في أنفسهما وما لهما ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ أي: إيناس رشدهما ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ مفعول له، عامله: «أَرَادَ»، ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ﴾ أي: ما ذكر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ﴿عَنْ أَمْرِى﴾ أي: اختياري؛ بل بأمر إلهام

---

(١) قوله: (بسكون الحاء...): قراءتان: بضم الحاء: ﴿رُحُمًا﴾: قراءة ابن عامر، وأبي جعفر، ويعقوب. وبسكونها: ﴿رُحْمًا﴾: قراءة الباقين. وهما مصدر: «رَحِمَ» كالرحمة، ونصبه على التمييز.

(٢) وقوله: (وهي بر الوالدين) روي مثله عن قتادة.
قوله: (فأبدلهما...). هذا القول نقله القرطبي عن الكلبي، وعن ابن عباس، قال: «فولدت جارية ولدت نبيًّا».اهـ. قال قتادة: «لقد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فالواجب على كل امرئ الرضا بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب».اهـ.

(٣) قوله: (مال مدفون...) روى نحوه عن عكرمة، وروي عن ابن عباس: «كنز علمٍ».
فائدة: قال القرطبي: «اسم اليتيمين: أصرم وصريم»، ودل قوله: ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ على أن القرية تسمى مدينة.اهـ.

(٤) قوله: (فحفظا بصلاحه). أي: حفظ اليتيمان في أنفسهما ومالهما بسبب صلاح أبيهما. وفيه دليل على أن صلاح الأصول ينفع الفروع. نبه عليه القرطبي وغيره.

من الله[١] ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢﴾ يقال: اسطاع واستطاع[٢] بمعنى: أطاق؛ ففي هذا وما قبله جمع بين اللغتين، ونوعت العبارة في: «فَأَرَدتُّ»، «فَأَرَدۡنَآ»، «فَأَرَادَ رَبُّكَ».

٨٣- ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ﴾ أي: اليهود[٣] ﴿عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ﴾ اسمه: الإسكندر[٤]،

---

(١) قوله: (بأمر إلهام). هذا إذا كان وليًّا، وأما إن كان نبيًّا -وعليه الجمهور كما تقدم- فيكون بالوحي.

و﴿مَا﴾ في ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ﴾ حرف نفي، والهاء في ﴿فَعَلۡتُهُۥ﴾ عائد إلى المعلوم من السياق، كما ذكر المفسر، وليس عائدًا إلى ﴿مَا﴾؛ لأن الضمير لا يعود إلا إلى الاسم، وذلك من علامات الأسماء.

(٢) قوله: (يقال: اسطاع...). أي: بحذف التاء تخفيفًا، قال ابن كثير: «لما كان إشكاله قويًّا قابله بالأثقل، أي بـ﴿تَسۡتَطِع﴾، ولما خف الإشكال بعد التوضيح قابله بالأخف، أي: ﴿تَسۡطِع﴾».اهـ. ملخصًا.

تنبيه: قد تمسك بعض الباطنية بهذه القصة على أن الوليّ قد يخالف الشريعة لعلم خاص عنده، فنقول: لا دلالة على ذلك في هذه القصة؛ لأن موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لم يبعث إلى الخضر وليس من أمته، فلا يلزمه التدين بشريعته، بخلاف الوليّ، فإن النبي ﷺ مبعوث إليه وإلى سائر الناس، يلزمهم التمسك بشريعته، فمن اعتقد أن هناك طريقة أخرى إلى الله فهو كافر زنديق، وقد نبه العلماء -كالقرطبي- على ذلك.

(٣) قوله: (أي: اليهود) لعل المراد: الكفار بأمر اليهود، كما تقدم في أول السورة؛ فإسناد السؤال إلى اليهود يكون مجازًا.

(٤) قوله: (اسمه: الإسكندر) هذا القول عزاه القرطبي إلى ابن هشام، وقال: «هو الذي بنى الإسكندرية»، ونقل عن ابن وهب: «اسمه مرزبان بن مردية اليوناني»، وقيل: غير ذلك، واختلف في وجه تسميته بـ«ذي القرنين»، فروى ابن جرير عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: =

ولم يكن نبيًّا[١] ﴿قُلْ سَأَتْلُواْ﴾ سأقص ﴿عَلَيْكُم مِّنْهُ﴾ من حاله ﴿ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ خبرًا.

﴿٨٤﴾- ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بتسهيل السير فيها ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ طريقًا يوصله إلى مراده[٢].

﴿٨٥﴾- ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ سلك طريقًا نحو المغرب[٣].

﴿٨٦﴾- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ موضع غروبها ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ذات حَمْأة[٤]، وهي الطين الأسود، وغروبها في العين في رأي العين، وإلا فهي

= أن قومه ضربوه على قرني رأسه لما دعاهم إلى الحق، وعن وهب بن منبه: «لأنه ملك الروم وفارس»، وقال بعضهم: كان في رأسه شبه القرنين.اهـ. من ابن جرير ملخصًا. واختلف أيضًا في زمانه، فقيل: كان بعد موسى، وقيل: في وقت إبراهيم وإسماعيل. وقيل: في الفترة بعد عيسى عَلَيْهِمَالسَّلَامُ. ذكره القرطبي بدون عزو. فالله أعلم.

قال القرطبي: «روي أن جميع ملوك الدنيا كلها أربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود النبي عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ، وإسكندر ذو القرنين، والكافران: نمرود وبختنصّر، وسيملكها من هذه الأمة خامس، وهو المهدي».اهـ. بتصرف.

(١) وقوله: (ولم يكن نبيًّا) روى ابن جرير عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قريبًا منه، قال: «كان عبدًا صالحًا أحب الله فأحبه...».

(٢) قوله: (طريقًا يوصله...). وبنحوه روي عن الحسن، قال: «بلاغًا إلى حيث أراد».اهـ، وعن ابن عباس: «علمًا»، وكذا عن قتادة، وابن زيد، وابن جريج.

(٣) قوله: (طريقًا نحو...). روي عن مجاهد نحوه، قال: «طريقًا في الأرض، وهي المراد بالدنيا».

(٤) قوله: (ذات حمأة). الحمْأة -بسكون الميم-: طين أسود، والحمئة -بكسر الميم- صفة مشبهة من: حمئت البئر حمأً. كما يعلم من كتب اللغة، وتقدمت هذه المادة في سورة الحجر الآية (٢٦).

أعظم من الدنيا[(١)] ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾ أي: العين ﴿قَوْمًا﴾ كافرين ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ بإلهام[(٢)] ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ القوم بالقتل ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ بالأسر[(٣)].

﴿٨٧﴾- ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ بالشرك ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ نقتله[(٤)] ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ بسكون الكاف وضمها[(٥)]: شديدًا في النار.

﴿٨٨﴾- ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: الجنة، والإضافة للبيان[(٦)]، وفي قراءة: بنصب «جَزَآءً» وتنوينه، قال الفراء: «ونصبه على التفسير»، أي: لجهة النسبة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ أي: نأمره بما يسهل عليه.

﴿٨٩﴾- ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ نحو المشرق.

---

(١) قوله: (وإلا فهي...). أي: فالشمس أعظم من الأرض، والمراد: أنه بلغ إلى آخر العمارة من جهة المغرب، وكذا من جهة المشرق. كما ذكره القرطبي نقلًا عن القفال.

(٢) قوله: (بإلهام). وذلك لأن ذا القرنين لم يكن نبيًّا، فيكون أمر الله إياه بطريق الإلهام، لا بالوحي.

(٣) قوله: (بالقتل... بالأسر). كما قاله ابن جرير وغيره. أي: خيّره الله بين هذين الحكمين، كما ذكره القرطبي نقلًا.

(٤) قوله: (نقتله). كما ذكره ابن جرير، ورواه عن قتادة.

(٥) قوله: (بسكون الكاف...). كما تقدم في الآية (٧٤).

(٦) قوله: (والإضافة للبيان). أي: إضافة ﴿جَزَآءً﴾ إلى ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾. فالمعنى: الجزاء الذي هو الحسنى، أي: الجنة. وهذا على القراءة بالإضافة، وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وأبي جعفر، وشعبة. وقرأ الباقون بنصب ﴿جَزَآءً﴾ وتنوينه، فيكون تمييزًا لنسبة الخبر إلى المبتدأ في «فله الحسنى». وهو المراد بقول الفراء: «نصبه على التفسير»، ووضحه المفسر بقوله: (أي: لجهة النسبة).اهـ. يعني نسبة الخبر إلى المبتدأ.

(٩٠) - ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ﴾ موضع طلوعها[١] ﴿وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ﴾ هم الزنج[٢] ﴿لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا﴾ أي: الشمس ﴿سِتۡرٗا (٩٠)﴾ من لباس ولا سقف؛ لأن أرضهم لا تحمل بناء[٣]، ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوع الشمس، ويظهرون عند ارتفاعها.

(٩١) - ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر كما قلنا[٤] ﴿وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ﴾ أي: عند ذي القرنين من الآلات والجند وغيرهما ﴿خُبۡرٗا (٩١)﴾ علمًا.

(٩٢) - ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا (٩٢)﴾.

(٩٣) - ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ﴾ بفتح السين وضمها هنا[٥]، وبعدُ[٦]، هما

---

(١) قوله: (موضع طلوعها). قال البيضاوي: «أي: الموضع الذي تطلع عليه الشمس أولًا». اهـ. وهي بلاد الشرق. قيل: الهند وما حولها. ويحتمل كونها بلاد أفريقا مما يلي بحر العرب، والله أعلم.

(٢) قوله: (هم الزنج). كما قال قتادة: «يقال: هم الزنج»، والزنج: قوم سود يعيشون في البلاد الحارة. قال في «المنجد»: «هم قوم من سودان».اهـ.

(٣) قوله: (لأن أرضهم...). روي نحو منه عن قتادة، والحسن، وابن جريج، وفسر كذلك ابن جرير وغيره، قال قتادة: «بلغنا أنهم كانوا في مكان لا يثبت عليهم بناء، فكانوا يدخلون في أسراب لهم إذا طلعت الشمس، حتى تزول عنهم، ثم يخرجون إلى معاشهم». اهـ. [ابن جرير].

(٤) قوله: (أي: الأمر...). أشار إلى أن الجار والمجرور ﴿كَذَٰلِكَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف.

(٥) قوله: (بفتح السين...). هما قراءتان: بفتح السين: ﴿ٱلسَّدَّيۡنِ﴾: قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وحفص. وبضمها: ﴿السُّدَّيۡنِ﴾: قراءة الباقين.

(٦) وقوله: «وبعْدُ) أي: فيما سيأتي وهو ﴿سَدًّا﴾، فقد قرأ بضم السين هنا: نافع، وابن عامر، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب. وبفتحها الباقون. وهما بمعنًى واحد. كما قاله ابن جرير.

جبلان بمنقطع بلاد الترك(١)، سدّ الإسكندر ما بينهما كما سيأتي. ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾ أي: أمامهما ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ أي: لا يفهمونه إلا بعد بطء(٢)، وفي قراءة: بضم الياء وكسر القاف(٣).

﴿٩٤﴾ - ﴿قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ بالهمز وتركه(٤)، هما اسمان أعجميان لقبيلتين(٥)، فلم ينصرفا ﴿مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالنهب والبغي عند خروجهم إلينا

---

(١) وقوله: (هما جبلان...). أي: فالسدّ بمعنى الجبل، والسدان: الجبلان. كما روي عن ابن عباس، وقتادة، وفسر كذلك ابن جرير، وابن كثير، وغيرهما.
وقوله: (بمُنقطع بلاد الترك). ذكر نحوه ابن كثير، وعن ابن عباس: «مِن قبل أرمينية وأذربيجان». نقله القرطبي.

(٢) قوله: (أي: لا يفهمونه...) أي: لاستعجام كلامهم وبعدهم عن الناس. [ابن كثير].

(٣) قوله: (وفي قراءة: ...) قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بضم الياء وكسر القاف: ﴿يُفْقِهُونَ﴾: مضارع: أفقه. وقرأ الباقون: بفتح الياء والقاف: ﴿يَفْقَهُونَ﴾: مضارع: فقِه.

(٤) قوله: (بالهمز وتركه). قرأ عاصم بالهمزة: ﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾. والباقون بالألف: ﴿يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ﴾. وهذا المراد بقول المفسر: وتركه، أي: ترك الهمزة بقلبها ألفًا.

(٥) وقوله: (وهما اسمان أعجميان). كما قاله البيضاوي وغيره، فمنع الصرف للعلمية والعجمة. وقيل: عربيان مأخوذان من أجج النار أي: التهابها، أو من الأوجة، وهي الاختلاط، أو الأوج، وهو سرعة العدو. ذكره في «إعراب القرآن» للدرويش. وعلى هذا منع من الصرف للعلمية والتأنيث.
يأجوج ومأجوج: من بني آدم، وهما من أولاد يافث بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما ذكره المفسرون، وذكر القرطبي حديثًا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**ولد نوح سام وحام ويافث، فولد سام العرب وفارس والروم والخير فيهم، وولد يافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة، ولا خير فيهم، وولد حام القبط والبربر والسودان**».اهـ.=

﴿فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا﴾ جُعْلًا من المال، وفي قراءة: «خَرَاجًا»[(١)] ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤﴾ حاجزًا، فلا يصلون إلينا.

٩٥- ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي﴾ وفي قراءة: بنونين من غير إدغام[(٢)] ﴿فِيهِ رَبِّي﴾ من المال وغيره ﴿خَيۡرٞ﴾ من خرجكم الذي تجعلونه لي، فلا حاجة بي إليه[(٣)]، وأجعل لكم السدّ تبرّعًا ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ لما أطلبه منكم ﴿أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥﴾ حاجزًا حصينًا.

٩٦- ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ﴾ قِطَعه[(٤)] على قدر الحجارة التي يبنى بها، فبنى بها،

= ولم يذكر من خرّجه ولا إسناده، وفي «الصحيحين» في حديث بعث النار: «**إن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثّرتاه: يأجوج ومأجوج**».اهـ. مما يؤكد أنهما من بني آدم.

أورد ابن جرير عن ابن إسحٰق عن وهب بن منبه حديثًا طويلًا عن يأجوج ومأجوج وإفسادهم وأشكالهم، والله أعلم بحقيقة الحال.

(١) قوله: (وفي قراءة: ﴿خَرَاجًا﴾): وهي قراءة حمزة، والكسائي، وخلف. وقرأ الباقون: ﴿خَرۡجًا﴾. وهما بمعنًى واحد.

(٢) قوله: (وفي قراءة: ...) قرأ ابن كثير: ﴿مَكَّنَنِي﴾: بلا إدغام، والنون الأولى لام الكلمة، والثانية نون الوقاية. وقرأ الباقون: بالإدغام: ﴿مَكَّنِّي﴾.

(٣) قوله: (فلا حاجة لي...) أي: لا حاجة إلى جُعلكم وأموالكم في عمل السد بين الجبلين، بل أعمل ذلك لكم مجّانًا، ولكن أعينوني على ذلك بقواتكم، قال القرطبي: «في الآية دليل على وجوب حفظ الرعية، وحماية بيضتهم على الملوك».اهـ. ملخصًا. كما أن فيها دليلًا على أن جمع القوى البشرية واستخدام قدراتهم وخبرتهم له تأثير كبير في الإنشاء والتعمير والتطوير، أخذًا من قوله تعالى: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾. والله أعلم.

(٤) قوله: (قِطَعه) بكسر القاف وفتح الطاء: جمع قِطعة. تفسير لـ﴿زُبَرَ﴾. فهو جمع: زبرة. كما روي عن ابن عباس وغيره.

وجعل بينها الحطب والفحم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ[(١)] بَيْنَ الصُّدُفَيْنِ﴾ بضم الحرفين وفتحهما[(٢)]، وضم الأول وسكون الثاني، أي: جانبي الجبلين بالبناء[(٣)]، ووضع المنافخ والنار حول ذلك ﴿قَالَ ٱنفُخُواْ﴾ فنفخوا[(٤)] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾ أي: الحديد ﴿نَارًا﴾ أي: كالنار[(٥)] ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ٩٦﴾ هو النحاس المذاب، تنازع فيه الفعلان[(٦)] وحذف من الأول لإعمال الثاني، فأفرغ النحاس المذاب على

---

(١) قوله تعالى: ﴿سَاوَىٰ﴾. أي: البناء، كما قاله القرطبي. ففاعله ضمير مستتر عائد إلى المعلوم من السياق.

(٢) قوله: (بضم الحرفين...) أشار إلى ثلاث قراءات:

١- ﴿الصُّدُفَيْنِ﴾: بضمتين: قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، ويعقوب.

٢- ﴿الصُّدْفَيْنِ﴾: بضم وسكون: قراءة شعبة.

٣- ﴿ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾: بفتحتين: قراءة الباقين.

(٣) وقوله: (أي: جانبي الجبلين...). تفسير ﴿ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾ على كل قراءة. وبذلك فسر أبو عبيدة. نقله القرطبي، وقال: «سمّيا بذلك لتصادفهما، أي: لتلاقيهما». وعن ابن عباس: «الصدفان: الجبلان»، وعن مجاهد: «رؤوس الجبلين».اهـ. وكل ذلك متقارب.

(٤) قوله: (فنفخوا). أي: الأكيار. قاله القرطبي، يعني: بآلات النفخ.

(٥) قوله: (كالنار). ذكره القرطبي. فيكون فيه تشبيه بليغ.

(٦) قوله: (تنازع فيه). إشارة إلى مسألة نحوية. وهي مسألة التنازع، وحاصلها: أن يتقدم عاملان فأكثر، ويتأخر معمول فأكثر كل من العاملين أو العوامل يطلب العمل في المتأخر من حيث المعنى: فالأولى عند البصريين إعمال العامل المتأخر في المعمول، ويهمل العامل الأول، وإذا أهمل يعطى ضمير الرفع فقط إذا كان يطلب مرفوعًا. ولا يعطى ضمير النصب والجرّ. ويجوز إعمال الأول أيضًا، فإذا أعمل الأول في المتأخر يعطى الثاني العمل في ضمير ذلك المعمول. فههنا ﴿ءَاتُونِي﴾ يحتاج للمفعول الثاني، و﴿أُفۡرِغۡ﴾ يحتاج للمفعول به. وكل منهما يطلب العمل في ﴿زُبَرَ﴾ من حيث المعنى، فنجعله =

الحديد المحمي، فدخل بين زبره، فصارا شيئًا واحدًا.

(٩٧)- ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ﴾[١] أي: يأجوج ومأجوج ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ يعلوا على ظهره؛ لارتفاعه وملاسته ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا (٩٧)﴾ خرقًا لصلابته وسمكه.

(٩٨)- ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿هَٰذَا﴾ أي: السد، أي: الإقدار عليه ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ نعمة[٢]؛ لأنه مانع من خروجهم ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾ بخروجهم القريب من البعث[٣]

= مفعولًا به للثاني، أي: لـ﴿أُفْرِغْ﴾، وأهمل الأول أي: ﴿ءَاتُونِى﴾، فليس له مفعول ثانٍ. بل حذف اكتفاء بإعمال الثاني، والتفصيل في كتب النحو. وهذا حاصل ما قاله المفسر. فقوله: (فحذف من الأول) أي: المفعول الثاني للعامل الأول، وهو ﴿ءَاتُونِى﴾. وقوله: (بإعمال الثاني) أي: اكتفاءً بإعمال الثاني وهو ﴿أُفْرِغْ﴾ في المعمول وهو ﴿زُبَرَ﴾. ولو كان الأول هو العامل هنا لقيل: «آتوني أفرغْهُ» بإعمال الثاني في الضمير الراجع إلى ﴿قِطْرًا﴾.

(١) ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ﴾. تقدم أن: اسطاع، لغة في: استطاع. لما كان النقب والخرق أشد من الظهور والعلو جعل الأشد «استطاع» مع التاء للأشد. والأخف «اسْطاع» بلا تاء للأخف. ذكره ابن كثير هنا، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)﴾.

قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ﴾. قال ابن كثير: «وهذا دليل على أنهم لم يقدروا على نقبه، ولا على شيء منه».اهـ. كأنه يشير إلى ضعف ما ورد من أنهم ينقبون كل يوم السد حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس يرجعون... ثم يعيده الله كما كان. الحديث أورده ابن جرير وغيره، ورواه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، والله أعلم.

(٢) قوله: (نعمة). فسر الرحمة هنا بالنعمة؛ لأن المراد هنا الرحمة المتعدية، بدليل الإشارة إلى السدّ، فبناء السدّ أثر رحمته تعالى، علمًا بأن علماء الأشاعرة كثيرًا ما يؤولون الرحمة بثمرتها، وهي: النعمة.

(٣) قوله: (القريب من البعث). صريح في أنهم لم يخرجوا إلى الآن، ويكون خروجهم بعد قتل عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للدجال، كما ورد به الأحاديث، رواها ابن ماجه، وأحمد، كما أورد =

﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ مدكوكًا مبسوطًا ﴿وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي﴾ بخروجهم وغيره ﴿حَقّٗا ٩٨﴾ كائنًا.

٩٩- قال تعالى[١]: ﴿۞ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ﴾ يوم خروجهم ﴿يَمُوجُ فِي بَعۡضٖ﴾ يختلط به لكثرتهم[٢] ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ أي: القرن للبعث[٣] ﴿فَجَمَعۡنَٰهُمۡ﴾ أي: الخلائق في مكان واحد يوم القيامة ﴿جَمۡعٗا ٩٩﴾.

١٠٠- ﴿وَعَرَضۡنَا﴾ قربنا[٤] ﴿جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ١٠٠﴾.

= الحديث ابن جرير. وبذلك يضعف قول بعض المعاصرين إنّ يأجوج ومأجوج هم الروس والأمريكان، أو أهل الصين والفلبين، وغير ذلك، كما أن وصف القرآن الكريم بناء السد وذكر بانيه يبطل قول من يقول بأن السد هو حائط الصين الكبير؛ لأن بانيه معلوم، وأنه ليس الإسكندر ذا القرنين، وليس مبنيًا من الحديد والنحاس، كما هو مشاهد، والله أعلم. ولا نحتاج إلى جر النصوص الشرعية إلى آراء المفكرين.

(١) قوله: (قال تعالى:...) قدره ليفيد أن ما بعده ليس من مقول ذي القرنين، وكان ما قبله من مقوله.

(٢) قوله: (يختلط به...) ظاهره أن الضمير في ﴿بَعۡضَهُمۡ﴾ راجع إلى يأجوج ومأجوج، والمراد بـ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ يوم يدك هذا السدّ. وذلك قبل يوم القيامة، وهذا المعنى عزاه ابن كثير إلى السديّ، بعد ما فسر الآية بذلك. وفسر ابن جرير برجوع الضمير إلى الخلق. والمراد بـ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾: يوم القيامة. أي: يختلط الإنس والجن يوم القيامة.

(٣) قوله: (أي: القرن). تفسير لـ﴿ٱلصُّورِ﴾، و(للبعث) متعلق بـ﴿وَنُفِخَ﴾، أفاد به أن المراد بالنفخ هنا: النفخ الثاني، لقوله تعالى: ﴿فَجَمَعۡنَٰهُمۡ﴾.

(٤) قوله: (قربنا). أي: وذلك قبل دخولهم فيها ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهمّ والحزن لهم، كما في «صحيح مسلم» عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بجهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك**».

﴿١٠١﴾- ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ﴾ بدل من «ٱلۡكَٰفِرِينَ»[١]. ﴿فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي﴾ أي: القرآن فهم عُمْي لا يهتدون به ﴿وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴿١٠١﴾﴾ أي: لا يقدرون أن يسمعوا من النبي ما يتلوه عليهم بغضًا له، فلا يؤمنون به.

﴿١٠٢﴾- ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي﴾ أي: ملائكتي وعيسى وعزيرًا[٢] ﴿مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ﴾ أربابًا، مفعول ثانٍ[٣] لـ«يَتَّخِذُواْ»، والمفعول الثاني لـ«أَفَحَسِبَ» محذوف، المعنى: أظنوا أن الاتخاذ المذكور لا يغضبني، ولا أعاقبهم عليه؟ كلا، ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾ أي: هي معدة لهم كالنُّزُل المعد للضيف.

﴿١٠٣﴾- ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾ تمييز[٤] طابق المميز، وبيّنهم بقوله:

---

(١) قوله: (بدل...). يعني الاسم الموصول: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ في موضع جر. ويصح إعرابه نعتًا للتوضيح والذم، لا للتقييد؛ لأن كل كافر كان في غطاءٍ. وبهذا الاعتبار أعرب بدلًا، أي: بدل كل من كلّ.

(٢) قوله: (أي: ملائكتي...). وبه فسر القرطبي.

(٣) وقوله: (مفعول ثانٍ). يعني: أن «حسب» و«يتخذ» كل منهما يحتاج للمفعولين. وأما مفعولا «يتخذ»: فـ﴿عِبَادِي﴾ و﴿أَوۡلِيَآءَۚ﴾. والمفعول الأول لـ﴿أَفَحَسِبَ﴾ المصدر المؤول من ﴿أَن يَتَّخِذُواْ﴾، والمفعول الثاني محذوف، كما قدره المفسر. وإلى هذا يشير كلام ابن كثير حيث يقول: «اعتقدوا أنه يصلح لهم ذلك وينتفعون به»، وكما ذكره القرطبي، وعزاه إلى الزجاج.

وكلام ابن جرير يفيد ان جملة ﴿أَن يَتَّخِذُواْ...﴾ سدت مسدّ مفعولي ﴿أَفَحَسِبَ﴾. والمعنى: أحسبوا اتخاذهم عبادي أولياء لهم، كلا، بل هم عدو لهم، وليسوا أولياء.

(٤) قوله: (تمييز). أي: ﴿أَعۡمَٰلًا﴾ تمييز جاء بصيغة الجمع موافقة للميَّز، وهو جمع، وهو: ﴿بِٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾، والأكثر في التمييز مجيئه على صيغة المفرد.

١٠٤- ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[(١)] بطل عملهم ﴿وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ﴾ يظنون ﴿أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ عملًا يجازون عليه.

١٠٥- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ بدلائل توحيده من القرآن وغيره ﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾ أي: وبالبعث والحساب والثواب والعقاب ﴿فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ بطلت ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥﴾ أي: لا نجعل لهم قدرًا[(٢)].

١٠٦- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وغيره، وابتدأ[(٣)]: ﴿جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦﴾ أي: مهزوءًا بهما[(٤)].

---

(١) اختلف في المراد بالذين ضل سعيهم المذكورين هنا، فعن سعد بن أبي وقاص، وعليّ، والضحاك... أنهم الرهبان والقسيسون، وفي رواية عن سعد: «أنهم جميع أهل الكتابين»، وعن عليّ في رواية: أنهم الحرورية، أي: الخوارج. واختار ابن جرير التعميم لكل من حاد عن طريق أهل الإيمان.

(٢) قوله: (أي: لا نجعل لهم...). ظاهره أن الوزن استعارة عن القدر، ونقل هذا القرطبي بقيل. وجمهور المفسرين على أن المراد بالوزن: الوزن الحقيقي. والمعنى: لا تثقل موازينهم لخلوها عن الخير؛ لأن الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحات، وليس لهؤلاء ذلك، كما يعلم من ابن جرير، وابن كثير، وغيره. روى البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة**»، قال: «اقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾».اهـ. وقد استنبط بعض العلماء من هذا الحديث ومن ظاهر الآية: أن الشخص يوزن مع عمله في الميزان. كما ذكر ذلك في كتب العقيدة. والله أعلم.

(٣) قوله: (وابتدأ). أي: ما بعده جملة مستقلة.

(٤) قوله: (مهزوءًا بهما). أشار به إلى أن ﴿هُزُوًا﴾ بمعنى اسم المفعول.

(١٠٧) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله ﴿جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ هو وسط الجنة وأعلاها[١]، والإضافة إليه للبيان ﴿نُزُلًا ١٠٧﴾ منزلًا.

(١٠٨) - ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ﴾ يطلبون ﴿عَنْهَا حِوَلًا ١٠٨﴾ تحولًا إلى غيرها.

(١٠٩) - ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ﴾ أي: ماؤه[٢] ﴿مِدَادًا﴾ هو ما يكتب به ﴿لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ الدالة على حِكمه[٣] وعجائبه بأن تكتب به ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ في كتابتها ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾ بالتاء والياء[٤]: تفرغ ﴿كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ﴾ أي: البحر ﴿مَدَدًا ١٠٩﴾ زيادة فيه لنفد إذًا، ولم تفرغ هي. ونصبه على التمييز[٥].

(١١٠) - ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ﴾[٦] آدمي ﴿مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ «أن»

---

(١) قوله: (هو وسط الجنة...). كما في البخاري قال ﷺ: «**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة**».

(٢) قوله: (أي: ماؤه). إشارة إلى تقدير مضاف.

(٣) قوله: (الدالة على حِكمه...). بكسر الحاء جمع: حكمة. وبمثله فسر ابن كثير، وفيه إثبات الحكمة لله تعالى، وعن ابن عباس: «مواعظ ربي»، و«نفد» بمعنى: تم وفرغ.

(٤) قوله: (بالتاء والياء...). قرأ بالياء: ﴿يَنْفَدَ﴾: حمزة، والكسائي، وخلف. وبالتاء: ﴿تَنفَدَ﴾: الباقون. وهما وجهان في النحو، إذا كان الفاعل مؤنثًا مجازيًا ظاهرًا جاز في الفعل التذكير والتأنيث، نحو: طلع الشمس، وطلعت الشمس. كما هو معروف.

(٥) قوله: (ونصبه). أي: نصب ﴿مَدَدًا﴾ على التمييز لـ«مثل»؛ لأنه يشبه المقدار، فهو تمييز مفرد.

(٦) قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠﴾. فيه إثبات لرسالته ﷺ: أي: فمن زعم أني كاذب فليأت بمثل ما جئت به من قصة أصحاب الكهف، وخبر ذي القرنين، ولولا اطلاع الله علي بذلك لما أخبرتكم به. كما يعلم من ابن كثير فهذه الآية إشارة إلى علو مكانة النبي ﷺ وتحدٍّ على حقية نبوته، لا كما يفهمه بعض الناس من أنه انتقاص وحكم بأنه مجرد بشرٍ مثلنا.

المكفوفة بها باقية على مصدريتها[١]، والمعنى: يوحى إلي وحدانية الإله ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ﴾ يأمل ﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ بالبعث والجزاء ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: فيها بأن لا يرائي[٢] ﴿أَحَدًۢا ١١٠﴾.

❁❁❁

(١) قوله: («أن» المكفوفة). يعني: «أن» في ﴿أَنَّمَآ﴾. و«ما» فيه كافة لعمل «أن». ومعلوم أن دخول «ما» الزائدة في «إن» وأخواتها يكف عملها إلا ليت فيجوز إبقاء عملها. وأفاد المفسر أن جملة ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ﴾. في تأويل مصدر مرفوع نائب فاعل لـ﴿يُوحَىٰٓ﴾، ثم المراد بالإله هنا: مستحق العبادة، لا المعبود مطلقًا؛ لأن معبوداتهم متعددة. وقد حررنا في تفسير آية الكرسي معنى الإله وإعراب كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، كما فصلنا ذلك في كتاب «الشرح الطري».

(٢) قوله: (بأن لا يرائي). وهكذا فسر ابن جرير وغيره. قال ابن كثير: «وهذان ركنا العمل المتقبل: لابد أن يكون خالصًا لله، صوابًا على شريعة رسول الله».اهـ.

فهرس السور

❀❀❀